

الْجُمْهُورِيَّةُ الْجَزَائِرِيَّةُ الدِّيمُقْرَاطِيَّةُ الشَّعْبِيَّةُ

المَجْلِسُ الْأَعْلَى لِللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

رئاسة الجمهورية



مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بالعيد

الجزء الثامن



منشورات المجلس 2024

أ.د. صالح بالعيد

مناسبة و كلمة

الجزء الثامن



52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد،
الجزائر

الهاتف: +213 23 48 72 79/85

الفاكس: +213 23 48 72 62

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

مناسبة وكلمة

الجزء الثامن

أ.د. صالح بلعيد

منشورات المجلس 2024

كتاب: مناسبة وكلمة (الجزء الثامن)
إعداد : المجلس الأعلى للغة العربية
قياس الصفحة: 29.7/21
عدد الصفحات: 440
الإيداع القانوني: السادس الثاني 2024
ردمك: 978-9931-681-32-8

المجلس الأعلى للغة العربية
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: 00 (213) 23 48 72 85
الفاكس: 00 (213) 23 48 72 62
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz



الفهرس

الرقم	العنوان	الصفحة
ديسمبر 2023		
01	في يوم اللغة العربية	09
02	لمّ التعطيل؟	15
03	العربية وفقّر التعلّم	19
04	شيخي لا تترجل	23
جانفي 2024		
05	العبرة من نجاح كورية الجنوبية في التربية والتعليم	29
06	العربية والإعلام	33
فيفري 2024		
07	التراث اللغوي والأدبي المخطوط لعلماء الجزائر ودوره في إثراء المعرفة	45
08	لا رقنة المخطوطات دون التحوّل الرقمي	51
09	البصمة اللغوية	61
10	استثمار تنمية الذكاء في ترقية اللغة العربية في قطاعي: التربية والتعليم العالي	65
مارس 2024		
11	اللغة الأمّ	73
12	الخطاب الإشهاري باللغة العربية - الواقع والرّهان	85
13	المخاطر التي تواجهها اللغة العربية	93
14	هل اللغة العربية لغة علمية؟	101
أفريل 2024		
15	اللغة العربية رهانات الرقنة وتحدياتها	119
16	الخط العربي يحتفي في دار السلام	125
17	التفكير اللساني التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	137
18	المصطلح اللساني: قضايا وطرائق صناعته	143
19	المنهج التكاملي رهان إعداد كفاءات تربوية أصيلة وراسخة	151

ماي 2024		
157	اللغة العربية وتحديات العصر: تصورات واقتراحات وحلول	20
169	كلمات في مسودة تقرير حالة السياسات اللغوية في البلاد العربية	21
171	العلاقات العلمية الثقافية الجزائرية السعودية	22
175	الخطاب السياحي العربي بين الراهن اللغوي والآفاق الإجرائية	23
181	أثر الذكاء الاصطناعي في الترجمة إلى اللغة العربية من اللغات الأجنبية	24
187	وسينتصر طوفان الأقصى	25
191	طوفان الأقصى؛ صحوة الأمة	26
195	ترجمة أدب الطفل وراجحه	27
جوان 2024		
205	شخصيات عالمة من بلاد فارس	28
211	توظيف الذكاء الاصطناعي في بناء المناهج التعليمية	29
217	علماء أمشدة في الميزان	30
سبتمبر 2024		
231	ترجمة العلوم إلى اللغة العربية	31
نوفمبر 2024		
237	وإنه لبيان أول نوفمبر	32
247	ترجمة التراث العربي إلى اللغات الأجنبية وتأثيره في الحضارة الإنسانية	33
255	أثر برمجيات اللسانيات الحاسوبية في خدمة اللغة العربية	34
263	المعجمية العربية، ومشروع النهوض باللغة العربية	35
289	السياسة اللغوية للمحتل الفرنسي، ووصفة المقاومة الثقافية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين	36
ديسمبر 2024		
309	اللسانيات الجنائية في عصر الذكاء الاصطناعي	37
315	اللغة العربية والتحول الرقمي	38
323	اللغة العربية في ظل الرقنة والتعدد اللغوي: واقع ومشكلات	39

327	دور مُحَرِّكات البحث العربيّة في تنمية المحتوى الرّقّي العربيّ	40
333	احتفائيّة المجلس الأعلى للّغة العربيّة باليوم العالميّ للّغة العربيّة 2024م	41
337	كُرسيّ الثّقافة العربيّة في اليونسكو يَحْتَفِي باليوم العالميّ للّغة العربيّة	42
341	هل اللّغة العربيّة أعظم اللّغات؟	43
353	حال اللّغة العربيّة في العالم الإسلاميّ	44
361	دراسة وصفية تحليليّة لكّاب (ظواهر لغويّة في المعجميّة العربيّة: دراسات تطبيقية) للأستاذ مصطفى يوسف عبد الحيّ	45
369	ولقد صدقت أنّ أطفال غزّة همّة	46
بودكاست		
377	من كوريّة المجاعة إلى كوريّة الرّفاهيّة	01
383	العربيّة لسان والثّقافة سلوك	02
389	قصر الحمراء، وشهد شاهدٌ على أهلِه	03
393	بيت الحكمة في بغداد والتّأسيس للترجمة	04
397	العربيّة والحضارة	05
407	التّبادل اللّغويّ والثّقافي بين العربيّة والفارسيّة	06
415	التّهجين اللّغويّ: المخاطر والحلول	07
425	العربيّة السّاحرة: البلاغة والإغواء	08
429	اللّغة العربيّة: الحضارة والمجد والأمل	09
435	تكمّل العلوم	10

دیسمبر 2023

في يوم اللغة العربية ♥

في هذا اليوم؛ يوم عرس العربية، وهو يوم الاحتفاء برمز من رموز وحدة الأمة العربية، ومِرآة حضارتها وسجل تاريخها وأخبارها، وديوان قيمتها وجمالياتها. يوم للشعر والفنون، يوم نهئ فيها أنفسنا وحدادي الكلام المبدعين ومحبي العربية، وكلّ عام وأنتم تتحدثون وتكتبون وتسمعون وتُشعرون وتُبدعون. يوم العربية التي نفتخر بها، ونعتز بأصالة جذورها، ونتشرف بخدمتها والحفاظ عليها. يوم نقول: العربية لغة حَلّقت في سماء الفخر والاعتزاز، ومدّت حروفها جسورَ تواصلٍ مع العالم، وخلّدت نحرنا بموروثنا، وستُخلّد بجهودنا وإخلاصنا. لغة ربّانية اختارها الله لسان العرب وبلسان عربيّ مبین؛ فأُنزل بها كتابه العزيز، وجعله لسانَ صدقٍ عليّ، لسانَ خاتمِ أنبيائه مُحمد عليه الصّلاة والسّلام. لغة الشعر دون مُنازع، لغة الإبداع الفني بلا وازع، ألم نقرأ "الشعر ديوان العرب" وفيها وبها أبداع الشعراء والنثّار:

لو لم تكن أمّ اللّغات هي اللّغة * لكسرتُ أقلامي وعفّت مِدادِي
لغةٌ إذا وقعت على أسماعنا * كانت لنا درباً على الأكبادِ
ستظلّ رابطةً تُؤلف بيننا * فهي الرّجاء لناطِقٍ بالضّادِ
إنّ الذي ملأ اللّغات محاسناً * جعل الجمال وسره في الضّادِ

1- في يوم اللغة العربية: من بين المناسبات العالميّة الكبيرة، وفي رحاب اليونسكو، نجد اليوم العالميّ للغة العربية الذي اعتمد سنة 2012 يوماً عالمياً إلى جانب نظيراتها الخمس، وهو قرار يدخل في تعزيز مقام العربية أمّياً، بما لها من تواصلٍ حضاريّ قديم، وبما قدّمته من قيمةٍ علميّةٍ للعالم. ويكون اليوم الثامن عشر (18) ديسمبر 1973م اليوم الخالد الذي دوى صوت الحرف العربيّ في الجمعية العامّة للأمم المتّحدة، ويسجّل التاريخ أسماء عربية خالدة مُثّلة لبلادها كانت وراء تجسيد العربية عالمياً. هو يوم اللغة العربية التي تستحقّ كلّ يومٍ عرساً، فهي الجلال والبهاء والتنوّع والحضارة والسليقة والفصاحة والفلسفة والشعر والغناء والهندسة والكيمياء... هي لغة الماضي والحاضر والمستقبل، هي أمّ اللّغات الشرقيّة، هي اللغة القُدّمة القديمة، هي الحاميّة السّامية التي ذابت فيها لغات أفريقيّة وتعلّمت فيها بامتياز، وعشقها الآسيويّون وأتقنوها وأسلموا لمقامها الديني. هي لغة العلم في أوروبا من بوابة الفردوس المفقود، ومدّت عصر النهضة بأرضيّة نقل المعارف العلميّة والفلسفيّة اليونانيّة والرومانيّة. هي عربيّة حوار الحضارات التي كانت جغرافيّة اكتشاف المسالك البريّة والبحريّة والصّحراويّة واكتشاف القارات. لغة إذكاء الوعي بتاريخ اللغة العربيّة وثقافتها وتطورها وفنونها وعدد مُتلاغيها الفطريين ومُريديها من المسلمين الذين يزدادون سنوياً ويتناسلون.

2- العربيّة في رحاب المملكة العربيّة السّعوديّة: وإنّا اليوم نُحيي هذه المناسبة الكبيرة، ضمنّ فعاليات كثيرة أقامها المجلس الأعلى للغة العربيّة، فيحلّ المجلس اليوم في هذه المدرسة السّعوديّة العتيّدة لخامس مرّة، وجرى العُرف أن

♥- الكلمة التي أُلقيت بمناسبة اليوم العالميّ للغة العربية، في المُحققة الثقافيّة السّعوديّة، وجرّت فعاليّة إحياء اليوم العالميّ للغة العربيّة في المدرسة السّعوديّة بالأبّار، الأربعاء 20 ديسمبر 2023م.

نُحي مناسبة الاحتفاء باليوم العالمي شراكة، وها نحن نفعلها، ولا ننسى الأفضال التي تقوم بها الملهقية الثقافية برعاية سفارة المملكة العربية السعودية التي تُقيم مثل هذه اللقاءات باسثمار، وليس غريباً ذلك وسعادة سفير المملكة يرعاها من البداية وإلى ما بعد النهاية، ويخطط لما سوف يأتي من مشترك قادم، وهذا من طبع الأصول، وكيف لا وخدام الحرمين الشريفين يرمى كل ما يخدم المشترك اللغوي والديني، وهو الذي يقول: "بلادنا المملكة العربية السعودية دولة عربية أصيلة، جعلت اللغة العربية أساساً لأنظمتها جميعاً، وهي تؤسس تعليمها على هذه اللغة الشريفة، وتدعم حضورها في مختلف المجالات، وقد تأسست الكليات والأقسام والمعاهد وكراسي البحث في داخل المملكة وخارجها لدعم اللغة العربية وتعليمها وتعلمها" وقد تناسل ذلك في تلك الجهود التي يقوم بها ولي العهد (محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود) في الاهتمام باللغة العربية، والحرص على أن يكون لها مقام أسمى، كما نرى الآن تجسيد العديد من المؤسسات ذات العلاقة على غرار (مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية) الذي يقوم بمهمة كبيرة من أجل تحسين أداء اللغة العربية في جميع أنحاء الدول العربية، وحيث يتواجد المسلمون و(مبادرة الملك عبد الله للمحتوى العربي في الشبكة) و(مجمع الملك سلمان الدولي للغة العربية) وأشرف بعضيته وبكل نخر. وهناك مراكز كثيرة، ومشاريع جارية، وأذكر بعضها على غرار: المدونة العربية + المعجم الحاسوبي التفاعلي + السلسلة العربية لكتب التقنيات + الفهرس العربي الموحد + معجم الرياض للغة العربية المعاصرة... ونعلم الحضور بأن المجلس الأعلى عضو مشارك في بعض هذه المنجزات. زخم من المؤسسات والمشاريع في الترجمة وفي المعلومات وفي الجامعات المعيارية، وفي التصنيف العالمي للجالات، وفي احتضانها لمختلف الفعاليات العالمية ذات العلاقة بالعربية، وما تغدق عليها من خلال الجوائز الكبرى، ويكفيها نخرًا رعاية (جائزة الملك فيصل العالمية + جائزة الملك سلمان العالمية)... فيجئ عليكم يا إخوان، وكله تشجيع لتطوير العربية، فأنعم ببلد لغته رسمت معالمه! بلد له أباد خادمة لمهمة حمل الإرث المعرفي والتاريخي للحضارة العربية الإسلامية، ولذلك تولي المملكة أهمية كبيرة للنهوض باللغة العربية بتلك المبادرات الكثيرة، وإبراز دورها الحضاري والإنساني، مع العمل على تربية الأجيال على حبها واحترامها.

وهكذا نرى مبادرة اختيار (UNESCO) شعار "العربية: لغة الشعر والفنون" باقتراح من مؤسسة (سلطان بن عبد العزيز الخيرية) وبالتعاون مع المندوبية الدائمة للسعودية بباريس، وكرسي الثقافة العربية في اليونسكو الذي تترأسه المملكة العربية السعودية، وهو ثقل عربي قوي لقي اهتماماً من أصحاب القرار في الموافقة على شعار هذه السنة، وما أحيلاه من شعار! إضافة إلى متضمناته في مزيد من التعريف باللغة العربية وأهميتها كواحدة من أكثر اللغات انتشاراً في العالم، وإلى تعزيز الوعي بأهمية المحافظة على هذه اللغة وتعلمها وتطويرها وما تحمله من جوانب الفنون التي تُثمي قريحة التعايش وقبول الآخر، وكذلك ما لها من محمول جماليات الصوت وفنون البلاغة، وقوتها التعبيرية بشكل دقيق ومعبّر، وقد أنتجت أعمالاً أدبية وفنية كثيرة عبر التاريخ، من الشعر والخط والنحت والرسم والموسيقى.

3- العربية لغة الشعر: في هذا المقام، ما أجمل العربية بالتمتاز، عربية الحكمة وأحلى الكلام، عربية الشعر في علو المنال، وبها قيل:

لا يحمل الحقد من تعلق به الرتب * ولا ينال العلا من طبعه الغضب
إن الأفاعي وإن لانت ملامسها * عند التقلب في أنيابها العطب
قد يعشق المرء من لا مال له * ويكره المرء من في كفه الذهب

هي العربية التي نحتفي بيومها العالمي، بسمى العربية: لغة الشعر والفنون؛ صنوان يتكاملان بما للعربية من الدفق الشعري والفني، في عربية الجمال والصيت والشعور، وهي منبع الإلهام لكثير من الشعراء والفنانين عبر العصور، وكما تتميز بجمالياتها اللغوية والصوتية والبلاغية، وبقدرتها الأدائية المؤثرة، تتميز بوقع الحافر على الحافر في اختيار هذا العنوان؛ لما للعربية من تأثير كبير على الأدب والفن. والشعر ليس كلاماً يقال، بل ذائقة أدبية وطاقة وأمل وحكمة ودرس وأخلاق، واستنهاض همّة، وعيش لحظة فرح وجبر خاطر، وإمتاع ومؤانسة ومدح وذم وغزل وهجاء، ونغم موسيقي، وما يرق له القلب... شعر عربي موزون مقفى؛ له إيقاع وتأثير ودندنات، وقد تسمع:

جارك الغيث إذا الغيث هما * يا زمان الوصل بالأندلس

وتسمع:

رمت الفؤاد مليحة عذراء * بسهام لحظ ما لهن دواء

وتسمع:

إذا اتضح الصواب فلا تدعه * فإنك قلباً ذقت الصواب

ونحتفي بيوم اللغة العربية بجلال ما تحمله في ديوانها؛ باعتبار الشعر ديوان العرب، وهو رمز لطبيعة الإبداع البشري، والذي يحتاج فيه الصغير والكبير أن ينشأ على فطرة الشعر وحب الفنون، نظراً إلى ما تمتلكه اللغة الشعرية من أثر كبير في بناء ثقافة السلام واللاعنف، وكذلك فن تربية الأجيال الجديدة في العودة إلى المنابع لتمكينهم الفصاحة، وما يشدهم إلى ذواتهم. إن الشعر ديوان العرب، وهو المتحف اللامرئي المكتوب والمسموع، والحامل الذي لا يدانيه الشك في أصله وهو التاريخ والإبداع اللغوي والخيال الحامل للإمتاع والإبداع إنه الشعر العربي الذي نقله الرواة، وتأدب به المعلمون وبقي الشاعر لسان القبيلة، إنه الشعر الجاهلي والأموي والعباسي وعصر الدويلات والحاضر، إنه إبداع وتلاعب بالكلمات، ووصف وتهاج، هو قيمة فنية في صورة قصيدة غراء تحمل المداليل الرمزية في التعمية الشعرية التي حملتها بحور الشعر العربي.

4- العربية لغة الفنون: إنها العربية التي يسود فيها نظم القصائد، وإقامة المعاني وتصويرها على المباني، ورسم

الخطوط على الأواني، وتحول الموجودات، بإسقاط المجسمات. هو الفن الخارج عن القيود بما يحمله من ممدود، إنه الشعر والفن يا سادة، ومن لا يتذوقهما فهو فاسد الذوق بالفطرة. إنه الفارس العربي بالصورة رمز الفروسيّة، كما أنّ الباروتون عنوان خيال الأغارقة، والإسكوريال عنوان مشاعر الإسبان، ومكة المكرمة عنوان

المُسلمين، والبيت ذي الطبقات الست عنوان حياة البرجوازية... وهكذا آثار الفن له دلالة صحيحة على أحوال الزّمن الذي أُبدع فيه.

العربية لها أسرارها في الشعر وفي الفنّ، فهي الخلود بما لها من رموز قادرة على صياغة تفاصيل الحياة بمشاعر إنسانية تستقي من الخيال مادتها، أو من ترتيب الواقع، وإعادة صياغته بصورة تثير المتلقي وتشحذ ذهنه، ويشارك الأدب مع الفنون الجميلة: سيناريو + رواية + قصة + رسم + موسيقى + سينما + رقص + بالي... في التعبير عن المشاعر الإنسانية، وتجسيد حالاتها المختلفة، وكيف إذا التقت هذه الفنون في عمل فني؟! ولا شكّ ستكتمل عناصر المتعة؛ في جعل الشعر أكثر قدرة على تحريك المشاعر، وخلق أجواء من المتعة والفائدة ويبقى الشعر صورة ناطقة، كما أنّ الرسم تصوير صامت، هو الكمال في المزج بين الفنون، هو الترابط النسيجي الذي يجمع اللوحة الفنية بالقصيدة ذات الأثر في علاقات الود التي تقرب الفنانين التشكيليين من الشعراء وهذا ما يفسر كثرة الشعراء الرسامين، وتوافر الفنانين التشكيليين الذين يتذوقون الشعر وينظّمونه. وتغيّر معطيات الحاضر بأن نجد الصورة في بناء النصّ السرديّ وإنتاج خطابه، بما تحمله اللغة العربية من منجز الدراسات النقدية المواكبة.

إنّ اللغة العربية الشعرية هي الفنّ، هي الموسيقى التي يزيّف بالكلمات؛ مبتغاه التأثير في متلقيه، وأداته اللغة وعلى قدر براعته في موسقتها؛ يكون سحرها وجمال وقعها في الأسماع؛ إذ إنّ اللفظ قد يكون عذباً يذوب رقة تغمرك رتته نشوة وطرباً، وقد يكون من اللون الخطابيّ الجلل الممتع؛ والصوت في الحالتين هو العامل الأهم في الإطراب والإمتاع، وقيل الشعر مقود الغناء به، ونحن جميعاً نؤلف الشعر على هديّ لحن ما:

تغنّ في كلّ شعرٍ أنتَ قائلُهُ * إنّ الغناء لهذا الشعرِ مضمارُ

وبهذه المناسبة كان علينا تربية أولادنا على حبّ اللغة العربية وعشقها، والدعوة إلى الاحتفاء بأيامها لترسيخ حبّ مهارات السّماع لشعرها، والقراءة بها، والحوار في ذاتها ولذاتها، والكتابة بخطّها. هي العربية الحاملة للفنون، هي العربية الجامعة بما لها من تراث أصيل ينمي الذّوق. هي الكلمات التي أريد الاختتام بها، وقد قلّتها في اليوم العالمي للغة العربية 2023م قبل يومين: واختتام إبداع، ونحن في حضرة الإبداع وفي منجز الإسماع ونعمل على عدم تعطيل لغة الإبداع، هي عربية تعالّق الكلمات، الممزوجة بنوازع المبدعين العاملين على سمو العبارات، بمضمون المعطيات، وأحياناً يجرّها الإحساس؛ فتأبى على التّفعيد الأساس وسكنى المعاجم بالمسّاس. ويا أيّها المبدعون أقول: كونوا مع الفصحى، وما أحلاها من لغة نصّحي، وما أفصح الضاد تبياناً وأعذبها جرّساً، وأفصحها للعلم ميداناً. وهنا نتعطّل دلالات الكلمات، وتقف لغة الشعر تُخاطب الأشواق بالنبرات، ويأتي الفنّ حاملاً الريشة أو الإزميل بالفنّيات، وهذا ما يتجسّد بالقوّة والفعل في اللغة العربية الشاعرة، وهي تستجلب الفنون العالية، وأبجديات الموسيقى الهادئة، فهي في جملتها فنّ منظوم الأوزان.

هي الفصحى بالتّمام، هي السّليقة بالدّوام هي اللغة المركّبة على أفصحها وأوفاهها، هي العربية التي جمّعنا اليوم ما أعلاها، وأنعم بها من لغة نالت مرّساها! فيا أيّها الشعراء ويا أيّها المبدعون هذا يوم التنافس في من يقدم

الأفضل شعراً وفناً، إنه يوم الوفاء لجلالة ملكة اللغات نظماً وإبداعاً، فتعالِ نبدعْ شعراً وشِعْراً وشِعْراً ملتاعاً ونُشكِلُ منه الفنّونَ رسماً ونحتاً وخطاً، ونُشَنِّفُ الأسماعَ غناءً، ونَنسُجُ المنمنمات دقّة وإتقاناً. وهذا اليوم لكِ أيّها العريّة، وأنتِ العروسُ؛ نَزُفُكِ لأفواه الشعراء، ومِدَادِ الكُتّابِ ونَسَاجِ الكلمات، وأوتارِ موسيقى الربّابات وأنغامِ القيثارات، ورسومِ العِمَارَاتِ.

هو يومُ المناخات، بما يُشَنِّفُ به الشعراء، وما نَسَمَعَهُ مِنَ العلماء، وهم يأخذون من مُحِيطِ العريّة الغراء ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف 109. هو لسانُ العرب، ولسانُها الشّعْرُ بلا ريب، والشّعْرُ جمالٌ وفنٌّ وتنوّعٌ وأداءٌ دون عيب. وأُسْكُتُ عن الكلامِ المباح، ولكِنِّي أنطقُ بالبرّاح:

هي تاجُ نفْري، وانطلاقُ لساني * ما أَحْيَاها دَفْءُ كلامي
ما أَجَمَلَكُم سِيّداتي سادتي! وما أَجَمَلَكِ يا حَسَناءِ اللّغاتِ! وفي كلِّ يومٍ هو عُرْسُكِ بأحلى العباراتِ فزِيدينا
شِعْراً وفناً بأرفعِ الكلمات.

لَمْ التَّعْطِيلُ؟^١

- الدِّبَاجَةُ: هي كلمات مُقتَضِبة نَقَدَمُها لكلِّ العَامِلِينَ على تَعَدُّدِية لُغَوِيَّة مُضَيِّفَةٌ؛ بأنَّه لا تَفَاضِلُ بَيْنَ اللُّغَاتِ إِلَّا فِي الْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ تَطْوِيرِ لُغَةٍ حَيْثُ نَتَقَدَّمُ، وَالتَّرْكَ يُخْدَمُ الْعَكْسُ، حَيْثُ يَنْهَدُمُ بَنِيَانُ اللُّغَةِ، وَيُؤَدِّي بِهَا إِلَى الْإِنْقِرَاضِ. وَعَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ اللُّغَاتِ دُولٌ، فَأَيْنَ حَضَارَةُ الْإِغْرِيقِ الَّتِي بَقِيَتْ رَمُوسًا، وَأَيْنَ عَرَبِيَّةُ الْقُرُونِ الْوَسْطَى الَّتِي سَادَتْ وَتَعَوَّلَتْ، وَأَيْنَ سِيَادَةُ اللُّغَةِ اللَّاتِينِيَّةِ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِي... وَنَشْهَدُ السَّاحَةَ الْآنَ فِي يَدِ الْقُطْبِ الْإِنْكَلِيزِيِّ الَّذِي يَتَحَكَّمُ فِي السِّيَاحَةِ وَالْمَالِ وَالْإِقْتِصَادِ، بَلِغَتِهِ الْإِنْكَلِيزِيَّةُ، وَتَضَخُّ الْمَعْلُومَاتِ وَمَا لَهَا مِنْ عِلَاقَةٍ بِالْإِعْلَامِ، وَبِالْوَسَائِلِ الْمُبْهَرَةِ لِسِيَادَةِ هَذِهِ اللُّغَةِ، وَهِيَ الْإِشْعَاعُ الْحَضَارِيُّ الْمُعَاوِرُ. وَعَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ كَذَلِكَ أَنَّ الْعَمَلَ مِنْ أَجْلِ تَطْوِيرِ لُغَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ سَوْفَ يُنْقِذُهَا مِنَ السَّبَاتِ، وَأَنْ تَرْكُهَا وَإِهْمَالُهَا يَمِيلُ بِهَا إِلَى الْمَمَاتِ. وَمِنْ هُنَا نَقُولُ لِلْمَعْنِيِّينَ وَلِلطَّلِبَةِ، وَلِكُلِّ مَنْ يَهْمُهُ أَمْرُ التَّوَاصُلِ اللَّغَوِيِّ، لَا بَدَّ مِنَ الْإِعْتِزَازِ وَالْإِهْتِمَامِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْإِسْتِثْمَارُ بِقُوَّةٍ، وَكَذَلِكَ انْفِتَاحُنَا عَلَى نَوَافِذِ لُغَوِيَّةٍ عَالَمَةٍ؛ حَيْثُ الْعِلْمُ لَا يَوْجَدُ فِي لُغَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةٌ مِنَ لُغَاتِ الْعِلْمِ، وَكَانَ عَلَيْنَا الْعَمَلَ عَلَى نَقْلِ الْعُلُومِ مِنَ اللُّغَاتِ، وَتَوَطُّيْنَهَا فِي لُغَتِنَا الْعَرَبِيَّةِ، كَمَا كَانَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا الطَّلَبَةُ الْمُتَرْجِمُونَ نَقْلَ عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى اللُّغَاتِ الْأُخْرَى، وَنَقْلَ الْحَضَارَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الْعَالَمِ بِمَا لَهَا مِنْ فُنُونٍ وَعِلْمٍ؛ حَيْثُ هِيَ أُمُّ اللُّغَاتِ الشَّرْقِيَّةِ، كَمَا أَبَانَ عَنْ دَوْرِهَا فِي أُسَاسِيَّاتِ الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ.

وَلِذَا عَلَيْنَا الْإِسْتِثْمَارَ فِي التَّرْجَمَةِ وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنْكُمْ حَالِيًا، حَيْثُ اللُّغَاتُ أَخَذَ وَعَطَاءً، وَأَنَّ التَّرْجَمَةَ بَرِيدُ اللُّغَاتِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَطَوَّرَ اللُّغَةَ فِي ذَاتِهَا إِلَّا بِإِسْتِثْمَارِ الْمُشْتَرَكِ الْعَالَمِيِّ، وَالتَّرْجَمَةِ هُوَ ذَلِكَ الْمُشْتَرَكُ، وَلَمْ يَثْبِتْ أَنَّ حَضَارَةَ مِنَ الْحَضَارَاتِ اكْتَفَتْ بِنَفْسِهَا، بَلْ أَثْبَتَ التَّارِيخُ أَنَّ كُلَّ حَضَارَةٍ تَوَاصَلَتْ مَسِيرَهَا حَيْثُ تَوَقَّفَتْ الْحَضَارَةُ السَّابِقَةُ وَهَذَا هُوَ الْمَسَارُ الَّذِي بَنَتْهُ اللُّغَاتُ، وَيَكْفِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ (طَرِيقَ الْحَرِيرِ) بُنِيَ بِتَعَدُّدِية لُغَوِيَّةٍ وَذَاتِ الشَّيْءِ بِالنِّسْبَةِ (لَطَرِيقِ الْمَلْحِ) وَهُوَ مَا نَرَاهُ الْآنَ فِي مَسَارِ الْحَضَارَةِ الْمُعَاوِرَةِ، كَمَا هُوَ الْمَطْلُوبُ مِنْكُمْ حُسْنُ إِتْقَانِ اللُّغَاتِ الْأُجْنَبِيَّةِ؛ فَهِيَ الْعِلْمُ وَالْفَائِدَةُ وَالتَّوَاصُلُ وَالْمُشَارَكَةُ فِي الْحَضَارَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَلَا تَنْقَطِعُوا عَنْ تَعَلُّمِ اللُّغَاتِ، بَلْ مَارِسُوهَا بِمَهَارَةٍ، وَلَكِنْ قَبْلُهَا مَارِسُوا الْعَرَبِيَّةَ بِاحْتِرَافِيَّةٍ. وَيَجِبُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَهَا خُصُوصِيَّاتٌ لَا تَوْجَدُ مُجْتَمِعَةً فِي كُلِّ اللُّغَاتِ، وَعَلَيْكُمْ فَهْمُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ بِمَهَارَةٍ لِنَقْلَ تَرَاثِهَا وَالْعَمَلَ عَلَى تَوْصِيلِهَا لِغَيْرِ النَّاطِقِينَ بِهَا، بِنَقْلَةِ حَدِيثَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ الْقَارَاتِ، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ مِنَّا الْكَثِيرَ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَبْقَى الْعَرَبِيَّةُ فِي مَقَامِهَا الْعِلِّيِّ عُلْمًا، مَعَ مَقَامِهَا الرَّفِيعِ دِينًا، وَيَفْتَخِرُونَ بِهَا وَهُمْ يَتَلَاغُونَ بِالْحَرْفِ الْعَرَبِيِّ وَكَمَا يَعِشْقُونَهُ لِدَرَجَةِ الْعِبَادَةِ، رَغْمَ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ يَقْرَءُونَهُ وَلَا يَفْهَمُونَ الْمَدَالِيلَ. وَلِهَذَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَصْنَعُوا الْحَدَثَ بِالْبَيَانِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْحُجَّةِ وَالْبَرَهَانِ وَالِدَّلِيلِ النَّبَرِ الَّذِي لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ، وَهَذَا دَوْرُكُمْ أَيُّهَا الْعَامِلُونَ عَلَى التَّرْجَمَانِ.

١- الْكَلِمَةُ الَّتِي أُلْقِيَتْ عَنْ بَعْدِ لَصَاحِ طَلَبَةِ قِسْمِ التَّرْجَمَةِ بِجَامِعَةِ أَبِي بَكْرٍ بَلْقَايْدَ، بَتْلَهْسَانَ يَوْمَ 21 دَيْسَمْبَرِ 2023م بِخُصُوصِ مُشَارَكَتِهِمْ فِي الْإِحْتِفَاءِ بِالْيَوْمِ الْعَالَمِيِّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

- في صلب العنوان لم التعطيل؟ وحال الشعوب المتقدمة تقول "لم يثبت أن أمة في العالم تقدمت باللغات الأجنبية" وها نحن لا نعتبر، ولساننا لا يستقيم إلا بالأجنيات، رغم أن وجودنا في الأجنيات محل منازعات، ويدعون بأن هذا لسان عربي مبين لا محل له في العليّات، ويفتقر إلى التقنيات، ففي جيناته فقط لغة بلاغات. وإنه أحياناً يقع الكلام الضيق موقع العلم بغير المعلوم، ولذلك تستغل علينا الفهوم، دون أن نعلم أنه لا تفاضل بين اللغات في الجينات، وتفاضلها قائم في الخدمات، وفي منها إذا يخلو من الفرضيات، وفي معالجها ما لا لزوم الواجبات، أو من فقرها في التعليمات. وبالفعل يكون ذلك من الإشكالات، التي تحتاج إلى علاجات، وليس من الأمور المستغلقات، عدا أمر التقانات التي لا تنضبط إلا بضبط فقه اللسانيات.

وعهدي بكم أيها الجمع الكريم، أيها المتخصصون أن تقرؤوا للمختصين والنزيهين، وسوف تعلمون أن العربية منظومة لغوية رائعة معبرة عن فطرة سوية وسليقة شفافة نقيّة، لغة لها السمو في المعاني، والدقة في المعايير والرقّة في التعابير، وفي النظام وفي المباني. العربية هي الإتقان، هي الجمال الأخاذ، هي الصور البلاغية الرائعة التي تُحقّق الإمتاع، وتكسر حاجز الرتابة، وتثري الفكر والوجدان، هي تاريخ الوجود والتاريخ اللغوي غير المحدود. هي الجلال والجمال والكمال، لم تُعرف لها الطفولة، ولم تُدركها الشيخوخة ولم تطلها يدُ الفناء والبلاء والبلى، وكان انبثاقها إلهاماً، وظهورها إعجازاً. إنها العربية الفصيحة بأمان، إنها الصفاء والكثرة والامتلاء والحب والصراحة والإخلاص والفصاحة والكمال والخلاصة والبيان. إنها العربية بما لها من سرّ التطابق بين المكتوب والمنطوق، وصرفها صنو نحوها وميزان صرفها، به منطق العقل والذوق وربط الدال بالمدلول، لغة لها رصيد هائل من المفردات، وتتنوع للتعبير عن المفاهيم المتجددة من خلال آليات ذكية مثل الاشتقاق.

لغة ثابتة في مبناها، متغيرة في معناها لغة الأعجاز، لغة سرّ البقاء ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف3. لغة ثاني اثنين لأقوى هوية؛ الهوية الإسلامية، وكما قال (ابن كثير) "أفصح اللغات وأجلها وأحلاها وأعلاها وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للعاني التي تقوم بالنفوس، فهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات" هي تلك اللغة التي وقفت عاتية تصدّ العواصف، والحنّ القواصف، وما وهنت رغم أن أهلها استبدلوها وتمنّوا لها وكشفوا عن سيئات أعمالهم ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل 103. ومع كل ذلك ما نالوا منها مرغوباً، ووصلت إلى وضعها الحالي بعد تاريخ كبير وعريق وحافل بالمنجزات. ومرة أخرى نقول: رغم ضالة الجهد المبذول لحفظها، لكنها واقفة فلم تمت مثلها ماتت اللغات القدمى، أين الآرامية والسريانية والجعزية والنمّودية والصّفوية واللاتينية، وقد يقول قائل حفظها الدين الإسلامي، ونقول: لا تفسروا قوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر9. بالسّطحية والظاهر ونحن نعلم أن الآرامية ماتت؛ وهي لغة المسيح عليه السلام، وأين كُتب الفيدا التي اضمحلت وأصبحت طقوساً عدداً، وأين العبرية القديمة التي ماتت؛ وهي لغة التّوراة، وأين العربية لغة الإسلام التي عادت من: الأندلس وفارس وتركيا وألبانيا والقوقاز والبوسنة والهند وكازاخستان وأفغانستان وباكستان وطشقند وجورجيا والصين والكمبودج ومُعظم قارة آسيا، وبعض الدّول الأفريقية... ولكن الذّكر الذي يحيه الله بقي وامتدّ، فالدين

الإسلامي بالعرب بقي، وبغير العرب انتشر وتقوى، ويزداد أتباعه بشكل لا مثيل له، وأما العربية فالذي يحميها هو الاعتزاز والمواطنة والانتشار والاستعمال وحسن التدريس والبحث وحسن المخرجات، وأبحاث المخابر العلمية في آخر ما تعرفه تكنولوجيايات العصر الحاضر، وكذلك الاستثمار في علوم النانوتكنولوجي...

إنّ العربية باقية رغم الابتلاءات، ورغم تلك النقود الفاقدة للذوق، نقود حاكمة فاسدة، تنتقد من بعيد ولا ترى إلا السويداء، ونقول لهم كما قال الشاعر (إيليا أبو ماضي): كن جميلاً ترى الوجود جميلاً. العربية باقية ما دامت في المدارس، وفي الإعلام وفي أفواه هذا الجيل الذي يحميها بالتطوير ويعمل على علميتها بحسن التدبير، وهو واضعها في ضمير الأمة ووجدانها الحي وعقلها المفكر، وسبيلها لبناء حضارته، وصيانة عزّته واسترداد كرامته، وتبوء مكائنه بين الأمم. العربية باقية وهل من مزيد، بكم أيها المترجمون، فأنتم وجهها في الخارج، ومع اللغات، أنتم الشباب علماء الأمة، نريدكم أن تكونوا ولا بد أن تكونوا، وعليكم توصيل العربية إلى الكمال اللغوي بتجاوز مرحلة التأسيس، وأن تجعلوا لها قواعد التنصيص، وبذلك تضمنوا استمرارها في شكلها ومضمونها ومبانيها وبعض معانيها دون مشكلة في تعليمها أو تعلّمها. العربية لغة الشباب بتاريخ مجيد، لغة الفتوة بعهد جديد. فيا أيها المترجمون، لكم أيادي بيضاء في تسويق العربية وفي إثرائها، وبخاصة في الجوانب العلمية وإنّ العمل على تطويرها في العلوم وفي التكنولوجيا باب من أبواب المجلس الأعلى للغة العربية، وكذلك الترجمة من وإلى العربية، فعليكم العول في الاهتمام بهذا المجال وأريد أن أذكركم بمقولة سُجّلت على الأكاديمي (طه حسين) عميد الأدب العربي ورئيس اتحاد المجامع اللغوية، ورئيس مجمع القاهرة ت 1973م، وقد طرحت عليه صحافة هذا السؤال: كيف نطور العربية؟ فأجابها: الترجمة والترجمة ثم الترجمة.

إنّها العربية التي تحتاجكم في حسن المرافعة من أجلها، وإنّها دائماً في تألق، وكما ترون لم تمت ولم تندثر ولم تبدل، ولم تتجزأ ولم تتحول وإنّ في الأمر لسراً، وكذب الذين يصدحون بأنّ العربية ستنقرض. كذب من يقول بأنّ العربية صعبة وليست لغة العلوم، ونجيب بأنّ العربية سهلة علمية بسيطة إذا أُتيح لها التمكن، وأُطلقت من قيودها، ووضعت في الاستعمال العام. العربية إكسير الحياة، وسرّ البقاء، هي شجاعة المواجهة العلمية والحجة المانعة التي تحتاجها منكم، هي الشجاعة العلمية البعيدة عن الانفعال والعاطفة وعلينا أن نقولها فلا سبيل لجعل أمة مبدعة من خلال لسان أجنبي. ولم التعطيل؟ والعربية مكملة الجوانب تقدّم المعنى في صور جمالية زاهية تسترعي الانتباه، وتكسر حاجز الرتابة، وتشدّ السامع، وتحقق متعة التواصل، وتنقل الذوق الرفيع والقيم الأخلاقية والآداب العالية، وتعطي العلم، وهي لا تفتقده، وما تعيشه من مضايقات جعلها تعيش الكون العلمي بسبب عدم الاهتمام. وعليه الاهتمام، الاهتمام بتعليم أبنائنا هذه اللغة، وتمكينها في الإدارة وفي المحيط وفي الجامعات وفي مراكز البحوث. وعلى الإعلام أن يؤدي وظيفته الإعلامية بعربية سليمة وبصفر خطأ ولا بد من تطوير مناهج دراستنا والعول على فكّ تعمية اللغة العربية، فهي لا تشكو قصوراً وأنّ العاملين عليها هم الذين يعانون ضعفاً، وأحياناً لا يهتمون.

العربية لها كلّ المواصفات العلمية وهي تقول أطلقوني أبدي، ومكنوني أمتع. إنها ملكة اللغات "زهرة التاريخ العابقة ومُزنة النور الوادقة، وإشراقة الدنيا الصادقة، وشهادة الأجيال الناطقة، إنها المنهل الدفوق للعلاء والتّمكن والبيان والحقّ المبين" إنها العربية النّوار، وفي كلّ مرّة يُثار، موضوع ليس له محلّ في الاعتبار، أين العربية في العلوم؟ ونقول ببلاغة هذه اللغة العملاق:

ألقاهُ في اليمِّ مكتوفاً وقال له * إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَغْرَقَ فِي الْمَاءِ

لا يمكن أن تكون العربية مُنتجة للعلوم، وهي لم تدخل مجال العلوم، ولم تل التّمكن في الهندسة وفي البيولوجية، وفي علوم البحار، وفي أنظمة الخرائط، وفي المجدولات/Excel... فهلاً نبدأ ونطلب الحصيلة. إنها عربية الفنون، وسوف تكون مُلبية للهندسة اللغوية؛ تفكّ المغاليق في الجبريات، وتصنع دروب النّجاح في الخوارزميات، وتزيد من ركام حضارة العصر الحديث بالتّقنيات والمجدولات والمنصّات. العلم في العربية ثابت، من مُسايرتها لسبعة عشر (17) قرناً من الرّكام العلميّ، وفي كلّ عصر هو السّير على طراز الحداثة فهل اشتكت العربية وهي مُنتشرة مُعولة في كلّ العالم؟ وهل اشتكت أوروبا من قصر الفكر العربيّ أيام وجودها في الفردوس المفقود؟ بلى؛ كلّ الشعوب كانت تفتخر بها وتقول: هي لغة العصر بلا مُنازع واستجابت لكلّ المُستجد؛ رغم أنّها بَزَتْ وأكلت كلّ المحليّات، وتعلّمت بخطّها في أفريقيا وفي آسيا، ونالت المنال الحسن. وفي العصر الحديث هو احتذاء منوال الحوسبة والتّقانة، والكشف عن أسرار تحولات الذّكاء الصّناعي في هندسة اللّغات، والبرهان العمليّ عن أسرار الحاضر في فتوحات المنظار الضّوئي، وما سوف تقلبه موازين الشّرائح القادمة، والعربية تتماهى فيها، وهو الرّدّ العلميّ المنيع لكلّ شكّك هَماز. هي إشارة خير نقولها بعد بحث عن إجابة سؤال ظلّ مُعلّقاً مدداً (هل سيأتي وقت تكون فيه للعربية السّيادة والصدارة)؟ وأبانت نتائج الدّراسات التي تبحث عن جوهر الحقيقة؛ بأنّه سيكون للعربية السّيادة والريادة والعودة إلى القيادة، مع العولة العربوفونية، ولكن لا بدّ من رفع التّعطيل، وتعالٍ نبادر من أجل الإسراع في احتذاء منوال القوّة النّاعمة لقلع عوامل (لم التّعطيل؟).

العربية وفقّر التعلّم

- الدّياحة: أيّها الجمع الكريم، أيّتها النّخبة الحاضرة، لقد نورّتم القاعة، وازدانت بحضوركم، وماذا عساني أقول أمام الأساتيد والتّربويين، ماذا أقول في موضوع اللّقاء العلميّ التّربويّ حول المطالعة عند الأطفال سأنقل لكم بعض ما جاء في تقرير البنك الدوليّ أنّ 70% من تلاميذنا ينتقلون من مرحلة القاعدة إلى المرحلة المتوسطة وهم يفتقرون إلى حسن التّحكّم في المهارات الأربع: السّماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة. تقرير خطير يشير إلى أنّ منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط سوف ينالها التّصحّر اللّغويّ الذي بدأت معالمه تظهر في الكتاب المدرسي وفي المناهج والمنهجية، وغياب المعلّم القدوة. ويقترح لنا طريقة عمل للنهوض بتعليم اللّغة العربيّة وتعلّمها، مسار للحدّ من فقر التعلّم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. إنّ تقرير أسود يجعلنا نأخذ المسألة بجدّ لمعالجة هذا الفقر. ويقترح علينا البداية في ترسيخ ما يلي: القراءة+ المطالعة+ تعليم اللّغة الأم حدّ الإشباع+ تعليم الرياضيات+ تعليم المنطق+ تعليم الفلسفة. هي المسائل التي لا بدّ أن يقع الاهتمام بها لرفع فقر التعلّم. هي المرحلة التي لم تعالجها الإصلاحات التّربويّة بشكل علمي، ولم توجد لها آليات التّحكّم في اللّغة العربيّة، وزادت عليها الكورونا التي أبانت عن فجوات زادت المشكلة استفحالاً. فما هي الحلول التي ترونها أيّها التّربويون؟

1- لا علم إلّا باللّغة الوطنيّة: ما يجب علّمه أنّه ليس هناك علم يُدرّس باللّغة الأجنبية، وأنّ العلوم الأساسيّة والموادّ الأوّليّة عند كلّ الشعوب تُدرّس باللّغات الوطنيّة، وأنّ الاستعانة باللّغات الأجنبية ليست البديل عن اللّغة الوطنيّة، بل هي المتكأ في النظرية ليس إلّا. وعلينا أن ندرك الحقيقة بأنّه لم يثبت أنّ شعباً/أمة تطوّر بالأجنبية، وهذا ما علّمنا التاريخ، وتجسّد في الواقع على مستوى كبار العالم، وكلّ كبير كبر بلغته، وافتخر بلغته، وأنتج بلغته، وصارت له مكانة عليا بلغته. وإنّ اللّغة الوطنيّة الرّسميّة المشتركة هي الوحيدة التي تعمل على تكوين العقليّة العلميّة. ويمكن أن نذهب بعيداً لنرى الألمان ولغتهم غير أميّة ولكن قاموس العلوم باللّغة الألمانيّة؛ وهم يدركون أنّ التّرقّي الجمعيّ يكون باللّغة الوطنيّة فقط، كما يدركون أنّه لا فائدة من تدريس العلوم باللّغات الأجنبية، هذا من جهة، ومن جهة ثانية إنّ العلم ليس مجرد كميّة من المعلومات، بل هو تكوين عقليّة علميّة قادرة على البحث العلميّ، وتلك العقليّة هي التي تستفيد من اللّغات، وتعمل على البحث بأساليبه الممكنة، وتوطين العلوم في لغتها، وإنّ آية لغة لا تُسقى بماء العلوم هي لغة في طريقها إلى الموت.

إنّ العربيّة بحر فيها أسماك حيّة متحرّكة، بحر متلاطم من كلام الله المحفوظ، يحمل الثقل القرآني الكبير ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف 109، هي الفصحى ولا بديل، هي لغة الشّعر العليل، هي كلمات العالم النّحرير، وعلى فم الدّاعيّة النّفير لغة ربانيّة التحذير، لغة هزازي المنابر، ومهبجو الضّمائر، وجماع الكواسر، إنّها العربيّة العملاق

♥- الكلمة التي أُلقيت في مُلتقى المطالعة عند الأطفال ودورها في تنمية الذّكاء وأثرها على التعلّم والتّفوّق. تنظيم مشروع مكين القرائي.

المكتبة الوطنيّة بالحامة، 24 ديسمبر 3023م.

بصوتها الهادر في الآفاق. إنها عربية الكتاب والسنة، عربية الصرف والبُلعَة، عربية ارتباط التَّأصيل في النحو والأحكام، وما يستدعيه الواجب بالتَّمام:

حِفْظ اللُّغَاتِ عَلَيْنَا * فَرَضَ كَفَرَضِ الصَّلَاةِ
وَلَيْسَ يُحْفَظُ دِينٌ * إِلَّا بِحِفْظِ اللُّغَاتِ

إنها عربية بلسان عربيٍّ مُبين، و"أصحاب العربية جنَّ الإنس، يُبصرون ما لم يبصر غيرُهم" و"من تكلم في الفقه بغير لغة القرآن تكلم بلسان قصير". والحديث عريض طويل، وقيمة اللغة في استعمالها والاعتزاز بها وحسن إجادتها، لا في انهيار ما نراه من مُستوى المُتعلِّين والإعلاميين فهي علامة شؤم على الأمة، فهل من علاج؟ هي ثورة الأخلاق التي يجب علينا حملها في ضميرنا المُغتَرَّ بكلام الرافضين لكل من يعمل ويريدون التَّصحرَّ العلمي، والخضوع للغربي في لغته، وهي وسيلة من وسائل اللِّحاق. حقُّ أريدَ به باطلٌ، أليس حريًّا بنا أن نأمل ونعمل، ونبتعد عن الوسادة؛ لتقترب لنا السَّيادة، والقمة أساسها (قُم) فالحياة عملٌ والتزامٌ، فإذا لم تُقدِّم شيئاً مُضيفاً لهذه الدُّنيا، فأنت زائد في هذه الدُّنيا.

2- الاهتمام بالعربية لحدِّ الإشباع: إنَّ اللغة الأمَّ يجب أن تنال موقعاً قوياً في تعليمها وتعلُّبها واستعمالها لحدِّ الإشباع، من الروضة إلى الكُتَّاب والمدرسة العموميَّة والخصوصيَّة وبذلك تنال موقعاً في القاعدة التي تكون واسطة تعلُّم اللُّغات وفهم العلوم. ولا يكون ذلك إلَّا بالإشباع اللُّغوي من ذخيرة لسانیَّة ومتن مدرسيٍّ وظيفيٍّ يكون ركيزة قويَّة في لاحق من المراحل. هي العربية التي يجدر بها أن تنال كلَّ المقامات، وبدونها لا يمكن رفع فقر التعلُّم. هي العربية العالية الفصيحة التي يجب تعليمها للصِّبيان، ومن دونها لا نتحدَّث صواباً. وكَم صعبٌ عليَّ أن أقول كلمة في لغة لها الجلال والألق لغة ذات هبة وميزة وكَمال. إنها العربية التي اكتمل بناؤها، وأنشئت تراكيبها، وانتظمت ألفاظها، فجاءت أساليبها مُكتملة الصَّنعة، ومُتسِّقة البناء، مُنضبطة في غير اقتصاد، ولها ثراءٌ من غير اضطراب:

كلَّ المعاني وإن خبرتها عجزت * وفي القواميس شيء ليس يكفيني

هي العربية المعطاء بلا جدال، فبوركت جهودُ المُخلصين في (مشروع مكين القرائي) وهي جهود من أجل التَّمكن للعربية في تقريب المعاني إلى الأفهام، ودفع ما قد يظهر عليها من إبهام، ولذلك لا أستوحش خدمتها بالتَّمام، وفي كلِّ يوم أعمل على تطويرها بما هو من المُرَام. هي لغة عاشقة ساكنة في القلب والعيون، وما تأسَّفت على تسخير عمري لها، باحثاً عن دليلي، وصاحبةِ سفري، ووجدتها بوصلتي، وأنسَ غربتي، ونفري في اعتلاء المنابر.

3- كلمة إلى المُربيين: نحن المُربيين ندرك أنَّه لما بنى الإنسان فقد بنينا العالم، ونُدرك أنَّ دورنا في تلقين المعارف، فهل كُنَّا قدوة في مُحاربة أساس الفقر: النوم + التراخي + الخوف + الغضب + التَّكاسل + المُماطلة. هو دور المُعلِّم القدوة الذي يكشف عن عمى العقل؛ وهو أخطر من عمى العين، هو المُعلِّم الذي يرشدني إلى مُراجعة الخطأ، والنزول في أولِ محطة؛ لأنَّه كلُّما زادت المسافة زادت تكلفة العودة، هو المُعلِّم الذي يصنع

من هذا الجيل بحارين جيدين أمام الأمواج العاتية، هو المعلم القدوة الذي يُعلّم الصبيان مهارات التعلّم، ويصنع منهم أشخاصاً أقوياء في لغتهم. هو المعلم النموذج الذي يجعل التلاميذ يحبّون مدرستهم، ويشتاقون أن تنتهي العطلة للعودة إلى مقاعد القسم، هو من يزرع الأمل، وما أضيّق العيش لولا فسحة الأمل. هو المعلم الذي يتولّد منه العمل المقترب بالأمل، ومن تلاهما يتولد النور، ولولا أمل توماس أديسون (1847-1931م) المشفوع بالعمل والتجارب المضنية لما اقترن اسمه باختراع المصباح الضوئي. هو المعلم الذي يغرس في تلاميذه أن نجاحهم غداً، يعتمد على عملهم اليوم. إنّه المعلم المطلوب، وهو بشر، ولكنه "كاد المعلم أن يكون رسولاً" فالرّهان عليه في غرس العلم والوعي بنتائجه، وحبّ لغته، والعمل على حسن استعمالها، وسدّ أبواب الفراغ الثقافي، وتخليق الحياة الاجتماعية من الكتاب والمدرسة وغرس الأخلاق في الأسرة ومن السلوك العام. ونحن بحاجة إلى غرس الأخلاق، وهي أساس كلّ إصلاح، كما يقول شوقي:

وليس بعامرٍ بنيان قوم * إذا أخلاقهم كانت خراباً

مُعلّم قدوة بقيم مرجعية في الدين والتربية المدنية، وقيم المواطنة، واحترام المدرسة ومؤسسات الدولة.

4- جيل الفسبكة: إننا في وضع جديد، مع جيل جديد، وضعه مأساوي بالنسبة لماضينا اللغوي المغدق ونحن نعيش حاضر اللغوية المقلق، وتختلط الأهداف بالغايات، ونرى التناقضات، تكبر المنازل وتصغر الأسر، يتطور الطب وتسوء الصحة، وبلغنا القمر وجهلنا الجار، وزاد المال وتلاشت راحة البال، وارتفع الذكاء وقلت الحكمة، وزادت المعرفة وتناقصت المشاعر، وكثر الأصدقاء واختفى الوفاء، وتوّعت الساعات ولم نجد الوقت، كانت البيوت من طين، وهي اليوم من ذهب، ولكن لا راحة فيها فالقلوب من حجر، فإلى أين المصير؟ إنها الحياة الجديدة، حياة الفسبكة التي غيرت مجرى الحياة. هو القلق الذي نقرأه بلغة هشّة في لغة جيل الفيسبوك، وفيها ركافة الأسلوب مصحوبة بالأخطاء اللغوية والإملائية. هو هبوط في المستوى اللغوي لدى هذا الجيل بما عرفته العملية التعليمية التربوية من فراغ أعطت اللغة الهشّة وفقر التعلّم. منظومة لا تُعطي النصوص القديمة، ولا الذخيرة الأدبية، ولا تحبّ القراءة والمطالعة، فتولّد الفراغ الذي يعمل على ملء الفراغ، فراغ في المهارات غياب النظريات، فقر في الأهداف، غياب التمكن للغة لحدّ الإشباع...

وباسم التحديث؛ ضعفت سياسة التقويم والمراجعة، وعجز تلاميذنا عن تكوين جملة مفيدة، وعن حوار لا تشوبه الأخطاء، لغة سهلاً، فإلى أين المصير؟ هي مخرجات لغة الفسبكة بامتياز، بما أبدعت فيه من كوارث لغوية وصدمات لسانية في جيل مدارسنا الحالية. هذه هي الكارثة التي أغلقت المهارات اللغوية على تلاميذنا وينتقلون عبر المسار التربوي بالتقادم، ومستقبلنا مقلق يا إخوان؛ إذا لم نُعمل البصيرة والبصر في إعادة تقييم المناهج والمقررات، ووضع كتب مبسطة في الإملاء لكافة المراحل التعليمية، وزيادة عدد ساعات الإملاء في المرحلة القاعدية، والتشجيع على القراءة والمطالعة، وإيجاد طريقة لحثّ المدرسين على التعبير اللغوي الفصيح وجعل المعلم قدوة في الأداء. وعلينا أن نعي خطورة مستقبل أولادنا بهجرانهم العربية، والدفع بأنفسهم ومن أسرهم أحياناً إلى اللغات الأجنبية، وتبعات خطورة بعض المدارس الخاصة. وعلينا الوعي بالخطورة، فليست

القضية في الأخطاء الإملائية، الخطر هو التّصل من لغة الأمة. وكان علينا استغلال وسائل التواصل الاجتماعي لتبيان قيمة العربية إذا أحسن استغلالها والكشف عن مضيقاتها التقنية التي سوف تظهر في المستقبل بأنّها لغة عالية تليق بالمقام. ومع ذلك أخاف أنّه سيأتي يوم نبكي فيه على لغتنا العربية العالمة، فلم تُعب لغتنا إلّا مِنّا، وجعلناها هجراناً، وأخاف أنّنا سيأتي زمان نبكيها بالمرارة، كما بكينا ولا نزال نبكي أندلسنا الذي ضيعناه، ولم نكن كالرجال نحافظ عليه. تسامحنا في لغتنا وضاع مِنّا قصر الحمراء، هذا القصر الملائكي الذي وقف فيه فيكتور هيجو/Victor Hugo وأنشد "أيتها الحمراء، أيها القصر الذي زينتك الملائكة، أيتها القلعة ذات الشرف المزخرفة بنقوش كالزهور والأغصان المائلة إلى الانهدام؛ حينما تنعكس أشعة القمر الفضية على جداولك من خلال قناطرك العربية يسمع لك في الليل صوتٌ يسحر الأبواب".

يا أيّها الحضور، يا جيل الفيسبوك، علينا أن نفرّق بين الهموم والتّحديات والمتغيرات، ونفهم الصراع مع الأعداء، وطريقة الخروج من مرحلة الاستضعاف إلى الاستنقاذ أو التّمكن لن تتمّ إلّا بالإقبال على الفقه في لغتنا، ولا يكون لنا المقام إلّا بالاعتصام بخصوصياتنا اللغوية والدينية، وكيف يكون لنا التّمكن والاستخلاف بلغة غيرنا. هي مرحلة الانتقال من مرحلة الاستضعاف إلى مرحلة التّمكن، ولا بدّ من المربطة اللغوية عبر الحبّ والعشق والخدمة والتّمكن للغتنا العربية، هو ثغر نحميه بالمُدافعة العليّة، وبالمُمانعة الذّوبانية، وننال النّصر والتّغيير. ولهذا علينا فهم الواجب في خدمة أداء الواجب وما نحتاجه أيّها الجيل عدم الاستهانة بلغة التّجديد هي لغتك التي بها تكون، وبدونها تذوب، فلا بدّ من مقاصد وطنية للسياسة اللغوية، ومقاصد ثابتة للسياسة التربوية التي بها يحصل لك المقام. وأوصيك بما وصينا به ونحن في مثل عمرك: قال شيخني: إنّ أركان المعرفة تقوم على كُتب الصّحاح وأستاذ فتّاح، وعقل رجّاح، وطلب وإلّحاح ولقاء الفضلاء، وجِلّة العلماء.

أول واجب على من كلّفا * أن يعرف الله، ويعرف (قفا)

5- العربية عملاق وثراء لغوي كبير: كانت وسادت وما عجزت، وأبدعت في مختلف العلوم، هي اللغة التي دققت في الفروق، وأبانت عن اختلاف مداليل التّرادف والمُشترك اللفظي. لغة ثرية عملاق لا تعجزها المصطلحات، عندما نفكّ عقولنا من عقالها الذي حجر علينا البحث، وأخذنا مُسلّمات: العربية لغة الشّعرا+ العربية ليس لغة العلم+ العربية ضعيفة+ العربية لا تُساير الحداثة... مسكوكات واهية دون دليل، ومن يقولها فهو لا يستشهد إلّا بما هو غربيّ التّزعة، فرنسيّ الهوى، إفرنجي المنشأ وأوتيّ معول هدم، وبعضنا له أتباع. إنّ العربية بحر مُحيط، ذات أفانين في دروب البيان وأساليب المعاني وتصاريف النّظم، فهي لغة فكر وعقل وتدبر، ومن لا يُحسنها فما حاز في الفقه نصيباً عن أن يكون في الأصول ليبياً، ولا في العلوم معطاء، وأنّ العطاء العليّ ثابت فيها، ونحن لها ناكرون وعن الإبداع عاجزون، والأحق بنا مُلاحقة التّجديد دون مسخ لتراثنا، ولا بخس لأهله، فلا جحود للتّراث ولا تقديس، والبرهان في العصر الحديث على الحُكّ والعربية أبانت عن ذلك في الماضي فكيف يُعجزها الحاضر، بما لها من فقه وعلم وكلمات واشتقاق وجذور فأنعم بها من لغة!

شيخي لا ترجل ♥

بسم الله والحمد لله، وأستفتح بكلام من يقول:

أصلي صلاة تملأ الأرض والسما * على من له أعلا العلا متبونا
أقيم مقاماً لم يقيم فيه مرسل * وأمست له حجب الجلالة توطاً

باسمي وباسم تلاميذ المعلم الأستاذ الشيخ (مسعود ياسين) نقدم العزاء لأنفسنا، وللعائلة الكريمة، ولمعهد (بني عيسى) ولساكنة السماش، وولاية البويرة، وتيزي- وزو، وللأمة الجزائرية والفلسطينية في فقدان شيخنا وأستاذنا العالم الموسوعي المتعدد الاختصاص، وصاحب النعمة علينا، الفلسطيني دماً، والجزائري إقامة وحباً ويطرجل في هذا الوقت الذي تعرف فيه غزّة أشرس أيام الدمار، وهي في شهرها الثالث تحت القصف الصهيوني، ولا تزال تقاوم صابرة ثابتة رابطة، وما النصر إلا بالثبات. هي فلسطين الجريحة فلسطين القضية التي قال فيها بكبارنا "نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة" وسيأتي الأمل، وما خاب من توكل وعمل، والحرية قادمة لا محالة، واطلب الموت توهب لك الحياة:

والحرية الجراء باب * بكل يد مضرجة يدق

هي فلسطين التي أرسلت لنا الفتى (مسعود ياسين) من آل ياسين، ومن مدفع (الياسين) الذي أربع الصهاينة. شيخنا لا ترجل في هذا الظرف، ونحن نحتاج إلى شعر المقاومة وإلى مداد العلماء، وكلمات الأدباء وشعر الشعراء، وأنت من فحول الشعراء، وكما نقول لكم: زدنا شعراً زدنا، وأنشدتمونا ذات سنة السبعينات تلك القصيدة الغراء (قلعة الشهداء) وتقولون:

اخلع حذاءك أنت في السماش * مهد المروءة مؤئل الرشاش
الله قلدها سنا آلائه * فغدت مني الرجان دون نقاش
يتسابقون لأمنها وسخائها * كتسابق الأطيوار للأعشاش

وتقولون:

يا قلعة الشهداء صيتك هزني * ضمي شتاتي، بلسمي إنعاشي
يا بلدة (العمرين) جئتك محبطاً * هلا احتويت نبوءتي وقاشي
رمت أشلائي وصنت هويتي * تدوين ما ضحيت كان معاشي

والآن نفتخر بكم شيخنا، كما خلدتم بشعركم قلعة الشهداء، قلعة يتسابق إليها الخالدون النوفريون بملحمة البارود والزناد، ونفتخر بهذه القلعة التي لها السبق في رفع أول علم جزائري، قلعة الشهداء والمجاهدين، ومنهم يا شيخنا، تناسل التلاميذ الذين صنعتم منهم المعلمين والعلماء، صنعتم مجداً من هؤلاء الحضور، فانظروا إليهم وافتخروا، وأنتم رُمس نائم مرتاح. ولم تموتوا بتلاميذكم الذين يشهدون هذه التأيينية، ويقرؤون عليكم الفاتحة.

♥. الكلمة التي أقيمت بمناسبة تأيينية شيخي (مسعود ياسين) في دار الثقافة (علي زعموم) مدينة البويرة، بتاريخ 30 ديسمبر 2023 م.

شيخنا أنت حيٌّ بيننا، وباسمنا جميعاً نقول للحضور شكراً لكم جميعاً ولقد أتقنتم فنَّ الأداء، شكراً لأصحاب الفضل من الجمعيات، شكراً للسيد والي الولاية الذي جتّد هذه الأرمادة لهذا العرس التأيينيّ؛ عرس الجزائر وفلسطين، عرس ردّوا الأفضال لذويها. شكراً للسيد الوالي على الإجراء الذي قرّرتوه بخصوص ترميم مَعْلِنَا التاريخي (معهد بني عيسى) الذي يشهد على الفترة الذهبية للجيل الذهبي الذي أسهم في بناء الدولة الجزائرية تدريباً وإدارة. شكراً لهذا الفعل النبيل الذي يبقى من تاريخنا ومجدنا، ومعلماً من معالم الثقافة، وأنّ المعهد في فعله يُضاهي معهد ابن باديس بقسنطينة، والزيتونة في تونس، والأزهر في مصر. ولقد بعثتم المجد الذي يُعيد الذّاكرة الوطنية إلى هويّتها الوطنية، وأنّ الجزائر الجديدة تُعيد المجد وتُحافظ على الذّاكرة، وهي صفة الخصوصية التي نريد ترسيخها في الناشئة، فأمة تنقل الأمانة للأحفاد أمة حيّة، وأنعم بكم سيدي الوالي!

أستاذي لا تترجّل، أعلم أنّكم لا تسمعونني، ولكن نشهد الله بأنّ العين لتدمع، والقلب ليخشع، والصدمة قوية، وهذا ما كنت تُحدّثني عنه، وأنا إلى جانبك في مَشفى الأزهر، وتقول: أخاف أن أموت، وقلت: كلنا نخافها، ولكن نسأل الله إطالة عمرك، وإنّ كلّ طلابك ومُحبّيك يدعون لك بنجاح العملية. وتنكسر العيون وتدمع بحرقة، وتقول وداعاً، بعد أن يرن الهاتف فجر يوم الخميس 21 ديسمبر 2023م (الشيخ في ذمة الله) رحل الذين نُحبّهم، ولَمَن نُقدّم العزاء، الشيخ مسعود لم يمت، بما تركه من أفضال، فقد تناسلَ فينا نحن التلاميذ؛ دخلَ قلوبنا قبل أن يدخلَ عقولنا وليس سهلاً أن تُصدّق، ولكنّ الأعمار بيد الله، ورحلَ الذين نُحبّهم، وليس لنا يدٌ في افتدائهم.

1- مسعود ياسين الأيقونة الأسطورة: أيّها الجمع الكريم، هي بعض الكلمات التي أروم قولها في شيخنا، وأنا ثمرة من ثماره، ولكم تمنيت أن يعلم الشبابُ كم كانت التّضحية غالية من أجل طلب العلم، وكَم كان حبّ طلب العلم مطلوباً، وكَم عزّت في نفوسنا اللغة العربية التي انطلقنا فيها من العدم، وكان عِشقنا لها لا يُقاس لارتباطها بكلام الله، وأنزلناها المرتبة العليا، وهي كذلك في سلوكنا. وإنّ من البيان لسحراً، والحكمة ضالة المؤمن ينشدها في آية لغة، ووجدناها في العربية العالية، عربية التّجلي والتّعلي والتّكامل بمازيجية أجدادي ولغة أبي وأمي، وبذلك التّكامل حصل الانسجام الجمعي، بين آل يعرب وآل مازيغ. إنّه شيخنا المعلّم الشّهم الذي علّمنا تشفير الحروف، وفكّ التّعمية، وهو الذي أخذ بأيدينا أباً، مُنيراً دروبنا في الحاضر والمستقبل، وهو الذي يقول: أنتم الحاضر، وأنتم المستقبل، أنتم خلفاء ابن باديس والبشير الإبراهيمي وسيكتب عليكم التاريخ موقعكم في تسيير الدولة الجزائرية. بالفعل حصل ما كان يقرأه الشيخ في مُستقبل أولاده، وهو يرى ما لا نراه، وهكذا نرى طلابه ينتشرون في مواقع الدولة مُسيّرين، علماء، مُنتجي أفكار مدرّسي المساجد، مُوجهي الشّأن العام... فأنعم بالشيخ والشيخ!

2- مسعود ياسين في سيرته: شابٌ فقيرٌ مُغامر، يخرج من فلسطين، ويمرّ بصحاري ليبيا، ويدخل تونس وإلى تبسة، وينزل بتازمالت باحثاً عن العمل، ويشدّ الرّحال حاملاً حقيقة فيها بعض الوثائق ويدخل مدرسة الأسنام بعمالة القبائل الكبرى، ويجد أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين المعلّم (مُحمد أوبلاح) ويوجّهه إلى

قرية (آث يخلف) ويهيأ له المسجد للتدريس، ولم يستقر له الحال، حتى انتقل إلى قرية (السّماش) في الأوّل من سبتمبر 1967م، مدرّساً لشهرين في مسجد السّماش، وتُهيأ ظروف الانتقال إلى معصرة (بوزري عمر) في ثيقصرة، ثمّ إلى المعهد الذي أخذ فيه مجده، وعشنا الاستقرار، بفضل تلك الهبة الكبيرة من المجتمع المتعطّش للعلم، والخروج من الأميّة، وبخاصّة العُمَريين (رحمة الله على الجميع). إنّه (مسعود ياسين) الذي نعتبه مرسولاً لرفع الجهل عنّا، وبعزيمة شُبّانية استطاع أن يسدّ فراغ المدرسة الجزائرية في ولاية تيزي-وزو وولاية البويرة، ولا تكاد قرية إلّا وتجِد مَعَلِّماً من طلابه. معهد كبير بِكَبَر صانعيه عبارة عن معهد تكنولوجي لتخريج المُعلّمين، من مُعلّم واحد هو الكلّ، هو الإدارة، هو العلم، هو النّجاح، هو مسعود ياسين. واشتعل المعهد سُمعة، وجاءت الأفواج تترى، وأصبح قلعة تُسرى.

3- مسعود ياسين الشّاعر والإنسان: وما أريد أن أنقله لكم وهو يدرّسنا الشّعر، وكان حفاظاً وشاعراً ولكنّه لا يفاخر بشعره، وكان يحبّ شعر الصّعاليك، ويردّد شعر تأبط شعراً، وشعر المهلهل، والحارث بن حلزة اليشكري، وعنترة بن شدّاد، وعمرو بن كلثوم وهو يردّده شعره بفخر:

أبا هندٍ فلا تعجل علينا * وانظرنا نُخبرك اليقينا
بأنّا نورد الرايات بيضاً * ونصدرهنّ حمراً قد روينّا
ألا لا يجهلن أحدٌ علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

كما يكثر ترديد المقولة التي قيلت لعنترة "كُرفأنت حرّ" وجعلته يقول:

لا تسقني ماء الحياة بذلّة * بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل

وكما يحبّ شعر (المتنبي) وتعجبه حكمه، ويُكثر من قول بيته المعروف:

أنام ملء جفوني عن شواردها * ويسهر الخلق جرّاه ويختصم

وكما أذكر أنّه ينكسف وهو يقرأ لنا أبيات أبي فراس الحمداني:

أراك عصيّ الدّمع شيمتك الصّبر * أما للهوى نهيّ عليك ولا أمر؟
بلى؛ أنا مُشتاق وعندي لوعة * ولكنّ مثلي لا يُذاع له سرّ

ويذوب رقة في الأرواح المتمرّدة لـ (جبران خليل جبران) وكما يردّد علينا باستمرار قصائد (أبي ماضي)

وهو الذي كان يقول: أحبّوا الشّعر؛ فهو بلسم الحياة، وكن جميلاً ترى الوجود جميلاً، كما قال (أبو ماضي):

قال: السّما كئيبة! وتجهّما * قلت: ابتسم يكفي التّجهّم في السّما!

قال: الصّبا وليّ! قلت: ابتسم * لن يرجع الأسف الصّبا المنصرماً

أحبّ فيغدو الكوخ قصراً نيّراً * وابغض فيُمسي الكون سجنًا مُظلمًا

ويحفظ شعر فدوى طوقان، ونزار قبّاني، ومحمود درويش، وسميح القاسم، وأبو القاسم الشّابي، ويميل إلى شعر البطولة والمقاومة، وكَم يذوب في إلياذة الجزائر، وفي تلك اللازمة: شغلنا الوري، وملأنا الدّنا بشعر نردّده

كالصلاة، تسايحه من حنايا الجزائر. وفي تلك القصائد المغناة لسليمان جوادي، ويحدثنا عن علاقته الشعرية مع أزراج عمر... والكلام كثير، والوقت قصير، وأكتفي بما سمعتم. مسعود المعلم هو إنسان وشاعر شاب يحب الحياة، ويحب الجمال، ويعيش لحظات يومه بفخر، يقوم بالرياضة، ويدرس مختلف المواد، ويتغذى معنا ويقاسمنا شطائره، ويقدم لنا في كل يوم ما عنده، إنه معلم من نوع التربية العالية، والصدقة البسيطة نظراً لصغر سنه، بل هناك من الذين كانوا أكبر منه سناً، وهو متواضع في كل شيء، قنوع خدوم محب للخير ودائماً يقول: أنا ضيف فاغفروا زلاتي. إنه من النوع الرفيع لإنسانيته وغربته التي جعلته يبتئس أحياناً، ولكنه منديج معنا، ويدخل بيوتنا، ولم يحس بالغربة، واحتويناه أسرياً، ونال منه ذلك الراحة التي جعلته يتفرغ لنا، ويقول: عليكم بسياسة قطع المراحل، وتكثيف الدروس لتصبحوا مدرسين والجزائر تحتاجكم، فهلا تكونون؟ ولا بد أن تصنعوا النجاح، بالدرس نهراً على ضوء الشمس، وليلاً على ضوء اللمبة. وصنعنا النجاح بأزره وتشجيعاته ولننا المطلوب بسياسة تخفيض الدروس، واختيار المواد الهدف.

- الخاتمة: أيها الحضور، إن العلماء لا يموتون، مثلها الشهداء لا يموتون، وإن مداد العلماء يقاس بدم الشهداء والخلود لله، ولكن تناسل هؤلاء علامة الاستمرارية، وسيعود الشهداء، مثلها يحاسبنا العلماء ماذا أضفنا، وهل حافظنا على الأمانة، وصنا الوديعة، وأقنا المنيعة، وقدنا المهمة، ونجحنا في التدبير، وحسن التسيير؟ وكلنا مسؤولون عن الفعل النبيل. وإننا نرفع التحدي، ونقولها باعتزاز، ذبنا في المرجعيات الوطنية ولاء وتطبيقاً وتعلمنا الوفاء، واعتمدنا القيم، وكان جيل المعلمين الناجحين من عظمة السابقين، إنما بعثت معلماً، وهكذا قالها رسولنا الكريم "صاحب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر" والمعلمون ستشفع لهم دروسهم وسيرتهم وقدرتهم، وكانوا هنا، وتركوا الأثر، والبكاء لا ينفع، والعمل يدفع، ونقول في حق المعلمين ما يشفع:

قَمِّ لِلْمُعَلِّمِ وَفِيهِ التَّبَجِيلَا * كَادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولًا
أَعْلَمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَ مَنْ الَّذِي * يَبْنِي أَنْفُسًا وَعُقُولًا

باسمي وباسم زملائي أختم لأقول: إن (مسعود ياسين) معلماً، وله أفضال علينا، وما حضورنا اليوم إلا أحد الواجبات تجاه معلّمنا الكبير، وبه كبرنا ودرسنا واشتغلنا وتقاعد الكثير منا. هو عربون وفاء نأمل من الباحثين أن يفتشوا في مدوناته ومخطوطاته، وأن يبعثوا شعره وصفاً وتحليلاً، وذلك ما يجعله من الخالدين فنعم أجر العاملين. وفي المعلم مسعود وأمثاله صدح الشعر، وقال:

يَا شَمْعَةً فِي زَوَايَا الصَّفِّ تَأْتَلِقُ * تُبِيرُ دَرْبَ الْمَعَالِي، وَهِيَ تَحْتَرِقُ
لَا أَطْفَأُ اللَّهَ نُورًا أَنْتَ مَصْدَرُهُ * يَا صَادِقَ الْفَخْرِ أَنْتَ الصَّبْحُ وَالْفَلَقُ
لَا فَضَّ فَوْكَ، فِئْهُ الدَّرُّ مُنْتَشِرٌ * وَلَا حُرِمَتْ فَوْكَ، الْخَيْرُ مُنْدَفَقُ

واسكت عن الكلام المباح، وأقول لشيخنا ارتاح، والله نسأل أن يجعل قبره من الفواح، وينا لنا الاستملاح ونخرج من هذا اللقاء بانشرح، والسلام عليكم أيها الملاح.

جانفي 2024

العبرة من نجاح كورية الجنوبية في التربية والتعليم*

لم يأت النجاح من العدم، بل كان من الاستثمار في منظومة التربية والتعليم، باعتبار المدرسة قاطرة التنمية في كل شيء، ولهذا وقع إنزال المدرسة في مشاريع الكورين المرتبة الأولى من حيث النفقات من ميزانية الدولة سنوياً بما لا تقل عن 21%، وبمجانبة كاملة، وبحكمة الدولة بإطاراتها وأجهزتها التي تخضع سنوياً للتطوير، تمشياً ومستجدات العصر.

ولقد علمتهم التجربة والممارسة بأنه "لم يثبت أن أمة تقدمت باللغة الأجنبية" وقالوا: لقد جربنا اللغة اليابانية وهي لغة علم، ولكنها طورت اليابان، ولم تطور كورية الجنوبية، فلم تعطيل في الانتقال إلى لغتنا وهي ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، ولا يكون لنا المقام العلي إلا بها. هي حكمة رستتها تلك التجارب الفاشلة والصراعات الطاحنة التي جعلتها ثالث أفقر بلد في العالم، ولكنهم قالوا: تعال نجلس لتفاهم عن القاسم المشترك. وكانت اللغة الكورية الجامعة هي المنطق؛ لتوحيد الرؤى والأفكار كي لا تتبلبل ألسنتهم، ولكن بمنهجيات مختلفة وصولاً إلى تحقيق الهدف الواحد؛ وهي التنمية الشاملة المستدامة، وتطوير كورية بلغة كورية دون غيرها من اللغات. وكان محضن ذلك المدرسة في كل مراحلها التعليمية بعد وخز الضمير بأن تراثنا مقدس، وثقافتنا عالمية، وأعرافنا أخلاقية، ولكن لغتنا غائبة.

وإن الكورين يقرّون بأن كونفوشيوس معلمهم، ولكن العلم هدفهم، وهم بحاجة إلى الاتكال على أنفسهم وفي البدء كان الغلق على الذات، والذي كان مخرج الإبداع، والحاجة أم الاختراع. ولكن ما بعد الغلق نحتاج إلى صناعة النجاح عن طريق إعادة النظر في الشعور بالذنب بأنه لا بد من استدراك التأخير الذي تضمنه مدرسة الجودة. مدرسة إنتاج الأفكار، مدرسة مجانية التعليم، وتجريم الدروس الخصوصية، والثبات على المبادئ بأن القفزة الاستدراكية قائمة بما ترسخ لدى النخبة بأنه لا بد من تربية جديدة تراعي مهارات: الاستماع والقراءة والحوار والكتابة باللغة الكورية التي وثقها الكوري ذي العينين الضيقتين، ولكنها عيون تبصر في المستقبل أن لا أمل للخروج من التخلف إلا باللغة الوطنية وهي العماد، وبها تحصل الصناعة.

إن المنطق في الصناعة من شعار "العجلة مصنوعة، ونحن نعمل على تطويرها" ولا يكون البدء إلا من لغة لها الباع الصناعي على غرار اللغة الإنكليزية المهيمنة، وعلى كارتل صناعي عملاق، ويكون (General Motors) لصناعة كورية استكمالاً لقاعدة منتج (Samsung) في نجاحها في الهواتف الذكية وكيف لنا أن نصنع سيارات كورية: (Accent) و (Kia) و (Daewoo) ... وكان التخطيط لها في قاعدة الصناعات الخفيفة بمسمى الإلكترونيات، وأصبحت كل واحدة مجموعة عملاقة في صناعة السيارات والشاحنات، وصناعة السفن والأجهزة الكهربائية L G والصناعات الثقيلة.

*- قُدمت الكلمة في ندوة علمية موسومة (اللغة العربية بين الحولة التراثية وضرورات المشروع الحضاري). تنشط مفتشية التعليم المتوسط (المقاطعة الثالثة) بموسطة مولود فرعون بمدينة تيزي-وژو، بتاريخ 15 جانفي 2024م.

إنها كورية الجنوبية التي تعرف نمواً سريعاً أمام التينات الآسيوية الناهضة، ويشير الكوريون الجنوبيون إلى هذا النمو كان بمُعجزة نهر الهان/한강의 기(The Miracle on the Han River). وإنه المُعتقد والعرف ولكنهم تقدّموا بأخلاقهم واحترامهم، وانحنائهم في الاستقبال والتعارف، وصرامتهم، وحبهم للعمل والإصرار على النجاح واهتمامهم بالأناقة، وتطبيق الأعراف، وقبول الخصوصيات، والتفاعل معها بعفوية. هي وصفة عجبية بها انتقلت كورية الفقيرة إلى عملاق الصناعة بتطبيق يُراعي فيه قاعدة العشرة في المئة/10% في كل سنة؛ يكون من منتج الكوريين، وباللغة الكورية في كل شيء، وبالعائلة الكورية، وبالمهندسين الكوريين. إنه النجاح الباهر في الغلق الذي خلق المعجزة، وولّد الإبداع، وكان من رَحْم الانضباط والحكمة والحكمة والتحكم في تحقيق النسب السنوية، ولا يقبلون بالمراجعة ولا التراجع. وكان الوقت وثبة تحقيق القفزة العلمية في عشر (10) سنوات، وشعارهم "أَتَقَدِّمُ بِسَاعَةٍ وَلَا أَتَأَخَّرُ بِدَقِيقَةٍ" هو شعار الجميع، شعار التلميذ الذي لا يريد مُغادرة مدرسته إلّا لساعات مُتأخّرة، ويدرس في السنة ثلاثة وأربعين (43) أسبوعاً ورفض العامل الخروج من المصنع في حال التقاعد، وشعار الجميع "أَنْ نَكُونَ أَوْ لَا نَكُونَ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ بِأَفْكَارِنَا، وَتَطْوِيرِ مُؤَسَّاسَاتِنَا".

هو النجاح الذي خرج من المعاناة وكان صناعةً جماعيةً، هو الاستثمار في تحقيق المزيد من الاستمرارية المُتجددة، بمفهوم العصر والصراع العالمي، فأن تكون بهويتك، وإلا تنقرض، وستكون تبعاً، ولا مقام لك في الحياة. هو النجاح الذي جعل كورية العصر الحاضر تعرف صِفَر فساد، صِفَر ورق، صِفَر مُراقبة في الامتحانات، صِفَر سقوط العمارات على ساكنيها، صِفَر موت المريض وهو في يد الجراح... هي أصفار على يسار الأرقام، يعني عدم تحقيق الصِفَر لمُدولته. هو النجاح الباهر لبلد لا يملك إلّا الأشجار بمساحة 100,210 كم²، ولكنه يملك مدرسة الجودة، ويملك أفكار أهل المتفانين في خدمته، وبلد يكافئ العامل بتشجيعه، والفاشل بتعليق وثيقة في مقر عمله بأنه فاشل ويتأخر، ويتركون المسألة لوخز الضمير. هي القيم الذي زكّتها المدرسة الكورية وتنطق وحدها بأن الوطن لا يقبل الغش "مَنْ غَشَّ لَيْسَ كُورِيًّا". هو الوطن الذي يعيش فيه الكوري رفاهية كبيرة، ويشكل اقتصاده درجةً علياً تتجاوز تلك الدول التي تملك البترول عشرات المرات، فشركة (Samsung) وحدها تتعدى ميزانيتها موازنة دول كبيرة.

إنها كورية المعجزة التي انقلب فيها السحر على الساحر، فكيف بهذه الوصفة التي جعلتها تنتقل من ثالث بلد فقير في العالم، إلى التصدّر في اقتصاد الأسواق العالمية. إنها اللغة الكورية والإرادة الكورية، إنها الوثبة التي خلقت المعجزة في اقتصاد المعرفة، وبيع الأفكار، وصناعة الإبداع، وخلق مجتمع المعرفة في شبه جزيرة ضيقة. وأكادُ أصفها بالقول: من أمامها عدو شرّس، ووراءها البحر الأصفر، وبحر الصين وصخور لياذكورت في بحر اليابان، فما أصعب أن تعيش في أمواج البحار، وأنت لا تتقن فنّ العوم، ولكن الكوري الجنوبي هو لها مُغامر ناجح من خلال فنّ الإدارة، وإتقان المهارة، وعلاج الأزمة، بخلق مُستلزمات رفع الهمة في أن يكون مهما كانت الكلفة.

إنَّ نجاح تجربة الكوريين في الاهتمام بلغتهم القوميَّة يعود لتمسُّكهم بخصوصياتهم، فتركوا اللُّغة اليابانيَّة التي لم تُقدِّم إلَّا اليابان، ولم تُقدِّم كوريَّة رُغم التقارب في الكتابة والثقافة والجوار، واستبدلوها باللُّغة الإنكليزيَّة كلغة أجنبيَّة أولى، وأحلُّوا العربيَّة لغةً أجنبيَّةً ثانيَّةً، وهم يعلمون آفاق المستقبل بأنَّ إسبرنتو اللُّغات يكون لهذه اللُّغات، كما يحملون شعار "لا حياة لأُمَّة دون لغتها القوميَّة، فهي الوجود والخلود والمستقبل". وفي كلِّ هذا أنجز الكوريُّون بكامل مرافقهم وصفةً متكاملةً قادتهم ليكونوا من البلدان المتقدِّمة في المُستوى المعيشي المُرتفع، وبذلك أصبحت كورية الجنوبيَّة تحتلُّ المرتبة الرَّابعة بأكبر اقتصاد في قارة آسيا، ويعتمد اقتصادها بشكل كبير على التَّصدير. نجح الكوريون وتقدَّموا بفضل استثمارهم في التَّربية والتَّعليم من مرحلة البيت، وما يتلقاه التلميذ في المدرسة عن طريق سنِّ نظام تربويٍّ هادف (النونشي/مقياس العين) وهو فنُّ استشعار ما يُفكر فيه الآخرون وما يشعرون به، ثمَّ الاستجابة بشكل مُناسب، وهو أيضًا قوةُ الملاحظة والصَّبر، وقراءة المكان والنَّاس الموجودون فيه، ومُراعاة شعور الآخرين، وعدم ترك شيء للصدفة، أضف إلى ذلك ما يُعلِّمونه من عادات وأخلاق وعملٍ وصبر وصرامة وخدمة ذاتيَّة؛ بدءًا من السَّنة الثالثة ابتدائي لتبقى طول حياتهم. وعبر مراحل التَّعليم عرف النَّظام التَّربويُّ الكوريَّ تعديلاتٍ مرحليَّةً بمُرافقة مُؤسَّسات مُكمِّلة على غرار: المراكز التَّعليميَّة المدنيَّة، المراكز المدنيَّة للتَّعليم العالي، مدارس الفنون، المدارس العليا للفنون، مدارس التَّعليم المُميَّز، مدارس التَّعليم المتعدد، معاهد التَّطوير التَّربويِّ، الجامعات المُفتوحة... وعرفت المدرسة الكوريَّة إصلاحاتٍ أدَّت إلى تعديلاتٍ أتت أكلها في نظامٍ تعليميٍّ ينشد الرِّفاهيَّة اللُّغويَّة دون تضيقٍ على المتعلِّم، بل جعلته يتماهى مع التَّغيَّرات الحديثة في الأخذ بالتَّكنولوجيَّة الحديثة ييسر وسهولة، وينال براءات اختراعٍ بعقريَّة في بناء المُقاولات، وإنشاء الحاضنات وتصغير الحاجات لمُرافقة المُستجدات.

وفي الحوصلة يُمكن القول بأنَّ النَّظام التَّربويَّ في كورية الجنوبيَّة ناجح؛ حيث جعلت من تربيته أداةً فعَّالةً في مسيرة التَّميَّة السياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة على أرضها الوعرة التضاريس، وهي إحدى مؤهلات تحدي النَّجاح في بناء إنسانٍ كوريٍّ يُشارك في التَّطوير النُّوعيِّ للتَّربية العلميَّة، ويضع الثقافة الحديثة المتطورة نُصب عينيه، وهو يُشارك بدور كبير في عمليَّات التَّميَّة من خلال بناء الإنسان الواعي المُبدع والمُلتزم بالعمل والأخلاق والتَّفاني في خدمة الوطن. وشعاره في هذا المجال "التَّربية من أجل الأمانة، ومن أجل حياة ذات معنى، والتمتُّع بالحياة، ومن أجل المُعاصرة التي لا تكون إلَّا بالغمر في تكنولوجيا الاتِّصال والإعلام، وفي الثَّورات المعرفيَّة والتَّقانيَّة". وبكلِّ ذلك حققت كورية الجنوبيَّة تنميةً شاملةً مُستديمةً، وأصبحت قوةً اقتصاديَّةً وتجاريَّةً وصناعيَّةً وتكنولوجيَّةً؛ لتُسطرَّ بذلك واحدةً من أنجح قصص التَّميَّة في عصرنا الحديث. ولم يكن ذلك ليكون لولا تلك الإرادة في الحُلق، بفضل الاستثمار في العامل البشريِّ الذي كان وراء تحقيق الحُلق ومن ثمَّ التَّفوق في التَّخطيط، وبناء الاستراتيجيات البعيدة المدى، لتحقيق الرِّفاهيَّة في كلِّ شيء.

هي كورية الجنوبيَّة التي تحتلُّ الرتبة الثَّانية في التَّصنيف العالمي في التَّربية والتَّعليم، بعد (فنلندا) هي من دُول المَرَجع متصدِّرة (ماليزيا) و(سنغافورة) و(إيسلندا) و(السويد) و(الدَّانمارك) و(المجر). وكلِّ ذلك

حقّقه ذلك الكوري الأنيق ذو الملامح النديّة التي خلقت الانضباط، وجعلت الحياة يسيرة حديثة تقانيّة وأنت
تزور سيولَ عاصمة الأضواء، وكأنّك في كوكب خارج الأرض، ولا فرق بين العاصمة وقُرى: (تونغيونغ)
(يوانغ) و(السان)... ولستُ هنا عزّاب دولة، بقدر ما أنا مُعجب بالنّجاح الذي حقّقته مدرسة الجودة؛ في
كوريّة النّجاح؛ حيث الرّفاهيّة بمعناها الحقيقي مُجسّدة بالكثير من المجانيات: مجانيّة التّعليم والتّطبيب والنّقل
والسّياحة... فهل نعتبر؟

العربية والإعلام[♥]

- **الديباجة:** هي محاضرة عن موقع اللغة العربية في الإعلام، وغايتي جمع الأفكار التي تتحدث عن لغة الإعلام، بالنقد أو بالتبجيل، واقتراح أفكار في تحسين العربية وتطويرها في الإعلام لموقع الإعلام بكل تنوعاته في جودة العربية، والإسهام في تطويرها مراعاة للخصائص التي تطرح في ظرفنا الراهن والذي يحتكم إلى سلاح الإعلام؛ وهو قوة مُتَنَفِّذة يستطيع تطويع/تطوير العربية، كما يمكن أن يحدث الهدم لما تبنيه المدرسة بأقل جهد. وهذا هو البيان الذي أزعم الإسهام فيه بالقوة الناعمة، وباقتراح بدائل نوعية تكون في مستوى التكامل بين العربية في تجلياتها اللغوية، والإعلام بما له من أساليب مقبولة تُراعي المستجدات وفق ما يطلبه النمو اللغوي.

- **المقدمة:** عندما نتحدث عن العربية والإعلام نجد العلاقة عضوية ترابطية وثيقة الصلة، لا يمكن الفصل بينهما، اللغة العربية تمثل الجسم أو الهيكلية، والإعلام هو الروح وأداتها، فهذا يفكر، وذاك يوصل الرسالة وبهذا التكامل تنقل الأفكار عبر رمزية الشفريات إلى المخاطب، ويحصل النمو الترافقي بين اللغة ووسائل تبليغ اللغة، وذلك ما يستدعي لزوم الطرفين في التواصل اللغوي. وإن اللغة من أهم أدوات التشكيل الثقافي باعتبارها وعاء الفكر وأداة التعبير والتواصل والتفاهم، وما تؤديه من رابطة وتجسير بين الماضي والحاضر... "اللغة هي الوطن الثقافي الذي يصنع الوجدان، ويحرك التفكير، ويترجم الأحاسيس، ويغير السلوك، ويسهل تبادل المعارف وتلقي العلوم... وهي المسبار الحقيقي لإدراك أغوار الشخصية وميولها واتجاهاتها، وتحديد أهدافها، فكثيراً ما يقال تكلم حتى أراك". هو تكامل أساسه اللغة، ومن خلالها نجد الإعلام له أثر في الحياة اللغوية والثقافية، واللغة مصدر تتمتع بسلسلة من المجاري الكلامية بما لها من ديناميّة الحركة وخلق الأساليب لطبيعة الإعلام.

وبالنسبة للعربية لها من طوعية الشيء الكثير، وكانت مُتَّفَقة مع غايات الإعلام قديماً وحديثاً من حيث إنه أداة وظيفية له رسالة إعلامية عليه توصيلها عبر اللغة العربية، بالابتعاد عن الفنون البلاغية المراد بها الفن للفن في كثير من المقامات. وهكذا كانت العربية عضيدة الإعلام في الماضي مع صفوة الإعلاميين الجزائريين من أهل رجال اللغة الجامعين بين السهل الممتنع، ومع كبار الإعلاميين من المثقفين وأهل الفكر الموسوعيين من مثل: محمد البشير الإبراهيمي + إبراهيم أبو اليقظان + الأمين العمودي + الشيخ لحسن سليمان + الشيخ عبد الرحمن الأخضرى + الشيخ يوسف بوغابة... والقائمة طويلة، ويمكن أن نقول بأن معظم أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يجمعون بين الإعلام والمهن الأخرى، فهم مُفَوّهون في الخطابة، ولا مُشكلة في توصيل الخطاب بعربية مُتَقَرّة تعلو المقال.

♥- الكلمة التي أُلقيت في المدرسة العليا للإعلام. الجزائر في 27 جانفي 2024م.

وهناك الإعلاميون من جيل الاستقلال، فلهم بصمات لغوية سليمة وهم لا يتنازلون عن جمال العربية بل من الأفاض الذين وصلوا رسالة الموسوعيين الإعلاميين، ونذكر بعضهم: سليمان بخيلي + علي فضيل + عيسى ميقاري + الحبيب بن علي + خديجة بن قنة + عبد القادر عياض + فيروز زياتي + مريم بلعالي + حسينة أوشان + أمينة نذير + محمد أمين أقنون + كريم بوسالم... ولا شك أن إهدار العربية لا يحصل من هؤلاء ومن هم مثيلهم الذين يهتمون بأصولها وقواعدها دون أن تدخل العامية الضيم عليها، ولا نسمعها من أفواههم إلا على سبيل الشاهد. هي دلالة على أن استخدام اللغة العربية الفصحى الموحدة في صحافتنا دلالة على التكامل، أضف إلى ذلك أن التواصل الدقيق لا يحصل إلا بالفصحى؛ وهي التي توحد رؤانا ونظراتنا وأفكارنا وتطلعاتنا. ومن هنا من مسؤولية كليات الإعلام اختيار الطلبة الذين يتقنون فنون القول والذين لهم الحس اللغوي البلاغي الموجب للأداء السليم؛ ليكون في مواجهة الجماهير، ويكون مقنعاً حالة احترامه قواعد العربية التي تعمل على الانبهار، وتترك الأثر الإيجابي البالغ الذي يتحدث عنه في حياته ومماته، هي لغته العصماء التي لا يقتصر دورها على التبليغ، بل يتعدى ذلك إلى تشكيل آراء الجماهير وإعادة بناء عقولهم وزرع اتجاهات عقلية في ضرورة الاهتمام بالعربية.

إنه التكامل المطلوب بين العربية وقنوات الإعلام، فهذا يزرع الوعي اللغوي، وهذا يعلي من مقام الأداء وهذا يطور اللغة، وذلك يزيد من قيمة الوسيلة الإعلامية، وهذا يحدث ألفاظاً جديدة، وذلك يعطي لها شرعية الاستعمال الفصيح، وهذا يثير الجماهير، وذلك يحرك بحر اللغة العربية المتلاطم لدواعي الحياة بإمكانيات التعبير والتصوير وفاءً لاحتياجات العصر... وأمام هذا يجدر بنا الرفع من سوية لغة الإعلام وتعميق المعرفة بقواعد اللغة العربية، وأسلوب الكتابة السهل والمباشر في وسائل الإعلام، وفي مهارات الكتابة السليمة والتدرب على رصد الأخطاء النحوية الشائعة في وسائل الإعلام وتصحيحها، وهكذا مواصفات النجاح في لغة الإعلام. وما يجب أن يكون تبليغه بقوة للإعلاميين في المدارس العليا للإعلام/كليات الإعلام بأن الاهتمام بالعربية هو الاهتمام باللسان الجامع للأمة، وهو الثقافة والحضارة العربية الإسلامية والوجود العلمي للأجداد والحضور المعاصر للأحفاد.

إنها اللغة العربية الإسلامية التي يجب الحفاظ على صفائها مثلما نحافظ على صفاء عيوننا. والإعلام سلطة وقوة يستطيع فرض الاحترام اللغوي/الحقوق اللغوية بقوة التأثير والأثر، وهو الذي يصنع اللغة، ويحدد الأذواق، ويحدد الأساليب، ويضخ في شرايين اللغة العربية في كل لحظة، أعداداً هائلة من الألفاظ والتراكيب والمعاني المستحدثة، التي قد تعجز مجامع اللغة عن ملاحقتها، فصار التطبيق سابقاً على التنظير وذلك ما يستدعي التوقف عند هذه اللغة الإعلامية المتجددة، ومراجعتها باستمرار، نقداً وتحصيماً، كما هو حال (النقد) مع (الإبداع).

يستطيع الإعلام فرض سلطة القانون عندما يُجند وسائله لمُعاضة قرارات المُجامع، وطلبات جمعيات حماية العربية، والدعوة إلى الإغلاء من شأن اللغة العربية في وسائل الإعلام، باعتبارها مُحددًا للهوية، ووسيلة للإبداع، ورافدًا للحضارة العربية، وزرع الاعتزاز بها في نفوس القراء والمتلقين، يستطيع الإعلام أن يدعو إلى هبة عربية جامعة للتسلّح بالفصحى بالاهتمام بمنظومة التربية في الوطن العربي، وتعميم العربية في المحيط العام. يستطيع الإعلام العمل على تحريك القوانين والمراسيم الجامدة في تطبيق دساتير الدول العربية وكلّ القمم العربية التي تدعو إلى إنهاء عمليات التعريب في أجل مُحدد، ولكن هي حبر على ورق، فطال الذي طال على لُبْد، فيزع بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن.

يستطيع الإعلام المطالبة بتعريب الآلات الجديدة ومُصطلحات العلوم والمُخترعات الحديثة حتى تدخل في حديث الناس سليمة، والالتزام للجامعات بضرورة استعمال العربية في العلوم وفي التكنولوجيا. يستطيع الإعلام كسب السبق في تعزيز مكانة الفصحى لكونها لغة المُستقبل، وأن يُشعر الإنسان العربي بأهمية الوعي بها واحترامها... يستطيع الإعلام أن يجيب (أحمد شوقي) الذي أشعر وقال:

لكلّ زمانٍ مَضَى آيَةٌ * وآيَةٌ هذا الزمان الصّحفُ
لسانُ البلادِ ونبضُ العبادِ * وكهفُ الحقوقِ وحربُ الجَنَفِ
تسيرُ مسيرَ الضّحى في البلادِ * إذا العلمُ مُزّقٌ فيها السّدُفُ

1- العربية والإعلام: ما نريد أن يكون في ذهن الإعلامي أنّ اللغة هي وسيلته التّواصلية، وهي خير مُعبر عما يجيش في مكنه، واللغة تُبلّغ ذلك بما لها من حروف وجمل وأساليب تقتضيه آليات اللغة، ولهذا كلّها كان التّعلي اللّغويّ أعلى زاد الأداء وارتقى التّواصل. ومن هنا نحرص بأن تكون لغة الإعلامي في حدود هذا الرّقي الذي يميل بالمُستمع/المُشاهد/القارئ حيث يريد، وهذه هي اللغة العالية التي تسعى العربية أن تكون في فم/يد الصّحافي، وهي العربية الفصيحة في مُستواها العالي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى على الإعلامي أن يعرف بأنّ اللغة العربية لها خصائص، ولكنها لا تبتعد عن العربية في القواعد المُشتركة من حيث نحوها وصرفها ولذا من الضّروري أن تنقل العمليّة التّواصلية ضمن القواعد والأبنية والتراكيب والمقاييس المُعتمدة، وأن تبذل في احتذاء المُستويات الرّفيعَة لشتّى ألوان التّعبير، بحيث تكون لغة مُتطورة مُسيرة لعصره، وأن تحتفظ بهامش معقول بين لغة الخطاب اليومي عبر وسائل الإعلام جميعاً، وبين لغة الفكر والأدب والإبداع في مجالاتهما. وعليه، أن يكون رجل الإعلام على دراية بها، إضافة إلى إدراك بعض الخصائص، وهي:

1/1- خصيصة ارتباط العربية بالقرآن الذي هو رباط ديني بلغة عالية فصيحة تحتاج إلى فهم ودراية بقواعدها وبها يفهم الدّين فهماً أفضل من التّرجمة.

2/1- خصيصة نقلها سليمة لغير أهلها من المُسلمين وغير المُسلمين، وهي رسالة للنّاس كافّة، وتُسند انتشار الإسلام "وما لا يُفهم الإسلام فهماً صحيحاً فهو من الواجب".

3/1- خصيصة الحضارة العربية الإسلامية: وهي الثقافة التي حملتها هذه الحضارة برعاية اللغات الشرقية وكيف لنا أن ننقل تلك الحملة المعنوية دون هذه اللغة التي دوت بها تلك المعالم الكبرى إبان الفتوحات الإسلامية، وعبر تعلم العربية في أفريقيا، ووجودها لثمانية (8) قرون في أوروبا، وامتدادها الآسيوي، وما أثرت فيه في تلك البلاد من معالم كبرى لا تزال شاهدة عبر القارات الخمس.

4/1- خصيصة التطور: سنة طبيعة الأمور وأن الأيام دول، وأن التطور مسار في الحياة، ولا بد من مراعاة التكيف في متغيرات الصور والأشكال والأساليب التي لا تنقطع عن التراث. فوسائل الإعلام المعاصرة امتداد للقلم والورق والبوق... ومهما حصل التطور فإن الماضي يتجسد في مجالات القيم والثقافة والعادات وكل أشكال السرد والحكي، ومُتعلقات الاختلاط البشري التي لا تعني القطيعة... والكلام كبير وكثير ونحتاج من الصحفي أن يكون على إحاطة بخصائص العربية، كما قال (الثعالبي) "ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصادفها والتبحر في جلائها ودقائقها، إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في أثاث النبوة الذي هو عمدة الإيمان، لكفي بهما فضلاً يستحسن فضله ويطيب في الدارين ثمرة"، وعلى الإعلامي أن يكون ملماً بتطورات العصر.

وتأملوا عندما يحصل توثيق العرى بين العربية في تجلياتها، مع مؤديها كتابة/صوتاً/بودكاست كم تجمل العربية، وكَم يجمل المؤدي الذي ينطق بهذه الأبيات الرائعة:

أبلغ عزيزاً في ثنایا القلب منزله * إني وإن كنت لا ألقاه.. ألقاه
وإن طرقي موصول برويته * وإن تباعد عن سُكائي.. سُكناه
يا ليته يعلم أنني لست أذكره * وكيف أذكره إذ لست.. أنساه
يا من توهم أنني لست أذكره * والله يعلم أنني لست.. أنساه
إن غاب عني فالروح مسكنه * من يسكن الروح كيف القلب.. ينساه؟!

2- . مكتسبات العربية من لغة الإعلام: يجب الإقرار بأن الطرف الأقوى في معادلة (اللغة والإعلام) ليست متساوية؛ حيث الإعلام أقوى، وأثره بالغ، ويستطيع أن يعلي من اللغة، كما يمكن أن يؤدي بها إلى الانحدار، فتعيش اللغة أسوأ أساليبها، وتعرف الخمول والإهمال، هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ فإن اللغة ترفع قيمة الإعلام عندما يرتفع باللغة، ويعمل الإعلام على مساهمة اهتمام الأمة بلغتها، ويكون في الصدارة في الإسهام في قضايا الازدهار والتعميم والنشر والترجمة، ويسهم كذلك في تطوير اللغة من ذاتها في مستوى الاشتقاق والتوليد والتعريب والنحت والتجويد، وما يتعلق بها من الإسهام في الكشف عن الأخطاء وتصحيحها من خلال حسن استعمال القوة الناعمة في التأثيرات الضاغطة، وفي حروب اللغات، وصراع الهويات والحضارات، وما تشهده اللغة من التطور القسري المرفوض، وما هو في حكم المَقْبُول نتيجة السرعة في النمو والاندفاع في التطور، وما يقع من تنافس وسائل الإعلام التي لها التأثير الإيجابي أقوى، وعند ذلك تكون اللغة سلاحاً مهماً يعتمد عليها الإعلامي للرقى بلغته، وإلا سيعيش الإعلام العزلة في المقروئية والمتابعة.

3- اللغة الإعلامية: إن الإعلام سلطة فرض وأحياناً سلطة قرار، وقلبه النابض الحي (اللغة) فبدونها ليس له أي تأثير، ولهذا يقع الاستثمار في التحكم في اللغة مع مرافقاتها: الرياضيات + المنطق + الفلسفة وعندما تكون لغة إعلامي ضمن معيار فقه اللغة تؤدي رسالتها، ويكون لها التأثير الأدبي والمعنوي والتوجيهي، رغم بعض الخصائص التي يجب أن تبقى محافظة عليها، من مثل بعض الترخّصات نتيجة كثرة استعمالها، ولما لها من محاكاة وسرعة وترجمة وسبق، وهذا أكسبها بعض الضعف اللغوي عند مُنتقديها، ويرون من الضروري أن تُنقذ اللغة من أهل الإعلام، نتيجة بعض تسامحهم في تطبيق قواعد النحو، وعدم استعمالهم علامات الوقف حيث محلها، وقياسهم على الخطأ الشائع، وأحياناً قياس ظاهرة لغوية من أرومة لا تنتمي لها، وما يتبعها ذلك من نقاط ضعف التحكم في الأداء، لأنّ خصيصة من خصائصها في نظر الإعلاميين "المهم توصيل الرسالة" "القبول ببعض المحظورات اللغوية". علماً بأنّ كلّ لغة لها مجال الجواز الذي لا يجب تعديده، وإلاّ تصبح اللغة سهلاً، فمصيها الانحراف، فالهجران، فالموت الطبيعي الذي يأتي من عدم استعمالها وانتقالها، وقبول التسامح اللغوي المؤدي إلى الخيار اللغوي بين اللغة الأم التي تعيش الخطأ، واللغة الأجنبية التي تعرف الرفاهية اللغوية، وعند ذلك تصبح الأجنبية بديلاً عن الهوية في معناها الرمزي/الشخصية/الكيونة... وذلك هو الانتحار اللغوي للغة الأم.

4- مواصفات لغة الإعلام: عندما نتحدث عن لغة الإعلام نتبادر إلى ذهننا مجموعة من تلك المصطلحات التي تُطلق على الإعلام عامة: السلطة/القوة الرابعة + السلطة الخامسة + جمهورية الميكروفون + إمبراطورية الانقلابات، وعن لغة الإعلام نقراً: اللغة الثالثة + اللغة الوسطى + اللغة البيضاء + القوة الناعمة، ونسمع كذلك الهجنة اللغوية، والدّارجة الإعلامية، النثر الإعلامي، كما نقراً عن تلك الألقاب التي تُطلق على الإعلاميين: أصحاب مهنة المتاعب + النجم المتألق + الإعلامي المخضرم + المخرج المحترف + المعدّ المحترف + المراسل المحترف + المذيع صاحب الحنجرة الذهبية + شيخ المعلّفين + نجمة قناة + مايسترو القناة + الإعلامي المرجعية + كبير الإعلاميين... نعم يجب الاعتراف بأنّ وسائل الإعلام تستحقّ منّا أن نعترف لها بالكثير من الفضائل على اللغة العربية، وهي التي أحيت الفصحى، وكانت تعضد المجمعين في أعمالهم التأسيسية والتأسيسية من أجل الاهتمام بالنحو العربي وفقه اللغة، وهي التي حاربت الدّخيل الأجنبي، وهي التي رافعت من أجل دسترتها في دساتير الدول العربية، وهي التي نأخت على صفائها في الخطابة ومنابر الإلقاء، وهي التي فرقت بين الأساليب والمقامات والألقاب، وهي التي عملت على انتشار العربية عند غير الفطريين... مظاهر إيجابية كثيرة بها نعلّق القبّة الزرقاء على الإعلاميين، رغم بعض التسامح الذي أخلّ بخصائص العربية.

وإنّها جهود الصحافة العربية، التي "تكون أحياناً متقدمة على منجزات المجمع اللغوية، فبفضل من هذه الوسائل الإعلامية كانت المظاهر الإيجابية تتمثل في وحدة العربية وانتشارها بين طبقات وفئات المجتمع وتقريب بين اللهجات والمستويات اللغوية، وتنمية الثروة اللغوية. لكن هذا لا يعني وسائل الإعلام من أن تفهم اختيار اللفظ والعبارة ومراعاة الكلمات الصحيحة التي تستطيع الجماهير استيعابها وفهم مقاصدها". إنّ

الإعلام عامة قَدِّمَ للعربية الشيء الكثير، ويكفي أنه عمل على شحن الجماهير حول اللغة العربية؛ وهي من الهوية التي تعطي للعربي تميزه وقدرته على التفكير والإبداع وهي لغته المرتبطة بتاريخه ووجوده في الحاضر والمستقبل، وكان الإعلام يُرافِع دائماً على حسن الأداء في لغة الأمة، وتأتي تعليقات جيدة ومُشجعة من مثل: أعطِ القوس باريها+ هي لغة مُرافعات إعلامية+ لا فَضْ فوك ولا جَفْ قلبك... هي مُصطلحات ومَسكوكات وألقابٌ جديرة أن تُطلق على مُستحقّيها الإعلاميين وفئات كثيرات الذين يستحقّون الثناء والشباب منهم يحتاجون إلى مُرافقة لغوية من المُخضرمين، وتتواصل مسيرة الإعلاميين الكبار في خدمة العربية العالية. ولهذا من الأهمية بمكان التّحكّم في اللغة، وهي عماد التّواصل، وباب أساس من معرفة دقائق العلوم فبدون اللغة كلّ شيء أصمّ، وللغات تراتب في التّوظيف البياني: لغة+ رياضيات+ منطق+ فلسفة اللغة، هي أساسيات تُعتمد في صواب المحكي لدى أيّ شخص ووصول الرسالة دون خدوش، ويأتي هذا من مرحلة القاعدة التي يقع فيها الاستثمار في مهارات اللغة: السّماع+ الرياضيات+ المنطق+ الفلسفة.

5- نصائح لغوية: لا توجد وصفة جاهزة للتّحكّم في اللغة، وإنّما هناك بعض النصائح التي قدّمت لنا ونقلها لغيرنا، وهي نصائح أفدنا منها في حسن الأداء اللّغوي؛ انطلاقاً من أنّ حبّ الشيء يجعلك تعمل على الاهتمام به، وكما يقول العرب "ومن الحبّ ما قتل" فحبّ اللغة يترك الحبّ يعشقها ويقرأ بها ومن أجلها ويكثر من حفظ مسكوكاتها وثقافتها، واللغة ثقافة وقواعد وحفظ، وبخاصّة التراث القديم الذي هو وعاء الصّفاء اللّغوي ومن منبع السّليقة اللّغوية. وهناك تظهر قيمة القاعدة المعروفة "اللغة وضع واستعمال". وإنّ العربية تحتاج منا إلى حبّها والعمل بها، ونعلم قيمتها الرّمزية والحضارية؛ فهي أصدق سجل لتاريخ الشعب العربي والمُسلم، بما لمّتها من ألوان الفنّون العاكسة للحياة اللّغوية والثّقافية. ونرى كم تكون جميلة وراقية عندما تسمعها من أجهزة الإعلام سليمة تتمتع بحبّها أكثر، وتزداد مقاماً في نفوس محبيها، ويعلو مقامها.

إنّ العربية تحتاج إلى تحبيبها لأهلها ولغير أهلها، وتحتاج إلى توقيف في كلّ وسائل التّليغ، وبخاصّة وسائل الإعلام والتّواصل الاجتماعي. ونحن نعلم أنّ هذه الوسائل لها أثر في الانتشار بحسّن الأداء، ويمثّل ذلك تأثيراً في تطوُّرها وتحبيبها، فهل نحافظ أجهزتنا الإعلامية على صفائها ونقلها وتطوُّيرها. مع الأسف هناك بعض المضايقات اللّغوية نسمعها ونقرأها في قطاع الإعلام عملت على شيوع الأخطاء النّحوية في: التراكيب+ العدد+ مخارج الحروف+ ضعف استخدام علامات الوقف+ عدم التّفريق بين الجمل+ شيوع الكتابة بالعاميات+ الإشهار المُخلّ بقواعد اللغة+ تفشي اللغة البيضاء... لغة ركيكة في أساسها تقتل الفصحى العالية وتميل إلى العجميات، ويقتلها أكثر تلك الكلمات الأجنبية التي تُرسم بالحرف العربي الذي يشوّهما معاً. برامج إذاعية وتلفزيونية ضعيفة في الأداء، هُجّة من إعلاميين يزدون من الخدار اللغة، وباتت الأدوات اللّغوية المُستخدمة اليوم تُشكّل مزيجاً وهجيناً يغرف من كلّ منهل دون أن يحمل بالضرورة ملامح شخصيّة البيئة الثّقافية والاجتماعية التي يُفترض به أن يتوجّه إليها، فإلى أين المصير؟ هي ظهور ثقافة الهُجّة، وتصحبها النظرة الدّونية إلى اللغة العربية، والنّظرة الفوقية للغات الأجنبية، وذلك ما يشكّل خطراً على العربية التي تحتاج من إعلامينا

الشباب أن يعلموا بأن أمثال/مسكوكات "الخطأ الشائع أفضل من الصواب المهجور" هو خطأ، ولا يقول بها إلا الإعلامي الفاشل الضعيف والذي لا يحمل العدة اللغوية، وهذا مجاله ليس الإعلام، وأن "استعمال الدوائر مقبول" كذلك غير صحيح، ففي أية لغة مسموح به؟ نعم مسموح به في المستويات اللغوية ويكون التمييز بين خطاب الانقباض وخطاب الأنس ليس إلا.

- ومع كل هذا نحتاج من رجل الإعلام الحرص على جودة لغته بمراعاة:
- استعمال اللغة الفصيحة دائماً، والوقوف على السكون آخر الفقرات؛
- احترام اللغة من احترام القانون العام، وعدم التلاعب أو الاستهانة بالشأن العام، واللغة من الشأن العام؛
- الترخّص اللغوي المقبول يحسن استعماله في قليل من الحالات؛
- التفريق بين المستويات اللغوية، والمراعاة بكل مستوى حسب المقام والحال ومقتضى الحال؛
- عدم النزول باللغة من مستواها العالي إلى التلهيج إلا في حالات الاستشهاد؛
- رفع الحجة النزول باللغة ليفهمني المستمع/المُشاهد؛
- احترام استعمال قواعد استعمال العدد، وعلامات الوقف وهي من باب رفع التعمية على المكتوب من مثل الفرق بين الجملتين: الإعدام، ممنوع الإعدام. الإعدام ممنوع، العفو. فنلاحظ أنّ الفاصلة عملت على تغيير المعنى؛

- التشكيل في مواطن اللبس؛
- حسن الاستهلال، وحسن الخاتمة؛
- الاستشهاد الدائم من الأدب القديم؛
- إنزال الناس ألقابهم اللغوية/قلم/أكّدم/أخرجتم/في مقال لكم؛
- الدراية الجيدة بالموضوع، السيرة العلمية بالشخص المُستجوب؛
- الاجتهاد في إنشاء مجموعات عمل تخص اللغة، Podcast؛
- الاستثمار في توجيه لغة الشباب المعاصر؛
- تفادي الهجنة واللغة البيضاء؛
- المراجعة المستمرة للبرامج (مراجعة لغوية).

6 - محاذير لا بدّ الاحتراز منها: لقد ترتّب عن كثرة وسائل الإعلام الواسع الانتشار، بعض الضعف في المناعة اللغوية، مما أدّى إلى هجوم مُكتسح وغزو جارف لما يُطلق عليه (لغة الإعلام) وكأنّها خارج الفصحى فتولّدت اللغة الثالثة الهجينة، وسمّيت باللغة الوسطى عند (محمود عباس العقّاد) كما نظر إليها بعض الكُتاب أنّها الفصحى المعاصرة؛ وهي خلاصة التطوّر الذي عرفته اللغة العربية في هذا العصر وقد فرضها الإعلام بالاستعمال، وبما تجلّه من أساليب مُعاصرة في الدلالات، ولها الكثير من الجوانب الإيجابية، ولكن لها

الخطورة في أنها سوف تكون بديلاً عن الفصحى، ومن ثمّ تنتشر بما هي عليها من ضعف ودنو، وتكتسب مشروعية الاعتماد، فتصبح لدينا لغتان، فما مصير تراثنا اللغويّ في أعلى تجلياته؟ ولهذا نرجو من الإعلاميين الشباب التزام اللغة الفصيحة قدر الإمكان، والتعامل معها على أساس أنها كائن حيّ قابل للتطور وفق ما يقرره الاستعمال المقبول، لا الخليط المبهّم، واعتماد قرارات المجامع في هذا التطور، ولا نقف هنا، بل نفتح على الجديد في قبول الألفاظ الجديدة في المجالات العلمية التي لم تكن في المدونات العربية القديمة، والعمل على تكييفها وفق مقتضيات فقه اللغة، وقبول المشترك الفصيح التي يرتضيه جسم العربية، مع كلّ مقتضيات التخاطب العادية التي لا تعني الفخامة والتجهم، بل السعي إلى لغة التخاطب العادية التي تنتمي إلى لغة الصحافة المكتوبة التي تحرص على سلامة اللغة.

ونرجو البعد عن الخليط اللغويّ الذي لا يعمل إلاّ على التعمية والتسفيه والنزول باللغة العربية إلى حيث لا تقدّم إضافات، فأين دور لغة الإعلام التي هي عضيد المدرسة في مواصلة تأكيد متونها اللغوية والأدبية؟ ثمّ ما لبثت أن ظهرت اللغة البيضاء، وهي اللغة التي تكون فيها العربية اللغة الأساس في الكلام، ولكن يعثرها الخليط الأجنبي وعبارات الشباب من خلال المتفق عليه في دردشاتهم، بحجة التفاعل والانفتاح والتواصل العريض. هي خليط منبوذ وخطير، لأنها لغة اصطناعية متغيرة، وتلقي بأساليبها على العربية وتجعلها في محلّ النسيان، والابتعاد عن التراث، علماً أنّها لا تحتكم إلى قواعد ولا إلى قاموس، بل هي لغة تواصلية مؤقتة تعمل على تخدير شبابنا بمسمى العالمية والموضة والحضارة المعاصرة.

إنّ الارتقاء اللغويّ منوط بنا جميعاً، وبخاصّة الإعلاميين لما لهم من حضور في وسائل العصر ولهذا عليكم أيّها الصحفيون تمثّل/محاكاة أسلوب المعجزة البيانية (القرآن)، وتلّس جوانب الإعجاز البياني الإعلامي فيه وإدراك تنوع مواصفات خطابه بحسب المقامات والمحال التي يعرض لها. وهذا هو خدمة العربية إعلامياً باعتبار الإعلام مدرسة نتعامل مع الواقع اللغويّ الرصين الذي يحتاج إلى توجيه إلى الرفاهية اللغوية والمعاملات الاقتصادية ومتطلبات السوق اللغوية. فيستطيع الإعلام فرض العربية في البزنسة والشركات والصناعات والمبتكرات والإعلانات والدراسات والتحليلات والاستشراف المستقبلي، إلى درجة يمكن معها أن نقول: "إنّ الإعلام أصبح صناعة اقتصادية ثقيلة، ومدرسة اقتصادية ذات تعليم مستمرّ، فالذي يملك الإعلام يملك التحكم بالأسواق والإنتاج والثقافة العالية، التي تحول دون المخاطر المالية، وتبصر احتمالات المستقبل".

- الخاتمة: إنّ الإعلام أصبح دولة إعلامية واحدة، والدول الجغرافية أصبحت حارات في هذه الدولة ومن هنا ندرك لماذا كانت معجزة الرسالة المحمدية معجزة إعلامية بيانية مجردة عن ظروف الزمان والمكان وإنّ من البيان لسحراً، ومن الشعر لحكمة. وهنا نتدخل حلبة المغالبة الحضارية اللغوية، في موقع لغة الأمة لدى أهلها وعند غير أهلها، ولا تكون لنا الغلبة في هذه الحلبة للعربية إلاّ بقوة إعلامها الواعي والمؤثر بما به من مواصفات غلبة الإبداع اللغويّ في شتى مجالاته.

وهكذا تكون إمبراطورية اللغة العربية بما لها من إعلاميين مؤثرين مُضيفين بلغتهم وفي لغتهم، وأن تعضدهم
المجامع وكليات اللغة العربية بما ينتجون من أفكار بعيدة عن (قُلْ وَلَا تَقُلْ) أو (هذا ما قالت به الأوائل) أو
استعمال مسكوكات عفا عليها الزمان مثل "هذا من المقدّس الذي لا يُمسّ" أو تعقّب فتح/كسر همزة إنّ، أو
تعريب مُصطلح غربيّ شائع... وعليهم أن يعلموا بأنّ العربية ليس لها شرطة قُنع أو تغريم، بل لها سلطة
نهي/سلطة "قُلْ وَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ، وَإِنَّمَا احْتَرَزْ".

وإنّ الإعلام لا يحول دون تطوير العربية، بل يعمل على التنافس والمُدافعة اللغوية والحضارية الذي يفرد
لكلّ فنّ إعلاميّ وعلبيّ لغةً وأسلوباً ومُصطلحات. ويعني كلّ هذا أنّ لغة الإعلام مدرسة قادرة على تنمية
المهارات اللغوية عند المتلقي، ممّا يؤديّ إلى الارتقاء بالإعلام نفسه، والارتقاء باللغة العربية وبناء الثقافة
المُشتركة؛ ليصبح الإعلام بلغته العربية الفصيحة مدرسة مُساندة للعملية التعليمية والتربوية فَأَنْعِمْ بِهَا مِنْ لُغَةٍ
إعلاميّة! وَأَنْعِمْ بِهِ مِنْ إعلاميّ مائز!

فيفري 2024

التراث اللغوي والأدبي المخطوط لعلماء الجزائر ودوره في إثراء المعرفة*

الديباجة: إنها لمناسبة كبيرة أن نكون في هذه المدينة التي تكتنز أمّات المخطوطات بما لها من دورٍ علميٍّ وتراثيٍّ عامّةٍ وخاصّةٍ؛ حُرّفها جمعُ تراثنا الزّاهر، وبما لها من بَحْثَةٍ يعملون على تحقيق المخطوطات لمحاربة القطيعة مع ماضي الأجداد. دور علميٍّ نتواصل مع عيون تراثنا وروائعه بالجمع والدراسة، وتُقدّم للباحثين المادة لمواصلة الإبداع باستمراريةٍ مُتجددة، مع الالتزام بالإخلاص والتفاني في أعمال فرق البحث بُغية تحقيق التميّز في خدمة التراث والباحثين والدارسين؛ لتحقيق بيئة عمل احترافية تُثمن الأفكار والمواهب في جعل التراث والمخطوطات فناً أصيلاً وجاذباً من فنون المعرفة في مجال الدراسات التراثية والوثائق والمخطوطات محلياً وعالمياً. هي همّة الباحث في هذا الفضاء الواسع، وفي ولاية تندوف ذات 159،000 كلم² وهي تحمل في أعماقها التراث الأدبي والديني والعلمي النفيس، فأين نحن لاستخراج مكوّناتنا وجواهرنا لنعيد لمخطوطاتنا بهاءها، فهي مصدر ثقتنا وهويتنا الوطنية والتاريخية والعقدية والعلمية، ومصدر اعتزازٍ وافتخارٍ بما خلفه الآباء والأجداد من علوم وثقافات ومعارف وفنون.

1. قيمة التراث عند الأمم: إنّه رمز للهوية والخصوصية والمعرفة التي تناقلته الأجيال عبر أمكنة تشهد على تفاعلها عبر التاريخ، ويمثّل عصارة ضمير الأمة، ومرجعية ثابتة قوية بمثابة الجوهر الذي لا يمكن التخلّي عنه باعتباره جزءاً يشهد على شجرة تناسل العائلة. ولهذا يقع الاستثمار في هذا الرمز التاريخي عند كلّ الأمم وبخاصّة تلك الأمم المسلمة وهي من أكثر الأمم تعلقاً وارتباطاً وتواصلًا بالتراث، والذي يمثّل العامل الأقوى تأثيراً في مجرى حياتهم الدينية والثقافية والاجتماعية؛ بسبب ذلك الارتباط الفكري والديني الإسلامي المتصل بمرجعية الوحي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى علاقة هذا التراث بالحضارة التي نهض بها المسلمون في عبقريتها وابتكاراتها واكتشافاتها التي "استفادت وتعلّمت منها البشرية، بما في ذلك حضارة الغرب المعاصرة، بشهادة علماءها ومفكرها ومستشرقها... وهي العلوم التي أسهم المسلمون في ارتقاءها وتعريف العالم بها. وحسب قول المستشرق الألماني (جوزيف شاخت): لا يكاد يوجد شيء من جهود المسلمين في ميدان العلوم لم يتأثر به الغرب بطريق أو بآخر". إنها الحضارة الإنسانية التي قامت على أركان التراث العربي الإسلامي، بما للفكر العربي من مكانة في التاريخ القديم، وهو دائرة معارف من خلال مؤلفات علمائنا الكبار أمثال: ابن سينا+ ابن الأبار+ ابن رشد... وهكذا نرى القيمة المعرفية نابعة وقوية ومُستمرّة من علاقة التراث بالوحي، وارتباط ذلك بالحضارة الإنسانية. وأمام هذه القيمة، ونحن نعلم أنّ علماء حضرة (تندوف) أسهمت بعلمائها وقصورها في هذا المجال، في الماضي وفي الحاضر، ولها نشاط معرفي تراثي كبير، وما نشهده من هذه التّظاهرة يدخل في القيمة الحضارية لتراث المنطقة، وتشهد قبيلة (تجكانت) بمنابرها الدينية وبمُنجزاتها الثقافية

♥. كلمة أُلقيت بالملتقى الوطني الأول، تنظيم معهد اللغة والأدب العربي، فرقة الدراسات اللغوية والمخطوطات، المركز الجامعي (علي كافي) بتاريخ 4-5 فبراير 2024م.

والمعرفية؛ بفضل علمائها ومُريدي الطرق الصوفية ومخطوطاتها الكبيرة التي حافظت على الهوية العربية الإسلامية في هذه المنطقة العامرة. ولا يمكنني الاستفاضة في الموضوع أكثر؛ حيث يوجد العارفون بالمسألة ويدركون أهمية الثقافة بصفة عامة، وهي المعيار المهم لتجسيد الهوية في القاسم المشترك للذاكرة الجماعية والخيال الجمعي في تاريخ المنطقة التي حافظت على عدم الذوبان والاحتواء، فبقي تاريخها يشهد على تصديها لكل انتماء خارج الجزائر، وهذا ما جسّدته حركة الشيخ آمود وكلّ مقاومات الهوگار، وكتابات شيخ المؤرخين (سعد الله) وعلماء المنطقة من مثل العلامة الفقيه خطار ولد مولود الجنكي التندوفي، وعلماء الشباب من المعاصرين وهم كثر في هذا المركز الجامعي الذين لهم بصمات في البحث عن تراث المنطقة وثقافتها العالمة.

أيها الجمع الكريم، إنّها مدينة تندوف وقصورها العامرة بالزوايا والكتّاب، ولا يخلو قصر أو زاوية أو دار إلاّ والمكتبة الورقية تنال زاوية في المكان، وهي ملاءى بالتراث الذي يدعوننا أن نزيل عنه الغبار، ويصرخ أنفدوني من التراب والغبار وعوائد الزمان ومن التلف والأرضة، فأين كلامكم أيها الداعون للرقنة، ويا رجال المعلومات. صرخة نأمل أن تكون بمثابة وخز الضمير لنا -نحن البَحثة- ومن خلال هذا الملتقى (التراث اللغوي والأدبي المخطوط لعلماء الجزائر ودوره في إثراء المعرفة) وهو ما يوحي لنا سبل دفع البحث العلمي لمزيد من التحقيق في المجالين: اللغوي والأدبي المخطوط، وما له من دور في الثقافة العالمية. وكان هذا الاختيار في مستوى ما يجبرنا على خدمة القاسم المشترك من خزاننا التراثية، وهي من معالمنا الحضارية، فأنعّم بها من معالم! وكلّ هذا لا يشفع لنا في هذا التأخير في جمع المخطوطات الجزائرية التي تحطّ رحالها في الخارج، وفي محالنا لا تزال تعاني الضياع والحو والسرقعة، في ظلّ تباطؤ التحقيق وتوثيقها وتصنيفها ورقنتها، وجعلها في منصّات الذكاء الصناعي بنظام المسح الضوئي/OCR، وهذا ما حاول المجلس الأعلى للغة العربية بمعية المجلس الإسلامي الأعلى تجسيده في (معلّمة المخطوطات الجزائرية) بتشكيل مجموعة عمل مهمتها جرد وإحصاء وفهرسة المخطوطات؛ من أجل وضع منصة إلكترونية تفاعلية تكون في متناول الباحثين والمُحقّقين؛ بغية تقديم البحوث والدراسات العلمية من خلال المخطوطات الجزائرية الموجودة في الداخل في محالها وعند العائلات، والموزعة عبر العالم، إلاّ أنّ المشروع لم يتجاوز حدود بعض الجمع من المخطوطات، وكذلك بعض التصوير. لم يبلغ بُغيته لعوامل بيروقراطية، وهو يراوح مكانه منذ 2018م. وفي كلّ هذا لا يجب أن نكون مكتوفي الأيدي في التدخّل من أجل إجراء عمليات الفهرسة للخزائن الموجودة، أو تمكين الباحثين من الوصول إلى هذه الخزائن وإجراء عمليات (الكوديكولوجيا) في التحقيق، وفي تطبيق الذكاء الصناعي من خلال المنصّات التي تعمل بها اللغات الهندوأوروبية/UMEKA مثلاً، ولا مانع من تجسيد اتفاقيات مع دور عالمية لها الريادة في الفهرسة والحفاظ على المخطوط، وكذلك استرجاع تراثنا الذي يتوزّع في مكتبات العالم، على غرار مركز (جمعة الماجد). وإنّنا لصرخة عالية تنادي إلى تحصين وحماية تراثنا؛ بجمعه وفهرسته وتحقيقه، وجعله في حوامل إلكترونية حديثة تقرأه الآلة.

2- لماذا الاهتمام بتراثنا المخطوط؟: يجب العلم بأن تراثنا مشترك حضاري من صناعة الأجداد، وأن حمايته حماية لأنفسنا، ووفاء لعهد أجدادنا، وتطويراً للغتنا المشتركة (العربية الفصحى) ولا يوجد في لغة من اللغات تلك الوفرة من التراث المخطوط مثلها هو في العربية التي كُتِبَ بها التراث العالمي، وبخاصة في اللغات الأفريقية المحلية، وكذلك اللغات الشرقية، وكل اللغات الدينية. هو تراث إسلامي عربي ضخم وكبير لا يتوفر لآية أمة، وهو أحق أن نفتخر به بميزة مخطوطه الأطول عمراً، والأكثر عدداً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان علينا السعي لحماية تراثنا الجزائري، ونحن من البلاد التي تنوع فيها التراث الوثائقي المخطوط وتعددت مشاربه وخزائنه، كما تعددت المشاريع التي تسعى لحمايته. وما يجب تأكيده في هذا المجال أن المخطوط حق مشترك؛ وهو ذاكرتنا التاريخية؛ يشهد على اجتهاد علمائنا وأصالتنا الجزائرية، ومنه نستشف إسهامات شعوب المغرب الإسلامي، وبخاصة في العصر الوسيط الذي شهد حراكاً عاماً في مختلف المجالات العلمية والفكرية والاجتماعية والصوفية والشعرية، وجدير بنا أن نبعثه من مدفونه ومعهقه من خلال المخطوطات التي اشتهرت بها الدول التي سادت تلك الحقبة. إنه كنزنا ومكنزنا الكبير، ولا يجب أن يكون هذا في المزداد العلني لمن يدفع أكثر؛ لأنه جوهراً الذي تحتفظ به الزوايا في منطقة القبائل، وعند بني يزقن، وفي خزائن تندوف وأدرار وبشار وتمنراست، ومكتبة الهامل والديس وطولكة وسيدي خالد والبرواكية، وعند البعض من الأهالي العارفين بقيمة المخطوط، وبعض المكتبات العمومية. هو ميراثنا جميعاً، وما كان علينا التسامح مع مهربيه، أو السكوت عن استرداده من مكتبة الأسكوريال بمدريد، و(Aix-en-Provence) بفرنسا، ومن خزائن ومكتبات المغرب وفي دور تونسية، وفي تمبوكتو... وكما تقتضي الضرورة توعية مالكي المخطوطات في الحفاظ عليها، وتبيان أهميتها في تراثنا، وتوفير سبل الوصول إليها وتشجيع إنجاز البحوث في هذه المكنز، وبخاصة عملية التحقيق. وهناك مراكز ذات الصلة لها واجباتها تجاه المخطوطات، وعليها أداء مهامها بإتقان ليحصل النجاح الجماعي.

3- القيمة التراثية للمخطوط: هو تراث اجتماعي متنوع تجب المحافظة عليه؛ باعتباره من المحفوظات النادرة الحاملة للمعلومات، وأنه جزء من تاريخنا وتراثنا القديم، وفقدانها فقدان لإراثنا وهويتنا. وتراث الأمة ما له قيمة باقية من عادات وآداب وعلوم وفنون، وينتقل من جيل إلى جيل. هو التراث بأنواعه المادي واللامادي، هو تراثنا الجزائري الذي نجد فيه علوماً شتى، وباللغة العربية، وهذا ما يشهد على عمق تراثنا اللغوي والأدبي في المدارس والزوايا والكتائب، وغيرها من دور العلم. وهذا التراث تكمن قيمته المعنوية في بروز عدد كبير من العلماء الذين كان لهم إسهام كبير في حفظ التراث اللغوي والأدبي، وتعليم اللغة العربية وكان لهم امتداد في دول السهل وجنوب أفريقيا، وذلك ما جعل الإمام الشيخ (أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي) 909 هـ/1504م، ينال عمقه في تلك الدول بحمولات من مخطوطاته التي لا تزال تشهد عليها مكتبات (تمبوكتو) في مالي وفي بلاد النيجر وفي مداشر نيجيريا، وكما يشهد (طريق الملح) على تلك الحمولات على ظهور الجمال من مخطوطات جزائرية أفادت المستعربين الأفارقة في الدخول في الإسلام، وامتلاك ناصية العربية.

وهي قيمة علمية ومعنوية لها أثرها الكبير في دخول تراثنا عمق أفریقية وربما البعض منه أخذ طريق القرصنة في معناها العام. هي القيمة العلمية والدينية لتراثنا منذ الفتح الإسلامي وقد شد انتباه الأفرقة فاهتموا باللغة العربية وبتعلّمها وتعليمها فبرعوا فيها، وحاكوا العرب في علومهم الدينية واللغوية والأدبية، وأصبح هذا الموروث العلمي والثقافي والأدبي والروحي معروفاً باسم التراث العربي الإسلامي. ولكن هل هذا التراث الآن يسوق باسم تراثنا الجماعي، وتراث هذا البلد القارة، وهل فعلاً ينال أبعاده العلمية من خلال الخزائن التي يوجد فيها؟ وهل يتباهى المالكون به ويتسابقون في فتح الخزائن لمن يريد الوصول إليه بغرض الفهرسة والتحقيق؟ تلکم بعض الأسئلة التي نريد الإجابة عنها من خلال أمثال هذه اللقاءات التي تفتح الحوار مع كل الشركاء لجعل تراثنا اللغوي والأدبي والفقهي حياً بيننا، وسيبقى ذاكرة الأمة نبّله لأحفادنا لتحقيقه ودراسته والافتخار بمضامينه.

4- ضرورة التّماهي المعاصر مع الحوسبة: تقتضي الحياة المعاصرة التّعامل بصفر ورق، وهي سمة حضارية تسعى إلى السيطرة على الطبيعة الخضراء، والتقليل من تدمير الأشجار لصناعة الورق، أضف إلى ذلك أن هذا الكمّ الكبير من المخطوطات لا يمكن أن نسيطر عليه بالتقليدية اليدوية، ولا بتحقيق جهد شخص أو جماعات بل لا بدّ من الاستثمار في الآلات الجبّارة التي تُسهّل الكثير من المعطيات ذات العلاقة بقراءة/تحقيق المخطوط في تقديم بعض أشكال التحقيق على غرار: تعريف الأعلام/الأماكن/معلومات لغوية/مصادر ملحقه... وهذه حالة ما تكون مخزّنة في أوعية الذّكاء الاصطناعي والآلة تعمل على تسريع وتيرة التحقيق؛ وهي العملية الأصعب، ومن الضرورة تدخل الآلة في بعض المعطيات. ولهذا ندعو إلى:

1/4- ضرورة التّوجّه نحو الاستثمار في الذّكاء الصّناعي باستغلال الآلة الجبّارة/Data-Center في علاج آلي في حدود يتجاوز 90% من مجهود الإنسان اليدوي، وتبقى نسبة 10% وهي ضرورية للمراجعة والتدقيق والاستدراك، وإضافة بعض المعلومات التي لم تستطع الآلة الوصول إليه.

2/4- الانتقال بالمخطوط من التصوير/الرّقنة، إلى التّحوّل الرّقمي الذي يعمل البحث والقراءة في المسح الضوئي.

3/4- استغلال الحوسبة اللّغوية في المنصات والمجذولات التي تعمل على تحويل الصّورة إلى نظامين: PDF ثم إلى WORD.

4/4- تخزين أنظمة الذّكاء الصّناعي من مثل: المُشكّل الآليّ + المدقّق اللّغويّ + المُحلّل الصّرفيّ + المُحلّل النّحويّ + المُحوّل التّاريخيّ.

5/4- استغلال نظام المُجدولة/Excel في التّصنيف والتّرتيب وحذف الأوائل والدّواخل والأواخر ومُتعلّقات الكلمات، ومن ثمّ جدولتها في نظام يحذف التّكرار.

6/4- تغذية الآلة بأنواع الخطوط المشهورة التي كُتبت بها أكثر المخطوطات. ولا مانع من اكتشاف بعض الأمور التقنيّة التي يختصّ بها مخطوط دون غيره، وبخاصّة أن أنواع الخطوط تنوّعت في المخطوطات المغاربيّة

أضف إلى ذلك بعض الملحقات التي تأتي في الحواشي، وهي شروح ومكملات للمتن تحتاج إلى بحوث فردية وإلى مراجعات شخصية من المحقق.

7/4- قراءة الآلة للكتابة الحجرية، وهذه العملية ناجحة، وتحتاج فقط إلى بعض المراجعات البسيطة.

- الخاتمة: علينا الإقرار بأن تراثنا المخطوط غني وثري، وله حضور واسع في البحوث العلمية، وأن علماءنا أسهموا بقوة في انتشار العربية بمخطوطاتهم التي تعدّ بالآلاف، وهي ماثلة عبر القارات، وبخاصة قارة (اللغة العربية) أفريقيا التي تعلمت فيها العربية، كما تعلم الخط العربي في اللغات المحلية. وتشهد الحواضر العلمية بتلك المخطوطات التي حققت والتي تنتظر أن لها حضوراً في التراث الإسلامي عامة وفي التراث الإنساني خاصة. وهذا الكنز يحتاج أن يكون له حضور معاصر، وبآليات العصر نظراً لكثرتة وقوة باعه، ويحتاج إلى مؤسسات وفرق كبيرة، وإلى هبة جماعية ترصد لها الأموال الطائلة، والعمل على تخزينه في الآلة الحديثة (Datacenter) بمجدولة ذكية تقرأ المخطوط بكل حروفه، وتعمل فيه التحويل الرقمي. إنه الطريق الأقرب الذي يمكن السيطرة على تراثنا العملاق، فأنعم به من تراث عملاق! ومن خلال هذا الملتقى نطلب من المعنيين مزيداً من التنقيب عن تراثنا وجمعه، وتسهيل الوصول إليه والعمل على تعاقد جهود الأفراد مع المؤسسات للاستفادة منه والحفاظ عليه، وكذلك قراءته قراءة معاصرة وضرورة العمل على ترسيخ الوعي اللغوي والأدبي والوازع الديني بأن المخطوط إرثنا المشترك لا يخضع للبيع، بل نعمل على إحيائه بتسويقه بالتحقيق والدراسة والإضافة. وهي رسالة أجدادنا الذين كانت لهم الفتوحات العلمية عبر الزمان، فسادوا في جزيرة إيبريا وصقلية، وبلغوا بوردو والنمسا، وصدروا لغتنا وديننا إلى القوقاز وروسيا البيضاء وألبانيا والبوسنة والهرسك وطشقند وبخارى وبلاد فارس وتركيا، وكل آسيا كانت لهم أقدام بيضاء، وآثارهم تشهد في قصر الحمراء بشعار (لا غالب إلا الله) وكما تشهد مخطوطاتنا على حضورها في الهوية الموريسكية كما يقول الأكاديمي والمستعرب الإسباني (إغناطيوس غوتيريث دي تيران غوميث بينيتا) "إن هذه المخطوطات ما زالت كنزاً لم نكتشفه بالقدر الكافي وهي موزعة بين البلدان بينها المغرب وتونس. وبالمناسبة ربما تملك وتحتزن أكبر قدر من المخطوطات غير المعروفة، وأيضاً في تمبكتو وفي إسبانيا ودول شمال أفريقيا وأوروبا، وأيضاً في بلدان مثل مالي، وهي لا بد أن تقدم لنا معلومات قيمة جداً عن هذه الفترة المضطربة المجهولة إلى حد ما، وهي الفترة الممتدة بين بداية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، وتكون الهوية الموريسكية فيها، وكيف كان الموريسكيون ينظرون لمسائل ثقافية وحياتية واجتماعية كثيرة". ويبقى الأثر قائماً بتلك الأبيات الشاهدة على الأثر:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة * منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثها * والعلم أعظم شيء وهو رابعها

فهل لا نكون خير خلف لخير سلف، وعهدنا أن نكون، وبمقولة إن أحسن اللاحق فإن الفضل للسابق ولهذا لا بد أن نكون، وهكذا قالها (عبد الحميد بن باديس) ونعم الرجال هم، وأنتم تناسلتم منه، فنعم الباحثون أنتم، ونعم المخطوطات بما عندكم، ونعم الحضور أنتم.

لا رقنة المخطوطات دون التحوّل الرقّيّ ♥

- الدّياجّة: يتردّد الآن مُصطلح (رقنة المخطوطات) وهو حقيق بتاج تاريخ أجدادنا الكبير، تاريخ عظيم عظم صانعيه، فكانوا المبدعين في المحافظة على الذّاكرة بالكتابة بالوسائل التي أبدعوها: ورق + حبر + خطّ، وعلى محمولات ذلك الزّمان: سَعَف النّخل/العظام/الأحجار/الصّخور... وهي الوسائل الأولى البدائيّة التي نقلت لنا التّراث الذي نُسمّيه (المخطوطات). وتأتي التّقانة الحديثة بحواملها الإلكترونيّة الحديثة تُفيدنا في الحفظ الثّاني الرّقّيّ بما لها من سهولة حملٍ، وسُرّة كتابة، وسُرّة أداء، وسُهولة تحقّق، وإطلاع عن بُعد، وانتشار عبر القارات، وكلّها من فتوحات اللّسانيات الحاسوبيّة التي نقلت مخطوطاتنا من اللّوح إلى اللّويحة، فكانت أعجوبة هذا القرن في محاكاة ذكاء الإنسان في كثير من الحاجيات وقضاء الحاجات. إنّها وسائل تكنولوجيا العصر وتعمل من بين ما تعمل على الحفاظ على المخطوطات من التّلف والضياع وإتاحتها إلى أكبر عدد من المُستفيدين.

هو الاهتمام الذي بدأ يزهر في عالمنا اليوم؛ بظهور مُؤسّسات تدعو لإعادة الاعتبار للمخطوطات العربيّة لا سيّما في عصر تغلب عليه التّقنيات الرّقّيّة؛ مما أدّى بالكثير من الجامعات والمعاهد والمُؤسّسات والمجموعات إلى تبني مفهوم جديد لحماية المخطوطات من الزوال؛ يُسمّى (الرقنة) مُستعِينين في ذلك بالتّكنولوجيات الحديثة. ونرى هذه التّكنولوجيات تبدأ بالتّصوير/النّقش على CD، وهو الذي ألبس مُصطلح (رقنة المخطوطات) ولكن تلك البدايات لا بدّ منها، وهي القاعدة الضّروريّة للرقنة، وكان على المُختصّين التّفريق بين التّصوير/النّقش Graver والرقنة؛ ليتّضح القول المفيد:

الرقم	التصوير	الرقنة
1	تصوير فوتوغرافي / Mode Image	مَسَح آلي / Mode Texte
2	نظام تناظريّ / ديجيتال	نظام رقّيّ / تحويّل
3	نظام تصوير ميكروفيلم	قراءة محتوي الميكروفيلم
4	حفظ codicologie لمخطوط ما	دراسة العناصر الماديّة للمخطوط
5	استعمال أدوات العصر	استعمال الذّكاء الاصطناعي
6	إنجاز فهراس للمخطوطات	قراءة في الفهارس بمحرّك بحث
7	استعمال قاعدة بيانات فجّة وخادوم داخلي	تحويل البيانات إلى تشبيك عبر الخواديم الخارجيّة
8	استخدام حاسوب شخصي وعمل فردي	استخدام حواسيب، ويمكن أن يكون العمل جماعياً
9	استعمال الحاسوب	استعمال الأدوات الملحقّة بالتطبيقات
10	التصوير أرضيّة وصلت إلى الرقنة	الرقنة ليست التحوّل الرّقّيّ، وهي قاعدته

♥- الكلمة التي أُلقيت في المركز الجامعيّ (علي كافي) مُلتقى المخطوطات والرقنة، تنظيم معهد اللّغة العربيّة وآدابها بتاريخ 6-7 فيفري 2023، ولاية تندوف.

1- القيمة الرمزية والعلمية للمخطوطات: إنها التراث الزاخر والنفيس لما تكتنزه المكتبات والجامعات والزوايا والمكتبات الخاصة، ومليكات الأفراد، فهو ميراث السلف الذي يشكل الوجدان الجمعي المشترك من تلك الوثائق المكتوبة باليد/ الآلة البرازيلية/ الطباعة الحجرية/ الحاسوب لجيل مضى... غير أن بعض الباحثين يرون بأن (المخطوط) هو "الكتاب المخطوط باليد، سواء أكان على الورق أم الصحف أم البردي أم الجريد أم الخرف أم الزجاج، غير أن بعض الدارسين يشترطون فترة زمنية ليستحق أن يوصف بالمخطوط". والمهم كلها تحمل ذاكرة الأمة، من خلال المكتوب الحافظ على الحوادث المختلفة والتي تؤصل لمختلف فروع العلم القديم، وتحافظ عليه، وتكشف أسرارها، بالمحافظة على الهوية الوطنية والتاريخية والعقدية والعلمية، فهي مصدر اعتزاز وافتخار بما خلقه الأجداد للأحفاد من علوم وثقافات ومعارف وفنون. إنها كل ما تم خطه في شكل كتاب/ وثيقة/ شاهد قبر/ نقش على صخر/ زجاج، بالإضافة إلى المطبوعات القديمة والطبعات المتأخرة نسبياً والتي انقطع ذكرها.

إنها الفكر القديم للأجداد، وذاكرة الأمة وثقافتها وإبداعها، وهي المصدر القاعدي الأصل لشكل المكتوب الذي يحمل الورق، والخبر، والمداد والتذهيب، والتجليد، وكل ما دون من سماعات، وقراءات، وإجازات ومقابلات، ومطالعات، وتقييدات، وما يسجل في آخر الكتاب المخطوط من اسم النسخ، وتاريخ النسخ ومكانه، والنسخة المنقول عليها، وما على النسخة من أختام، وما شابه ذلك. إنها التراث الكنز الذي يوجد بقوة، ويتوزع في العالم؛ ففي مدينة إسطنبول وحدها 124 ألف من المخطوطات العربية، ولا نتحدث عما يوجد في: الجزائر ومصر والشام والعراق واليمن والمغرب ومالي والنيجر، وما في كل بلاد السهل وتونس والهند وإيران، وفي كل الدول الإسلامية بروسيا الكونفيدرالية، وفي الدول الإسلامية في روسيا الاتحاد السوفياتي وفي سائر المكتبات العالمية من مخطوطات عربية في مكتبات فرنسا وبريطانيا والكونغرس، والكثير منها تنتظر التحقيق.

وما يجب علمه أن المخطوط شقان: شق علمي دسم يقوم على تحقيقه المحققون لإخراجه في صورته المطبوعة وشق شاهد على العصر مثل: العمران والاحجار وهو مجال الأنثروبولوجية وعلم الخطاطة (الباليوغرافيا). إنها شواهد الماضي؛ ماضي السلف الصالح الذي ترك البصمات ظاهرة، ونظر إليها باعتبارها الماضي فقط ولكنها في الحقيقة هي الحاضر والمستقبل، وهنا تلعب التكنولوجيا والرقمنة دوراً مهماً في ذلك، بأن تستند إلى الاحتفاظ بالمخطوطات؛ وهو حفظ للحق الحضاري، والأحرى أن تعمل على تحيينه وتقديمه للقارئ في صورة يتناسب وواقع العصر.

2- أهمية رقمنة المخطوطات بالتحويل الرقمي: إن عملية الرقمنة مهمة للمكتبات المهمة بالمخطوطات في وقتنا الحاضر؛ حيث تسهل عمليات كثيرة كانت في الماضي شاقة، ويقوم بها الشخص باحتراف يدوي يتطلب الصبر والوقت والجهد المضي، بل يؤدي الأمر أحياناً إلى قضايا صحية تعيق العمل في التحقيق وحرفة الحفاظ على المخطوط، وما يصاحب ذلك من الفضاء الذي تأخذه المخطوطات. وأما في عالم اليوم، عالم الرقمنة فالعملية

سهلة؛ حيث تقوم المكتبات بأداء عملها في مجال المقتنيات ومصادر المعلومات وحفظها وتوصيلها إلى أكبر عدد ممكن من المستخدمين بيسر، أضف إلى عملية الحماية الحديثة بالوسيط الإلكتروني دون الحاجة للرجوع إلى المخطوط الأصلي إلا في حالات خاصة، وهذا يقلل من إمكانية تعريض المخطوطات النادرة للتلف أو الحرق أو الكوارث الطبيعية، كما ينتج عن ذلك الاقتصاد في الجهد والوقت.

حيث البيانات متوفرة وسهلة الوصول، بل متاحة للتنافس أمام المحققين. هي الرقمنة التي تنطلق بصورة التخزين البسيط على الأقراص المكتنزة/CD-ROMs، ومن ثم تأتي المراحل ذات العلاقة بالهندسة اللغوية التي يقوم بها الذكاء الاصطناعي الذي تُتيح البرمجيات الخاصة بقراءة المخطوط. ويجدر بنا ذكر المتطلبات التي بصرنا بها من خلال المهتمين برقمنة المخطوطات، وهي: تحديد مراحل التخطيط التي تسمح بإبراز الهدف المطلوب + إعداد المعدات والأجهزة الضرورية من: الحواسيب + الماسحات الضوئية الإلكترونية + الماسحات الضوئية المكتبية + الماسحات الضوئية الخاصة بالشفافيات + أجهزة التصوير الفوتوغرافي الرقمية + الماسحات الضوئية الخاصة بالمصغرات الفيلمية + أجهزة جبرة بكل الألوان وآخر ما يستعمل في البث الضوئي + الموارد المالية المساعدة على إتقان العمل وجودته وتسريعه + تسهيل العمليات الإدارية المالية + تحضير مختصين أكفاء في فقه اللغة/أهل المعلومات/المُساعدين والمعالجين التقنيين + المراقبة التقنية واللغوية الدقيقة + تحديد الجدول الزمني لإنتاج المخطوطات المرقنة + إنتاج التكشيف الآلي/الفهرسة الآلية وحفظها ووضعها في الشبكات المفتوحة + المتابعة والتقييم والتجريب والتحديث كلها تطلب الأمر ذلك.

3. المضايقات التقنية في رقمنة المخطوطات العربية: لا شك أن الرقمنة فتح كبير لكل مجالات العلوم واستفادت منها العربية أيما فائدة، بل عملت على استحداث برمجيات لم تكن في ما مضى في مخططاتها وتبقى هذه التقنية تحتاج إلى تطوير وتكييف لتحصل المطابقة على العربية. ويبقى المجال المهم في وقتنا بالتركيز على (رقمنة المخطوطات) باعتبار المخطوط هو الزاد العلمي والهوية الفكرية الحامل لمجدنا التليد؛ ويحتاج إلى المحافظة عليه والاستثمار في تقانات قراءة معاصرة لهذه المكنز. ويبدو لي أن رفع المضايقات العلمية في أول الأمر ضرورة من مثل الملكية الفكرية + تنوع المخطوط العربية + علامات الوقف التي لا توضع في مكانها، وبخاصة النقاط + الفاء التي تنطق قافاً + مشاكل الحواشي + الكتابة على الجوانب + الكتابة الأفقية/العمودية + المرافقات من: خرائط ورسومات وأشكال + الأزهار والألوان وبعض الرسومات... هذا من حيث الشكل، ومن حيث رفع المضايقات التقنية وهي الأصعب؛ حيث تتطلب قدرة الذكاء لقراءة المضمون، وتقانات الكتابة من اليمين لليسار + عدم استعمال علامات الوقف + غياب الشكل + نقص المحتوى الرقمي + غياب المحللات الصرفية والدلالية والمُعجمية والنحوية والمشكل الآلي والمدقق اللغوي. هي من الأفكار التي تكون محل معاناة في تخزين المحتوى الرقمي كي يلتجئ إليها في تحسين قراءة المخطوط، والعمل على التحوّل الرقمي.

4- ماذا يعني التحوّل الرقّي؟ إنه عملية تحويل المعلومات من شكل تناظريّ أو يدويّ إلى شكل رقّي يعني تحويل السجلات والأضابير المكتوبة بخط اليد إلى سجلات حوسبة، بإجراء تطبيقات تكنولوجيا على الورق في تصويرها وقراءتها بطرائق حديثة وحسب الطلب. وهذا بإجراء مجموعة واسعة من التقنيات بما في ذلك التطبيقات والبرامج، وقدرات الشبكات، والذكاء الاصطناعي، والتعلّم الآلي، والواقع المُدجج والافتراضي وتقنية الاستشعار، والتحليلات المُستندة إلى الفيديوها، والسحابة.

وبعض التقنيات التي يُتيحها الحاسوب في نظامه العام، ويضيف التحوّل الرقّي تعزيز إمكانيات مُنتجات البرامج التقليدية مثل Microsoft Office مقارنة بـ Office 365 في حين أنّ الحلول الأخرى قائمة على السحابة مثل محرر مُستندات Google وبرمجيات WORD وهي من مُدججات Excel وPowerPoint. وغايتنا هنا هي تلك التّرحيلات التي يقوم بها التحوّل الرقّي بعيداً عن الرّقنة، والانتقال من مسك السجلات الورقية إلى جمع البيانات الحوسبة، وإجراء عمليات الإدراك بتحليل مُتقدّم يشبه تفكير الإنسان، مع ما يصاحب ذلك من عمليات تفاعلية مُدعّمة بشبكة المعلومات خارج الخادوم الشخصي. ونراه السبيل الأمثل لتحويل المسح الضوئي المُشفر الجامد إلى عمليات وحروف يتدخل فيها الباحث/المحقق/المهندس بالإضافة والنقص.

علماً بأنّ التحوّل الرقّي له قابلية التنفيذ السريع على النصّ كاملاً بنقرة؛ حيث يجري عمليات البحث في كلّ الفهارس الموطّنة في ملحقاته، وفي غير الموطّنة حالة ما تكون الفهارس مُشبّكة. ولهذا ففوائد التحوّل الرقّي كبيرة وعظيمة بما يقدمه من معرفة وتيسير المهام، واقتراح تحليلات بعمليات أسرع وأكثر كفاءة وبخفض التكاليف مع السلامة والجودة والإنتاجية. فلا مفرّ من الأئمة التي يتيحها الجيل الجديد من الحواسيب الجبّارة التي نراها الآن مُستعملة في المدن الذكية، وفي عالم الطيران، وفي المصانع الذكية، وفي بناء ناطحات السحاب، وتسيير القطارات الفائقة السرعة، وإجراء العمليات الجراحية عن بعد، فهل يعجزها البحث في كيفية دفع التكنولوجيا الرقّية للتعرف على نوع الخطّ وتقديم البديل عنه وتحويله؟ وهذا تُتيحه السحابة في التحوّل الرقّي التي تلعب فيه الحوسبة السحابية دوراً قيماً في توفير الكثير من المرونة في قراءة المخطوطات بما لها من تشبيك العمليات وتبسيطها وسرعة البحث فيها، والخروج بالمطلوب حسب التخطيط والاستراتيجية الموضوعة في أرضية طلبات المنصة.

5. المخطوط العربيّ بين اللوح واللوحة: نظراً للخصائص التي كتبت بها المخطوطات العربية في عصر الحصر واللوّح والصمغ والتفنن في الكتابة، وكان ذلك دعامة كبرى للحضارة العربية الإسلامية لحفظ المأثور الفكريّ الذي أبدعه الإنسان المسلم عبر مسار تطوّره الحضاريّ المُعَدّق، والآن نرى المخطوطات تعيش نفوراً من قبل أهلها لما لها من صعوبات في فكّ شفراتها التي تعود إلى الزمن الماضي، ولكن لا بدّ من العمل على أداء الواجب الحضاريّ في تجميعها وتحقيقها ودراستها وتكييفها فهي جزء من وجودنا الشرعيّ والعلميّ، ونحن

نعيش زمن الرقمنة الذي ظهرت بواذر استغلال هذه التقنية من امتلاك وسائل الرقمنة التي تُعيد المخطوطات إلى جدول الأولويات.

إنّه زمن كسب التّحدّي في الزمن الرقميّ الذي تغلغل في شتّى جوانب الحياة، ولا بدّ من مُواجهة التّحدّيات لاستمرارنا في الحياة، واستمرار فكر أجدادنا وفنهم في الخطّ وجماليات رسم الحرف العربيّ كفنّ كُتبت به تلك الكتب الأثريّة في سياقها التاريخيّ وهي مرجعيّة عظيمة من بصمات الأجداد دون الحديث عن قيمتها الاجتماعيّة والثقافيّة، وما أحرانا أن نجعل الثّورة التّكنولوجيّة في خدمة تلك القطع النّادرة الفريدة التي لا تموت بما تعرفه من انتقال حديث من اللّوح إلى اللّويحة، فهما متكاملان وكلّ بعصره "لأنّ المخطوط هو شاهد فصيح عن حقبة زمنيّة لم تكن فيها التّكنولوجيا حاضرة بل لم يكن فيها حضور للكتاب المطبوع الأمر الذي يجعل من المخطوط شاهداً تاريخياً بامتياز فهو وعاء حامل للعلم، وهو شاهد بمادته ونساخته على مكان وزمان محدّدين، ولعلّ الجانب الحفريّ فيه أضخى موضوعاً لعلّ المخطوط الذي يستنطقه في كلّ مكانه الماديّ، أما التّكنولوجيا فهي عنصر مُكمل للمخطوط في ذاته". وهذه هي الثّورة التّكنولوجيّة التي أتاحت لنا الثّروة الفكريّة بالرّفاهيّة التّطوريّة من اليد إلى تقنيات الطّباعة بالنّطق. ولهذا إنّ نجاحنا لا يكون إلّا بالانتقال التّقاني إلى التّحول الرقميّ الذي يُحافظ على مخطوطاتنا ويعمل على فهرستها فهرسة مُعاصرة، ويقدمها للبحثه وللمُحقّقين في صورة أجمل وأسهل وأمتع، فإنعم بالتّكنولوجيا وبأهلها! ومع كلّ ما ذكرته أرى ضرورة اعتماد التّخطيط التّالي:

1/5- تحديث مشروع (معلّمة المخطوطات الجزائريّة) وكان مطروحاً من قبل: المجلس الأعلى للغة العربيّة+ المجلس الإسلاميّ الأعلى+ صندوق تملك لاستعمال وتطوير تكنولوجيات الإعلام والاتّصال وإعادة هيكلة طيف الذّبذبات السّلكيّة واللاسلكيّة. برعاية وزارة البريد والمُواصلات السّلكيّة واللاسلكيّة. وقد عرف المشروع بعض الخطوات في الإنجاز، ومنها:

1-1/5- وقع إعداد وثيقة المشروع من المجلسين: المجلس الأعلى للغة العربيّة+ المجلس الإسلاميّ الأعلى، في إطار المشاركة في العروض الوطنيّة حول المشاريع الوطنيّة التي أعلن عنها (صندوق تملك لاستعمال وتطوير تكنولوجيات الإعلام والاتّصال وإعادة هيكلة طيف الذّبذبات السّلكيّة واللاسلكيّة) وهو جهاز علميّ تابع لوزارة البريد والمُواصلات السّلكيّة واللاسلكيّة. وتمت الموافقة عليه من اللّجنة العلميّة.



2-1/5- وقع إمضاء عقد التمويل بتاريخ 18 ديسمبر 2018م. وقد أعدّ المجلسان المنصة التالية ذات الاثنین وثلاثین (32) مجالاً.

3-1/5- انطلقت أشغال اللجنة العلمية في أعمالها والمشكلة من ممثلي المجلسين، ووضعت سلسلة من التخطيطات ذات العلاقة بمجال الفهرسة.

2-1/5- الحصول على كم من المخطوطات الأصلية إهداءً من مالكيها، وتمّ تصويرها بعدد 2000 مخطوط. وتمّ إدراجها في المنصة.

3-1/5- تمت استعادة 4245 مخطوطاً مرقفاً من مركز جمعة الماجد بالإمارات العربية المتحدة، وأدجت في المنصة، وهي من المخطوطات الجزائرية.

4-1/5- وضع شبكة التعرف على هوية المخطوط بالترسيمة العالمية التالية:

المجلس الأعلى للغة العربية		المجلس الإسلامي الأعلى	
			
بطاقة المخطوط			
الولاية:.....	الدائرة:.....	البلدية:.....	
اسم الخزانة:.....		اسم المكتبة:.....	
اسم المُفهرس:.....		تاريخ الفهرسة:.....	
رقم المخطوط			
عنوان المخطوط			
المؤلف: اسمه الكامل (شهرته)، مولده ووفاته (التاريخ الهجري/الميلادي)			
موضوع المخطوط			
تاريخ النسخ			
النسخ: (شهرته، اسمه، مولده ووفاته)			
عدد الأوراق			
المقياس			
المسطرة			
بداية المخطوط			
نهاية المخطوط			
نوع الخط			
لون الحبر			
مكان وجود الأصل			
حالة المخطوط: وصف دقيق			
نوع الوعاء (ورق، جلد،...)			
ترقيم المخطوط			
الملاحظات	- هل توجد زخرفة في المخطوط؟ نعم لا - هل الكتابة على الورق؟ نعم لا - هل توجد تمليكات؟ نعم لا - هل توجد حواشي؟ نعم لا - هل توجد تعليقات العلماء؟ نعم لا		
ملاحظة: المُفهرس غير مُلزم بملء كلّ الخانات إذا تعذر عليه الأمر			
التوقيع			

3/4- تسريع مُتطلّبات الوسائل العاملة على الرّقنة عامّة، وما له علاقة بالتّحوّل الرّقمي، وقد أشرنا لها سابقاً.
4/4- بداية العمل على تخزين المعلومات ذات العلاقة بعلم المخطوطات، من مثل مدوّنات الأعلام حسب العصر الزمانيّة+ قواعد التّحقيق: جمع النّسخ+ ترتيب النّسخ+ وضع الحواشي+ وضع الفهارس المختلفة+ توثيق النّصوص نسبة ومادة+ توضيح النّصوص وضبطها+ مؤكّدات ذات العلاقة في اسم المخطوط+ اعتماد النّسخة الأصليّة (الأمّ)+ المقابلة بين النّسخ وإثبات الفروق+ اتّباع قواعد الرّسم المعروفة اليوم+ تثبيت المحلّلات اللّغويّة: صرفاً+ دلالة+ معجماً+ نحواً+ المشكّل الآلي... وهذا يقوم به أهل المعلومات من مادة أهل فقه اللّغة في تلك الأجهزة الجبّارة DATACENTER وتقوم بالتّحوّل الرّقمي؛ حيث تزول الرّقنة في المعالجة الآليّة للمحتوى.

5/4- الانتقال إلى التّحوّل الرّقمي: إذا صدقت النّيات أن نبدأ ونبادر، والطّريق تصنعه الاقدام، وكلّما تماهينا في التّقانة سوف نكتشف أشياء تحسينيّة، وفي ذات الوقت نكتشف أخطاءنا، والحاسوب سوف يُساعد على التّعرف على مصطلحات ولغة المخطوطات بفعل التّوظيف. ولا ننغلق على ذاتنا بل نفيد من رقنة فهرسة اللّغات الأجنبية ومن برمجياتها؛ وبخاصّة برمجية UMEKA وإلى جانب ذلك اعتماد المعيار الدولي والفهرس العربيّ الموحّد كي لا يقع التّكرار في الفهرسة.

6/4- استكناه التجارب العربيّة النّاجحة: ولا ننكر أنّ جهوداً معتبرة اعتمدت التّحوّل الرّقمي في نظام الحوسبة، واستطاعت تقديم الكثير من المنجزات، وكان مُنطلقها عدماً، ولكنها استطاعت إنجاز الكثير من مُتطلّبات المخطوطات، ولو أنّها كانت محلّية. على غرار هذه المكتبة الرّقمية التي تتيح التّنقل بسلاسة بين البيانات المحفوظة فيها، وتمكين إجراء بحث مُتقاطع بين قواعد البيانات/المجموعات، برابط مشترك يسهّل الوصول إلى استغلال بيانات خارجية، وهذا هو التّحوّل المطلوب الآتي، وليست الرّقنة، ولو أنّها ضروريّة.

7/4- غاية الأمر وفي هذا المجال، أنّ المكتبات/المؤسسات العازمة على رقنة المخطوطات أن تبذل جهودها في الحصول على المال الذي يفتح باب اقتناء الأجهزة الذّكيّة التي تعمل العلاج الدّقيق في المخطوط، مع ما يصاحب ذلك من برمجيات حسب الاختصاص، وبينها أهل الاختصاص بمادتهم العلميّة، ومن ذلك تسهيل عمليّات التّحقيق، وتكسب الوقت في الوصول إلى مخطوطات الآخرين، وتنقل المخطوطات العربيّة إلى الآخرين، وتلك هي الفائدة التي تأتي من الباحثين في مخطوطاتنا.

8/4- المتابعة والتّقويم والتّحديث، ومزید من إثراء قاعدة البيانات، وضرورة الانتماء إلى المجموعات في العالم ذات العلاقة لتبادل المنافع، وبخاصّة مكّتبات العالم ومجموعات الدّول الإسلاميّة التي تكتنز مخطوطات باللّغة العربيّة حول الحضارة العربيّة الإسلاميّة. وإليكم بعض النّماذج النّاجحة في قراءة المخطوطات عن طريق التّحوّل الرّقمي:

1- تجارب عربيّة ناجحة في وضع الفهارس:

- مركز ودود للفهارس وكتب التحقيق؛
- المكتبة الوقفية للكتب المصورة PDF؛
- فهارس مخطوطات مصر؛
- الفهرس الموحّد للمخطوطات الإيرانيّة؛
- فهرسة المخطوطات العربيّة - البوابة المعرفيّة - سورية؛
- فهرس المخطوطات العربيّة بدار الكتب المصريّة؛
- فهارس المخطوطات بمكتبات العالم؛
- ...

2- مؤسّسات المخطوطات:

- دليل المخطوطات الإسلاميّة على الشبكة؛
- مركز جمعة الماجد، دبي، الإمارات العربيّة المتّحدة؛
- مؤسّسة الفرقان للتّراث الإسلامي،
- مجموعات المخطوطات في تركيا ونشر فهارسها؛
- مجموعات المخطوطات والمحجريات، مؤسّسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات؛
- مركز المخطوطات، مكتبة الإسكندريّة؛
- معهد المخطوطات العربيّة، القاهرة؛
- مركز الحفاظ على التّراث المخطوط، ملحقة المركز الوطني للمخطوطات، تلمسان؛
- معهد المخطوطات الأكاديميّة للعلوم الوطنيّة الأذربيجانيّة؛
- ...

ونقدّم للقارئ صُورَ بوابات بعض هذه المكتبات/المؤسّسات التي تشغل في المخطوطات، وقد نجحت في تذليل الكثير من الصّعوبات، ونُعدها ناجحة لاعتمادها على التّحول الرّقّي:

- الخاتمة: لقد أعاب الباحثون علينا في بقائنا بعدم مجازاة الواقع المعاصر في بيانات مكتباتنا، وعدم الاهتمام بتراثنا المخطوط، ونحن نحتفي بشهر التراث، وبعض الدول تُخصّص وزارة بمُسمى (وزارة التراث والثقافة) وهذا لما للتراث من قيمة حضارية وهوية. ولكي نكون في واقعنا المعاصر لا بدّ من رقنة مخطوطاتنا بصناعة نظام رقمي قويّ وهو (التحول الرقمي) وهو الذي يستجيب لكلّ معطيات المخطوطات العربية بما لها من مضايقات تقنيّة، أضف إلى ذلك حجمها وكثرتها وخطوطها الكثيرة وفهارسها المتنوعة وهذا ليس بالأمر الصعب. فإذا تكامل المال مع الفكر، فسيُصنّع التحول الرقمي الخاص بالمخطوطات العربية بسهولة، وهذا ما جربناه في مشروع (المعجم التاريخي للغة العربية) الذي كان حلماً، ولكنه تذلّت كلّ الصعاب أمام منتجي الأفكار ومُشجعي أهل العلم والأفكار، وأصبح المشروع حقيقةً. ولا بدّ أن نقول مهما قدّمنا من مجهود فكريّ/تمويليّ لتاريخنا؛ فإننا لم نُقدّم شيئاً، فلولا هذا التراث لكنا عدماً. فهل تعجزنا المادة أمام منتج المادة، وعلينا أن نتعظّ ونعتبر من فعل الآخرين الذين ما كان لهم تراث، ولكنهم صنعوا الاحتفاء بالتراث فكان لهم انبعاث.

البصمة اللغوية ♥

- **الديباجة:** في إطار الاحتفائيات القارة التي يقيمها المجلس الأعلى للغة العربية، نظمنا هذا اللقاء العلمي بمناسبة عالمية تخص دعوة UNESCO إلى الاهتمام باللغة الأم وأنها سبيل الرقي، وهي جسر العبور نحو تعلم اللغات، ولا يمكن أن تحصل الرفاهية المشتركة إلا باللغة الأم، كما أن التنمية المستدامة لا تكون إلا بلغة مشتركة بين الأطراف الثلاثة: صاحب الحوكمة + الحكامة + الأيدي العاملة، وهذه الأطراف تجمعها لغة مشتركة (اللغة الأم) بما لها من حمولة لسانية وثقافية واحدة، وتوجهات سياسية مشتركة، وتخطيط تربوي متفق عليه هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ فإن دولتنا أقرت إجبارية الرقنة في كل المرافق العمومية، وأن تحصل ببصمة جزائرية وما تقتضيه التقانات الحديثة ومتطلبات البرمجيات والأتمتة، وبعض أشكال البيانات التي توجد في المواقع، ومقتضيات العولمة.

ويأتي دور المجلس الأعلى للغة العربية الذي يستثمر في الرقنة وهو ما يخوضه حالياً في مجال الحوسبة السحابية من تحول رقمي نحو تخزين المحتوى الرقمي باللغة العربية؛ وهي اللغة الأم. وهكذا يسعى المجلس إلى شراكة مع المحافظة السامية للرقنة بأن يكون للعربية الموقع المتقدم في المنصات والبرمجيات، وفي ملاحظة تطور تطبيقات الذكاء الصناعي/OCR. ولهذا أعلننا عن هذا الملتقى الخاص بالبصمة اللغوية، وبغرض الاستفادة من أفكار المختصين في مجال اللسانيات والمتخصصين في فقه اللغة، مع رجال المعلومات الذين يدعون في البرمجيات، وكل ما له علاقة بالتشبيك الآلي، ويكون للمجلس الموقع الافتراضي في هذا الفضاء الأزرق باللغة العربية، بكل ما يعرفه هذا الافتراض من: تخزين البيانات، وتحويل المعلومات، وانتقال البيانات، وقضاء الاحتياجات، وسرعة الإنجازات، وتحدي الرهانات، وتطوير اللغات، وهذا هو الرهان الذي نريد ربحه في استراتيجية الرقنة بخطة تمتد إلى آفاق 2030م، للعيش في عالم الـديجيتال، واقتصاد المعرفة والإسهام في توجيه المؤسسات الناشئة للاستثمار في العربية لصناعة الطائرات المسيّرة عن بعد، والإبداع في عالم الروبوتات، والتحكم في كثير من تواصلنا باستعمال الرقنة.

وهذه هي الرفاهية المنشودة التي يسعى المجلس الأعلى الوصول إليها في أنسنة هذا العلم، وجعله يخدم الإنسان المعاصر بما تكون له السيادة ليتحكم في الآلة، ولا يكون عبداً للآلة رغم ما تقدمه من أشياء إيجابية. ذلكم ما نريد أن نعرفه من تحليل المحاور التي تناولتها إشكالية الملتقى ولا شك أن منتجي الأفكار سوف يخلصون إلى تقديم الجديد في علاجهم لهذا الموضوع الذي يحتاج إلى الفهم الدقيق، واستكناه خباياه، ونحن أمام بحثة يُنتجون الأفكار التي نبنى عليها تخطيطاتنا لموقع لغتنا المشتركة اللغة العربية.

♥- الكلمة التي أقيمت بمناسبة اليوم العالمي للغة الأم، وموضوع الندوة حول (البصمة اللغوية لمستخدمي اللغة العربية في العالم الرقمي)

بتاريخ 21 فيفري 2024م.

1- مفهوم البصمة: لغةً: بَصَمَ يَبْصِمُ بطرف إصبعه، مصدره بَصْمًا. البَصْم: ما بين طرف الخنصر إلى طرف البنصر من الأصابع. البَصْم: ما بين الخنصر إلى طرف البنصر من الأصابع. البَصْمُ في الرجال = كثافة الجسم. البَصْمُ في الثياب = كثافة الغزل. البَصْمَا: نوع من الحلوى. البَصَمَات: بَصَمَات الأصابع، الجلد على راحتي اليدين. تُعَدُّ بَصْمَةُ الإبهام نوعاً من التوقيع أو الإمضاء والموافقة على وثيقة أو مُسْتَدَ بَصْمَ عليه من يجهل الكتابة، أو يُضطرُّ على البصم إذا طُلِبَ منه ذلك. الواحدة بَصْمَةٌ. ويعني دَمْعٌ وخَتَمٌ، كما يرتبط برسم الإصبع تتبع بَصْمَةِ السارق على الحاجيات التي وقع مَسَّها مثل الأبواب (تحديد هوية الجاني)، ويقال: بَصَمَ الشرطي المتهم، أخذ بَصْمَتَهُ... كما يرتبط المعنى برسم/طبع علامة على ورق/قماش. ويقال: وَضَعَ الصَّائغُ بَصْمَتَهُ على قماش مصنعه. بَصَمَ الموظف ساعة التحاقه بعمله. وهنا يتعلّق الأمر ببَصْمَةِ الإصبع على العموم... اصطلاحاً: تعني الأثر اللغوي والمعرفي والحضاري الذي يتركه الفرد من طريقة/أسلوب في الكلام/منهج ما... وكلّ ما يبقى بصمة يُعرف بها. كما أنّ للغة بَصْمَةَ (البصمة اللغوية) وتعني تلك الخصائص اللغوية/المعجمية/أسلوب الكتابة/طريقة الاستهلال/السبك اللغوي/الاختتام/اعتماد الصوت/اعتماد الشواهد... وكلّ ما يُشكّل الصورة المائزة لهوية الشخص اللغوية التي يُعرف بها على غرار ما يُعرف الإنسان ببصمة إصبعه. وعلى العموم؛ فإنّ اللغة بصمةٌ لسانية تكشف عن هوية الكاتب/الناطق، وهذا ما أبانت اللسانيات الحديثة في علم النفس وتحليل سلوكيات الأشخاص من خلال ألفاظهم وطريقة كتاباتهم، ودخل كلّ ذلك في مجال الحاسوب مع اللسانيات التطبيقية والبرامج الذكية ودخلت في مجال علم الدلالة والسميائيات بما في ذلك ما أصبح يُعرف بالبصمة اللغوية/البصمة اللسانية.

2- أهمية البصمة اللغوية: التعرّف على الأشخاص من خلال كلامهم/كتاباتهم/سلوكهم/تواصلهم... وهي صفة التمايز بين الأفراد، وهو علم حديث يدرس مادة في الأنثروبولوجية واللسانيات الجنائية واللسانيات القانونية ولسانيات الجريمة التي تتعلّق بطلبات الفدية، أو الاتصالات التهديدية، أو الرسائل الانتحارية ومُتعلّقات الرسائل الإلكترونية المكتوبة أو المسموعة، وعالم التعمية/الشفرة، ولغة الإشارة، والسرقات الإلكترونية والفكرية والتجارية، وقراءة الصفات الغذائية في العلب، ووصفات الأدوية... وهناك أبحاث بسيطة في هذا الميدان باللغة العربية، وتحتاج إلى مناهج وضوابط محدّدة، تكون منطلقاً لتفسير عدّة ظواهر في مختلف مناحي الحياة المعاصرة لما تعرفه من مخاض حركي في عالم كثير الحركة، وتكون رافداً للاهتمام بقضايا الشفرة اللسانية للتعرف على محتوى الكلام أو النمط حيث تكون هوية المتكلم ظاهرة من تسجيل الفيديو مثلاً، وهذا كلّ ليس من السهل تحقيقه أو التحكم فيه إلا بالتّماهي في الرّقنة. وهنا تكمن أهمية الاستثمار في اللغة العربية؛ باعتبار المجتمع الجزائري يتلاغى بها، وعن طريقها تحصل كلّ الاجراءات ذات العلاقة بالمتغيّرات، وكما يقال فإنّ المعرفة ليست تجميعاً للمعلومات فقط، بل هي التجربة البحثية التي تعلّمنا الكثير من ظواهر المجتمع وهو يعيش التّغيير المُستمرّ.

إنَّ البصمة اللغوية تحتاج إلى تحليل المحتوى/الخطاب اللغويّ الكتابي/المنطوق، الفصحى/العاميّ المحليّ/الأجنبيّ، تحت بند تجميع قاعدة بيانات نماذج للغة المكتوبة/المنطوقة مع ما يتبعها من رسائل وتصريحات وتعليقات، وكلّ ما يدخل في المركبات اللفظية، وتخزين كلّ ما يدخل في البصمة اللغوية التي تكشف المطلوب من البصمة من قياسات تستخدم في الوصول إلى الصواب من خلال الصوت/البصمة وهي الدليل القطعي الذي لا يمكن الطعن فيه عندما يقوم على الحجة والبرهان.

3- أهمية تحليل الخطاب اللساني: ونقرأ عن عامل التأثير الذي تركه اللغة في المستمع/القارئ، بما فيها من استدلالات منطقية/تضليلية/توجيهية تتطلبها المقامات والسياقات المرتبطة بها؛ حيث إنّ كلّ فرد يستخدم اللغات استخداماً مختلفاً، ويمكن تمييز هذا الفرق كتمييز بصمات الأصابع. ويمكن بناء البصمة اللغوية لشخص ما عن طريق التفاعلات اليومية للفرد، وترتبط بمجموعة متنوعة من سمات الشخصية بصفة عامة رغم بعض الاختلافات البينية التي لا يمكن تمييزها من خلال تحليل المحتوى. والذي يهمّ في المسألة أنّ اللغة لها بصمة تحملها من خلال ناطقها، ومن خلال مبدعيها، ومن خلال طريقة تأديها أو علاجها، فالكّل يجمع أنّ بصمة (العقاد) السردية، تختلف عن بصمة (طه حسين) في السهل الممتنع، وأنّ بصمة (البشير الإبراهيمي) من بصمة الفحولة اللغوية، تختلف عن شعرية (مفدي زكرياء)... ونأمل من باحثينا التعمّق في مناقشة عنوان الملتقى لما له من تداخل يجمع بين علم الإشارات + علم التعمية + علم الإجرام + علم الجوسسة + علم العلاج النفسي + علم الإكلينيك... وللبصمة اللغوية موقع في المنابر وفي الخطاب السياسي وفي أسلوب التّويم المغناطيسي للجمهور، وخطاب التّهييج والتّشوير.

4- البصمة الرقمية: ويقال لها الظل الرقبي، وهي مجموعة فريدة من الأنشطة الرقمية التي يمكن تتبعها والإجراءات والإسهامات والاتصالات التي تظهر على الشبكة أو الأجهزة الرقمية، وتكون نشطة ولكنها مجهولة في العادة، وهي في إمكانية تصفّح الويب/WEB أو وسائل التواصل الاجتماعي، ويمكن أن تأتي البصمة الرقمية من شخص/شركة. وهذا الأمر له إيجابيات وسلبيات؛ حيث يتدخل الهوكز/في التّضليل/التّشويش/تعطيل البيانات، وهو نوع من القرصنة التي يمكن أن تُستخدم ضدّ فرد/شركة في أمر الخصوصية. وما يجب علمه أنّ البصمة الرقمية ليست وثائق شخصية على غرار (بطاقة الهوية) بل هي خصوصية من نوع المعلومات المتعلقة بالبيانات، والمؤلفات وهي تعدّ بصمة الشخص الرقمية المخزنة في الحاسوب الشخصي، وأحياناً ليست في أمان وتعدّ مصدر قلق حالة ما يتدخل المستخدمون/المسوّقون للتعرّف على الخصوصية. كما يمكن للبصمة الرقمية أن تأتي بالمعلومات الشخصية بدون معرفة الأفراد فإنها تكشف أيضاً المجالات النفسية الخاصة للأفراد في المجال الاجتماعي. ومع ذلك لها الكثير من الإيجابيات من مثل تدفق المعلومات والبيانات والصّور المساعدة على إنجاز الأبحاث، وتقريب البعيد عن طريق خدمات الجوّال ييسر وسهولة. وهذا ما نراه من تلك المشاركات الإيجابية من أجهزة الاستشعار داخل الأجهزة وجمعها وتحليلها دون وعي المستخدم لمعلومات مفيدة، على غرار البصمة الرقمية في Facebook ولدى مستعملي SMS.

- الخاتمة: إننا في عالم البصمة الذي تؤثر فيه القوى العاملة، وهي التي تعمل على التوجيه، وبكلفة أقل وبسرعة كبيرة، وبلغات مُتقدّمة، فهل أعدّنا أرضية رقيّة لموقع العربية في هذا الصراع مع سبق اللغات في الرقنة، وكيف السبيل إلى تدارك الفجوة والشرح الكبير بين لغات الفضاء والتجارة والبنسة وعالم الاقتصاد والتجارة الدوليّة، وكيف يكون للعربية الموقع النطاقي لها بخصوصيات الكتابة من اليمين لليساار وعلامات الشكل، ومحرّكات البحث، وأتمتة المعلومات... إنه تفاعل من نوع وسائل التواصل الاجتماعي الذي يُرشّح فيه صاحب البصمة اللسانية والرقية والسيرة العلمية المنتجة، وما يبقى له من أثر وبصمة والصراع دول، فهل نكون أو لا نكون؟ وكيف نكون بلغتنا العربية الفصيحة التي نحتفي بها هذا اليوم باعتبارها اللغة الأم، ولا يكون لنا موقع في خريطة العالم إلّا بها، ولم يثبت أن أمة تقدّمت باللغة الأجنبية.

وأكتفي بهذا المقول، وأترك للبحثة والعلماء إغماس العربية في التكنولوجية لتجيب عن استعدادها للتطوير وتقديم الخدمات التقنيّة عندما يقع الاستثمار في المحتوى الرقي، وهذا هو الفقر الذي تُعانيه العربية في التقانات المعاصرة، ولكن ليس من ماء البحر الذي لا يُشرب، بل هي الحيلة والذكاء ومتابعة المستجدات فنقضي على الرهانات، وبخاصّة ونحن نقدم على الرقنة، وعلى أن نكون أرقاماً آفاق 2030، مع شريحة شخصية فيها الماضي والحاضر عن حاملها، وهي بصمة رقيّة إيجابية لا مفرّ منها، ولهذا كيف يقع الاستعداد لها من الآن بمُتوافقات القبول الطوعي بدل الفرض الإكراهي، ونحتاج إلى دراسات لإنشاء بصمة رقيّة جاذبة تجعل لنا موقعاً في بصمتنا الخاصة، مع سماحنا بقبول المنشور في حسابنا، وبذلك نترك الأثر (البصمة) نشطة في الشبكة حسب خصوصياتنا العامة، وحسب البصمة اللغوية.

استثمار تنمية الذكاء في ترقية اللغة العربية في قطاعي: التربية والتعليم العالي*

الديباجة: إنه لمن الأهمية بمكان أن يُطرح هذا الموضوع في الجامعة أمام المختصين لمزيد من ترتيب أمور التربية والتعليم بغرض التحسين والتطوير في منظومة التعليم، ويعلو الموضوع أكثر بحضور المعلمين الممارسين من الحضنة إلى المرحلة النهائية في الثانوية، وهم أصحاب التجربة الذين أكسبتهم عمليات بناء الطفل لغوياً. ولهذا تكمن أهمية هذا الموضوع في البحث عن صفات الاهتمام بتطوير اللغة لما لها من دور في فهم سائر العلوم وبدون التحكم في اللغة تبقى التعمية تسود، وتنهال منظومة التفكير، ويغيب المنطق، وتحصل السبلة اللغوية ومن ورائها تبلبل اللغات في الألسنة. وتفادياً للعمى اللغوي نرى الشعوب التي تسعى لتحقيق صفر أمية+ صفر فساد+ بناء مجتمعة المعرفة... تستثمر في مرحلة القاعدة ببناء المهارات الأربع: السماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة. وهي مهارات تعمل على تطوير الأداء اللغوي، مع ما يرافقها من: الرياضيات+ المنطق+ فلسفة اللغة.

1- مصطلحات ذات العلاقة: نشير باختصار إلى مداليل الكلمات التي يتطلبها الموضوع، وهي مفاتيح الاستثمار في منظومة التعليم بصفة عامة، وهي:

1/1- مفهوم الذكاء: يشمل القدرات العقلية المتعلقة بالقدرة على التحليل، والتخطيط، وحل المشاكل وبناء الاستنتاجات، وسرعة التصرف، كما يشمل القدرة على التفكير المجرد، وتنسيق الأفكار، والتقاط اللغات وسرعة التعلم، كما يتضمن أيضاً حسب بعض العلماء القدرة على الإحساس وإبداء المشاعر وفهم مشاعر الآخرين.

2/1- أنماط الذكاء: للذكاء تسعة أنماط أساسية: الذكاء اللغوي+ الذكاء الحسابي+ الذكاء المنطقي+ الذكاء الرياضي+ الذكاء المكاني+ الذكاء الجسمي الحركي+ الذكاء الموسيقي+ الذكاء الاجتماعي+ الذكاء الشخصي. وما يكتسبه التلميذ في المدرسة أكثر هو: الذكاء اللغوي+ الذكاء الحسابي المنطقي، ويعكسان مدى قدرة المتعلم التعبير عن نفسه بطلاقة، والعد في حل المشكلات الحسابية/الرياضية والاستدلال بالمنطق. وإن الذكاء اللغوي هو القاعدة الحاملة للرياضيات ومتطلبات المنطق، وعن طريق اللغة يكتسب كل أنماط الذكاء، وبها يعمل على تطوير ذكائه الجمعي.

2- آليات تنمية الذكاء اللغوي: يحصل ذلك عبر المدرسة، وهي الحضنة الأولى للمحاكاة اللغوية بشكل واسع، وعن طريق الأنداد، وتحصل تنمية الذكاء عبر الاستماع والقراءة والحوار والكتابة، وهي مهارات متعاضدة؛ إلا أن مهارة القراءة لها نسبة كبيرة من امتلاك عمليات اللغة. ولهذا يرى التربويون ضرورة تخصيص وقت للقراءة في المدرسة بشكل يومي، وتشجيع التلاميذ على القراءة الحرة والمشاركة في أنشطة القراءة الجماعية. كما يجب أن تكون مكتبة المدرسة غنية بالكتب المتنوعة المناسبة لأعمار التلاميذ، وأن تتوفر على الكتب

*- الكلمة التي أُلقيت في جامعة أم البواقي (العربي بن مهيدي) في الملتقى الوطني حول (استثمار تنمية الذكاء في ترقية اللغة العربية في قطاعي: التربية والتعليم العالي) تنظم (مخبر الدراسات الاستشرافية لحماية اللغوية والاجتماعية). بتاريخ 27 - 28 فيفري 2024م.

الإلكترونية المسموعة التي يُعتبر استخدامها من تقنيات القراءة الحديثة. وتعتبر الكتابة مهارة أساسية يجب تنميتها بتخصيص وقت يومي لها، وبإتاحة الفرص للتلاميذ للتعبير عن أنفسهم من خلال الكتابة الإبداعية، وتشجيعهم على كتابة أنواع مختلفة من النصوص مثل القصص والقصائد العالية. وتأتي مهارة الحوار بتشجيع التلاميذ على المشاركة في المناقشات والأنشطة داخل القسم والتحدث والتواصل مع بعضهم البعض، كما أن استخدام التقنيات مثل الألعاب والأنشطة التفاعلية ضروري لتعزيز مهارات التحدث لديهم. أما مهارة الاستماع فتتطلب تخصيص وقت لأنشطة الاستماع في المدرسة، كغيرها من المهارات، وذلك باستخدام تقنيات الاستماع مثل التسجيلات الصوتية والبث الضوئي/الفيديو. وعلى المعلم لفت انتباه التلاميذ للاستماع باهتمام بالغ، وربط مهارة الاستماع بمختلف المواد التي يدرسها التلميذ على وجه الخصوص، وهي ضرورة من ضرورات التبليغ وربط حاسة السمع بالبصر.

3- تنمية الذكاء اللغوي العربي: مَرَكَزَات لَتَرْسِيخ المَلَكَات وَتَثْبِيَت المَكْتَسَبَات: إضافة إلى هذه المهارات الأربع، فإن الأنشطة اللغوية ذات أثر كبير في نجاح عملية تنمية الذكاء اللغوي لدى التلاميذ، حيث يؤدي استخدام ألعاب الكلمات المتقاطعة والألغاز لتعزيز مهارات اللغة لديهم، مع مراعاة أن تكون هناك علاقة بين مختلف الأنشطة اللغوية والمواد التي تدرس للتلاميذ. وفي عصرنا تعتبر التطبيقات والبرامج التعليمية ذات فعالية كبرى لتعزيز مهارات اللغة، إذ إن الشبكة ذللت الصعاب أمام التلاميذ للبحث عن المعلومات وتبادل الأفكار، بل وأتاحت استخدام تقنيات الترجمة الآلية لتعلم اللغات. ومن هنا يجب العلم بأن الاستثمار في مرحلة القاعدة هو بناء الذكاء في المراحل التالية، فما تعلمه التلميذ في المدرسة هو الأساس الذي ينطلق منه ليوسع مداركه وينمي ملكته اللغوية في مراحل لاحقة، بما سوف تتوسع مداركه العقلية عبر التواصل المفتوح أكثر عندما يكون في الجامعة من خلال الاجتماعات واللقاءات والنوادي والحوارات وكل ما يتطلبه المسار الجامعي من مناقشات ومشاريع وتقديم أوراق بحثية في الملتقيات والأيام الدراسية... وكلها قيمة مضافة لمكتسبات قبلية احتفظ بها الطالب الذي كان تلميذا ذات وقت.

4- عامل اللغة: إن اللغة تشكل قوة ناعمة الوجوب في التواصل والممارسة البعيدة عن التعمية وفك الكثير من التشفير في قضايا الذكاء الاصطناعي؛ فهي الاستماع والتحدث، وهي النظام التواصلية لمختلف البيئات التعليمية التي تستجيب لاحتياجات المتعلمين العامة والخاصة، مع ما تحمله من تنظير وتطبيق يراعي المستويات والمكتسبات والحال ومقتضى الحال. هي اللغة وحدها التي توصل المعارف، هي فقط باب فهم كل المستغلق، ومجاريها وقواعدنا التي استنبطت من مسموع الخاص والعام، وعليها بُنيت معاجم اللغة. هي فقط التي تنمي الذكاء وصولاً إلى تحقيق نظرية الذكاءات المتعددة، التي جاءت ثمرة من ثمار العلوم المعرفية حسب هوارد غاردنر/Howard Gardner وهي "نظرة تعددية للعقل، تعترف بالعديد من الجوانب المختلفة والمفصلة للإدراك، وتعترف بأن الناس لديهم نقاط قوة معرفية مختلفة، وأساليب معرفية متناقضة. ومنذ ذلك الحين، أصبح المعلمون مهتمين جداً بتطبيق هذه النظرية باعتبارها وسيلة يمكنهم من خلالها تحسين التدريس

والتعلم بعدة طرق. وتمثل هذه النظرية مقارنة جديدة لطبيعة الذكاءات (Goodenough, 2000). "إنها اللغة هي وحدها التي تستخدم أنواعاً مختلفة من الذكاء، حيث تؤثر الفروق الفردية الناجمة عن العوامل البيولوجية والنفسية والثقافية على مجموعات المهارات والقدرات، وعلى التعلم أن يلبي على وجه التحديد التنوع الذي يميز التلاميذ؛ ليكونوا أكثر فعالية ضمن أندايمهم في المدرسة، وفي المحيط العام في سوق العمل.

5- الذكاء ليس موهبة: هناك عامل بيولوجي في هذا المجال، ولكن هناك تعزيز لجبال موت/ نمو الذكاء؛ فكلاً تعزز الذكاء ازداد ونما، ولا ينبغي اعتبار التلميذ الذي ليس قوياً في الرياضيات (غير ذكي) هذا التلميذ نفسه يمكن أن يكون ذكياً في غير الرياضيات، وكذا الأمر بالنسبة للجميع، حيث الذكاء ذكاءات متنوعة، وعلى المدرسة أن تكتشف ذكاء كل تلميذ حسب ميوله ومنطقه، وتعمل على نموه حتى يصبح ذكياً في الأداء. وهنا يظهر ذكاء المعلم في داخل الفصل كيف يعمل على تنمية موهبة الذكاء بصورة فردية وهو يكتشف تلاميذه من محاوراته ودروسه، ومن ذلك التفاعل اللغوي في الدروس، وتلك الاستجابة السريعة من التلاميذ في القراءة/ الكتابة/ التحدث/ الترجمة... وما يعلق بذلك من صور استخدام اللغة للتعبير عن المعاني المعقدة، وفهم معاني الكلمات وترتيبها للتفكير في استخدامنا للغة، وهذا الذكاء هو الكفاءة البشرية الأكثر انتشاراً، وهو واضح لدى الروائيين والشعراء والصحافيين والمُتحدثين. ولذا على المدرسة أن تعمل على تنمية الذكاء اللغوي، لما له من فوائد عديدة، في مراحل لاحقة، نشهدها في المرحلة الجامعية، وهي:

- "الفهم القرائي: من خلال تطوير الذكاء اللغوي، يكتسب الطلاب مهارات لتحسين قدرتهم على فهم النصوص وتحليل المعلومات المقدمة.

- مفردات موسعة: يساعد العمل باستخدام الذكاء اللفظي الطلاب على اكتساب مفردات أكثر ثراءً وتنوعاً، مما يعزز مهارات الاتصال لديهم، ويمكنهم التعبير عن أنفسهم بشكل أكثر دقة وملاءمة.
- التفكير النقدي: يساعد تحسين فهم القراءة ومهارات الاتصال بالطلاب على تطوير التفكير النقدي. ومن خلال تعلم تحليل المعلومات وتوليفها، يكتسبون المهارات اللازمة لصياغة الحجج المنطقية المميزة للتفكير التأملي.

- التحسن في المجالات الأكاديمية الأخرى: إن تطوير الذكاء اللغوي يؤثر بشكل إيجابي على المجالات والموضوعات الأكاديمية الأخرى، كالأدب والفلسفة والعلوم الاجتماعية وغيرها؛ لأن الطلاب يكتسبون القدرة على فهم وتحليل وإنشاء نصوص معقدة ذات طبيعة مختلفة.

- التواصل الفعال: يكتسب الطلاب مهارات التواصل بشكل واضح ومتماسك ومُقنع، شفهاً وكتابياً. وهكذا نرى المرحلة الجامعية نتعزز بطلاب أذكاء يعملون على إنتاج أفكار بما يُدعون فيه من مُزاولة نشاطاتهم في الجامعة؛ زيادة عن التفوق في الدروس، والأخرى بهم مُواصلة تنمية مواهبهم وتوريثها لأتباعهم في النشاط الجامعي من مثل:

1- إطلاق مبادرات تنافسية في الجامعة بمسمى (نم ذكاءك/ IQ أي Intelligence Quotient) من خلال مجموعات Startups التي يمكن أن تستثمر فيه، وكذلك بعض الحاضنات الجامعية في مرافقة المشاريع وهي التي تعمل على اكتشاف الأفكار الابتكارية، والعمل على تخطيط إنشاء المؤسسات الناشئة والعبرة نراها في نجاح (يسير/Yassir) للخدمات، و(مكين) في القراءة... وهناك الكثير من المبادرات نالت العالمية. ويقع التركيز على حاضنة تطوير اللغة العربية بوضع برمجيات في: المحللات الصرفية+ النحوية+ التشكيل الآلي+ المدقق النحوي+ الكاتب الصوتي+ القارئ الصوتي...

2- الإصرار على النجاح؛ بتطوير المبادرات، ولا تهتم نسبة النجاح في أول تقويم، بقدر ما يهم وضع تخطيط مكن يقبل التطوير، وهذه أول خطوات النجاح، وفي كل سنة يقع تنمية المبادرة بسد فراغاتها حتى الوصول إلى تحقيق النجاح 100%.

3- المبادرة لا تعني الخلق من العدم، بل مواصلة المبادرات الموجودة، والاستفادة منها، وتطويرها من أية لغة/ثقافة، والعجلة مصنوعة، وعلينا تطويرها، ولا مانع من الاستفادة من برمجيات أوروبية، وتكييفها وفق خصائص لغتنا وخصوصياتها، وهكذا الحضارة تأخذ من بعضها، وتواصل حيث توقفت الأولى.

4- المبادرة بتأسيس جائزة حول الذكاء الاصطناعي بخصوص (الألعاب اللغوية الإلكترونية) بغرض تنمية الذكاء؛ ليستجيب للمتطلبات التي يفرضها واقع الحال في خدمة حسن التواصل بالبدائل الحديثة. والعهد في هذا المجال يتعلق بالمؤسسات العاملة على تطوير اللغة العربية في تقديم أفضل تطبيق يستجيب لخصائص لغة اللغة العربية في كل مرافق الرقمنة، والتحول الرقمي، مع المحتوى الرقمي.

5- إنشاء نادي الكتاب الافتراضي: فهو يساعد الطلاب على تطوير التفكير النقدي، وتحسين قدرتهم على التعبير عن أفكارهم، وتعزيز مهارات الاتصال لديهم بشكل عام. وإحدى الأفكار الأولية لتنمية الذكاء اللغوي لدى الطلاب؛ من خلال وظيفة إنشاء المجموعات في تطبيق (Additio)، وفي هذا النادي نتعزز القراءة بما يتجاوز الكتاب التقليدي. ويمكن أن يشمل ذلك المقالات الصحافية، والمقالات العلمية، والسيرة الذاتية وكتب العلوم، وكتب التاريخ والشعر وما إلى ذلك. والجزء المثير للاهتمام هو تعريف الطلاب بأساليب وأنواع أدبية مختلفة. وبناءً على هذه القراءات، يمكن إنشاء أنواع مختلفة من الأنشطة التي تسمح بمناقشة القراءات ومشاركة وجهات النظر. وسيؤدي ذلك إلى تعزيز التفكير النقدي، والقدرة على التعبير عن النفس شفهيًا حول مواضيع مختلفة.

6- تحدي الكتابة: هي تعزيز تحديات الكتابة بين الطلاب بشكل دوري، حيث تقدم موضوعات مثيرة للاهتمام، ويدعى الطلاب إلى كتابة أنواع مختلفة من النصوص بناءً على تلك المواضيع، وما يتبع ذلك من فنون الخط ومُتعلقات الحبر، وهي صناعة عظيمة أجادها الأجداد، وزيد أن تحيا في الجامعة لتنتقل بسلاسة إلى الأحفاد.

7- التّباري في إنتاج البودكاسات/Podcasts: بثّ ضوئيّ مُعاصر، يُحفّز مهارات الاستماع والإبداع في الأداء بصفر خطأ، وعن طريق الصّوت والصّورة تأتي الكلمة العالية، من الهاتف النّقال بتطبيق/Additio لتقديم تعليقات للطلّاب حول أدائهم في كتابة النّصوص، وتقديم إرشادات حول نقاط قوّتهم ومجالات التّحسين، وتحصيل التّباري في استعمال اللّغة في مُختلف الميادين. هو بودكاست المدرسة/المُتوسّطة/الثّانويّة/الجامعة، والمهمّ أن يقع التّباري في مَنْ يُقدّم الأفضل. هو ذكاء تقائيّ حديث؛ يجمع بين مهارة القراءة والحوار والغرض منه أن يتضمّن مجموعة مُتنوّعة من المهامّ المُتعلّقة بتنميّة الذّكاء اللّغويّ.

8- تكوين مجموعات واتساب/Watsa pp: والغرض منها تعميم التّواصل عن طريق استعمال برمجيات تعمل على تنشيط الدّماغ، كما تتركك في حمام استعماليّ بغرض اكتشاف أشياء لم تكن في مبدأ الأمر.

6- هل هناك وصفة لتنميّة الذّكاء؟ لا توجد وصفة جاهزة بقدر ما توجد مبادرات ذاتيّة، وتحديات أعطت نتائج جيّدة في تنميّة الذّكاء، وتبدأ خلطات هذه الوصفية من التّحفيز الدّائم من الأهل؛ وهو أوّل دافع لتنميّة القدرات العقليّة، وما يتلوّه من تشجيع الأهل على مُداومة حبّ القراءة والاطلاع، كما يأتي الثّناء والمدح والتّحفيز من العوامل في بناء مهارات التّفكير العليا، وتأتي الألعاب اللّغويّة لتُعزّز قدرة التّفكير أكثر وبخاصّة ألعاب الشّطرنج، ومُشاهدة فيلم يُمكن للأهل أن يطلبوا من ابنهم إعادة سرد القصة، فهذا ينمي القدرة اللّغويّة والتّعبيريّة والخياليّة لديه. وفي هذه المرحلة الأولى ينبغي التركيز على تنميّة المهارات الرّقبيّة ليستوعب المفاهيم الرّياضيّة في المُحادثات، وضرورة فسح الأهل المجال للطفل لتجربة أشياء جديدة، والتّشجيع على تعلّم الموسيقى والرّسم، والسّباحة وألعاب الدّفاع عن النّفس، وزيارة المتاحف والتّمثيل والمعالم الثّقافيّة.

وفي المراحل التّاليّة لا بدّ من إدماج التّليّذ في مجال التّعليم بالأجهزة المحمولة، ويعني ذلك تحويل التّفكير ليشمل الذّكاء الاصطناعيّ في مُعالجة البحث في الثّورة التّكنولوجيّة لا سيّما من حيث الابتكار والمعرفة. وهنا يقع التركيز على مهارات الذّكاء الاصطناعيّ للشّباب في برامج التّدريب، بغرض تطوير تطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ المُبتكرة؛ من دورات تدريبيّة مُتعلّقة بالذّكاء الاصطناعيّ، وما له علاقة بتطبيقات الذّكاء الاصطناعيّ لأهداف التّنميّة المُستديّة، وهذا ما تسعى إليه بعض الشركات في تطوير قضايا الذّكاء الاصطناعيّ في ميدان التّربيّة والتّعليم من خلال مشاريع تطرحها مُؤسّسات: مايكروسوفت/Microsoft+ مجموعة وايدينغ/Group Win ding huards+ مجموعة تال التّعليميّة/Group Tele-education، وكَم يقع التّنافس العالميّ على تحسين منظومة التّعليم لما لها من آفاق السّعي للرّفاهيّة المُجتمعيّة. وهنا لا يجب أن نستصغر أنفسنا في هذا المجال، بل بكثير من الاهتمام، وبتعزيز العقليّة النّاميّة والمزيد من القراءة والمُمارسة المنتظمة للوقت بالبرمجة الدّقيقة، سوف تتحدّى الكثير من مُضايقات التّفكير، وتصل إلى سُبُل التّعامل مع الحياة والتّغلّب عليها، وإثبات القدرة والقُدوة، وذلك ما يميّزك عن الآخرين، وذلك هو نجاح تنميّة الذّكاء.

هو النّجاح في تنميّة القدرات، هو النّشاط المُطلوب ذهنيّاً، للمُحافظة على مُسايرة واقعك المُعاصر، بما لك من وسائل تطوير الذّهن بتحدّي حلّ الكلمات المُتقاطعة والألغاز+ تعلّم الموسيقى+ المُشاركة في مُختلف النّشاطات+

اختيار الرفاق الأكفاء... التحدي هو النجاح، ومجرد التّعود على التحدي، يجعل عقلك مُستعداً بشكل أفضل لمواجهة الشّدائد، ويجدّد المسارات العصبية الموجودة في دماغك، ويجعل اكتساب الذّكاء أسهل، هو ركوب التحدي في تعلّم لغة أجنبية، وذلك ما يقي دماغك من مرض النسيان.

- الخاتمة: إنّ الأدبيّات المتعلّقة بالذكاءات المتعدّدة، تُرينا أهميّة الاستثمار في المهارات اللّغويّة، وكذلك أهميّة المنهج المتعدّد الأبعاد للتّعليم، وهي أدبيّات تُسلّط الضّوء على عدد من الاعتبارات الرّئيسة المهمّة في مجال التّعليم والتّعلّم. لقد أثر الذّكاء وانعكاساته على التّعليم ومناهجه المختلفة، وظهر جليّاً في الاختلافات بين قرّنا الحالي والقرون السّابقة، ويمكن ملاحظتها بوضوح في الطّرائق التي تغيّرت بها وجهات نظرنا في التّفكير نتيجة للتّنوّع والاحتكاك والتّكنولوجيا والاتّجاهات الجديدة للعولمة؛ لذلك يجب أن يشمل التّعليم في مدارسنا وجامعاتنا مجموعة مُتنوّعة من الأساليب الحديثة؛ ليستجيب إلى أنماط التّعلّم المتعدّد للطلّاب، وإحدى الطّرائق المُعترف بها عالمياً لمُعالجة فقر الذّكاء. هي طرائق حديثة تعمل على دراسة إمكانيّات الذّكاءات المتعدّدة لتغيير طرائق تفكيرنا وعمليّات التّعلّم والتّعليم، وأنّ الذّكاء يتنمّى بتعزيزات قرائيّة ومنطقيّة وفلسفيّة، وليس من الصّعب تنمية الذّكاء عندما يقع الاستثمار في تلك الفئة الماهرة الذّكيّة التي تظهر بداية من مرحلة القاعدة.

مارس 2024

اللغة الأم ♥

- الدَّيَّاجَة: من الأيَّام العالِميَّة التي وضعتها (UNESCO) للاحتفاء به (اليوم العالِمي للغة الأم) ذلك التاريخ المرتبط بالانتفاضة البنغاليَّة في 21 فيفري 1952م، ضدَّ (مُحمَّد علي جناح) مؤسِّس باكستان بفرض لغة (الأوردو) على ساكنة (بنغلاديش) وهم القوَّة البشريَّة في البنغال الشرقيَّة، ويتحدَّثون البنغاليَّة لغة الفطرة. ولكن لم تحظ لغتهم بالاعتماد الرسمي لدى الدولة، وحصلت احتجاجات بمطالبة السلطات في إقرار لغتهم في التعليم وفي وسائل الإعلام وفي العملة وطوابع البريد وفي الحياة العامَّة... بما لها من مُقوِّم اللغة الرسميَّة وكونها اللغة الأم لأغلبية بشريَّة تستعملها في البنغال. ولما جاءت اليونسكو باسم الحقوق اللغويَّة أقرَّت تاريخ الاحتجاج البنغاليَّ يومًا عالميًّا للاحتفاء باللغة الأم، وترسم بتاريخ 17 نوفمبر 1999م. وصدرت في نصوص الاحتفاء بيانات واضحة بضرورة إقرار دعوة الأمم المتحدَّة كل الدول المنضويَّة فيها إلى الاهتمام باللغات الأم خوف الانقراض والهيمنة الأجنبية، وفي ذات الوقت يدعو البيان إلى إتقان اللغات الأجنبية شرط أن يمرَّ عبر اللغة الأم، وأنَّ التعليم لن ينجح إلَّا من خلال بوابة اللغة الأم، كما أنَّ التَّميَّة المُستديمة لا يُتصوَّر وجودها بغير اللغة الأم، وحين تغيب اللغة الأم يغدو ذلك إعلانًا عن انقراض التَّراث الإنسانيِّ والبشريِّ. كما يدعو البيان إلى الحفاظ على الاختلافات في الثقافات والتَّعدُّد في اللغات؛ بُغية تعزيز التَّسامح واحترام الآخرين، والتَّقارب بين الشعوب. كما ركَّز البيان على دور اللغة الأم في المدرسة وتلك اللغة التي يكثر استعمالها. ومع كلِّ هذا الإقرار الدولي، فإنَّ مُصطلح (اللغة الأم) لم يتحدَّد بشكل دقيق، وبقي يستعمل حسب الاجتهادات التي يراها الباحثون. والمُهم في الأمر أنَّ المحافظة على اللغة الأم أمرٌ لازمٌ لكلِّ مُجتمعٍ مهما اختلفت توجَّهاته، وتبقى الوظيفة اللغويَّة للغة تخضع لخصائص المُجمَّعات التي توجد فيها اللغة الأم (بِحُكم الغلبة) ولغة أم (بِحُكم المحليَّة/قِلَّة الغلبة البشريَّة). وهنا تكون الرَّمزيَّة الاعتباريَّة للغة الأم لما لها من غلبة، وما تحتكم إليه من عُرف ودين وانتقال وتعليم وعلم ومُستقبل، دون نكران مقام لغة أم التي لها وظائفها وتُحدِّدها السياسة اللغويَّة للأمم.

1- خلاصة البيان: في قراءة لكلمات البيان نفهم أنَّه عقد اجتماعيَّ عالميٍّ شبه مُلزم، أهابت بِمُحتواه الجمعية العامَّة للأمم المتحدَّة عبر وكالتها اليونسكو، بضرورة الاهتمام بحقوق الإنسان اللغويَّة بالمحافظة على لغات الشعوب الأصليَّة، وتنشيطها وتعزيزها، وتحفيز الحوار من أجل تطويرها، واتِّخاذ التدابير اللازمة لاستخدام اللغات الأصليَّة، والحفاظ عليها وتنشيطها والترويج لها في جميع أنحاء العالم. ويمكن استخلاص النُّقاط التَّالِيَّة:

1/1- اللغة الأم: كان ميلاد فكرة اللغة الأم من تلك المظاهرات المطالبة بالحقوق الثقافيَّة لشعب (البنغال) الذي رسم معالم الاستقلال السياسي للدولة المؤسَّسة على التَّميِّز اللغويِّ والثقافيِّ، ومُنذ ذلك الحين بدأ الاهتمام بالإصلاح الثقافي في رحاب مُنظَّمة الأمم المتحدَّة عبر مؤسَّستها الثقافيَّة اليونسكو، بشعارات الاهتمام بالسياسات اللغويَّة والتَّربويَّة تجاه اللغات المحليَّة.

1/2- اللغة الأم ركيزة الثقافة المشتركة، والتشجيع على المحافظة على جميع اللغات التي تستخدمها شعوب العالم وحمايتها.

1/3- اللغة الأم تُعطي المردود الإيجابي أكثر على صعيد التعليم والفكر، عندما يقع الاهتمام بها، وهي لا تحتاج إلى ترجمة المعاني والأفكار، ويحصل لها التطور السريع والانتقال نحو العِلْمية ومتابعة الجديد.

1/4- اللغات الأصلية رافد للهوية والثقافة ومركزة في التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات.

1/5- التعليم للجميع باللغة الأم صون للغات المهشة والمهددة بالزوال.

1/6- متابعة تجسيد البيان بإعلان سنة 2008، سنة دولية للغات؛ لتعزيز الوحدة في إطار التنوع وتعزيز التفاهم الدولي من تعدد اللغات والتعدد الثقافي.

1/7- تأسيس لشعارات الاهتمام باللغة الأم/لغة أم على غرار (التعليم المتعدد اللغات، ضرورة لتحقيق التحوّل المنشود في التعليم).

1/8- أبانت الكثير من الدراسات أنّ ترسيخ اللغة الأم تأتي من تعلّم الطفل لغته الأم في مرحلة القاعدة وهي أفضل وسيلة لتنمية المهارات الأربع: السّماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة.

1/9- أبانت بعض الدراسات في اللسانيات التربوية أنّه لا يُصبح تعليم اللغات الأجنبية في مرحلة القاعدة ولها بعض من المساوئ. ويقع التركيز على الإشباع اللغوي للغة الأم، فهي جسر تعلّم سهل للغات الأجنبية بحكم المنطق المشترك للغات.

وهكذا نرى هذا البيان العالمي أنّه يحثّ على أنّ اللغة الأم يتحدّث بها متحدّثون أصليون، مهما كانت رتبهم في المجتمع، وهي التي نطق بها/تعلمها الشخص أول مرّة، وتعبّر عن الهوية والخصوصية اللغوية وهي دعوة التّشبّث بالجذور.

2- تحديد مفهوم اللغة الأم: بالنظر إلى عدم تنصيص البيان في دقّة (اللغة الأم) فإنّ اجتهادات وآراء اختلفت في الدقّة ليتوضّح المصطلح. ولكن الاستخدام العام لمصطلح اللغة الأم لا يعني الحتمية أنّها اللغة التي يتعلّمها الصّبي من أمّه فحسب، بل يشير أيضاً إلى اللغة الغلبة/المهيمنة؛ أي ليس فقط اللغة الأولى وفقاً لوقت الاكتساب، ولكن الأول من حيث الأهمية وقدرة المتحدّث على إتقان جوانب اللغة التي تعلّمها وتواصل بها. ويرى اللسانيون أنّ اللغة الأم عليها أن تتوفر على مجموعة معتبرة من المحدّدات، وهي:

1/2- أن تحمل نسقاً ومنطقاً مُعبّراً عن لغة الفطرة، وهكذا نطق الأولون.

2/2- أن تكون لغة طبيعية لا اصطناع فيها.

3/2- أن تكون وطنية أصلية وتنقل من الأجداد، ولها صفة القدّم.

4/2- أن تحمل في ذاتها نسقاً واحداً من المشترك اللفظي والنحويّ المفهوم عند أهلها دون حاجة إلى وسيط/لغة أخرى.

5/2- أن تكون ذات حمولة لسانية وأدبية مُعتبرة، مكتوبة/شفاهية تنقل ثقافة السّابقين.

- 6/2- أن يحملها الرّمز الذي كُتبت به أوّل مرّة، وعُرفت به.
- 7/2- أن تكون لغة الدّستور وقوانين الدّولة، والخطاب الرّسميّ، ولغة الإعلام والإدارة، ورّمز السيّادة.
- 8/2- أن يكون لها الرّافد الأدبيّ المُعبّر عن أصالتها وقدمها.
- 9/2- أن تكون لغة الأعراف ومُقْتَضِيّات الدّين والغلبة البشريّة.
- 10/2- أن يكون لها الامتداد في الزّمان وفي المكان.
- 11/2- أن تقبل التّكيّف وفق المُستجدات بالمُحافظة على المُستويات اللّغويّة الأربعة: الصّوتي + الدّلالي + المعجمي + التّركيبي، مع إمكانيّة النّمُو وفق الاجتهاد الذي لا يفصلها عن الأصل.
- 12/2- اللّغة الأمّ تميل إلى الثّبات، فهي قليلة التّغيير، وإن حصل فهو بطيء.
- وهنا لا بدّ من توضيحات في هذه المُحدّدات، وهي:
- لا تعني (اللّغة الأمّ) ضرورة نسبتها إلى الأمّ البيولوجيّة، بل تُنسب للأمّ باعتبار الصّبي يسمّع أمّه وهي تكلمه أو تنوّمه بهدّياتها أوّل مرّة، ونُسبت للأمّ لكثرة مُلازمة الصّبيان في مرحلة التّربيّة. وفي وقتنا هناك المُربيّات اللّائِي لا يستعملن اللّغة الأمّ بتاتاً، ويصبح الصّبي يُحاكي لغة الأمّ غير البيولوجيّة.
- يمكن أن يكون في بلد واحد أكثر من (اللّغة الأمّ) وعادة لا يتجاوز العدد اثنتين (2) إلّا في الدّول الكونفدراليّة، فلها أكثر من لغة وطنيّة ورسميّة، أو تلك الدّول التي تخضع لنظام الجمهوريات.
- النّظام الكونفدرالي/الجمهوريات، تخضع كلّ لغة إلى خصوصيات الجهة، وتبقى لغة الغلبة هي الأكثر هيمنة.
- يمكن أن يكون في البلد الواحد لغة وطنيّة ورسميّة، وفي جهة من ذات البلد تكون لغة جهويّة، وتبقى الغلبة طاغيّة للرّسميّة، رغم الاستعمال المحلّي للغة للمحلّيّة.
- ليس من الضّروريّ أن تجتمع في (اللّغة الأمّ) كلّ هذه المُحدّدات، ولكن الأغليّة ضروريّة؛
- أيّة لغة لا تستوفي الكثير من هذه المُحدّدات، فهي (لغة أمّ). وينظر لها من منظور: لغة محلّيّة/جهويّة/لغة مجموعة/لغة إثنيّة/لغة وطنيّة ثانية/لغة أقلّيّة/لغة أجنبيّة/لغة دخيل/لغة جهة/لغة قضاء المصالح المُرسلة/لغة وطنيّة/لهجة...
- هنا يظهر الفرق اللّغويّ بين اللّغة الأمّ/Maternelle، ولغة أمّ/Langue Maternelle/Langue de la mère. ولغة أمّ تعني هنا لغة المنشأ، وهي لغة ضيق في حدودها واستعمالها ونقصان بعض مُحدّداتها، ولا يعني أنّها ليست لغة وطنيّة أصيلة. كما ينظر إليها اللّسانيّون من منظور فقه اللّغة بأنّ (اللّغة الأمّ) بالصفة والموصوف أعمّ من (لغة أمّ) بالإضافة، والأولى أقوى، والثّانية أضعف. وهنا تغتم اليونسكو مناسبة اليوم العالميّ/الدّوليّ للّغة الأمّ، دعوة البلدان إلى انتهاز سياسة التّعليم المُتعدّد اللّغات. إذ تنصح المنظّمة باعتماد اللّغة الأمّ في تعليم الأطفال إبّان السّنات الأولى من دراستهم، وذلك مع إمكانيّة دمجها مع لغة التّدرّس الرّسميّة في نهج يُعرف بِمُسمّى التّعليم المُتعدّد اللّغات.

3- مزايا اللغة الأم: إنّ اللغة "نظام اتصال يتألف من مجموعة من الأصوات والرموز المكتوبة التي يستخدمها سكان بلد أو منطقة معينة في الكلام أو الكتابة... وتُعرف اللغة الأم بأنها اللغة الأولى التي يتعرض لها الطفل منذ ولادته. فهي في الواقع اللغة التي يتكلم بها الطفل قبل أن يبدأ في فهم الكلمات. وهي تشير أيضاً إلى اللغة الأصلية للشخص أو لغته الأم. إنّها اللغة السائدة التي تُحدد في الواقع أفكار الشخص". ولهذا تتحمل الأم الجزء الكبير من انتقال اللغة الأم/لغة أم إلى الأولاد والأحفاد، فالحرص على الاستعمال جزء مهم في ترسيخ الخارج، وامتلاك الأمثال والمسكوكات التي تنتقل بالفطرة عبر السماع من الأم المثالية؛ باعتبارها المنبع الأصيل والفصيح للغة الأصلية. وهكذا تكتسب اللغة الأم بالفطرة من الأم البيولوجية، أو من أول لغة يتعلّمها، وعند ذلك يكون له لغتان (2) أم، وهذا طبيعي جداً، ولكن سوف يتحدد بعد ذلك تراتب بينهما بحسب الوظيفة والمقام والعلمية. إنّ اللغة الأم هي اللغة المشتركة، ومن لغة الألفة في المجتمعات (لغة الانقباض + لغة الأنس) وإنّ اختلاف اللغة في جماعة كثيراً ما يسبب خلافات ونزاعات وحروباً، ويؤدي إلى تعدد الهويات.

4- مصطلحات مترادفة في اللغة الأم: هي مصطلحات مُتقاربة تخدم كلّها معاني ذات العلاقة باللغة ودلالاتها بوصفها تأتي من الأم البيولوجية على العموم، دون مراعاة التفريق بين المصطلحات، ونقرأ أمثال هذه المصطلحات: اللغة الأم + لغة أمي + اللغة الأولى + لغة المجموعة العرقية + اللغة الوطنية + اللغة المحلية + لغة المنشأ + لغة المحيط + لغة المربية + لغة الأب + لغة البيت + اللغة الشريانية + لغة مسقط الرأس + لغة الأمومة + اللغة الأصل + لغة المدرسة + اللغة الرسمية + لغة المجتمع + لغة الناطق المثالي... كما نالت هذه اللغات ألقاباً افتخارية بهذه المناسبة من مثل: اللغة الرسمية + اللغة القياسية + اللغة المعيارية + لغة الهوية + اللغة الجامعة + لغة الدين + لغة الأصالة + لغة الأجداد + لغة الماضي + لغة الحاضر + اللغة القومية + لغة المستقبل + اللغة الشائعة + لغة الإسبرنتو + لغة الهيمنة... وترتبت عنها مصطلحات: الثنائية اللغوية + الازدواجية اللغوية + التعدد اللغوي + اللغة الأجنبية + لغات الهامش + اللغة الإثنية... وكلّها تستخدم في هذا اليوم العالمي دون تحديد الفروق الدقيقة، وهي مجال اللسانيين الذين نروم منهم المزيد من وضع النقاط على الحروف في تسمية الشيء حسب المعطيات اللغوية، وحسب تلك الأبحاث الجادة التي فصلت في موضوع (اللغة الأم).

5- حالة الجزائر من حيث اللغة الأم ولغة أم: توضّحت المسألة من تلك المحدّدات التي قال بها اللسانيون بأنّ العربية من بابها الكبير هي (اللغة الأم) ولسنا بحاجة إلى لي عنق المصطلح، والتّماهي في تلك التفسيرات التي ترى أنّ العربية ليست (اللغة الأم) أو من يطرحون السؤال الكبير، هل العربية (اللغة الأم) للجزائريين؟ وخير إجابة مختصرة هي: إنّها من بين أقدم اللغات، ولغة لم تنقرض، ولغة عروية حامية سامية، ولغة لم تتشكّلت ولغة موحّدة، وأقدم لغة بالنسبة للعرب والمسلمين، ولغة جاذبة، ولغة المدرسة والإعلام والإدارة، ولغة الخطاب الرسمي، ولغة غنية بالجمال الصوتي والدلالي والمُعجمي والنحوي والكلاسي، ولغة مُميزة لناطقها الذين يتجاوزون حالياً المليارين (2) وستة (6) ملايين، ولغة الفطرة في العصر الجاهلي، ولغة كُتبت بها كلّ الديانات

السَّماويَّة، ولغة أعطت لكلِّ اللُّغات أكثر ممَّا أخذت، ولغة دينيَّة، ولغة الحضارة الشَّرقيَّة، ولغة أمِّ اللُّغات الشَّرقيَّة، ولغة لم تنقرض على غرار اللُّغات التي كانت قبلها واندثرت، ولغة يمتدُّ ماضيها في حاضرها، ولغة أدبيَّة شعريَّة بروائعها، ولغة لها مُواصفات لا تجتمع إلَّا فيها، ومن أعظم لغات العالم... وكيف لا تكون لغة أمِّ؟ ونرى كلَّ المُواصفات ثابتة، بل هناك مُواصفات في العربيَّة تؤكِّد أُموميَّتها الصَّحيحة ولم تقع الإشارة إليها. وعلى العموم، ومن باب إزالة اللبس عن قضايا كانت فيه التَّعميَّة قويَّة، ولكن البحث اللِّسانيَّ المعاصر أزال الكثير من الغموض بخصوص مفهوم اللُّغة واللهجة واللُّغة المحليَّة... وما أريد أن أقف عنده بأنَّ كلَّ اللُّغات لها مَراحل من التَّوَلَّد الصَّبي؛ حيث يرى بعض الباحثين بأنَّ الصَّبي لا يستعمل العربيَّة اللُّغة الأمِّ، ولكنه يستعمل الدَّارجة فهي اللُّغة الأمِّ. وأما العربيَّة الفصيحة فهي لغة المدرسة واصطناعيَّة ولغة ثانية بالنسبة للمُستعمل الجزائريَّ مَهْمَا كانت لغة المنشأ. وفي الحقيقة أنَّهم يجهلون بأنَّ أيَّة لغة تنمى عبر الاستعمال، وأنَّ الصَّبي الذي يسمَع أمَّهُ تُربيّه باستعمال مقاطع بسيطة مثل: نَني = أَنام. نَهَمِي = نَأْكُل. دَدِي = أَلَم = طِيطَة/عَنَعَن = سَيَّارَة. بابَّا = الخبز. أَسِي = أَسْكُت = عُوْعُو = أَشْرَب. دَادَاش = أَمَشِي. كَاكا = وَسَخ... هي ذات اللُّغة التي تنو في عبارات أخرى مثل:

نموذج 01:

نَني	نَني	يا	بَشَة	**	واش	نَدِيرُو	للعشا؟
أنديرو	الجاري	بالدبشة	**	ولا	نَعْمَة	بالكرشة	
	ويجي	بابا	يَتَعَشَى				

نموذج 02:

نَني	نَني	يا	بَشَة	**	واش	نَدِيرُو	للعشا؟
ويعطينا	دُورُو	دُورُو	**	نَشْرُو	كَبَش	بقرونو	

نموذج 03:

نَني	نَني	جاك	النوم	**	أَمَكْ	فُمرَة	وَبُوكْ	نُجُومْ
	نَني	نَني	يَجْعَلْ	نُومك	مَتَني			

نموذج 04:

نَني	نَني	جَاكْ	نَعَّاسْ	**	أَمَكْ	فَضَهْ	وَبُوكْ	نُحَّاسْ
نَني	نَني	جَاكْ	النوم	**	يا	خَلِيزْ	بُو	قَرَعُونْ

نموذج 05:

نَني	نَني	أَذِيْبْ	**	أَمَكْ	هَرَبْتْ	عند	الشَّيبْ
خَلَاتْ	الكسرة	أَطِيْبْ	**	والبقراتْ	بلا	حليبْ	

نِنِّي نِنِّي يَا لَحِيْب * تَكْبُرُ وتولي طبيب
وهي ذات اللّغة التي يتعلّمها في المدرسة بأن نجد نصّاً في نشيد المحفوظات يقول:

حَبِيبِي بِهِجَةً الدُّنْيَا * وَنُورَ الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ
كَأَنِّي حِينَ تَلَقَّانِي * مَلَكَتُ السَّعْدَ فِي الْكَوْنِ

♦ ♦ ♦

أَبِي يَا أَجْمَلَ الْكَلِمَاتِ * أَعْذَبَهَا عَلَى قَلْبِي
بِحِضْنِكَ جَنَّةُ الدُّنْيَا * بِقَلْبِكَ مَنِّعَ الْحَبِّ

♦ ♦ ♦

حَبِيبِي أَنْتَ بُشْرَايَ * فَإِنَّكَ عُمْرِي الثَّانِي
سَاحِيَا فِيكَ يَا وَلَدِي * بِذِكْرِي أَنْتَ عُنْوَانِي

♦ ♦ ♦

أَبِي عَلَّمَتْنِي أَحْيَا * مُحِبَّ اللَّهِ وَالنَّاسِ
فَأَبْشُرْ يَا أَبِي خَيْرًا * خُبَّ الْخَيْرِ نَبْرَاسِي

♦ ♦ ♦

بَنِي بَوَسْطِكُمْ أَحْيَا * قَرِيرَ الْعَيْنِ مُرْتَا حَا
بِحَبِّكُمْ وَجَمْعَكُمْ * يَصِيرُ الْهَمُّ أَفْرَا حَا

♦ ♦ ♦

أَبِي أَمْنِيَّتِي أَعْدُو * عَلَى الْآيَّامِ كَيَّ أَكْبَرُ
فَأُخَوِّعُ عَنْكَ مَا قَاسَيْتَ * أَغْدُو عَوْنَكَ الْأَجْدَرُ

♦ ♦ ♦

بَنِي وَصِيَّتِي كُونُوا * لِكُلِّ النَّاسِ أَعْوَانَا
فِيدْعُوا مَنْ يَلَاقِيكُمْ * لِمَنْ رَبِّي وَمَنْ صَانَا

ومن مثل هذه النصوص تعلو مقامات العربية الفصيحة في نصوص مُفدي زكريا، وإعلام إبراهيم أبو اليقظان، وفي رواية الحمار الذهبي، وفي لغة البشير الإبراهيمي، ولغة العقاد، وطه حسين، والمعلقات العشر والقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وهي العربية التي كانت في أصلها مقاطع تنامت عبر عمر الصبي الذي أصبح يعي (اللغة الأم) العربية في أعلى تجلياتها، ويفهم بها العلوم ويشقّر كل المطلوب.

وَأين تُصنّف الدّوارج والمازيغيات؟ استناداً إلى التّحديد اللّسانيّ، نرى بأنّ الدّوارج ليست من (اللّغة الأمّ) فهي (لغات أمّ) نظراً لمقامها الدّارج والمتغيّر، والدّارجة = دوارج. وهي محدودة في كلّ شيء، وفي كلّ حيّ دارجة. وأما (المازيغيّة) فهي لغة وطنية ورسميّة، وفي ذاتها (مازيغيات) وفي عالم اليوم تتوزع على أربعة عشر (14) بلداً، وكلّ بلد له مازيغياته، وذات الشيء في الجزائر، هناك مازيغيات: قبائليّة + شاويّة + شلحيّة +

ترقية + ميزابية + بدوية + جبلية + نفوسية + باجية + سنوسية + شنوية + صحراوية... ولا يقع التفاهم بينها إلا بلغة وسيط، بله الحديث عن مازيغية التوبة وجزر الكاري وبوركينافاسو ودول السهل وموريتانيا... ومع ذلك فالمازيغيات من (لغات أم) ولما يقع التوحيد في مازيغية واحدة يقع الانتقال إلى مصطلح (اللغة الأم). وذات الشيء بالنسبة للعربية التي تتوزع حالياً في ثلاثة وستين (63) بلداً، ولكن هناك لغة واحدة تسمى العربية الفصحى، وهي اللغة المشتركة ولا يحتاج ناطقوها إلى وسيط. والمهم في الأمر أنه لا نستعين بهذا التعدد اللغوي، ونحن نملك لغتين (2) وطنيتين ورسميتين، فهما قيمة مضافة تجسدان التكامل الوطني لا التصارع والتنوع الثقافي الجيد، وقد سنت اليونسكو يوماً للتنوع الثقافي وهو 21 مايو من كل سنة، وأنعم بهذا التعدد الذي لم يشكّل حرباً لغوية، ولا خرقاً في الانسجام الجمعي منذ الفتوحات الإسلامية، ولا عقد مسألة في قضاء المصالح المرسلة، وكل الأمور تتم بلغة من إحدى اللغتين حسب الوظيفة والدين والعلم واللغة الأم تجمعنا! وهي لغتنا العالية التي نجدّها في ابتالاتنا وفي نصوصها العالية. وأعتزّ بقبائليتي وأنا أقرأ نصوص (سي محمد أومحمد) من خلال مرويات الشعراء، وأستلهم الماضي من روائع (إيدير) وأحسّ بالصبا من أغاني الحكمة من (آيت منقلات) والماضي التليد من إشيوقن (لاله أشريفة) ونحفظ تلك النغمات الرنانة، وهي تصدح بصوتها الرخو الجميل:

أيا أغريب أسعول عقل * أسليغ إيجاح أرايگ
الغريا أورثمود أرا * ما أنتسا أيروح غار پاري
ماذ أنكيني أرويغ لمخاني

ووطنيات (نورة) و(كمال حمادي) (أكلي يحياتن) ونسمع:

ثامورثيو ثامورث ألدود * أنسعي ألكا
ثامورثيو ثامورث إيدورار * إث شيح سي ذفلاون
ثامورث الخير ذا الرمان...

كما كنت معجباً وأنا أسمع: من جبالنا طلع صوت الأحرار، يُنادينا للاستقلال؛ لاستقلال وطنينا... هي عظمة العربية، وهي تضفي الجمال والأداء على لغة أمي، وهو التكامل الكبير، وأسمع أختي تقول لأولادها:

أرسد أرسد أيطس * أكرودا يثغا أضيطن
أديگان أذتهني * أصحا ثمرث ايناس

♦ ♦ ♦
أرسد أرسد المنام * أكرودا يثغا أديگان
أديگان أذتهني * أصحا ثمرث يقوان

♦ ♦ ♦
الملايك تعززين * إمرث الكعفا شريف

أَسْدَاوَمْتُ	إِمَشَغَ	أَذِيكَانَ	أَذِفَرَّاحَ
المَلَايِكُ	تُعْزِيزِينَ	أَوَمْتِيدَ	أَكْطُومَ
أَنْدَا	أَرْتِدَوِيْمَتْ	أَلْكَعْفَا	مِيزِي الْقُومَ
أَنْدَاوَمْتُ	إِمَشَغَ	أَذِيكَانَ	أَذِسْنُدُومَ
المَلَايِكُ	تُعْزِيزِينَ	أَوَمْتِيدَ	أَلْحَنِي
أَنْدَا	أَرْتِدَوِيْمَتْ	تُپُورْتُ	أَلْكَعْفَا ثَلِي
أَنْدَاوَمْتُ	إِمَشَغَ	أَذِيكَانَ	أَذِسْنَرْنِي
المَلَايِكُ	تُعْزِيزِينَ	أَوَمْتِيدَ	أَلْرَجَ
أَنْدَا	أَرْتِدَوِيْمَتْ	تُپُورْتُ	أَلْكَعْفَا ائْعَلَا
أَنْدَاوَمْتُ	إِمَشَغَ	أَذِيكَانَ	أَذِسْشَعَفَ

وما يُطرح اليوم من انشغال مُعاصر مع موت اللغات المهشّة في هذه الألفية، لا بدّ من توحيد المازيغيات والمحافظة على رسمها الأصلي؛ لأنه هو الذي يُعطي لها صفة الرّمزية الوطنية؛ لأنّ الخطّ الأجنبيّ يُبعدها عن أرومتها، ويجعلها من اللغات الغريبة/اللاتينية، وهي ليست منهنّ، وبعيدة عنهنّ كلّ البعد. ومن وراء ذلك تحصل تلك الدّعوات إلى ضخّ مصطلحات اصطناعية لا تمتّ لها بصلة، بحجة (المازيغية الأكاديمية) وهذا غير مقبول، وينقطع التواصل بين فطريتها، وهذا ما نلاحظه حالياً بين مازيغيات المدرسة، ومازيغيات الإعلام ومازيغيات المحيط هناك بعض الشّرخ، وهنا تدخل المازيغيات في اللغات الاصطناعية، ولم يثبت التاريخ أنّ اللغات الاصطناعية كان لها المقام العلميّ، فهي مؤقتة وتموت بسهولة وسرعة.

6- اللغة العربيّة (اللغة الأم): إنّ تعزيز اللغة الأمّ، هو تقديس ورمز لسياسة إعلاء مقام هوية الفرد باعتبار اللغة الأمّ حاضنة لتاريخه وتراثه وثقافته، وباستطاعته خلق تأثير ثقافيّ إيجابيّ بها عندما يتحكّم فيها أكثر، وفي ذات الوقت يتكّن من تعلّم أكثر من لغة أجنبية، وذلك ما يساعده في النّواحي الإنسانية عند الآخر، والتّقرّب منه والعيش معه بسلام. إنّ العربيّة باعتبارها اللغة الأمّ والوطنية والرّسمية الأولى التي تعلّمناها في الدّرجة الصّفر في التّواصل، وقد عمّلت العربيّة على ضبط أنساقها فينا في التّعليم ومع الجماعة التي ننتمي إليها، وفي أدبيات فهم أمّات كُتِب اللغة التي أعطت لنا قاموساً ثرياً من الدلالات الهرميّة حسب تحقيب العصور الأدبية التي فقّهنا فيها (فقه اللغة العربيّة) وما عرفته من تطوّر عبر تلك القرون التي عرفت الازدهار والانكسار. وها هي العربيّة تعود بمنهج لسانيّ جديد في تشكيل أدوات المعرفة من خلال السّعي لبناء مجتمَع الرّفاهية اللّغويّة العربيّة الذي يتشكّل من الاهتمام بالازدهار والتّعميم والترجمة للغة العربيّة خاصّة، وللغات

عامّة؛ حيث اللغة شكلٌ من المهارات القادرة على التطوير، وهذا ما تحتاجه العربية (اللغة الأم) لأن اللغة استعمال وممارسة واستخدام في العديد من المواقف الاجتماعية، وإغماس في العلم.

وكان علينا الاستثمار في العربية وهي ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، ولا بدّ من حمايتها بخدمتها أمام الفيضان العلمي للغات العلم، وتناقص اللغات في هذه الألفية التي تقلص عدد اللغات من 11000 لغة قبل قرنين وأصبح العدد الآن يقرب إلى 6700 لغة فقط، وكلّ شهر تموت واحد وعشرون (21) لغة في الحالات الطبيعية. ومن بين هذا العدد الكبير "هناك ما لا يزيد عن 150 لغة فقط في كلّ تاريخ البشرية لها حروف وقواعد وتراث مكتوب، ولم يبق منها اليوم إلا 50 لغة نقتسم استعمالها بمجموع الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة؛ وعددها الآن 194 دولة بما يعني أنّ كلّ مجموعة دول تعتمد لغة واحدة وطنية ورسمية، وهذه اللغات مرتبة حسب انتشار استعمالها في العالم بناءً على أهمية الدول الناطقة بها وثقلها السياسي والاقتصادي والعسكري والصناعي الذي خول لها امتلاك حق النقض والتحكّم في مصير العالم سلماً وحرباً ولم يكن بعضها قبل قرن من الزمان شيئاً مذكوراً".

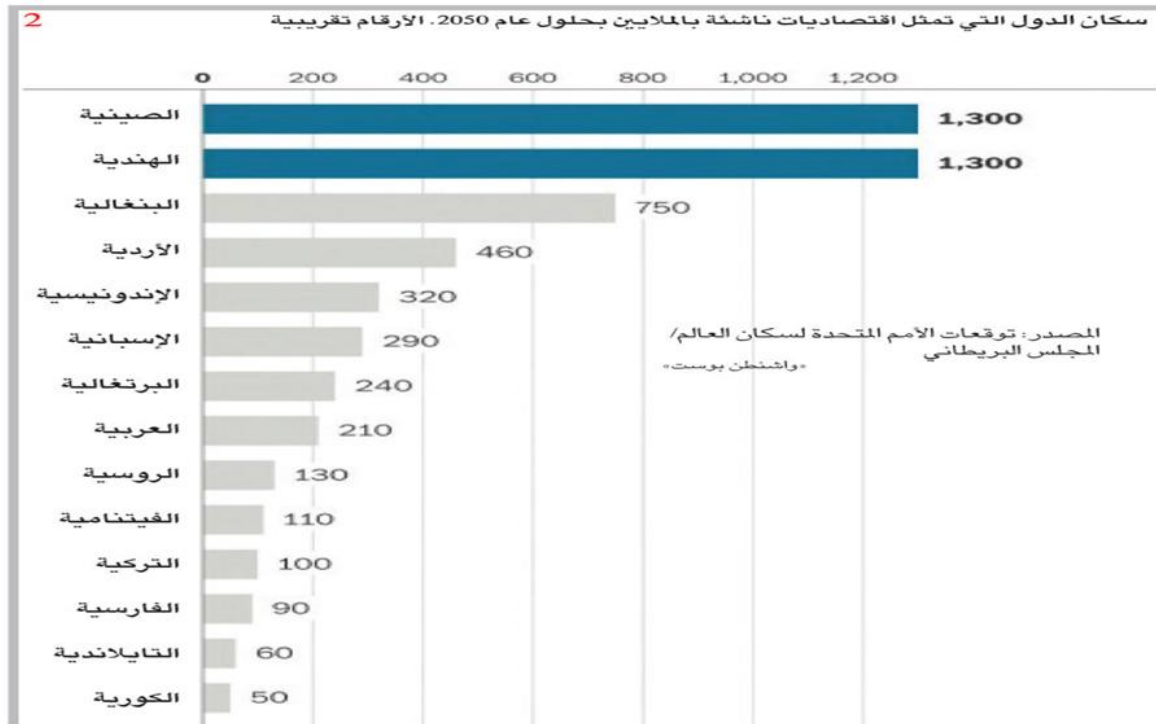
ألا نخاف على العربية من هذا الفناء أمام التّغول اللّغويّ؟ وهناك اختفاء طبيعيّ ثابت، وهناك اختفاء قسريّ لا محالة، وهناك كوليرا اللّغات وسوف تزداد هيمنة الإنكليزيّة والفرنسيّة والإسبانيّة باعتبارها من بين اللّغات الأكثر انتشاراً، وتوقع اليونسكو مع حلول القرن القادم بقاء اثنتي عشرة (12) لغة فقط، ستة (6) منها عالميّة، وست (6) لغات محليّة، وأنّ اللغة الإنكليزيّة سوف تستحوذ على 4.83%، من الاستعمال العالمي، وتليها الإسبانيّة، ثمّ الصّينيّة، وأنّ أكثر من 40% من البشر لا يحصلون على التّعليم بلغتهم الأصليّة وهو ما يهدّد باندثارها.

7- اللغة العربية (اللغة الأم) وصراع الأقطاب: هناك صراعات حديثة، وكلّ لغة تسعى لنيل المقام والتّوسّع في القارات، وكلّ لغة تسعى لتكون جاذبةً، ويكون لها المريدون الذين يعملون على توسيعها، وتقدّم بعض الدول تسهيلات للغاتها في الخارج من خلال سفاراتها ومدارسها ومراكزها الثقافيّة باسم التّفّتح على التعدّدية اللّغويّة، وأنّ العلم في لغات العصر/اللغات الحيّة، إضافة إلى هبات كبيرة من الكتب والمعارض وإقامة الندوات، بل هناك دول تُخصّص وزارة خاصّة باسم لغتها لتقوم على المحافظة على لغتها ونشرها ما وراء البحار، وهناك دول تابعة تقيم وزارة لنشر اللغة الأجنبية المتبناة لغة رسميّة... صراع كبير في نيل الأماكن والمواقف وفي كلّ عامين (2) تتغيّر الخرائط اللّغويّة نتيجة الصّرع اللّغويّ، ويكفي أن نعلم أنّ "... أحد الدّوافع التي جعلت روسيا تعترف باستقلال منطقتي دونيستيكي ولوغانسكيك وتغزو أوكرانيا بعد ذلك ويجعل من أهمّ الدّوافع أنّ شعبي المنطقتين المذكورتين يتحدثان باللغة الروسيّة.

وأنّ أوكرانيا تضيق على هذين الشّعبيين لغويّاً، وتحرمهما من حقّهما اللّغويّ في التّعامل مع اللغة الروسيّة... وإذا أردنا أن نعود إلى الوراء قليلاً؛ فإننا نجد الدّافع اللّغويّ نفسه هو الذي برّرت به روسيا أيضاً ضمّها لجزيرة القرم التي كانت تابعة لأوكرانيا سنة 2014م... وأنّ اللغة تشكّل جزءاً أساسياً من الوعي الثّقافيّ للجماعة؛ لأنّ

الفرد حين يكتسب اللغة من المجتمع فإنه يمتثل بالضرورة كل العناصر الثقافية السائدة فيه، كما يقول عالم الأنثروبولوجية الشهير (ليفي ستروس) حين نقول الإنسان فإننا نعني اللغة، وحين نقول اللغة فإننا نقصد المجتمع". وعليه، فاللغة فكر وعمل وانتماء وتوجه، ولهذا لا بد لنا من محاذير احترازية، ونحن نعيش مع الأقطاب اللغوية الذين يتقاسمون العالم لغوياً، بتحديد اللغات الأمية، وتصنيف اللغات: لغات علمية/ولغات هشة، والصراعات اللغوية الحديثة والقادمة، و"من المتوقع أن تسود الهندية والبنغالية والأوردية والإندونيسية قطاعاً كبيراً من عالم المال والأعمال بحلول عام 2050، يليها الإسبانية والبرتغالية والعربية والروسية.

وإذا كانت لديك الرغبة في جني أكبر قدر ممكن من المال من وراء دورات تعلم اللغات التي تخوضها، فإن دراسة واحدة من هذه اللغات قد يكون اختياراً مناسباً". وهذه هي الهيمنة الحاضرة وتشتد أكثر في لاحق من السنوات في من يكسب أكثر، ومن يستثمر في لغته في الداخل وفي الخارج، فاللغة الأم مكسب مادي في تعليمها لغير أهلها، وفي نيل مقامات الاستعمال، ولا بد من خوض معركة الوجود اللغوي وأن تؤسس للعربية التأسيس والترخيص المتين الذي يعلي من مكانتها القديمة التي هي عالية بما لتراثها المغدق، في ظل حاضرها المقلق. هو مقلق بالفعل في أن العربية اللغة الأم لا تزال تعاني المضايقات التقانية التي جعلتها تتأخر في استيعاب الفضاء الجديد للرقنة والحوسبة السحابية. وكيف السبيل للعيش ضمن مجتمع المعرفة التي نروم أن نكسبها باللغة الأم، وتحقيق الرفاهية اللغوية بالعربية المانعة، وهذا تراتب أمم بخصوص التربية:



ومن خلال هذا الترتاب نرى العربية في الرتبة الثامنة، وهذا غير مقبول، وربما يعود إلى قلة الاستثمار في اللغة الأم/العربية من قبل أهلها وتظهر قاعدة بيانات اليونسكو العالمية بشأن التفاوت في مجال التعليم أن الأطفال الذين يتلقون التعليم باللغة التي يتكلمون بها في المنزل يزيد احتمال إتقانهم لمهارة فهم النصوص المقروءة في نهاية المرحلة الابتدائية بمقدار 30% عن الأطفال غير الناطقين بلغة التدريس على مستوى العالم.

وتبين الأدلة أيضاً أنّ التعلّم باللّغة الأولى أو باللّغة الأمّ يحسّن مهارات الأطفال الاجتماعية". وهذا ما يجب فهمه بأنّ العربيّة في مرحلتها القاعدية تتطوّر بالاستعمال بعد ذلك في مناحي البحث والقرار. وفي هذا الشّكل نرى العربيّة/اللّغة الأمّ في الدّرجة الثّانية من الصّدارة، وهذا استثمار كبير، وأنّ المستقبل أمامها مفتوح للمزيد، لما لها من انتشار عبر المواقع، واستعمالها في الشّابكة من العرب بما يزيد عن 152 مليون من العرب فقط، وبما لها من فطريّتها الذين تجاوزوا الآن 600 مليون، وهناك استعمال من غير العرب، ولا يمكن لنا الوصول إلى نسبهم في هذا الوقت، وأنّ محرّكات البحث تُعطي لنا النسبة للمُستعملين حسب القارات/مُستعملي العربيّة من البلاد العربيّة. ولا يمكن نكران بعض المُعضلات من عدم استعمال الفصحى في الدّردشات وفي الكُتّابات وفي الإبراقيات... وكلّها تتمّ بالدّوارج، وما يتبع ذلك أنّها عالة على محرّكات اللّغات اللاتينيات.

إنّ العربيّة اللّغة الأمّ/لغة الأُمّة/لغة أُمّية/لغة الحضارة/لغة الإنسانِية تُعاني بعض الإهمال من حيث التّمكن كيف لا وهي غير مُمكنة في العلوم، كيف تأتينا مُصطلحات العلوم، وهي لا تتماهى في العلوم كيف تنجح في إيصال المعلومة بشكلٍ كاملٍ ودقيقٍ، وفيها الهُجّة المُتفشّية والمُجامع تنبأه بالتّرخيص اللّغويّ الخارج من حدّ الكثرة إلى حدّ القلّة، وهذا غير مقبول. وإنّ اللّغة الأمّ يجب أن تكون جسراً لمُختلف العلوم، ومعبراً لتعلّم اللّغات وهذا إقرار أُمّيّ، فأين نحن من تطبيقه! إنّ اللّغة الأمّ هي الألفة التي تُترجم مشاعرنا، وإذا تعرّثت ألسنتنا الوطنيّة فما هي اللّغة التي تقبل عثراتنا. هي العربيّة وحدها ملاذ ومأوى إذا تعرّس علينا الفهم، أو اختلّطت بنا الأمور والتّفسيرات والمعاني، هي العربيّة (اللّغة الأمّ) الحُضن الذي يحتضننا حالة ما نخاف من بقيّة اللّغات. وهذه هي ضرورة تعلّم وتعليم اللّغة الأمّ (العربيّة) ونقلها للأحفاد؛ فهي هُويّتهم الشّخصيّة والاجتماعيّة، وتطوير مهارتهم، ومحو أُميّتهم... وتحمل مزايا كثيرة في النّسق الجمعيّ، ولشّدان المستقبل مع الأطراف الذين تُشاركهم الحياة اليوميّة، فالعربيّة اللّغة الأمّ مانعة جامعة.

- الخاتمة: إنّ العربيّة (اللّغة الأمّ) لغة العالم العربيّ، ولغة تُقابلها بعض المحلّيات، وليست بالمُشكلة مع العاميّات؛ وهو نوع من المُستويات اللّغويّة التي تعرفها كلّ اللّغات، وأنّ عدد المتلاخين بها يزدادون يومياً وتنتشر في كلّ القارات، وعليها الإقبال الذي لا نظير له في اللّغات، وتفتخر بما لها من ثقافة وحضارة نالت كلّ بلاد العالم، وما تصدرت به في الحضارة الشرقيّة التي سادت ولكنها اندثرت، وهذا ما نراه في واقعها المُقلق في عصرنا الحاضر، من فقرها العليّ والتّقانيّ بشكلٍ كبير، وكيف السّبيل لاستدراك التّأخير. هي مُشكلة مُقلقة، وهَمّنا المُعاصر في الاستثمار في الرّقنة والتّحوّل الرّقّيّ والمحتوى الشّابكيّ، وكسب رهان تعلّم اللّغات الأجنبيّة؛ والاستفادة منها في تطوير اللّغة الأمّ، ولا مناص من ذلك، وهي فرصة ضروريّة للتّواصل ومُلاحقة الجديد.

الخطاب الإشهاري باللغة العربية♥ -الواقع والرّهان-

- الدّياجة: إنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة يُحيي اليوم العربيّ للغة الضّاد في يومها الذي ترسم سنة 2007م من قبل الألكسو/Alecso ويكون مُكملاً لليوم العالمي للغة الأمّ في 1999م، الذي جسّده Unesco وأتبعته الأمم المتّحدة UN باليوم العالمي للغة العربيّة في 18 ديسمبر. إنّها أيام قارّة يحتفي بها المجلس بموضوعات مُتنوّعة؛ تدخل في تطوير العربيّة، والعمل على تعميمها في المحيط العامّ، والترجمة منها وإليها؛ لتنال الازدهار والتّألق الذي كسبته (لغة الضّاد) لغة أمّية، ولغة الحضارة الإنسانيّة، ولغة الأمل/Espéranto اللّغات حسب ما يقوله علماء الدراسات المُستقبلية. ولا أريد التّدخل في مفهوم الإشهار من إعلان تحريري/Annonce إلى إعلان مدفوع/Réclame، والذي تحوّل إلى إشهار/Publicité ليتحوّل إلى إشهار عابر للحدود/Publicité Transfrontière. وترك المسألة للباحثين في توضيحات تقتضيها بعض المقاربات التي عاجلت تلك الحدود الفاصلة بين مَداليل المصطلحات.

أيّها الجُمع الكريم، وأجد نفسي أمام المُختصّين والإعلاميين والمُشهرين، فإذا عساني أقول في الخطاب الإشهاريّ، بقدر ما يقع التّركيز على تقديم أفكار في علوّ لغة الضّاد في يومها العربيّ، وفي هذا الخطاب الذي ينال مُستويات عديدة، وكيف تُمزج لغة الإشهار بين تلك الأساليب التي تُوفّر لها لغة الضّاد/العربيّة بما لها من مُفردات واشتقاق وترادف ومُشترك لفظيّ ومجاز ومحسوس... للتأثير على الأفراد والمُجمّعات من خلال استخدام وسائل الإعلام بأنواعها المُختلفة، من أجل إيصال فكرة أو قصّة أو مُنتج لأكبر عدد مُمكن من الأشخاص والمُجمّعات؛ باعتبار الخطاب الإشهاريّ محاولة للتأثير على وعي الأفراد بمجموعة من الأساليب المُستخدمة في الدّعاية والإعلان. وكلّ هذا يكون بأسلوب إقناعيّ يقوم على المُقارنة، وما يصحبه من توظيف أدبيات اللّغة في بنياتها الجمليّة، ونوع الخطّ، ومكان النّشر، ووسيلة نقل الإشهار من مقروء أو مسموع عبر وسائل التّواصل الاجتماعيّ.

1- العربيّة والخطاب الإشهاريّ: إنّ الخطاب الإشهاريّ من الخطابات المُستخدمة في العديد من المجالات وهو نصّ مكتوب في غالبه، وقد يكون مسموعاً، يحوي مجموعة من الفقرات التي يحفظها فرد ما من أجل أن يلقيا على مسامع أفراد آخرين، و"يعزز الخطاب الإشهاريّ القيم المُرتبطة به كالقيم الاجتماعيّة، والأخلاقيّة ويجب أن يعتمد هذا النوع من الخطابات على التّقيد بقواعد الإلقاء اللّغويّ السليمة حتى يتمكّن من تحقيق الأهداف المُرتبطة بالخطاب الإشهاريّ بشكل صحيح". ويعتمد على وسائل التّعزّيز/كالصور، والأصوات، وما له علاقة بالمؤثرات ذات العلاقة بأنواع الإشهار، ولكلّ له مُميزات تنافسيّة والهدف منها الخطاب التنافسيّ

♥- الكلمة الافتتاحيّة التي أقيمت في مُلتقى (الخطاب الإشهاريّ باللغة العربيّة -الواقع والرّهان) في فندق أولمبيك، بمُناسبة اليوم العربيّ للغة الضّاد (1 مارس من كلّ سنة) بتاريخ 3 مارس 2024م.

الحامل للغة التأثير؛ بما تحمله أنماط اللغة من تقرير وإيحاء وما له علاقة بتلك الطقوس التواصلية بين الخطاب الإشهاري والمظهر الاجتماعي في تشكيل علم سيميائي ضمن الممارسة الثقافية كالخطاب الأدبي أو السينمائي أو البصري، فهو يؤثث ويؤسس الفضاءات اليومية في تجلّي المكونات اللغوية والأيقونية، وهذا ما يجب العمل به من أجل أن يكون للعربية العالية مكاناً مرتبطاً في الإشهار والدعاية، يربط حُسن استعمالها وهي تتوجه إلى المُشهِر/publiciste، والمُستهلك/consommateur والمنتج/produit وكلّ هذا يتحقّق عبر المستوى المُشترك بين هذه الأطراف الثلاثة بلغة عربية واضحة من حيث النسق اللساني، والنسق الأيقوني البصري. وما يلاحظ من خلال المحيط أنّ العربية الفصحى رغم توسّعها التعليمي تعيش اغتراباً في الإشهار، وأنّ الدّوارج لها نسبة مهمّة في التواصل اليومي لدى الشّباب في وسائل التواصل الاجتماعي، وبها يتمّ التواصل بغفوية، عكس الفصيحة التي تتطلّب الانقباض والتكلف. ومن هنا يعزف الإشهار عنها لما لها من مقام عال، وكونها لا تنزل إلى المستوى البسيط، وهذا يبدو أنّها عاجزة عن التعبير العفوي، ولا مقام لها إلّا في المسلسلات التاريخية. ولهذا لا نرى لها حضوراً في الإشهار، مع ما يزاهاها من ثنائية لغوية، وما يتصل من سبق الأثر من اللغة الفرنسية في المحيط، وهذا لا يتنصل من مؤشّرات ذات العلاقة باستمرارية توظيف الفرنسية في الإدارة ليس ورقياً، بل استعمالاً وتوضيحاً لمكتوب وراقي باللغة العربية، وإنّه لوهُنُ الثقافة الوطنية، ووهُنُ الشّباب المعاصر الذي لا يزال في غيبوبة الانجذاب اللغوي للفرنسية، وسكوت المُستعملين للعربية أمام الزّخم التقني لآلات العصر وكلّه يَضخّ عبر الحرف اللاتيني. إنّها مؤشّرات سلبية على موقع الفصحى في الإشهار، وهذا لا يُجسّد الاعتزاز بالتراث والهوية؛ بقدر ما يُجسّد اغتراب الفصحى في الإشهار، وهذا سلوك لا يُضفي الاهتمام بالمواطنة اللغوية، ولا بالثقافة الوطنية.

والحصاد من وراء هذا أنّ العربية الفصحى تحتاج إلى موقع لدى المسرحيين والإشهاريين والفقهاء والأدباء للرفع من سويّتها، وإحداث جسور التواصل والتكامل بين مستوياتها اللغوية في تناغم لغوي: فصحى عالية، إلى فصحى مهذّبة، إلى المستوى الثالث، وإلى اللغة البيضاء. وهذا ما يجب أن ننتبه إليه بأنّ المستويات اللغوية تحتاج أن نجد لها آليات الارتفاق في صناعة لغة إشهارية بالفصحى المقبولة دون مشكلة تضارب أو قطيعة، وهذا ما نروم أن يُقدّمه الباحثون اللغويون مع أصحاب الإشهار لتحقيق الوظيفة القواعدية للغة مع الوظيفة الجمالية والتوجيهية والتمثيلية والوجدانية والدلالية لتحقيق منطق الإقناع العام.

2- العربية وأساليب الإشهار: لا توجد وصفة جاهزة تكون نموذجاً للإشهار؛ نظراً لتعدّده وأنواعه، مع متغيّرات الرّاهن، وفيها العديد من المؤثّرات، وعلى المُشهِر أن يكون لبيباً في اختيار وصفة لغوية مؤثّرة ضمن احترام المواصفات والمتطلّبات اللغوية التي لا تخرج عن منطق اللغة، ولا تدخل في المحذور اللغوي ولا في تشويه نحوها إلّا في إيحاء تصحيح أخطائها عن طريق النقد الهزلي الذي لا يُخلّ بضرورة احترام بنيات اللغة ضمن الجمع بين السهل المُمتنع، والجمع كذلك بين المستويات اللغوية، في رسالة مفهومة بين: المرسل والمستقبل ومُحتوى الرسالة. وهنا يمكن التعويل على المعطيات التالية:

- اختيار اللغة من السهل الممتنع؛
- اعتماد لغة المجاز والاقتضاب والصّور البلاغية الحيز الأوفر، وتكثيف الشّحنة اللسانية؛
- الجمع بين المستويات اللغوية، ومُراعاة المُجتمع المُوجّه إليه الخطاب الإشهاري، وما يصحب ذلك من حال ومُقتضى الحال؛
- الخروج من نمطية الإشهار بلغة مُتقنّة، والابتعاد عن الجمع بين الحروف التي تشكّل صعوبة في الأداء؛

- الخروج من الأسلوب التقريري الذي لا يقدّم أيّة إضافة، والبأس اللغة لباساً أنيقاً من المعاني. والمهم في الأمر ضرورة إضفاء روح الاعتزاز والإغراء لاستعمال العربية بما لها من شُخّات مُتنوّعة في الخطاب الإشهاري، الذي "يحمل الاستعارة، والتشبيه المناسب، والكناية الموفّقة، والأسلوب الغنائي الذي يلتزم السهولة والعدوبة، علاوة على مكوّنات بلاغية أخرى (بلاغة الصّورة الحيّة، بلاغة الجسد، بلاغة الحركة، بلاغة الصّوت المُشكّل، بلاغة الموسيقى، بلاغة الفضاء...الخ)". ومن هنا علينا استثمار انزياحات العربية في نسج الخطاب الإشهاري وما يحمله من مداليل السلوكات التي توصل الرسالة بأقلّ جهد في المكتوب وفي المسموع وهي رسالة الباحثين الذي ينتجون الأفكار للمُشهِرين في صناعة الخطاب الإشهاري بعربية مائزة جاذبة، رغم بعض الإكراهات والمضايقات النحوية، ولكن ذلك لا يُشكّل مشكلة عندما نعمل على ترويض العربية، ولها صفة القبول في الخروج عن النمطية والقدسيّة التي ألّبت عنوة، والعربية طيّعة كما يقول فقهاء اللغة، ولها قابليّة التوليد الذي يُتيح الاشتقاق بكلّ أريحيّة. ومع كلّ ما قلناه من سلاسة العربية، ولكن لا يعني الخرق اللغوي"، أو القبول ببعض الرسائل المخلّة بالحياء بدعوى كسب المُتلقي/المستهلك، ولهذا من الضّرورة الاحتراز من تلك الإشهارات التي تمرّ صوّراً أو رسائل لا تخضع لوضعيّة واقعيّة، ولا تجد مرجعيّتها في المُتخيّل العام للمُجتمع، وهذا ما تُنبّه إليه سلطة ضبط السّميّ البصري في كلّ مرّة، من تقيّد بأخلاقيات المُجتمع. ولا يفوتني هذا الأمر تأكيد تلك التوصيات التي أصرّ عليها التقرير العربيّ الرَّابع للتنميّة الثقافيّة (مؤسسة الفكر العربي، 691) في مجال الإعلام:

- 1- حثّ وسائل الإعلام المُختلفة؛ المقرّوة والمسموعة والمرئيّة، على تعزيز العلاقة بين اللغة والهوية.
- 2- التأكيد على توسيع نطاق استخدام العربية الفصحى في وسائل الإعلام المقرّوة والمسموعة والمرئيّة.
- 3- الحرص على أن يكون ما يقدّم باللغة العربية حياً ومُشوّقاً.
- 4- تشجيع إنتاج المواد والبرامج الإعلاميّة المُعدّة باللغة العربية الفصحى.
- 5- تشجيع إنتاج البرامج المُشتركة بين البلدان العربية، وتسهيل تبادلها.
- 6- اشتراط إجادة اللغة العربية الفصحى في من يتقدّمون لشغل وظائف التحرير والتّقديم في وسائل الإعلام المُختلفة.
- 7- تنظيم دورات تأهيل لرفع مُستوى كفاءة العاملين في وسائل الإعلام، في اللغة العربية الفصحى.

3- فنيات الخطاب الإشهاري: يقوم الخطاب الإشهاري على إلغاء الزمن، وتقديم عالم يتحرك خارج قوانينه إنه يوهم المتلقي بلا زمن؛ إنه حاضر دائم وأبدى، وحاضره تضمّن الجودة، وماضيه غير موجود، ويضفي دائماً الارتباط بالواقع والبساطة والسطحية، مع ما يقوم به من شحن أيقونة التلقي الإلحائي عبر نقاط التلاقي ومواطن التشابه بين الخطاب الإشهاري والدعاية. وإن فنيات هذا الخطاب يتنوع ويتعدّد في المزج بين الدليل الأيقوني، والدليل اللغوي، وعلامة المنتج/الشعار، وما له من مساحة تجوال بين الخطاب الإشهاري من خلال الوظيفة التسويقية والترويجية، إلى خطاب فني إبداعي إقناعي ضمن مجموعة من الآليات المرتبطة بصناعة الإشهار، والهدف منها تبيان كيف تجاوز الخطاب الإشهاري طبيعته الترويجية، واعتماده مفهوم الابداع والافئاع؛ ليخلق متعة التأثير، بما يحمله من وسائل الاتصال التي جعلت منه مادة مؤثرة بالنظرية الاجتماعية والإخبارية والإسقاطية والإدماجية والسلوكية في تراتب منطقي تستعمله صناعة الإشهار في علم الاجتماع وعلم الاقتصاد وعلم النفس والطبيعة والفيزياء والكيمياء والطب والموسيقى والتصوير والسينما والجمال والتغذية... ولا بد من تأكيد نسق لغة الإشهار التي تتطلب المباشرة والتقريرية والعرض المنطقي، والابتعاد قدر الإمكان عن اللمسة الفنية إلا بشكل بسيط جداً. وهذا لا يعني التخلي عن نفحة الأساليب الراقية، بقدر ما تكون في تلك الحجة القائمة على جذب الانتباه، والوقوف عند الإشهار بتأمل يسترعي التكرار والتأكيد.

4- الخطاب الإشهار بين الواقع والرهان: إنه واقع تتجاذبه لغتان: العربية الدارجة والفرنسية، وبشبه فقدان اللغة المازيغية، واقع على رهان يعتمد استراتيجيات جديدة للترويج والتسويق، واستمالة فئات عريضة من الزبناء؛ بغية كسب رهان المنافسة الضارية. واقع في ظل غياب آليات الخطاب الإشهاري الذي كان يجب أن يدعم بفريق من المبدعين في تحضير الرسالة/الومضة الإشهارية بالعناصر الملائمة، بغية تضافر الجهود لإضفاء الأبعاد الجمالية على اللوحة الإشهارية، لتجسيد النفاذ إلى أعماق اللاشعور تلبية لذوق المتلقي. وهنا تتصارع اللغتان في واقع الحال على راهن مأمول، وحال مشلول، في غياب الاستراتيجية في مجالات كثيرة، بالنظر إلى الآمال المعلقة على الإشهار كوجه ترويجي يراهن عليه المنتجون لترويج سلعهم وخدماتهم والحصول على استردار المكاسب. وفي ظل ضعف المنافسة العامة، وما يجري من بيانات تصون الفضاء العامة، يبقى الواقع لا يتشئ مع متطلبات التحول الإشهاري الذي يستدعي المنافسة الشريفة وباللغات الوطنية، والتحفيز على محاربة التلوث الإشهاري مهما كان نوعه. إنه إشهار بين فكي: الواقع الذي لا يسير وفق متطلبات السوق وما له علاقة بالآثار السلبية في السلوكيات الاجتماعية، والرهان الذي يتطلبه سوق العرض والطلب، وأحياناً لا ينضبط بمجتمعات مدنية، ولا بقانون، ولا بسلطة ضبط سمعي بصري، فهو خارج قواعد الإشهار من خلال استعمال وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية التي لها تصورات واحتياجات مختلفة غرضها إيصال الرسالة مهما كانت لغتها، سليمة أو مشوهة، والمهم الحصول على الإشهار. وفي كل هذا نجد الحيز الضيق للعربية الفصيحة التي تلقى معارضة في الإشهار، بدعوى عدم مسّ شعور المستهلك في لغة قضاء المصالح المرسلة وينزل الإشهار من برجه العالي إلى دغدغة شعور المؤسسات الإنتاجية لترويج منتجاتها بتكاليف وبتلك اللغة البسيطة

المهجنة أحياناً لتزداد أرباحها. وهكذا نرى أنّ العربية في واقع ورهان الإشهار لم تعرف حاضنة إشهارية تليق بالمقام، ولا بالمفهوم التجاري، مثلما تناله الدّوارج على زجاج الحافلات، وفي مباني المتاجر الكبرى/السّوبرمارت، وعلى أفواه الإعلاميين الذين يخضعون لمكتوب الشركة، وبخاصّة ما تعلق بالترجمات التي تأتي بالمُهجنة اللّغويّة لتمرير الرّسالة الإشهارية ونرى العربية دائماً بين المطرقة والسندان، ولا محلّ لها في واقع الحال، وهل سيكون لها مكسب في الرّهان بما لها من فنون القول المَعطّلة، وعسى أنّ أهلها يستفيقون من هذا التحوّل الإشهاريّ، ويستغلّون فئات كثيرات من البلاغيين والغوّاصين والمبدعين المشهرين الذي يُمكن لهم العيش اللّغويّ السّليم بالعربية بما لها من مُستويات، دون التّماهي في الأجنبيّات التي تنزاح بالمتلقّي إلى توجيه ما أريد لها أن يكون، وتلك هي رسالة التأثير. هو مؤسّف حقّاً أن تعرف الفصحى هذا التّهميش، وكأنّها غير مطلوبة في واقع السّوق والاقتصاد، عكس ما يحثّ عليه التّقرير العربيّ للتّنمية الثّقافيّة، الصّادر عن مُؤسّسة الفكر العربيّ (691):

1- "حثّ وزراء العمل والمال والاقتصاد والتّجارة على إبرام الاتّفاقيات والعقود والمعاملات التجاريّة باللّغة العربيّة.

2- اعتماد معرفة العربيّة الفصحى معياراً رئيساً من معايير التّوظيف.

3- تطوير المحتوى العربيّ على الإنترنت.

4- منع نشر الإعلانات المكتوبة باللّهجات العاميّة.

5- منع اللافتات التجاريّة المكتوبة بلغة أجنبيّة سواء كانت بحروف عربيّة أم أجنبيّة، ما عدا العلامات التجاريّة العالميّة. وفي هذه الحالة تُكتب المحتويات باللّغة العربيّة الفصحى وبحجم أكبر من حجم الحروف الأجنبيّة".

5- مهمّة المجلس الأعلى للّغة العربيّة في الخطاب الإشهاريّ: إنّ المجلس ليس بديلاً عن سلطة ضبط السّمعيّ البصريّ، بل مُنتج أفكار يدعو إلى احترام لغة الإشهار في حدود المواصفات التي تُتيحها قواعد اللّغة العربيّة من قبول ورفض، وما يجوز وما لا يجوز، والتّفنّن في قواعد الخروج التي تحدث في لغة الإشهار، كونها تتوجّه إلى العموم بمُستوياتهم اللّغويّة، لكن المجلس يدعو إلى:

- احترام العربيّة الفصيحة بما لها من توسّع ومجاز ومقبول ومحظور، وما يجوز وما لا يجوز؛

- تثمين لغة الإشهار وتعضيدها كونها مدرسة للدّعاية المُضيّفة المُنيّفة، بما لها من تطوير اللّغة؛

- إشراك المجلس الأعلى لسلطة ضبط السّمعيّ البصريّ، والوكالة الوطنيّة للنشر والإشهار/ANEP في

إنجاز أيام دراسيّة حول لغة الإشهار، وكذلك الإسهام في كتابة بعض الإعلانات والمنشورات؛ وفاءً للحفاظ على خصائص اللّغة المُشتركة؛

- عقد دورات تكوينيّة مع من يُهمّه الأمر في لغة الخطاب الإشهاريّ، ومُتعلّقات الكتابة والأداء بصفر

خطأ.

ولهذا لا نرى مانعاً من أن نتعاون في تطوير لغة الإشهار، ونعضدها معاً لتكون شاحنة أمام تعاقب بعض الهفوات، ونطمح أن نتبين من الإرساليات والمطويات واللافتات الإشهارية خلق الفضاء اللغوي السليم لجعل العربية تنال موقعاً أولياً في هذا العالم الذي يأتي على دحر اللغات التي ليس لها موقع في الإشهار الذي يعلو يوماً في الفضاء الأزرق. وما يهمننا ليس تكريس الدعاية لسعة أو فكرة بل بربطها بسياق جمال اللغة العربية المفتوحة على فضاءات واقعية واقتراضية تسمح بقراءة كل شفرة تحملها لافتة الإشهار تصل إلى صفر خطأ. ولهذا لجأ المجلس إلى ثلثة من البحوث لتقديم أفكار ذات العلاقة بموضوع الملتقى للخصوص إلى تقديم اقتراحات تخص الإشهار/Propagande عامة، ولغة الإشهار خاصة، ونروم أن تأتينا أفكار من خلال دراسات ميدانية تستهدف جملة النقود والتصحيحات المطلوبة في مضمون خطاب الإشهار بما له من توجيه وتأثير وعمليات منهجية للإقناع. علماً أن الخطاب الإشهاري يقترب كثيراً من الخطاب الأدبي بما يميزان به من تحويل وتجديد؛ بهدف تحقيق خطاب البرهان والحجاج "... الأشكال المختلفة للنص البرهاني تعبر عن الظاهرة نفسها وهي أن الخطاب البرهاني يهدف إلى التأثير على مواقف وسلوك مخاطب أو جمهور معين، وذلك بجعله يتقبل ملفوظاً (نتيجة) بالارتكاز، وفق طرق متنوعة، على ملفوظ أو ملفوظات أخرى (مُعطاء/برهان/سبب)". وهنا نقاط التلاقي والتشابه بين الخطابين في الغايات والمقاصد والتفاعل بين: المرسل والمرسل إليه والسياق والحال والممارسات الخطابية التي تقتضيها الحالات الاجتماعية. ولا يتحقق التأثير بشكل كلي إلا بمبادئ الانسجام في الخطاب، والإجماع واللباقة وسيرورة الإقناع، ضمن تراتب المعاملة بالمثل لتمرير الخطاب الإشهاري.

- الخاتمة: إن الإشهار يؤدي رسالة، ويملك طريقة يوصلها للجمهور، ويريد أن يستقطبه حسب معايير مستقاة من علم النفس التجريبي، وعلم النفس الاجتماعي. فنفس المضمون يُكرّر بصيغ وأشكال مختلفة حتى يترسخ بصفة نهائية في ذهن المتلقي. وإن هذه العملية الأولية تجعل من المخاطب مستعداً لتصديق فكرة ما أو اقتناء بضاعة ما، هذا من جهة، ومن جهة ثانية؛ فإن الإشهار دعاية يحمل مضامين بطابع ما يعمل على النشر أو الترويج أو الدفاع بلغة نافذة مختارة. وهذا ما نحن بحاجة إليه في مؤسساتنا الإعلامية أن تنشر فضيلة حسن الأداء اللغوي بالسهل الممتنع، لا النزول باللغة إلى عموم الناس؛ بدعوى قبول الخطأ الشائع، أو النزول بالعربية إلى المستوى الأدنى ليفهمها الناس، وينسى المشهر/الإعلامي أنه مدرسة بناء ونشر اللغة في أعلى تجلياتها؛ وعليه أن يكون موجهاً وكذلك تلك الوسائل التي كان عليها نقل الإشهار بأثير عالٍ في زمن العولمة التي تفر بالغلبة اللغوية التي تأتي من اللغة الأم/اللغة المشتركة. وفي هذا الوقت هناك معطيات جديدة من خطابات الاختراق بما لها من تأثير عبر اللغة العالمية، أو الومضة الإشهارية التي تحترق المحظورات في كلام كتابي أو غنائي غير مقبول، أو ما يوحى إلى خطاب الكراهية ضمن مكونات النص المكتوب لأنه من ثوابت ومضات الاحترام العام، التي تعطي صورة الاحترام والاعتزاز للغة الوطنية والرسمية في فضاء التأثير الموجب لا السالب. وهذا ما يجب أن تحمله الرسائل المضمنة في الخطاب العام ذات السيرورة الوطنية في مسار التنمية اللغوية؛ وهي جزء

من التنمية الشاملة، بل هي قاطرة الحوكمة لصناعة حكمة وطنية؛ بأيدي وأرجل وأفكار تحتزن دلالات الواقع بلغة الواقع، وبما يفهمه المواطن من معاني ودلالات تلك اللغة المعبّرة عن هويته؛ باعتبارها لغة جامعة مانعة. هذه بعض الأهداف التي يروم المجلس تحقيقها عبر مسارات المتكثفات والأيام الدراسية التي ينجزها تبعاً مع تلك الأيام القارّة التي يحتفي بها؛ لإثبات وجود العربية لغة مشتركة، ولها قوام لغة المستقبل بما لها من مواصفات لا توجد إلّا فيها. ومع ذلك لا نعدم بعض التراخي في المنظومة التربوية باعتبارها القاعدة التي تُعلي من مقام اللغة العربية، ونرى بعض الخلل في ظواهر فقر التعلّم، والرقنة، وما له علاقة بالأتمتة ولذلك يُخصّص المجلس سنة 2024م للرقنة والتحول الرقمي في تجسيد صفر ورق في المعاملات اليومية والتقليل من نفقات الورق، والقضاء على البيروقراطية، وإضاعة الوقت بين المكاتب... وهي جملة المقترحات التي نسعى العمل على توصيلها إلى أصحاب صنع القرار، بأنّ العربية بخير، وما يقوم به المجلس في جدلية الإسهام في ازدهار العربية وتعميمها في العلوم وفي التكنولوجيا والترجمة؛ هي وصفة ناجحة بما تحقّق من منجز في هذا المجال، وما نخفي به اليوم من إطلاق منصّة (المعجم الشابكي) يدخل في تلك الأدلة الوظيفية والقواميس والمعاجم التي قدّمناها لمختلف الوزارات بلغات ثلاث: عربية + إنكليزية + فرنسية وكلّها تشهد على نوعية الخدمات العلمية للمجلس الأعلى للغة العربية، فأنعم بها من خدمات علمية باللغة العربية الرصينة! وإليك بطاقة تعريفية لهذا المعجم الشابكي:

إنّه عمل تشاركي بين المجلس الأعلى للغة العربية، ورعاية مؤسسة أوريدو/OOREDOO الجزائر، من تصميم المجلس وإنجاز شركة DjiIWEB؛ هو الأول من نوعه في العالم العربي، ولا يقلّ قيمة عن تلك المنجزات الغربية ذات العلاقة بما يحمله من مواصفات عالمية. إنّه معجم سمعي بصريّ رياديّ يمتدّ لعدة سنوات؛ حيث يجري تحديث بطاقاته المعجمية تبعاً، بناءً على إدخالات الفريق العلمي للمعلومات. وهو متّصل بالشبكة، ذو طابع تفاعلي سمعي - بصريّ، قائم على مستويات ثلاثة؛ في بواباته الخمس: الإنسان + الحيوان + النبات + المكان + الزمان) وتندرج تحت كلّ بوابة عشرات البوابات الفرعية التي تشتمل على مئات وحتى آلاف من البطاقات المعجمية، وتتضمّن كلّ بطاقة معجمية صورة للكائن المعجمي، ومدخلاً مكتوباً بالعربية والألفبائية الصوتية العالمية، إضافة إلى ملفّ صوتي للمدخل وإلى تعريف موجز ومركّز للكائن المعجمي. ويرمي هذا المعجم إلى استيعاب ما أمكن من الأشياء والأحاسيس، ويرصد مخرجات التقانة الحديثة ليرى من خلاله المستخدم ذاته، والعالم من حوله بعيون عربيّة؛ ينقل هذا المعجم المعجم العربي من كونه مجرد معلّم لمفردات اللغة وجامع لها، إلى أن يصبح أداة لتوسيع الفهم بكيفية عمل الكون، واستكشاف العالم الماديّ، هذا من جهة، ومن جهة ثانية؛ يربط المعجم المفردات بالمواقف، ويسمح برؤية الأشياء في السياقات الخاصة بها، لتتسع بسرعة المعرفة بالمفردات، ويتحسن فهمنا لها، وهذا بفضل الترتيب الموضوعي الدقيق والمتدرّج ضمن مشجّرات علمية مدروسة. يسعى المعجم العربي الشابكي السمعي البصريّ إلى تقديم فهم أمثل للمواقف والمواضيع المحددة. ففي حال رغبت مثلاً في معرفة أسماء الأجزاء المختلفة للجهاز ما، واكتشاف

كيفية ارتباط بعضها ببعض، ومُشاهدة أمثلة للاستخدامات الشائعة لذلك الجهاز، فستكون زيارتك لهذه المنصة المعجمية هي الحلّ الأفضل. كما يتيح البحث في الموضوعات لتحديد موقع الكلمات بسرعة، وكذا البحث عن معنى الكلمة؛ بعرض الصورة التي تمثّلها، وتفهم الظاهرة من خلال الرسوم التوضيحية والصّور الفلاشيّة المتحرّكة المتّصلة بها. إنّهُ مُعجم شابكيّ يُساعد المُستخدم على اكتشاف عالمٍ مرئيٍّ من المعلومات اعتماداً على الطّبيعة الاختزاليّة للصّورة صورة واحدة قد تعدل ألف كلمة. فهذا المُعجم يُظهر لك معنى الكلمة بدلاً من أن يخبرك به! إنّهُ أداة تعليميّة وتربويّة وثقفيّة مفيدة لكلّ شرائح المُجتمع!

المخاطر التي تواجهها اللغة العربية*

- الديباجة: تنالني السعادة وأنا أتواصل مع زملائي في مجمع اللغة العربية بدمشق عبر التّحاضر عن بُعد، وقد اشتقنا إلى تلك الأيام التي كان جمعنا العتيد يجمعنا برعاية كريمة وسخاء وكرم شامي، وما أجملها من أيام! وذهبت تلك الأيام، ورحل الذين نُحبهم، فهل من عودة قريبة أستاذي الكبير، العالم النّحرير كبير المجمعين (محمود السيد) الذي نُقدّر فيكم العليّة والمثابرة والاستمرارية المتجددة، وما تقدّمونه للأمة من أفكار في التّربية وفي علوم العربية، وأنتم حُماة العربية منذ أن عرفناكم أستاذًا ووزيرًا ونائبًا لرئيس المجمع، ثم رئيسًا لهذه المؤسسة التي تحتفي بمرور خمس سنوات بعد المئة (105) من صمودها وخدمتها للغة العربية، وأنتم تناسلتم من تلك الثّلة العالمة التي أرست القواعد، وواصلت درب الأماجد، فبقيتم منافعًا من أجل العربية العالمة؛ لتنال المقامات العلى في الاستعمال وفي الإدارة وفي العلوم، وأنعم بكم أيّها العالم الكبير!

هي سمة سورية البلد العربيّ السّباق للتّعريب، بلد عمل على تخرّيج دفعات من المعلّمين والأطباء والمهندسين والطّيارين العالمين بالريادة، وباللغة العربية في أعلى تجلّياتها؛ فكانت لهم المقامات العلى في العالم العربيّ وصنعوا كفاءات عربيّة وقامات مشهود لها بالذّود عن العربية. أساتذة سوريون نشد لهم بما لهم من علم ودراية بالعربيّة التي ما اشتكت منقصّة في أداء مهامهم، هم جيل العربيّة التي تشبّعوا بها ونالوا الرّتب الدّولية. هي سورية المجد التي لا تزال تحمي العربيّة، وتدعو قيمها العربيّة لحماية العربيّة، بتطبيق دساتير الدّول العربيّة التي تُجمع على أنّ العربيّة لغة رسميّة، ويحقّ لها أن تنال مواقعها في مختلف مجالات الحياة اليوميّة. هي سورية وخز الضّمير التي تدعو النّخب العربيّة وأصحاب القرار في الالتفاف حول العربيّة من أجل الحفاظ على الهوية التي تمثّل اللغة الأمّ لبنتها الأولى. هي سورية التي ترفع التّحدّي من أجل حماية العربيّة من هذا المجمع في موضوع جدّ مهمّ وهو المرافعة في تبيان المخاطر التي تواجهها العربيّة، وهنا بيت القصيد، ومخطّتنا في تقديم ما بصرت به في هذا الموضوع وإليكموها عبر هذا الفيديو.

1- أهمية هذا الموضوع: يجب العلم بأنّ كلّ طعن أو تجريح في اللغة العربيّة هو طعن في هويّة الأمة وكلّ قضية تشكّل خطراً علينا أن نتنادى لعلاجها على السّريع كي لا تتراكم المضايقات، وأنّ العربيّة خطّ أحمر باعتبارها اتّحاداً عالمياً بما لها من بُعد هوياتيّ وقوميّ وأمنيّ وتنوّي واستراتيجيّ لدى العرب والمسلمين، فهي وجودهم وماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، وكلّ خطرٍ خطرٍ على وجودهم. ومن خلال اختيار هذا اللّقاء الجمعيّ لهذا الموضوع، يجدر بنا التّركيز في البداية على أهميّة خطاب الاحتواء لهذا الجيل، خطاب حبّ العربيّة، حبّ لغة القرآن الكريم، وخطاب العلم في أنّها لغة قويّة وثابتة وراقية وعالية الفصاحة، وهي مفتاح تاريخ العرب في كلّ منجزاتهم، وأنّ تعلّمها من قبل أهلها فرض عين وضرورة قصوى وتزيد في الذّكاء، وأنّ تعليمها لغير الفطريين فرض كفاية لمزيد من كسب المسلمين، وتبليغها بأحسن أداء وهو واجبنا جميعاً.

♥- الكلمة التي أُلقيت عن بُعد، لصالح مجمع اللغة العربية السوري. بتاريخ 7 مارس 2024، في إطار النّشاط السنوي الذي يقيّمه المجمع.

والعربية عماد حضارتنا في مختلف المواقع التي دخلها الفاتحون، وأن آثارهم تدلّ على عظمة العربية بما حملته من شعر ومَن قديم مُتجدد، وبما لها من الرّكام الذي لا ينفد.

وما يجب الاستثمار فيه أنّ العربية لها خصائص لا توجد في أيّة لغة، فهي كما قال الشّافعي "لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا وقد علمنا أنه لا يُحيط به إنسان غير نبي". والعربية من أقوى اللّغات في العالم بما لها من 600 مليون من فطريها، ومليارين (2) وستّة ملايين (6000000) من المتلاغين بها في صلواتهم في كلّ ثانية في العالم. وهي اللّغة الثّانية في الشّابكة، ولغة أُمّية، ولها الأيام القارة التي يجب إقامتها تحجّداً لها واستمراراً لمقامها الحاليّ والمستقبليّ. وهذا هو الخطاب الذي نروم أن يكون لدينا، وفي نصوص الكتاب المدرسيّ، وفي الرّصيد اللّغويّ، بتلك المدوّنات العالية في البلاغة والفصاحة والصّور الفنيّة والخطابة ومختلف الفنون والمسرح والرّسوم والنّحت. هي العربية التي لا تموت بما لها من مُفكرين وعلماء ومُبدعين ودواوين وكتب تمثّل المنجز القديم والجديد. وأما ما لها من صعوبات فقد سبق لها أن عانت من كثير منها، ولا تزال هناك مضايقات مُعاصرة، ولا تخلو لغة من اللّغات إلّا وفيها من يطعن فيها وهذا ما نقرأ الآن أنّ الإنكليزيّة تتفهم بتساعدها الكبير في الخروج من قواعد النّحويّة وأنّ الفرنسيّة تُعاني من هجرانها من قبل أهلها، فلم تعدّ لغة الأنوار، وأنّ الإسبانيّة إسبانيات، والرّوسيّة ليس لها الإشعاع إلّا في الصّناعة الثّقيلة، فهي عالة على الكثير من اللّغات، وأنّ الصّينيّة هي صينيّة العاصمة فقط (لغة قوميّة الخان) ولا تُفهم الصّينيّة المعياريّة إلّا بالقواميس، ويحتاج الصّيني الذي ينتقل من مدينة سنّشوان إلى مترجم وهو يقضي مصلحه في يمين، وكذلك العربية في وضعها الحاليّ لها صعوبات تقنيّة والطّريق تصنعه الأقدام في البحث عن الحلول. وبالفعل تُعاني العربية من إشكاليات الرّقمنة التي تعيق المحتوى الرّقميّ العربيّ على الشّابكة وفي التّرجمة وفي تعريب المصطلحات ودورها في التّنميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة. هي العقدة المُعاصرة التي لم تملك فيها العربية الرّاد الوفير للعيش ضمن الأمتّة والميكنة والبثّ الضوئيّ، والتّصوير الضوئيّ... وهكذا كلّ اللّغات لها مضايقات وتحديات، وسوف يقع الحديث عنها في مكانها.

2- - الدّاعي إلى علاج تآكل العربية في بلادها: لا ننكر بأنّ وضع العربية غير مُريح، وهي مُهدّدة في أوطانها "... نتيجة التآكل التدريجيّ لوظائفها في المُجتمع، واستنزاف نقط قوتها الرّمزيّة والنّوعيّة والوظيفيّة وفقدانها لمواقعها التّاريخيّة والحضاريّة والثّقافيّة والعلميّة والتّواصلية تدريجيّاً لمصلحة اللّغات الأجنبيّة وبخاصّة اللّغة الفرنسيّة والعاميّات المحليّة". إنّها العربية التي تُنادينا لتكون لها المكانة في العلوم، وفي المُقاولات الإنتاجيّة وقطاع الخدمات، وأن يكون لها إنتاج فكريّ وثقافيّ وعلميّ يغنيها عن الاتّكال على الأجنبيّات، وهذا ما يصنعه المثقّفون بتقديم بحوث ترتبط بمختلف الميادين، وبخاصّة الميدان العلميّ الذي يضمن حضورها وموقعها لدى أهلها وعند غير أهلها، وتُعالج المسألة في مشاريع توسيع المُعجم العامّ ومُشكل التّفصيّل، والاقتراض والهندسة اللّغويّة، وتُعالج كذلك بالبحث في المقام الأوّل، وبتضافر جهود الفاعلين والمُختصّين، والاستفادة من المُستجدات العلميّة والتّقنيّة في مجال اللّسانيّات الحاسوبية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إنّها أزمة المُجتمع

العربيّ الذي قبلت نخبته بمَقولة (العربية لغة أدبية غير علمية) وتماهى الخطاب؛ فنال مَوَقعَه لدى العموم، وقد نال مَوَقعَه بسبب الأُمّية وبعض الهزائم التي مُنيَ بها العالم العربيّ من خلال حروبه مَعَ الاحتلال الأجنبيّ وقد أُسبغ عليه ظاهرة التَّبعية اللُّغوية، وانجَرَّ عن ذلك ظهور نخبة تبنّت خطاب العربية لغة أدبية، ولا تصلح للعلوم، وكان له أثر في التّخلف الثّقافي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي، وما صاحبه من تفاقم الأوضاع الداخليّة والتي تركت آثاراً سلبية في المواطن العربيّ وتكوّنت فيه عقدة عدم الثّقة في لغته، ونال ذلك مفصل الشّك في الهويّة اللُّغوية. فأصبحت مُشكلة لدى العامّة في عدم تضييع الوقت لتطوير العربية، وأنّ المخرَج هو تبني لغة المحتلّ فهي النّجاة، وأنّ التعريب ليس حلاً، بل هو سبب الأزمة. هذا هو الخطاب الذي كبر وتنامى عبر السنين، وأنّ الحلّ في يد النّخبة المؤمّنة بسياسة التعريب، في تغيير الخطاب، والتقاء النّخبة مَعَ المُجتمع والدولة، لمعالجة الأزمة ضروريّ والبداية من حيث إثبات تقدّم الأمة التي تبنّت اللغة الأجنبية أنّها عاشت التّميّة والرّفاهيّة. ولتجاوز خطاب الطّرشان، أو رأيي هو الصّواب ولو كان على خطأ، هناك القوّة النّاعمة التي تجمع النّخبة والمُجتمع المدنيّ وصاحب القرار، وهو أن يكون تحمّل الدّول والمُجتمعات العربية لمسؤوليتها في حماية وتأهيل اللغة العربية واتّخاذ القرارات الكفيلة باستعمالها في التّعليم والتّواصل والبحوث، ووضع حدّ للسياسات اللُّغوية المزدوجة بين القوّة نعم، والفعل مُوجّل، ويأتي دعم التعريب التدريجيّ المُرتبط بالسيادة والحضارة والتّاريخ، وبالتّميّة الشّاملة للأمة العربيّة.

3- ابتلاءات العربيّة في العصر الحاضر: بدأت من أهلها، ففينا نخبة مُعتربة ومُتغرّبة فكراً ولغة وتدافع عن الغرب، وليس لها من أوطان العرب إلّا المولد، وهذا التّاريخ يعود مرّة أخرى في أولئك الدّعاة إلى الاهتمام باللهجات، والخروج من عباءة لغة القرآن التي تصلح لزمان مَضَى، ولا بدّ من اتّخاذ لغة الحياة اليوميّة الشّعوريّة الشّعبيّة، وأن تكون ككاتبها بالحرف اللاتينيّ ليحصل اللّحاق بالغرب فقط. هو ابتلاء نشاهد آثاره بشكل جديد في نخبة تكره كلّ ما هو عربيّ، وأنّ الوظائف لا تسند إلّا لمن يعرف الفرنسيّة فقط، وكلّ من يُشتمّ فيه ريح القوميّة يُستبعد من مناصب القرار، فهو خطرٌ خطرٌ، وليس بالمتّقف العالمي، فهو عارف بالعربيّة فقط، ولا يصلح للعصر؛ باعتباره تاريخانياً ماضوياً، ولا يملك النّظرة المُستقبلية. ولهذا نجد تناقضاً في سياسات الدّول العربيّة في تدبير المسألة اللُّغوية، حسب لغة المُستدَمِر الماضِي، وحسب الأرضيّة العلميّة للنّخبة، وكلّ نخبة تابعة للغة، فأيهم على الصّواب؟

هنا المصير اللّغوي الذي كان يجب تبنّيه من المنطلق في توحيد لغة التّعليم، ليحصل توحيد لغة التّفكير ولا يعني التّخطيط، بقدر ما يعني العمل بمنهجيات مختلفة، لكن المخرَج واحد، وهذا ما تفتقده السياسات اللُّغوية العربيّة، وكلّ بلد له نظرة آحاد لا تلتقي في مراميها المُستقبلية مَعَ كلّ الدّول. هو من نقص عمليّات التّخطيط، والتّفريق بين السياسة اللُّغوية، والسياسة التّربويّة، وهذا من عوامل النّخبة التي لم تكن في مُستوى تقديم الأفكار بصيغة واضحة لمن يصنع القرار. وكلّ ذلك أسهم في خروج قرارات ارتجاليّة، وإصلاحات تربويّة فاشلة، وكان من أسبابها حضور ضعيف للعربيّة، وتراجعها مُستمرّ عبر سوء استعمالها... هو لوبي كبير لمِسانه

من خلال الدعوة إلى التدريس باللهجات، بتأثير سياسي واقتصادي فرنكفوني قوي ومتنفذ يحول دون تحقيق مطالب العربية وهي العمل على ازدهارها وتعميمها وتعليم العلوم بها، وإغنائها بالترجمة، ويقوم هذا اللوبي بإقصاء مُنْهَج وعبر مراحل، إلا ما هو من الرسمى الزائف. لوبي كان يعمل على تعطيل العربية في كل المحافل وعلى تناسي دورها التاريخي والحضاري في نشر اللغة العربية وثقافتها وعلومها في أفريقيا وأوروبا، وما يمكن أن نعلق عليه أننا شهدنا شبه حرب على العربية، مُحاصرتها وتعطيل مؤسساتها، وتجميد طاقاتها، وتجفيف منابعها وإقصائها من كل مظاهر الحياة، وزرع الشك في نفوس وعقول أهلها من عدم قدرتها على أن تكون لغة العلم والحضارة والمعرفة. وأن هذا اللوبي جاهل بالعربية والحمد لله أن (الجزائر الجديدة) تفتنت بحكمة صاحب الحكمة لهذه القضية التي أعادت للعربية مجدها.

4- المخاطر التي تواجه العربية: يمكن تقسيمها إلى مجموعتين كبيرتين هما:

1/4- مخاطر في ذات اللغة: وهي عبارة عن مضايقات قديمة مكررة تتمثل في مجال الصرف والنحو والبلاغة وفي التعليميات، وهي من الموضوعات التي عُنِدت من أجلها الندوات والأيام الدراسية، وشُكِلت لها لجان وبخاصة في تيسير النحو، وأسأل هذا الموضوع الكثير من المداد، ولا تزال أفكار في ذات الموضوع تُنادي بعلاج المسألة التي أصبحت مشكلة عقدة، وما نسمعه ونقرأه من أخطاء (اللحن) وقد استفحلت ونالت الخاصة، وظهرت الآن في (فقر التعلم) في عدم تمكن/تحكم التلميذ في مهارات: الاستماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة. هو ضعف في مناهج تدريس العربية، وظهر جلياً في سوء أداء الفصحى؛ حيث مناهج التدريس لا تعمل على تنمية السليقة اللغوية؛ فتقدم النحو دون فاعلية وعفوية، بغية الإعراب من أجل الفذلكة اللغوية فغابت فاعلية الإعراب عن نصوصها وأنشطتها، لأن التركيز كان يقع على الجوانب الصورية في تعليم الصرف والنحو، وعدم الاهتمام بالدلالة اللغوية والمعنى، فغابت وظيفة الإعراب في استخدام اللغة ونتائجها في طغيان التلهيج، وما يتبعه من فقر الكتاب المدرسي للقواعد العصرية ومشكلة الشكل/التشكيل وطرائق التلقين المهترئة... وهذه الأمور سهلة العلاج، ولقد كانت مطروحة في ما مضى من الزمان، ولم تكن سبباً في ضعف العربية، بل تعايشت معها بصورة عصرها، ولا تُشكّل خطراً عليها في وضعنا المعاصر بقدر ما تحتاج أن تُحَيَّن وتُعالج من أهل الاختصاص، وبخاصة من قبل المربين في المقام الأول.

2/4- مخاطر حديثة: ظهرت حديثاً، ولها أسبابها الكثيرة بشعار العولمة التي تأتي على دحر اللغات الأم/اللغات الوطنية، ومن مظاهرها: انتشار المدارس الأجنبية المروجة للغات الأجنبية، تعليم العلوم باللغات الأجنبية فقط، فوضى المصطلحات، ضعف المأسسة اللغوية، قلة الإنفاق على المشاريع اللغوية، تذبذب السياسة اللغوية في قضية التعريب، عدم جسارة العربية للتقانات الحديثة، تقصير المجتمع المدني في حماية اللغة العربية من تغول وهيمنة اللغات الأجنبية وبخاصة الإنكليزية والفرنسية... هي مظاهر تشكل ضرورة رفع التحديات لعلاجها، وإلا سوف يكتب التاريخ على العربية بأنها من الماضي الذي يدخل في طي النسيان وربما تكون العربية من بين اللغات التي ستقرض بناء على ما أشار إليه تقرير اليونسكو عام 2006م.

5- علاج رفع المخاطر: أقدم ما بصرت به من أفكار بعد حصري الضيق للمخاطر، وأقترح وصفة علاج للمسألة لتجاوز كل المضايقات، وهذا يتطلب الصبر والممارسة والدوام على العلاج، وليس بالأمر الذي يأتي به خاتم سليمان/ كن فيكن. وسيكون هذا العلاج سهلاً في المقام الأول حالة ما توفرت الإرادة السياسية الفاعلة في القرارات السياسية والخطط الحكومية، من تخطيط السياسة التربوية على وجه الخصوص التي تراعي الآماد الثلاث: السريع، ثم المتوسط، ثم بعيد المدى، ويضاف إلى ذلك العمل على تحويل التّيمات والطموحات إلى وقائع ملموسة، والاستعداد لطول النفس، وأن يصاحب ذلك حملات توعية ومؤازرة شعبية تدعم وتناصر وتدافع عن تلك السياسات. وهذا فأية لغة لا بد من سياسة تعضدها، وأن صاحب القرار بيده الحل الكامل؛ علماً بأن رجل السياسة ليس بمعزل عن معايشة مظاهر خطر مكانة اللغة العربية، فهو مسير ومُشرّع ومُمثّل شعب/ بلد وصاحب قرار، فهو في منزلة الشخصيات النموذجية التي تدفع الجماهير العريضة إلى تقليدها بصفة لا شعورية. ولهذا من المستلزمات الأساسية عليه كمنّخب أو مسؤول سياسي حسن المرافعة بالعربية في كل المحافل، وحسن استصدار القوانين والتشريعات التي تحمي لغة الأمة. ولذلك تستدعي الخطابة عند السياسي بالعربية الفصحى المؤثرة في الجماهير، وذلك دور من الإقناع والوعي العميق بالدفاع عن لغة الأمة، وأنه حامي مقوم مهم من مقومات الهوية اللغوية. ومن خلال لغة السياسي تحكم على الحكمة في البلد وإلى أين تسير في مجال المحافظة على الهوية اللغوية، وتطمئن إلى الخطاب الذي يرفع الخطر المحدق باللغة العربية، وذات الشيء بالنسبة لممثلينا في المحافل الدولية الذين يجب عليهم المرافعة بالعربية الفصيحة العالية، لا الاتكاء على لغة المستدمر/ الأجنيات، وذلك هو فشل السياسي وأنه لا يحمل مقومات الأمة، وليس في مستوى خدمة الشؤون السياسية لبلده، فهو أخذته الأجنيات، وأصبح قيمة لها، وافتقده بلده بما له من مراسيم تخص احترام لغة البلد، فكيف الحال بصاحب (حاميا حراميا). هي مأساة أن تسمع بعض ممثلي الأمة العربية في المحافل/ المواجهات العلنية يتحدث برطانة أو بلغة ليست لغته، هي كارثة من ضعف الاستثمار في المدرسة الوطنية التي تعلّي من مقام الأجنيات، والأسوأ كله ومن وخز الضمير أنك تقابل أجنبياً يرفع من أجل لغتك، ويحسن لغتك، وفي ذات الوقت يمجّد ويحافظ على لغته. غاب الوعي الثقافي والمعرفي، فطاب العيش للأغبياء، ولا يمكن أن نقارن بين رجل السياسة في أوطاننا العربية، وبين الآخرين، وبخاصة الغربيين الذين يذوبون ولائاً للغاتهم. ومبعث الحزن هنا أن العربية -نتيجة سياسة اللاعقاب أو وخز الضمير أو التسامح اللغوي- تفقد يوماً مكانتها الاستعمالية في المحافل الدولية، وأن هذا ينذر بالتآزم وبالمخاطر المختلفة التي تحيط بها.

1/5- ضرورة التخطيط لعمل شعبي وفي ذات الوقت نخبوي على مستوى الدولة الواحدة من أجل تعزيز مكانة العربية، وتعميق فهم المخاطر التي تحيط باللغة العربية لدى عامة الناس، من أجل أن يتبنوا قرارات ذاتية لرفع سويتهم في الحديث بلغة سليمة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية ضرورة استشعار خطر التهاون في علاج أخطار العربية، وهذا لا يكون له أثر إلا عن طريق صاحب القرار، وعبر جامعة الدول العربية التي

تنادي بضرورة تطبيق قراراتها في مسألة تطوير العربية، وتعميم استعمالها، وتدريس العلوم بها، والترجمة لهذه الغاية، هي قرارات مُعطلةٌ من كثير من الدول العربية. وأنّ العرب يعيشون الانتحار اللغوي عبر لغتهم التي تساحوا فيها حتى تهددت أزمّة الاندثار، أن تنقرض. هي معركة الثقافة العربية والوجود والخصوصية في الميزان، فأين استراتيجية جامعة الدول العربية بما لها من مأسسة، ومن مُستشارين، ومن خبراء، ومن قرار إزامي، وكان عليها أن تخرج من السلبية النَّاسفة لترفع التهميش عن العربية بالفرض الوجودي لاستعمالها في الطب، وفي المعارف العلمية الحديثة.

2/5- العربية قضية استراتيجية ووجودي حضاري: ما نريد أن يصل إلى مسمع النخبة العربية بأنّ لها قدراً وصوتاً ومقاماً في الإسهام في رفع التحدي بتقديم أفكار مصيرية في رفع الخطر في الفضاء اللغوي والإبداعي والتعليمي وفي مجالات الاقتصاد وفي العلوم الحديثة، وأنّ النخبة لها قوة التأثير في سلطة القرار بما تقدّم من أفكار إيجابية بقيمة المشروع اللغوي في التحديث والتنمية؛ والذي يسمح بالدخول إلى (مجتمع المعرفة).

3/5- العربية وحسن أدائها الإعلامي: إنّها السلطة الرابعة قديماً، ولها السلطة الخامسة حديثاً، بالسيطرة على وسائل التواصل الاجتماعي الذي يصل إلى شريحة كبيرة من المجتمع العربي 73% من ساكنة الدول العربية شباب يتواصلون بهذه الوسائط الحديثة. وعندما يكون إعلامنا فصيحاً كم تنال العربية السليمة الانتشار؛ كم من شباب يزهو بلغته ويفتخر؛ كم هو جميل أن يتابع ملايين من المشاهدين ما تبنيه المؤسسات التربوية والإعلامية من حسن استعمال اللغة العربية. ولهذا لا بدّ من الاستثمار في المجال الإعلامي برفع مستوى الأداء اللغوي الإعلامي بالفصح، من حيث أداء المذيعات والمذيعين. وعلينا رفع الخطر عن لغة الإعلامي بتصحيح أدائه في مساوئ النطق، والترفع عن الأخطاء الشائعة، والارتقاء الذهني بالمُستمع/المُشاهد، وعدم النزول إلى استعمال لغة الدَّهْماء والغوغاء. كم هو جميل أن يعمل رجل الإعلام على تهذيب لغة العامة؛ ببرامج راقية بالسهل الممتنع، وتخوض القنوات الفضائية دوراً مركزياً في حرب اللهجات، وتُحاول كلّ فضائية إشاعة الفصحى مُستعينة بكلّ التوابل البلاغية التي تُحبب العربية.

اقتراحات:

1- الحاجة الضرورية إلى مُعلّم نموذج في الأداء والمتحكم في المهارات، وفي إبراز جماليات اللغة الفصيحة في التعبير عن حاجات العصر، وكذلك في ما ورد في متون العربية القديمة. وهذا المُعلّم توفّره المدرسة العمومية التي يجب أن تكون مدرسة الجودة، تنافس المدرسة الخاصة؛ بما تقدّم من حسن الأداء. وفي هذه المدرسة نجد الحركة القرائية جيّدة بجودة مُعلّميها؛ بتخصيص مسابقات في حسن تطوير آليات اعتماد اللغة العربية الفصيحة في الخطاب اليومي التعليمي.

2- ضرورة إسهام المدارس في كلّ الدول العربية في الاحتفاء بأيام ذات العلاقة باللغة العربية، وهي: اليوم العالمي للغة الأم/21 فبراير+ اليوم العربي للغة الضاد/1 مارس+ اليوم العالمي للتنوع الثقافي/21 مايو+

اليوم العالمي للترجمة/30 سبتمبر+ اليوم العالمي للعربية/18 ديسمبر، ويضاف إليها تلك الأيام الخاصة بـ: اليوم العالمي للمنطق+ اليوم العالمي للمعلم+ اليوم العالمي للرياضيات+ اليوم العالمي للفلسفة.

3- تعاضد الخطاب الإعلاني بالعربية بين وزارات التربية، ووزارات الثقافة، ووزارات الإعلام في ضرورة الإغلاء من شأن العربية بما لها من خصوصيات هوياتية وقومية وأمنية وتنموية. وتشجيع عادة القراءة وبخاصة لدى الناشئة، ومراقبة برامج الأطفال، ومنع العاميات بشكل كامل.

4- ربط الناشئة بالكتاب بتحفيظ القرآن الكريم بداية من مرحلة الروضة، حتى يتحكموا في مخارج الحروف ويمتلكوا الرصيد المعرفي الضخم من الألفاظ والمسكوكات والمحفوظ الذهني والحكم والأمثال والقصاص؛ كي تكون لهم عُدّة لسانية في مراحل دراستهم. ومن خلال هذا أربط ضرورة كثرة القراءة وإدامة النظر في عيون الأدب من القديم والحديث؛ حتى ترسخ الأساليب اللغوية الرفيعة في ذهن الناشئة، وينمو في أذهانهم الرصيد المعجمي من الألفاظ والتعابير والمسكوكات التي تجعلهم يتفاحون في حسن الأداء، بل ويتبارون.

5- ربط الجامعة بالواقع التعليمي في المرحلة القاعدية، والمحيط العربي، وضرورة تدريس معظم المساقات العلمية/المواد العلمية النظرية باللغة العربية، وتدريس بعض المواد الحديثة بلغة القطب، على أن تتم الترجمة في العلوم التي لم تتحكم فيها العربية بشكل جيد، من مثل: النانوتكنولوجي، وعلوم الفضاء والاستشعار عن بعد للاستفادة منها في تطوير العربية.

6- ربط الناشئة بمصادر معرفية معاصرة، حيث وفرت التقنية الحديثة الإخراج الفني عالي المستوى ليكون في عالم الألعاب اللغوية الإلكترونية والأفلام التعليمية الهادفة، والتي تحمل مضمونا ولغة عربية سليمة وعالية جداً، وبخاصة التي تحمل ميسم الحضارة العربية الإسلامية الشرقية بسيادة اللغة العربية. وهنا من الضروري الاستثمار في رجال المستقبل، وهم أبنائنا وخلفاؤنا بمرافقتهم لغوياً وحضارياً في التنشئة البيئية والمحيط والمدرسة وغيرها من المجالات التي يلتقي فيها هذا الجيل على غرار ورش العمل والحرف والرحلات والغناء والنشيد، وكلها تصب في غرس المواطنة اللغوية.

7- تكليف المجامع/اتحاد المجامع برفع مضايقات العربية: وهي كثيرة، وكان الأجدر بهذه المؤسسات الأكاديمية رفع مشعل العربية في وجوه المناوئين والرافضين والمحاجين والطاعين في نحو العربية وصرفها وفي الاختلافات النحوية، وفوضى مصطلحاتها، وقلة أداء المجامع، والعيش خارج التغطية، وأن العربية في وادٍ وهم في وادٍ، وماذا قدم المجمعون لمسيرة العربية لواقع الحياة اليومية، وأين العربية الوظيفية، وأين علاج الأزمات اللغوية... وهنا على المجمعين أن ينبروا للرد على أصحاب الدعوات الهدامة، وتبيان ضرورة التلاحم المعاصر من أجل الوقوف بالندية أمام تغول العولمة التي تأتي على دحر اللغات الوطنية وعولمة الإنكليزية بالإكراه بما تقدمه من منتج آلي سهل يعمل على الرفاهية، ومنها الرفاهية اللغوية التي توفرها اللغة الإنكليزية.

8- مواصلة عمليات التعريب بمسار جديد ينأى عن مسار الفشل الذي منيت به مصر والعراق والجزائر والأردن، تعريب التعليم الجامعي في التخصصات كافة، والاستفادة من التجارب الناجحة، ووضع خطة على

مُسْتَوَى جَامِعَةِ الدَّوْلِ الْعَرَبِيَّةِ، بِاقْتِرَاحِ مِنَ اتِّحَادِ الْمَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِاتِّخَاذِ إِجْرَاءَاتٍ عَمَلِيَّةٍ وَبَخْطَةٍ وَاضِحَةٍ الْإِطَارِ الزَّمَنِيِّ؛ لِلاتِّتِقَالِ مِنَ التَّدْرِيسِ الْجَامِعِيِّ بِاللُّغَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ إِلَى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ. هُوَ إِحْيَاءُ ثَانٍ لِحَرَكَةِ التَّعْرِيبِ بِمُرَافَقَةٍ شَامِلَةٍ فِي التَّرْجَمَةِ لِتَكُونَ عَوْنًا وَبَدِيلًا عَنِ الْمُرَاجِعِ الْأَجْنَبِيَّةِ، وَفِي ذَاتِ الْوَقْتِ تَحْصُلُ عَمَلِيَّةُ تَفْعِيلِ دَوْرِ مَكْتَبِ تَنْسِيقِ التَّعْرِيبِ، وَمُواصَلَةُ إِصْدَارِ الْمَعَاجِمِ الْمُوَحَّدَةِ الْعَامِلَةِ عَلَى الْحَدِّ مِنْ فَوْضَى الْمَصْطَلَحِ.

9- تَعْلِيمُ الْعَرَبِيَّةِ لِغَيْرِ النَّاطِقِينَ بِهَا: وَهِيَ خَصِيصَةٌ دِينِيَّةٌ، فَلَوْلَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ لَمَا تَعَوَّلَتِ الْعَرَبِيَّةُ ذَاتَ زَمَانٍ، وَلَوْلَا الدِّينُ لَأَصْبَحَتِ الْعَرَبِيَّةُ عَرَبِيَّاتٍ، وَلَوْلَا الْقُرْآنُ لَمَا تَوَحَّدَتِ أَلْسِنَتُنَا. وَلِهَذَا عَلَيْنَا وَاجِبٌ نَقْلُ الْعَرَبِيَّةِ لِسَاكِنَةِ أَفْرِيقِيَا لِتَعُودَ أَفْرِيقِيَا نَاطِقَةً بِالْعَرَبِيَّةِ، وَإِلَى آسِيَا وَتَعُودَ الْعَرَبِيَّةُ لِسَانًا عَالَمِيًّا فِيهَا، وَإِلَى أَوْرُوبَا لِتُجَدَّ الْحَضَارَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي نَقَلْتَهُمْ مِنَ الْإِنْخِطَاطِ إِلَى ثَوْرَةِ الْبُخَارِ، وَمِنْهَا اسْتَفَادَتِ الْحَضَارَةُ الْغَرِبِيَّةُ الْمَسِيحِيَّةُ، وَكَانَتِ الْعَرَبِيَّةُ/النَّهْضَةُ الْعَرَبِيَّةُ قَاعِدَتَهَا الْأُولَى بِإِقْرَارِ الزَّيْهِيْنَ الْغَرِيبِينَ.

الْخَاتِمَةُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَخَاطِرَ تَسْتَدْعِي التَّدْخُلَ مِنَ جَامِعَةِ الدَّوْلِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْ خِلَالِ الْقِمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي تَجْمَعُ مُلُوكَ وَرُؤَسَاءَ وَأَمْرَاءَ الدَّوْلِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَخْذِ الْقَرَارِ الْإِزْمَامِيِّ فِي عِلَاجِ هَذِهِ الْمَخَاطِرِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالْخَارِجِيَّةِ وَلَا بَدَّ مِنْ طَمَأْنِنَةِ الْمَوْطِنِ الْعَرَبِيِّ أَنَّهُ يَعِيشُ الْأَمْنَ اللُّغَوِيَّ فِي بَيْتِهِ وَفِي بَلَدِهِ وَمِنْ خِلَالِ مُؤَسَّسَاتِهِ، وَيَعِيشُ الرِّفَاقِيَّةَ وَالتَّنْمِيَّةَ الْمُسْتَدِيمَةَ مِنْ جَمَالٍ وَحَسَنِ الْأَدَاءِ بَلْغَتِهِ. وَلَا بَدَّ مِنَ التَّنَادِي عِبْرَ كُلِّ الْوَسَائِلِ لِعِلَاجِ أَمْرِ تَهْمِيشِ الْعَرَبِيَّةِ الَّذِي انْعَكَسَ سَلْبًا عَلَى الْإِهْتِمَامِ بِهَا فِي كُلِّ الْحَيَاةِ الْعَامَّةِ، وَهَذَا مَا وَلَدَ السَّكُوتَ عَنِ الْمُهْجَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَالضَّعْفَ فِي الْأَدَاءِ، وَعَدَمَ التَّطْوِيرِ. وَكُلُّ ذَلِكَ يُشَكِّلُ تَهْدِيدًا لِهَوِيَّتِنَا، وَيَجْعَلُ هَذَا الْجِيلَ فِي مَحَلِّ سَوْالٍ مَنْ يَكُونُ؟

هَذَا، وَنُرُومُ أَنْ تَصِلَ هَذِهِ الْاِقْتِرَاحَاتُ إِلَى صَانِعِ الْقَرَارِ، عَلَيْهِ يَحْدُثُ إِيجَابِيًّا نَفْرَحُ بِهِ فِي الْإِحْتِفَالِ بِمُنَاسَبَةِ الْيَوْمِ الْعَالَمِيِّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ 2024/12/18م إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَكُمْ مِنِّي عِبَارَاتُ الْوَدِّ وَالْإِحْتِرَامِ.

هَلِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةٌ عِلْمِيَّةٌ؟[♥]

- الدِّياجَة: إِنَّ هَذَا الْعَنْوَانَ يُطْرَحُ مِنْ قَبْلِ بَعْضِ الْمُخْتَصِّصِينَ، وَفِي قُلُوبِهِمْ أَلَمْ وَقَرَحَةٌ لَمَّا تَعَانِيهِ الْعَرَبِيَّةُ فِي وَضْعِنَا الْحَالِي، وَيَرْبِطُونَ ذَلِكَ بِالْحَيْثِيَّاتِ ذَاتِ الْعِلَاقَةِ بِآلِيَّاتِ التَّمَوُّلِ اللُّغَوِيِّ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا أَثَرٌ فِي حَلِّ مُشْكَلَةِ الْمُصْطَلَحِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ، وَتَفْشِي فَوْضَى الْمُصْطَلَحِ فِي الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ، دُونَ الْحَدِيثِ عَنْ تِلْكَ الْأَقْوَالِ فِي عِلَاقَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ تَوْطِينِ الْعِلْمِ وَمُمَارَسَتِهِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ، وَعَدَمِ النَّهْوضِ بِلُغَةِ الْعِلْمِ، وَلَا السَّعْيِ إِلَى بِنَاءِ مُجْتَمَعِ الْمَعْرِفَةِ، وَيُطْرَحُ هَذَا السَّؤَالُ أَكْثَرَ فِي غِيَابِ تَعْلِيمِ الْعُلُومِ وَالتَّكْنُولُوجِيَّةِ بِالْعَرَبِيَّةِ، وَاتِّكَالِ الْجَامِعَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْجَوَانِبِ الْعِلْمِيَّةِ عَلَى: الْإِنْكَلِيزِيَّةِ/الْفَرَنْسِيَّةِ، وَالْوَضْعُ يَزْدَادُ سُوءًا مَا يُلَاحِظُ مِنْ تَرَاجُحِ ظَاهِرِ فِي عَدَمِ تَطْبِيقِ قَرَارَاتِ جَامِعَةِ الدَّوْلِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَسْأَلَةِ التَّعَرِيبِ الَّتِي لَمْ تَلَقَ رَجْعَ الصَّدَى، وَيَدْعُمُ كُلَّ ذَلِكَ قَرَارَاتِ الْمُجْتَمَعِينَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ خَارِجَ مُحِيطِ اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِيَّةِ، وَهُوَ بَعِيدُونَ عَنِ الْوَاقِعِ الْعِلْمِيِّ، وَالْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ يَعِيشُ مَضَايِقَاتٍ تَقَانِيَّةً وَقَلَاقِلَ كَثِيرَةً، وَمِنْهَا مَسْأَلَةُ الْأَمْنِ اللُّغَوِيِّ، نَظَرًا لِلزَّحْفِ الَّذِي نَالَتْهُ اللُّغَاتُ الْأَجْنِبِيَّةُ بِدَعْمِ مِنَ الْقَرَارِ الْمَخْفِيِّ، رَغْمَ أَنَّ فِي كُلِّ حَيٍّ مِنَ الدَّوْلِ الْعَرَبِيَّةِ مَدْرَسَةٌ حُكُومِيَّةٌ أَوْ أَكْثَرُ، وَلَكِنْ الْعَرَبِيَّةُ تَعِيشُ شَبْهَ عِزْلَةٍ، وَالْمَدَارِسُ الْخَاصَّةُ تَزْحَفُ بِقُوَّةٍ، وَبِذَلِكَ تَشْهَدُ الْعَرَبِيَّةُ الْإِنْتِحَارَ وَالتَّهْوَرَ مِنْ خِلَالِ غِيَابِ سِيَاسَاتٍ لُغَوِيَّةٍ وَاضِحَةٍ، مَعَ مَا يُطْرَحُ مِنْ إِصْلَاحَاتٍ تَعُودُ بِالْعَرَبِيَّةِ إِلَى مَرَحَلَةِ التَّرْقِيَّةِ؛ وَكَأَنَّهَا فِي طَوْرِ التَّكْوِينِ وَكُلَّ ذَلِكَ يَعْنِي تَرْقِيعَ، وَالْمُؤَهَّلِ الْعِلْمِيِّ فِي الْعَرَبِيَّةِ غَائِبٌ؛ وَهَذَا يَعْنِي عَدَمَ اسْتِعْدَادِهَا لِحَمْلِ الْعِلْمِ مِمَّا تَعَانِيهِ مِنْ تَرَاجُعٍ وَإِصْلَاحٍ الْإِصْلَاحِ، وَمَا نَتِجَ مِنْ وَضْعِيَّاتٍ حَرَجَةً كَثِيرَةً.

ولذا تحتاج هذه المسائل الناتجة عن السؤال إلى وقفة حقيقية؛ وقفة ممن يحملون وخز الضمير؛ وبخاصة النخبة العربية كل في محالها، وقفة ورأي حصيف من أصحاب القرار، ومن الإعلاميين الذين يعملون على التغيير بكتاباتهم في هذا الحال من التردّي اللغوي الذي يحمل اسم اللغة العربية ومؤسسة جامعة الدول العربية. ولهذا نجد السؤال العنوان يثير شهية فتح أسئلة عدم تمكين العربية في العلوم؛ يعني أن جينات العربية جينات أدبية شعرية، وأن العربية حسب ما درّسوه لنا هي الشعر من خلال قولهم "الشعر ديوان العرب" إذا لا داعي للتفكير في تدريس العلوم بالعربية، ونذهب مباشرة إلى اللغات الأجنبية التي تحمل العلوم، وبخاصة: الإنكليزية/الفرنسية لربح الوقت. وهذا ما تبيّن من خريطة تقسيم العرب بين الانتماءين اللغويين: المؤنكلزين والمفرنسين. وتضع العربية العلمية بين أهلها، ويقبلون بالقسمّة الضيّزى لأنها صادرة عن مؤسساتهم ويسمعون تردد المسكوكات التثبيطية "العربية لغة غير علمية/العربية غير متمكنة في العلوم/العربية يصعب أن تلحق آليات العصر/العربية مكانها الخطاب المسجدي/العربية تحتاج إلى غيرها من اللغات لتأخذ منها العلوم/استعمال العربية يكلفنا التأخير... ومن ثمّ تطرح أسئلة تصنيف اللغات: لغات العلوم، ولغات الأدب، ولغات الأثر الماضي، واللغات الحية، واللغات الهشة، وهي أسئلة مشروعة، وتحمل شكوكًا حول اللغة العربية التي لا تؤكل

♥- الكلمة التي أُلقيت في اليوم العالمي للرياضيات، مدرسة الرياضيات بالقبة، بتاريخ 14 مارس 2024م.

الخبز في العلوم، والعلوم حالياً مَنْ يملك لغة الاقتصاد والتجارة والفضاء والتواصل، وقضاء المصالح المرسلة والسباق نحو الفضاء، وكسب رهان الروبو وتكنولوجية العصر. وهذا ما سوف يقع التفصيل فيه بالرد على السؤال، وأعلم بأنه سيكون الكلام كثيراً، ولكن عسى أن أُجلى بعض الأشياء التي تعمل على توضيح مسألة (علية اللغة العربية).

1- قلاقل في اللغة العربية: لا بد من مُصارحة الذات، ونقول بأن العالم العربي يعيش تحلقاً كبيراً في البحث والتنمية الشاملة، ولا يمكن لأيّة أمة أن تتقدم دون تقدم علمي ورفاهية جماعية، وكذلك لا سبيل للعيش ضمن تكنولوجيا العصر إلا باللغة الأم، وأن التنمية الشاملة لا تأتي من الأمية المستفحلة في مجتمعاتنا العربية، والأمية تشد المجتمع عن النهوض والحق، ولا نزال ندافع عن مقولة "سيروا على قدر ضعفاءكم" ونستنكر مقولة "تسابقوا في من يقدم الفضل" وهي عرقلة في تأخير المشاريع، والتخلف العلمي والحضاري في المؤسسات التعليمية والتربوية والإعلامية والثقافية، ومن خلالها يأتي فقر التعلم، وأن طريق العربية/اللغة الأم ليس مبعداً بعربية صحيحة لحد الآن من خلال ضعف أداء المدارس العربية، ومختلف المؤسسات ذات العلاقة، بله الحديث عن العربية العلمية التي تعاني قلاقل في مختلف التخصصات لغيابها في التدريس، وما نلُسه من غياب تام في مجالات المعرفة الحديثة في جامعاتنا العربية؛ حيث تسعة وتسعون في المئة 99% من أرمادة جامعاتنا غائبة عن التصنيف الدولي... قلاقل كثيرات، ولست هنا لأستعرضها بقدر ما أشير إلى بعض الصعوبات التي تصادف لغتنا اليوم/اللغة الأم كأداة للتعبير العلمي الذي لم نستثمر فيها؛ لتكون لنا لغة عربية علمية في مختلف الفروع العلمية حتى نتكون لنا ثروة من الخزون العلمي يعتمد عليه علماء اللغة والباحثون في حركة تعميم واستعمال العربية بدل اللغات الأجنبية وعند ذلك نقول إن العربية لغة علمية، والآن علينا رفع القلاقل والمضايقات بدءاً من البحث عن إيجاد العلاقة بين المصطلحات العربية، ومصطلحات اللغات الأخرى التي نستقي منها مصطلحاتنا العلمية بما لهذه اللغات من سبق.

وعلى أن نُقر بأن العربية في وقتنا الحاضر تحتاز مرحلة صعبة تحتاج فيها إلى المربطة العلمية البحثية، وإلى الهبة الكبيرة في سائر الأشياء والمعاني بما فيها الأدبية والفلسفية، وما يلحقها من التجنيد لرفع انخول والوهن والكسل في الخطاب العام، والدعوة إلى الخطاب العلمي الذي تقاعسنا عنه، وبقي التركيز على خطاب المناخات، ولغة المنابر، والتنازع في التجديد، ولغة التقديس، وأن العربية على ما يُرام؛ وهي في الحقيقة تعيش الخطر في مظهرها الداخلي والخارجي، ونسمع خطابات تعيسة تربي الإتكالية والفشل وترك الأمور على الله، والله يقول ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسِرِّيَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة 105.

ونسمع كثيراً عبارة "تركوا حفظ اللغة العربية وما تركه الأجداد من مدونات ومخطوطات لله؛ فهو حافظها أحب من أحب أو كره من كره" بالاستشهاد بقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر 9. علماً بأن الله حفظ الذكر ولم يحفظ اللغة العربية، ولا ما خط باللغة العربية من مخطوطات، ولا بما

سوف يأتي في المستقبل من المخطوط. وتأمل تلك الآيات التسعة عشر (19) التي وردت في القرآن حول كلمة (الذكر): آل عمران 36، الحجر: 6+7، النحل: 43+44، الأنبياء: 7+105، الفرقان: 18+29، يس 11 ص: 1+8 الزخرف 55، النجم: 21+45، القمر 25، القلم 51، القيامة 39، الليل 3. ونجد في هذا الآيات دلالة واحدة للكلمة في أنّ الله حفظ كُتُبَهُ، وبالطبع حفظ القرآن، لا لغة القرآن، ولدينا أدلة عن دخول القرآن ولغة القرآن معاً إلى أقاصي آسيا وكازخستان وسمرقند وإيران وتركيا والتمسا والقوقاز وبلاد السند وبوردو والأندلس وكثير من الدول الأفريقية، فيجد الدين قائماً ولا يزال يتدد في هذه الدول وغيرها، ولكن العربية عادت من كثير من هذه الدول، فلم تُحفظ، ومن يحفظها؟ يحفظها أهلها، ويحفظها التعليم والاستعمال والاعتزاز. كما أنّ المخطوطات التي يظن البعض أنّ الله يحميها، فكم من مخطوطات دمرها التتر وهولاكو في العراق وفي بلاد المسلمين، وذلك ما يشهد عليه ذلك المداد الذي لوّث ماء دجلة لمدة تزيد عن السنة، بسبب وضعها جسراً بين الضفتين، وكم من مخطوطات أحرقت أيام محاكم التفتيش في قرطبة وإشبيلية ومجريط.

وكم من مخطوطات أحرقتها فرنسا في 7 جوان 1962م، وهي تغادر الجزائر، وكم من مخطوطات حالياً تأتي عليها عوامل الطبيعية فتموت، ومن يحميها؟ يحميها التحقيق وحوامل الرقعة. كفانا خطباً، وكلاماً أجوفاً مغلفاً بالصور البلاغية العالية؛ وكأنا في القرون الغابرة. وكان علينا أن نتقد أنفسنا في ذلك التساهل من تلك الخطابات الصحافية، ولغة وسائل التواصل الاجتماعي الحية التي تعطينا عربية مهترئة، فنقرأ ركافة الأسلوب والأخطاء اللغوية والإملائية، والفوضى اللغوية في فقه اللغة، ونستشف ذلك الضعف المستوحش والمستنكر مما نسمعه، وللأسف هبوط في المستوى لدى الجيل الحالي، وهو هبوط وضعف لم يولد من فراغ، وتعود أسبابه إلى المنظومات التربوية العربية التي غيّت مهارات: الاستماع + القراءة + الحوار + الكتابة، كما غيّت الحفظ والإشباع اللغوي للغة الأم في مرحلة القاعدة، وتماهت في كل المراحل نحو الانحدار، وكيف لنا أن نتحدث عن هندسات لغوية أو علمية في المناهج التعليمية، ونحن نفتقر إلى آليات القاعدة، وإلى نظرية متسقة قائمة على أسس محددة تصنع ملاح المتعلم المطلوب. وبكل أسف مناهجنا ضعيفة هشّة لا تجاري الواقع، ولا تمكن المتعلم من دخول عالم الذكاء في هذا العصر.

وللأسف مرة أخرى أن نكرر "ضعف الطالب والمطلوب" في مستويات لغتنا الجميلة في مراحل العملية التعليمية المختلفة، ونحن نعمل على تحجيم أسسها وقواعدها باسم الحداثة والتحديث والتطوير الذي يأتي من براج اللغات الأخرى. هناك خلل؛ يعني هناك قلاقل لا تحمد عقباه في لاحق من الزمان، يعني هناك نفور من اللغة الأم من قبل ناطقيها، فإذا نقول في غير فطريتها؟ لذلك كان لزاماً على الأدباء والمفكرين وعلماء الكيمياء والبيولوجية أن يحوطوها بعنايتهم، وأن يهيئوا لها أسباب الحياة العلمية في بيئتها الجديدة، وأن تعيش العربية التفاعل المستمر الذي يجعلها تنمو وتزدهر. وإذا لم نرفع عنها هذه المضايقات والقلاقل لا يمكن الحديث عن علمية العربية، ولا عن مستقبلها المجهول.

وإني أراه مُستقبلاً مُشتتاً سيضيع بين الدّول العربيّة، فلا عاصمة تحميها، ولا مَجْمَع لغويّ يُشرّع لتعميمها واستعمالها، ولا بلد يُحافظ عليها، فراغ إلى جانب الفراغ، والطّبيعة تكره الفراغ، ومن الطّبيعيّ أن تنال الأجنبيّات مَوقعها. ولهذا نجد الحديث عن عِلِيّة اللّغات الأجنبيّة لا عن عِلِيّة اللّغة العربيّة؛ حيث العربيّة غير حاضرة في البيولوجيّة والفيزياء والكيمياء والاقتصاد والجيولوجيّة ونجد الإنكليزيّة والفرنسيّة والألمانيّة هي التي تتحدّث بها هذه العلوم، فغابت العربيّة! ولا نزال في استمرار التّماهي في الحديث عن أقوى اللّغات من منظور النّسق الكبير الذي أحيطت به العربيّة أيام الفراغ، ودائماً بالعودة إلى لغة الماضي في فِعْل الأجداد، بنسبنا الحاضر في تقاعس الأحفاد، ونستنطق علوم اللّغة العربيّة، وهي كثيرة: علم النّحو+ علم المعاني+ علم البيان+ علم العروض+ علم القوافي+ علم قوانين الكتابة+ علم قوانين القراءة+ علم إنشاء الرّسائل والخطب+ علم المحاضرات+ علم التّواريخ... وهذه كلّها أساس، وأتبعوها بفروع كثيرات تدخل في علم المقاصد والمهارات. هو صحيح، ولكن أين استثمار هذه العلوم؟ هناك خلل ومُضايقات، رغم أنّ هناك من يرى بأنّ وضع العربيّة ليس مُقلَقاً "... وضع يبعث على التّفاؤل والاستبشار بمُستقبل باهر، فقد تعرّضت اللّغة العربيّة في القرنين الماضيين إلى أقوى الضّربات وأعنف أنواع المُحاربة والتّهميش والاحتقار والابتعاد، ولكنّها بقيت مع ذلك كلّ رافعة الرّأس ثابتة الجأش مُستعدّة للمُقاومة والمُغالبة في ميدان الصّراع الحضاريّ الذي فُرض عليها ولم تسع إليه.

والذي يدفعني إلى هذه النّظرة التّفاؤليّة أمور كثيرة منها: قيام المدارس والمُؤسّسات التّعليميّة بمُختلف مراحليها بتعليم العربيّة للأجيال الصّاعدة+ المَجامع اللّغويّة التي أنشئت في البلاد العربيّة+ الجامعات وما أكثرها في جميع البلاد العربيّة+ القنوات العربيّة الإخباريّة والترفيهيّة وقنوات الأطفال التي تلتزم في بثّ برامجها باللّغة العربيّة الفصيحة+ القنوات الأجنبيّة النّاطقة باللّغة العربيّة+ الاهتمام العالمي باللّغة العربيّة+ كثرة المَواقع والصفّحات في الشّابكة ومَواقع التّواصل الاجتماعيّ..." (مَجلة مَجْمَع الشّارقة، العدد التّاسع، ص 46-47). لا نعدم هذا التّفاؤل، لكن هناك الحقيقة بأنّ هذا الجيل مُغمّس في الأجنبيّات، وأنّ مُؤسّساتنا التّربويّة والعِلِيّة بعيدة عن اللّحاق العلميّ، ولا تزال تعيش التّمجيد والماضي، وفِعْل الأجداد، والحديث عن قدسيّة العربيّة. وهو كلام صواب، ولكن القدسيّة في تعميمها واستعمالها وتطويرها، وهو الحاضر الغائب، وهو الطّريق الذي يؤدي إلى اللّغة العربيّة العِلِيّة.

2- اللّغات وضع واستعمال: إنّ العلم ينمو ويتطوّر من خلال استعمال اللّغة، ولا يُمْكن التّركيز على فقر لغة من اللّغات في ميدان ما إلّا بوضعها في المحكّ، فاللّغات المُستخدمة في العالم الآن كثيرة، وأنّ علماء اللّسانيّات قسّموها إلى لغات حيّة، ووضعوا فيها: العربيّة والإنكليزيّة والإسبانيّة والصّينيّة، لكثرة ناطقيها وتوزّعهم الجغرافيّ، ولغات مُنقرضة؛ كانت وأصبحت من الماضي مثل: اللّغة الإيريّة في إسبانيا، واللّغة الفينيقيّة في فلسطين. ولغات قاصرة؛ وهي لغات مَجْموعات صغيرة مُنقرضة، ولغات اصطناعيّة؛ والتي تمّ اصطناعها ولم تتطوّر، ولغات في طريق الانقراض؛ وهي اللّغات الهشة التي لا تنتقل من الأجداد إلى الأحفاد. وما يُمْكن

أن نستنتج بآن العربية ضمن الفئة الأولى التي يمكن أن تنال مواقع أكثر، وتكون لغة عليّة أكثر، وتعيش المستقبل أحسن ممّا هي عليه الآن، ولكن يرى المختصّون بآن لا شيء مضمون؛ حيث الحروب اللّغويّة قادمة، وحيث الهجرات وانتشار الأديان، وكلّ هذه الأشياء عوامل تأتي على تغيير خرائط اللّغات، وموقع اللّغات الأُمّية، وتصنيف جديد للّغات العلم...

ويبقى أن الاستعمال أقوى عامل من عوامل بقاء اللّغة، وأقوى عامل للتّطوير الداخلي. فما محلّ العربية في هذا المستقبل اللّغويّ المجهول؟ وإنّ المستقبل يُقرّ بآن أقوى اللّغات علمًا هي الأكثر استعمالًا في بلادها أولاً، ومن ثمّ الأكثر استعمالًا في غير بلادها، وما يلحق ذلك من الميادين التي تُستخدم فيها أيّة لغة... وهنا نرى بآن الأمم المتّحدة رسمت ستّ (6) لغات تُعدّ الأكثر استخدامًا في الأمم المتّحدة، وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21) والأكثر استعمالًا ليس لها سلطة الأكثرية على غرار اللّغة الإنكليزيّة، وأنّ بعض ممثلي هذه الدّول لا يستعملون لغتهم رغم أهليّتها التشريعيّة في الأمم المتّحدة، وتبقى قضية الاستعمال أساسيّة، وهي الاعتراز والإنيّة والخصوصيّة التي نريدها أن تكون للعربية اللّغة الأُمّية، وحقّ علينا القول أن ذلك ما يجعلها تنال الانتشار.

لا يكفي أن تكون اللّغة العربية لغة أُمّية، وهي لا تنال موقعًا عند أهلها، وكيف تنال الإنكليزيّة شرعيّة الانتشار؟ تنالها عن طريق الاستعمال في مختلف المواقع، تنالها بتلك الخدمات من ناطقها ومن المستعملين لها؛ تنالها من رجال التّربية الذين عملوا ويعملون على تيسيرها؛ فهي سهلة التّعلّم، بما لمفرداتها ونحوها من مرونة، وبذلك أضحت لغة العمل والطيران المدني، ولغة الفضاء والتجارة الدّوليّة... وبلا منازع أصبحت لغة التّكنولوجيا والاتّصالات والمعلومات وصناعة المحتوى الرّقمي، وصناعة السينما، ولغة السياحة والسّفر والندوات والمؤتمرات العالميّة، ولغة المطارات والطّارات والملاعب الرّياضيّة والقنوات المتخصّصة للتّعليم ولغة الإشراف العالمي للمراكات العالميّة، ولغة التجارة... هو الانتشار الذي ولّده الاستعمال، وجعل من الإنكليزيّة لغة الشّباب الذين يسعون وراء تعلّمها لما سوف تُحقّق لهم من فوائد التّواصل مع الآخرين بكلّ سهولة+ التّعليم والحصول على شهادات عالميّة+ تحقيق مُستوى وظيفيّ أفضل... مكتسبات تزيد يوميًا لصالح الإنكليزيّة التي أصبحت لغة العولمة والعالم، وأين موقع لغتنا وهي في النّافذة ما قبل الأخيرة بين اللّغات الأُمّية؟ والجواب لأنّها تفتقر إلى العلم المعاصر، وتعيش الخوف من أهلها الذين لا يستعملونها لتعيش العلم وتعرف التّطور والباقي لا يعني أنّ الإنكليزيّة أقوى منها قواعد ومُصطلحات ومفردات. وما يجب إدراكه أنّ أطلّس اللّغات المُهدّدة بالاندثار الذي عرضته اليونسكو في نسخته الإلكترونيّة سنة 2010 يشير بآن العربية من اللّغات المُهدّدة بالاندثار، وأنّ تقرير البنك الدّولي لسنة 2019م يشير بآن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تعاني مدارسها الابتدائيّة من فقر التّعلّم في لغاتها، ويدعو إلى علاج تفادي هذا الفقر اللّغويّ، وهو تفادي الاندثار بوصفه الاهتمام بالتّراث الماديّ واللاماديّ، وجعل التّراث الثقافيّ غير الماديّ أولويّة؛ لاسيّما أنّ ذلك التّراث

التيين القائم على التقاليد، وعلى أشكال التعبير الشفهي من قصائد وأساطير وأمثال ونكات... وكذلك تدريس اللغات تدريساً جيداً، وما يقابلها من أشكال التعميم باللغة الأم.

3- العربية وحروب اللغات: عندما طرح أسئلة تمس قضايا العربية من حيث تهميش الاستعمال، وما تحمله المناهج والمقررات ومُتعلقات التدريس، والطرائق والمطالعة والتّمكن والمهارات، كلّها تدفعنا لنقول: إنّ الضّعف في طرائق تبليغها ظاهر جليّ، وهي من الهامش في اهتماماتنا، وبعضها من المُقدّر البليد، وأنّ العامية في التدريس قائمة، والحمام الاصطناعي غير موجود، والمحيط العربي يلهج بالدّوارج، والمثل الأعلى/المُعَلِّم القدوة غائب، واللغات الأجنبية لها الصّدارة، والتّسّاح اللّغوي مقبول وبأريحية، وأنّ المُجامع تسمّح بكلّ شيء وبخاصّة ما يأتي من لغة الإعلام، أنّ العربية ليست لغة الحياة اليومية السّائرة نظراً للشرح الكبير بين المنطوق والمكتوب، وهنا مكمن المصيبة والطّامة الكبرى، هي أشياء من مُتطلّبات القاعدة، وهي في شبه العدم وكيف الحديث عن عديمات ضعف الاعتزاز اللّغوي من قبلنا، وإلّا كيف تحتفي اللغة الإنكليزية بأنّ متنها اللّغوي يتّمدّد بألفاظ جديدة يومياً، والآن يملك 999985 كلمة، وهو توسّع كبير في نظر المُستعملين للإنكليزية، وأنّ العربية تملك 12305412 كلمة، ثلاثة عشر (13) ضعف الإنكليزية ولا نُحرّك ساكناً للاعتزاز بلغتنا، ونقول شتان بين تلك وهذه، فغاب الرّجل الرّشيد!

وكيف لا نفتخر وأنّا في الرّتبة الثّانية في الشّابكة، ولكن غاب الإشهار، ورمينا العربية بالعقم، وقبلنا بمن يقول بأنّ العربية ليست لغة العلم. وكان علينا رفع مُستوى التدريس والاعتزاز ليرتقي مُستوى الأداء اللّغوي من ذات العربية وفي ذاتها، ونحن نعيش حروب اللّغات التي لا تستخدم "السّلاح" فهي حرب نقتال فيها الألفاظ ونُتصارع فيها التّراكيب والمُفردات اللّغوية تقتحم حصون تراكيب ومُفردات لغوية آمنة مُستقرّة بغية قتلها ومحوها وأخذ مكانها واحتلال مواقعها". وفي هذا المجال كان علينا الاعتزاز بضرورة نقل معرفة موقعا اللّغوي النّاجم عن ثقل الحضارة العربية الإسلاميّة التي عمّرت في أوروبا ثمانية (8) قرون، والنّفوذ الدّيني للإسلام بالقوّة النّاعمة، دون جبريّة الحروب الاستعماريّة التي جاءت باسم الحضارة الغربيّة، وهو غزو ثقافيّ مسخّي مسخّي مسخّي إجباريّ، بتبعات غلق المدارس الوطنيّة، وسجن العلماء، وإحلال اللّغات الأجنبية بدل الوطنيّات، وهذا ما نقطف ثماره اليوم في التّبعيّة اللّغويّة التي غرستها فينا اللّغات الأجنبية، وأصبحت لغتنا العربيّة تُلقّب باللغة الهشّة، ولها قابليّة الاندثار. هو غزو لغويّ قديم يتواصل عبر الوسائل التكنولوجيّة الحديثة في حرب اللّغات في القوّة الجبريّة عن طريق الترويج لثقافة لغة السّينما في العالم، سعيّاً إلى أمركة/فرنسة الثقافات، بنموذج غربيّ يبيع أفكاره بطريقة تدمير اللّغات الوطنيّة، والتّمكن في الأجيال، وجعلهم يتصلّون من جذورهم بما يتوسّعون من تكتّلات عبر منظمات الإنجلوساكسونيّة والفرنكفونيّة والإسپانويّة واللّوزفونيّة... واستغلال ضعف/غياب التّكلّل العروبيّ الذي لا يزال تحت الهيمنة والاحتكار الغربيّ الذي يُحدّرنا بكلّ وسائل النّوم العميق. هي فصول من حرب اللّغات، ونعيش تغوّلًا جديدًا مكّمه الآلة التي تجرّنا إلى لغة الآخر، بدعوى أنّ العربيّة لا تعرف استغلال الذّكاء الاصطناعي، وهي بعيدة عن الحضارة الحديثة.

هي حرب اللغات، ونحن لا نملك الاستراتيجية الثقافية واللغوية المسيرة للتجاذبات الدولية التي جعلتنا نسكت عن سحب العربية من تدريس العلوم، بدعوى القيمة الاقتصادية والتواصلية للغات الأجنبية أنها ضرورية لمعرفة الآخر، والاستفادة من تكنولوجياته، والتفاهم الدولي. وسكتنا عن اللغة الرسمية التي تنص عليها دساتيرنا العربية، كما لم نُنصف اللغات المحلية التي لها صفة الرسمية، وغابت المواطنة اللغوية بين هذه التجاذبات في الإدارات والإعلام، وهي نذير شؤم بموت بعض اللغات. وما هي الحلول؟ لا حل إلا بتخطيط سياسة لغوية عربية تصدر من جامعة الدول العربية، تكون مرافقة بسياسة تربوية واضحة المعالم بأن العربية هي المستقبل وهي التنمية المستدامة، وأما مقام اللغات المحلية الرسمية، فلكل بلد تدير سياسة يراها تخدم المواطنة اللغوية، ولا بد أن يتبع ذلك بزم من مُحدد لتجسيد كامل لتلك الاستراتيجية، ويتبع كل ذلك بمراحل التقييم والتقويم من لجان تسهر على تطبيق تلك السياسة.

4- هل اللغة العربية لغة العلم؟ ما يجب علمه أن اللغة مرآة المجتمع تعكس ثقافته وتقدمه، وترتبط هيمنة أية لغة بمصدر قوة أهلها اقتصادياً وسياسياً ودولياً، ولهذا علينا أن نكون على دراية بأن العلم لا يرتبط بلغة من اللغات، والعلم ثقافة وتفكير، وأن نشر الثقافة العلمية بين الجماهير يتطلب استخدام اللغة الأم بأسلوب واضح وسهل الفهم، وقبل الوصول إلى ذلك؛ فإن اللغة الأدبية هي العماد للتواصل والنمو وهي لغة تهتم بالجانب الفني الذي يمثل الذات الداخلية للأديب مثلاً، بينما لغة العلم فهي تلك اللغة التي تستخدم جملاً قصيرة ذات معانٍ محددة، ولها فهم واضح، ومنطق تقريرى موضوعي مُقنع، وما تختلف فيه لغة عن لغة أخرى هو كل ما يمكن للفرد تغييره أو تبديله، علماً أن اللغة السطحية لا تتغير، لكن اللغة العلمية/المُنحصصة تتمتع ببعض الخصائص التي تميزها عن اللغة العامة، فهي لغة يتم استعمالها في مواقف اتصالية خاصة؛ تستعملها فئة من الناس دون غيرها، وهذه ميزتها الكبيرة... هذا على العموم، ولكن لكل لغة جانب الأدبية وجانب العلمية، وهذان الجانبان يتبادلان المواقع حسب المقام والحال؛ وأن الجانب الأول هو القاعدة الذي يقوم عليه الجانب الثاني الذي لا يتحقق إلا على اللغة الأدبية، وهو المتن اللغوي الذي تفهم به العلوم، فإذا غاب الفهم الدلالي اللغوي/القاعدي/الأدبي يعمى المعنى عن توصيل المصطلح العلمي.

وإذا جاز لنا أن نستعرض العربية في تأسيسها للجانب العلمي الذي حصل من الجانب الأدبي وأن علمية أفكار العصر الذهبي الذي اشتهر فيه: ابن الهيثم + ابن سينا + الخوارزمي + الكندي... وغيرهم من كبار العلماء كان نتيجة تلك اللغة العربية الأدبية التي جعلتهم يتحكمون في قواعدها، وانتقلت إلى لغة عربية علمية أحدثت في أوروبا تلك الهبة الكبيرة من خلال الحضارة العربية الإسلامية في تلك الخوارزميات والأرقام التي حملتها اللاتينية وسمتها (Les Chiffres Arabes)، وغيرها الكثير. وعندما نذكر هذا التاريخ المجيد لا يعني التمجيد، بقدر ما نقول بأن العربية لها الماضي العلمي التليد الذي خلقت فيه العلوم في كل المجالات، وكيف تعجز عنه الآن، بما لها من مؤشرات الماضي والحاضر، وهي تعكس العامل العلمي الدقيق في الاستيعاب والتمييز والقدرات والنسق اللغوي الداخلي التي تدرج ضمن خانة اللغات العلمية العالمية.

ومن خلال ذلك إليكم بعض عوامل اللغة العربية العلمية، وهي تحمل ذخيرة لغوية قوامها المصطلحات المتخصصة التي تتصل بمجال أو حقل علمي خاص ومحدد، فضلاً عن مرونتها ودقتها في تأصيل العلوم والإبداع في جوانب عدة، والانتماء للغات الكبيرة المعمّرة، وتمتاز بأن حاضرها غير منقطع عن ماضيها، وأن خاصياتها العلمية هو استعمالها في المخابر العلمية والمجلات العالمية المتخصصة ولها توظيف في التقارير والأبحاث والنشرات العلمية المتخصصة، وهذا لا يمنعها من ارتياد وتوظيف المستويات الأخرى ذات العلاقة بلغة الأنس، وهي من الطبيعي أن كل لغة لها مجال في الحياة اليومية السائرة تبتعد عن لغة البحث والدقة العلمية وهي ما يمكن أن نسميه باللغة الخاصة. ويعني هذا أن العربية تتوفر على مجموعة من التنوعات اللغوية من قبيل اللغة العربية العلمية واللغة العربية الأدبية. وما دامت العربية تعكس جوانب التواصل في الجانبين، هنا مكن اللغة الحية، واللغة العلمية، وهذا ملمح من الأسلوب التقني الواضح والمباشر في التعبير عن القضايا العلمية المتخصصة بالإيجاز والدقة والوضوح والبساطة والعلمية والموضوعية والأحادية الدلالية. وفي الحوصلة بأن العربية لغة علمية ولكنها تفتقر إلى الاستعمال الذي يجعلها تعلو أكثر، ولها آليات التأهيل كغيرها من اللغات الحية بتلك القدرات الاشتقاقية والنحوية والتحريرية والحرقة، وهي تلك اللغة التي لا مثيل لها في الجذور؛ بما لها من الكفاية اللغوية التي تجعلها مصدراً لكل اللغات، أليس ماضيها المجيد كافياً بعلميتها؟ دون أن نجردها عن تلك الآليات التي تعتمد عليها كل اللغات من ترجمة وتطويع واقتراض ومُشترك لغوي واستئناس بألفاظ الحضارة بما جدّ من المفردات العلمية المستحدثة.

5- اللغة ثقافة وحضارة وتميز: إن كل لغة لها ثقافة تعبّر عنها، ولها أشكال تعبيرية مجتمعية وليدة تلك البيئة وهي التي تميزها، وكلّ القائلين على تطوير اللغة يعتمدون آليات ثقافة لغتهم من معارف عامة وخاصة في شكل مدونات أو تعابير شعبية محكية، أو ملحمات ومختلف أشكال الفنون. وإنّ العربية لها هذا الزخم الكبير في مدونات الشعراء، وطلاب الخليل بن أحمد، ومؤلفات الجاحظ... وترجمات ومصطلحات كثيرة أفادت بها نفسها، كما أفادت غيرها من اللغات والثقافات، وهذا منهج اقتضاه علماء العربية منذ القرن الثاني للهجرة وتجسّد بقوة في بيت الحكمة، وما أنتجه العصر العباسي من ذخيرة من الشواهد التي أرخت للعربية في الماضي وكان قيّداً إلى الحاضر. ونجد عمق العربية في تبسيط العلم والثقافة العلمية، من خلال تلك المنظومات الكبيرة التي تعدّ دوائر معارف عربية تمثل العربية في أعلى تجلياتها العلمية من دواوين وأراجيز ومنظومات نحوية ومنتوج جبري من "مثل (الأرجوزة الياسمينية في علم الجبر والمقابلة) لابن الياسمين (ت 601هـ/1204م) ويبلغ عددها 52 بيتاً من بحر الرجز؛ وهي تعرض بصفة أساسية لشرح أصول علم الجبر، واستخراج جذور معادلات الدرجة الثانية بأنواعها المختلفة"، وكثير من هذا المنتوج الذي يرمز إلى قدرة العربية على استيعاب العلم وهي في الحقيقة تنتج من ذاتها، وذلك ما شكّل لها ثقافة إسلامية عربية قوية، وأضحت مرجعاً للغير ينهلون منها أسس العلوم النظرية، وكان كل ذلك بتلك الأبحاث العملية والتجريبية التي أوصلت أصحابها إلى مقام المشيخة العلمية، وكانت الأندلس وبغداد ودمشق وبجاية والقيروان مقصد طلاب العلم الغربيين.

هي الثقافة العربية العليّة التي أُرست مُؤسّسات بالمعنى المعاصر هي الدليل المادي على عِلِيّة اللغة العربيّة. هي عربيّة العلوم الحاملة لمُقومات في ذاتها، مع سدنتها العاملين على تطويرها، وأبدعوا في مجال العلوم، وابتكروا ظواهر ماديّة وكان لهم السبق، بغضّ النظر عن انتمائهم أو جنسياتهم، واللّسان العربيّ يجمعهم إلى جانب الدّين الإسلامي الذي أبدعوا في تفسيره والتّفنّن في توظيف مُصطلحاته والتّعمّق في فقهه. وكانت العربيّة اللّسان الحيّ في التّعبير والابتكار والتّنظير والكتابة دون الحاجة إلى وسيط. العربيّة لغة علم وثقافة دون غطرسة ولا احتقار للّغات، وهي أهل لموقعها العالميّ لما لها من موقع عالميّ سابق؛ حيث اعتلت بِعدَد الذين يزورون علومها في الاستشهاد بها، وبذلك النّصوص التي أضحت مرجعاً لكلّ اللّغات، ومع الأسف لم نولها -نحن العرب- قيمتها العليّة، ونقول إنّها ليست لغة العلم، ونضطرّ إلى هجرانها، وقد نجد العلم في غيرها، وإنّ هذا هو الدّرك الأسفل من الانحطاط ونستبدل الذي هو أعلى بالذي هو أدنى.

6- العربيّة العليّة تحتاج إلى استراتيجيّة تغيير الرؤية: هي نظرة جديدة تكون من قبل النّخبة تجاه اللغة الأمّ بأنّها العماد في تعليم/نقل العلوم، وتغيير في الدّهنيات دون نظرة ازدراء أو شكّ في عدم اللّحاق باللّغة العربيّة ومن الضّروريّ أن يكون للنّخبة العربيّة نظرة جديدة في أهميّة اللغة العربيّة الرّسميّة في اقتصاد المعرفة، وفي التّميّة العامّة، على غرار كلّ الدّول التي تبحث عن استعادة لغتها الأمّ مهما كان الحال، والخروج من الاستعمار اللّغويّ مثلها وقع الانعتاق من الاستعمار الاقتصادي. واللّغة عمّلة وطنيّة لا بدّ أن تنال سوقها المحليّ قبل أن تخرج للخارج. وهنا يتطلّب مقاومة المقاومة التي لا تريد إلّا لغة المُستدّمر بحكم النّفعيّة الشّخصيّة كما يتطلّب البدائل المُكتنّية في التّميّة الوطنيّة والاقتصاد الوطنيّ، إذ لا مجال لتحقيق أيّة نهضة أو تقدّم في غياب اللّغة الأمّ؛ لأنّ اللغة الأمّ في ارتباط متين بالإنسان وواقعه.

وإنّ اللغة الوطنيّة كفيلة بحلّ كلّ القلاقل، شرط أن تكون ندّاً وفي مُستوى اللّغة البديل، وبخاصّة عندما تتجذّر اللغة ثقافياً في أيّ مُجتمع يصعب قلّعها، ولكن باحتراف وعِلِيّة يمكن تحقيق الكثير من خلال المنظومة التّربويّة التي تحدّ من الأزمة اللّغويّة. وعلى النّخبة العربيّة أن يكونوا لصالح بلدانهم ومُجتمعاتهم وعدم الإحجاف في حقّ العربيّة بما لها من قواعد متينة في مُجتمعاتنا العربيّة، وفي المُجتمعات الإسلاميّة وعند بعض الدّول الغربيّة والآسيويّة، فهم يقدّسون العربيّة لعلّها وامتدادها الزماني والمكاني، ومكانتها الاقتصاديّة في واقعنا المعاصر. ولا يمكن تحقيق كلّ ذلك إلّا باستراتيجيّة التّطوّرات التّكنولوجيّة، وهي الميزة التي تلغي الفوارق بين اللّغات، وأصبح تعاطي العلم بالعربيّة، وفي ذات العربيّة أمراً لا مفرّ منه.

فلا بدّ من لغة عربيّة على قدم المساواة مع الأجنبيّات على الأقلّ، والعمل على اعتماد "لغة التّرميز الموسّعة (Langage de Balisage Extensible) (Extensible MarKup Language) (XML) معياراً أساسياً وقائم الذات، ولكونه من البرمجيات والأجهزة المُستقلّة لنقل البيانات وتخزينها على صفحات الشّابكة... هذا بالإضافة إلى اعتماد الشّفرة الموحّدة للحروف اليونيكود (unicode)، وهي مجموعة من محارف قاعدية تحتوي على جميع حروف لغات العالم، وبهذا أضحت برمجيات وأدوات التّطوير للشّابكة العنكبوتيّة أكثر ملاءمة للنّطاق

الدولي، واستخدام اللغات المختلفة، كيفما كانت طبيعتها، أكانت تكتب من اليمين أم اليسار أم العكس، ولم تعد بحاجة إلى إنشاء برمجية أساسية لها". إنه التطوير التكنولوجي المنشود الذي يسهم في حل ما كان يُعتبر عوائق أمام تطوّر اللغات والعلوم واكتساب المعرفة، ثم يلحقه العمل على المحتوى الرقّي العربي في تخزين الكمّ الهائل من المعلومات في شتى حقول المعرفة، لتكوين قاعدة بيانات كبيرة بملايير الكلمات والمسكوكات التي يستدعيها الذكاء الاصطناعي أثناء الطلب، ويحلّ فقر العربية في كلّ المجالات. وهذا ما يعمل على الإشباع في اللغة العربية، وعند ذلك تنتقل إلى مرحلة الإبداع في الصناعة وفي الاقتصاد وتحقيق الرفاهية الكلية باقتصاد المعرفة.

وكلّ هذا يحتاج إلى "استراتيجية عربية شاملة لصناعته، وحثّ كلّ الأقطار العربية للاشتغال في هذا المشروع الضخم، بما تملك من معطيات أدبية وعلمية وثقافية واقتصادية. وما يعطي قيمة مضافة لكلّ ذلك كون اللغة العربية تعدّ لغة رسمية في جميع الأقطار العربية من دون استثناء، وهذا ما يؤهلها لتصبح سوقاً غنية بإنتاجاتها معرفة واقتصاداً، ولأنّ عدد متكلميها يتجاوز حالياً 350 مليون نسمة، هذا بالإضافة إلى ملايين المهاجرين والمغتربين في أغلب دول العالم المرتبطين بلغتهم الوطنية، فضلاً عن الباحثين والمتعلمين من الأجانب الذين تعلّموا اللغة العربية، وبذلك يزيد عدد متكلميها إلى أكثر من 700 مليون نسمة، ودون نسيان عدد المرتبطين بها روحياً، وهم يتجاوزن الآن 1.270.000 نسمة".

7- العربية لغة العلم: ليس من باب التحيز، بل من باب العلم بأنّ خصائص العربية العلمية متوفرة فيها من: المختصرات، وتفضيلها على الكثير من اللغات من غير أهلها، وما أكرمها بها الله من ذخيرة لا تنفد. ولسان العالمين، دلالة على سيادتها اللاحقة في آفاق 2046م، حيث تموت الكثير من اللغات، والتعبير عمّا في النفس بأقلّ الألفاظ والتراكيب، وزيادة تفوقها على المحليات والعاميات، وما تحمله من المنهاج العلمي الذي أضفى النسق والمنطق على أشكال التعبير في مختلف المقامات. هي العربية العلمية بفخر نقولها، وهي أفضل اللغات وأوضحها، لما لها من تمثيل واستعارة وقلب وتقديم وتأخير وإطناب وإيجاز ورمز للمكاييل والمقاييس والأوزان والألقاب والهوامش والمنظمات الدولية ومختصرات أسماء الأماكن والألقاب والأحزاب والاتحادات والوكالات والوزارات والرباطات ورموز أشكال الرياضيات...

إنّها العربية العلمية بما لها من مرونة علمية في مراعاة اختيار أشكال التعبيرات دون المساس بالمعنى الواضح السهل. هي العربية العلمية التي تعمل على الحفاظ على عالميتها بخوض غمار العلوم الحديثة، ومُسايرة الحضارة الحديثة إسهاماً بما لها من جديد، بلفظها العربي، والمجتمع الأكثر تفوقاً هو القادر على أن يفرض وجوده على الآخرين، فهل لنا أن نفعلها انطلاقاً من خطابنا العربي؟ في هذه الظرف الذي يستدعي جمع المعلومات واستخدامها في الكتابات، ووضع الاستراتيجيات اللازمة لعملية إنتاج نصوص أدبية أو رقيّة تكون في مستوى وضعها أرضيات للتدريس ضمن نسيج منطق الأفكار، وترجمان مشاعرنا، وسبيل تواصلنا، ومُسايرة عصرنا والانتماء إليه. ولغتنا العربية العلمية قدرنا لا مفرّ منها، تنتظر منا الكتب الرصينة تأليفاً وترجمة وكتابة المقالات

العالية الجودة اعترافاً من الإبداع العربي بعبقريّة عليّة مُشبعة بمعلومات عن الفلك والرياضيات والصيدلة والكيمياء والطب والجراحة وتاريخ البلدان والجيولوجية والبيولوجية وما يسطرون من علوم اللامرئي.

إنّها العربية العلميّة التي عرفت التراكم المعرفي منذ هارون الرشيد والمأمون ومؤسسة بيت الحكمة، إلى السيادة العالميّة في القرون الوسطى، وإلى المنتج العالميّ في مختلف فنون العلوم، وما كانت مُشكلة المصطلح عائناً إلّا مع الجامع والمجمعين الذين ضاعوا بين الاختلافات اللغويّة، ولم يحصل لهم التنسيق، وينتظرون القرار السياسيّ الذي يأتي من الرجل الرشيد، ويزع الله بالحاكم ما لا يزع بالعالم. هي العربية العلميّة التي تنتظر رجال العلوم بمواد الرياضيات والحسابات والمحولات، وبمخّ ذكيّ (رقنة) يجيد صناعة المحتوى الرقيّ لمنصات الذكاء الصناعيّ في عقليّة تعتمد العربية إبداعاً وإثراءً، وهذا ما يجب غرسه في أطفالنا من القاعدة في بناء تشبيك قواعد اللغة الأمّ، بما يعضدها من رياضيات ومنطق وفلسفة وهو سبيل بناء عقل ذي بيان وثقافة وتفكير وتأمّل وعلم، ضمن ضبط مناهج تدريس العربية بالقوّة والفعل للوصول إلى جودة الجوانب التعليميّة البحثية وبنيتها التحتية.

8- ومع ذلك لا بدّ: لا بدّ من تأهيل النّط العلميّ في العربيّة؛ بتجديد الفكر العربيّ في صيغ الأخذ والعطاء بغية معرفة منطلق الإيحاء اللفظيّ لظاهرة التفاهم والتواصل الحضاريّ، وأنّ الطلب قويّ على تعلّم العربيّة وذلك يستدعي قبوله مُعاصرة جديدة بمنطق البرمجيات ذات العلاقة بتعدد اللّغات، وفق منطلق النظريات التربويّة والنفسية الحديثة لتسهيل عمليّة الفهم والاستيعاب في الإسهام في بناء الحضارة الإنسانيّة باللغة العربيّة العلميّة، وهي السبيل الأقوى لاكتساب التكنولوجيا والعيش ضمن التنمية المُستديمة بالاعتماد على النفس وهو سبيل مُواصلة فعل السلف، ورفع الغبن والوهن عمّا علق بنفوسنا من عدم اللّحاق إلّا بلغة الآخر، والآخر يستعبدنا بلغته، ويجرّنا إلى التّبعة والاهتجار والاستدمار من جديد. ولا بدّ من ردم عصور التراجع والانحسار، ونسج الوعي اللّغويّ بلغتنا فقط؛ لفهم واقع تحلّفنا، وبناء تفكيرنا المُعاصر بما يتوافق والأرضيّة المعرفيّة التي تجعل لنا مقاماً في ميراث الأرض بلغة البقاء، وهي العربيّة العلميّة القادمة، لغة الحضارة الإنسانيّة المُتسمة بالإسلام والسّلام والتّلاحق والتّبادل. ولا بدّ من تنفيذ نظرية الاندثار للعربيّة بما يكون لنا من مُشاركات إسهامات في آليات العصر، لتعود العربيّة كما كانت وأكثر أيام الازدهار الإسلاميّ لغة علمٍ عالميّة. وعلينا الإقرار بأنّ المُشكلة فينا وليست في لغتنا، وإلّا كيف نطق العلم في كتاب (التّصريف لمن عجز عن التّأليف) لأبي القاسم الزّهراوي (ت936هـ) في الطبّ، وكُتب (البيروني) في الإبداع في كثير من العلوم.

وهنا مُعضلة العجز في أنّ فاقد الحاجة لا يعطيكها، وأنّ سبيل العلم يقبل كلّ اللّغات الطّبيعيّة والعلم لا يختار لغته، بل يميل إلى لغة تُلبّي متوجهه اللّانهائيّ والمتنامي، وهنا السرّ الذي لا يأتي إلّا بالمعرفة العميقة الصّحيحة، والبحث الصّارم من خلال مركز البحث والإنتاج والتّرجمة، وتدريس العلوم التّقنيّة باللغة الأمّ. ولا بدّ هنا من الدّعوة إلى ضرورة تدريس اللغة العربيّة في مختلف الكليات الجامعيّة والمدارس العليا بهدف تحقيق الإحاطة الواعية بأساسيات هذه العربيّة في إدراك تطبيقيّ يجعل منها أداة سهلة الاستعمال بالنّسبة

للمُعلِّمين والمُتعلِّمين، وضرورة تبسيط قضايا الصَّرف والنَّحو حسب المُستويات الفصحى المُعاصرة دون خروج عن القواعد التي أقرَّتها كتب النَّحو، وكلّ هذا يسهل ويحلّ عندما تكون طرائق التَّدرّيس بسيطة سهلة وظيفيّة. ولا بدّ من الاستثمار في المُعلِّم الكفء والمُعلِّم القدوة الضَّامن للجودة التَّربويّة والعليّة. ولا بدّ أن نستفيد من التَّجارب النّاجحة، ونتَّعظ من التَّجارب الفاشلة، ونُخبرنا الدِّراسات الحديثة بأنّ اللُّغة الأمّ هي الوحيدة المؤهِّلة لضمان النّجاح، ويكفي أن نعلم بأنّ (ماليزيا) المُصنّفة في الرّتبة الثالثة عالمياً في مدرسة الجودة، ونالت النّجاح بلغتها المالايّة، ولكنّها رأت ضرورة التّصدّر بتدريس الرِّياضيّات وبعض الموادّ بالإنكليزيّة واستبعدت لغتها الأمّ عن العلوم لمدّة ستّ (6) سنوات، وتراجعت بقوة في الرّتبة العالميّة "وتشير دراسات أُجريت على تجربة ماليزيا الاقتصاديّة والصّناعيّة، التي حقّقت لها نهضة مُتميّزة في العالم، وهي التي تمثّلت في مشروع اعتماد اللُّغة الإنكليزيّة في تعليم مبادئ العلوم والرِّياضيّات بدل اللُّغة الماليزيّة، ووصف هذا المشروع بأنّه (التنازل الأهمّ في مسيرة الصّناعة الاقتصاديّة الماليزيّة) وبعد 6 سنوات من التّجربة قرّرت ماليزيا إيقاف مشروع تدريس الرِّياضيّات والعلوم باللُّغة الإنكليزيّة والعودة إلى التّدرّيس باللُّغة الماليزيّة (المالويّة) وحسب ما جاء في القرار؛ فإنّ السّبب هو أنّ الدِّراسات التي أُجريت على أكثر من 10 آلاف مدرسة أثبتت فشل التّجربة، وأنّ التّدرّيس بالإنكليزيّة (غير اللُّغة الأمّ) أدّى إلى تدهور مُستوى الطّلبة على المدى البعيد، وتدهور في مُستوى أدائهم في الرِّياضيّات".

وهكذا عقد العزم وأولو الرّأي، وتراجعوا عن فعلهم الذي بنحس لغتهم، وعاد المُستوى إلى وضعه الطّبيعيّ وليس من المُشكلة إذا وقعت المُراجعة أو التّراجع، وهو فضيلة كبيرة بغرض التّصحّيح والأخذ بالرّأي الصّائب، عكس ما نجده في بعض دُولنا العربيّة التي كانت تستعمل الرّموز العربيّة في الرِّياضيّات: س ص جب جبت... ولا مُشكلة واعتلى المُستوى، وبدعوى العالميّة، استبدلوا تلك الرّموز بالحروف اللاتينيّة بغرض اللّحاق العليّ، وانخفض المُستوى إلى الدّرك الأسفل، ويكتب التّلميذ المسألة من اليمين إلى اليسار، والعمليّة من اليسار إلى اليمين فتشّت ذهنه، لا فاز ولا أفلح، ولا ارتفع المُستوى، وما حصل اللّحاق في الرِّياضيّات، وما أفلحوا في الأولمبياد العالمي للرِّياضيّات، ولم يقع التّفكير في التّراجع بغرض إصلاح الإصلاّح.

9- اللُّغة العربيّة العليّة أمل وعمل: أجمل شيء أن نربط الأمل بالعمل، ونستبعد مقولة الذين ذكرهم الله في قوله ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة 24. فهو تواكل لا يتكل عليه، وأنّ الأمل معقود على المُختصّين في المقام الأوّل، مع ضرورة تدافع الجميع لخدمة اللُّغة العربيّة الفصيحة المُشتركة، وأنّ علميّتها تكمن في سقيها بماء العلوم وإلاّ سوف تنقرض وهكذا الدّنيا ميزتها العمل، واللُّغة العربيّة تطلب ذلك "... فالأمل بلا عمل كجسد بلا روح، وعمل بلا أمل كالآلة خرساء، ومن تلاجهما يتولّد النور، ولولا أمل توماس أديسون (1847-1931م) المشفوع بالعمل والتّجارب المُضنية لما اقترن اسمه باختراع المصباح الضوئي، وكلّ مُفردة في حياة الإنسان هي سيف ذو حدين كالزّمن إن لم تقطعه قطعك، والأمل الأجوف هي بطالة مُقنّعة وإنّ أشغله بالعمل والأمل المُفعم بالحياة

يحيل البطالة إلى حركة وإن عرّ العمل وندر، لأنّ الأمل المثبت هو بحدّ ذاته سعي وحركة غير ظاهرة، والأمل السّلي هو موت سريريّ، وإن كان صاحبه كثير الحركة، فالأمل الأوّل مُنتج والثاني مُحبط، والبركة في الحركة الهادفة". وبالأمل والعمل سيظهر الرّجل الرّشيد والرّأي الصّائب، والقرار السّياسي لتخليص العربيّة من التّردّد، وسوف يأتي ذلك اليوم لا محالة، ونحن في انتظاره بإنجاز المشاريع مثلها تنتظر الطّبيعة الأمطار وستأتي الأمطار من مخاض حركات الأرض:

سَمَطَر الأرض يوماً رغم شُحَّتْهَا * ومن بطون المآسي يولد الأمل

ونأمل أنّ العمل يكون مُواصلًا لفعل السّلف اللّغويين العاملين؛ حيث ابتعدوا عن الوسادة، وطلبوا العلا بهجران القرى، وسهروا في طلب الريادة، وربطوا الأمل بالعمل، وقالوا لأنفسهم: إنّ القمّة من (قُم) وأنّ اللّغة العربيّة التّزام قبل نوم. وهكذا لم يعيش السّلف البحبوحة والراحة من أجل امتلاك اللّغة العربيّة التي ذابوا فيها حبًّا وإنتاجًا، ولكنّهم أبدعوا بعد جهد واستيعاب، بعد امتلاكهم لأدبيات العربيّة العلميّة في مهاراتها الأربع، وبهم تكلمت العربيّة بمقام الجلال والألق، فجاءت ذات هيبة وميزة وكال. إنّها العربيّة التي اكتملت بناؤها، وأنّسقت تراكيبها، وانتظمت ألفاظها، حتى جاءت أساليبها مُكتملة الصّنع، ومُتسّقة البناء، مُنضبطة في غير اقتصاد، ولها ثراء من غير اضطراب.

هي اللّغة العربيّة الأدبيّة في المنطق، ولكنّهم أفنوا جهودهم فيها حتى سلّمت لهم مقادها، وألانت عريكتها، فأبدعوا في شعرها ونثرها. ولقد بعجوا أصولها، وفتحوا فروعها، فأعطت فنونها، من خلال أدبها قال (ابن خلدون) عن علم الأدب في الفصل الخامس والأربعين عند حديثه عن علوم اللّسان العربي "...هذا العلم لا موضوع له؛ ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها... وأصول هذا العلم أربعة دواوين؛ وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للبرّد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها، وأنّ من قرأها وتعلّم منها، اكتسب حرفة هذا العلم، وتمكّن منه".

وسُئِلَ (البشير الإبراهيمي) من أين لك هذا الثّروة اللّغويّة والتّفاح اللّغويّ؟ فأجاب "... فلما بلغت سبع سنين استلّني عمّي من مُعلمي القرآن، وتولّى تربيتي وتعليمي بنفسه، فكنت لا أفارقه لحظة حتى في ساعات النّوم. فكان هو الذي يأمرني بالنّوم، وهو الذي يوقظني منه على نظام مُضطرد في النّوم والأكل والدراسة وكان لا يُخليني من تلقين حتى حين أخرج معه وأماشيه للفسحة؛ فحفظت فنون العلم المُهمّة في ذلك السنّ مع استمراري في حفظ القرآن. فلما بلغت تسع سنين من عمري حتى كنت أحفظ القرآن مع فهم مُفرداته وغريبه. وكنت أحفظ معه ألفية ابن مالك، ومعظم الكافية، وألفية ابن مُعطي الجزائري، وألفيتي الحافظ العراقي في السّير والأثر، وأحفظ جُمع الجوامع في الأصول، وتلخيص المفتاح للقاضي القزويني، ورقم الحُلّ في نظم الدّول لابن الخطيب، وأحفظ الكثير من شعر أبي عبد الله بن خميس التّلمساني شاعر المغرب والأندلس في المئة السّابعة، وأحفظ مُعظم رسائل بلغاء الأندلس مثل ابن شهيد، وابن برد، وابن عميرة، وابن الخطيب. ثمّ لفتني عمّي إلى دواوين فحول المُشاركة ورسائل بلغائهم، فحفظت صدرًا من شعر المُتنبّي، ثمّ استوعبته بعد

رحلتي إلى الشرق، وصدرًا من شعر الطائيين، وحفظت ديوان الحماسة، وحفظت كثيرًا من رسائل سهل بن هارون، وبديع الزمان الهمداني. وفي عنفوان هذه الفترة كنت حفظت بإرشاد عمي كتاب كفاية المتحفظ للأجدابي الطرابلسي وكتاب الألفاظ الكافية للهمداني، وكتاب الفصيح لثعلب، وكتاب إصلاح المنطق ليعقوب السكيت. وهذه الكتب الأربعة هي التي كان لها الأثر في ملكتي اللغوية". ع/آثار البشير الإبراهيمي، ج 5 ص 272-273.

وما نستنتجه أنّ اللغة العربية التزام منهجي في استيعاب خصوصياتها، وهي المنطلق، وهكذا كان السلف عامة، فكانت العلوم الأدبية وكانت الذخيرة العمدية التي كوّنت الرازي والفارابي والإدريسي والمقرئزي وابن البيطار والخوارزمي والخليل والكندي وجابر بن حيّان ابن سينا والحسن بن الهيثم وابن بطوطة وابن رشد وابن باجة وحنين بن إسحاق وابن البناء وأبو إسحاق البطروجي وأبو كامل الشّجاع... والقائمة كبيرة من علماء الأمة الذين استوعبوا أدبيّة العربية، وتفنّنوا في فتح علومها؛ لأنّه لا يمكن فهم المعنى في عمي المبني. إنهم علماء ملتزمون مدافعون علمياً عن أفكارهم، مربطون في معاملهم، يجرون وراء تحقيق المسائل، وينفقون وينتقلون ويعاينون ويكتبون ويرحلون ويسهرون ويدفعون ويهاجرون ويصبرون ويمرضون ويرابطون ويصبرون ولا يشكون من أجل تحقيق الريادة، ومن أجل الحضارة العربية الإسلامية التي تركت لنا المجد والأثر والبصمة التي يتعجب الغربيون منها، ألم يقل الإسبان بأنّ قصر الحمراء "قصر الحمراء لم يشيّد به بشر، وإنما شيّدته الملائكة" وكيف وقف (فيكتور هيجو) مبهوراً قائلاً "آيتها الحمراء، أيها القصر الذي زينتك الملائكة، آيتها القلعة ذات الشرف المزخرفة بنقوش كالزهور والأغصان المائلة إلى الانهدام، حينما تنعكس أشعة القمر الفضية على جداولك من خلال قناطر العربية يسمع لك في الليل صوت يسحر الأبواب". هي بصمة العرب الخالدة في فنّ العمارة وفي عليّة جلب المياه من القاع، وفي تنسيق الأبهاء من كلّ الجوانب، بصمة العربية العلمية الماجدة... وهل نكون خير خلفٍ لخير سلفٍ؟ فلا بدّ من الاتكال على الذات من أجل جلاله هذه اللغة التي لها خاصيات الأدب، ونحن من خلالها نصنع العلم بلغة العلم.

- الخاتمة: إنّ العربية بما لها من موقع في الماضي والحاضر لغة علمية مُرشّحة للنزول أمياً إلى النافذة الرابعة سنة 2030م، حالة تضافر جهود القائمين عليها من موقع القرار على مستوى جامعة الدول العربية، وهناك مسؤولية المدرسة والجامعة والمحيط العام في ضرورة استعمالها في مختلف المحال والمحافل والاعتزاز بها، وتدريس العلوم بها ضرورة لازمة، ولا جدال أنّه لا توجد أمة متقدّمة بدون توظيف اللغة الأم. هي عريّة الحضارة الشرقية وأمّ اللغات السامية؛ لها مقومات البقاء. وكلّ هذا لا يعني التراخي والأتكالية فهناك مضايقات تقاينة تعانها من منظور تكنولوجي، وما له علاقة بالتقريب بين اللغة الأدبية واللغة العلمية بخصوص استخدامها في أجهزة الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة، فضلاً عن استعمالها في الأجهزة الإدارية، والخطب الرسمية، مع تفادي تلك الازدواجية المتوحشة التي تخلق لغة هجينة لا أصل لها وبالطبع لا يكون لها فرع.

وكلّ هذا لا يعني غلق الباب أمام تعلّم اللّغات الأجنبيّة، فهي لازمة في مجتمّع المعرفة وبخاصّة الإنكليزيّة لما لها من مواقع في الضّخ المعلوماتي، والسّيطرة على التّكنولوجيا المعاصرة، وهي مهمّة لآفاق البحث العلمي باللّغة العربيّة، كما أنّ كلّ اللّغات الأجنبيّة مطلوبة حيث نستفيد منها في تطوير العربيّة من خلال طرائقها التّدرسيّة، ومن برمجياتها ونجاحاتها في تعميم استعمالها والاعتزاز بها لدى أهلها وغير النّاطقين بها. والمهمّ في الأمر أن يكون الانفتاح على تعدّديّة مضيّفة منيفة لكلّ لغات العلم، ولا يعني الوقوف عند مرجعيّة الإنكليزيّة/الفرنسيّة، وعدم فتح ملفّ اللّغات الأخرى.

أفريل 2024

اللغة العربية رهانات الرقمنة وتحدياتها*

- الديباجة: إننا اليوم في عالم الفضاء الأزرق، عالم مفتوح وبلا حدود، عالم الرقمنة والذكاء الاصطناعي عالم التسابق في علوم الفضاء والبرمجيات والبيانات وخرق الخصوصيات والهويات، والغلبة للغة العولمة التي تضخ نسبة تتجاوز ثمانين (80%) من النشر الإلكتروني، وتفرض نمطاً خاصاً في المجالات ومعايير تصنيف الجامعات، وكل ما يمت بالوصفات الغذائية والسلع والمنتجات الإلكترونية... وهنا يقع السباق نحو الرقمنة لكسب الغد الأفضل، والعيش في الرفاهية، وكلنا نتحدث ونفتي في الذكاء الاصطناعي، وبني المنصات. هو سباق نحو الديجيتال، نحو فرض الوجود والموقع واللغة، ولا وقوف للنّد أمام هذه العولمة أو التغول العالمي إلا بالخصوصيات، والتواجد في صنع الآلات، وهو الوجود المادي للحضارة المعاصرة، ولا بد من بصمة الإسهام في حضارة الإنسان المعاصر.

1- في الذكاء الاصطناعي: نسمع مسكوكة المصطلحين في مجال الحوسبة اللسانية، ويقوى أثرها في جائحة الكورونا، وقد التُجئ إليها من أجل التواصل والتّحاضر عن بُعد؛ باعتبارها مجالاً تقنياً لها قدرة ذكاء البشر وردّات فعله، وينتشر هذا المصطلح أكثر في مجال اللغات عند الحديث عن الحوسبة اللغوية، وما محلّه في العربية؟ إنّه علم حديث ينقل من الإنكليزية/الفرنسية باعتباره يقوم بعلاج الهندسة اللغوية حاسوبياً ويضمّ "العلوم المصطلحية والترجمة الآلية، وحوسبة المدونات، والاهتمام بحركات البحث، وقد يتطلّب الجمع بين كفاءتين لسانية وحاسوبية، ويستطيع اللغويّ بهما معالجة اللغات آلياً بإخضاع الظواهر اللغوية في مستوياتها المختلفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية للتفسير؛ ممّا أسهم في ظهور علوم لغوية تهتمّ بهذا الشأن، منها اللسانيات التطبيقية بشكل عام، وتضمّ مجموعة من العلوم اللغوية، منها: اللسانيات الحاسوبية، واللسانيات الإدراكية والمعرفية والعصبية، وغيرها من العلوم الأخرى". هو علم قائم في العربية منذ ظهور علوم اللسان على يد العالم فرديناند دو سوسير/Ferdinand De Saussure عبر كتابه Cours De Linguistique Générale ثم إشعاع مؤلفات العالم أفرام نعوم تشومسكي/Avram Naom Chomsky، ولكن لم تحظ العربية بما حظيت به اللغات الأخرى في التطور الذي عرفته اللغات الأوروبية عبر هذا المصطلح، ولهذا، فالحديث عن الذكاء الاصطناعي لا يزال عندنا في مرحلة التّنظير والاقتراس والترجمة.

ومع ذلك فهناك بعض البحوث القاعدية والتي اقتصرت على جانب النحو في الأشباه والنظائر وإحصاء الصّيغ الصرفية، وبعض قضايا النحو بين المشافهة والكتابة، علاوة على الاهتمام بما له علاقة بأدوات توليد النصوص وأساليب معالجتها، واستخدام تقنيات التعلّم العميق، والشبكات العصبية الاصطناعية لتطوير نماذج ترجمة آلية متقدمة وناجحة. وكان من وراء ذلك بعض الأنظمة المعاجمية والقاموسية في صناعة الضبط

♥- الكلمة التي أقيمت بمناسبة الاحتفال بيوم العلم، بجامعة العقيد أكلي مُحند الحاج، كلية الآداب واللغات، بالتنسيق مع المجلس الأعلى للغة العربية، ومُخبر علوم اللسان والدراسات الأدبية والنقدية، بتاريخ 15 أفريل 2024م. عنوان الاحتفال (اللغة العربية والذكاء الاصطناعي، رهانات الحاضر وتحديات المستقبل).

والتصنيف، ووضع معاجم إلكترونية، وتحويل المعاجم الورقية القديمة إلى معاجم إلكترونية يسهل البحث فيها.

2- حاضر العربية في زحام الآلة: لقد انشغلنا عن موقع العربية المقلق في واقعنا المعاصر، بما كنا نناخ عنها بماضي الأجداد المغدق، وبسرد عميق لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية من القرن XI إلى XVI الميلادي وبقينا تاريخانيين نعيش على (كان أبي) وغاب (ماذا قدّمت أنا، وكيف أكون عضواً في الحاضر). سرد العربية المعاصرة التي تنتحر في التربية وفي التعليم وفي الصناعة وفي التجارة وفي المحيط العام وضخالة المنتج المؤسساتي في تقريب العربية إلى الاستعمال العفوي، وبقيت تُقدّم تيسيرات على تيسيرات وغاب الإبداع كما غاب المنبر الحرّ النزيه الذي يقول إنّ العربية رغم كلّ ما تعيشه من مضايقات فهي تعرف في الوقت الحالي تزايداً مذهشاً في عدد مُستعملها، وما لها من موقع جدّ مُتقدّم في الشبكة وهي لغة أُمّية برتبة خامسة، ولها التداول الرسميّ أفضل من الماضي، كما تعرف الوجود في الرّقنة بوضع منصات بحركّ بحث عربي، ولها مؤسسات تكنولوجية تنتج المعارف التقنيّة، كما تعمل على حلّ الكثير من المضايقات الرّاهنة. وقدّمت الحلول لكثير من التّحديات والإشكالات الأدبيّة، ولها فقر كبير في عالم التّقانة. ويجب التنويه بأنّ اللغة الوحيدة التي تُحارب بقوة من بعض أهلها النّاكرين، ومن غيرها الماكرين وأصابتها الكثير من الضّربات الموجعة في الدّعوة إلى استبدالها باللّهجات، وكتابتها بالحرف اللاتيني وفصلها عن لغة القرآن، وإبقائها لغة المناخات والجنائز...

وصدّمت وانتصرت رغم الحنّ والإحن لوجود سدنة يشتغلون من أجل تطوّرها وربح معركة الحاضر والمستقبل، وربطها بوصفة الأجداد الذين ما تسامحوا في خصوصيتهم الدّينيّة، فنالوا بها مجد الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي لم تترك قارة إلّا وتركت فيها بصمتها، والشّواهد كثيرة في كلّ العالم. مسار حافل في تخطّي العصور عرفتها العربيّة إبان فترات الاحتلال المعاصر الذي همّشها ومنع استعمالها لدى أهلها، بل أغلق أمامها أبواب البحث العلميّ، ومنعها أهلها من دخول كليات العلوم والطّب، وانزاحت جانباً إلى لغة الشّعور والقانون والفقه، وصنّفت من لغات الهامش وسيأتي حين من الدّهر تموت حسب رأي النّاكرين والجاحدين.

هو مسار طويل، عرفت فيه التّقدس والجمود والمناخات، والتّمسك بالأصول، ووجه إليها شباب من الحاصلين على أدنى الدرجات في البكالوريا. هي لغة أُلقيت في البحر مكتوفة، وقيل لها: إياك إياك أن تغرق في البحر؛ فأنت لغة مقدّسة، وأنّ التّقدس في اللغة مُضرّ، يجعلها لغة تواكّية لا تتخطّى ثغور بنيتها وحمى المُقعدين والحوالف، وأضحت لغة الهامش لا تسير الحداثة، وبعيدة عن رهان فرض الوجود. غابت العربيّة عن وظيفتها التّواصلية، عن الثّم والتّطوير عن مُسيرة التّطوّرات الإنسانيّة في تدريس العلوم والنّهل منها، غابت عن مسار تعريب التّكنولوجيا والمعلومات والبرمجة، وأصبحت هي وأهلها في خبر الاستهلاك دون الإبداع.

3- الكلام المرز: هو كلام مرّ نقوله استكمالاً لما عرفته وتعرفه الآن من وضع يترى في شتى الميادين وأنها تفتقر إلى مهاراتها الأساس في التعليمات: الاستماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة. هو كلام مرّ أن لا نخرج من استظهار إضبارات الآجرومية، ومقامات الحريري، والمعلقات العشر، وأرجوزة السيائية في الطب ومقدمة ابن خلدون، وإبداع الخيام في رباعياته، وصناعة المنجنيق للعالم المسلم عبقرى الأندلس (أرنبا الزردكاش...الخ). كلام مرّ أن نسكت عن الهجمات الشرسة تجاه العربية ونحن لم نعمل على وضع آليات البرامج التعليمية في إبداعات العصر، وأنّ معلّم العربية شديد غليظ لا يتساح في الشدة والهمزة، وباقي الأمور ليست من اختصاصه، ثغور كثيرة تساحنا فيها ولم يعد لنا إلّا الكلام والنذب والاتكال على المؤسسات دون بذل الجهد، وأنّ الشأن العام في خبر كان، وللعربية ربّ يحياها.

كلام مرّ بما نقرأه من مؤسسات لغوية همها تقديم صكوك الترخيصات والجواز بحكم لغة الإعلام التي تقبل الخروق اللغوية وعليها التسامح في هذا المجال، مجمعون يقبلون بتسيب اسم (المجمعي/الأكاديمي) وفيهم من لا يملكون الكفاية العلمية لهذه التسمية، وبعضهم لا يملك إلّا شهادة تخرجه، أما وجوده في البحث العلمي الجاد صفر على أصفار، وموقعه في التأثير الشاكي لا شيء، ولا مقالة علمية في المجالات العالمية مثل Scopus وأشياء لا تصدق. ونقولها بمرارة بما نراه من ممارسات تضيقية للفاشليين في تسيير مؤسسات، وهم قد فشلوا وتشعبت المسائل، وأصبحت الأمور بأسة في القصور اليومي تجاه العربية التي جعلوها لغة البيان وكفى وقرآنا عربياً غير ذي عوج، والباقي ليست العربية على استعداد للولوج في عالم لا تفهمه ولم تعدّ لهذا الشيء. مدارك قاصرة، وتفكير أعرج أعوج عن فقه العربية وفتقها وفتوحاتها، ولكن القرار ليس في يد صاحبه، وأنّ الحاجب يمنع كلّ من يدنو للوعي اللغوي، ولماذا الاهتمام بالعربية، وهي لغة ميّنة ولغة العلوم هي الفرنسية أو الإنكليزية، وعلينا أن نختصر المسافة، ونتعلّم اللغتين ونتطور. من المؤسف أن تقرأ عن بعض من ينتسب للفكر والعلم قولهم هذا وأكثر، وأنّ العربية لا تملك جينات العلوم الحديثة ولغة الآلات والبرامج والعلم والصناعة والقوة الاقتصادية والتكنولوجية. غاب من ينتصر للعربية، ومن يدعو إلى تمكينها في العلوم وتحديثها في الهندسة اللغوية. كلام مرّ ولكن لا بدّ أن نرفعه، ولزماً علينا الانتصار للغة العربية بزرع الوعي بضرورة العمل على تطوير آلياتها لمصاف العالمية، وتصبح لغة الاقتصاد والميكانيك والطب والصيدلة، وإيجاد المنهجية السليمة لتدريسها وفق مقتضيات العصر وبأسلوب علمي. وتحتاج إلى علوم اللسان، وجماليات التواصل في تنوع الأساليب، واستقامة اللسان بالممارسة والمدرسة والمعاهدة والمربطة والمحيلة أحياناً. ولا تكون العربية لغة العصر والأزوار إلّا إذا تعهدناها بتدريس العلوم بها وفيها والترجمة إليها، وينتهي كلام (العربية ليست لغة العلم). ولا بدّ من نفر متحمسين يهبوا للذود عن "حياض اللغة العربية، والتغني بحاسنها، وامتداح خصائصها وتعداد أوجه تميزها من غزارة في المفردات وفصاحة في التعبير ومرونة في الاشتقاق، واتساع في المدرج الصوتي وتفرد بحرف الضاد". وعند ذلك يمكن ترديد بيت الشاعر:

أنا البحرُ في أحشائه الدرّ كامن * * * فهل سألو الغواص عن صدّفاقي

ولا بدّ أن نربط القول بالفعل في التمسك بها دون مرأ أو مفاضلة أو مقارنة، فهي الوطن، ومن ليس له وطن فهو يتيّم، والعربية تجمعنا ولا يمكن استبدالها. هي الإيمان بعظمتها وصلاحتها، هي الإطار المرجعي للكينونة والبحث في كفاياتها العلمية؛ كونها لغةً طبيعيّة تحمل العلوم مثلها مثل آية لغة، وتستطيع الوفاء بالاحتياجات المتنوّعة من مصطلح وتعبير وبديع ومحتوى وتشبيك وشجاعة وحكمة وتخطيط وجدال ومناخفة. وفيها صعوبات لا شك في ذلك، ولكن لا مشكلة دون حلّ، والتحديات المعاصرة تفرض علينا الانغماس في لغات العلم للاستفادة منها، والعمل على ملاحقة الجديد في الهندسة اللغوية والثورة التّقنيّة بما للحواشيب من ذكاء ومعلومات وبيانات وسرعة، وكلّ مُستلزمات المنطق والتّفكير والتّعبير. ولا ينتهي الكلام المرّ إلاّ باكتفاء العربية في جانب التّنظير في علاج التّحديات في عصر العولمة والمعلوماتيّة.

4- التّحديات المعاصرة للغة العربيّة: إنّها كثيرة بعد البيات الذي طال الخمسة قرون، وليس سهلاً أن تجد الحلول الرّضيّة بعدما بعدت العربية عن الاستعمال، وطال الذي طال على لُبد، طالت القرون ولم تبّن الجامع والألكسو المصطلحات العلميّة كما يجب أن تكون، قصور ظهر في التّكرار والمسخ والإحصاء دون تحليل وكيف نعيش تحديّ الثورة الثقافيّة، وغزو الفضاء والسّبرانيّة، والتّحكّم عن بُعد، والانقلاب الحاسوبي والمعلوماتي، وثورة الاتّصالات، والتّفجّرات الاقتصاديّة، والهيمنة اللّغويّة، ونحن في المرحلة الأولى من البحث عن محو الأميّة، وهي مُشكلة كبيرة تُشكّل فرملةً للتّميّة المُستديمة، وتُضاف إلى عمليّات التّربيّة والتّعليم في أهمّ التّحديات المعاصرة. هي مُشكلة أوليّة، ويتبعها القصور عن مجارة التّطور العلميّ والرّقّي وما يلحقها من شخّ الترجمة، وواقع ومُستقبل النّظريات العلميّة في مجالات الإعلام واللّغة والدّراسات النّقديّة. هي تحديات في عصر الرّقنة، في الأنظمة والبرمجيات والحوارزيمات وأجهزة الاتّصال المختلفة ذات التأثير البالغ في مختلف أوجه خصائص العربيّة من الكتابة من اليمين إلى اليسار، والتّشكيل ضمن نطاق غربي لا مفرّ منه؛ لأنّه صانع الحواشيب ومُبرمجها حسب لغته، في الوقت الذي تعرف لغات العلم تطوّراً مُتسارعاً والعربية ثقافلاً كبيراً. هي جملة تحديات وهي معروفة، ولكن ما هي الحلول أو الأفكار التي نريدها لرفع الغبن التقني عن العربيّة لتعرف الازدهار والاستعمال، وتكون من بين لغات الحضارة الحديثة؟

5- أفكار في ملاحقة مُستجدات العصر: لقد بصرنا بمجموعة أفكار من خلال الانغماس في سبب تخلفنا وتقدّم الآخر، وخلصنا إلى هذه الأفكار:

- تقدّم غيرنا لأنّه التمس الأسباب ولم يكن تواكلياً، والعكس يصحّ عندنا؛
- فاتنا الغريون لأنهم استثمروا في المنظومة التّربويّة، وشكّلوا موارد بشريّة تقود العالم في المشهد المُستقبلي ونحن نساعده بالهجرة إليه، والعمل تحت طائلة قوانينه وبكلّ رضا؛
- الغير له كمّيات قليلة من المعلومات والبيانات، ولكنها مُستعملة ومُحيّنة، ونحن نملك تحفة متحفية تاريخيّة عفا عليها الزّمان، والأحقّ أن تكون في المتحف للزيارة؛

- مَالِ الْآخِرِ إِلَى التَّحَوُّلِ الرَّقْمِيِّ وشهد طفرات جدّ مُتقدِّمة، ونحن لا نزال بين رافض وناقم وراضٍ على الرّقنة دون صنعها.

هناك مُضايقات في مجال الخطوط العربيّة من حيث الرّسم والشّكل وتحقيق الخطوط... وكلّها تتطلّب جهوداً للتّعامل مع النّصوص العربيّة بشكل صحيح. وعلى الرّغم من هذه المشاكل فإنّ البحث العلمي في مجال الذّكاء الاصطناعي يتّسم بالتّطور المُستمر. ولهذا لا بدّ من بناء استراتيجيّة الذّكاء الاصطناعي بنشر الوعي بأهميّة الأنظمة الذّكيّة والعلبيّة على غرار ChatGPT لاستراتيجيته في عالم الذّكاء الاصطناعي وإزالة الحواجز بين فريق العمل، وبين المُعلّم والمُتعلّم، وخلق مُبادرات التّعليم مدى الحياة. وما يجب أن نعلّمه بأنّه ليس لنا خيار الانضمام إلى مسار الرّقنة من عدمه، هي حتميّة تنافسيّة بل كيف نكون بما لنا من خصوصيات تحفظ لنا دورنا في الإسهام الحضاريّ التقنيّ بأقلّ تكلفة مُمكنة وفق خريطة طريق واضحة المعالم. وإنّا اليوم نمرّ بمرحلة مُفصليّة في تكنولوجيا المعلومات؛ وهي مرحلة الذّكاء الاصطناعي في إطار تطويع العربيّة لإقرارها وفق خصوصياتها، واحترام ناطقيها وما لها من مرجعيّة دينيّة. ولا بدّ من مُمارسات كثيرة في هذا الذّكاء؛ لإنشاء تطبيقات مُساعدة للمُؤسّسات، تُحاكي وتتفاعل مع الإنسان لتحقيق أفكار الابتكار. ولا خيار لنا إلّا الغوص في الأتمتة والتّعلّم الآلي لتحقيق مُستوى تعليمي في الذّكاء الاصطناعي. وعليه، لا بدّ من خلق الثقافة المُناسبة للتّحوّل الرّقميّ، بالاستناد إلى عمليّات التّنفيد، وذلك يُؤدّي إلى نتائج أعمال أفضل.

6- الرّقنة لا بدّ منها: إنّها الحتميّة المُعاصرة ولا بدّ منها؛ لننال الواقع والموقع، فالرّقنة نكتشف أخطاءنا في اللّغة، وبها نستثمر أكثر في الذّكاء الاصطناعي لأهل العربيّة ولغير الناطقين بها، عن طريق علم اللّغة التقنيّ. وبالرّقنة ننتج المنصّات التّفاعليّة وتطبيقات التّرجمة، وبالرّقنة تُلقَى اللّغة في سياقات شبه طبيعيّة بالذّكاء الاصطناعي وتستجيب، وهذا ما كان ناجحاً في التّعليم عن بُعد، ويوضح د. الداودي أنّ إحدى طرائق استثمار الذّكاء الاصطناعي في تعلّم اللّغة العربيّة للناطقين بغيرها تكمن في تجربة (التّعليم عن بُعد) لوجود ميزات جديدة، قائلاً: "لقد استطعنا الآن في قاعات الدّرس أن نوجّه المُتعلّم إلى التّلعيب باللّغة من خلال المنصّات التّعليميّة. كما استطعنا تطبيق جزء من الانغماس اللّغويّ، فالمُتعلّم بكلّ يسر يتعرّف على ثقافة المُجتمع الذي يدرس فيه؛ لأنّ اللّغة قبل أن تكون أصواتاً يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم هي ثقافة تعكس هويّة المُجتمع". كما أنّ الرّقنة قاعدة الذّكاء الاصطناعي، وهي لا بدّ منها للهِرُور إلى المُحتوى الرّقميّ في المراحل اللاحقة. والمرحلة اللاحقة دقيقة، وسوف تفصل بين لغات العلم عن غيرها من لغات الهامش، ولغات لها قابليّة التّطوير، ولغات ليس لها ذات الاستعداد.

وترى بعض الدّراسات الاستشراfiّة بأنّ الذّكاء الاصطناعي سوف يكون نداءً لذكاء البشر، ولهذا يحتاج من الآن إلى أنُسنته وتعقيله بمجموعة من القيم التي لا تجعله يخرج عن السيطرة، ويصبح الإنسان عبداً للآلة، وهذا ما أظهرته بعض الأنظمة البراجميّة من تفوّق في التّرجمة وبناء القصائد الشعريّة وفق السياق والحال والشّعور وفي المُحادثة التّفاعليّة، وفي سرعة التّواصل اللّغويّ المُؤدّي إلى غلق بعض الوزارات والمُؤسّسات والمصانع

والوظائف ومُعاهد التدريب والمدارس، وسوف يتوسّع خيال الآلة اللّغويّ، وينتج لنا مهارات لم نكن نتوقّعها. وإذا لم نتماه معها في توجيهها والتّعلّب على آفاقها سنخرج من خريطة العالم خاسرين نادمين؛ لأنّنا لم نترك بصمة في عالمنا المعاصر.

- الخاتمة: إنّنا بحاجة ماسّة بالنّسبة للعربيّة إلى التّعلّم الآلي، وإلى النّمدجة والمعيّرة والعلاج الآلي وإنتاج البرمجيات والتّطبيقات العاملة على تطوير العربيّة؛ وُصولاً إلى النّماذج المُسبقة الإنشاء التي يُمكن تطبيقها على مجموعة مُتنوّعة من مجموعات البيانات لحلّ التّحديات ذات العلاقة بالعربيّة مثل التّعرف الآلي على الصّور وتحليل النّصوص، وبناء المحلّلات الصّرفيّة والنّحويّة وإنجاز المُشكّل الآلي، والمُدقّق اللّغويّ؛ لبناء الأرصدة التّربويّة المُشتركة والصّحيحة في لغة التّلميذ. ولا بدّ أن نبدأ، ومهما تكن البداية مُحتشمة، ولكنّها طريق الفتح للتّعامل مع الروبوتات/Robotiques في لغة المُحادثة، وفي مُعالجة آليات اللّغات، وإجراء تحاليل لأعمال الطّلبة دون الحاجة إلى خبراء، ويتمّ الجواب والتّقييم من الأشخاص التّقنيين داخل النّظام والحصول على إجابات مفهومة. وهذه الأنظمة الذّكيّة لها قواعد بيانات تستقيها من البحث الآلي، التي يقوم عليها المُطوّرون من خلال تحديث بيانات العمل الخاصّة بهم باستمرار.

والعمليّة قائمة تعرف التّطوير في كلّ حين، وهي تعمل بكفاءة أكبر مع مُختلف أنماط الذّكاء الاصطناعي وهذا ما تفتقده العربيّة في وقتنا المعاصر، ولكن بطريقة ذكيّة يُمكن تكييف تلك العمليّات الحوسبيّة لخدمة مبادئ الذّكاء الاصطناعي في العربيّة بما لها من خصائص. ونحتاج الآن إلى بناء استراتيجيات الذّكاء الاصطناعي في تطوير الأدوات المُلحقة به والمُناسبة للتّحوّل الرّقّي، وهو الذي يودّي بالعربيّة إلى بناء المُحتوى الرّقّي، الذي يحلّ الكثير من قضايا العربيّة من المعنى والدّلالة، وفهم الكلمة من خلال السّياق، وحدّ النّحو والصّرف، وطول/قصر الجمل، وشكل/نوع الخطوط... وما له علاقة بمستويات اللّغة من: فصيحٍ عالٍ، وسط أدنى، لهجات محليّة وعاميّات، تمييز بين الأصوات، التّرجمة المُقبولة من غير المُقبولة، وجُملة ما يطرح الآن في العربيّة من معاجم/مترادفات/مُشترك لفظي/تضاد/صيّغ صرفيّة/أمثال/حِكم/مُحسنات بديعيّة/تراجم مُوثقة... وكلّها من روافد الاستثمار في العربيّة التي نروم أن تكون همّ وشُغل الشّباب المعاصر في الاهتمام باللّغة الأمّ وباعتبارها رافعة من روافع النّهضة المُجتمعيّة. وأملنا أن تنال العربيّة الحظوة في حضورها في لغة الشّباب، وفي المُجتمعات العربيّة والعالميّة، وعلينا جميعاً تكاتف الجهود، وتعاضد بعضنا البعض في المشاريع الكبرى والاهتمام بتطوير العربيّة لتنال الريادة في كلّ تطلّعاتها، ونراكم البحوث على التّجارب النّاجحة، ونمضي في تطوير ما لدينا من استراتيجيات وبرامج خدمةً لّلغتنا وهويتنا.

الخطُّ العربيُّ به يحتفى في دار السّلام ♥

- الدّياجية: تكمن أهداف العيش معاً بِسَلام ألا تُميّز بين البشر، وأنّ السّلم والسّلام هدف البشريّة في هذه الأرض التي تجمّع الجميع، وأنّ البيئة والحَيّ والمدرسة والمَشفى والإسعاف والنّظافة والأشجار والماء والغاز والطّريق؛ مَصالح عامّة يشترك الجميع في حمايتها وتطويرها، مثلها مثل المحافظة على النّسل يحتاج إلى الوعي الجمعي بما يُحافظ على ديمومة الخلق، فمن أحيّا نفساً فكأنّما أحيّا النّاس جميعاً. وتأتي مناسبة الاحتفال بالجمع بين الحُسنيين: حُسْن 16 أفريل وهو عيد العلم، وحُسْن 16 مايو اليوم العالمي للعيش معاً بِسَلام، فكلاهما منتوج وطنيّ نالا الانتشار والتّقليد وأنعم باليومين! ويرتبط موضوع هذه التّظاهرة بالاحتفال بالخطّ العربيّ بعنوان (الخطّ العربيّ: الحبر، النّقطة، الخطّ). إنّها الكتابة التي تنقل المعارف بين النّاس والأُمم؛ دون الاعتماد على الذاكرة التي تخون الإنسان أحياناً، كما أنّ لها دوراً كبيراً في نقل المعلومات والمعارف إلى الأجيال اللاحقة حيث الكتابة تنوب عن اللّغة والكلام المباشّر، وتنقل الأفكار والعلوم والأخبار بسهولة، وهي من الاكتشافات التي أبدع فيها الأوائل مثل اكتشاف النّار، واستزراع الأرض وتدجين الحيوان، واختراع البكرة، وتطوير العجلة، واكتشاف الكتابة وهي درجة من درجات الرّقّي الحضاريّ للبشريّة التي لا تزال تُبدع وتُبدع، وفي كلّ إبداع رفاهيّة فردية وجماعيّة.

ولهذا أجزل الشّكر لهذا الاختيار الحضاريّ، وأرفع كلّ التّحايا لمنظّمي هذه الفعاليّة في دار السّلام؛ دار المحبّة والوئام، دار مُنتدى بن تونس المقدام، صاحب مُبادرة (العيش معاً بِسَلام). وأقول لكم لقد أتقنتم فنّ اختيار الموضوع الذي يجمع بين الحديث عن الخطّ العربيّ، وما عرفه من تطوّر عبر العصور، ويدخل في إطار الحديث عن الاحتفال بشهر التّراث، والخطّ العربيّ من التّراث اللاماديّ الذي أصبح فناً عظيماً نال الآفاق وعرف مَدارس كبرى في العالم، كما نال شهرة في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ومن أبرز المعالم الشّاهدة على جماليات فنّ الخطّ العربيّ الجامع الكبير في قرطبة، في القباب والأعمدة والجدران، ولا تغيب تلك الزخرفة العظيمة عن كافّة مُدن الأندلس في إشبيلية ومجريط، وللأسف ذهبت تلك الأيام التي كان لأجدادنا الجّد، وأصبحت جزيرة إيبيريا من (الفردوس المفقود) ومع ذلك بقي الأثر يشهد على ذلك الجّد، وهل يمكن أن يعود؟



إنّه الفنّ المُمتاز الذي بقيت آثاره ماثلة بما للحضارة العربيّة من قيمة وانتشار، والشّعريّ يُخلّد تلك المآثر:

بأربع فاقَتِ الأمصارَ قرطبةُ * منهنّ قنطرة الوادي وجامعُها
هاتان ثنتان والزّهراءُ ثالثةُ * والعلمُ أعظمُ شيءٍ وهو رابعُها

♥- الكلمة التي أُلقيت في الاحتفال باليوم العالمي (العيش معاً بِسَلام) لصالح دار السّلام، بقصبة الجزائر، بتاريخ 16 أفريل 2024م
بُناسبة الطّبعة السّادسة للاحتفال باليوم العالمي للعيش معاً بِسَلام.

وكما ترى ذات الزخرفة العالية والمعبرة في القصور العثمانية في الباب العالي ومُدنّها الكبيرة والصغيرة، وفي المدائن الإسلامية القديمة في بلاد الشام، ونجد الخطوط العربية في كلّ ماله قيمةً فنيةً مُثلاً في الزخارف الجدارية والأبواب والشبابيك والقباب، وعلى الأسطح الحجرية والمعمارية في بلاد فارس، بلّه الحديث عن بخارى وكازخستان وأوكرانيا وجورجيا وأرمينيا وطشقند وروسيا البيضاء...

إنّ العربية بحمولة خطّها؛ وهي اللغة التّاج الحاملة والحافظة على التّراث الثّقافي والفنيّ الماديّ واللاماديّ للحضارة العربية الإسلامية، هي تعزيز ثقافة السلام من مَحْمُول فنون القول والرّسم والمنمنّات والنّحت والإزميل وهندسة الزخرفة وفنّ الفخار والحفر على الخشب، وما نالته من صُور في الملبّس والحليّ والعمّلات وزخرفة الأختام، وعلى السيوف والسّجاجيد، وكفى قلمُ الكُتّابة نَحْراً أن ينال متوجّه العربيّ هذا الإبداع المَبْنِي على الذّوق والانشراح والتّفنّن في التعريقات ومُتعلّقات التعشيقات، وما يُفهم منه من قيم التّسامح والسلام والعيش معاً باطمئنان. إنّها تلك المَواضيع المُتكاملة التي اختارتها اللّجنة العلميّة بمُناسبة الطّبعة السّابعة للاحتفال باليوم العالميّ للعيش معاً بسلام، بمَواضيعها الرّئيسة السّبعة، وهو الشّعار الذي اختارته UNESCO هذه السّنة 2023م للاحتفاء باليوم العالميّ للغة العربية (العربية: لغة الشّعْر والفنّ).

1- أهميّة هذا الموضوع: إنّ الخطّ لسان اليَد، وبهجة الضمير، وسفير العقول، ووصيّ الفكر، وسلاح المعرفة وأنس الإخوان عند الفرقة، ومُحادثهم على بُعد المسافة، ومُستودع السرّ، وديوان الأمور، وهكذا تعلّمنا بأنّ الخطّ هندسة وجمال وروحانيّة لا نتوقّر لدى الجميع، ولهذا أبارك لكم هذا الاختيار المُهمّ (الخطّ العربيّ) وكان في مُستوى مُسايرة الأحداث الوطنيّة والعالميّة، وما نعرفه من دعوات خدمة السلام، بما للخطّ العربيّ من فنّ الأريحيّة في النّفس، والرّاحة بتلك الأشكال العاليّة من الحرف العربيّ المنساب، وهو يتشكّل في رسوم وصور تجلب الأنظار، وترى تلك الأيادي تجيد فنّ التعريق في استعمال الخطّ الكوفيّ الذي يميل إلى التّربيع، والخطّ الموزون المُنتشر في الشّام في عهد الخليفة الأمويّ (عبد الملك بن مروان) وهو الخطّ المنسوب بقياسيّة خاصّة وبعده أقلامه الأربعة والعشرين (24) ويبدع فيه الوزير (أبو عليّ مُحمّد بن مُقلّة) في تخرّيج: خطّ الثّلاث والرّيحان، والتّوقيع، والمُحقّق، والبدیع، والرّقاع. وخطّ الرّقعة المُتميّز بجماله وقوّته في وقت واحد، والسّرعة عند كُتّابته، وهو مُنتشر في جميع الدّول العربيّة واستخداماته قليلة، لكن كثيرة في الآيات القرآنيّة. وخطّ النّسخ الذي يُستخدم كثيراً في نسخ الوثائق والکُتب ونقل ما تحويه؛ لسهولة رسمه ووضوح أحرفه وكبرها، وجمال منظره. وخطّ الثّلاث الذي يمتاز بالمرونة، ويمكن كُتّابة جملة واحدة عدّة مرّات بأشكالٍ مُختلفة. والخطّ الفارسيّ، ومن صفاته الزخرفة واللّبونة والرّشاقة والأحرف الدائريّة، والانحناءات والالتفاتات. والخطّ الديوانيّ وهو الخطّ الرّسميّ في كُتّابة الدّواوين، ويكتب هذا الخطّ على سطرٍ واحد بمرونة عاليّة، وأنا أستحضر كُتاب (القلقشندي) صبح الأعشى في كُتّابة الإنشاء، وهو يحول في هذه الكُتّابة الديوانيّة التي قويت في زمن المرابطين والفاطميين والمملوكيين، وأصبحت مهنة وحرفة لدى الحُجّاب.

إنها جملة الخطوط التي تشكّلت منها لغة الجمال، العربية الملهام، عربية التجلي والفنون. العربية العاملة على حفظ ونشر حضارة الإنسان وثقافته، وتعدّ ركناً من أركان التنوع الثقافي للبشرية. العربية التي حملت خطأً ملحمياً رائعاً، وقد أعجزت (پابلو پيكاسو/Pablo Picasso) الذي قال " أردتُ الوصول إلى أعلى نقطة في فنّ الرسم، لكنني وجدتُ أنّ الخطّ العربيّ سبقني منذ زمن طويل". إنّه الخطّ العربيّ الذي أثر في الفنون الغربية حيث "يعدّ الرسّام الفنّان الإيطالي (جوتو/Giotto) (1276-1337م) من أوائل الفنّانين الأوروبيين الذين استخدموا الخطّ العربيّ كعنصر زخرفي في لوحاتهم. كما يوجد في متحف (اللوفر/Louvre) بباريس كرّاسة للفنّان (بيزانلو) الإيطالي (1395-1455م) وبه كتابة بالخطّ النسخي المملوكي، ويتّضح أيضاً تأثير الخطّ العربيّ في لوحة (تجليل المجوسي) للفنّان (جنتلي دافريانو) (1370-1427م) إذ يزيّن وشاحاً يرتديه أحد شخوص اللوحة بالكتّابات العربية. وغيرهم آخرون زيّنت أعمالهم بالخطّ العربيّ وزخارفه، أمثال الرسّام الفلورنسي (فيلبولي) (1406-1469م) والنحات الفلورنسي أيضاً (فيروكيو) (1453-1488م)".

إنّه الخطّ العربيّ الذي قدّم إنجازات عظيمة في الفنون الجميلة، والتي لا تزال آثاره البديعة على جدران المساجد والمصليات والعمائر الدينيّة، ونال الواقع والمواقع بما عرفه من تطوّر؛ مُستلهماً بعض أشكاله من الأصول: عبري+ آرامي+ حميري+ يوناني، وما جاء بعد ذلك من فروع: تدمري، وهندي، وفهلوي، وعبري وسرياني... وترسّخ التطوّر في كتّابات المصاحف الأولى أيام (عثمان بن عفّان) والتي كُتبت بحسب الأماكن التي تأثرت بحضارات بائدة، ولكنها تركت خطوطها قائمة، بمُسمّى المكان: المجازي/الكوفي وكلّ ينضح بخطّ بسيط قبل أن تظهر تلك التطوّرات في وضع النقاط على الحروف. ومن مُستلزمات الخطّ العربيّ ثلاثة عناصر متكاملة تخضع ليدّ الفنّان الخطّاط في تجويد الكتابة؛ وهي: الحبر+ النقطة+ الخطّ وهذا توضيح فيها:

2- الحبر+ النقطة+ الخطّ: ثلاثة فواعل في مُنجزات الجمال في الخطّ العربيّ، تكون مُجمّعة لتحقيق صورة جلب الأنظار، وتلبية المطلوب وأنت تقف أمام تلك المنمنمات التي تختار من أين المنطلق، وما هو الصّمع الذي رُسّمت به، وتلك النقاط التي لا تشتكي فراغاً وهي نقاط، وصولاً لأداء رسالة الجمال في الخطّ:

1/2- الحبر: أقصد وسائل الكتابة التي يعتمد عليها القلم، ومنها (الحبر) فالقلم يحقق انسيابية الحبر وجودة الخطّ، ولهذا يهتم الخطّاط الفنّان بأدوات الكتابة لتحقيق المطلوب من الخطّ هل سيكون سميكاً أم غير ذلك وهذه من الأشياء التي يعرفها الخطّاط في الصّمع والقصبه والسّيالة والخليط الزيتي الذي يرفع الجفاف لتحقيق البصمة اللغوية في المكتوب. وفي العصر الحديث هناك أحبار صناعية دخلت في جودة الكتابة، وتحتاج فقط من المختصين حسن استعمالها مع مُتعلّقات قديمة لها دور في الخلطة الصّمغية القديمة التي كانت المنطلق مع الدّواة التي نغطس فيها الريشة وكانت تُسمّى المحبرة.

2/2- النقطة: وندرسها في علامات الوقف أوّل علامة، وتُستخدم في مواقع نهاية الجملة أكثر فأكثر وموقعها هنا هندسة النقطة من حيث الطّول والعرض والارتفاع، فهي وسيلة ووحدة قياس الخطوط المنسوبة ذات الأبعاد المتناسقة لدى الخطّاطين، وبها تُقاس الخطوط بمساحة النقطة الصّادرة عن قلبه؛ إذ يجري تحديد

جسامة الحروف وقوائمها بحسب النقطة. وهي جد مهمة عند الخطاطين وإلا اختل التناسق العام الذي بلغ ذروة اكتماله في الخط على امتداد العصور.

3/2- الخط: هو تحقيق هذه الأبعاد مجتمعة؛ في أن الخط الحسن كمال للغني، ومال للفقير، وصناعة تحقيق مراتب الشرف في تركيب المركبات بحسب المسموحات، وترك المحظورات في ما يرفضه القلم أو يتيحها الحبر بأن الخط لسان اليد وترجمان الإنسان؛ حيث الخط أصل الروح له جسدية في سائر الأعمال. إن الخط عظمة وجدانية تتيحها يد الخطاط بسمط الحكمة، لتحقيق زهرة العيون وريحانة القلوب. الخط تاج الكتابة وصورة الكلام، وقال (شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي) "الخط كالروح في الجسد فإذا كان الإنسان وسيماً حسن الهيئة كان في العيون أعظم، وفي النفوس أفهم، وإذا كان على ضد ذلك سمته النفس ومجته القلوب، فكذا الخط إذا كان حسن الوصف مليح الرصف مفتح العيون أملس المتون، كثير الائتلاف قليل الاختلاف؛ هشت إليه النفوس، واشتهت الأرواح؛ حتى إن الإنسان ليقراه وإن كان فيه كلام دنيء ومعنى رديء مستزيداً منه ولو كان كثر من غير سامة تلحقه. وإذا كان الخط قبيحاً مجته الإفهام، ولفظته العيون والأفكار، وسم قارئه وإن كان فيه من الحكمة عجائبها ومن الألفاظ غرائبها". إنه نصف العلم، وكل علم ليس في القرطاس ضاع، هو تعقيل المنطوق، ومهذب الشذور، ومنظم المنثور، ولا بد من حمل طلابنا على تحقيق مهارة الكتابة؛ لتشفير طلاس ما يكتبون بسبب الشلل الذي جعلت ظهورهم لا ترتفع عن وسائل التواصل الاجتماعي، وثلت يمينهم عن الكتابة. إنه الخط العربي الذي قيل فيه "... لو فاخرتنا الملوك الأعاجم بأمثالها لفاخرناهم بما لنا من أنواع الخط؛ يقرأ في كل مكان، ويترجم بكل لسان، ويوجد مع كل زمان".

3- الخط العربي تطور ومنجز: ما يدخل في موضوعنا هو الخط العربي الحامل لرسالة الله ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأُولَاجِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾ ﴿أَذْهَبَ بِكُلِّ بَكَايٍ هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَإِي أَلْقِي إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿إِنِ الْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. وهكذا الخط العربي يجد عشه في القرآن الكريم الذي لا ينفد ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ الكهف 109. فكان الخط يد القرآن التي لا تبت، وقلمه الذي لا يحف.

وما تنص عليه بعض المصادر أن الكتابة العربية اليمنية ظهرت بين القرنين: السادس والسابع الميلاديين وتمثل في نقوش: زبد، وأسيس، وحران، وأم الجمال، ونقش جبل رم الذي بدت من خلاله تبشير العربية الأولى، وتتألف من (28) حرفاً وهي الكتابة الجنوبية. ويرى باحثون آخرون أن تلك الكتابة تقليد وتكييف جزئي للخط السرياني والنبطي، وكلاهما يعتمدان الخط الفينيقي، ثم كيف باسم خط المسند الذي اشتقت من كتابة الخط النسخي الكوفي، وظهر بأشكال مختلفة: الثلث + الرقعة + الديواني + الفارسي. وهناك باحثون يرون بأن الكتابة العربية في أصلها يمنية بالفعل ولكنها متطورة من أبجدية سينية أضيف لها حرف (العين) وتكتب من اليمين إلى اليسار، وتتكون من (29) حرفاً، وهي كتابة العربية الشمالية التي خضعت للتطوير والتعجيم والشكل ويمثلون بهذه الصورة:

عربي	حروف المسمند عادي مزخرف زيور	عربي	حروف المسمند عادي مزخرف زيور	عربي	حروف المسمند عادي مزخرف زيور	عربي	حروف المسمند عادي مزخرف زيور
أ	ا	ب	ب	ج	ج	د	د
ب	ب	س	س	ش	ش	ث	ث
ت	ت	س	س	ص	ص	ح	ح
ث	ث	س	س	ض	ض	خ	خ
ج	ج	ص	ص	ط	ط	د	د
ح	ح	ض	ض	ظ	ظ	ذ	ذ
خ	خ	ط	ط	ع	ع	ز	ز
د	د	ظ	ظ	غ	غ	ر	ر
ذ	ذ	ع	ع	ر	ر	ف	ف
ز	ز	غ	غ	ق	ق	ك	ك
ر	ر	ف	ف	ل	ل	م	م
ف	ف	ق	ق	ن	ن	هـ	هـ
ك	ك	ل	ل	و	و	ي	ي
ل	ل	م	م	ي	ي	الفصل بين الكلمات	I

4- العربية لغة الفنون: إن العلاقة بين الشعر والفنون التشكيلية كثيرة ومتكاملة، ومن خلال أعمال الريشة في صورتها وألوانها تتجسد شعرية اللوحة، من سحر خطوطها التي تخاطب العقل والقلب معاً، مما تجسده الألوان في فضاء اللوحة؛ وكل ذلك بما يقدمه الرسام من إبداع في ربط العلاقة بين الشعر/القصة/الرواية/الرسم؛ حيث تجد تلك القصائد حيزاً؛ مكمّنه رسم مخيلة الفنان باختزال القصيدة، وتحويلها إلى لوحات تشكيلية. إنه الشعر الجميل الذي يبعث في الفنان تحويل المنطوق البليغ إلى منطوق صوريّ أبلغ إنها العربية لغة شاعرة لسحر حروفها التي بُنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية، وهي رجع الصدى لحداء الجمل. وفي جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات، لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء. إنها العربية لغة الأدب والشعر وموسيقى الأدب، والموسيقى فن الأداء، والأداء عاطفة وخيال وانفعال وإحساس وجمال.

أيها الحضور، إن الشعر فنّ، والعرب قديماً حوّلوا قصائدهم إلى ملاحم تُغنى، وأزجال تُتلى، وحاولوا التنظير لفنّ الملاحم والتّمثيل والفنون، وأبدعوا حديثاً في ترجمة الإلياذة والأوديسة وهوميروس وأساطير اليونان شعراً، كما نجحوا قديماً في ترجمات: المهبراتة والرميانا والشاهنامة. كما لا ننكر دور الملاحم الشعبية الناجحة على غرار الزير سالم/تغريبة بني هلال/القصائد الحميرية... وما كان يصاحبه الحكواتي من الدف والربابة، وفي كلّ ذلك يلتقي الجمال، ويطلق الإحساس العنان للخيال؛ لتصور ما شاء من مواضع الاقتتان في أدب تمثيليّ جميل أو لوحة، أو نغمة مصحوبة بموسيقى الهدوء، أو بحركات الرقص. هي عربية الفنون الجميلة المشكّلة من عديد الفنون، وأوركسترا الأداء يظهر من خلال الشعر الذي يحرك الفرقة بالقوة الشاعرة على غرار فعل (أحمد شوقي) في مسرحيته الشعرية (كليوباترة). إنه الشعر الممزوج بالفنّ في طبيعة الوجدان؛ ليشفي الشاعر نفسه بالغناء، أو يخاطب الغير بالرمز، وهو عضو في مجتمعه، ويدرك أنّ وجدانه جزء من وجدان مجتمعه، متأثر به

ومؤثر فيه، وأنّ الشاعر مهما كانت أصالته إنّما يتكوّن من رواسب ماضيه وماضي قومه، وإشعاع حاضرهم وإرهاصات مستقبلهم.

أيّها الحضور، هناك كلام شاعريّ كثير أريدُ قوله، ولكن علينا أن نعلّم أبناءنا فنون القول بما لها من محكم القول، وما يربط ذلك من الفنون التعبيريّة المتعدّدة؛ كي لا يفسد ذوقهم، ونعلّمهم العلاقة بين النقاد والفلاسفة والمُصوِّرين والنحّاتين والمُوسقيّين في تدبير التّكامل من خلال المجازات والتّشبيهات والاستعارات وفي مخاطبة الحواس ودغدغتها حتى يحصل الجامع بين المُشبه والمُشبه به؛ وهو الواقع الحقيقيّ أو الخياليّ حسب المّقام والحال ومقتضى الأحوال. ولهذا أكون من الدّاعين للاهتمام بتثّل الشعر الفصيح من العصر الجاهليّ ويكون الأداء اللّغويّ التّنافسيّ، حتى يثري المتعلّم رصيده المعرفيّ بحصيلة كبيرة من المكتسبات اللّغويّة ويكون المتعلّم حاملاً للمعرفة التي يحتاجها في خوض النّقاشات، وإجراء الحوارات، لسدّ كلّ الثّغرات، وأن يملك أدلّة وبراهين تُعزّزه، وتجعله أقوى وأكثر وضوحاً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أدعو إلى الاهتمام بتدريس الفنون والاهتمام بالمسرح والتّمثيل والرّسم والرّقص والبالاي، وإنشاء الفرق الفولكلوريّة، وأراها جسراً إيجابياً في توفير بيئة التّعلّم الآمنة، وفي بناء علاقات إيجابيّة مع الغير، ووسيلة العيش معاً بسلام. وكما تعلمون جميعاً بأنّ تأثير الفنّ في التّلاميذ مهم جداً، استناداً إلى من يقول "أعطني مسرّحاً مهذباً أعطك أمة" نجد هذه العبارة اليوم من أهمّ ما يحتاجه نظامنا التّعليميّ في دولنا العربيّة، ذلك أنّ العلاقات بين المعلّم وطلّبه عنصر أساس في إدارة تعلّمهم، ولنا أن نتخيّل ما الذي ستحدثه حصّة الفنّ من حوارات، وتبادل وجهات النّظر حول أهمّ اللّوحات الفنيّة أو الروايات، وكما سيكون مفيداً عندما تُوجّه حصّة الفنون أفكار الطّلبة نحو الجوائز في مجال الفنون البصريّة والسينما والتّصوير... وكلّ ذلك يعمل على تهذيب النّقاشات خارج النّطاق بل يجعل مجتمعاتنا تسمع بعضها البعض، وتخرج من سلوكات التّنمر والعنف المبني على الجهل وعدم الاطّلاع بالإضافة إلى ذلك، يُضفي ربط أداء المعلّمين بالفنون على حصّة الأشغال رونقاً جديداً.

أيّها المبدعون والكّتاب والنّثاريّ والإعلاميون، إنّ اللّغة ملكةٌ لسانيّة تُكتسب بالمهارة والممارسة، وأنّ الفنون التّشكيليّة ليست ترفاً، بل هي من الرّونق اللّغويّ الضّروريّ لاستكمال التّحصيل اللّغويّ؛ فاللّغة وسيلة أسمى والفنّ شفافيّة الخلق والإبداع، وكما يجد الفنّان في لغة الشعر عذوبة الجرس، سيجد كذلك رعشة الوقع الأسر، وسُلوان الانصات والإنشاد، ويرى المتأمّل الذّواق، بالعين وباليد، مرّسماً في القلب والذّاكرة وهذا ما يُنطقه الفنّ التّشكيليّ. وهذا ما نزوم تجسيده من خلال العلاقة الضّمنيّة بين الفكر والأداء والرّيشة والنّوّة والقيثارة والتّناغم، وكلّ هذا التّلوّن صورة للجمال اللّغويّ، وهي خصائص مجتمعة في عربيّة الجمال عندما تستنطقها الكلمات، وتُندندنها النّغمات، وتصدح بها الحناجر، وتعال اسمع الجمال في لغة الجمال.

5- تطوّر الخطّ العربيّ وأهميّته في الحضارة العربيّة الإسلاميّة وامتداده في الحضارة الغربيّة المسيحيّة: لقد نشأ الخطّ العربيّ ضمن تلك الملاحم الاكتشافيّة التي خاضها الإنسان في تطوير حياته والتّفكير في العيش ضمن حضارة بدائيّة تحتاج إلى عراك الفضاء الخارجيّ والزّمن، وتحريك فكر صاحب العقل (الإنسان). وفي ذلك

المخاض تناسل الخط العربي من بداية القرن الرابع الميلادي على اعتبار أن نقش التّارة المؤرخ في 328 م هو أول نقش عربي كتب بحروف عربيّة مُتّصلة، وسُمّي بـ (خط المُسند/الجزم) كما سُمّي بالخط المكي الذي انقسم بدوره إلى: الخط الحجازي القائم على الخطوط المُستقيمة، والخط الأموي الذي عرف الحركات الإعرابيّة والنقاط. إنّه خط المُسند اليومي الذي يعني التوثيق والمُسند والدعم والعُضد بما يرافق الألفاظ وهي تشير إلى معنى الكتابة والتدوين، وقد أسهم في تثبيت الحضارة اليمنيّة بأنّها أقدم الحضارات والتي ظهرت فيها ممالك: سبأ، أوسان، قُتبان، معين، حَضْرُموت، إلى جانب أنّه كان له دور في انتقال الثقافة اليمنيّة في الجزيرة وتعدّى هذا إلى حضارات أخرى خارج شبه الجزيرة العربيّة، وهذا ما جاء في مُستنطقات الكتابات الأحفوريّة في الصّخور والرّقاع وفي الكهوف.

وفي تلك المُلحمة الإنسانيّة والصّراع من أجل التّطوير يتنامى الخط العربيّ، ويبلغ مَبْلَغاً من الجمال الفنّي من خلال الرّجع، والمدد، والتّشابك، والتّزويّة، والاستدارة، والتّركيب، والتّداخل، ويقترن بالزخرفة، كما يُستخدم لتزيين القصور والمساجد، وفي تحلية الكتب والمخطوطات، وتحديدًا في نسخ آيات القرآن الكريم. يتنامى هذا الخط، وهو يحمل حضارة تركت معالمها على أطراف الصّين، والكمبودج، وغرب أفريقيا، وأوروبا الشرقيّة والغربيّة، وبلاد القوقاز، وآسيا الوسطى... ويحصل له الانتشار في حمل كتابة المحلّيات، وتعوّل بشكل لا مثيل له في ظرف وجيز بعد الفتوحات الإسلاميّة. إنّه الخط العربيّ الذي عرف الصّناعة والإتقان عبر العصور وكان صناعة اليد التي تبارت في التّشكيل، كما يقول (ابن خلدون) "إنّه صناعة شريفة يميّز بها الإنسان عن غيره، وبها تتأدّى الأغراض؛ لأنّها المرتبة الثّانية من الدّلالة اللّغويّة".

والفضل يعود لجملة الفنّانين الذين يستخدمونه وسيلة للتّعبير الشعريّ والشّعوريّ المُتضمّن رجع الصّدى لما يجول في التّفكير والتّعبير بالريشة في الفنّ التصويريّ من صور كلمة الله المنزلة على عباده، وكانت البداية الفعلية له في عصر الحضارة الإسلاميّة، وتحديدًا مع بداية رسالة الرّسول الكريم ﷺ فهو أول من عمل على نشر الخط العربيّ. وعندما نزل القرآن الكريم تمّ تدوينه على خط المُسند الذي تطوّر بمُسمى الخط الجزم، وسُمّي بالخط المكي، وكانت أول نسخة مكتوبة من القرآن بواسطة (زيد بن ثابت) خلال خلافة (عثمان بن عفّان) (644-656م). حيث تمّت كتابة هذه النّسخة باستخدام خط الجزم، وهو سابق للخط الكوفي. وكانت الحاجة ماسة للتدوين بظهور مدرسة للكتابة بعد معركة بدر، عندما طلب النبي من الأسرى تعليم فتيان المدينة المنورة الكتابة، وظهر بعض الشّباب المتقنين للخط العربيّ الحجازي الذي كان بداية ظهور الخط الكوفي ويعدّ أساس الخطوط العربيّة كلّها، وكان الكُتّاب يكتبون به الآيات القرآنيّة على سَعف النّخل دون هُمزات وتشكيلات وصار يُستخدم للكتابة في العصر الرّاشدي أيضًا. كما تفرّعت عنه بعد ذلك أشكال مُزخرفة وظهر خط الثّلاث الذي نال بدوّه أشكالاً عديدة، وهكذا مسار الخط العربيّ الذي نال الجمال والانتشار وبلغ بلاد المغرب بمُسمى "الخط الكوفي السّميّك، الكوفي المغربيّ، الكوفي المشرقيّ، الكوفي الفاطميّ الكوفي المُربّع". وتعدّدت

الخطوط العربية وهو يقدم أشكاله الفنية في الدواوين، وفي كتابة الرسائل الإخوانية وفي الإجازات والترفعات بما له من مرونة التكيف مع مختلف الحالات؛ ليؤدي دوره في كل الأحوال والمناسبات.

وما يجب علمه أن الخط العربي كان عماد الحضارة العربية الإسلامية، وخاض رحلة طويلة من التطوير وتلاً في الجزيرة العربية، وتألق في بلاد الشام، واستأسد في العراق؛ بلد السومريين الذين أبدعوا في الخطوط، وملاً الدنيا في أم الدنيا مصر الحضارة الفرعونية التي تركت آثاراً بالخطوط المسمارية والهيروغليفية وكما نال الخط العربي المواقع في فارس، والسند، وخراسان، وأرمينية، والقوقاز، وآسيا الصغرى، وأفريقيا وبلاد المغرب، والسودان، والأندلس، وجنوب فرنسا، وصقلية، منتشراً كأنه جيش من العلماء الداعين لانتشار الحضارة العربية الإسلامية، واضعاً آثاره الواضحة على كل مظاهر الحياة والناس. هو الخط العربي الذي نال استعمالاً في محليات هذه الدول، ونجده في محليات أفريقيا وماليزيا وجاوة ومدغشقر وإيران وأفغانستان والهند وباكستان والمقاطعات الناطقة بالأوردية في كشمير وجامو، كما استعملت روسيا الأبجدية العربية طويلاً قبل أن تتحول إلى اللاتينية، ثم عدلت عنها إلى الصلافية. واستعملت إسبانيا الأبجدية العربية وأفادت منها كثيراً في العصر الأندلسي. إنه الجمال كله بما له من أثر في التفنن في أشكاله، وفي المريدن المعجبين بمرونته، حيث كان مقصد المؤرخين، ووجهة ممتعة لأشهر الأدباء والفنانين مثل الشاعر الفرنسي (شارل بودلير/Charles Boudlaire) والرّسام الإيطالي (جيوتو دي بوندون/Giotto Di Bondone) وكان الخط العربي سفير الدولة الإسلامية في أوج انتشارها، ومفخرة الملوك والطابع العربي للحضارة الإسلامية بامتياز.

6- جمال الخط العربي: إنها الكتابة العربية سرّ الجمال، وقد تألف هذا الخط مع سَعَف النخل، ونقوش الكهوف، والرقاع، واللوحات الحجرية النبطية، ومخطوطات المصاحف، وشهود المقابر، وزخرفات المنازل ومُنَمَّات المساجد، وفنون العمارات. هو الفن الجميل الحامل للرونة والطواعية وقابلية المد والرجع والانسحاب والصلابة واللين، وفي كل أحواله يشد الناظر ويمتعه بجمالياته الخاصة وتجريدته المتميزة التي جعلت له مكانة خاصة بين الفنون التشكيلية. هو الخط العربي الأبجدي الحامل رسالة الفن للفن، رسالة الانفتاح على العالم، وهو يرسم اللوحات كأنها موسيقى اللحن التي يطرب لها الأذن دون فهم المحتوى، وذلك هو الخط العربي الجميل وهو السلام، ولا يحل إلا شفرة الوظيفة التي بقيت أثراً لا يُحصى في تلك النقوش التذكارية على المباني والقبور والأشياء الثمينة، وقد ترك البصمات وأثر الذين مرّوا من هنا، وآثارهم تدلّ عليهم. إنه سحر الخط العربي بأجسامه وأقسامه وأعمدته ونصوصه المتعلقة بالبلاغات والأوامر وتبليغات الصّرائب والاتفاقيات والحظوات وإضبارات السّجان، ومدونات الحُجّاب...

هي سجلات عربية تشهد على تاريخ الدول التي أخذت الخط العربي سجلاً لها، وأصبح سلطة وفناً وقواعد ومرتبة قدسية يرفع من يده، وينزل بمن لا يبدع، هو الخط العربي المبدع الذي عرفناه هنا وأبدع المغاربة بمسمى الخط المغربي الذي حمل رسالة الإسلام إلى أفريقيا وأوروبا، وكان من بين أسباب توسع حضور

الدولة الإسلامية في أراض غير عربية، والامتزاج بتلك الثقافات والتأثر بفنونها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان الخط العربي بما له من جمال أثر في ظهور فن الزخرفة المتناغمة مع "روائع الأرابيسك/Arabesque لدرجة أن المهندسين المسيحيين في العصور الوسطى وعصر النهضة أعادوا غالباً في تصميمهم أجزاء من مخطوطات عربية وقعت بين أيديهم بالصدفة، وظنوا أنها مجرد رسوم عابرة". إنه الجمع بين سحر العربية وجماليات الخط العربي عند المغاربة والعثمانيين والأوروبيين، في كل من بجاية وتلمسان وفاس والقيروان والباب العالي ومكتبة الأسكوريال/El Escorial بمدريد، و Aix -En-Provence بفرنسا.

هو الخط العربي المغربي الذي كتبت به الكثير من المخطوطات، وساد في الدواوين، وانتشر في البلاط العثماني بعد فتح القسطنطينية. وكان لهذا الخط سحرٌ ألهم بنائي الغرب في الكنائس والعمارات الأوروبية. هو الامتداد في عشق جمال العربية بما لها من حمولة الخط الساحر الجذاب والمتنوع، وما له من إلهام خاص يوحى بالروحانيات الجامعة بين الهندسة المعمارية وروحانية الآلة الجسمانية. وتبقى الشواهد قائمة في كل مدن أوروبا على أن الحضارة العربية الإسلامية أثرت في الحضارة الغربية المسيحية، وأن الثانية التي وصلت الآن إلى القمة في التقانات واصلت عملها حيث توقفت الأولى، وزى الآن نجم القلم والمحررة يعيشان الانتحار بسبب الرقنة التي تنال الانتشار. ومع ما تعرفه العربية من امتداد واهتمام، فإن بلاغتها تعرف الانحصار، فضاعت الفروق بين: بعض السلام سلام = الحجارة. وبعض الكلام كلام = الجراج. وبعض العناق عناق = الخلية... ويحفظ الخبر، وتبقى النقطة، ويدخل الخط في الآلة، وتتعطل الأيدي، وتغلق المدارس، ويبقى التنافس لرجال المعلومات.

7- الخط العربي وضرورة الاستثمار في الحاسوب: أستاذكم أن اليونسكو سنة 2021م صنفت الخط العربي ضمن التراث العالمي اللامادي، واعتبرت ذلك نوعاً من القدسية التي يستحقها هذا الخط القديم ولكن استقبال الأمر بنوع من التحسر على أن الخط الرقي قد يجعل بنزع تلك القدسية أمام انسياب تقنيات الحاسوب، فإلى أين المصير؟ لا يمكن توقيف عجلة تطور الحاسوب بما يحمله من تقنيات في خدمة الرفاهية عامة، وقد تكون هذه الرفاهية في غير صالح مجموعة، ولكن التقانات كلها نافعة بأنسبتها. وبالنسبة لما يجري التعامل به أن الجهاز الآن يستطيع التعامل مع الخطوط المعقدة مثل تلك الكتابات في المخطوطات القديمة بخط اليد، وأن ما أنتجته شركة (ديكو تايب/Dico Tipe) وطورته شركة (وينسوفت/Win Soft) إضافة إلى برنامج يعمل على أنظمة محرك الخط العربي Adobe InDesign سوف يبدع في تشكيل خطوط تتجاوز خطوط اليد وبجودة عالية، وبسرعة فائقة، وسينعش الذكاء الصناعي صناعة الإبداع في فن الخط العربي.

وما يجب عليه أن الدور الذي يلعبه الحاسوب بنقطة باعتبارها الأصبع السادس بما لها من فنيات في المجالات التقنية العاملة على حفظ التراث ويزيد في الموهبة، بل يستجلب الأنظار على نماذج جديدة من الخطوط التي تعمل على قراءة التراث، وهو كنز نفيس علينا تحقيقه بالتحويل الرقمي وبمساعدة المحتوى التقني المصاحب سيكون فتحاً للكتابة العربية بما سوف يعمل على توحيد خط الكتاب المدرسي، والتفريق بين الفنون

التي لا حدود لها. وهذا الأصل والفرع في أنَّ الحاسوب وإن كان في غير صالح بعض الخطّاطين الذين لا يخوضون بحر التقانة، وإن كنت أرى أنّه يفيد الخطّاط في الاطلاع على خطوط جديدة، ويساعده في تشكيل ما يريد من فنون أخرى، وبسرعة قصوى، وما يُقدّمه من تكبير وتصغير ونقل ومَلء فراغ وتقليص زوائد وتعديل دون خدش... هو التطوّر الذي كان علينا ألا نُعاديه، بل نتماهى فيه لكسبه وتوجيهه، وإلاّ ستعيش لغتنا بخطّها الجميل في الهامش.

وإنّ عصر الحاسوب ما كان على أهل حرفة الخطّ الفزع، بل عليهم التّنادي للانغماس في استخدام تقنيات الحواسيب والحوادِم للحصول على قوالب نمطية وثابتة ومن دون اللّمس البشريّة على الخطّ العربيّ، علماً أنّه مهما تطوّرت هذه الأجهزة فهي صمّاء تحتاج لعقل البشر لتعرف التّحسّن أكثر. ولكن علينا أن ندرك أنّ بلدنا يتّجه إلى الرّقنة، كما يتّجه إلى صفر ورق، وأنّ الأشجار التي تُعجن من أجل الورق بحاجة إليها في الحفاظ على البيئة، ورأينا بأنّ البيئة عامِل من عوامل وجوب المحافظة عليها، وهي تُحافظ علينا من عوامل القِيط والمدّ الصّحراوي، وزحف الرّمال. فما أجمل من الفنّ أن يلحق فنّه بآخر صيحة تعرفه التقانات الذكيّة في اختصاصه، ويضع رجلاً في الحداثة، كما له رجل في الأصالة، وبهما يستطيع اللّحاق والتّواصل مع الأُحفاد ومن يريد ذلك لا مُستحيل أمام الإرادة، والتّكنولوجيّة لا تستعمل (مُستحيل) وكلّ شيء مُمكن، وكلّ التقنيات تخدم الحضارة بنقرة، وسحر التّكنولوجيّة يُضاف إلى سحر الحروفيّة التي تتلاعب كما تشاء بالتّشكيل هذا جانب من جوانب الفائدة، وفائدة أخرى أنّ تطوير استخدام فنّ الخطّ العربيّ في الحواسيب هو فتح مُبين للمُسلمين غير الفطريين وللأجانب المُستعربين والمُستشرقين والغاوين الحضارة الشرقيّة، وسوف يُسهّل عليهم التّدرب على التّعرّف على الخطّ العربيّ، ومعرفة خصائصه والاطلاع على أدواته التّقليديّة، وما يُمكن أن يحدث من التّحوّل من خطّ حامي سامي إلى خطّ هندو-أوروبي، وغيرها من الخطوط وتكون تتمّة للعيش معاً والعمل بقاعدة الأخذ والعطاء، ورايح رابح.

هي دعوة للمُبرمجين في تطوير آليات الخطّ العربيّ انطلاقاً من قاعدة التأسيس للمُبدعين الذين تركوا فنوناً يُعتمد عليها في التّصميم. هي تقنيّة الحاسوب، وكان يجب أن تكون دعماً لتراثنا الخطّي، ودعوة إلى تعلّمه بأسلوب حديث، ونشر ثقافة التّباري في الخطّ الحسن بغض النظر عن النّواحي الفنيّة.

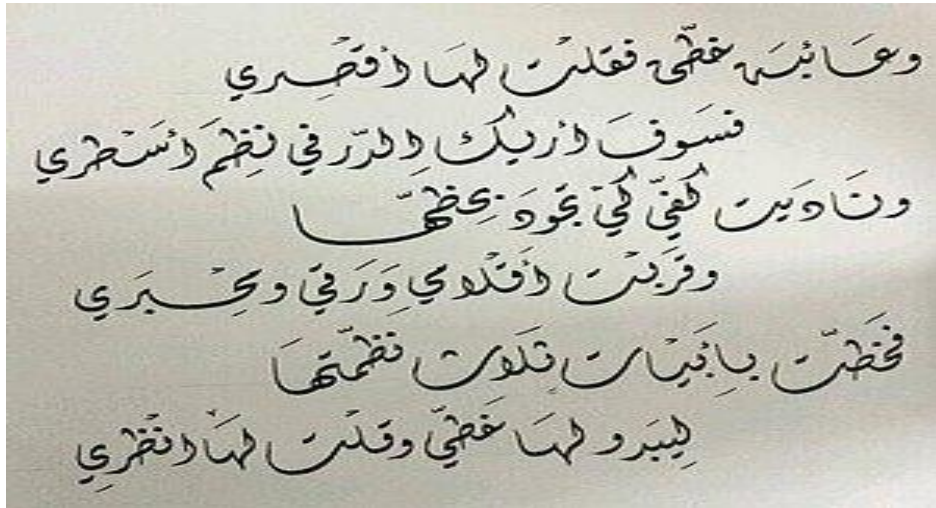
- الخاتمة: إنّ الخطّ العربيّ فنّ وجزء مهمّ من الحضارة والتّراث الإسلاميّ، وقد عكس روح العربيّة بما لحملها الدّلالي من حياة وتجدد ونمو وبراعة وسلام، فهو باقٍ وصاحبه راحل:

الخطّ يبقى زماناً بعد كاتبه * * * وكاتب الخطّ تحت الأرض مدفون

إنّ الخطّ العربيّ الجميل، الذي يزيد الحقّ وضوحاً، إنّه المهارة والصّناعة والجودة جاء ليعكس روح العربيّة لغة الفطرة؛ بما لُكّأها المُبدعين الأوائل المُستنطقين للطبيعة العربيّة؛ وبما لها من شساعة وأفقٍ وراحة وطول بال، وكتبوا بها هذه اللّغة بجماليّة خاصّة، وكانت الكتابة جاذبة؛ تُمزج بين الجمال والجلال والتّصوّف، وهكذا أهرّ الخطّ العربيّ العالم، وهو دليل حيّ على عبقرية لغتنا العربيّة الجميلة.

وأمام تغول الآلة لا بدّ من تكثيف إقامة المعارض، التي تبقى على استمرارية عرض الأعمال الفنية التي تجمع بين الخطّ العربيّ والتصميم العصريّ الذي تُنتجه الآلة، والاهتمام بتشجيع الخطّاطين لمواصلة إظهار جماليات الخطّ العربيّ وتنوّعه، وإنجاز حلقات العمل والمشاريع التعلّيمية في الخطوط...
وإنّ الخطّ العربيّ الجميل ألهم الشعراء، وقال فيه شاعر مجهول:

تعلّم قوام الخطّ يا ذا التادّب * فإ الخطّ إلّا زينة المتأدّب
فإن كنت ذا مالٍ فخطك زينة * وإن كنت محتاجاً فأفضل مكسب



التفكير اللساني التربوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين*

- الديباجة: لا يمكن تدقيق دلالة مُصطلح (اللسانيات) في منظوره الحالي، على ذات الدلالة التي كانت في القرن XX بقدر ما نقول بأنه امتداد للغويات التطبيقية التي ظهرت في أمريكا في تدريس اللغات، على غرار فعل اللساني ليونارد بلومفيلد/ Leonard Bloomfield (1887-1949م) الذي قام بتطوير هذا العلم لبرنامج خاص للقوات العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية، ويهدف إلى تطوير مهارات الجنود لفهم اللغات، إضافة إلى تلك الاجتهادات التي استنتجت من المدرسة البنوية، بعد ظهور كتاب Cours de linguistique générale، وإلى هذه المدرسة يعود ظهور مُصطلح (اللسانيات الحديثة) عند الغرب، وقام ذلك عند العرب وجاءت دلالاته القديمة من مُصطلح (فقه اللغة/النحو) في التراث العربي، ويصعب أن نُحقق بأن علماء جمعية العلماء المسلمين تأثروا بما كان يجري في الغرب آنذاك في الدرس اللساني، بقدر ما نرجح أن دراساتهم في الزيتونة والقاهرة وبغداد ولقاءات علماء الجزائر في مواسم الحج بالسعودية، وتلك الكتب التي وفدت من هذه الدول كان لها وقع في عمليات التدريس في الجزائر، إضافة إلى ما كانت تطبعه مطبعة الثعالبية للتركي (رودوسي قدور بن مراد) في الجزائر.

وهكذا بدأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تحفيظ القرآن الكريم، ثم تفسيره للمُتعلّمين، وفي الحديث الشريف عمّمت شرح موطأ الإمام مالك، وفي الشعر كانت تُدرّس ديوان الحماسة وديوان المتنبي، وفي النحو وفقه اللغة يقع العول على: أقرب المسالك إلى ألفية ابن مالك + رسالة ابن عاشر + قطر الندى وبل الصدى. وكل ما في الأمر ألا ننزل مُصطلح (اللسانيات) إلى حدوده المعاصرة؛ حيث المصادر الأساس في المُصطلح التربوي/اللسانيات التربوية تعني اللسانيات النظرية بِمُختلف توجهاتها، وما يتعلق بها من مُعلّم ومُتعلّم ومُضمون ضمن دائرة مُرسل ومُستقبل ورسالة صوتية/كُتّابية، وأقرب ميدان لساني لهذا الفعل هو اللسانيات التطبيقية وموضوعاته: التخطيط اللغوي + التعدّد اللغوي + اللسانيات الاجتماعية + اللسانيات النفسية + لغة الإعلام + إنجاز المعاجم + دروس نحو الأمية + علاج العيوب النطقية + جغرافية اللهجات + تعلّم اللغات + برامج الحاسوب + الترجمة الآلية. وإنّ العمل الذي قامت به جمعية العلماء المسلمين التاريخية هي التهيئة اللغوية للغة العربية مُثّلة في تعليم العربية؛ بالتركيز على ما ذكرنا سابقاً، وهو نوع يدخل في التخطيط اللغوي خارج السلطة وقد أحسنت فعلاً بهذا الصنيع؛ لأنّه القاعدة الذي يحتاج أن تتناوله المرحلة الأولى من التعليم. ولهذا بدأت الجمعية في الاستثمار في المنظومة التربوية خارج إطار السلطة الفرنسية التي كانت تمنع تدريس العربية، ولكن بالسرية كانت التطبيقات جارية في تعليم النحو عن طريق حفظ القواعد، وبخاصّة ألفية ابن مالك في تعلّم العربية.

♥- الكلمة التي أُلقيت في الملتقى الوطني حول (الخطاب التعليمي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ضوء اللسانيات المعاصرة) بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، بتاريخ 16-17 أفريل 2024م.

1- جمعية العلماء ووصفة التهيئة اللسانية: لم تنطلق الجمعية من فكرة التخطيط اللغوي الذي يحتاج إلى قوانين وهيآت ومراصد ومؤسسات ودراسات، ومراكز ومدارس تطبيق، واستشراف، ودولة وطنية، وكان في نظرها أن تكون العربية محلّ تعليم أوليّ قاعديّ دون تحديد العمر الزمنيّ؛ لأنّ المنطلق كان من الصفر فكانت الوصفة بسيطة في الاهتمام بالقضايا المتعلقة برّد القطيعة بيننا وبين ديننا والحضارة الشرقيّة، وذلك بتجيب العربية عن طريق تعليمها، مع التركيز على مهارات السّماع والحفظ والتكرار والحوار والكتابة واستخدام اللغة العربية في مواقف وظيفيّة بصورة تلقائيّة، دون تحديد خطاب لسانيّ واضح أو منهج تربويّ بمحدداته المتفق عليها؛ حيث الظرف الذي تعيشه الجزائر آنذاك لا يسمح بهامش التخطيط، وما يتبع ذلك. وكان على الجمعية أن تنطلق في برنامج الإصلاح الشامل، وعماده الإصلاح التربويّ، يعني الانطلاق من اللسانيات التعليميّة وهي حقل بيني يشغل على العلاقة بين اللغة والتربية، وقد أخذت تسميات مختلفة: التعلّيمات/علم اللغة التعلّيمي/اللسانيات التربويّة، وكلّها تجمع بين كفايات التعلّم ومهاراته التواصليّة، مع ما عرفته من تطوّرات عبر الأزمنة. وأما وصفة الجمعية الباديسية كانت في المنطلق ربط الدين باللغة والوطنية: الإسلام+ العربية+ الجزائر وهي من الوصفة المستمدة من الحضارة العربية الإسلامية.

وإنّه ليس سهلاً أن تنجح الوصفة في ظلّ هيبة المستدمر وقعه لكلّ ما يمتّ بصلة إلى التراث، وشيوع الفرنسية واستفحال البدع والخرافات، والتواكل، وترك الأمور للمتدبّر يفعل ما سطره في اللوح المحفوظ. وكانت وصفة الجمعية فذة بزّرع الوعي اللغويّ بأهميّة تدريس العربية، من خلال تلك المحاضرات التي يقوم بها (ابن باديس) ورفاقه في مختلف المنابر بلسان الجمعية، وبخاصّة تلك الخطب التوجيهيّة التثويريّة التي تلقى في المساجد، من ربط خطبة المسجد بالدين واللغة والوعي والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوعظ والإرشاد والنصيحة والفضيلة والمرجعية والتعاون والحماس. إنّها وصفة علاج شاملة جاءت من معلّم مرشد وقدوة يقدّم دروسه مجاناً في الواقع مع مختلف المواقع، ويجهر بالعربيّة لساناً ولوحاً ودرساً. وهذا ما يستنتج من تلك الخطب والمنشورات والصحف التي كانت تصدرها الجمعية، وعليها مسحة نفسية وأمانة منطقية بلسان محكم، وردّ مفهم، وحجاج مقنع. هي باب من أبواب الدرس اللساني المعاصر في ميدان استعمال الحجّة والشاهد وأفعال الكلام، وكلّ ما له علاقة بالمسكوكات الوظيفيّة التي تأخذ حيزاً معتبراً في الخطاب اللسانيّ التداولي/الوظيفيّ.

2- اللسانيات الاجتماعية من خلال خطب الجمعية: رأينا أنّ من بين موضوعات اللسانيات التطبيقية موضوع اللسانيات الاجتماعية، وهو ميدان معالجة الواقع اللغويّ، وهكذا خاضت الجمعية هذا الميدان بما لها من لسان المنابر والوعظ والوعي، ونظرت للأفاق بأنّ الخطب سوف تأتي أكلها في لاحق من الزمان والمهم أن تحمل الاعتبار من سياسة الواقع، واختلاف منازع المتكلمين في قضايا متفرقة، وتلاقيهم في قضايا مشتركة وهذا ما تبرزه مختلف خطبهم الحماسيّة والوعظيّة والنقدية لواقع يحتاج إلى تغيير "... تدخل السذج الذين يقيسون الحقيقة الإنسانية بوجودهم وقيسون التاريخ الإنساني بأعمارهم، وقيسون أسرار الاجتماع الإنساني

بيت يجمع زوجاً وزوجةً وأولاداً؛ يفرّقهم الصّباح للكّد على القوت، ويجمعهم المساء للنّوم تحت السّقف، فأيّ نقطة في الحياة عند هؤلاء تحتاج إلى مظاهر الحشد والاجتماع، وضّم رأي لرأي، وبهذا المقياس يقيسون الدّين فهو عندهم اسم متعارف بين المسلمين وصلاة مفروضة تؤدى أو لا تؤدى، وانتساب إلى الإسلام يجرى مجرى القوانين في زمننا هذا، والاعتقاد بجنّة ونار من وسائلهما الأمل ولو بلا عمل فأية نقطة في الدّين نحتاج إلى شيء اسمه جمعيّة علماء المسلمين" وهكذا الخطاب الاجتماعي يعلو أمام أهل الحقّ ومع المرتابين والمتشكّكين والمتردّدين والمعارضين والباحثين عن المقاصد.

وإنّها خطوات إصلاح اجتماعيٍّ من جمعيّة فتيّة تُريد تحقيق أغراض الإنصاف الاجتماعيّ بفئة مؤمنة بالعمل من أجل الوصول إلى الكمال، وليس من المحال إذا صدقت النّيات وثبتت العزائم، ووقع الإجماع على التّدافع مع المُشترك الذي يظهر به الله الحقّ، ويثبت قلوب أنصاره. ولا بدّ من علاج اجتماعيٍّ لرفع عوامل الانحطاط بطائفة لها البصر والبصيرة والإيمان والخير، والثّبات على اليقين، لا مُبدّلين ولا مُغيّرين. ولهذا عاش الخطاب المسجديّ أوجّ أيامه في تعليم وثقيف العامّة، فيقول (عبد الحميد بن باديس) "إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم، فإنّ العامّة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظّ وافر، وتكوّن منها طبقة مثقفة الفكر، صحيحة العقيدة، بصيرة بالدّين، فتكلّم هي في نفوسها، ولا تهمل -وقد عرفت العلم وذات حلاوته- تعليم أبنائه".

وهنا يظهر موضوع اللّسانيّات التّطبيقية قوياً لدى الجمعيّة بما قامت به من تهيئة لغويّة، واقتراح مناهج أملت متطلّبات العصر، وأوليات المُجتمع ومُعتقداته، عن طريق التّنادي إلى التّدريس عبر الكُتاب والمُصليّات والمساجد وحلقات الذّكر، وفي النوادي والأسواق بمنطق ضبط الأمور وإرجاعها إلى أصولها "... إرجاع الشّيء إلى حالة اعتداله، بإزالة ما طرأ عليه من فساد" وكما يعلو الخطاب في كلّ مرّة "لن يصلح هذا التّعليم إلّا إذا رجعنا به للتّعليم النّبويّ في شكله وموضوعه، وفي مادته وصورته، في ما كان يُعلّم صلى الله عليه وسلّم، وفي صورة تعليمه" ونرى تركيزه على القرآن الكريم، الذي هو كتاب هداية للبشريّة، وأساس تعليم الدّين والتّفقه فيه. ويطول الحديث في هذه النّقطة، ولكن علينا أن نُقرّ بأنّ الجمعيّة وضعت ركيزتين مُنطلقهما العربيّة ودأثرها إصلاح المُجتمع على الطّريقة الإسلاميّة، والإسلام عقيدة المُجتمع، فإذا اكتمل الإتيان في الركيزتين نكسب العلم والخلق الفضيل. وهاتان الركيزتان يتبعهما إعداد المناهج المناسبة لتنشئة أجيال المُستقبل، وتربيتها التّربية الصّالحة. ثمّ يتبع ذلك طريقة التّعليم التي تحتاج مذهباً تعليمياً في صناعة طريق توصيل المعرفة بالسّهل المُمتنع، وبدؤوا بتحفيظ المدوّنات الأساسيّة للتّعلّم لحدّث كلام العرب شعره ونثره وقرآنه وحديثه وفي كلّ مجالس علمهم، وفي المُدارسة النّظرية والتّطبيقية. وهذا عامل مهمّ في تربيّة النّشء على مدارك العصر في شحّ الذّاكرة بالمنطق وفلسفة اللّغة، مع قليل من الحساب والفنون.

3- الأفكار اللّسانية التّربويّة للجمعيّة من خلال فكر ابن باديس: إنّ المُعلّم (ابن باديس) صاحب نظريّة لسانية تربويّة؛ تقوم على أسلوب منهج تربيّة النّاشئة + ووضع المنهاج المُناسب + واختيار الكتب + وانتهاج

طريقة التبليغ + وتعليم البنات + وتوفير وسائل تحقيق تطوير التعليم المسجدي. هي أفكار لسانية حديثة كانت الجمعية تسعى إلى تجسيدها في المنظومة التربوية في صورتها التقليدية، ولكنها ثورة على تلك الممارسات السائدة في ذلك العصر، باتخاذ منهج الإصلاح المجدد والمتمسك بالعقائد حقاً والأقوال صدقاً والأفعال تحقيقاً، وأداء الواجبات لازماً، ومعاملة المتعلمين رفقاً، وهذا ما قاله نائب رئيس الجمعية (البشير الإبراهيمي) "وكانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيّه على فكرة صحيحة... ولو مع علم قليل. حسب التدرّج - كما في التبليغ - الذي هو من سنة الله في خلقه وفي شرعه... فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعدناه من تلامذتنا". هي أفكار بصّر بها الشيخ المعلم التربوي المصلح مع مرّيديه، وهي ذاتها التي تنادي بها اللسانيات التربوية الحديثة في التربية أولاً، وما يتبعها من تشجيع وتنشيط وتدريب وعمل مشترك، ومراعاة للخصوصيات وحسن توجيه ومرافقة... تعاليم مستقاة من منظومة الإسلام والتي نادت لها الديانات والفلاسفة ورجال التربية في الشرق والغرب، وكذلك النظريات اللغوية واللسانية المعاصرة "... وإذا تربّت الأمة على هذه الأخلاق وتدرّجت إلى الكمال فيها، فذلك عنوان نجاحها وفوزها، وبلوغها غاية آمالها وسعادتها في الدارين". هي أفكار تربوية وأنظار تعليمية في زمانه كان لها رجع الصدى في تربية النشء ومن خلاله تطوير المجتمع بحقائق علمية مرتبطة بالتفكير المنطقي والخطاب العلمي المحسوس والمعقول بقسميه: المادي واللامادي. وكان (ابن باديس) يركّز على الأخذ بالعلم، والتّمسك بالأسباب لقلع بذور القابلية للانحطاط، إدراكاً منه بنتائج تلك الإصلاحات بصلاح أهل تربية الجيل الجديد الذي يحتاج إلى إشباع لغوي بالعربية وفي العربية وبالدين الإسلامي، وحب الوطن، وهي مسلمات أساس لمحاربة الاستعمار، وقلع جذور التمسّيح، والحرص على الذاكرة الوطنية التي تضمن الهوية وحقيقة الأمة وأمنها العام.

4- أهمية طرائق الجمعية في ترسيخ المتن اللساني: إنّ تلك الأفكار التي كانت من مرجعية دينية كان لها وقع في استعمال طرائق مناسبة في تربية النشء على حب العربية، وبها تمّ تسليح الشباب بالعلم والمعرفة، وتنوير عقولهم وتعبئة مشاعرهم، ونشر الوعي بينهم، في مشروع الاستثمار في التعليم وثقيف المحيط العام، بزرع المدارس في المدن والقرى، ونقل أمانة الاهتمام بالعربية عبر الخطاب المسجدي والدعوة إلى التطوع لبناء المصليات والمدارس، وتكوين المعلمين عبر اللقاءات والحلقات ومكاتب التعليم العربي وكلّ هذا من أجل أن تنال العربية مكانتها في بلدها باعتبارها لسانها السياسي "إنّ هذه الأمة تعتقد وتموت على اعتقادها أنّ لغتها جزء من كيانها السياسي والديني وشرط بقائها...". وأمام هذا الاهتمام، وكأني بهذه الجمعية مهدت الطريق لما يلي:

1/4- ربط التنظير بالتطبيق: وهذا ما ينادي به علم اللسانيات الحديث؛ وهذا ما نجده في ثنائيات فرديناند دوسوسير/Ferdinand De Saussure: الدال والمدلول + الشكل والصورة + الزماني والمكاني.

2/4- التفريق بين البنية العميقة والبنية السطحية: وهذا ما نادت به النظرية التوليدية التحويلية، للعالم أفرام ناعوم تشومسكي/Avram Naom Chomsky وكلّ ما له علاقة بالتشجير الممثل في اللغة العربية: المبني

للمجهول والمبني للمعلوم + الاشتقاق + حروف الزيادة... واعتبار مختلف التحويلات التي تجري في اللغة من مثل: تحويل المعلوم إلى مجهول، والعكس يصح.

3/4- الأخذ في الاعتبار مُتعلّقات اللغة اثناء التحويل: وإنّ اللغة تخرج منها أساليب جديدة مع كلّ حذف/تعويض/توسّع/تمدّد/اختصار/إضافة/تأخير/تقديم...

4/4- الفرق بين المذهب والنظرية والمنوال: وهذا ما ورد في نظرية تشومسكي في تحديد الفروق بين: النزعة وهي شخصية، والنظرية نسق معرفي، والمنوال قاعدة تُستنبط من الاستعمال العام.

5/4- الفرق بين الكفاءة والأداء: وهو الفرق بين اللغة وضع، واللغة استعمال.

6/4- اعتبار الجملة وحدة أساسية للغة، وليست اللفظة.

وهناك أشياء أخرى نعتّق بالتّظيم والتّوضيح والوظائف الاجتماعية هي مُشتركة وتعرف من خلال خصائصها وكتّاباتها، ولا يجب أن نلوي أفكار جمعية العلماء المسلمين لتناسب مُعطيات الدّرس اللّساني المعاصر في المُصطلحات أو في وظائف اللغة، أو في الفروق بين المنهج والمنهاج، أو في التنبؤ والاتّصال وفي الوظائف الاجتماعية للغة، والتّعميم والبراديكّم، والنزعات الجديدة للسانيات بشقيها الأوروبي والأمريكي والانتقال إلى اللّسانيات العرفانية والنحو التوليدي المتغيّر... فهناك مناويل مُتعاقة، وما هو من الثّابت وهناك ما هو من المتغيّر، وهناك ما هو من الجديد، وقد نلقى هذه القواسم المُشتركة بين العربيّة واللّسانيات المُعاصرة بحكم المنطق اللّغوي. والمُهم في مُلتقانا هذا أنّنا أثّرنا موضوعاً قديماً حديثاً، يمسّ النّظرة النّيرة لمؤسّسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في إبراز وظيفة لسانية في تدريس العربيّة وتعميمها عبر مؤسّساتها، وما كانت تُهيء لها من مكانة بتخطيط يتناسب تدريجياً والوضع المُهترئ، وتلك الخطط التي كانت سبباً في إحيائها، واكتشاف مُناويلها الثّابتة، واستحداث ما هو جديد بما يناسب الظّاهرة اللّغوية في صياغة القوانين اللّسانية والاهتمام بالمُتكلّم المثالي؛ باعتباره يملك جهازاً طبيعياً يتّصل بالإنسان النّاطق المثالي، وبالنّشاط اللّغوي.

5- الجمعية والتأسيس لفنّ التربية الحديثة: وإنّ نظرة جمعية العلماء مهما يكن تعليمها عتيقاً، أو تجاوزه الزّمان، ولا يناسب عصر اللّسانيات، إلّا أنّه لا ننكر دورها الريادي في اللّسانيات التّربويّة التي تعني في العصر الحاضر تهيئة التّميّة البشريّة التي تُخطّط لها الأمم لآفاق 2046م، وما يتطلّب من ريادة اللّغات التي تُستثمر في التّنشئة والتّهذيب والفضائل والبيداغوجيّة بالمفهوم المعاصر، بمعنى توجيه المُعلّم والمُتعلّم إلى إتقان (فنّ التّربيّة) التي تحلّ مفهومًا سلوكياً يشير إلى التّغييرات التي تطرأ على الفرد محدثة تحسّناً في سلوكه وتعامله بملاحظة معيار نموه ونضجه العقلي والعاطفي المُتجلي في تصرّفاته؛ حيث التّربيّة بالمعنى الواسع تُتضمّن كلّ عمليّة تُساعد على تشكّل عقل الفرد وخلقه وجسمه. ولهذا، فإنّه من الأهميّة بمكان على مدرستنا الجديدة في ظلّ الجزائر الجديدة البحث عن علاقة علوم التّربية باللّسانيات عامّة، وبالأخصّ اللّسانيات التّطبيقية؛ لوضع مَلَح المُتعلّم بفلسفة المُجتمَع الذي ينتمي إليه؛ ليكون عضواً مُفيداً يستفيد منه المُجتمَع. ولذا فإنّ جمعية العلماء المسلمين عوّلت على المُعلّم الكُفء وهو الذي يُعَلّي بالعمليّة التّعليميّة، وعبره ينقل للمُتعلّم "مجموعة من الآداب

والأخلاق والمعارف التي تتطلب استعدادات نفسية وقدرات عقلية لضمها واستيعابها وتوظيفها، فتكون عمليتا التعليم والتربية متصاحبتين خاصة في أطوار التعليم الأولى وتستمر هذه المصاحبة ما استمرت الحياة، مع تغير أساليب التعليم وفنون التربية" وعلى هذا الأمر أن تنظر المدرسة الجديدة إلى تمتين العلاقة بين اللسانيات التطبيقية وعلوم التربية علاقة شراكة في ميداني التربية والتعليم اللذين نادراً ما ينفصلان، وعلاقة تكامل بينهما، فكل حقل يمد الآخر بما ينقصه ويسد حاجته.

- الخاتمة: لا يمكننا الجزم بأن أفكار الجمعية هي ذات أفكار اللسانيات المعاصرة، بقدر ما نقول إنها أفكار تربوية عليية فيها من الثابت وفيها الكثير من المتغير، وهذا ما تعكسه تلك الأفكار والكتابات للمعلم المؤسس ولمريديه في: الفرضيات+ المفاهيم+ القواعد+ التفسير+ التعميم+ المنهج+ الوسائل+ مراعاة الزمان والمكان+ قابلية التكيف. وتبقى الاجتهادات في يد البحث لإجراء دراسات تقابلية عميقة بين أفكار ومبادئ النظرية البنوية/Structuralisme، والمدرسة الوظيفية، مدرسة براغ/fonctionnelle مع ياكوبسن/Jacobson ومارتيني/Martinet، والمدرسة النسقية مدرسة كوبنهاغن/glossématique مع يلسليف/Hyelslev ومدرسة السياق للساني جون روبرت فيرث/John Rupert Firth، وهناك مدارس غربية أخرى نحتاج إلى الاستفادة منها على غرار: مدرسة ساير/Sapir التوزيعية، ومدرسة بلومفيلد/Blomfield السلوكية/التوزيعية. وكل هذا يدخل في القيمة المضافة للعربية في الأخذ والعطاء، ونسجل بصمتنا كما خلدها (ابن باديس) وصحبه بالعقل النير، وليس من الدين ترك العقل. ونحتاج من أنفسنا التحرك لضمان مقام العربية في هذا المجال، وأن العربية تعرف بعض التأخر والتذبذب في المجال اللساني، ونعرف قيمة اللسانيات الآن، وهي أم العلوم، ولم تترك مجالاً إلا وكانت فيها، وأن اللسانيات الحاسوبية تستحوذ على الذكاء الاصطناعي في كل العلوم، ونظام OCR تُديره اللسانيات، وأن المدرسة التوليدية التحويلية/Transformational-Generative لها مقام عالٍ في تطوير اللغة الإنكليزية التي أصبحت الآن لغة العالم، ولم يكن لها ذلك إلا بالاستثمار في هذه اللغة التي أصبحت هي كل شيء، وهي لغة العولمة.

المصطلح اللساني: قضايا وطرائق صناعته

- **الديباجة:** يعود الحديث عن قضايا المصطلح اللساني، رغم أنه نال مساحات كثيرات من الكتب والبحوث والمُلتقيات والأيام الدراسية، وهذه دلالة على أهمية هذا المصطلح وعلاقته بالعلوم البينية، وأن اللسانيات أقرب إلى العلم منها إلى غيره، ويحتاج إلى الدقة في المفاهيم والتوحيد والمعيّرة كغيره من المصطلحات العلمية، ويخرج من التذبذب والفوضى. ونرى تسارعاً كبيراً وتسبقاً من الباحثين وراء (علم اللسان) في عالم اليوم؛ عالم الانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي، وأن هذا العلم له دور في كل العلوم ويدخل في ميادين الطب والجراحة والتكنولوجية وعلم الفضاء والأتمتة والبرمجيات وصناعة المحتوى الرقمي والذكاء الاصطناعي بمصطلح (اللسانيات الحاسوبية). ومع كل هذه الفتوحات نراه في واقعنا العربي يشهد إشكاليات في الدراسات العربية؛ بما له من تعدد المصطلحات، وغياب التنسيق بين المؤسسات المنتجة له وضعف متابعة الجديد، هذا من جانب، ومن جانب آخر، نقرأ عما تعرفه اللسانيات الغربية من تطور سريع في الترجمة، وفي توليد منهجيات جديدة تواكب التطور في كل شيء.

وفي دراستنا المصطلحية -لأسف- ضاع الطالب والمطلوب، فأين الخلل؟ ومن هنا جاء هذا المُلْتقى (المصطلح اللساني: قضايا وطرائق صناعته) للنظر في مسائل المعرفة الحديثة في المضايقات التي لم نفصل فيها بطريقة الغلبة اللغوية العلمية التي يُحقّقها تفكير اللسانيين من أجل خدمة لغتنا العربية التي تعرف الأدبية أكثر من العلمية دون الحديث عن اللبس والغموض والفوضى وسوء التقدير في هذا المجال، وأصبحت المصطلحات اللسانية تسير الهويني، أو نتقهقر، بل لا تعرف التداول في عمليات التواصل في العلوم، وننسى أن دقة المصطلح من القضايا البارزة التي يجب الفصل فيها في المنطق؛ لأنها تُشكّل إطاراً مرجعياً للتفاهم اللغوي وترفع التعمية، وتعمل على بناء المختصرات والتشويرات، ويكون لها مقام في الإنتاج العلمي، وإلا سنعرف اللغة السهلة اللغوية، وهي نوع من التبيل اللغوي الذي يجعلنا تابعين لمصطلحياً للغات الغربية التي نعتمد عليها الآن مراجع، ولغتنا العالية (العربية الفصيحة) تشكو فقراً في هذا المجال رغم ما فيها من خاصيات: الاتفاق+ الاشتقاق+ المجاز+ التعريب+ المشترك اللفظي+ الاقتراض اللغوي+ الترجمة+ التضاد+ السوابق واللاحق+ التسامح اللغوي+ النّقحرة+ النّحت...

1- **في المصطلح اللساني:** إن الحديث عن المصطلح اللساني هو الحديث عن مبناه ومعناه داخل أيّ لسان ما؛ والمصطلح يشكّل حيزاً كبيراً لا غنى عنه لأيّ كتاب، فهو الوسيلة الأساس التي تُبنى عليها ثقافة أمة من الأمم من خلال الاعتناء بلسانها، ومن ثمّ بمصطلحاتها. وقد اهتم بها العرب قديماً كما أولى علماء العرب عناية كبرى بهذا العلم الذي لم يأخذ هذه التسمية (علم اللسان) وتحدث فيه سيبويه والجاحظ والشريف الجرجاني بتوصيف دقيق، ويقول الجاحظ "تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك

♥ - الكلمة التي أُلقيت في مُلتقى (المصطلح اللساني: قضايا وطرائق صناعته) الذي عقدته كلية الآداب واللغات، بجامعة (جبلالي بونعامة) خميس مليانة، ولاية عين الدفلة، بتاريخ 24 أبريل 2024م.

الأسماء، وهم اصطالحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم، فصاروا لذلك سلفاً لكلّ خلف وقُدوةً لكلّ تابع". وحصل أن اجتهدت مدرسة البصرة في وضع مُصطلحاتها النحويّة وخالفها مدرسة الكوفة في بعضها، وكلّ باحث من المدرستين يخوض نزعة يراها أفضل وأحسن في اختيار المُصطلحات في النحو والبلاغة ومن وراء ذلك قامت مُصطلحات لغويّة في سائر العلوم بركائز ونظام قواعديّ كان محلّ اجتهد يناسب الأرضيّة المعرفيّة لزمانه.

وأما مُصطلح (اللّسانيّات) فقد تشكّل حديثاً مع علماء الغرب، وكان على يدّ فرديناند دو سوسير/Ferdinand De Saussure وتقوى في لحظات البحث في عليّة المُصطلح بضبط المفاهيم في الوضع أو في الترجمة، واللّسانيّات أصبحت لها مفاهيم/concepts وصورة سمعيّة/image acoustique. وفي هذا المخاض الجديد شهدت اللغة العربيّة بحوثاً جديدة، ولكن بمنظور فقه اللغة العربيّة، وبعضها بمنظور الاستنساخ، أو بمفاهيم مختلفة، وكلّ مجتهد يعتمد مدرسة غربيّة يعمل على تطبيق منوالها. ومن ذلك تشكّلت المسألة في تضارب الوضع، وفي عدم التّوحيد، وحصلت فيه مسائل التّرادف، وبعضها فيه الرّفاهيّة المُصطلحيّة رغم وجود مؤسسات مهمتها الإنتاج المُصطلحيّ، وتنسيقه وتوحيده. وكان لا بدّ من نظرة جديدة نحو عليّة العربيّة في إنتاج المُصطلح، وحسن توظيفه وفق المتفق عليه، وضرورة التّخلّص من العنويّة في طريقة وضع المُصطلحات، وإشكاليّة تطبيقها في الدّراسات اللّغويّة العربيّة. ومع كلّ المضايقات التي تحصل لأيّة لغة في البداية؛ فإنّ العربيّة شهدت نقلة لا بأس بها مطلع العصر الحديث في اللّسانيّات بتلك الاجتهادات التي قدّمها اللّسانيّون المؤسّسون الأوائل، بما صنّفوه من كتب، وما أنجزوه من أدلّة وقواميس ومعاجم في المُصطلح والمُصطلحيّة، وفي ذات الوقت يعود الفضل إلى احتكاكهم باللّغات والثّقافات والمدارس اللّسانيّة الغربيّة.

2- في قضايا المُصطلح: إنّ المُصطلح عامّة بوابة كلّ علم من العلوم، وبه تضبط مفاهيمه ونوّح أفكاره، فهو مفتاح العلوم، واللّبنّة الأساس لكلّ علم؛ فهو لا يولد من العدم، ولا بدّ أن تكون له مُصطلحاته التي يتكئ عليها في مساره نحو العليّة، وتعدّ اللّسانيّات إحدى تلك العلوم التي اهتمّت بقضيّة المُصطلح الذي شغل حيزاً واسعاً من أبحاثها، وأبرزها المُصطلح اللّسانيّ، بفعل الثّورة المعلوماتيّة التي شهدتها الميدان العلميّ، فهو علم المُصطلح/المُصطلحيّة/Terminology؛ وينال تعريف "الدّراسة العليّة للمفاهيم والمُصطلحات التي تعبّر عنها في اللّغات الخاصّة، وغرض علم المُصطلح إنتاج معاجم مُختصّة، وهدفه توفير المُصطلحات العليّة والتقنيّة الدّقيقة التي تُيسّر تبادل المعلومات، وغايته نشر المعرفة العليّة لإيجاد مجتمّع المعرفة القادر على تحقيق التّميّة الشّاملة من أجل ترقية حياة الإنسان ورفاهيته". وزاه يحمل مفاهيم وقضايا مُستحدثة مثل: التّوليد والتّقييس والمعيّرة والتّكنيز الورقيّ والرّققيّ، وله مجالات مُتنوّعة في مستويات التّواصل: عاميّة وفصحى، شفويّة ومكتوبة، عامّة وخاصّة، وينال مُختلف الأجناس الأدبيّة والبحوث العليّة كما تنفرد اللغة التقنيّة بمُصطلحاتها وبأسلوب مهنيّ يتناسب مع التّطبيقات العمليّة. وتنوّعت قضاياها في إطلاق التّسمية بين المُصطلحيّة والمُصطلح، وتعدّدت

مدارسه ومؤسّساته ومجامعه، ونال رواجاً في قطاع واستغلق في قطاع، ولكن الأهمّ والمُشترك أنّه وقع الإجماع على أركان وضع المصطلح في:

- ضرورة المعرفة العلمية الدقيقة بالشيء المراد تسميته؛

- القدرة اللغوية؛ وتحتوي المعرفة بقوانين اللغة ومُعجمها وطرائق التعبير عنها؛

- سعة التخيل التي تجعل المتخصّص قادراً في وقت وجيز على الربط بين الركنين الأولين.

هي الحملة العلمية لوضع المصطلح اللساني، وضبط منهجيات صياغته، وعلى حدّ قول (عبد القادر الفاسي الفهري) أنّ جلّ مفاهيم اللسانيات الحديثة جديدة كما يعتقد، ولا بدّ من اقتراح مقابلات لها تخرج في أغلبها عن المعجم المتوفّر، ومن هنا كانت ضرورة اللجوء إلى التوليد... ولمصطلح التوليد تسميات عديدة من بينها المولد/Neologism، وهو من المصطلحات التي عرفت تطوراً في العربية، فقد كان يُطلق عليه سابقاً حادثة الكلام وجدة الكلام، ولفظة جديدة ومعنى جديد وكذلك المُستحدث. هي قضايا ونوع من المشكلات التي كانت مطروحة منذ تأسيس المجامع، ولم تفصل في مشكلة توحيد المصطلح، كما لم يقع الاتفاق على تنسيقه رغم وجود (مكتب تنسيق التعريب) رغم ما وقع من إجماع في أنّ الاصطلاحات العلمية والفنية يجب أن يُقتصر فيها على اسم واحد خاص لكل معنى، وفي شؤون الحياة العامة يُختار اللفظ الخاص للمعنى الخاص فإذا لم يكن هناك لفظ خاص أوتيّ بالعام، ويُخصّص بالوصف أو الإضافة، وينطق بالاسم المُعرب على الصورة التي نطق بها العرب... وصفوة القول إنّ مفاتيح العلوم ومصطلحاتها، فلا تُفتح أبواب المعارف، ولا نستوعب المناهج إذا لم نتكّن من ضبط حدود المفاهيم والمصطلحات، لذا على الباحث أن يتبنى مصطلحاً واحداً، يختاره بدقّة، ولا يميل حينما مالت مراجعته التي وثّق منها، كما لا بدّ له من العودة إلى مصادر موثوقة، وإلى مدرسة لسانية معروفة بالتشدد العلمي في هذا المجال.

3- هل المشكلة في وضع المصطلحات أم في عدم استعمال المصطلحات الموضوعة؟ يبدو لي بأنّ العربية بما لها من سعة في مجال التوليد والنمو اللغوي لها ما لها من إمكانيات رسم الإحداثيات الشاملة لعلم المصطلح، وما لها من طرائق ومدارس وأفكار في صناعة المصطلح الذي لا يزال يعاني العديد من المشاكل التي وقفت عائقاً أمام المستعمل المتداول للمصطلح الموضوع، وهنا الثغرة التي نريد تقديم أفكار نُخرجنا من الشّتات المصطلحي بين: التأصيل والوضع والمدرسة والنزعة والتنسيق والاستعمال والتبعية الغربية، وهي إشكالية المصطلح العلمي في اللغة العربية. وأما مسائل الطرائق فهي كثيرة وسهلة وتوفّر على وضع المصطلحات بناءً على المراجع التي يعتمدها الباحث، وكلّها تنتج المصطلحات المقبولة دون مشكلات، بل هناك سعة مصطلحية وخيارات متنوّعة من خلال بعض الطرائق على سبيل الذكر: الاتفاق والاشتقاق والتعريب والترادف والمجاز والترجمة... وكلّها طرائق فنية يُعوّل عليها في أنّ الاتفاق مبدأ من مبادئ اتفاق الجماعة ليس ضلالاً، والمصطلح في تعريفه العام عند الجرجاني "هو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم بعد نقله عن موضعه الأوّل لمناسبة بينهما أو مُشابهتهما في وصف أو غيرها".

والاتفاق هنا هي المقاربة في المعنى والانطباق أو الاشتراك في الحروف الأصلية، وهي من سنن العرب في إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، يقولون: مدحه ومدّده - وفرس، ورقل ورقن، وهو كثير مشهور وكذلك الاشتقاق الصغير المطلوب الآن في المصطلح العلمي، ويذهب (علي القاسمي) إلى "أنّ الاشتقاق الصغير هو الأكثر إنتاجية وفاعلية في النمو المصطلحي لدى العرب فهو أكثر الآليات المعتمدة في توليد المصطلح في اللغة العربية بوصفها لغة اشتقاقية بامتياز، وهو يسهم إسهاماً كبيراً في تطوّر هذه اللغة وفي إثرائها بترسانة مصطلحية هي في حاجة إليها للتعبير عن المفاهيم الجديدة التي تفد عليها من الحضارات والثقافات الأخرى بكميات كبيرة، وتكمن أهمية الاشتقاق في كونه يحافظ على الطابع العربيّ لذلك ينبغي امتطائه في المقام الأول عند أيّ وضع لمصطلح ما". كما نعلم مرونة وطواعية العربية في توليد الصيغ والأوزان العديدة وإنشاء الكلمات الجديدة، واستحداث مصطلحات للتعبير عن مختلف المعاني والأغراض الدلالية. ويكفي أن نُشير إلى الترادف مثلاً الذي يوجد في غالب اللغات؛ وهو التماثل في وجود كلمتين أو أكثر في اللغة الواحدة متماثلتين في المعنى، أي تعدد الدوال التي تشير إلى مدلول واحد.

وبالتّرادف نستطيع أن نؤدّي وظيفة صناعة المصطلح العلميّ، ونحلّ مشكلة كلّ التخصّصات العلمية والأدبية، ويكفي أن يجتهد المشتغلون في الحقل المراد بحثه بأن ينقبوا عن المصطلحات والكلمات ضمن المعاجم القديمة والحديثة، ونشريات الجامعات اللغوية والاجتهادات الفردية... وسوف نجد وفرة من المصطلحات ذات العلاقة. ولا نخفي أهمية المصطلح التراثي وقواعد وضعه الذي ما كان مشكلة أبداً، بما له من تنوع في الخطاب النظريّ المصطلحيّ إلى خطاب يعمل على إيجاد مستوى الأرضية الصحيحة للعيش مع المصطلحات القادمة يومياً، مع ما فيها من مصطلح أجنبيّ/مصطلح هجين، وعند ذلك ينتج تصادم وتعارض يصعب السيطرة عليه. أضف إلى ذلك بعض البطء في توحيد المصطلح العلميّ، ونتج عنه ضعف اللغة العربية العلمية حيث أصبحت شبه عاجزة عن توظيف المصطلحات الأصلية، بل أصبح الاستنساخ هو المفرّ الذي نلجأ عليه للتعبير عن المخترعات الجديدة التي ترد إلى المجتمع العربي لتفرض عليه استعمال المصطلح الأجنبيّ وإقامه في القاموس العربيّ. هي جملة تحديات كان علينا استدراكها بسهولة، ولكن قضية الاستعمال أهم قضية، فاللغة وضع واستعمال، والمصطلح كذلك ينتشر باستعمال وسائله. وعلى العموم فقد حدّد الباحثون المصطلحيون أنّ المشكلة ليست في ذات العربية، وليس في جيناتها ما يعيقها عن إنتاج المصطلح، بل يكمن في رفع العوائق التالية:

- "عدم استقرار المصطلح العربيّ (التّرادف ولربّما التّضاد)؛
- صعوبة التنسيق في وضع المصطلح العلميّ العربيّ؛
- تعدّد مصادر المصطلحات؛
- ازدواجية المصطلح في اللغة المصدر؛
- تعدّد واضعي المصطلح في الوطن العربيّ؛

• إغفال التراث العلمي العربي؛

• عدم الاستفادة من المصطلحات الجديدة.

هي الفوضى التي أفقدت العربية جادة الخروج من النفق، جادة الاتفاق، جادة العلاقة بين اللسانيات والمصطلح؛ باعتبار اللسانيات الحديثة لها طرح في ممارسة الدرس اللغوي في أبعاد النظرية البنوية التوزيعية أو التحويلية أو التعاقبية أو النسقية أو الوظيفية أو التداولية أو العرفانية... ولكل منها جوانب اجتهادية من منظور الوصف ومُعينة الواقع، ومن خلال الأحكام المعيارية؛ حيث اللسانيات تدرس اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها، وتهتم بالمنطوق قبل المكتوب، وتعني باللغة المستعملة في الواقع كما هي، ولا تهتم بما هو فصيح أو لهجي أو مشترك، وأنها تدرس اللغة بغض النظر عن جنسيتها ومهما كان حظها من الحضارة أو الانتشار أو الحياة أو الاندثار. وهذا ما نفتقده في الدرس اللساني العربي لغياب المنهج المتفق عليه.

4- ما أحوجنا في الوقت المعاصر إلى اللسانيات التعليمية: ونعرف بأن اللسانيات قام توزيعها على فرعين: فرع اللسانيات النظرية، وفرع اللسانيات التطبيقية، والفرع الثاني هو الذي تشكو منه العربية فقراً لأنه يتعلق بالتطبيق في درسنا اللغوي في جوانب علم الدلالة وعلم المصطلح والصناعة المعجمية، وتطبيق مناهج علمية تقوم على دراسة اللغة باعتبار طبيعتها اللغوية ووظائفها الاجتماعية، وهذا ما يجب الاهتمام به في ميدان اهتمامنا في اللسانيات لترسيخ منهج البحث في اللغة العربية وفق منطق البحث اللساني، مع مراعاة الخصوصيات اللغوية. وهذا من مقتضيات الدرس اللساني التطبيقي، وكلّ البحوث التي يُنجزها طلاب هذا التخصص في شهاداتهم العليا، وسوف تثمر نتائج جيدة في تطوير العربية في جميع مناحي الحياة. ونأمل الاستثمار في اللسانيات التطبيقية، "... وربطها بعالم الأشياء ودنيا الناس فتحمل انشغالاتهم اليومية وحياتهم العلمية، فتدخل ميدان العلم والابتكار، وتسهم في التطور والتنمية". وإن المطلوب منا -نحن البعثة- الانغماس في ميدان الثورة المعرفية الجديدة والتقدم التكنولوجي من باب اللسانيات أم العلوم.

واللسانيات بما لها من موضوعية وعلم وتواصل مع مختلف العلوم جديدة بفتح بعض مغاليق العربية التي صعب علينا كشفها بالبحث التراثي، ولكن عندما نعالج مسائل العربية ضمن قائمة اللغات العلمية المنتجة للمصطلح اللساني سوف نكتشف ضعف إنتاج المصطلح العلمي، ونهتدي لطرائق وضع المصطلح، والحد من فوضى تعدده. وتلكم هي قضايا بارزة في الخطاب اللساني الذي نزوم منه النجاعة التبليغية للوصول إلى المفهوم اللفظي في مدار الدقة والوضوح والنظامية ويسر التداول، ونعلم أنه لا تستقيم لغة البحث العلمي إلا إذا قامت على ضبط المصطلح وتمييز المفهوم ووضوح المنهج لحفظ المتلقي من اضطراب المعاني في الذهن حال تبليغه مضامين المعرفة العلمية ونقل المفهومية. ولهذا ما أحوجنا إلى لسانيات تطبيقية ذات خصائص أسلوبية نمطية وبمسلك تكييف المعرفة اللسانية ومعالجتها تعليمياً بما يوافق المستوى المعرفي للطلاب ومداركه المعرفية؛ إذ من مقتضياته التبسيط والوضوح والاختصار، وتحقيق النظرية اللسانية الداعية للاقتصاد في المجهود وفي المكتوب

وتفادي الحشو والإطناب. هي المعالجة التعليمية التي تعمل على الإبداع في العربية في ذاتها ومن خلالها وبمسلك التداولية في مقاصد الفهم بما يناسب مدارك الطالب ومراتب فهمه.

بات الأمر مهماً بأن يقع التركيز على قضايا اللسانيات التطبيقية التي تُعالج المسائل الحديثة وما كان خلافاً وما كان مُعلّقاً في تراثنا وهي كثيرة، قضايا تعلّم لغات جديدة+ الاختلاف في الفروق بين المحليات واللهجات وقضايا الترجمة والتفسيرات، وقضايا الاستخدام والأسلوب... وهذا ما نميل إليه باعتبار اللسانيات التطبيقية تقوم بهذا الدور بشكل جيد وعلمي، بخلاف علم اللغة الذي لم ينتبه إلى التخطيط اللغوي، ولا إلى الترجمة وتعليم اللغة لغير أهلها، والاتصالات اللغوية، ومشاكل ثنائية اللغة، وتحوّل اللغة ومدى انتشارها وصيانة اللغة وتعديلها، والمساواة اللغوية، وأمراض اللغة، والتطور اللغوي على آفاق معينة، وكلّ ما يمتّ بصلة إلى التفاعلات الاجتماعية والثقافية التي تنبُج عن اللغات. هي مجالات أفلح فيها علم اللغة التطبيقي وقدم الحلول الكثيرة في قضايا استخدام اللغة، وتنمية الموارد البشرية، وتقديم حلول لمحو الأمية، فهو نظرية تطبيقية في قضايا اللغة التي تحدث في العالم الفعلي، بصور عملية لا نظرية.

5- ما أحوجنا الآن إلى اللسانيات الحاسوبية: إنّه العلم الحديث الذي يتماهى مع الآلة التي تسعى لتكون بديلاً عن ذكاء البشر، لسانيات حاسوبية/Computational Linguistics؛ حيث تعمل لغات الحاسوب في تحليل البثّ الضوئي وقراءته وترجمته وتطويره بما يناسب الهندسة اللغوية في الذكاء الاصطناعي. وهو المطلوب الآن لربح الوقت بدل كتابة تراثنا الممتدّ في الزمان وفي المكان، وتوزيعه عبر القارات، وما ناله من شتات يصعب السيطرة عليه إلا بتقنيات هذا الذكاء/OCR. إنّه العلم المعاصر الذي يستخدمه اللسانيون في برامج الحاسوب وفي تحرير وحفظ واستعادة البيانات والمعلومات والنصوص بأساليب متعدّدة، وتأسيس القواميس والمعاجم اللغوية الرقمية، وفهرسة النصوص المختلفة أبجدياً بأكثر من طريقة. هي تقنية التعرف البصري على الحروف وعلى أشكال الوحدات اللغوية الأساسية، والوحدات اللغوية المركّبة، وتحوّلها إلى لغة رقمية (نصّ إلكتروني) يُمكن تحريره وتعديله. وكلّ هذا يدخل في مجال الصناعة المصطلحية بما لها من فتوحات جديدة تُسهم في إنتاج القواميس الإلكترونية والترجمة الإلكترونية والتواصل عبر الآلة والتسوّق بها، وجعلها في خدمة رفاهية الإنسان، بما يُخزّن فيها من نصوص لسانية ورياضيات ومنطق وفلسفة اللغة؛ وصولاً إلى الميكنة والتسيير عن بُعد مثل ذكاء الإنسان العاديّ المُستعمل بكفاءة للغته، أو الناطق المثالي في لغة تشومسكي/Chomsky هي محاكاة التفكير البشريّ التي تستوجب بناء نماذج وطرائق تُحاكي لغة الإنسان بصفر خطأ. إنّه العلم الحديث الذي يقود العالم آفاق 2036م لسانيات حاسوبية تدرس "اللغات الطبيعية الإنسانية في ذاتها ولذاتها، سواء أكانت مكتوبة منطوقة أم منطوقة فقط... ويهدف هذا العلم أساساً إلى وصف أبنية هذه اللغات، وتفسيرها واستخراج القواعد العامة المشتركة بينها، والقواعد الخاصة التي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلفة لكلّ لغة على حدة. وثانيهما الحاسوبية ويقصد بها، توظيف الحاسوب، بما يحتويه من إمكانيات رياضية خارقة، وسعة تخزينية هائلة، في خدمة اللغة".

ومن خلال هذا الملتقى نطرح أمامكم ضرورة بناء المنصات وإنتاج البرمجيات، لأنَّسنة الحاسوب وليكون في خدمة حياة الإنسان وأداء مصالحه اليومية بهذا الذكاء بما يتمتع به من قدرة خارقة، وسرعة فائقة، بل إنه أصبح يحلّ مكان الإنسان في كثير من المواقع. وبات الأمر ملجأ استعمال هذا الذكاء في البحث اللغوي، وفي دراسة اللغة بغرض الوصول إلى نتائج جدّ دقيقة لا تحتمل الخطأ.

- الخاتمة: إنّ البحوث اللسانية في تطوّر مدهش، وندعو شباب الحاضر والمستقبل أن يضعوا رجلاً في الأصالة، ورجلاً في الحداثة، وأنّ اللغة العربية لا يمكن أن يكون لها وجود إذا لم تُعَمَس في البحوث الذكيّة وفي المحتوى الرقّي، وفي تخزين المعلومات واسترجاعها بيّسر، وبناء أراضيات وذخائر ومكانز ومحلّلات صرفيّة ونحويّة وتدقيق لغويّ، ومشكّل آلي، وكلّ هذا يعمل على تقريب كنوز تراثنا التي يصعب استنطاقها لكثرتها إلّا عبر الحواسيب الجبّارة التي تقرا التراث وتحوّله إلى Word يمكن لأيّ إنسان التّعامل معها بسهولة. ومن هذه المعطيات، يتّكّن الباحث اللغويّ، بما يملكه من مخزون علميّ في اللغة المدروسة من تفسير تلك المخرجات التي جاء بها الحاسوب، ويكون قريباً من المسلمات بنتائج تكون سليمة 100% وهذا ما نفتقده حالياً في لغتنا العربيّة. وندعو الشّباب الجامعيّ إلى العمل من أجل الرّبط الوثيق بين علوم اللغة وعلوم الحاسوب، والعمل على جدولة الأولويات التي تطلّبها العربيّة على الآماد الثلاث: مُستعجل + مُتوسط المدّة/طويل المدّة، في وضع استراتيجية التحليل اللّساني أو التحليل المعلوماتيّ في إطار استعمال البرامج الحاسوبية في المشاريع العلميّة في بناء أوصاف دقيقة لظواهر من اللغة العربيّة؛ وهي قادرة على الإسهام في حلّ المشكلات اللغويّة المرتبطة بموضوعها، على الرّغم من التّعّدّد والتنوّع الثقافيّ واللغويّ الذي تعرفه المجتمعات العربيّة والإسلاميّة التي تستعمل العربيّة لغة رسميّة.

المناهج التكاملية رهان إعداد كفاءات تربوية أصيلة ورائخة*

- الدّياجّة: لقد أغراني العنوان بما له من أهميّة يُطرح في هذا الملتقى الوطني الذي يدخل في رهان الإعداد لمدرسة الجودة للجزائر الجديدة. مدرسة لا تستقيم ولا تنهض إلاّ بمُعلّم قدوة خريج المدارس المتخصّصة في علوم التّربية، ويظهر تقرير التّربية لسنة 2021م أفضل الدّول التي تملك أنظمة التّعليم في العالم كما يلي: الولايات المتّحدة + المملكة المتّحدة + ألمانيا + كندا + فرنسا + سويسرا + اليابان + أستراليا + السويد + الدّانمارك + هولندا. وبالنّسبة للدّول العربيّة: الإمارات + السّعودية + مصر + قطر + المغرب + الأردن + عُمان + تونس + لبنان. وفي كلّ هذا التّرتيب هناك تحفّظات من حيث المعايير، ومن حيث حسن الاستثمار في الموارء البشريّة، وهناك دول تعرف النّخبويّة التّربويّة، وانتشار الأميّة بين الأطفال، ودول تنتشر فيها المدارس الأجنبيّة بقوة. ونريد الحديث عن مدرسة الجودة التي تكون فيها المدرسة وطنيّة ذات جودة ومجانيّة مع ما يصحبها من مُستلزمات الرّفاهيّة اللّغويّة في المهارات عامّة. ومن وراء ذلك نجد هذا التّرتيب: فنلندا + سنغافورة + ماليزيا + كوريا الجنوبيّة + السويد + إيرلندا + هولندا + الولايات المتّحدة + بولندا. ويعتقد الباحثون أنّها من الدّول المتفوّقة يعود نظامها التّربويّ إلى المواءمة بين وضوح الأهداف والنّظام الدّراسي، فضلاً عن الاختبارات التي تقيس بوضوح قدرة المتعلّمين على فهم المناهج الدّراسيّة وتطبيقها. وتبقى أمثال هذه التّرتيبات غير قارّة، والقاسم المشترك بين هذه الدّول أنّها تستثمر في:

- 1- الموارء البشريّة لاختيار أفضل الكفاءات لتولّي التدريس.
- 2- لا تنازل عن الإشباع اللّغويّ في مرحلة القاعدة باللّغة الأمّ.
- 3- تدريس اللّغة الأمّ/اللّغة الوطنيّة/اللّغة المشتركة، ثمّ الرياضيات، ثمّ المنطق، ثمّ فلسفة اللّغة.
- 4- مجانيّة التدريس والكتاب واللّويحة والنّقل والنّصف الدّاخلي، واستصحاب المتعلّمين للزيارات لمختلف المواقع بنظام المرافقة.

- 5- منع المدارس الخاصّة أو الأجنبيّة في مرحلة القاعدة، وكذلك الدّروس الخاصّة.
- 6- الاعتماد على رفاهيّة المتعلّم/التلميذ بين الدّرس واللّعب والاكتشاف، وتربية المهارات الفنيّة.
- 7- تأجيل تدريس اللّغات الأجنبيّة إلى مرحلة التّحكّم في منطوق اللّغة الأمّ، وعادة إنزال لغة أجنبيّة أولى في مرحلة القاعدة، واللّغة الأجنبيّة في المتوسّط، ويكون من اختيار ولي أمر المتعلّم.

1- في معنى المناهج التّكامليّة: تنظيم منهجيّ يتبنّى مبدأ تنظيم المنهج الدّراسي بما يجمع وحدة المعرفة في: اللّغة + الرياضيات + العلوم + التّربية الفنيّة. وتكمن أهميّته في تنمية مهارات التّفكير، والقيام بعملية الرّبط بين ما هو مكتوب وما هو موجود على أرض الواقع، وتنسيق الموضوعات التّعلّميّة التّكامليّة بين المواد، وتخليص المتعلّم

♥ الكلمة التي ألقيت في الملتقى الدّولي حول (المناهج التّكامليّة رهان إعداد كفاءات تربوية أصيلة ورائخة) تنظيم مؤسسة الشّيخ (عَمِي سعيد) بغرداية، يومي 25-27 أفريل 2024م.

من التّخمة والحشو، وإعطاء الفرصة للمُعلّم في تنويع طرائق التدريس بما يلائم المتعلّمين ويبيّتهم. والمهمّ في الأمر أنّ المنهج التّكاملي يعمل على إيجاد مجالات متّصلة بين العلوم المُشتركة؛ فيربط مثلاً بين الأدب والتّاريخ، في بناء حلزونيّ محوريّ يرتقي بارتقاء سنّ وكفاءة المتعلّم. هو تكامل في المعرفة بهدف إكساب المتعلّم المعارف والعلوم بطريقة كاملة وشاملة؛ لأنّه يأخذ موضوعاً واحداً ويقوم بدراسته من كافة الجوانب. كما يركّز هذا المنهج على العمل الجماعيّ ويساعد المتعلّمين على التّعاون بينهم لإيجاد حلول لدروسهم بما يُدع كل فرد من مَهارة تنفيذيّة. ولهذا المنهج مزايا كثيرة، والآن هو شغل التّربويين الذين يقدّمون مُقترحات في تحسين العمليّة التّربوية باعتماد المنهج التّكاملي، باعتباره أكثر واقعيّة بالمشكلات التي يواجهها المتعلّم في حياته، ويعمل على تفعيل حركيّة المُعلّم في تطوير مُستواه الدّراسي والتّربوي وسرعة التّأقلم مع الواقع لارتباطه بمشاكل الحياة التي يتعرّض لها المتعلّم في حياته الدّراسيّة وحتى المهنيّة التي يتزوّد منها بحلول تساعد في الحياة المهنيّة. إنّهُ منهُج مُتكامِل، والجزء فيه وحدة لا تنفصم عن الكلّ، وفيه تكامل وارتباط المناهج الدّراسيّة بالبيئة المحيطة بالمتعلّم مع ما يقدّمه من أفكار حول العمل الجماعي، وما يعمل عليه من الرّفْع للمستوى العالي للمُتعلّم والمُعلّم. وإنّ أفضل عمليّة لهذا المنهج أنّه يربط التّكوين المهني بمرحلة القاعدة أثناء توجيه المتعلّمين كلّ حسب ذكائه وقابليته واستعداداته، ويقبل ذوي الهمم/الاحتياجات الخاصّة؛ وكلّ ينال موقعه من خلال ما سوف تظهره سنوات الدّراسة.

- في مفهوم الكفاءة: الكفاءة في التّعليم هي مجموعة من المعارف والقدرات المكتسبة والمتعلّبة والتّصرّفات والنّشاطات العلميّة والتّربويّة والاجتماعيّة والنّفسيّة والمهنيّة، والقدرات الذهنيّة التي تُمكن المُعلّم من مُمارسة نشاطه بشكل أريحيّ، وتجعله قادراً على أداء وظيفته التّعليميّة بشكل فعّال وناجح، والعمل على إيجاد طرائق واستراتيجيات تربويّة تُسهم في تطوير كفاءات المتعلّمين، بحيث يكون على كفاءة تقويميّة وتقييميّة للمتعلّمين لعلاجها في الوقت المُناسب، مع العمل على حلّ كلّ المُشكلات ذات العلاقة بالقاسم المُشترك بينه وبين المتعلّمين؛ ليكون مُوجّها ورفيقاً في تنيّة المهارات لدى المتعلّمين معرفياً ونفسياً بما يجعله قادراً على وظيفة التدريس في جوانبها الأكاديميّة والتّربويّة، وفي تطبيق مفهوم الكفاءة في التّعليم بما يقدّمه للمتعلّمين بحسب كفاءاتهم وخصائصهم بحسب مُستلزمات التّربيّة والنّظام التّربوي. وهنا أَسْتَذَكِرُ تلك النّصائح لسلفنا الصّالح وهم يُوجهون النّصائح للمُعلّم، فكما يكون يأتي المتعلّم، وكما يُقال إنّ التّلميذ/المتعلّم عجيبة في يد المُعلّم.

- المُعلّم الكفء: إنّهُ المُعلّم القدوة، الذي يكون لبيّاً في حسن التّصرّف بالأخلاق وتقديم المعارف للصّغار الذين يغرس فيهم القيم المرجعيّة والأخلاق والدين والتّربيّة المدنيّة والمُواطنة والسّلوک العامّ تجاه دولته ومجتمعه، واحترام مُؤسّساته. مُعلّم كفاءة في المعاملات الأخلاقيّة والتّسامح والتّحصيل العلمي والدّاعي إلى عدم اغتصاب الطّفولة ولا للعنف، وتناهي العدوانيّة. مُعلّم جدير بمهمّة أداء الوظيفة الأخلاقيّة والتّربويّة والعلميّة ليخلق الجيل الصّالح في الممارسات اليوميّة وتتجذّر بصورة عفويّة، ولذا لا بدّ من الرّهان على حسن التّكوين لهذا المُعلّم بمعالجة الفراغ العلمي الذي أدّى إلى الاستخفاف بموضوع الأخلاق، ومُعالجة الجوانب

المالية للمعلم لسد الفراغ الثقافي الذي صاغ ذهنيات طغيان المادة فقط، وغياب مشروع تخليق الحياة الاجتماعية، من قبل المدرسة في التربية المدنية، وفي المسجد؛ بالتركيز على الأخلاق والالتزام بما له من إلزامية الأحكام، وغرس الأخلاق في السلوك الفردي والاجتماعي. هو المعلم المنشود الذي يكون في المدرسة وفي المسجد وفي الضمير المهني، وفي الإدارة، ومن هنا فنحن بحاجة إلى غرس الأخلاق، وهي أساس كل إصلاح، وهي كما يقول

وأما القيم المرجعية؛ فنحتاج أولي الأمر تقديم النصائح في هذه المسائل، فيزع بالحاكم ما لا يزع بالقرآن ويزع بالعالم ما لا يزع بالشارع. وأستشهد هنا بوثيقة قديمة قدمها حاكم عربي لمؤدب أولاده، وهي وثيقة أخلاقية عالية موجهة، ويجدر بنا توزيعها على كل المعلمين، وتقول: "... ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بُني، إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينيك؛ فالأحسن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلّهم كتاب الله، ولا تُكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه، ثم رَوْهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أشرفه، ولا تُخرجهم من علم على غيره حتى يُحكّموه؛ فإن ازدحام الكلام في السمع مُضلةٌ للفهم، وتهدّدهم بي، وأدّبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء، وجنبهم مُحادثة النساء، وروّهم سير الحكماء، واستزد بزيادتك إياهم أزدك، وإياك أن تتكل على عذر مني لك، فقد اتّكلت على كفاية منك، وزد في تأديهم أزدك في بري إن شاء الله تعالى".

وإننا نشد المعلم القدوة، الذي يتعامل مع الماضي والحاضر والمستقبل بمكتسبات علمية وبأفكار استشرافية معلم قدوة يملك التصميم التربوي المعاصر في صياغة الأهداف التربوية في العملية التعليمية بشكل أفتي وعمودي، ومن ثم يربطها بمجموعة من الكفاءات المطلوبة القابلة للقياس والتي من المفترض أن يتقنها المتعلمون لتكون دليلاً على تحقق عملية التعلم. وإن مفهوم الكفاءة ينصبّ على تحقيق اختيار الذين تتوفر فيهم شروط الكفاءات التي تناسب وظيفة التعليم من حبّ المهنة، والحصول على الشهادات الأكاديمية والتكوينات التربوية، والاستعدادات والقدرات الجسدية والحسية، وكلّ المعارف الشخصية وفي مختلف الوضعيات داخل إطار حقله المهني، مع القدرة على التخطيط والتأقلم والابتكار وحسن التكيف مع المستجدات الطارئة. إنها القدرة على القيام بالأدوار والمهام المتعلقة بوظيفة التعليم، وحسن العمل ضمن البرنامج المدرسي الذي يترك حرية الإبداع لمعلم نبيه يتقن فنّه، ولحسن تعامله مع الفريق الذي يسيّر المؤسسة، وللمتعلمين في مرافقتهم أثناء الدراسة بما يعزز فيهم حسن تدبير: السماع اللغوي + القراءة + الحوار + الكتابة. وهذا لرفع كلّ مضايقات التعليم، وفي ذات الوقت لا تطرح قضايا فقر التعلم كما هو الآن في تقرير البنك الدولي بأنّ تلاميذنا ينتقلون من مرحلة القاعدة إلى مرحلة المتوسط وهم فقراء في المهارات اللغوية الأربع، وأنّ سبعين (70) % ينتقلون إلى المرحلة الجامعية ويصبحون مُسيرين بفقر لغوي عديم، فينتج من وراء ذلك الخراب والفساد. وهنا يمكن إظهار أهمية المقاربة بالكفاءات التي تعمل بها المدرسة الجزائرية، وهي تنشئ بناء مدرسة الجودة التي يجب أن تعمل على بناء مَلَح المتعلم كيف يوظف مكتسباته القبلية، مع المكتسبات التعليمية في البحث عن غرس

الذكاء الذي يجعل المتعلم يُدع في فهم الدرس والإسهام الإيجابي في تحلي معطياته وفق حسن التحكم في المهارات التي تستدعي الحلول المبتكرة. ولهذا، فالرّهان على مدرسة الجودة في التعليم والتكوين المهني منذ مرحلة الحضنة وما قبل المدرسة ليتنمي الذكاء بصورة الإعداد لمستقبل تربوي يقتضي التكيف مع المستجدات، وبناء منظومة قيم وحلول إجرائية تمكن المتعلم اكتساب المعارف، مع ما يحمله من مبتكرات للحياة المهنية. ويعني كل هذا أنّ مدرستنا بحاجة إلى وضعيات اندماجية في نسق معرفي يقوم على الكفاءة التربوية في المقام الأول، ومن ثم تأتي تلك التعلّات ذات العلاقة بالقراءة والكتابة والحفظ والقواعد... وكلّها سلسلة عناصر متكاملة مُندجة تعمل على إيجاد العلاقة التربوية بين المعلم والمتعلم ومتن التعلم/المادة. والنتيجة من وراء هذا العرض أنّ الكفاءة في المدرسة هي حسن القيام بعملية التدريس بمراعاة ما يحيط بالمتعلم من ثوابت ومتغيرات، وشحن همته بما يجعله يحل مشاكله بنفسه، أو ضمن فريق العمل، ويكون مُبتكراً للحلول المناسبة.

إنّها مدرسة حديثة تسعى أمثال هذه الدراسات والمليقيات إلى تقديم أفكار في ردم فجوات التدريس، وما تعانيه المدرسة من نقائص على مستوى المنهج والمنهاج، وفي طرائق التدريس، وكيف الحال بهذه الأمم المُصدرة في التربية والتعليم، وما تحقّقه من معايير الجودة بمقياس ISO في الانتقال السنوي دون رسوب وفي نظام التوجيه دون إكراه، وبقلّة كلفة، وبصفر ورق، وبمردودية أفضل، ونتائج أحسن، ورضا كلّ الأطراف. إنّها المرحلة الجديدة للتكامل في المناهج الذي تسعى الشعوب الناهضة أمثالنا الرّهان عليه بما بصرت به من أفكار الحداثة البيداغوجية لبناء الكفاءة التي تهدف إلى تزويد المتعلم بطرائق مُواجهة الأزمات والإشكالات، بمدرسة قوية وذات كفاءة عالية. فالمدرسة هي الأداة الوحيدة لتحدي الصّعب، والخروج من التخلف والوهن والفشل، وتحقيق التطور بوسائل التعلم التي تسمح له بتخطيط وابتكار ما لم يمرّ في حسابه. وهذا هو مبدأ اعتماد مدرسة الجودة التي تعتمد على المقاربة بالكفاءات وهي بيداغوجية ناجحة ولها مكاسب جيدة قائمة على أساليب وطرائق تفكير تنشد المنطق وحسن الاستعمال للمكتسبات السابقة، وهي لا تلغي كلّ ما يتعلّمه المتعلم، بقدر ما تنظر إلى ما يستعمله في مصلحه وتواصله، وهي من الوصفات الشبه جاهزة للحد من الهدر والرسوب، واقتراح المناهج والكفاءات العاملة على التكوين البيداغوجي الجيد للمُعَلِّمين في مختلف مراحل التعليم.

ماي 2024

اللغة العربية وتحديات العصر: تصورات واقتراحات وحلول[♥]

أفكار في عنوان ملتقى المجمع

- الدِّباجة: نشكر لكم هذا الاختيار للملتقى السنوي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته التسعين (90) والعربية تعيش المخاض التقاني في العولمة المعاصرة التي تأتي على نحو اللغات الهشة، وأن اللغات التي لا تقف للندية في هذا التغول اللغوي الحديث مآلها الانقراض، وبخاصة في هذا الواقع العولمي الذي يشهد صراع اللغات والحضارات، وحروب اللغات، والطعن في السياسات اللغوية، وعدم الاستثمار في اللغات الأم بصفة عامة، ولدى الشعوب التي عانت الاستعمار بصفة خاصة؛ حيث بقي الاستعمار اللغوي قائماً في المخططات التنموية، وبقيت البلاد العربية في التبعية اللغوية، والمواطن العربي يعيش التخلف في حياته اليومية، إضافة إلى المعطى التقاني الذي حصل مع التطور التكنولوجي، وسيطرة لغات صُنفت من اللغات الحية، وباقي اللغات الوطنية محلية وهي من الهامش، وانتشارها محدود، ولها مضايقات جمّة، وبعضها تعيش الانتحار اللغوي، وبعضها سوف تصبح من الماضي، ومآلها الموت. علماً أنّ في كلّ سنة تموت أكثر من واحد وعشرين (21) لغة في الحالات العادية، وفي هذا العصر تموت الكثير من تلك اللغات التي لها قوام الانتقال بالتدريس، وسيأتي وقت تموت فيه كلّ اللغات التي لا تتركز إلى العليّة والامتداد في الزمان وفي المكان، ولا تنتقل بسلاسة من الجدّ إلى الأحفاد، ولا تُدرّس تدريساً جيداً في المدرسة، ولا تُستعمل في الإعلام، وليس لها محلّ في الحياة اليومية، وعند ذلك تموت فيها الرّمزية الاعتبارية، وبذلك تندثر بسهولة. وهكذا نجد أنفسنا مع مُلتقانا هذا للحديث عن التحديات المعاصرة، وعن أسبابها وقضايا معالجتها؛ باقتراحات تدخل في صميم الحلول الواقعية التي تجعلنا نخرج من بعض إسرافنا في تكرار الحديث في مقول مقترحات الملتقيات السابقة لأنّ تطبيق المقترحات السابقة في محلّ الماضي ودون رجوع الصدى، وعدم المتابعة ليست من صلاحيات هذه المؤسسات التي تنتج الأفكار، وهي غير مرتبطة بمصدر صنع القرار ولذا تضع العربية في كلّ الأمصار، أليس كذلك يا أهل الأبصار؟!

1- قراءة أولية في موضوع الملتقى: إنّها نظرة عامة تدعوني للقول بأنّ المحاور الستة كلّها مُتشابكة وتخدم بعضها البعض، وهي سلسلة موضوعات جدّ مهمّة، وتدخل في باب التحديات والرّهانات التي جعلت العربية تعاني مضايقات في كلّ محور؛ من الازدواجية اللغوية التي لها محاسنها ولها مضارها، وسوف تلقي بنتائجها على التعليم في مختلف مستوياته، وإلى العولمة اللغوية والتنميط والمعيّرة وما يعيق اللغات الوطنية على التطور ونيل المقام عند أهلها، وقد أخذت اللغات الأجنبية البريق الذهبي الذي يلمع أكثر ويأفل نجم اللغات الوطنية الهشة، ويكون هذا سبباً للمجتمعات في عدم إعطاء القيمة الرّمزية الاعتبارية للغات الوطنية بما لها من تأخر وهو سبب كشف عورات اللغات التي لا تُنتج العلم، ومنها العربية التي تعاني (الفقر العلمي) في معناه التقاني.

♥- الكلمة التي أُلقيت عن بُعد، لصالح الملتقى السنوي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته التسعين. بتاريخ 22-4 إلى 2-5-2024.

وبصراحة ينعدم الإشعاع للغة العربية بما لها من الاتكال على الفرنسية/الإنكليزية بما تقدمانه من منتج علمي صارم وجذاب ومُريح ينعدم في العربية، ويزيد الطين بلة في تلك الوسائط الرقمية التي تُقرّم العربية، وتصنّفها ضمن اللغات التي سوف تنقرض؛ بالاستناد إلى الدراسات الغربية، وبعض من آراء التبّع من النخبة العربية الذين يعملون لصالح الأجنيّات، وهي سمة من سمات العولمة والحضارة الغربية، وأنّ العربية لا تُؤكل الخبز، ولا تُسأير العصر. وهذه الوسائط تُغري المتابع/المُشاهد وتؤثّر فيه، ويأتي عدم الاهتمام، وتزول من هذا الجليل سمة الاعتزاز بلغة الأمّة، بما لها من هوية ومقام، ولا يهتمّ عندهم إلاّ الملموس التقنيّ من هذه اللغات على أساس أنّها الفتح المُبين. هو تسامح لغويّ بما أضفته العولمة من فراغ رُوحِيّ في الخصوصية الثقافية والدينية لدى هذا الجيل، وبذلك تزداد القضية تشبيكاً في ابتعاد بعض من أهل العربية عنها بسبب ضعفها الاستعماليّ، وقلة حيلتها في البرمجيات ذات العلاقة بالذكاء الاصطناعيّ.

هي طامة كبرى دون وخز الضمير في أنّ اللغات دُول، وأنّ العلم يُكتسب بممارسة اللغة، وأنّ كلّ لغة لها نقائصها، ويمكن للعربية أن تُفيد من آخر تقنيات الذكاء الاصطناعيّ حالة ما عرفنا أنّ العلم يتوفّر في العربية ولا تشتكي ضعفاً في جيناتها، وإنّما تشتكي من أهلها الرافضين خدمتها ويشتكون ضعفها، كما أنّ الخطاب كان يجب أن يكون علمياً من العارفين وأهل الدراية؛ بأنّ العلم لا يتوفّر في لغة واحدة، فهو موجود في كلّ لغة يريد أهلها التطوير. وكان علينا نحن المجمعين النزول إلى المواطن في كلّ المحالّ لنشر خطاب التحبيب في العربية، وخطاب الاطمئنان بأنّها المصير الذي يُخرجنا من التخلف، وأنّ أية لغة تحتاج إلى خدمة، وكلّ مواطن مسؤول عن لغته، وتحمل الجهات التعليمية المدرسية القدر الكبير من هذه المسؤولية: رياض الأطفال + مدارس التعليم + الجامعات + الجامعات اللغوية، وما يتبع من مسؤوليات مهمة من قبيل: خطاب المساجد + الإدارة + الشركات الوطنية + الشركات الأجنبية المستثمرة + الجمعيات الثقافية + جمعيات حماية العربية + المجتمع المدني... وعلى العموم فإنّ الأمر يحتاج إلى هبة عربية تُعيد للعرب مجد لغتهم، مثلها يفعل الأوروبيون في اشتراط الاندماج/الجنسية لا بدّ من إتقان لغة البلد؛ بإثبات شهادة المستوى اللغوي، ألا يمكن أن يكون ذلك في البلاد العربية التي يوجد فيها أكثر من ثمانية (8) ملايين من الشغالة الأجنبية، ولنتصور كم تنال العربية -في هذه الجماعات وعلى مستوى أسرهم- من الانتشار في القارات، فهل نعتبر؟ ويجب الحديث بصراحة أنّنا قصرنا في حقّ العربية ولم تكن في مستوى تبليغها بما يُحفّز المواطن العربيّ على أن يعلم أنّ اللغة العربية هوية وهي البصمة التي نتميّز بها عن غيرنا، وبالتالي هي الواجهة الظاهرة للتعبير عن أفكارنا وقناعاتنا بما تحمله من خصوصيات.

لم نكن في مستوى تبليغ مقاصد العربية بأنّها مُرتبطة بالذهن ومنتوج الذهن، ولا يمكن الفصل بينهما فيقول المفكر الألماني (يوهان غوتليب فيخته/Johann Gottlieb Fichte) «إنّ الذين يتكلّمون لغة واحدة يُشكّلون كياناً واحداً متكاملًا بروابط متينة، وإن كانت غير مرئية؛ أي إنّ اللغة هي الخيط غير المرئي الذي تنظم فيه حبات عقد أمة من الأمم فتتوحد مشاعرها وتقوى روابطها. ورحم الله (مصطفى صادق

الرّافعي) حيث يقول "ما ذلّت لغة قوم إلّا ذُلّوا، ولا انحطّت إلّا كان أمرهم في ذهاب وإدبار" فالضعف اللّغوي العامّ يؤدّي بالتدرّج إلى ذوبان الشّخصيّة، وفقدان الهويّة، وضعف الصّلة التي تُوحّد الأمّة وتشريعاتها وتُحقّق لها استقلالها وتبوءها المكانة اللائقة بين الأمم».

إنّ العربيّة هي الوسيلة الأساس لتشكل الثقافة الوطنيّة ونقلها عبر الأجيال، وهي لغة حيّة وعريقة ويظهر ذلك في تواصلها المُمتدّ دون انقطاع، وهذا ما أكسبها قوّة ثقافيّة ومعرفيّة من خلال ثبات كلماتها وتغيّر دلالاتها؛ فهي الماضي والحاضر والمستقبل. والعربيّة هويّة تواصلية مكتسبة مُتطوّرة ومُتحرّكة بسبب مرونتها، ولا بدّ من وخز الضّمير الجمعي في العمل على الرّفْع من قيمتها الرّمزيّة، وللأسف تعيش بعض التّساحُ الذي جعلها تنطق بلسان الشّاعر (خليل مطران) قائلة:

تقول لأهلها الفصحى أَعْدَلُ * * * بربّكم اغترابي بين أهلي؟
إذا ما القومُ باللّغة اسْتَحَفُّوا * * * فضاعت، ما مَصير القوم؛ قل لي
فيا أمّ اللّغات عِداكِ مِنّا * * * عقوقُ مَساءةٍ، وعقوقُ جهلٍ
لكِ العودُ الحميدُ فأنتِ شَمْسُ * * * ولم يحجب شعاعكِ غيرُ ظلٍّ

هي محاور جيّدة لو يقع استثمارها في رِفْد العربيّة الذي تحتاج إلى القرار المُلزم والعامّ، وإلى ربط تعليمها بتقانة حديثة ومَنهج معاصر، وضرورة تعليم تاريخ العرب والمُسلمين، وهذا ما يجب أن يصل إلى هؤلاء الشّباب؛ بأنّ العربيّة سادت وتعوّلت، وأنّ الفتوحات الإسلاميّة صاحبها الفتوحات اللّسانيّة، فنالت العربيّة العالمَ، وامتدّت في المكان وفي الزّمان، وأغنت العالمَ بعلّمتها، وأرست قاعدة الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي كانت مرحلةً أولى لظهور حضارات أخرى، وعمادها مواصلة المسار حيث توقّفت الحضارة العربيّة الإسلاميّة. ولا بدّ في هذا المقام الأكاديمي من الاهتمام بالشّباب المُعاصر في تبليغ أسس الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وما عرفته من نهضة علميّة وتقنيّة، وكانت الدّولة العربيّة آنذاك راعية لها، ومُنطلقها التّرجمة وكيف استطاعت العربيّة في ظرف وجيز الاطلاع على علوم الأوائل، ودراستها واستيعابها وإغنائها والإضافة إليها؛ بالتحقيق والتّدقيق والتّصويب والتّأليف المُبتكر، وبذلك التقنيات التي تُناسب عصرها من أدوات في كلّ الفنون. وما يجب توصيله لهؤلاء الشّباب وهم الحاضر وهم المُستقبل وهم خلفاؤنا بأنّ الإبداع التّراثي جعلنا أمّة لها المقام والمرجعيّة بلغتنا العربيّة الفصيحة، وكانت عاملاً من عوامل التّنميّة العامّة. ولما تعطلّت لغتنا باحطاطنا غاب الإبداع المُعاصر. ما أحوجنا أن يكون الكّتاب المدرسيّ في المنظومات العربيّة جميعها يشتمل على الاحتفاء بهذا المجد التّاريخي، وضرورة إحيائه بالدراسة والبحث والنّشر والتّطوير؛ باعتباره جزءاً من تاريخنا نعتزّ به، ودافعاً للمُشاركة في صنع الحضارة الإنسانيّة المُعاصرة. هو كنز كبير عندما يتعلّم ويعلم التّلميذ العربيّ هذه الحقائق لا شكّ سيزداد افتخاراً بهويّة في بُعديها اللّغوي والعلميّ وسيربطه عِلياً بأجداده بأنهم صنعوا المجد ذات يوم بحضارة كانت تُسمّى (الحضارة العربيّة الإسلاميّة) وعمادها اللّغة العربيّة الماجدة.

هذا في الماضي المجيد، وفي الوقت المعاصر تُجبرنا الحداثةُ الاجتهادَ في السياسة التربوية بتحديث الرّصيد اللّغويّ المدرسيّ الوظيفيّ الذي يجب الاستثمار فيه في مرحلة القاعدة وأنّ كلّ الأمم التي عرفت التّميّة المجتمعيّة استثمرت بإغداق في مرحلة القاعدة، وأعطت الصّورة الهويّاتيّة للغة الوطنيّة؛ وهي مفتاح الرّفاهيّة في كلّ شيء. وعلينا أن نعلم بأنّ صناعة النّجاح في هذه الدّول كان محور مجانيّة التّعليم والتّطبيب، وجودة المدرّسة العموميّة، والتي أوصلت هذه المجتمعات إلى انعدام النّخبويّة، وصفر فساد في كلّ شيء، والرّفاهيّة الجماعيّة في التّميّة المُستديمة، وشعارهم (لم يثبت أنّ أمة في العالم تقدّمت باللّغة الأجنبيّة) وهذا ما يجب أن نستثمره في بناء مدرّسة الجودة في العالم العربيّ وهي باب من أبواب القضاء على المخاطر التي تُحدّق بالعربيّة. ومن الضروريّ استكناه هذه التجارب النّاجحة، ونربط ذلك بتلك الدّول التي لها الصّدارة عالمياً في بيانات اليونسكو بأنّها ناجحة على غرار: فنلندا + كورية الجنوبيّة + سنغافورة + ماليزيا + السّويد + إيسلندا + المجر... ولا يجب أن تغيب عنّا تجربة سوريّة النّاجحة في تعميم العربيّة، ونالت المقامات العُلا دون أيّة مُشكلات. وأمّا الصّعوبات والمُضايقات فهي مُتفاوتة، ويمكن السيطرة عليها حالة ما تأتي النّوايا حسنة في الاهتمام بأهم رموز الأُمّة؛ وهي العربيّة الفصيحة التي تجمعنا. عربيّة العرب والعالم الإسلاميّ والحضارة الإنسانيّة، وهي تاريخنا المُشترك والشّعر ديواننا الذي نفتخر به، وكلّ تراثنا هو تراث الحضارة، وأنعم بنا -نحن العرب والمُسلمين- من إسهامنا الكبير في هذا الإرث الحضاريّ وفي لغة الماضي والحاضر والمُستقبل!

أيّها الجمع الكريم، ها أنا أعرض أمامكم بعض الأفكار في مجموع التّحدّيات، وأريد توصيلها للمجمعيّين ليقدموا الحلول الإجرائيّة لمن يصنع القرار، وعلينا جميعاً الوعي بخطورتها، وهي من ونز ضميرنا في ضرورة الخروج من (يجب الذي يجب) و (نرفع) و (نأمل) و (نُشكّل لجنة) و (سوف ننظر في هذه المسائل العامّ القادم في اللّقاء السنويّ للمجمع...). وإنّه من الضروريّ ربط ذلك بالعمل الذي يتطلّب منّا تقديم تصوّرات نوعيّة تكون في مُستوى ما يجمعنا، وهي اللّغة العربيّة المُشتركة (العربيّة الفصحى) ولنا جامعة الدّول العربيّة ونملك أرمادة من المدارس العامّة على تدريس العربيّة، ومُؤسّسات جامعيّة، ومعاهد الحفاظ على تراثنا ووضع مُصطلحاتها، ونملك الآن خمسة عشر (15) مجمّعاً علمياً، ولدينا علماء كبار في مختلف المجالات، وكلّها تصبّ في القيمة المُضافة لمقام لغتنا التي لها الخصوصيات العظيمة والتي لم تجتمع في أيّة لغة من لغات العالم، سواء الرّسميّة/غير الرّسميّة، المكتوبة/غير المكتوبة إلّا في العربيّة الفصيحة. لغة عربيّة عملاق بما لها من تراث ضخم كبير لا يوجد في أيّة لغة، ولكن كيف وصلَ بها الحال، فأصبحت من الخوالب والقواعد في العصر الحاضر وتُصنّف ضمن اللّغات التي تعيش الخطر بسبب فقرها العلميّ، وعدم استعمالها في أوطاننا العربيّة في المشرق وفي بلاد المغرب. وتلك مصيبة أعظم في لغة العلم التي سادت ذات وقت، ولكن ذلك من الماضي، فأين الخلل، فهل في رجالها العاملين عليها؟ أم في مُؤسّساتها التي لم تكن في مُستوى مُلاحقة العصر؟ أم في بقائها على تجميد الماضي التّليد في العصرين: الأمويّ والعباسيّ؟ أم البكاء على الاستعمار الذي أحرّق كتبنا وجعلنا نعيش السّهلة اللّغويّة؟ أم في التّبعيّة الخلدونيّة "المَغلوب مُولع أبداً بالاعتداء بالغالب في شعاره وزيّهِ ونُحله

وسائر أحواله وعوائده..."؟ وكلّ هذه الأمور موجودة، ولكن ذاتنا تحتاج إلى رفع الهمة للتغيير والتعامل مع المستجدات، ونحن نعيش مرحلة الخروج من الاستعمار، وهي أخطر عملية عاشتها العربية؛ وهو التحدي الذي يجب التغلب على آثاره الحديثة بمحاربة أمثال الدعوة إلى العاميات، وقبول الهجنة، وكتابة العربية باللاتينية، وإبقاء تدريس العربية في المواد الأدبية، واستحضار العربية في المآتم وفي القبور وفي الزوايا، وفي تجسيد الشخصيات بالخطب المنبرية الرنانة... وكلها دعوات قاتلة للهوية اللغوية، فأين أبحاثنا وقرارتنا التي تنص عليها دساتيرنا العربية "العربية لغة وطنية ورسمية" "العربية مقوم من مقومات الهوية العربية الإسلامية: "العربية من الدين" "وتظل اللغة العربية لغة الدولة"... وكلها تضمن مواطنة المواطن العربي في الشكل/الورق لا في المعاملة؛ حيث لا تزال الحياة اليومية توج بالهجات، والإدارة باللغات الأجنبية، والمحيط ملوث بتعددية لغوية، وتداخل كل هذه المعطيات في تجنيس العربية التي تُتخذ ستاراً رسمياً، والأجنيبات مُعاملة وواقعاً فهل يستقيم حال العربية وهي تعيش الانتحار اللغوي في أوطانها، وكيف الحديث عن تبليغها لغير الفطريين وللمسلمين الذين يتلاغون بها في صلواتهم، ولدى أهلها تعيش في زاوية الإهمال في العلوم.

2- جملة التحديات: يمكن إجمال ذلك في ضرورة مراجعة قضايا إصلاح المنظومات التربوية العربية وبناء الرصيد اللغوي الوظيفي المدرسي المشترك للتفاهم بين مختلف أبناء أعضاء دول جامعة الدول العربية والمستعربين، وكذلك غير الناطقين بالعربية عبر إصلاحات جزئية في متعلقات: النحو الذي يُدرس في ذاته ولذاته، ولم تُفد محاولات تيسيره، فبقي يعيش حفظ القواعد لا تشكيل السليقة اللغوية السليمة، وحدث تراجع في مستوى تدريس اللغة العربية في مختلف مراحل التعليم، ويضاف إلى ذلك أن مواد التدريس تحتاج إلى الاستثمار في: اللغة العربية لحدّ الإشباع+ تدريس الرياضيات+ المنطق+ الفلسفة+ التفتح على اللغات الأجنبية بمفهوم الاستفادة لا خدمتها أو الانتقال إليها... هي تحديات تُشكل مخاطر داخلية في ذات العربية وهي التي جعلتها تعيش القهقري في عدم قدرتها على مواكبة تحديات العصر، وعدم تمكّنها من التلاؤم مع التكنولوجيا الحديثة. وهناك تحديات خارجية مُعاصرة تحتاج إلى إيلاء الأهمية؛ نظراً لدورها الحضاري على غرار: الحوسبة والهندسة اللغوية+ تشتت جهود وضع المصطلحات، الترجمة+ فراغ كبير في المحتوى الرقمي+ قلة وجودها في الإبداعات العالمية+ ضعف تبليغها تقنياً لغير الناطقين بها... هي تحديات كثيرات حولت العربية من محور الاهتمام بها إلى مجرد لغة يتم تدريسها فقط؛ بالتوسع في تأسيس المدارس، وتحديد ساعات التدريس، وبذلك تمّ عزلها عن الحياة اليومية، في ظل غياب مجتمع المعرفة الذي ينشد التنمية العامة من خلال لغته فقط. وهذا يدلّ على غياب تخطيط السياسة اللغوية، لأنّ المجامع ضامرة، والتعليم مُتعثر، والقصور في الترجمة ظاهر، وغياب التنظير اللغوي ملهوس، واستفحال ثنائية الفصحى والعامية معيشة، ونقص المدونات الإلكترونية مُستفحل، والقرار العربي مسكوت عنه... إنها معطيات العصر الحديث الذي أتت عليها العولمة، إما أن تكون أو لا تكون، والواقع يقول إنّ لغتنا العربية تواجه اليوم بعض التحديات الصعبة؛ والتي يجب علينا جميعاً مراجعتها بما يخدم لغتنا العربية.

3- العولمة والبقاء للغة الأقوى: تسعى العولمة إلى تعميم الشيء، وجعله على مستوى التسخير العالمي وهو نوع من التَّمييط والهيمنة في وحدة مُوجَّهة تعني سيطرة اللغة القويّة الحية على اللغات الأخرى الضعيفة وتهميشها في المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والعلميّة، حيث تحلّ محلّها اللغات الأقوى، وبصورة خاصّة اللغة الإنكليزيّة. هي العولمة التي تأكل اللغات الضعيفة رغم أنها تقرّ بحق الاختلاف والتنوع الثقافي والاعتراف باللغات الأمّ، وفي ذات الوقت تقرّ بصراع الحضارات، وهو صراع اللغات، وتدمير الثقافات هو سوق اللغات العالمي الذي تبقى الهيمنة فيه للأقطاب اللغويّة، وهي وحدها الكفيلة بضمان العيش معاً والإقرار باللغة الأخرى في إطار القوة من تحويل النتاجات العلميّة والثقافيّة إلى سلع تتحكّم فيها قوانين السوق. هو مفهوم يراه الكثير بأنّه ذو أثر سلبي للعولمة التي تأتي على تهमيش الثقافات المحليّة والعالميّة إلاّ التي تقف للنّد، ولكن لا بدّ من فرض لغة وثقافة القطب البديل للإنكليزيّة، فما هي بالنسبة للعرب والمسلمين؟ هو قطب العروبونيّة الذي يؤدّي بنا إلى الإبداع فيها وبها، بمفهومها الإيجابي فتجعلها قطباً ندياً منافساً يمكن أن يكون لسان المستقبل أو إسبرنتو اللغات.

وهذا التّحدّي الذي يمكن به ركب الحضارة في صورتها الحديثة؛ يجعل العربيّة ذات وظيفة اجتماعيّة تنمويّة تواصلية دينيّة علميّة مُشتركة ومفخرة عظيمة؛ حيث يتواصل فيها الحاضر بالماضي، وهذه أعجوبة كبيرة لاستمرار الماضي بالحاضر والتلاحم القومي العربيّ الإسلاميّ، وهي ثروة ثقافيّة للإنسانيّة في صورة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وعمادها العربيّة التي أخرجت الحضارة الغربيّة المسيحيّة من عصور الانحطاط، بِبُكَرة العرب التي طوّرها الغربيون ونتجت عنها ثورة البخار، وهل يُكرّر التاريخ نفسه، لا يمكن، ولكن يُحاذي التجربة الماضيّة في مجالات نجاحها يُسر. ومع كلّ تلك المضايقات والمواجهات بقيت العربيّة صامدة بديلة تلين أحياناً، ولكنّها لا ترقع، وهي أشدّ شكيمة وأقوى عزيمة عبر ماضيها وحاضرها. والتاريخ يكتب تلك المواجهة مع المغول وسياسة التتريك والفرنسة والأنكلزة والمسخ والمسخ والصراعات والدّعوات المغرضة... وكلّها تنهش وتأكل منها، ولكن لم تل منها إلاّ الزيادة في الانتشار، وهذا عامل من عوامل السيادة المُستقبليّة، وهي العولمة العروبونيّة القادمة حالة ما وقع الاعتزاز بها في المنظّمات الدّوليّة وفي الوكالات التابعة للأمم المتّحدة، وفي الإغداق عليها من قبل أهلها، والتفاخر بها في المحافل الدّوليّة، وتجييش المترجمين للنقل منها وإليها، وتكوين مجتمّع المعرفة الذي يعبد اللغة الأمّ/اللغة المُشتركة، ويتفانى في حبّها وتطويرها والمحافظة على صفائها، وخدمتها علمياً في تطوير مُتلازم؛ علمياً وثقافياً ولغوياً.

4- العربيّة القطب وسلاح البقاء: نروم تجسيد ربط القول بالفعل، وإعادة صياغة السياسة اللغويّة في مفهومها الثقافيّ والتنمويّ، ولكي نبدع لا بدّ من نهضة ثقافيّة مُعاصرة تستجيب لمُستوى ما يُواجهه الوطن العربيّ لضمان الحضور الفاعل للعربيّة في خريطة الغدّ الإنسانيّ. وهنا نحتاج إلى هبة عربيّة في تعاضد الجهود في اللغة وفي العلوم وفي مُختلف المعارف، ودعوة المؤسّسات العامّة إلى المُعاضدة والمُساندة ورجال الإعلام إلى حسن المُرافعة، ودور النّشر إلى الطّبع، والاستجابة للتّقانات الحديثة من قبل رجال المعلومات، وذلك

وفق المعطيات والبرمجيات وما تأتي به المجدولات في أنظمة الذكاء الاصطناعي وتخزين المحتوى الرقمي في جميع المجالات، وربط كل ذلك بمعطيات العصر وتطوراته في الميادين كافة. بالإضافة إلى التواصل المستمر والآني مع مراكز البحث، ودور النشر العلمية والجامعات في دول العالم المختلفة أمور في غاية الأهمية في سبيل رفع التحديات في اللغة العربية، وربط الجامعات العربية ببعضها البعض علمياً ومعرفياً وتقنياً. تلکم بعض التصورات العامة، وهي كثيرة، وأردنا التركيز على بعضها، وهي من المشترك لدينا جميعاً؛ تصورات مُستنبطة من دراسات وأبحاث وواقع وممارسة، ونحن بحاجة ماسة لخدمة العربية وفق ما عرض علينا هذا العنوان العام، فما هي الاقتراحات والحلول؟

5- المقترحات والحلول: يصعب الفصل بين المقترحات والحلول، ويتكاملان في مقترح فكرة/مشكلة لا تأتي في العادة- إلاّ بناء على تصور حلّ، وقد يأتيان لتأدية غرض واحد، ولهذا لم أفصل بينهما، وغايتي هنا اقتراح بدائل مُمكنة التطبيق حالة وجود القيادة الريادية المُعبّرة عن طموح الأمة العربية التي لها مؤسساتها المجمعية، وهي صاحبة القرار في الشأن اللغوي. وأسعى من خلال هذه المقترحات إصابة المفصل بضرورة متابعة مخرجات هذا الملتقى الجمعي، وتقديم المقترحات لصاحب الحلّ وهو على بعد أمتار من مقام صاحب القرار السيد الأمين العام لجامعة الدول العربية (أحمد أبو الغيط) ليعرضها بدوره في القمة العربية القادمة ويكون ذلك من وخز الضمير لمسؤولينا في دولنا العربية بأنّ القرارات المطلوبة تجاه العربية لا تنال موقعها التنفيذي، وأين مخرجات القرارات السابقة في هذه المسألة. وفي ذات الوقت الدّعوة إلى استصدار قانون ملزم في قرارات تعميم استعمال العربية في العلوم وفي التكنولوجيا والهندسة تُتبعه لجنة عربية تزور الدول المنضوية تحت إمرة جامعة الدول العربية بخصوص تطبيق القرارات. هو الحجر الأساس أيّها المجمعيون، واخرجوا للواقع والكثير من المتابعين يقولون لنا "اخرجوا من أبراجكم العاجية... اخرجوا من سياسات لغوية حييسة الأدراج في نفق دامس مسدود... العربية في وادٍ وأنتم في وادٍ... اخرجوا من لغة الكتاب إلى لغة الشباب... كفانا يجب الذي يجب... فأين محلّكم من الإعلام الهجين، ومن فقر التعلّم ومن لغة عرجاء نسمعها في لغة التلميذ، وأين البحث العلمي، وما موقعكم من تلك الشهادات التي تُقدّم وليست في مستوى الحصيلة اللغوية... اللغة العربية التي تُعلّم في المدارس بعيدة عن اللغة العربية المتداولة في الحياة اليومية، ولا نجدها إلاّ في ما كتبه القدماء ويطغى عليها التكلّف.." كلام كثير يُقال، وكان الأخرى بنا أن نُعالج المسائل ونرفع التوصيات إلى مسؤولينا ونعلن الخطر الذي يدهم العربية وإنّ العربية في خطرٍ وخطرٍ وخطرٍ. وهكذا إخواني أقترح بعض الحلول التي بصرت بها في صورة إبراقات عساها تنال رضاكم، وهي:

1/5- الدّعوة إلى ربط اللغة العربية بالسياسة، ولا يمكن تحسين الوضع اللغوي إذا كان صاحب القرار لا يعضد إنتاج الأفكار، وقال (مُحمود فهمي حجازي) "إنّ من ظنّ أنّ اللغة العربية شيء والسياسة شيء آخر فقد وضع نفسه خارج منطق التاريخ. إنّ المسألة اللغوية قائمة في جوهر التّصور السياسي من حيث هي إدارة حياة الناس في معاشهم وفي إنجازاتهم". ولهذا فالسياسة هي الدولة، والدولة هي المؤسسات المدرسية. كما يُعدّ ربط

اللغة العربية بالسياسة من القضايا الاستراتيجية التي تُمس الأمن الثقافي والحضاري للأمة إن لم نقل إنها من أشد الأسلحة الإيديولوجية ضراوة. إنها العربية التي يجب المحافظة عليها باعتبارها القلعة الحصينة للذود عن الهوية والوحدة القومية، ولا يناظر جبروت اللغة إلا حنو الأم على أولادها.

2/5- البحث في آليات تمكين العربية لموقعها الاستراتيجي؛ بوضع سياسة دعم قوية لتنافس اللغات الأجنبية في مراحل التعليم المبكر، وتأهيل معلمها بشكل يخدم تعزيز الوعي اللغوي والانتماء إلى الأمة ولغتها وتثمين كل التشريعات التي تقوم على حماية وتعميم واستعمال العربية في كل المحال.

3/5- الاستثمار في المنظومة التربوية العربية، وفي مرحلة القاعدة لضمان الإشباع اللغوي، والاستفادة من الدول التي استثمرت في الجيل الجديد، وضمنت الرفاهية في كل مجال، ويكفي أن نقرأ عن تلك التجارب الناجحة لكل من: فنلندا + كورية الجنوبية + سنغافورة + ماليزيا + إيسلندا + السويد + اليابان + المجر... التي أوصلت المدرسة شعوبها إلى صفر فساد في كل شيء. إنها العربية التي تحتاج إلى تدريس إجباري ورفيع مع تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، بتبني استراتيجية تعليمية تُعزز القيم الدينية والأخلاقية، لمحاربة النسيان، ووضع سياق علمي آمن لما تضحخه لغة العولمة في عقول شبابنا بالعمل المنهج على طمس هويتهم الدينية والحضارة الشرقية، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بحسن تدريس العربية وتاريخ العرب، وبالمناهج الموحدة وفق التدرج في المراحل التعليمية، وأن تكون هناك أهداف مرسومة يتم تبنيها ومتابعة تنفيذها من خلال أصحاب القرار في وطننا العربي والإسلامي. وأن يحصل تعزيز الانتماء اللغوي والهوياتي لذواتنا وخصوصياتنا اللغوية، وهو واجب مقدس في عصر العولمة، ويكون في بالنا بأنه ليس لنا لغة بديل إلا العربية المشتركة، هي الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا ما يحتاج أن يكون في الكتاب المدرسي العربي. وهذا يؤدي بي إلى التركيز على تبليغ العربية للنشئة في أعلى تجلياتها، وهذا ما توفره المحافظة على صفاء اللغة العربية، والعمل على سيرورتها وانتشارها في عمليات التواصل اللغوي. فهذا جانب من جوانب المحافظة على لغة القرآن الكريم، وهو الرابطة التي توحد بيننا فكراً وقيماً ومشاعراً، وكذلك المحافظة على ثقافة العربية في كل فنونها، بالعمل على نشر روائع الثقافة العربية وقيمها الإنسانية، بما للعربية من روائع عالمية أبدع فيها شعراؤنا وأدباؤنا وقصاصوننا وفنانونا ومسرحيوننا، ولهم باع كبير في حسن استخدام اللغة العربية الأم الفصيحة.

4/5- الارتقاء بالعربية من خلال لغة الإعلام والصحافة والمسرح والفنون والمناظرات وخطب الجمعة والأيام العالمية القارة الممجة للغة العربية، وضرورة الاحتفاء باللغة الأم، واليوم العالمي للرياضيات والمنطق والفلسفة، واليوم العربي للغة الضاد، واليوم العالمي للتنوع الثقافي، واليوم العالمي للترجمة، واليوم العالمي للغة العربية.

5/5- الاعتزاز اللغوي بالمواطنة اللغوية؛ وهو الطريق الصحيح والسليم في الحفاظ عليها، وجعلها في مصاف اللغات الأولى، وبخاصة عندما تكون الأبحاث العلمية مسيرة للتطور اللغوي، إلا أن الأبحاث العالية غائبة عن لغتنا لغياب الاستيمولوجية المعرفية في دراسة اللغة العربية، وهذا دور مراكز الأبحاث ومخابر اللغات

والمؤسسات العاملة على الرفع من سوية العربية في سوق اللغات، وإغنائها بالمصطلحات في آخر ما تعرفه اللغات الجاذبة من تقدم وسبق وإنتاج.

6/5- من مسؤولية الجامع ومؤسسات التربية التنادي لصالح العربية، والحفاظ عليها، والدفاع عنها بالقوة الناعمة في هذا الظرف المشهود له بالعولمة التي لا ترحم لغة من اللغات. ولا بد أن يكون الحرص عليها فرض عين، والدفاع عن الهوية والانتماء العربي الإسلامي كذلك فرض عين، من مواقع أقوى تأثيراً واتصالاً.

7/5- عدم معاداة العولمة، بل من الضرورة التماهي فيها من أجل تطوير لغتنا في المجال التقني والاستفادة من لغات الأقطاب؛ حيث العلم يوجد في ثماني لغات، وكلها في صالح العيش مع التنوع الثقافي والعلمي وبقدر لغات المرء يكثر نفعه، ولكن المقام العلي للغة الأم. ومن الضروري التعامل بشجاعة حضارية وثقة مع الألسن الأخرى، ومنح اللسان العربي حقه لإظهار عبقريته في احتواء المجالات التكنولوجية والطبية والمعلوماتية. ويقول (نبيل علي) "... من الضروري أن تكون اللغة في موقع الصدارة، وهو ما يُفسّر لماذا تحتفي معظم الأمم حالياً بلغاتها القومية، وتعيد النظر إليها من الصفر، وتقيم معاهد البحوث المتخصصة لدراسة علاقة هذه اللغات بتكنولوجيا المعلومات... ويبرز هذا الوضع الجديد مدى حدة أزمتنا اللغوية: تنظيراً وتعليماً معجماً ومصطلحاً. ولا شك في أن أزمتنا تلك سوف نتفقم تحت ضغط المطالب الملحة لعصر المعلومات واتساع الفجوة اللغوية التي تفصل بيننا وبين العالم المتقدم كتاج فرعي لاتساع الفجوة التكنولوجية المعلوماتية".

8/5- تنشيط العربية في الشبكة، وإغناء المحتوى الرقمي بأبحاث عربية جادة تضمن لنا الوجود في النشر الإلكتروني، وفي المجالات العالمية على غرار Science et Vie وScopus ومجلات بالعربية مثل: العلم، تعريب الطب، مجلة العلوم...

9/5- العودة إلى مسار تجسيد سيروية التعريب المرحلي بصورة حديثة، وبمنهج جديد يوافق معطيات الحاضر، وتفادي الفشل والوهن الذي حدث في ما مضى من تلك التجارب. وهنا صفات بدائل ناجحة يمكن تقديمها، ولها ضمان نيل المطلوب بيسر ونجاح.

10/5- ضرورة توظيف التقانات الحديثة في تدريس العربية، وفي تبليغها لغير الناطقين بها، واستغلالها في تطوير البرمجيات والمنصات بمحركات بحث عربية تكون سهماً ناجحاً في عمليات التحديث المنتظر وقد يعود بنا الزمن إلى يوم تكلمت فيه العربية بالعلوم.

11/5- الاهتمام النوعي بالترجمة الذكية باستغلال الذكاء الصناعي للحاق بمنتوج الحضارة الحديثة وعدم الركون إلى الترجمة الشخصية؛ فهي بطيئة جداً، ولا يمكن أن تلي مطالب العصر بتاتا. ولهذا علينا بناء مناطق ذكية من خلال آلات جبارة Datacenter تسهل عمليات الترجمة والبحث وبما تقدمه من بدائل في المصطلحات واللغات الوظيفية.

12/5- استغلال شبكات التواصل الاجتماعي، ومرافقة الشباب في دروساتهم وتواصلهم، والعمل على إرشادهم عبر البث الصوتي/Podcast الذي يجب أن تستثمره المؤسسات الجمعوية، أو الإذاعات الجمعوية على

غرار فعلٍ مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الأُرْدُنِي، وهو فعلٌ نَبِيلٌ نُبَارِكُ هَذَا السَّبْقَ اللُّغَوِيَّ العَامِلِ عَلَى جَمَالِيَّاتِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَتَحْيِييَهَا مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ الْفَرِيقِ الَّذِي يَقُومُ عَلَى أَحْسَنِ تَأْدِيَةٍ. وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّدَاوُلِ وَالِاسْتِعْمَالِ لِلْعَرَبِيَّةِ مِنَ السَّهْلِ الْمُتَمَتِّعِ، وَعَلَيْنَا قَلْبُ الْمَوَازِينِ لِصَالِحِ الْفَصَحَى مِنْ خِلَالِ تَفَاعُلِنَا مَعَ كُلِّ مَوَاقِعِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ.

13/5- الاسْتِثْمَارُ فِي الْمَشَارِيعِ الْكُبْرَى، وَيَنْتَظِرُنَا الْمُحْتَوَى الرَّقِّيُّ الَّذِي نَحَلُّ بِهِ الْكَثِيرَ مِنَ الْقَضَايَا التَّقْنِيَّةِ وَهِيَ مِنْ مُتَطَلِّبَاتِ الْمَسْحِ الضَّوئِيِّ/OCR والعَرَبِيَّةِ تَعِيشُ مُضَايِقَاتٍ فِي هَذَا الْجَانِبِ، رَغْمَ أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْهَا قَدْ تَحَلَّلَ، وَلَكِنْ هُنَاكَ رَهَانَاتٌ أُخْرَى تَنْتَظِرُهَا، وَهَذِهِ التَّقْنَاتُ تَتَطَوَّرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَمَا مَوْقِعُ الْعَرَبِيَّةِ وَنَحْنُ لَا نَسْتِثْمِرُ فِيهَا. وَهِيَ دَعْوَةٌ لِأَصْحَابِ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ فِي ضَخِّ أَمْوَالِهِمْ فِي الْمَرْدُودِ الْمَادِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ؛ وَبِذَلِكَ يَضْمَنُونَ بَقَاءَ أَسْمَائِهِمْ خَالِدَةً وَهُمْ رَمُوسٌ، وَسَيَبْقُونَ بِأَثَارِهِمُ الْعَلِيَّةِ فِي الْاسْتِثْمَارِ فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ؛ وَهُوَ شَرَفٌ أَيْمًا شَرَفٌ. 14/5- دَعْمُ الْمَشْرُوعَاتِ الْقَوْمِيَّةِ وَالْمُبَادِرَاتِ ذَاتِ الْعِلَاقَةِ بِالْحَيَازَةِ اللَّغَوِيَّةِ، وَهَنْدَسَةُ الْعَرَبِيَّةِ، عَلَى غَرَارِ الْمُعْجَمِ التَّارِيخِيِّ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ/الموسوعات الكبرى/مشاريع الأئمة/دوائر المعارف/المحتوى الرقمي/المحللات الصّرفية+ المحللات+ المدققات اللغوية+ المشكّل الآلي/الكتابة في مشاهير علماء العرب ورواد النهضة والفكر في الماضي والحاضر... وكلّ هذا يتربّي عليه هذا الجيل بمُسمى "إن أحسن اللاحق فإنّ الفضل للسّابق". وَهُنَاكَ أَفْكَارٌ كَثِيرَةٌ ذَاتُ الْعِلَاقَةِ بِالترجمة ووضع التشريعات التي تعمل على الرّفع من سوية الْعَرَبِيَّةِ، وَبِتَضَافَرِ جُهِودِ الْوِزَارَاتِ الْمَعْنِيَّةِ.

15/5- الْإِكْثَارُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْمُلْتَقِيَّاتِ وَالنَّدَوَاتِ وَالْمَحَافِلِ الْجَمْعِيَّةِ الَّتِي تُبَدّدُ الْكَثِيرَ مِنَ الْقَضَايَا الْعَالِقَةِ وَتَحُلُّ الصَّعُوبَاتِ، وَتَلْتَقِي الْأَفْكَارَ، وَتُقْتَرَحُ الْإِصْلَاحَاتُ، وَتُفَادَى الْقِطِيعَةُ الْمَعْرِفِيَّةُ، كَمَا تَلْتَقِي الْمِيُولَاتُ الْفِكْرِيَّةُ مَعَ التَّوَجُّهَاتِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْحَدِيثَةِ وَالَّتِي تُؤَلِّيْهِمْ أَهْتِمَامًا شَدِيدًا بِأُمُورِ اللُّغَةِ تَنْظِيرًا وَاسْتِخْدَامًا.

- الْخَاتِمَةُ: هِيَ جُمْلَةٌ الْمُقْتَرَحَاتِ الَّتِي نَرْفَعُهَا لَكُمْ، وَبَعْضُهَا تَحْتَاجُ إِلَى فَرِيقٍ عَمَلٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ بِمَاءِ الْبَحْرِ الَّذِي لَا يُشْرَبُ، بَلْ هِيَ مِنَ الْبَسَاطَةِ وَالسَّهْلِ وَالْمُرَابِطَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَبِالْعَمَلِ مِنْ أَجْلِ الْمُنَافَسَةِ اللَّغَوِيَّةِ الْأَجْنِبِيَّةِ الَّتِي عَلَيْنَا رُكُوبَهَا، وَالِدُخُولِ فِي رَهَانِ الْكَسْبِ بِأَنَّ لَغَتَنَا سَتُنَالُ الْيَانَصِيبَ بِمَا لَهَا مِنْ إِمْكَانَاتٍ مَادِيَّةٍ وَيَكْفِي أَنْ تَكُونَ مَحَلَّ ثَقَّةٍ وَتَدْرِيسٍ وَمُمَارَسَةٍ عَالِمَةٍ مِنْ خِلَالِ الْخَبَرِ اللَّغَوِيَّةِ وَالتَّقْنِيَّةِ، وَتُتَصَلُّ إِلَى حُلِّ التَّحْدِيَّاتِ وَالْأَخْطَارِ الَّتِي تُضَايِقُهَا. وَيَبْقَى السُّؤَالُ الْعِلْمِيُّ الَّذِي يَعْلَقُ بِهَا وَهُوَ رَهَانُ (عِلْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ) فِي هَذَا الْخَاضِ التَّقْنِيِّ، وَهُوَ سُؤَالُ زَيْدٍ مِنْ فُقَهَاءِ اللُّغَةِ وَمِنْ رِجَالِ الْمَعْلُومِيَّاتِ أَنْ يُجِيبُونَا عَنْ هَذَا الْفَقْرِ، وَكَيْفَ نَسُدُّ ثَغْرَاتِهِ وَيُلْحَقُ سُؤَالُ آخَرَ يَتَعَلَّقُ بِعَالِمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ فَهَلْ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تُصْبِحَ الْعَرَبِيَّةُ لُغَةَ الْغَدِّ/إِسْبَرَنْتُو اللُّغَاتِ/Esperanto. وَإِنَّ الْمَوْثُرَاتِ تَقُولُ بِأَنَّهَا مِنْ بَيْنِ اللُّغَاتِ الْمُرْتَبِّحَةِ لِتَكُونَ Lingua Franca وَهَذَا مَكْسَبٌ فِي لَغَتِنَا الْحَيَّةِ، لَغَتِنَا الْعَظِيمَةِ بِمَا لَهَا مِنْ مَقْدَرَةٍ ذَاتِيَّةٍ، وَتَحْتَاجُ فَقْطَ إِلَى حَرَكَةٍ لَوْجَسْتِيكِيَّةٍ تَعْبُودِيَّةٍ مَلْمُوسَةٍ مِنْ قَبْلِنَا جَمِيعًا، وَسَوْفَ نَصِلُ إِلَى مَرَحَلَةِ الْإِبْتِكَارِ. وَهَذِهِ هِيَ التَّعَبُّةُ وَالْهَبَّةُ الْمَطْلُوبَةُ مِنَّا فِي الْوَقْتِ

الحاضر الذي نحتاج فيه إلى إعلام قويّ جيد يستعمل الفصاحة في أعلى تجلياتها، ومؤسسات مجعية مرجعية عمادها التفاني في خدمة اللغة المشتركة (العربية الفصيحة).

المصادر:

- 1- Jean Louis Calvet ; La guerre des Langue et la Politique Linguistique.
- 2- رشدي راشد: دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها. منشورات المكتبة الرقمية archive.org.
- 3- صالح بلعيد: السياسة اللغوية وموقع لغة الأمة. منشورات ZTT. الجزائر.
- = ، لماذا نجح القرار السياسي في الفيتنام وفشل في... منشورات دار هومة للنشر والتوزيع. الجزائر.
- = ، المواطنة اللغوية وأشياء أخرى... منشورات دار هومة للنشر والتوزيع. الجزائر.
- 4- عبد السلام المسدي: العرب والانتحار اللغوي. منشورات دار الكتاب الحديثة. لبنان.
- 5- نبيل علي + نادية حجازي، الفجوة الرقمية: رؤية عربية لمجتمع المعرفة. منشورات عالم المعرفة. الكويت.
- 6- محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة. منشورات دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.
- 7- تقرير البنك الدولي حول (فقر التعلم). وعنوانه (النهوض بتعليم اللغة العربية وتعلّمها) مسار للحدّ من فقر التعلم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.
- 8- مجلة آفاق اجتماعية: الصادرة عن مجلس الوزراء بمصر، مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار. عدد (اللغة العربية والمجتمع.. التأثير والتأثر) العدد الخامس، 2023م.

كلمات في مُسودة تقرير حالة السياسات اللغوية في البلاد العربية^١

بين يدي بعض التقارير الخاصة بالنهوض باللغة العربية. الصادرة عن مؤسسات خاصة، وتقارير أخرى صادرة عن مؤسسات حكومية، وكلها تقارير تحرص على مستقبل اللغة العربية من خلال تلك الدراسات والبيانات المعتمدة في كتابة تلك التقارير، ولا نعدم فائدتها العلمية واحترامنا لما ورد فيها. ولكن بين يدي الآن مُسودة مشروع منظومة بيانات السياسة اللغوية للدول العربية المنجز من مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية الذي يحتوي قاعدة بيانات متكاملة؛ ترصد واقع السياسات اللغوية واستراتيجياتها في أجهزة تخطيط التربية والتعليم في الوطن العربي، وتكشف هذه المُسودة عن مؤشرات ومضايقات وتحديات اللغة العربية في واقعها العربي أمام المحليات واللغات الأجنبية. وتنظر المُسودة إلى آفاق العربية لعام 2030م عبر رصد علمي وبمنهجية جيدة في مآلات اللغة العربية من خلال واقعها في كل البلاد العربية؛ وهي اللغة الرسمية الوحيدة، وفي بعض البلاد لغة رسمية إلى جانب المحليات/الأجنيات.

وعبر ثمانية (8) أقسام؛ نقرأ تحليلات هذا التقرير الموجب، ويأخذنا إلى الوضع الحضاري في المسائل اللغوية في كل البلاد العربية وما ترسمه من أهداف ومرامي التخطيط اللغوي المأمول، إلى جانب صعوبات ورهانات المنجز عبر مضايقات تعيشها لغة المركز (العربية الفصحى) والتي تعرف بعض الهشاشة، بجانب لغات الهامش المؤدية إلى تشابك الوضع اللغوي ضمن التعددية اللغوية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى نرى لغات الجذب/لغات العلم (الحية) بما لها من أرمادة التوسع عبر بيانات أتى بها التقرير في تراتبية الأشكال والرسوم والبيانات لكل دولة عربية منضوية تحت إمرة جامعة الدول العربية، وللأسف نجد تزامم الأجنيات مقام العربية في المواد العلمية لسبب التراخي في تجسيد النصوص التي لا ترى النور، ولا تسعى لعمليات التعريب المنهجية. ولذلك نرى العربية تعرف مجموعات من القرارات ذات العلاقة بمقامها عبر امتداد زمانها إلى يومنا هذا ومع ذلك تشهد القهقري في تلك البيانات التي تدعونا إلى سلوك منهجية جديدة في الطرح والتبليغ، كما تحتاج إلى دراسات تكشف عن مزيد من الصعوبات، ولكن دون تقديم البدائل النوعية التي يمكن أن تعتمد عليها التقارير. إلا أن هذا التقرير له طرح موضوعي شامل في إصابة مفصل الصعوبات، وما له من اقتراح الحلول التي تُرفع إلى صاحب القرار، وهذه هي صفة التميز التي يمتاز بها هذا التقرير الذي جاء في مُسودة مشروع، وفي الحقيقة هو مشروع واضح متكامل مبني على استراتيجية للآماد الثلاث: مُستعجل الزمان، ومُتوسّط المدّة، وطويل المدّة، وهذا هو الجديد الذي يطرحه هذا التقرير بما له من صفات تعالج الكثير من القصور في منظومة الأداء اللغوي، وما يلحق من ضعف تخطيط السياسة اللغوية، وما أحوجنا إلى أمثال هذا التشخيص المصحوب باقتراح البدائل النوعية في المُشترك اللغوي العربي، وفي الخصوصيات المناطقية للدول العربية.

١- التقرير الذي كتبه رئيس المجلس في (مُسودة التقرير العام حول السياسة اللغوية في الوطن العربي) قدّم مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، وأُرسِل بتاريخ 3 ماي 2024م.

نُبارك هذه المُسوّدة لجرأة الطّرح وبالأدلة والبيانات التي تُحاجّج في أصالة المعلومات، والبحث والتّقصّي والتّحرّج في المصدر الورقي أو الشّابكي. هي بداية العمل المنهجي الذي قام به مُعدّوا هذا التّقرير المُكثّف والبعيد عن الدّيماغوجيّة بما يحمل من أفكار يُمكن أن تُشكّل نقطة أساس في الوصول إلى لبّ حلّ المُشكلات في ذات اللّغة داخلياً أو خارجياً، وتكون هي مفتاح الحلول الإِجرائيّة في تعامل العربيّة بمنطق لغة الغلبة التي تحتاج إلى إيلاء الأهميّة التي توليها المؤسّسات ذات العلاقة. إنّهُ تقرير جادّ عن حالة اللّغة العربيّة؛ يحلّ النّقاط الإِيجابيّة في مُقاربة جديدة بونخ الضّمير على أنّ اللّغة الأمّ/لغة الأُمّة/العربيّة الفصيحة تحتاج إلى تدير سياسة لغويّة جديدة ورشيّدة ضمن مُبادرات تخدم تطوير العربيّة وفق خصوصياتها اللّغويّة، ولا نعدم المُشترك ضمن المنطق العامّ، وضمن هذا المسار نرى التّقرير مُبادرة مهمّة -رغم أنّه مشروع مُسوّدة- وينحو إيجابياً بما حظيت به العربيّة في الكثير من البلاد العربيّة، وبخاصّة في المملّكة العربيّة السّعوديّة التي أنزلتها منزلة عالية في مَراسيمها وفي نظمتها التّربويّة، وفي استعمالها الأدبيّ والعلميّ وعبر تلك المؤسّسات الأكاديميّة من مثل مُجمع الملك سلّمان العالمي للّغة العربيّة، وهذا مؤشّر للتّحوّل الجادّ في إعلاء مقام العربيّة وفق التّخطيط المُطلوب آفاق 2030 الدّاعم للرّقنة والذكاء الاصطناعيّ، وأتمتة المعلومات ضمن تراكيّة الحضارة الإنسانيّة التي يقترح التّقرير أن تكون للعربيّة بصمة قويّة كما كانت لها بصمات الفتوحات الحضاريّة في التّأسيس للحضارة الغربيّة أيام وجود العرب في الأندلس. ويرى التّقرير بأنّ مُستقبل العربيّة عبر استشراف الدّراسات سيكون للعربيّة المقام وأنّ آفاقها واعدة في الخرائط اللّغويّة القادمة، وزاها عبر هذه البلاد تنال رُجّع الصّدى، وربّما بتؤدّة، ولكنها تؤدّة مضمونة.

هو تقرير حالة عن وضع العربيّة في بلاد العرب، وفي ذات الوقت استشراف لخريطة لغويّة قادمة تُخطّط لها البلاد العربيّة عبر مؤسّساتها المنتجة للفكر اللّغويّ والتّربويّ، وما ينجرّ عن مشاريع قادمة في موقع العربيّة في بلادها وفي غير بلادها، وعند النّاطقين بغيرها، وفي خريطة اللّغات الأُميّة، ومكانتها بين لغات العلم. نُبارك للفريق المُنجز الذي استطاع الوصول إلى المعلومات والبيانات والأشكال والرّسومات، واعتمد المنهجية الحديثة، وكذلك تلك اللّغة الفصيحة العالية التي أتى بها التّقرير، وبصفر خطأ. هو تقرير يُنير لنا دربَ تخطيط السياسة اللّغويّة للعربيّة الجامعة، ومنها التّحكّم في التّخطيط التّربويّ وعندما يقع حُسن التّدير يأتي حُسن التّخطيط، وما ذلك بماء البحر الذي لا يُشرب، بل هي القوّة النّاعمة في هذا الوقت الذي تأتي العولمة والتّغول والصّراعات اللّغويّة على دُحر الكثير من اللّغات، وبخاصّة اللّغات الهشّة، والعربيّة ليس منها، بما لها من حمولة لسانیة علميّة ودينيّة لا تجتمع في آية لغة في العالم، إلّا في العربيّة الفصيحة، وهي لغة الماضي والحاضر والمُستقبل، فأنعم بها من لغة!

العلاقات العلمية الثقافية الجزائرية السعودية*

- الديباجة: كم يحلو الكلام في الحديث عن أشياء ضاربة في العمق التاريخي العربي، ونحن نتحدث عن العلاقات العلمية الثقافية بين الجزائر والمملكة العربية السعودية التي رسختها الممارسات الفعلية من رحلات الجزائريين الضاربة في التاريخ، عبر الحج والعمرة، وزيارة الأماكن المقدسة أو لطلب العلم والدراسة والتفقه وذلك ما نقرأه من تلك الأعمال التاريخية التي سجلها الجزائريون الباحثون في مجال (أدب الرحلة) من خلال كتابات شمس الدين بن مرزوق التلمساني، وأحمد المقرئ، والفضيل الورثيلاني، وعبد الرحمن بن عمر التنيلاي، وأبو راس الناصري، وابن حمادوش، وعبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، وابن الدين الأغواطي... هي علاقات علمية ثقافية زادت من توطيد العلاقات الثقافية بين بلدين يجمعهما الدين واللغة العربية. وتزداد العلاقات تجذراً في دعم المملكة لثورة نوفمبر دون قيداً وشرطاً، بما كانت تُرفع على مستوى الهيآت الدولية من أجل استقلال الجزائر، وشعار السعوديين "تبرّع بأموالنا، واستقلال الجزائر قضيتنا" ويرفعون النشيد الحماسي المزلزل:

فالله أكبر يا جزائر * لا حت مصايح البشائر

إنها مُساندة ومُعاضدة كبيرة منذ الثورة، وهي أرمادة تعبوية داخلياً وخارجياً في مُساندة الجزائر، ويتواصل الأمر في ما نراه اليوم في مسائل مُشتركة يتوافق الرؤى وثبات المبادئ في قضايا الأمة وما له علاقة بالأمن والسلم الدوليين إلى يومنا هذا. إنه المصير المُشترك في سباق تمتين العمل العربي المُشترك على وجه العموم، وهو السعي إلى تجسيد قطب يبني نفسه على مستويات استراتيجية واقتصادية وثقافية بما للبلدين من ثقل بشري وعلمي ومادي، ونراه في الواقع من خلال زيارة الرئيس (عبد المجيد تبون) إلى المملكة في جانفي 2020م وتلك الزيارات التي قام بها وليّ العرش (محمد بن سلمان بن عبد العزيز آل سعود) إلى الجزائر؛ هي زيارات فتح آفاق المستقبل بما للبلدين من روابط تاريخية قديمة مُتجددة، وتمتد عبر التاريخ، وتزداد رسوخاً في كل مرة بوصفة الأجداد التي لا حياد عنها؛ فهي الماضي والحاضر والمستقبل.

إخواني الحضور، من خلال هذا اللقاء، أشير إلى تلك العلاقات العلمية والثقافية التي أنجزها المجلس الأعلى للغة العربية؛ وتمثل في تلك الشراكات القديمة التي تعود إلى المشاركات الجزائرية في ملتقيات الجنادرية وحضور ندوات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، وله مجلة مصنفة دولياً في نظام Scopus بعنوان (التخطيط والسياسة اللغوية) ولدينا شراكات مع هذا المركز في تبادل الإصدارات، وكذلك مع مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، وقد حضرنا في سبتمبر 2023م ندوة إطلاق (معجم الرياض للغة العربية المعاصرة) وتلك اللقاءات التشاورية بين المجلس ومركز البحوث وتقنية المعلومات (دار التأصيل) في تلك الأعمال ذات العلاقة بالرقمنة والمحتوى الرقمي في النجاحات التي قطفها في المحللات اللغوية، والمشاريع

♥ - الكلمة التي أُعدت بمناسبة عقد الملتقى الدولي حول (العلاقات السعودية الجزائرية) بتاريخ 3-4-5 ماي 2024م.

الرائدة التي لها رجع الصدى عربياً ودولياً، وسيكون له أثر طيب في تنمية المحتوى العربي في الشبكة، وتلك الندوات الفكرية التي أنجزها المجلس مع سفارة المملكة العربية السعودية في الجزائر عن طريق (الملحقية الثقافية)... هي ندوات تخص اليوم العالمي للغة العربية وفق الخريطة التالية:

- اللغة العربية والتقانات الجديدة سنة 2017م.
- اللغة العربية والشباب سنة 2018م.
- اللغة العربية والذكاء الاصطناعي سنة 2019م.
- مجامع اللغة العربية ضرورة أم ترف سنة 2020م.
- اللغة العربية والتواصل الحضاري سنة 2021م.
- إسهام اللغة العربية في الحضارة والثقافة الإنسانية سنة 2022م.
- العربية: لغة الشعر والفنون، سنة 2023م.

وكثير من هذه الندوات تمت في الوقت الذي كانت المملكة العربية السعودية على رأس (كرسي الثقافة العربية) في UNESCO، إضافة إلى تلك العلاقات العلية مع الفهرس العربي الموحد، ودخول مجلات المجلس في مجموعة (دار المنظومة) ولقاءات تشاورية مع (دار التأصيل) حول إنتاج مشترك للمجلات: الصرفية+ النحوية+ الإملائية+ المشكل الآلي+ المدقق الآلي. وهناك تبادل علمي ثقافي قديم من مثل حضور الأنشطة التي تُقام في المملكة كفعاليات التراث والثقافة (الجنادرية) بنخبة من الجزائريين في مختلف فنون القول، ويكون الحضور الجزائري في إطار الإسهام في تقديم أفكار في المشترك من تاريخ الأمة العربية في المخطوطات والإبداع اللغوي والعلمي والشعري، وما له علاقة بالتعاطي مع النخب الفكرية المُنوعة وأطروحاتها؛ لاسيما الشباب منهم؛ حيث تُقام سلسلة هذه المناشط أمام العامة، وفي أجواء تجيد التلقي المرن والفرز المحكم للأخذ بما يتوافق وفكر الأمة العربية ومحددات ثقافتها الجامعة، كما لا نعدم الحضور الثقافي للباحثين والشعراء والعلماء السعوديين في كثير من التظاهرات التي تُقام في الجزائر، ونشهد بحضورهم الكبير في ملتقى الشعر بالدوسن، وفي أنشطة المجلس الأعلى للغة العربية، وكذلك في الندوة التي أقامها اتحاد المجمع اللغوي والمجالس العليا في الجزائر بتاريخ 5- 6 جانفي 2017م. وذلك الحضور المكثف لدور النشر السعودية في مختلف معارض الكتاب التي تُقام في الجزائر.

1- الجزائر والسعودية وتجسيد قطب العروبة: الجزائر دولة مغاربية تطل على الضفة الغربية للمتوسط والسعودية دولة آسيوية تحاذي دولاً آسيوية قوية بشراً وتراثاً. قطبان كبيران يمكن لهما إعادة تشكيل القطب العروبي بمعطيات التكل اللغوي والديني والحضاري، وهي من متطلبات الاستراتيجية العربية أفاق 2030 لتحقيق الرهانات التي تنتظرنا في المشترك الحاضر والقادم؛ بغرض نيل المواقع؛ لأن الرهانات كثيرة والتحديات تنتظر منا حلحلة القضايا العالقة، وهي من مستعجلات الوقت من مثل الاقتصاد الإسلامي+ العربية والذكاء الاصطناعي+ الأدب العربي في البلاد غير العربية+ أزمة القراءة+ الدين والحداثة+ التنوير

والتاريخ والسياسة والسلام+ والمتقف والسلطة+ إسهامات العرب في الحضارة الإنسانية... وكل هذه الأمور تُعالج من مؤلفات الطرفين، بل هي من الموضوعات المشتركة في مجلات المجلس الأعلى للغة العربية، ومجلات مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية. وقراءة أولية لهذه الموضوعات نجد تقارباً في الطرح، ومن وراء ذلك يمكن بناء أرضية معرفية مشتركة ندخل بها في إعادة بناء القطب العربوفوني بالمؤسسات المطلوبة، والتخطيط المؤدي إلى استقلال في الرأي، وفرض الوجود بمنطق الغلبة اللغوية والبشرية والحضارية. هي معطيات ملموسة تُرشح البلدين لقيادة القطب جغرافياً واقتصادياً وحضارياً في صناعة طريق العلم الذي يكون من نتائج التواصل العلمي عبر الديبلوماسية اللغوية التي تُنتج المعارف في المشترك الذي يُعالج التحديات؛ بما لهذه المؤسسات من أفكار ومنتوج بخصوص الاستثمار في التعليم العالي والبحث العلمي، ومعالجة قضايا الرأهن التي أشار إليها التقرير العربي الرابع للتنمية الثقافية، ونجد توافقاً كبيراً في أهداف ومجال المؤسسات العلمية والتعليم العالي في علاقات بينية من مشترك اللغة العربية ومنتوج ثقافتها.

إنها علاقات علمية ثقافية قديمة وحديثة تأتي تعضيداً لخدمة المشترك البيني في رحاب المؤسسات العلمية التي تشهد تطوراً في مجال التعاون العربي المشترك، بحزام الأمن في معناه العام، والقائم على فتح مشاريع علمية مع المؤسسات ذات العلاقة، وهي في غاية الأهمية؛ حيث تزيد من ربط العلاقة الروحية؛ فأرض المملكة السعودية مقدسة؛ تحتزن عمق الإسلام وروحه ومصدره، وهي أرض آمنة بفضل الله وإرادته. كما أنّ المملكة نموذج للتنمية وللمزج بين التقاليد والحداثة، بين الأصيل والجديد، بين التنمية العصرية وروح التراث... وأنّ الجزائر أرض الشهداء والنضال والمسلمين والتجانس الهوياتي والمذهبي، وبلد يدافع عن استقراره وخصوصيته ويسعى إلى التآلق بما له من قدرات ثقافية وعلمية وباطنية مع من يشاركهم اللغة والحضارة والمستقبل فالأحق أنّ العمل العربي الثقافي المشترك سوف يزيل الكثير من المضايقات، ويسهل عمل لجان الصداقة والأخوة عبر نواب الشعب في مزيد من تمتين العلاقات الجزائرية السعودية التي يفترض أن يصل إليها البلدان في تراتبية القوى الإقليمية والدولية العالية.

2- المشترك اللغوي والثقافي: إنّ البلدين بما لهما من إمكانيات علمية ومؤسسات ثقافية يمكن لهما تأسيس قوة إقليمية في مجال الرفع من سوية اللغة العربية، وعلاج فقر التعلم، وما ينجم من التنوع الثقافي الذي يبقى أحد الجسور لمواصلة طريق الحرير، وبعث طريقي: الملح والعلم، ودخول عالم أفريقيا بقطب عربوفوني كان الأجداد قد وضعوا له خطواته الأولى عبر الزوايا والمصليات والمساجد والمخطوطات انطلاقاً من مالي والنيجر ونيجيريا. هي مقارنة ثقافية يمكن تجسيدها عبر محور الجزائر-الرياض، من منظور الدور الإقليمي للبلدين، وإقامة تعاون بين المؤسسات العلمية والثقافية عبر المشاريع والأسابيع الثقافية/السنوات الثقافية للبلدين. هي مقاربات علمية بحثية، بالثقافة الناعمة، عبر تفعيل القنصليات، والمراكز الثقافية، والمدارس، والمُحَقَّات الثقافية، وإنشاء الجوائز، وخلق ورشات تدريبية ثقافية في مختلف الفنون وفتح المشاريع ذات العلاقة بالمصالح العلمية والثقافية المشتركة على غرار: مشروع المعجم التاريخي للغة العربية+ مشروع المحتوى الرقي العربي+ مشروع رفقة

المخطوطات العربية+ مشاريع في المحلّلات اللغوية... هي علاقات علمية تعكس مسار البلدين في الأبعاد الثقافية بما لهما من استراتيجيّة الوقوف للنّد أمام التّغول الذي يأتي على تدمير الذات الوطنيّة العربيّة، وإعلاء العولمة كمنتج بديل يجعلها القوّة الأكبر في سوق اللّغات هي للثقافة الإنكليزيّة، وهذا يأتي على زحزحة الفواعل الاجتماعيّة ذات العلاقة بالأصالة والخصوصيّة اللغويّة. ولهذا؛ فإنّ البلدين قوّة ثقافيّة يستطيعان حفظ التّوازن القطبيّ، والتّأثير العربيّ والأفريقيّ والآسيويّ بما للبلدين من قوّة علميّة واقتصاديّة، وموقع جغرافيّ. هي دبلوماسيّة ثقافيّة دينيّة تكشف عن أثر البلدين في صناعة القرار الثّقافيّ، وتغليب المصالح البحثيّة المشتركة آفاق 2030م، ناهيك عن تجسيد القرارات الصّادرة عن الألكسو/ALECSO بخصوص النّشر الإلكترونيّ وتشجيع حركة النّشر العلميّ والعمل على تجسيد الجامعات المعياريّة، والمشاركة في معارض الكتاب، وتفعيل الصّناعات الثقافيّة التي تُعدّ المحرّك الرئيس لدجّ الثقافة والتّراث في التّنميّة المحليّة للبلدين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ هناك نظرة مُشتركة في الإشكاليات الثقافيّة في مجال التّعليم ومُجمّع المعرفة، وكذلك في المخطوطات والتّراث الشّعبيّ، مع العمل العربيّ المُشترك على نطاق جامعة الدّول العربيّة في إنشاء النّطاق العربيّ في الشّابكة، والتّفعيل داخل الإيسيسكو/ICESCO من أجل الاحتفاء بالعواصم الثقافيّة في البلدين وما له علاقة بالحضارة العربيّة الإسلاميّة في حدود صلاحيات البلدين داخل كلّ هذه المنظّمات العربيّة/الإسلاميّة/العالميّة.

- الخاتمة: هي رؤى بصرنا بها وننقلها إلى من يُهمّه الأمر، والطّريق مُعبّد بين البلدين، ووصفة الأجداد ثمينة ونيرة في حفظ المصالح المرسلّة، وبخاصّة أنّ السّعوديّة لها ميزات المكان المُقدّس، والحجّ الأكبر ويثرب ومكّة التي بارك الله فيها، والله نسأل مزيداً من دوام العلاقات وتحسينها وتطويرها، ولا بدّ من التّكّل وهو الذي يصنع منّا القوّة، ولا مفرّ منها، ولا بدّ منها.

الخطاب السياحي العربي بين الراهن اللغوي والآفاق الإجرائية*

- الديباجة: إنه لمن الأهمية بمكان الحديث عن الخطاب السياحي وما له من استثمار في الإقبال السياحي ويدخل في باب الإقناع وشدّ الأفكار والأنظار؛ عندما يكون الخطاب حاملاً للحجة والبرهان وكأني به خطاباً سياسياً يميل حيث مالت خطابة الخطيب/المُشهر/المدّعي بما يحمل من معلومات ولغة سهلة سريعة تنثال من فيه أنثيالاً، وتكون حاملةً للمعنى، مقرونة بضبط المبنى. ولهذا، فإنّ الإشهار السياحي إشهار يحلّ البعد الاستراتيجي الاقتصادي والثقافي والتاريخي والحضاري واللغوي، وهذا ما تروم هذه الكلمة الحديث فيه بإرسال أفكار ترتكز على واقع اللغة العربية في الاستعمال العام، وبخاصة في لغة الإشهار السياحي؛ بوصفها أداة تواصل سياحي غايتها الإقناع والتسويق، وباعتبارها كذلك منتجاً ثقافياً وحضارياً سياحياً يُسوّق لها الإشهار بطريقة مقصودة أو غير مقصودة، ويعمل على تطوير آلياتها لتكون لغة من السهل الممتنع. ومن هنا كيف لنا مراعاة الصواب اللغوي بتطويع آليات العربية ومستوياتها التواصلية لتستجيب للخدمة السياحية، والسير ضمن مسار التسويق لها، من خلال مقاربات لسانية الإشهار، وتداولية الخطاب الإشهاري السياحي، وما وصلت إليه نظرية الأفعال الإنجازية والتي تقضي بأنّ كلّ لفظ لغويّ له طاقة تحقيقية إنجازية، ولها دورها الإقناعي والتأثيري على المتلقي، وبما للخطاب من مستوى الانقباض ومستوى الأنس.

1- السياحة في المنظور العربي: نعلم بأنّ مجلس وزراء السياحة العرب بجامعة الدول العربية أقرّ في بنوده التأسيسية لتكون مدينة (جدة) مقراً دائماً للمنظمة؛ حيث قدّمت حكومة خادم الحرمين الشريفين كلّ أنواع الدعم والتسهيلات للمنظمة من خلال دولة المقر، مع مخطط النهوض بصناعة السياحة في الدول العربية. ويركّز المخطط على اعتماد اللغة العربية لغة العمل وهي أحد العناصر الثقافية المميزة للخصائص المجتمعية للدول التي تنضوي تحت إمرة جامعة الدول العربية، ولا يقتصر دورها على أنها أداة تواصل فحسب، بل كونها جزءاً وعنصراً مهماً من عناصر الثقافة، وأن تكون العربية لغة الترويج والاستعمال والتوظيف في قطاع السياحة. ويكون ذلك عبر إنجاز قواميس لغوية متعددة اللغات، وأدلة سياحية وأرصدة معرفية للسياح؛ للتعريف بالمرورث الثقافي الشعبي المادي وغير المادي، وفق منهج علمي مدروس يسهم في تنمية الإنسان العربي في المقام الأول، ويحقق أهداف وتطلّعات الشعوب العربية في النهوض الاقتصادي عن طريق السياحة؛ كونها أحد أبرز العناصر المؤثرة في الناتج المحلي للدول العربية. وهكذا أكّدت كلّ المراسيم أنّ اللغة العربية لغة التواصل السياحي، ومع ذلك نجد بعض الدول العربية لم تحترم بنود هذه المنظمة، فأقرّت أربع (4) لغات أخرى وهي: الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والروسية في بلدانها العربية لاستقطاب السياح من العالم الغربي. وما زاد

♥ الكلمة التي أُلقيت في الملتقى الوطني (الخطاب السياحي العربي بين الراهن اللغوي والآفاق الإجرائية) المنعقد في جامعة عبد الحميد بن باديس بمسغنام، بمشاركة المجلس الأعلى للغة العربية + مخبر الدراسات اللغوية والأدبية في الجزائر من المعهد التركي إلى نهاية القرن + فرقة البحث PRFU المخرجات الألسنية للإشكالات المجتمعية والاستثمارية والسياحة. بتاريخ 7-8 ماي 2024م.

في الأمر شرحاً، أنّ العربية في بعض الدول العربية لا تستعمل اللغة العربية في مجال السياحة حتى مع أهلها وعولت القطاع باللغات: الإنكليزية+ الفرنسية+ الإسبانية كلغات رسمية مُعتمدة.

2- لغة السياحة: لا أتحّدث هنا عن لغة العولمة التي نالت الانتشار في السياحة والتجارة والمال والنقل والاقتصاد، والفضاء وهي الإنكليزية، بقدر ما أتحّدث عن وصفة لغة السياحة في العربية، بأنّها لغة ليست خارجة عن المألوف، بل لها كلام عاديّ يتوصّل به بين الأفراد وتستعمل الكلمات والعبارات للتعبير عن الأفكار والمشاعر وتبادل المعلومات. وفي ذات الوقت تقوم هذه اللغة على خطاب مُخطّط ومُنظّم للتأثير على الآخرين/المستمعين، ويشمل استخدام تقنيات الإقناع والإلقاء والتنظيم الجيد للأفكار. وفي ذات الوقت تقوم على هذه اللغة على خطابة فنية يتمتّع بها الشخص/الدليل ليصبح قادراً على تقديم خطاب مؤثّر وجذاب بشكل فعّال. وتشمل الخطابة مهارات التحليل، وتنظيم الأفكار، واستخدام اللغة الجذابة والمؤثّرة، والاتصال الجيد مع الجمهور. وكلّ هذا يقوم على الإرشاد الشفاهي وهو الأكثر شيوعاً، وكذلك الإرشاد المطبوع (الأدلة السياحية) والكتيبات الجيبية والخرائط والمطويات والصّور، وحالياً الإرشاد الافتراضي. وهذه وظائف السياحة في مفهومها العامّ، دون الحديث عن بعض الوظائف المشتركة من أدوار رحلات السّفر وتبعاتها ومُرشد سياحيّ ومدير منتج سياحيّ وعروض وتسويق واستقبال وتوجيه... إنّها لغة السياحة في مُصطلح الأدب السياحيّ كمؤثّر في تشكيل الوجّهات السياحية المهتمة بالروابط المختلفة بين اللغة والأدب والسياحة بتوليفة الروابط في الأعمال الروائية التي يغلب عليها الترويج للمكان ترويجاً سياحياً لجذب أنظار الآخرين في أدب الكتابات المعنية بالرحلة والسّفر، والمعنية بالمكان بشكل عامّ، فقد وصف بعض الباحثين هذه الكتابات تارة بالسياحة الأدبية وتارة أخرى بالأدب السياحيّ؛ بما لها من فلكلورية الأمكنة وقدمها، وما تحمله اللغة من وظيفة غير تقليدية في الجانب الجمالي في التقارير والأدلة السياحية التي تُحقّق الترويج للكتابة ولغة الكتابة.

3- في أسلوب الخطاب اللغويّ السياحيّ: يقوم على الإقناع واستخدام الحجة لعرض فكرة عن موقع أو في الإشهار لمنطقة/سلعة من خلال مناشدة العاطفة أو المنطق لقبول وجهة نظر معينة، وهي نوع من أساليب التّسويق في صناعة السياحة، ويتطلّب ذلك خاصيّة التّحكّم الجيد في اللغة أو في التّرجمة، ويمكن استخدام آليات العصر من تقنيات الذكاء الاصطناعيّ بتقديم عروض مسموعة ومرئية، مع ما يصحب ذلك من الأساليب البلاغية في تقنيات الخطاب على غرار: المقارنة+ التّشبيه+ الاستبطان+ الحكاية+ الإيحاء... وكلّ ما يدخل في طرائق جذب السّياح في الإعلام السياحيّ. وتتضمّن أساليب التّسويق المرونة اللغوية في الوقوف على ساكن، وعدم المغامرة في التّشدّد الإعرابيّ الذي قد لا يقبله الذّوق أمام السّياح -في الغالب- تختلف مستوياتهم اللغوية؛ لأنّ السّائح لم يأت للسياحة اللغوية، بل يمكن أن يقبل بوضعه في نصف الحمام اللغويّ عن طريق لغته الأمّ، وعلى الدّليل/المُرشد السياحيّ الدّراية بخصوصيات السّائح اللغوية. ونعلم بأنّ السّائح جاء للتّرفيه في المقام الأوّل، وأنّ يستفيد من الطّبيعة والجمال، وخدمات الفنادق والمطاعم والمنزهات والنّقل، وهذا ما يجب أن يقع التّحكّم في لغة هذه الأماكن، وما يصحب ذلك من خدمات تنظيم الرّحلات والجولات وتقديم

خدمات الإرشاد السياحي بشكل أفضل وأكثر استقطاباً. وهذا كله يتطلب حسن استخدام اللغة في السياقات الاجتماعية، وتتضمن الطرائق الأكثر شيوعاً في التبليغ في المحادثة بما لها من إيماء وإشارات. وهذا ما نقوم على تدريسه في لسانيات السياحة من: تبسيط اللغة + الاستعانة بالأمثال المحسوسة + الاعتماد على الإيقاع + الاختصار + توظيف الهجنة اللغوية في بعض المقامات + استخدام المبالغة... وهذا ما يترك الأثر لدى السائح من دعاية يأخذها لبلده، ويتمنى العودة مرة أخرى، وبالنسبة إليه هو الحج السياحي الذي لا ينسى بسبب اللغة من السهل الممتنع، وبأنه أخذ قدراً لغوياً تواصلياً بصحبة التعرف على التراث والثقافة المحلية والتجول بالفائدة اللغوية.

4- تجارب ناجحة لغوياً في بعض البلاد: إن السائح الذي يدخل (إسطنبول) يتبضع بسلعها، ويزور معالمها التاريخية والحضارية، ويأخذ قدراً وظيفياً من اللغة التركية لغياب الأدلة والترجمان، وأنت في حل من تدبر التواصل اللغوي بمفردك، وهي سياسة لغوية تركية في توسيع دائرة اللغة التركية. ومن يتمتع بجمال (بولندا) في أحيائها الشعبية ومهرجاناتها يعود وهو يتقن فنون ثقافتها التي تغرس فيك حب الاطلاع على تشفير لغتها. ومن يزور (الهند) يرى العجب في معالمها السياحية الرائعة ومواقعها الشهيرة على غرار (تاج محل). الهند البلد العجيب تزورها وأنت تحمل عدة ثقافية من منظومتها الفكرية في آيات الإبداع والثقافة الهندية، بما لها من فنيات صناعة السياحة في حسن إدارتها في: السياحة الثقافية + سياحة تطوير المهارات التواصلية بكل لغات العالم + سياحة إدارة الأعمال ذات الصلة. وأنت في (الأرجنتين) في وجهة أمريكا الجنوبية بمناظرها الخلابة تتيح لزائر العاصمة (بيونس آيرس) أن يتعلم الإسبانية بدلال كلماتها الموسيقية، وأن يرقص على أنغام الشلالات الماطرة بمزيج من الروك الأرجنتيني. وتزور فرنسا وتقف على الوجه الاقتصادي السياحي لفرنسا بما لبلد الجن والملائكة من تأثير لغة (فولتير) على السائح، ولا يعود لبلده إلا وهو يحمل أدلة سياحية يتمنى العودة مرة ثانية ليعيش الإغماس اللغوي الفرنسي بما يسمعه في المتاحف والمعارض الفنية والمطبخ الفرنسي، وقصر فرساي ونوتردام... إغماس لغوي بامتياز، وتمثل لأنماط الأدب الكلاسيكي في كل أشكال اللغة الفرنسية العالية. ولقد انتهجت بعض الدول مضمار نشر الوعي اللغوي السياحي لتحقيق أهدافها في التنمية السياحية في تعزيز اللغة الأم والولاء والانتماء ومظاهر الحضارة والخصوصية الثقافية للمجتمع، وكلها تعكس الحس الوطني لكل ما يرمز للمواطنة في معناها العام.

4- أهمية الاستثمار في صناعة سياحة وطنية بمقوماتها الكبرى: وهذه المسألة تحتاج إلى قوانين وأدلة وخرائط ودليل سياحي من الطراز الرفيع في مجالات: اللغة الأم + التاريخ + الفن + علم الآثار + علوم طبيعية + الهندسة المعمارية + تعدد لغوي، وما يتبع ذلك من وسائل الشروح لتقديم الخدمات على أحسن وجه، بما لها من حس مدني لا يساوم على الممتلكات أو يقدم معلومات تسيء للعادات والأماكن والتاريخ ومهنة الدليل... ولا بد من الاهتمام بالخصوصية المرتبطة بالهوية والانتماء، وبث القيم والعادات والتقاليد والمفاهيم، وكل ما هو ذو قيمة في ثقافة أو حضارة الوطن والتي تسهم في الوصول إلى حالة عالية من الوعي السياحي الذي تقدمه

المدارس + الجامعات + الحكماء + النخبة + الأسرة + المراكز الثقافية والاجتماعية + المؤسسات السياحية؛ لخلق جوّ تفاعليّ من التطبيع الاجتماعيّ لتحقيق المزاج الثقافيّ الإيجابيّ تجاه السياحة. وإنّ أهمّ مقوم في صناعة السياحة لا يكون إلاّ باللغة الأمّ، ومن ثمّ أن تحصل الترجمة منها واللغة هي التي تصنع الهوية وتشيد بالسياحة وتعمل على شعبيتها، عكس اللغات الأجنبية التي تجعل السياحة للنخبة، وأصحاب رؤوس الأموال، بما لها من تعال على العموم. وما أحرانا -نحن العرب- تغيير نظرتنا تجاه تحقير العربية في عدم استعمالها في هذا القطاع المهمّ جدّاً، لما له من أبعاد ماديّة وفكريّة وانتماء وحضارة. ولا يستقيم وضع هذا الاقتصاد إلاّ باستعمال اللغة العربية وهي هويتنا ونفرتنا، وعلينا أن ندرك مقام اللغة الأمّ في حياة الشعوب، ونعلم إن ضمان استمراريتها يكون بالمحافظة على تعميمها واستعمالها فهي ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا، وهي اقتصادنا وتراثنا الماديّ واللاماديّ. ولا يمكن أن نتحدّث عن صناعة السياحة إلاّ بالغلبة اللغويّة للعربية، ولم يثبت أنّه حصلت التنمية المستديمة في أيّ بلد باللغة الأجنبية، فلم تعطيل العربية في هذا القطاع الحساس؟

وإذا كنّا نستهدف المواطن العربيّ؛ فهو يسعى إلى السماع لّلغته تعبّر عن معالم السياحة وعن الخدمات الفندقية بلغته، وعن البطاقات ووصفات الأكل ووسائل الإشهار... وكلّ ما يعزّز من لغته وأصالته وقوميّته وتأكيد هويّته العربية الإسلامية، وذلك ما يرسّخ فيه حبّه للغة حباها الله بكلامه المنزل على خير البرية. إنّها العربية المظلومة في قطاع السياحة، وهو تعطيل للتنمية، وتشويه لمعاملنا التي تقدّمه اللغات الأجنبية وفق حولتها اللسانية بما لها من نظرة تحقيرية لأصالتنا ومجدنا ونشاطنا. والعربية خير لغة تعمل على نشر ثقافتنا وتاريخنا وفنوننا، وتمثيلة خير تمثيل، فاللغة العربية تحفل بتراث إنسانيّ في أغلب قيمه ومواقفه؛ وهو تراث موصول بين الأجيال؛ يدعو إلى الأخوة والمساواة، وحسن توجيه تنمية مستديمة نحو خلق فرص العمل وازدهار الاقتصاد المحلي. وما يجب نقله للأجيال القادمة أنّ معاملنا في بلاد المغرب والمشرق ودول الخليج بما لها من سياحة طول السنة، وما تتوفر عليه من سياحة دينية ورمليّة وبريّة وحموية وبحريّة وشتويّة وصيفيّة وربيعيّة ومحميات بريّة وأهرامات وجزر مرجانية وقم بركانية وبحر أبيض وأسود وأحمر وقلاع وآثار تحكي الماضي المجيد... وبلاد العرب جميلة بمنطق الحق والواقع، وكلّ هذا ثروة كبيرة في ضرورة التلاقي بالعربية التي تجمعنا وهي الأطلس والسهل والجبل والنيل والشلال والضفة والمضيق والقناة ومناطق رطبة والتاريخ والقطب والتكامل والخلافة والحضارة، وكان علينا توحيد رؤانا بلغتنا الجامعة التي تجعلنا نتطوّر وننال الاحترام بين الأمم.

5- 1 ضرورة الاهتمام باللغة الوطنية المشتركة وهي سبيل الخروج من التبعية والتخلف: إنّ العربية اللغة الأمّ + لغة الأمة تستدعي إعطاءها الصدارة، بسؤال التنمية البشرية التي تفضي إلى تنمية القدرات الذهنية والرفع من المستوى التعليمي والخبرة والثقافة والوعي. وفي هذه المرحلة نحتاج إلى قضاء المصالح المرسلة بأريحية لا تحقّقها إلاّ اللغة العربية الفصيحة، وهي اللغة الوطنية المشتركة؛ فمن حقّ التاجر/المعلّم/السائق/السائح/الإداري... أن يسأل عن لغة فيها منفعة، وهي أسئلة مشروعة، فأين هذه اللغة التي لها وزن في سوق التداول؟

وهذه الأمور من أسئلة واقع المنفعة، ونحن نعيش هاجس الحضارة والتقدم والاستقرار، فيمكن أن يهجر الإنسان لغته، ويعزف عن توريثها لأبنائه، فلا تشغله الهوية بقدر ما يشغله واقع المال والمصلحة. ومن هنا علينا العمل على إضفاء القيمة المعنوية والعلمية للغة العربية الفصحى في مختلف المجالات، وبخاصة في الجانب الاقتصادي والسياحي، لما لهما من دور في التأثير وتسويق العربية الفصيحة، ولا يجب أن نخدع بالدعوة إلى قبول اللهجات؛ والتي تنشط إلى محليات، وفي الأخير ينتصر من يضرم النار بين اللغات الأخوات. ونعلم بأن سلاح اللغة ذو حدين: يمكن أن يوظف من أجل لومة المجتمع، كما يمكن أن يستعمل لتزيقه.

- الخاتمة: وهكذا الخطاب السياحي العربي بين الراهن اللغوي والآفاق الإجرائية نراه يعيش تحديات وتضييق أبعاده في الخدمات اللغوية التي لم تكن في مستوى العمل على انتشار العربية، بل الميل الجارف نحو اللغات الأجنبية، ويعمل على انتشار الأجنبية بنوع من التبعية اللغوية التي توصم بها العربية على أنها عاجزة عن التبليغ، ولأنها لغة عفا عليها الزمان لا تستجيب لآليات الحداثة في لغة السياحة بما لها من مستوى تواصل بسيط. هي تبعية لغوية نجسدها من خلال ذواتنا في أننا لا نسوق للغتنا، ولا يقع الاهتمام بها، ونسير نحو عولمة جارفة تجعل لغتنا تعيش السبللة، ونراها تعرف الانتحار في بلدانها، رغم أن القوانين في صالحها، وما نجعله ونعمل على تعطيله هي تلك الآفاق الإجرائية التي نود أن تكون في صالح العربية في لاحق من الزمان وهذا ما يجب أن يوضع في ميزان الممارسة الفعلية للعربية من خلال الهبة المجتمعية التي نخلقها معاً في ضرورة الاهتمام باللغة الأم/العربية الفصيحة بما لها من جمال وتوسع واستجابة لكل المقامات والأحوال المرتبطة بها وما تعرفه من ترادف ومُشترك لفظي وتضاد ونحت وتعريب ونقحرة... وكلها في صالح انتشار العربية حالة ما استخدمت في هذا القطاع السياحي الحساس والمُسوق لبضائعنا بلغتنا. وإنه لا تكفي التعزيزات اللغوية والقوانين التي تذهب مذاهب قدداً وغير إلزامية، وتلك النظرة الدونية للعربية بما لها من قوة القانون، ولكن علينا العمل على ونخز الضمير بما يجمعنا، وأن لا نتعطل لغتنا أمام بعض الممارسات التعسفية التي تحتاج إلى قوة ناعمة أحياناً، وأحياناً إلى تعزيز وتأييد.

أثر الذكاء الاصطناعي في الترجمة إلى اللغة العربية من اللغات الأجنبية*

- الديباجة: أتى حين من الدهر أن تكون الترجمة الآلية تنتصر للآلة، وتكون بديلاً عن الشخص، وتحمل مفاهيم الذكاء بما لها من حمولة لسانية وقياسية، لدرجة أن العبارة تُفهم في أبعادها الشعورية ومُتعلقات الجملة والنغمة والفكاهة ومواقف الانقباض أو الأنس، وليست بالترجمة الحرفية. هو الذكاء الذي تحمله الآلة في مفكرتها في التعلم الآلي دون مدخلات بشرية. إنه الذكاء الاصطناعي المدهش والمثير للاهتمام، في ما تعرفه التكنولوجيات المستخدمة في ترجمة الذكاء الاصطناعي الذي وصل إلى استخدام خوارزميات التنبؤ، وتحليل أنماط اللغة من الوثائق التي تُشكل جزءاً من لغة المصدر واللغة المستهدفة. وها نحن في عالم آخر يدور بين ما ترجمه الآلة بشكل مدهش عبر برامج متطورة مثل GPT الذي يتمتع بذكاء اصطناعي قادر على قراءة ومراقبة وتحليل العديد من المستندات بأقصى سرعة ممكنة، وتصل نسبة الترجمة الدقيقة في بعض النصوص إلى 100%. إنه العجب المذهل أن الآلة تكون بديلاً لذكاء البشر، وإلى أين تذهب جيوش الطلبة في أقسام ومعاهد الترجمة؟ وإنه الرهان على أن الذكاء الاصطناعي يسعى أن يحل محل المترجم، وهل يكون ذلك في لاحق من الزمان؟ يمكن أن يكون ذلك بما يحصل الآن من طفرة كبيرة في مجال الترجمة، على الرغم من زيادة جودة الترجمة الآلية، وتعزيز الموثوقية، لكن هناك تحديات متعلقة بالحفاظ على السياق في الترجمة وفهم الكلمات بحسب اللهجات/الحليات، والحفاظ على نبرة الصوت والأسلوب الخاص بكتاب النص الأصلي ومع ذلك هناك مباحث سريعة في وتيرة القضاء على الكثير من المضايقات التي تعرفها الترجمة الآلية بشكل كامل وفي الترجمة التخصصية علي وجه خاص، ولكن لا مفر من الآلة مقابل الإنسان؛ حيث صارت لصيقة بأعمال إنسان العصر، وهي حاجة ضرورية لما لها من تنوع في الخدمات بمصادرها ولا سيما المعاجم المتعددة اللغات، وقواعد التحويل النحوية، وجمع الكم الهائل من البيانات المتوازية، وتلك النصوص التي تنتجها نظم الترجمة الآلية التي تُحاكي/تضاهي في جودتها الترجمات التي يجود بها العقل البشري.

1- معنى الذكاء الاصطناعي: ذكاء يدخل في مجال علوم الحاسوب الذي يهتم بتطوير برامج وأنظمة قادرة على أداء مجموعة من المهام التي تتطلب فهم وتفكير عميق بطريقة تُحاكي القدرات البشرية، حيث يعتمد على استغلال الخوارزميات، والاستفادة من النماذج الرياضية لتمثيل الذكاء، واتخاذ قرارات بناءً على ما يتم إدخاله من بيانات. ويستخدم تصميم برامج وأدوات تقنية قادرة على تقديم أعمال تتفوق في أحيان كثيرة على الإنتاج البشري، وبتكلفة مادية أقل، وفي وقت أسرع، حيث يُحلل كميات هائلة من البيانات بشكل ذكي ومتكرر، مما يجعله يقوم على فكرة التعلم من تكرار السلوك، واكتشاف مواطن الأخطاء ونجاحها للاستفادة منها وتطوير عملها، وتحسين مخرجاتها بشكل يُحاكي العقل البشري.

♥ الكلمة التي أُلقيت في الملتقى الوطني حول (أثر الذكاء الاصطناعي في الترجمة إلى اللغة العربية من اللغات الأجنبية) لصالح جامعة الطارف+جمعية الغد. بتاريخ 9 ماي 2024م.

وإنَّ التَّرجمة الآليَّة تعيش تحديات في ظلِّ طفرة الذِّكاء الاصطناعيِّ بما سوف يطرح من ترجمة النصوص الإبداعية وهي من صورة العاطفة الشخصية، ومن بعض المصطلحات الشديدة الاختصاص، ونعتقد بعض الأمور، ولكن هذا كله لا يعني أننا نغيب العمل البشري الذي له واسع النظر، ويجوز له ما لا يجوز للآلة دون أن ننسى عامل الأرضية المعرفية للشخص المترجم والتحيّز اللغوي والأفكار والقناعات والآراء الاجتهادية، ومتطلبات دور المترجم من حيث مسؤولياته وأستاذيته.

2- معنى التَّرجمة الآليَّة: عبارة عن عملية استخدام الذِّكاء الاصطناعي في ترجمة النصوص من لغة إلى أخرى دون تدخل بشري، بما للآلة من رصيد من المفردات والجمل والقضايا النحوية المخزّنة بطريقة يتعرّف عليها الذكاء الاصطناعي ويسترجعها ويتعامل فيها في مجاري آلية الآلة التي أعدت فيها منظومة نحوية من لغة الهدف إلى لغة المصدر. وفيها برمجيات ذكية تنقل المفاهيم والمعاني بين اللغتين/أكثر في سرعة بقيامها بتحليل جميع عناصر النص المراد ترجمته/المُدونة، وتدرّك تأثير كلّ كلمة فيه على غيرها في تشابك خدمات اللغتين من حيث الألفاظ المفردة والجمل والمسكوكات والحكم والأمثال... بحيث يعمل الذكاء الاصطناعي على تمثّل آليات اللغتين/أكثر في التعرّف على نماذج أولية يتعرّف عليها مسبقاً وتكون خريطة طريق في التَّرجمة التلقائية بصورة تقرب إلى التماثل حسب اجتهد البرمجية. ولها مزايا: السرعة والحجم الكبير ومصطلحات في كلّ المجالات وخيارات لغات عديدة، وما لها من دمج التَّرجمة الآليَّة مع أنظمة إدارة المحتوى، وتنظيمه تلقائياً قبل ترجمته إلى لغات مختلفة. هي التَّرجمة الآليَّة التي تعرف التواصل الداخلي والخارجي من خلال المراسلات الشائعة والعروض التقديمية ونشرات الأحوال الجوية والبورصات وتحصيل بيانات البنوك والعملاء ومستحقات الضرائب ودفعات أجور الموظفين وتحليل البيانات وخدمات الشبكة والتحليلات والمُلخصات بلغات مختلفة... فراد ترجمة للنص بسرعة ويفهمون المعنى الأساسي للمحتوى. ويمكنك اللجوء إلى هذه التقنية لترجمة العروض التقديمية ونشرات الشركة وغيرها من المراسلات الشائعة.

3- التَّرجمة الآليَّة من اللغات الأجنبية: ومهما يكن الأمر فإنَّ التَّرجمة مهمة في كلّ الأحوال، وهكذا تطوّرت العربية في العصر العباسي بعد تأسيس (بيت الحكمة) زمن المأمون؛ وهو بيت التَّرجمة الأوّل الذي عرفته العربية، وقد أخذت عبر التَّرجمة من اللغات: السريانية+ اليونانية+ الفارسية+ الهندية، وحصل لها الإشعاع العلمي عبر هذا التّلاحق اللغوي والحضاري، ولما تكونت لها قاعدة الأخذ، تكونت لها قاعدة العطاء بأن صارت لغة عالمية وتعملت في كثير من بلاد العالم بخطها وثقافتها ودينها. الأخذ والعطاء عن طريق التَّرجمة مُهم، وما هو من السّلي في هذا الجانب العول على اللغات الأجنبية فقط، دون البحث عن التطوير والإبداع، وتصبح اللغة تابعة لغيرها، وأحياناً لا تصل إلى التَّرجمة عن المصدر، بل عن طريق المرجع وهنا تحصل خيانة الخيانة التي تعرفها التَّرجمة في هذا الباب. وأنَّ أهمية التَّرجمة تكمن في استيعاب المنقول والعمل على تطويره، وتلك إضافة وإبداع. وهناك محاذير من أن يكون ملماً بها؛ حيث كلّ لغة لها حمولة لسانية بما لها من: خصائص فيلولوجية+ ثقافة خاصة+ حكم وأمثال+ دعابات وحكايا+ عادات ودين+ قيم وأنماط...

وكل هذه الأمور يصعب تمثيلها أثناء ترجمتها إما حرفاً حرفاً فيكون الإخلال بالمعنى أو تصرفاً؛ وسيكون النص المترجم تتوره مشاكل لا تلي المطلوب. ولهذا يجب أن نكون في خط الوسط ويقع العول على الترجمة في باب لغات الأقطاب، ومن خلال العلوم العالية الحديثة في ميادين النانوتكنولوجي/مصطلحات الفضاء+ العلوم النووية... ومن ثم أن يقع الاعتماد على وسائل الترجمة باعتماد: التعريب/المجاز/التفحرة وكل ما يجعل الترجمة مقبولة في بابها الذي لا يحجب الذوق، ولا يعاديا مستعمل اللغة الهدف. وهناك نقطة مهمة وهي الاعتماد على المنظومة العامة المشتركة في منطق اللغات؛ وذلك ما يكون أقرب إلى صدق الترجمة، وفي الوقت المعاصر نحن بحاجة إلى أخذ العلوم من اللغات التي لها نصيب في العالم، ومن اللغات الأهمية تراتبياً: الإنكليزية+ الفرنسية+ الإسبانية+ الروسية+ الصينية وتكون في المقام الأول، ولا نعدم اللغات الشرقية: الفارسية+ التركية+ العبرية+ الأوردية.

4- إيجابيات وسلبيات ترجمة الذكاء الاصطناعي: مهما يمكن تغليب جانب على جانب، فيجب قبول الواقع بأن العالم يتطور، والذكاء البشري يحمل المفاجآت، وتبقى الآلة بعد أنسنتها تكون في خدمة البشرية فلا نعدم ما توفره الآلة من الكثير من الإيجابيات، وبآخر صيحة لها مثلة في (الذكاء الاصطناعي) بتغليب الإيجابيات دون الغوص في تفاصيلها، ويمكن تشفيرها في: الترجمة المجانية+ السرعة الفائقة+ الترجمة إلى أية وثيقة/مشروع/كتاب/فيديو/مقاطع صوتية/معجم/لافتة/شارة+ دون قيود الزمان/المكان+ قلة التكلفة+ التنظيم+ الدقة+ الموثوقية+ قابلية التوسع+ سرعة التنفيذ. وأما ما يدخل في التضاد قد يمس بعض الاختلافات اللغوية والثقافية والقيم والمعايير والعادات اللغوية، وغياب الإبداع، وقد تسيء لترجمة بعض الوثائق الخاصة بالتاريخ/الفن/الدراما، وبعض المستندات المعقدة التي تحمل الشفرات/التعميمات التي تصعب حتى على الترجمة الشخصية، وقد تأتي بعضها شبه ترجمة حرفية. ويبقى القول بأن ترجمة الذكاء بما لها من قدرات خارقة، لها نقائصها، والأمور تقاس بالتغليب، كما تقاس بما سوف يكون عليه الوضع في مستقبل ما تعرفه هذه الترجمة من تطورات وأدوات الترجمة. ونعرف زحاما كبيراً في وسائل الترجمة المؤتممة على غرار: ترجمة جوجل+ جوجل ترانسليت/ Google Translate + مترجم مايكروسوفت (بينج)+ المسبار+ ترجمة عصبونية/ Microsoft Translator + ترجمة أمازون+ memsource + الترجمة الآلية وهي جزء من خدمات شركة Microsoft مخصصة للترجمة الآلية، وجزء من خدمات مايكروسوفت المدججة في Bing و Microsoft Office و SharePoint و Microsoft Edge و Skype و Visual Studio وما إلى ذلك... وبعض هذه الأدوات تقوم بترجمة النص إلى مئة وخمسة (105) لغة. وكما يمكن القول كيف ظهرت في البداية هذه الترجمات بشكل محتم، ومن ثم كيف حصل لها التطور العميق والمتعدد بصفر بشر. هي مزايا كبيرة نسجلها على مكاسب الآلة في ظهور برمجيات وتطبيقات من أفضل خدمات الترجمة الآلية حتى اليوم لاصطناعي وتقدم خدمات مجانية ترافق عدداً كبيراً من الأشخاص خلال يومهم على اختلاف تخصصاتهم ومستوياتهم اللغوية؛ فمن التعرف إلى اللغة وترجمة المستندات والمواقع والمحادثات الشائبة، وصولاً إلى ترجمة النص المتضمن

صورة، ومن دون شبكة، وكذلك تقديم ترجمات ثم التحقق منها بمجموعة من الخدمات المصاحبة لتطبيقات الترجمة وتعلم اللغات. ولا يمكن الاستهانة بدور هذه التطبيقات الترجمة كمساعد، سواء للشخص العادي/المُتخصّص كالمترجم أم المُعلّم أم مُتعلّم اللغة، فهي تُسرّع عملية التعلّم، وتحقق نتائج أفضل وأكثر دقة واحترافية.

5- لا نعدم فوائد الترجمة الآلية: إنّها الحكمة الحديثة للارتقاء بمهنة الترجمة، ونعلم يقيناً أنّ الذكاء الاصطناعي سيساعد في النهوض بمجال الترجمة التحريرية والفورية بدلاً من السيطرة عليه، كما سيسهم في تهيئة أدوار جديدة وأكثر أهمية للمترجمين، وفي المستقبل القريب يحاكي البشر في إتقان لغتهم، وهذا ما يجعل مهنة الترجمة تعرف استخدام مخرجات جديدة في الاحترافية الترجمة في مجالات عديدة يشيع فيها استخدام المفردات والمصطلحات التخصصية والتي لا مجال لوقوع أخطاء في ترجمة نصوصها، وذلك ما يضمن إخراج المدونات التي تتسم بالوضوح واتساق الأسلوب، والاتفاق على لغة مشتركة يمكن الاستعانة بها في المنطوق والمكتوب في مجال العلوم. ومن المؤكد أنّ الذكاء الاصطناعي سوف يبلغ آفاقاً عالية في الكلمة الفصل في كثير من مجالات قضاء المصالح المرسلة بالشكل الأمثل في توليد النصوص وترجمتها بدقة عالية مع الإبقاء على السياق وأسلوب النص الأصلي، بما تعرفه الآلة من خدمة الترجمة بواسطة ChatGPT وهي خدمة سخاية لها فتوحاتها في اللسانيات الحاسوبية؛ حيث تقوم على فك الشفرة من لغة المصدر (النص الأصلي) وتحويله إلى لغة الهدف (ترجمة) بما يماثل آليات اللغتين من محتوى المخزون، ومن اجتهاد المبرمجين في الانتقال اللغوي بين اللغتين/أكثر، في عمليات التعرف على خصائص كل لغة بما لهما من منطوق اللغات الطبيعية/الاصطناعية في تراسل تشبيك مسار اللغتين/أكثر بما للمخزون من مُستند القواعد الفيلولوجية والخصائص اللغوية وبيانات الأساليب والمصطلحات في خطوات قواعد لغوية مُدججة وقواميس لمجالات مُعينة ويستخدمها الذكاء الاصطناعي وهو يوزع برنامج الترجمة الآلية، وينشئ تمثيلاً انتقالياً يحول برنامج التمثيل إلى لغة الهدف باستخدام القواعد النحوية والقواميس كمرجع بصورة نظامية تقانية، وعند ذلك تحصل الترجمة المبرمجة بأتمتة مضمنة في أداة الترجمة بمساعدة الحاسوب في تنفيذ المهام المتكررة المتعلقة بالترجمة، مع مشغلات ذات العلاقة على غرار: المدقق اللغوي + المحلل الصرفي + المحلل النحوي + المُشكّل الآلي... وهنا يمكن أن نقول بأنه سيأتي زمان تكون في الآلة بديلة للترجمة البشرية، بما نرى من ميزات الدردشة الفورية والترجمة السريعة لمختلف الوثائق وما تحمله صفحات الويب/Web من تطبيقات الهاتف المحمول، وما يقدمه من خدمة Amazon Translate من ترجمة لغوية سريعة وعالية الجودة.

6- التحدّيات التقنيّة في الترجمة الآلية: هو برنامج الاستثمار المطلوب من اللغويين والباحثة والمعلوماتيين والمختصين في مسألة التعريب بخصوص العربية في سوق اللغات، وما تعرفه من مضايقات في المحتوى الرقمي وفي توطين المصطلحات وتكييف البرمجيات الغربية، وفق المعايير والتوقعات الثقافية للجمهور المُستهدف. هي تقنيات تتطلب الاستعانة باللغات المختلفة ومجموعات أحرف أو خطوط مختلفة بالإضافة إلى ترجمة المحتوى

لمنصات وأجهزة مختلفة من منتوج اللغات الأوروبية بما لها من خصائص هندية أوروبية، والعربية حامية سامية، وهذا كله يحتاج إلى تكييف الذكاء الاصطناعي للوصول بالعربية إلى العالمية في عملية الترجمة، وإنشاء ثورة في الترجمة بمتوافقات اللغات التي قطعت أشواطاً في الترجمة الآلية وبكفاءة مُحسنة ودقة علمية خالية من الأخطاء مما يسمح لها بتكييفها مع اللغة العلمية/لغة التخصص.

- الخاتمة: هناك مجموعات كثيرات من التحديات والمضايقات التي تعرفها العربية في مجال الترجمة الآلية ولكن علينا أن ندرك بأنّ الذكاء الاصطناعي أحدث تحولاً جيداً في عملية الترجمة في كل اللغات الطبيعية وقدم كفاءة مُحسنة ودقة وفهماً للسياق المدعوم بأنظمة تشغيل سريان المحتوى الرقمي لكل اللغات بما لها من منطق، والعربية لها منطقها في فقه اللغة بخوارزمياتها في بناء نحوها الخاص، ويحتاج الآن إلى بناء نحوها العالمي بحمولة التدريب على ضخ البيانات وفق مجاري كلام العربية تماهياً مع اللغات الغربية في ربط الأنماط والارتباطات بين الكلمات والعبارات في اللغات المختلفة، بما يمكن من الترجمة الدقيقة من وإلى العربية. وكلّ هذا يكون عبر نماذج التعلم الآلي الذي نتعرف عليه الآلة عندما تبنى قواعدها المدرسية على صناعة مجموعات البيانات الخاصة بالمجالات وتعزيز ذلك بالمعالجة الآلية وفق فهم الحال والسياق وآليات الخطاب. ومن ثم تأتي المعالجات ذات العلاقة بالعاطفة وتحليل المشاعر ومستلزمات لغة الشعر بإنشاء مدونات ترجمات تُحافظ على التأثير العاطفي العام للنص الأصلي. وهذا له مجاله في الترجمات التوسيقية والإعلانية، حيث يعد نقل الجاذبية العاطفية الصحيحة أمراً بالغ الأهمية لإشراك الجماهير العالمية. ولا بدّ من الاجتهاد في هندسة العربية بالجمع بين تطور العربية في مبناها ومعناها وبين البرمجة اللغوية العصبية والخبرة البشرية لضمان الدقة اللغوية والثقافية للترجمات. وأختم قائلاً: نحن العرب بحاجة ماسة إلى استغلال الترجمة الآلية نظراً لما تعرفه العربية من رصيد مُمتدّ في الزمان والمكان، وما لها من مخطوطات تحتاج إلى تحقيق ورقنة وتحول رقمي، ولا يمكن ان يحصل ذلك بالترجمة الشخصية أبداً، بل لا بدّ من استغلال هذه التقانات من تحويل التصوير/البث الضوئي/PDF إلى WORD ومن ثمّ أعمال مجريات التحاليل المختلفة لسدّ الفجوات اللغوية.

وسينتصر طوفان الأقصى ♥

- الديباجة: إنها لمناسبة عظيمة أن يُقام هذا اللقاء دعماً للمقاومة الفلسطينية الباسلة، من جمعية الإرشاد والإصلاح الجزائرية، في مُنجز المسابقة الوطنية حول (شاعر طوفان الأقصى) إنها المقاومة باللسان والقلم وما يُدبجان، هي ثورة النخبة في الإسهام في طوفان الأقصى، عبر المشاركة في المقاومة الثقافية في الفضاء الكلاسي والإعلامي الذي أصبح القوة الخامسة. إنه القلم الرصاص الذي يعيش الانتقال والتحول بما له من سلاح اللوح والمداد والحماس وخطاب المنابر وثورة الشعر، ودفاع المحامين، وكلُّ يسبح في اختصاصه، ويؤدي دوره بخطابه، وإنها لثورة حتى النصر، وهكذا علمتنا الحياة أن الدنيا تؤخذ غلاباً:

وللحرية الحمرء باب * بكل يد مضرجة يدق

هي ثورة المقاومة الثقافية التي أعلنتموها أيها الشعراء ويا أيها المحاضرون، ويا أيها الجمع الكريم وأجدي معكم وأنا لست بشاعر ولا يأتيني سجع الكهان، وإنما أنطقني النخوة العربية وخدمة الشأن العام، أنطقني ممارسات عنيفة ضدّ شعب يُعاني الهوان. وجاءني شيطان الكلمات بما عندي من خطاب الحماسة؛ لما رأيته من وقع التقصير في نصرة المظلوم، وأنا لست مُصنفاً مع العموم، ومطلوب مني خدمة الشأن العام ورفع الهمة بالتمام، وإلا لا فائدة من شهادات عليا، والأمة في الدرك السفلى. وما دورنا نحن النخبة إذا لم نتصر لطوفان الأقصى؛ بما لنا من مقاومة مسلحة وقوية هي المقاومة الثقافية، هي جبهة الصمود بالأفكار هي جبهة الدفاع بالقلم، وعلينا ان نكون بما بصرنا به من شعر ونثر وخطاب ومُرافعات، ونصدق بها أمام العالم، ونقول لا للظلم، ونأخذ العالم الافتراضي وسيلة للتبليغ والتأثير، هي حرب إعلامية علينا التماهي فيها، وتوصيل الحقيقة إلى غيرنا الذين أصيبوا بعمى الإعلام الصهيوني، فوقعوا تحت التخدير.

إخواني، أنا هنا مثلكم مصدوم، ولكن كان علينا أن ننقل الحقيقة، وأنا لا أصدق أن أرى الصغار يذودون تلاميذ يحملون الحجارة ويرشقون، تلاميذ على أكتافهم محافظ يقرؤون، ويعلمون أن الحرية لا توهب إلا بدفع الغالي والتفيس، تلاميذ غرّة فيهم صفات الأنبياء والصّحابة والصّالحين، والقنابل خيط متّصل وهم صامدون، تلاميذ غرّة علمونا بعض ما عندنا، ولكن سكتنا أو نسينا، تلاميذ غرّة الذين قيل فيهم شعراً:

علمونا بأن نكون رجالاً * فلدنا الرجال صاروا عجينا
إننا الهاربون من خدمة الجيش * فهاتوا جبالكم واشنقونا
نحن موتى قد لزمنا بحورنا * وطلبنا منكم أن تقتاتوا التّينا
قد صغرنا أمامكم ألف قرن * وكبرتم خلال شهر قرونا
إن هذا العصر اليهودي وهم * سوف ينهار لو ملكنا اليقينا

♥ - الكلمة التي أُلقيت دعماً للمقاومة الفلسطينية، تنظيم جمعية الإرشاد والإصلاح الجزائرية، بمناسبة توزيع جائزة المسابقة الوطنية للشعر.

بتاريخ 18 ماي 2024م.

لا أُصدّق أن تنهزم القوّة العسكريّة الضاربة في الشرق الأوسط، ولكنّي صدّقتُ ضعفها وهي تُلاحق أطفال الحجارة، وتُسجن الصّبيان، لا أُصدّق أنّ الكيان هشّ، وأنا أسمع تلك الاختراقات من صواريخ صناعة الياسين، لا أُصدّق أنّ الصّهاينة جُبناء، وأنّ التاريخ يُدكّرنا بِجُبْنهم ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة التي كتب الله لكم ولا ترتدّوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾ المائدة 24. لا أُصدّق أنّ القوّة الحديديّة تحرقها الصّواريخ ولكنّي صدّقتُ لما رأيت دبابة ميركافا توقّفت عن العمل بضربة الياسين، كما تعطلت القوّة الحديديّة، وتعطلت آلة الشّركات الدّاعمة التي ندفع جزءاً لنهوضها باستهلاك متوجّها. ويا أيّها الحضور، من الأعماق تصدر الآهات، من شعب يُعاني المأساة، وكلّ دقيقة لا تفارقه الأصوات: هزيم وأنين وصرير وصيل وأزيز وجعجة وخفقان ودويّ وهفيف وطنطنة، أصواتٌ مرعبةٌ مخيفةٌ، ومع ذلك شعار هؤلاء الفتية "اطلب الموت توهّب لك الحياة" وعلى لسان شاعر المقاومة: منذ متى يخشى المنيّا مريدها:

فوا الله إنّ متنا وعشنا ولم تكن * على ما أردناها المنيّا نعيدها
ونستعرض الأعمار خيراً أمامنا * فلا نُعلي إلّا الذي نستزيدها
كتقليد فوزٍ من ثيابٍ كثيرة * قديم المنيّا عندنا وجديدها
إلى أن نرى موتاً يليق بمثلنا * ليستأمن موت الكرام خلودها

وصدّقتُ وصدّقتُ وصدّقتُ أنّ المقاومة ستنتصر، وأنّ الأرض تعود لأصحابها، وسنعود يوماً إلى حيّنا وفلسطين لا يرثها المارّون، وسيأتي من يكرّر القول: أيّها المارّون، اخرجوا من أرضنا، من فُحنا، من زيتنا، من زرعنا، من ملحنا، من مفردات الذاكرة. وكما صدقتُ وأنا أنقل مشاعر المواطن الفلسطيني الذي يعاني وحده، ويقول:

يا سائس الخيل قم للخيل وانحرها * ما حاجة الخيل والفرسان قد ماتوا

ولكن لا نعدم الخير، هناك حالات قسّاميّة كثيرات، بشاهد "إنّ عدتم عدنا، ونحن لا نكلّ" فهناك محاربون صامدون أعلنوها، وغزّة انتصرت لنفسها، وهي الانتصار ما دام في العالم العربي نبضٌ، وفيها حقوقيون يكبرون بحمل أمانة الدّفاع عن الحقّ، ووقف المجازر، رغم أنّ بعض المنظّمات التي ندفع أقساطاً من وجودها، ولم نر من مواقفها إلّا ما يخدم الكبار. فيتو/VITO ليس لنا، فيلّي أين المصير، أو لسنا بشراً؟ كيان جبّان مدّعم، مع أنّه مدين بـ 140 قراراً دون تطبيق، هذا قانون الغاب؛ يستدعي النظر في المؤسّسات الدّوليّة، وفي النظام العالمي، كيان لا يقبل إلّا بما يراه من تحقيق حلّهم "من الفرات إلى النيل حدودك يا إسرائيل" كيان رافض لحلّ الدّولتين، وهل يُمكن أن نعيش بالسّلام إذا كان طرفٌ متعلّباً على طرف؟ كيان ينتقم من الأولاد، ومن أهل البلد، ومع ذلك فالفلسطينيون يقولون: نفديك يا فلسطين، مَعْلِش كُلّه من أجل فلسطين، نفترش السّماء، ونلتحف المطر، مَعْلِش من أجل فلسطين. ويا له من قول، ويا له من مشهد نساء فلسطينيات يحلن أولادهن على الأكثاف إلى المقبرة، ويقلن "مُش خسارة بفلسطين" والعدو الصّهيوني لا يتقن إلّا ارتكاب المجازر، وشعارهم "دعونا من العواطف، نريد قتلى وقتلى، ومزيدياً من القتل".

ولهذا علينا الوعي بضرورة الانتصار للمقاومة، وثقافة المقاومة بكل أشكالها؛ فهؤلاء لا يفهمون إلا لغة الحديد، ولا يُفلّ الحديد إلا الحديد. هي المقاومة أيها الفلسطينيون، وأعلنها أيها المثلّم: نصر أو موت، وإنا قوم في الحالين ننتصر، أعلنها بقولك "إننا نقاوم من أجل الوطن الذي ليس لنا وطن غيره، أرضنا عرضنا منذ عهد الكنعانيين، ومن الفتوحات الإسلامية، هو وطننا، ندافع عنه بضرارة، أرضنا صوت الضمير الإنساني لا يزال ينبض من أجل عدالة القضية الفلسطينية". وهكذا نصرخ جميعاً ونقول: كفانا مجازر كفر قاسم، وصبرا وشتيلا، ودير ياسين، ودمار جنين، وهولوكست هذه الأيام غرّة العزة. هي المقاومة التي تستجلب الانتصار والفلسطيني مجاهد ما دام يقاوم الشر، هي غرّة الموت، ولكنها غرّة الانتصار بالحديد:

في غرّة لا تذكر لي العرباً * ولا الحمية للإسلام والغضبا
حلت بغرّة أهوال مروعة * فما رعيتم لها ديناً ولا نسباً
فكم رضيع بمستشفى ومدرسة * ومن عجوز لقوا الأهوال والكربا
تن غرّة والأوجاع مضية * ولا نصير لها عجماً ولا عرباً

والاستثناء موجود في جزائر الخير، جزائر الشهداء، جزائر جبر الخواطر، جزائر تجريم التطبيع، والتطبيع كسر في عمود الأمة، ومن يطّيع فهو عراب الصهاينة، والعراب بائع عرضه، ومن والى العدو فهو عدو والعدو لا شرف له، فهو أحنث لا يُعاشر. جزائر التأييد لمرحلة ما بعد سبع (7) أكتوبر لاستئناف حضارة الأمة وانبعاث جديد للإنسان من خلال قيم جديدة؛ يلبس فيها المواطن حرّيته، جزائر الدّفاع عن القدس ولا بدّ أن يعود لأصحابه، جزائر التضامن الوطني والعالمي غير مسبوق عبر القارات، والتّديد العالمي لمجازر الاحتلال والوعي العالمي بعدالة القضية الفلسطينية، واستمرار الفعاليات الشعبية للضغط على الحكومات لتقرير موقفها تجاه فلسطين. نعلنها دولياً كما قال الرئيس (عبد المجيد تبون) "لا بدّ من محاكمة قادة الكيان كمجرمي حرب أمام المحافل الدولية، والمحاكم الجنائية الدولية، وبرلمانات العالم... وعدم الاستهانة بالمقاومة مع قلة حيلتها في وسائل المواجهة، وتوحيد مكونات الوطن الفلسطيني ضمن المشروع الوطني الفلسطيني، وسقوط الهيمنة الإعلامية الغربية وتحيزها للصهاينة" إنها القوة والفعل، وعلينا أن نري أولادنا قوّة المقاومة، ونعلّمهم مجدّ يوم القادسية، ويوم اليمامة، وزغردات الخنساء؛ شاكرة ربّها على استشهاد أبنائها، وملاحم القادسية وحطّين. وكان علينا أن نعلّمهم كذلك أن اليهود طردوا من كلّ الدّول عبر التاريخ ويسجّل عليهم التاريخ أنهم طردوا ثمانية وثلاثين (38) طردة؛ فهم نازيون نجّر، لأنهم حيث حلّوا أعلنوا الخراب، ولهذا يطردون شرّ طردة، ومنهم يأتي الشر، وسيأتي شتاتهم التاسع والثلاثين (39) على يد المثلّمين قريباً، وبحجارة صغار غرّة الذين أصبحوا رجالاً قبل أوانهم، ولسان حالهم قبل أقوالهم (الحمد لله). هو الحمد الحامل لصوت النّار والبارود، هو نوع من رباط الثّغور بالمصطلح الديني، فلا يمكن أن يرضى المقاومون القعود مع الخوالب والقاعدين. غرّة تُناديكم، ألم تُحرّك فيكم تلك المشاهد كلمات وأمعنصماه، غرّة تُباد ويسقط الخوف ما دامت الأجيال قد تحرّرت من الوهن، وعلينا أن نتلمذ على هؤلاء التّماذج اللامعة في الشّجاعة والبطولة، ومع ذلك هناك آلام:

أطفال غزّة آلام مُبرّحة * تدمي القلوب وتُذكي الهمّ والوصبا

ولكن هناك حتميّة الهجرة العكسيّة قادمة؛ لتُبيّ المشروّع الصهيوني، وتضرب أهمّ أركان وجود هذا الكيان، هو هوس وخوف من الفلسطينيين، رغم التّضييق والتّحقير والإهانة لأصاحب الأرض الذين جعلوهم يعيشون غزلةً في بلدتهم بصُور طوله 770 كلم، وبـ 350 حاجرًا، وبخمس وعشرين (25) سجنًا كبيرًا... وكَم هو ظلم أن تكون فلسطينيًا، وكَم هو صعب أن تكون أبًا في فلسطين؛ وأنت ترى ابنك أشلاءً وتحمله إلى نعشه الأخير يضاء، والأصعب وما يُدمي الفؤاد أن تكون طفلًا؛ ولدت في غزّة، ولا مقام لك فيها، ومع ذلك لا نفقد الانتصار حين يظهر الأمل، هو الانتصار الذي نراه قريبًا، وسوف نقول ذات يوم قريب:

كلّ الحروف من الخريطة غادرت * لم تبقَ إلّا غزّة فهي الباقية

إنّها ثورة طوفان الأقصى تشهدها غزّة، واليوم تُعيدنا إلى تاريخنا المجيد، تاريخ العرب الأحرار والفُحول إلى معركة بطحاء (ذي قار)؛ حيث هزم العربُ القوّة العالميّة الثّانية آنذاك، قوّة الفرس، هي معركة النّجاح التي انتصرت الفئّة القليلة المؤمنة على الفئّة الكبيرة الطّاغيّة، وينصر الله من ينصره، هي معركة النّخوة والنّجدة والفروسيّة، ومثلها تلك الكلمة الآحاد بأنّ (هندًا بنت النّعمان) لا تُسلم لملك الفرس، فهي ليست ابنة (النّعمان بن مُنذر) بل ابنة العرب. لبّيك يا هند، ويا شرف العرب، وانهزم الفرسُ بتلك النّخوة العربيّة وانتصر العربُ بالإيمان والاتّحاد. إنّها مرحلة فارقة؛ إما أن نتصر، وإلّا ندخل في مَزبلة التّاريخ، وعلينا أن نفصح الذي ساعد الغريب حين نهب؛ والذي لم يُقل شيئًا للعدو حين اغتصب، والذي سُمّ القضايا فُهرّب، والذي طبل وتهجد وتعلّم الخضوع وما ندب. وسوف نتصر، مع كلّ البساطة والوسائل التّقليديّة؛ فإنّ المقاومة في غزّة أبهرت العالم بالوقوف أمام التّرسانة الحديديّة، في تفجير من مسافة صفر، وإصابة الدّبابة في المقتل بصواريخ تحرق دبابة نمر/أميركاته، هي شجاعة المقاومة، ومن أين لها بهذه الخطّة، هم شباب المقاومة وثورة الطّوفان الذين سوف ينتصرون، وشعارهم:

سبيلنا النّصر مهما طال موعده * وزادنا البذلُ مهما عَزَّ أو عَظُمَا

هي كلمات أقولها بهذه المناسبة أمام الشّعراء الذين يحملون كلمات التّأثير، ولهم شعرُ الخميرة والتّدوير بما يستطيعون من التّغيير، وحملِ الأُمّة على الثّوير، ولا بدّ أن نتصر، وأنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون. فيا أيّها الشّعراء لكم الكلمة الرّصاصة فأطلقوها تصيب الهدف، وما أحوجنا إلى مقاومة النّون والقلم وما يسطرون، في ما يُعلي من مقامنا الممنون. وأسكت عن الكلام المُباح، وأترك المنبر للشّعراء الملاح، وما يشعرون به من لغة الفِصاح.

طُوفانُ الأقصى؛ صَحْوَةُ الأُمَّةِ ♥

أيّها الجُمع الكريم، لا أجد الكلمات المناسبة التي لها المقام العالي في هذا اليوم الذي تجمّعنا فيه كلمة الحقّ (طوفان الأقصى؛ صَحْوَةُ الأُمَّةِ) مع المناسبة التي نظّمها (التّضامن الوطني الطّلاب) فرع بومرداس بمعية بيت الشّعَر الجزائريّ. وإنّها لمناسبة وطنية كبيرة تحتاج إلى تثمين. الشّعَر سلاح المقاومة، وهو باب من أبواب الانتصار الذي تصنعه الكلمة الخميرة التي تفعل فعلها في التّأثير، وتوجيه الرّأي العامّ، وفي إيقاظ الهمم بصناعة النّون والقلم وما يسطرون. وإنّ من الشّعَر لحكمة، وكذلك إنّ من الشّعَر ليقظة ووخز الضّمير، ويأتي كلّ هذا على جناح الكلمة الحماسيّة الملهبة المتوقّدة التي تزرع الهمّة، وترفع الغمّة، وتثير درب المقاومة والمُرابطة والمُناصرة، وكلّ أشكال المُواجهة. هو المنجز الاستراتيجيّ لصالح القضية الفلسطينيّة رغم الحجم الكبير للدّعاية الإعلاميّة للكيان والغرب. وعلى إخواننا الفلسطينيّين أن يُواجهوا العدو مُعتصمين بالله ورسوله، صامدين في وحشيته، مُؤمنين بطوفان الأقصى ضدّ كيان مُتعتّش للدّماء، ضدّ رُهاب صهيونيّ يستهدف المُرَضَى والعجزة والمدنّين، ويفتخر بعدد الضّحايا، وسقوط المباني والمساجد. وكان علينا أيّها الإخوان تحقيق انتصار الحقّ الوجداني في أرض الرّباط الإيماني، وهذا ما يتطلّبه الوضع الحالي، وعلى كلّ حرّ وشريف ضرورة تجسيد حراك شعبيّ مُستمرّ؛ لتحقيق مزيد من الإنجازات من (طوفان الأقصى) وتأسيس جبهة المقاومة للتّصدّي وبناء جبهات داخلية... حتى التّحرير الكامل لكلّ فلسطين وعاصمتها القدس الشّريف. وما على الشّعوب الحيّة إلّا إبقاء الضّمير حيّاً في نفوس الجماهير، وبخاصّة الشّعوب العربيّة والإسلاميّة، وكان من واجبها نصرة الحقّ ولا مكان للحياد مع الحقّ، وكذلك للتّدليل على صدق تضامنها، ووقوفها مع الشعب الفلسطينيّ وإنّ الحقّ منصور بدين الله، وأهلّه ظاهرون بعون الله، ولو بعد حين؛ تصديقاً لقوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ الصّف 8. وكذلك قوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحجّ 39.

أيّها الحضور، علينا أن نصنع من هذا التّجمّع جبهة المُساعدة بالنّطق بالحقّ، وهذا ممكّن للدّفاع عن الحقّ بحُسن إدارة الصّراع، ونقول: لا للتّهجير القسري، ولا للهِوَت العمدي، لا للهِمْرَقَة الصّهيونيّة، فلسطين لا تُباع، فلسطين ليست حقبة يحملها المُسافر حيث يشاء، ومن يحملها لا يسافر، فلسطين المُعشوقة والعاشق لا يغادر الحبيبة. ويا أيّها العرب إنّنا نعيش وعي وخرّ الأنا بصحو الضّمير؛ نحتاج إلى وعي عربيّ ناطقٍ لكسر قوّة القبة الحديديّة أمام إنزال صواريخ كلّ يوم، نحتاج إلى حشد القوى الحيّة، وإلى المُساعدات المعنويّة والماديّة تجاه إخواننا المُحاصرين والمُقتنلين في غرّة الجهاد، والتّذكير بمَقولات بروتوكولات إمبراطوريّة حكماء صهيون (من الفُرات إلى النيل؛ حدودك يا إسرائيل) نحتاج إلى الاعتبار فإذا كسبت القضية الفلسطينيّة منذ

♥- الكلمة التي أُلقيت في التّجمّع الذي نظّمه (التّضامن الوطني الطّلابي) فرع بومرداس، بمناسبة اليوم الوطني للطّالب بتاريخ 19 ماي 2024م، كُلية الآداب والعلوم الإنسانيّة ببودواو، ولاية بومرداس.

خمسة وسبعين (75) سنة من التراوح والانهزامات. ولقد أكسبتنا النكبة المصحوبة بالتنازلات، مساحات متتالية تذهب لصالح الكيان، بقيت جزر مقطوعة ومحاطة بالكيان، ويعزلها حائط الفصل العنصري المهان، هي جزر مقطوعة بحسبان، وبشهادة مرور يعطيها الكيان.

أيها الحضور، علينا أن نعتبر بأن فلسطين سقوها أحلاماً بقيعة، وأطعموها سخيْف القول، فلم تهتدِ إلى مَنْ يُهدِيها زنبقةً برائحة ترابها، فضَعِفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوبُ، ضَعُفَتِ العزيمةُ العربيَّةُ، تَمَزَّقَتِ القلوبُ فلا قلوبَ واعرِباه أين أنتم من نُصرة المَظْلُوم... هي مَوَاجِع في فَوَاجِع، وسقط العدل مع المدافع، واصفَرَّ غصنُ الزيتون وطارَ حمامُ السَّلام، وهو لا يعيش مع مَنْ لا أمان، وانبرت الحكمة تقول "لا يُفَلِّ الحسامُ إلاَّ الحسامَ" ويستمرَّ الطوفان. وعلى أرضنا سالت دماء زكية، نَحْذُوا العبرة من أرض الشهداء، خُذُوا من الرجال أعمالهم، ومن الأماكن شهدائهم، سلُّوا جبل شيليا وجرجرة والأطلس والهوگار، أماكن تُزْغَرِدُ للموت وتقول: اطلبوا الموت توهب لكم الحياة، ومرحباً بها في عزٍّ وكرم. وعلينا أن نعلم بأن خُسران المعركة ليس خُسران الحرب، وأنَّ السَّقُوط يتلوهُ النهوض، ونحن ندري بأنَّ الابتلاء درسٌ للاعتبار، وعلينا أن نتعظَّ بأنَّ الكيان مُحْتَلٌّ ليس له ضمير، ونتعظَّ من حَكَمِ أجدادنا (أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلِ الثَّورُ الْأَبْيَضُ) وكلَّنا ينتظر الدور فعلى مَنْ يأتي الدور إذا سقطت المقاومة في غزّة؟ ولهذا، علينا التَّهْلِيلُ بصُحُو الضَّمِير، وإنَّ الفضل في هذا يعود إلى المُقاومين الذين أعلَّوْا ضميرنا، وأعلنوها:

صوتُ القذائفِ في الأعداءِ أطربنا * إنَّ العدوَّ بثوبِ الذِّلِّ قد بانَا

لا ترفعوا عن عدوِّ الله كلَّكم * حتى يعودَ بعونِ الله خُسرانا

من لم يزدْ بسلاحِ البطشِ ظالمه * يضحى أسيراً بيدِ العارِ حيرانَا

أيها الجمع الكريم، ألم يحن الوقتُ لصُحوة عربيَّة إسلاميَّة لكسر الخوف، ويبدو لي بأنَّ الوقتَ قد حانَ لمَعْرِفة المعنى الحقيقي للكرامة؛ كرامة حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وهي من مقاصد الشريعة الإسلاميَّة، حانَ الوقتُ لصُحُو ضميرنا، ونحن نرى أطفال ونساء تُحْرَقُ في مَشْفَى المَعمَداني، حانَ الوقتُ لمَعْرِفة بأنَّها البداية الحقيقيَّة للنَّصر، ونحتاج فقط إلى الصَّبر والمُصابرة والمُرابطة والاستمرارية. نحتاج إلى التَّجْنيد والأمل، ولا نريد العيش وراء الانتكاسات. كفانا التَّيئيس في المعنى وفي المبنى، وانتصارنا في التَّصدِّي وسيأتي الرِّجال الرُّشيدون على غرار الذين يُقال لهم:

تُقَادُ لك الأبطالُ قبل لقاءهم * لأنَّهم من نَقَعَ جيشُك قد عمَّوا

ويا أيها الحضور، كلَّنا مَعْنِيون بالأمر، كلَّنا نرى شعب فلسطين في القتل والتَّهجير، هي مأساة عظيمة أفلا تجد مَنْ يرفض هذا، أين النخبة العربيَّة الغيورة، وكان علينا أن نستلَّ يراعنا في هذا الوقت بالتركيز على ما قتله ودمَّره هذا الكيان الغاصب، وماذا فعل بشعبنا من تشريد، ونعلم بأنَّ كتاباتنا وخطبنا سوف تأتي بنتيجة حالاً أو آجلاً، وهو دور النخبة التي تُشَدُّ أزر المقاومة بفكرها، ولا نفقد الأمل بأنه سوف ينتهي الوضع المأساوي بما لك من تجنيد، وأنتم أيها الشعراء لكم الحسام واليراع والتَّوجيه، فلا تتوقفوا عن الكتابة في المعاناة الفلسطينية

المُستَمِرّة؛ واعلموا بأنّ إدارة الصّراع في غزة تحتاج إلى ضمائر تُراعي الواقع، وتُحسّن اختيار حلفائها، نحتاج اليوم فعلاً كلام المُثقفين والنّخبة العربيّة والشّعراء؛ لكسر صمّت المُثقفين المُحايدين ولا مجال للمُحايدين أمام وضوح الحقّ ولا نحتاج إلى مُثقفين (بين بين) نحتاج إلى عقد ندوات لزيادة وعي جماهيرنا العربيّة، وتحت شعارات حماسيّة ووطنيّة، نحتاج إلى شعر وشعراء ينافخون ويشعرون ويصدقون بالحقّ، وزيدونا شعراً زيدونا. وإنّه لمن المُحزن أن نسكّت عن تلك المآسي، والألم يُعصر القلوب، والدموع تهطل من المآقي من مشهد أطفالنا وبناتنا في غزة، ونرى مشفى المَعمداني يعيش مُحرقّة الصّهاينة والصّغار يرمون بالنّار، ونحن نتحدّث عن السّلام في مَسرى السّلام، والكيان لا يريد السّلام. واعلموا أنّ القلم النّزيه سوف ينتصر على الرّصاص، كما تنتصر الصّدور العاريّة أمام آلة الإرهاب الصّهيوني، ولا بدّ من إنزال المُظاهرات بهبات شعبيّة كبيرة، كما تحرّك العالم كلّهُ مُردداً (مَعَكُمْ يا فِلَسطين) ويتحرّك الضّمير الإنسانيّ، وتشهد البشريّة صحوةً في الإرادة الحرّة، هي صحوة تجاه القضايا العادلة، وقضيّة فلسطين احتلال تعسّفي غاشم لا حدود له إلّا استئصال شأفته بالتّضاد.

وأختم كلامي الذي ينثال دون توقّف، ومع ذلك أكتفي في هذا المقام بما سمعتم، ولا أنسى تذكيركم بما تعلّمناه في مدارسنا، وسمّعناه من مُدرّسينا، وردّدناه في قنواتنا "إنّ البيت لنا، والقدس لنا، وكانت تُسمّى فلسطين، وتبقى فلسطين، وفلسطين لا تُباع". ليس هذا من عَذب القصيد، وأعرف أنّ الحزن مُديد، ولكنّ سلاح المقاومة عنيد، وتحرير فلسطين مُمكن عتيد، رُغم الألم الشّديد، هو كلامٌ من فيض المُريد، وإلى متى نُسوّق مقولةً (سوف نعود) "يا قدس يا مدينة الأحرار، يا دُمعة كبيرة تجول في الأجفان، من يوقِف العدوان يا بلدي، من يُنقذ القرآن، من يُنقذ الإنسان، يا قدس يا عروبة العرب والإسلام، يا بلد السّلام، متى تضحك العيون، متى يزهر الزّيتون، متى يرجع الأطفال يضحكون؟؟؟" والجواب لكم أيّها الجمهور، بما تشدّون به جبر المحقّور، وأعنيكم أنتم أيّها الحضور.

ترجمة أدب الطفل وبرامجه؛ بين التنوع الثقافي والغزو الثقافي*

- الديباجة: إننا نُحيي اليوم العالمي للتنوع الثقافي، وهي المناسبة الدولية التي تدخل في الفعاليات العلمية التي يُنجزها المجلس الأعلى للغة العربية بما تنصّ عليه مهامه "العمل على ازدهار اللغة العربية". وإذا نُحيي هذه المناسبة بنشر ثقافة الإقرار بالتنوع اللغوي، وهو مكسب للعربية في انفتاحها على تعددية لغوية مُضيفة؛ تُبنى من المدرسة في معناها التداولي، وفي ذات الوقت هو تنوع ثقافي يُعبّر عن مجموعة من المعتقدات والسلوكيات التي يستهدف الاعتراف بكلّ الأطياف البشرية المتنوعة ضمن مُجتمع مُتوازن مع التقدير بوجود الاختلافات الاجتماعية والثقافية، وله فوائد في احترام اللغات، ومنهجها الثقافي، وفي قيمة الاحتكاك والإلهام الثقافي وتحفيز الأفكار. وإنها مناسبة تلاحق المنهجيات من عديد اللغات، وخلق التنافسية بين الأطراف، ورفع الإنتاجية، وتحسين الأداء في مختلف القضايا المشتركة المؤدية إلى تقديم الأفضل من خيارات اللغات والثقافات والعادات، وما تحويه المعارف من فنون وموسيقى ونمط مُشترك وفي خصائص مُتعلقة بجماعة مُعيّنة، والأحرى أن يقع احترامها في ثقافة الارتباط بقبول الآخر، والعيش معاً بسلام. إنها ثقافة تُبنى من القاعدة، ولا يمكن أن نفي الموضوع حقه إلا بالحديث عن أهمية أدب الطفل في مرحلة القاعدة الذي يُعلم في مسار البرامج الدراسية، وعبر دور القراءة التوجيهية للسلاسل القصصية والحكايات الشعبية، وقصص الخيال والقصص المترجمة؛ ليعيش الطفل في الحمام اللغوي المُفتّح على أدب الطفل المُترجم، وغير المُترجم منذ الصغر؛ لأنّ الطفل مُتلقٍ ناجح يحب الحركة والديناميكية والعجائبية حسب الأبحاث والدراسات التي تشير إلى صعوبة سكون حركة الأطفال.

1- ترجمة أدب الطفل: قبل الحديث عن ترجمة أدب الطفل، يجدر بنا تقديم وجيز لهذا الأدب على أنّه تلك النصوص المكتوبة/الرسم التوضيحية/الحكايات الخيالية/أفلام الكرتون/الكتب المصورة/التهويدات/الخرافات/الروايات/الأغاني الشعبية/المغازي/الأسفار/القصص/الأخبار/الألغاز/الشعر/الهزل/كاريكاتور/المسرح/الدراما/الكوميديا... الموجهة للأطفال عامة. ودون تفصيل دقيق نرى أنّ هذا الأدب يحمل مضامين أطفال ومُراهقين مشحونة لتغذية تفكيرهم، وتقوية الخيال والإبداع والحوار والتفكير الناقد. ويعمل على ترشيد حاجاتهم بما يربطهم بترائهم وأصالتهم، وما يؤسّس لرؤاهم المستقبلية بالتعليم والتثقيف والتسلية وتنمية المشاعر الوطنية الصادقة؛ بغية تحقيق التوازن النفسي والفكري للأطفال في مراحل نموهم ونضجهم؛ ليوافقوا طبيعة الحياة وما تفرضه عليهم بيئتهم وعالمهم. وهكذا يكتسب أدب الطفل أهميته من المدرسة ومن الإشباع اللغوي والثقافي للحمولة اللسانية التي تسمو عقلية بتلك الكتابات ذات العلاقة بمختلف الفئات العمرية التي تحتاج إلى مُتخصّصين في أدب الطفل بكلّ مُتعلقاته من شعر وقصص ومجلات وجرائد حائطية وأغاني. هذا من جهة

♥- المحاضرة التي أُعدّت للملتقى الوطني حول (ترجمة أدب وبرايمج الطفل بين التنوع الثقافي والغزو الثقافي) تنظم المجلس الأعلى للغة العربية، بمناسبة اليوم العالمي للتنوع الثقافي، فندق الأولمبيك / L'olompic بتاريخ 21 ماي 2024م.

ومن جهة ثانية انتقاء أدب الطفل من خلال المتون التي تُنمّي الأدب المكتوب والشفوي، ويكون مضمونه من محتوى زرع الأخلاق والقيم والجوانب الدينية والأعراف ومختلف التوجيهات والتوصيات التي تأتي عن طريق الوعظ والوعي بتحريك التطور اللغوي عند الطفل، وعلاقته بمراحل التطور والنمو، وبمقتضى المضمون الملائم لمدارك وقدرات الطفل العقلية والعاطفية واللغوية والخيالية.

ومن هنا يمكن القول إنّ أدب الأطفال يُشكل ظاهرة مركبة من المقومات الفنية التي يجب أن تُراعى في كلّ مرحلة من مراحل التطور بما يناسب الحديث عن الطفولة من خلال النصوص التعليمية والتربوية للأطفال؛ وهم رجال الغد يحتاجون إلى صناعة أدبهم بما سيكون من خلال المعلومات اللازمة داخل ثقافتهم، وفي صفحتهم البيضاء الفارغة، وبما تُعبأ من خلال أدب المدرسة الواقعي أو الخيالي، وكذلك المعلم القدوة، والنصوص الجاذبة العاملة على حب القراءة، وشغف المغامرة. ولا يتحقق ذلك إلاّ عندما يكون التعليم مرحاً وأكثر انسجاماً مع خيال الطفل؛ وهو يندفع إلى مغامرات وما له علاقة بالعفاريات والخيال والعيش في العجائبية والأدغال وعالم الفضاء، وتلك النصوص المترجمة على غرار مغامرات (هاري پوتر/ Harry Potter والطفل الملعون).

2- **ترجمات أدب الطفل نالت الصدى:** لقد درسنا في المدرسة الجزائرية وبكتاب مدرسي، وبتوجيه من معلّميننا إلى قراءة تلك القصص المترجمة ففيها الجمال واليسر وحسن اللغة، على أنّها نصيرة للغة الأمّ على غرار: كليلة ودمنة+ ألف ليلة وليلة+ السمك الوحش+ بيضاء الثلج+ أليس في بلاد العجائب+ البطّة القبيحة+ العجوز الماكرة+ أمقيدش+ الأرنب الكسول+ أرسين لوپين+ الديك والثعلب+ الدجاجة الصغيرة الحمراء+ روبنسون كروزو+ ميكي+ علاء الدين+ خرافات لا فونتين+ خرافات إيسوب اليوناني+ الساحرة الشريرة+ فرخ البط القبيح+ الأميرة وحبّة الفاصولياء... ووجدنا أنّ أغلب تلك الإبداعات المترجمة كانت ذكية في توصيل الأفكار بالتلخيص والبساطة، وإضفاء التشويق والفرجة؛ بما سلكته من طريقة الرواية على السنة الحيوانات أو الطيور، كما تميّزت باستهداف سيكولوجية الطفل كيّان مستقلّ، يحتاج إلى دفعة قوية سواء ما تعلّق منه بالإبداع الأدبيّ أم الإخراج الفنيّ أم التجسيد الدرامي للنصوص، فكانت هذه النصوص العالية/أدب الطفل ذات أثر في قلوبنا، وكسبت ودّ كثرة قراءتها وروايتها لأمثالنا والترويج لها والإقبال على شرائها. وحقاً كانت لا تقلّ أهمية عن أدب الكبار، بل قد تفوقه لما لهذه الفئة العمرية من خيال مُتجدّد يحتاج فقط إلى ترشيد. إنّ أدب الطفل؛ وهو تركيب فنيّ لنماذج أدبية مختلفة وفقاً للمعاني والمقاصد والدلالات الخاصة التي يقتضيها المرسل إليه بأسلوب جميل وشيق وجاذب على أنّه من الفنون الجميلة التي تمنح الصورة الجميلة للحياة، وتثير أفكار الحركة واللغة الدافعية، كما أنّ المضمون ساعد على التربية الخلقية والثقافية وتربّي فينا المثل الأعلى والقيم وكل أساليب التعاون واحترام الآخر مهما كان. وهذه هي الأهمية التي يكتسبها هذا الأدب؛ وبخاصّة المترجم الذي يحتاج إلى تحقيق الذاتية والدافعية والتكليف وفق الأحداث ومتطلبات التوجيهات التي تنتظرها المدرسة من ملّح المتخرج منها.

وبات من الضروريّ الآن في وضع خريطة جديدة تناسب المستجدات، وتعمل على تلبية احتياجات الطفل بما يتلاءم ومُستوياته الدّراسيّة ومحيطه العامّ من خلال أعمال فنيّة جديدة مناسبة لمعطى الآلات التي يتعامل بها يومياً، من هاتف ولويحة وفيسبوك وتويتر وأنستغرام وتلغرام، والجديد قادم، وكلّ ذلك يحتاج إلى توجيه حسب الأرضيّة المعرفيّة لهذا الجيل بما يجعله يُسهم في بناء الأفكار والمشاعر ويحقّق المحافظة على الخصوصية ومسايرة الأحداث العولميّة. ولهذا، نرى هذا الأدب يمتاز بخصائص لا توجد في الأدب العادي باعتباره يحمل رسالة تكوين الصّغار الذين يصبحون كباراً، وعلى عاتقهم أمانة الجيل القادم. هي خصائص يُمكن تحديدها في الابتعاد عن الخرافة والانحراف والتّيهان الدّيني، وضرورة السّير مع تعاليم الدّين الإسلامي وحمل رسالة العلم وتحبيب التّشارك والتّعاون والتّربيّة السّليمة والصفّات الحميدة، ومُعاني الخير، والابتعاد عن التّرهيب والتّخويف، وكلّ ما يحلّل الشّحناء والبغضاء، والسّعي والتّكرار لغرس مبادئ اكتساب المهارات...

وهذه المسائل لا يُمكن الإفتاء فيها، فلها رجالها المُختصّون؛ فهم أحقّ بالإفتاء في صنع موضوعات أدب الطفل من قصّة ورواية وأقصوصة وقصص خيال وخرافة وأساطير وقصص دينيّة وشعبية وفكاهيّة ومغامرات وتوعيّة وواقعيّة وتوجيه... وهم يعرفون مُتطلّبات الفئّة، والذي يبدأ من جماليات اللّغة الرّصينة من السّهل الممتنع وتحقيق الدّقة والبساطة والقوّة والجمال في المعاني اللّغويّة التي توقظ المشاعر وتثير المثيرات التي تُسهم في تحرير الوعي لدى الطفل، وتُثني فيه الجمال دون تكلف أو ما يثير أيّ عناء. هو أدب الطفل الذي يدخل في الاحتراز الذي لا يزيغ به الحال إلى أفكار خارج السّرب، وهي احتياطات نروم أن تزرعها المدرسة من خلال القيم التي تُسهم في تعزيز القدرات الدّاخليّة للطفل؛ حيث أدب الطفل لا يقتصر دوره على بناء الأساس المعرفيّ فحسب، بل يمتدّ ليحقّق الإبداع والإسهام في التّربيّة الخلقية والدينيّة والاندماج في المُجتمع بأريحيّة، والتّفاعل معه بصورة إيجابيّة. ومع كلّ ما يُمكن أن نقوله في صناعة المُحتوى الأخلاقيّ لمُدونات أدب الطفل، فإنّ الحداثة والمعاصرة غيرت الموازين في الانجذاب وتلاشي الخصوصية وما يجعل التعدّد اللّغويّ أحياناً ليس في صالح المواطن اللّغويّة، وأنّ التعدّد الثقافيّ أحياناً فتنة، وأنّ التّراث انتكاسة وافتقار للقوّة اللّغويّة/للغلبة اللّغويّة، وكلّ ذلك يدخل في صميم الصّراع الذي يراه الطفل في الواقع مع وسائل التّواصل الاجتماعيّ في كلّ دقيقة، وما يسمعه أو يقرأه عن الضّرورات التي يركّز عليها المُعلّم... هي طوابع سلبية في واقعنا، وطوابع إيجابيّة عند الطفل، أو تحرّر من القيود الأبويّة ذات الطّابع القهريّ في التّطور الاجتماعيّ. فما العمل والطفل بين أدب التّنوع الثقافيّ والغزو الثقافيّ؟ وما هي مُقتضياتنا ونحن مُلزمون بالانفتاح على العالميّة والدّخول في العولمة؟

3- أدب الطفل بين التّنوع الثقافيّ والغزو الثقافيّ: إنّ أدب الأطفال قد يُسهم في تحفيز الطفل في دراسة التّراث والاطلاع على الثّقافات، واختيار المادة المُلائمة للقراءة، وهو مُخيّر في الكتب التي يعود إليها لكثرة العرض، كما أنّ المدرسة لا يُمكن أن توجّه وجهه قرائيّة حسب البراج، إلّا من خلال مقاعد الدّراسة التي تكون مُوجّهة بقرارات أخلاقيّة، ومع كلّ ما يُمكن الاحتياط له هناك الخروج من دائرة المدرسة والأسرة

والعيش ضمن عدم التّوازي بين القوى والمؤثّرات خارج الزّمان والمكان، من معطى المحيط العامّ "... يخرج الفرد من دائرة الأسرة، إلى دائرة ثقافيّة عالميّة، تُسهم في تشكيل وعيه وبناء شخصيته، وهنا تتجلّى قضية التّنشئة والتي تضع الفرد أمام مؤثّرات عديدة قد يجد نفسه مُشتتاً أمامها إذا لم يضع لنفسه آليات تكيّف تُمكنه من أن يُحقّق قدرًا من التّوازن بين القوى والمؤثّرات المتناقضة، ويكون قادرًا على أن يتقبّل الثقافات الأخرى، مع المحافظة على هويته الشخصيّة والثقافيّة، وهو أمر يُجبر كاتب الأطفال على التّعامل مع قضية الإبداع بطريقة أكثر جديّة، وأكثر تطوّرًا، بحيث يقدّم إبداعًا قادرًا على التّعامل مع كلّ هذه المتغيّرات في إطار عامّ يمكنه الإسهام بقدر في تنشئة الطّفل وبناء شخصيته".

هو تنوّع لغويّ ثقافيّ، وانبهار بأدوات التّكنولوجيا التي لها جوانب عديدة في التأثير على الأطفال؛ فهي أحيانًا تقتل الخيال والإبداع، وتغمط دور القراءة وتستهن بالخيال الذي يبقى جامدًا يؤدّي إلى البلادة. إنّه ندب الحاضر في أدب الأطفال الذي لا يُحقّق التّرفيه والإثارة التي تستمدّ روعتها من عالم الصّغار بما فيه من براءة وروعة وصدق، فأين التّوافق بين التّنوع المطلوب والغزو المدموم الذي لا يتيح وحدة فكر الطّفل في أفكاره، وأين أدب التّعرف على الخصوصيات، وأين دور الأفلام المذبذبة الموجهة للأطفال التي تعوّض الصّوت الأصلي في اللّغة الأصل وتنقله إلى لغة الهدف، وأين تلك التّرجمة التي تنقل المتن بمقتضيات مكيفّة وفق دفع الطّفل إلى المتابعة والتّفاعل، وزرع مُتضمنات القيم والأخلاق، وكلّ هذا يحتاج إلى مَنْ يحقّق الشروط التي يعمل بها وفيها المختصّ اللّيب، ويعمل على تحقيقها في عمليات تحديث النّص باستقبال القارئ للنّص؛ أي الأخذ بعين القارئ أكثر من الكاتب.

تلكم هي الاجتهادات في ترجمة هذا الأدب الذي له خصوصيات شفوويّة لا توجد في الأدب العاديّ، ولا يكون ذلك مُحققًا إلّا بلغة مبنية على لغة الإيماءات وتعابير الوجه، ومقتضيات في السّترجة والنّسخ المتعدّدة ومُتطلّبات التّرجمة السّميّة البصريّة. إنّها تحدّيات الحاضر تقع على المُختصّين في تجسيد التّوافق بين الجمع التّنوع وتحقيق أثر توجيه هذا التّنوع في نقل النّصوص من لغة لأخرى بحسب مُتلازمات هذا الأدب في الدّبلجة أو في التّرجمة الحرفيّة أو في التّصرف أو في الأيقونة الكليّة أو في الجنيريك أو الحوار الدّاخل أو في الأناشيد والأغاني أو في المسرحيات وفي الكّابة في المجلات الهزليّة... وكلّ ما يمكن أن يستهدفه المترجم من آليات تحقيق النّص في لغته الأصل؛ بحيث يحقّق التّوازن والتّأثير لما أُعدّ له بما يحمله من مؤثّرات وتحدّيات، والأخذ في الاعتبار أنّه موجه للطّفل الذي نحن بحاجة إلى صناعته وفق خصوصيات المُجتمع وقيمه، مُنطلقًا مثلاً من سلسلة هاري پوتر للكاتبة جوان رولينج (Rowling Joanne Rowling) باستهداف المتعة والمغامرة والبساطة، وتحقيق المثل في الحياة والمعرفة العلميّة والثقافيّة الرّبيّة والقائمة على الحكمة المنتظرة أو الصّور النّاطقة المُعبّرة عن متن العمل الأدبيّ. تلكم هي أبعاد تحقيق أهداف ترجمة أدب الأطفال في التّزامن بين الصّوت والصّورة والتّغريب والتّوطين لمجموعة عناصر أدب الأطفال التي تقوم على ثقافة هذا الأدب، وفي أصله أن تقع ترجمة أمثال هذه الكتب من أجل إثراء أدب الأطفال في اللّغة الهدف بحرفيّة وبتصرّف

وكذلك من أجل تعريف الأطفال بالثقافات الأجنبية. وهنا يحصل أحياناً أن الهدف لا يتحقق من قبل المترجمين أو الناشرين للاحتجاج بأن القراء الأطفال لا يستوعبون، وأن عمليات الترجمة لم تحقق الهدف ويضيع حق العاملين في هذا الأدب، وأحياناً لا تتحقق عمليات التأثير في التفتح على التنوع، أو يتحقق هدف التوجيه للأسوأ، وهنا الفشل الكبير في ضعف الترجمة، أو في سوء التوجيه نحو المضار، بسبب الغزو الثقافي الذي حقق التوجيه نحو التعمية والابتعاد عن البناء الأخلاقي في لغة الهدف.

4- مفهوم الغزو الثقافي/Cultural Invasion: يشير إلى تلك الممارسات التي "يقوم بها مجتمع مُهيمن سياسياً أو اقتصادياً لفرض جوانب مختلفة من ثقافته الخاصة على مجتمع آخر غير مُهيمن؛ مثل العادات والتقاليد، والدين، واللغة، والأعراف الاجتماعية والأخلاقية، والجوانب الأخرى للأنظمة الاقتصادية والسياسية التي تُشكل المجتمع المُهيمن" وهو أحد الأشكال التسلطية على الشعوب الضعيفة باستخدام القوة أو استبدال جوانب ثقافة المجتمع غير المُهيمن بسلطة القانون أو اللغة، وهو أحد أدوات الاستعمار الجديد المدعوم أحياناً بالقوة الناعمة الخفيفة التي تقل عن القوة الصلدة، وفي نظر بعض النخبة هي ضرورة ومطلوبة بغية اللحاق والتطوير في الذات الوطنية. وما لا ندركه أن الغزو الثقافي أسوأ من الاستعمار الاقتصادي الذي يأخذ الثروة، ولا يأخذ الأبواب، بينما الغزو الثقافي يجعل الفرد تابعاً له وخادماً أبد الدهر وينقل ذلك إلى سلسلة الأُحفاد بالتوريث، وتُملى عليك شروط من خلال الاتفاقيات الثقافية، وتصبح طرفاً في الأخطبوط الذي يشل كل مظاهر الإبداع خارج الاتفاقيات على غرار اتفاقيات الفرنكفونية/La Francophonie، كما أن الغزو الثقافي يبقى للهدى الطويل بجوانبه السلبية، رغم ما يلتف بها من الجوانب الثقافية باسم العالمية وتحسين منظومة التربية، ونشر الرعاية الصحية، وتقديم بعض الخدمات في التجارة والتسويق، إلا أن ذلك عبارة عن كرة حديدية مغلقة بالقفاز، فالمغزو ليس له مناعة، والغازي لا ينسى عدوانه، ويبقى قائماً في الأفكار والتجارة والأفلام والموسيقى والملابس...

وهنا يجب الحذر من التداخل بين التنوع الثقافي وهو مطلوب، وبين الغزو الثقافي وهو مرفوض، ولا بد أن يكون أدب الطفل المترجم في هذا المجال متوازناً بين الاستفادة من الآخر في لغته، والاحتفاظ بلغتي في إطار الندية، وعدم الترويج لكل أدب يعمل على الاستلاب الثقافي بدعوى العالمية أو العولمة أو بالتهديد الثقافي من خلال الغزو الثقافي وهو خطير جداً يفقدك سلامة لغتك وثقافتك، ويعطل أسلوب التنمية ويتركك تابعاً إمعة لا مجال لتفكيرك إلا في ما يُملى عليك وكفى. إنها الثقافة الغازية التي نحتاج إلى مترجمين بارعين وهم يترجمون أدب الطفل بحسن التصرف في تلك المصطلحات التي تخلق السلبية والوهن والفشل وتفقدك الاستقلالية في القرار. نعم نسعى إلى تنوع ثقافي، وهذه سنة الحياة، ولكن من باب الندية والاحترام المتبادل، ولا للقوة الصلدة التي ولت دون رجعة، فهل يعي المختصون التراجمة مهمتهم في نقل أدب الطفل العالمي الذي يعطي القوة والتأثير للآخر، ويلغي فينا كل جوانب الإبداع من خلال موروثنا القديم والحديث والأخرى أن ينال موقعا في خريطة الوجود، وتُقبل أفكارنا في إطار التنوع الثقافي الذي يقبل الاستفادة

والإفادة دون التركيز على الواردات الثقافية الأجنبية مهما كان شكلها. وهذا ما يجعل لنا موقعاً تحت الشمس في رفع الغبن عن تطورنا الأدبي والثقافي والإعلامي والسلوكي، فضلاً عن إعاقة النمو الاقتصادي. وكلها من كيد أهداف الغزو الثقافي الذي "يسعى إلى إضعاف الأسس الثقافية للأمة المغزوة؛ لجعلها تابعة، وبالتالي تسهيل السيطرة عليها لتحقيق الأمة الغازية أهدافها ومنافعها الخاصة، كما يهدف الغزو الثقافي إلى تمكين السلطة الاستعمارية من الحفاظ على سلطتها، وسيطرتها، وهيمنتها؛ بفرض ثقافتها على المستعمرين وزعيمها بأنها تملك المعرفة والعلوم الحديثة التي تمكنها من بناء الدولة وتحسين أوضاعهم المعيشية؛ تُجبر السكان الأصليين على قبول السيطرة الاستعمارية دون احتجاج، أو مقاومة".

5- وصفة بناء استراتيجية ترجمة أدب الطفل بمقتضيات التوطن: وهذا ما يجب أن ينعكس في ترجمة أسماء الأعلام والعبارات الاصطلاحية، والعناصر الثقافية، وإسقاطات الواقع المعيش، والابتعاد عن الغربة في كل شيء إلا لدواعٍ خيالية يقتضيها أدب لغة الأصل، وتفادي الترجمة الحرفية بما لا يُحقق الخصوصية اللغوية في اللغة الأم، وبما يناسب قاموس الطفل اللغوي، والعمل دائماً على توطین مجموعة من الأساليب التي هي من صميم لغة الهدف، ولو بإضافة التفسير أو المقابلة، والاحتفاظ بالعنصر الثقافي في النص الأصلي، ومعناه القريب في النص المترجم إليه، مع التبسيط في استبدال مُقابل تقريبي في ثقافة اللغة الهدف وبخاصة في قضايا ترجمة الشعر، ولا بد من تكييف المقاطع اللفظية لخصائص اللغة المستهدفة لإزالة الغربة اللغوية، وغرس منطق المشترك اللغوي في تدريس أدب الطفل المُستهدف المُشترك العام الثقافي في هذا الأدب على أنه فضاء عام يستهدف كل الفئات العمرية التي تدخل في باب مُصطلح (الطفل).

ولهذا هناك مُقتضيات ترجمة نروم أن يتدافع المُختصون في اقتراح سياسة الاهتمام بهذا الأدب، وكذلك بناء استراتيجية معالم ترجمة هذا الأدب للاستفادة من اللغات الأجنبية، ونحن نبحث عن موقعنا في هذا الأدب بالوجود وباللغة العربية، وما يُحقق لنا مواصفات الإضافة النوعية، وبثقافتنا التي تحمل الأصالة والموروث المادي واللامادي، فأين محلنا في هذا الأدب؟ وإنه من الأهمية الحديث بعلمية وبوخز الضمير في ترجمة أدب الطفل العربي إلى اللغات الأجنبية، كما نسعى إلى ترجمة أدب الأطفال من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وهو أمر ضروري في اللحظة الراهنة، وبخاصة أن هذه المرحلة العمرية هي مرحلة تشكيل الوعي وإلى أي مدى يوجد اهتمام بهذا الأمر؟ ومن المنوط بذلك؟ وهل يوجد لدينا المترجمون المُختصون؟ وهل نملك دور نشر منافسة على غرار فعل (دار رومنس القرن 21 للنشر والتوزيع والترجمة)؟ وهي الوحيدة في جزائنا، وتحتاج من يعضدها في الإعلاء من سوية هذا الأدب بالتشجيع والنشر والترجمة. وما هي الشروط التي يجب أن تتحقق لترجمة هذا النوع من الأدب؟... هي مجموعة من الرهانات التي نأمل من البحوث الإجابة عنها بما بصروا به من أفكار، وما راكوه من تجارب، وما أنتجوه من روائع الروايات التي تعدت الحدود، وما بنوه من مؤسسات ثقافية، وما ترجموه من روائع في أدب الأطفال... وكلها جسور تكاملية حصل من ورائها

الخلق الفني العالي، وهي أقرب إلى الإبداع النمطي الذي حقق التطابق بين النصين (المترجم والمترجم إليه) بصورة العمل الأدبي والإحساس به إلى قارئ اللغة التي تتم ترجمة العمل الإبداعي إليها.

- الخاتمة: إنه لحديث كبير في ترجمة أدب الطفل بين المكتسبات البسيطة، والمنتظر الكبير، ولحد الآن لم نحقق المطلوب لضعف الترجمة في هذا المجال، وقلة الإقبال على الاستثمار في هذا التخصص المهم ومع ذلك فما لا يدرك كله لا يترك جله، والطريق تصنعه أقلام المترجمين المغامرين في أدب الطفل وهو خيار وطني يستهدف فئة تحتاج إلى مرافقة في إعداد كتب جاذبة، ورسومات ملونة، وتصاميم مبتكرة، ولغة بسيطة ومضمون قوي يربي المواطنة وحب الوطن، والتفاني في خدمته بالأصالة الوطنية وبالانتماء القومي وبالعروبة المتسامحة. وهذا كله يحتاج إلى متخصصين في الترجمة، واختيار اللغة المترجم منها، واعتماد الحرفية في مقامات، والتصرف في مقامات، والجمع بين عمليات الترجمة الآلية والترجمة الشخصية، وحرفة إنتاج الناشر. وهنا كان علينا استنهاض من يهمل الأمر في ضرورة تفعيل منظمات ذات العلاقة على غرار المنظمة العربية للترجمة، ولماذا نرى غياب ترجمة أدب الطفل في منشوراتها، وكذلك ضعف استصدار مجلات عربية بجانب العربي الصغير+حجا+ علي بابا+ أمقيش... وما نسجله عامة أن حركة الترجمة من العربية للغات الأخرى في مجال كتب الأطفال شبه معدومة، وأن موسوعات الأطفال قليلة جداً جداً والقنوات الخاصة/الموضوعية بهذه الفئة كذلك قليلة، كما أن الملتقيات شحيحة في هذا الميدان، وكأن هذه الفئة لا تحتاج إلى الاستثمار فيها ونعلم جميعاً أن الدول التي تطورت في العصر الحاضر استثمرت بالقوة في المنظومات التربوية، وخرجت من التخلف. وما أحوجنا إلى صناعة مجتمع جديد يبنى من عالم الطفولة، ويحقق رفع الطابوهات، وكل ما يعمل على الانسجام الجمعي لا الصدام البيني، وهذا ما يسعى هذا الملتقى تحقيقه من خلال عنوانه. وعلينا التوجه نحو بيئة المراهقين للاستثمار في قاموسهم اللغوي وفي إشباعهم بمتطلبات التوازن العلمي والثقافي والتربوي من خلال أدب الطفل في صورته العامة والخاصة وكذلك تشجيع الباحثين في هذا المجال بالترجمة للمراهقين حتى لا يعزفون عن القراءة التي بدأت ملامح ذلك تظهر من فقر التعلم في المهارات اللغوية التي بدأت التقارير العالمية تشير إلى ذلك في بلداننا العربية.

جوان 2024

شخصيات عالمة من بلاد فارس ♥

- الدباجة: كلّ التحايا للقائمين على المشهد الثقافيّ في سفارة جمهورية إيران الإسلامية، ونزجي خالص الشكر لسعادة سفير إيران بالجزائر، على هذا النشاط العلميّ، والاهتمام بكّابي (السياسة اللغويّة، وموقع لغة الأُمّة) والذي يحمل الإشادة القويّة بعمل (إيران) في تجسيد سياسة لغويّة رشيدة في الاهتمام باللغة الفارسيّة/الإيرانيّة، والعمل على تطويرها من خلال بنياتها الداخليّة والخارجيّة، وتلك المؤثرات التي لحقتها بفعل اللغة العربيّة قبل الإسلام، وبعد الفتوحات الإسلاميّة، وما حدث بينهما من تمازج وتأثير أدّتا إلى تطويرهما معاً في مجرى (الأخذ والعطاء) وهي سنّة الاقتراض اللّغويّ، وبخاصّة تلك الألفاظ ذات العلاقة بالإسلام. وعندما نتحدّث عن اللغة الإيرانيّة نتحدّث عن القوميّة الفارسيّة، وعن مناحات علميّة وبيانية وعن الاعتزاز اللّغويّ، وعن التّكامل في خدمة القاسم المشترك، وعن الحضارة الفارسيّة القديمة، وما لها من امتداد كان لها المجد التّليد، كما نتحدّث عن بلاد Pars حيث إنّ الإيرانيين عرفوها على أنّها إيران/إيران شهر. وهي Persia بلاد فارس. واشتهرت بالحضارة الفارسيّة القديمة التي تأسّست سنة 559 ق.م بواسطة كورش. التي تعرف بدولة الفرس/الدولة الكسروية، والتي تعتبر من أعظم وأكبر الدّول التي سادت المنطقة قبل العصر الإسلامي. وقد فاقت الإمبراطوريّة البيزنطيّة في الشهرة والقوة والحضارة.

1- الفارسيّون وما قدّموه للغة العربيّة: لا ننسى أنّ بلاد فارس متاخمة لبلاد العرب، وقد وقع الاحتكاك بينهما قبل الإسلام لعوامل تجاريّة وعلميّة. ومن وراء ذلك حصل تبادل المنافع في العادات وفي اللّغات ولما جاءت الفتوحات الإسلاميّة بقيادة (سعد بن أبي وقاص) في معركة القادسيّة التي فتحت فيها بلاد فارس وقُتل (رستم فرخزاد) سنة 636م، وإثرها توالى فتوحات المدائن والمدن الأخرى حتى عمّ الإسلام وانتشر وأخذ مكائته في بلاد فارس.

2- الفارسيّون يتبنّون الإسلام ولغة الإسلام: عن قناعة تامّة واختيار طوعيّ، أسلمت إيران زمامها للدّيانة الجديدة (الإسلام) وفهموا الدّين الإسلاميّ عن طريق التّجار والدّعاة، ورأوا بأنّ خلافاً يحصل في الفهم العميق يأتي عن طريق التّرجمة لمعاني القرآن والسّنة. ولهذا تبنّوا فكرة أنّ الدّين الإسلامي لا يُفهم فهماً جيّداً إلاّ بذات اللغة التي أُنزل بها. ورأوا ضرورة تطبيق "ما لا يُفهم به الواجب فهو واجب". فالعربيّة من الواجب لفهم الإسلام، ومن وراء ذلك تبارى الفارسيّون في خدمة العربيّة، ونافسوا العرب في إجادة في لغتهم إلى جانب المازيغيين، وحصلت لهؤلاء رُتب عالية علميّة والسّبق في تفعيد النّحو.

3- علماء فرس خدموا الإسلام: تطول القائمة؛ بل لا تنتهي عندما نقرأ سير علماء فرس كانت لهم الأيادي البيضاء في الإسهام في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، كما عمل الكثير منهم على تغيير أسمائهم الفارسيّة

♥ الكلمة التي أُلقيت في اللقاء العلمي حول كّابي (السياسة اللغويّة، وموقع لغة الأُمّة) في مقرّ سفارة جمهورية إيران الإسلامية بتاريخ

ليكونوا مسلمين اسماً ولغة من مثل: أبو إسحاق الإسفراييني + أبو عيسى محمد الترمذي + أحمد بن شعيب النسائي + أبو الحسين بن هند + الزنجشري + السكاكي + بزرجمهر + شرف الدين الطوسي + عبد القاهر الجرجاني + علي بن عباس الأهوازي + عمر الخيام + قطب الدين الشيرازي + نوبخت... ونجد في هذه القائمة المقتضبة علماء غير عرب ولكنهم عرب في اللسان، أسهموا في تطور اللغة العربية، ونشر الدين، وأنجزوا معاجم، وكتبوا دواوين أشعار، وتبقى أسماؤهم في سجل الخلود في: تفسير القرآن الكريم + جمع الأحاديث الشريفة + وضع قواعد العربية. هي ثلاثة أركان أولى اهتم بها غير العرب لفهم الإسلام، وبقيت أسماء المؤسسين تُذكر إلى يومنا هذا. فلا يمكن الحديث عن التفاسير دون الإشارة إلى (الكشاف) للزنجشري، ولا نتحدث عن قواعد اللغة دون ذكر (الكتاب) لسيبويه، وقال فيه (المازني) "من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح!". وكذلك قال (السيرافي) "...وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده". كما كان شيخه (الخليل بن أحمد الفراهيدي) لا يقوم لأحد إلا لطالبه (سيبويه) ويقول: "مرحباً بضيف لا يمل". وفي رواية "مرحباً بالفارسيّ الفذّ". ولا يمكن الحديث عن البلاغة دون الإشارة إلى (مفتاح العلوم) للسكاكي كما لا يجوز المرور هكذا دون الإشارة إلى علماء مازيغيين على غرار (يحيى بن معطى الزواوي) وعلماء أندلسيين (ابن مالك) وعلماء روم (أبو الفتح عثمان بن جني) الموصلي...

4- علماء فرس من الخالدين: هم من القوة بمكان، وقد فرضوا أنفسهم بعناوين مشهورة قد ننسى أسماءهم الأصلية أو المعربة، ولكن لا ننسى العناوين التالية: الكتاب + اللّمع في العربية + الخصائص + المنصف + سر صناعة الإعراب + معجم مقاييس اللغة + أساس البلاغة + دلائل الإعجاز + الصّاحبي في فقه اللغة... كما لا ننسى شعراء فرس قرأنا عنهم دواوينهم على غرار الشاعر الفارسي الكبير المولوي وحافظ الشيرازي، وسعدي الشيرازي، وكذلك الشاعر الغنائي منوچهري الدامغاني... وغيرهم من عمالقة الأدب والشعر ممن تُشير آثارهم الأدبية واللغوية أنّها لم تكتب إلا من قبل عظماء أَلَمُوا بِمَعَانِي اللغة العربية وآدابها. ونقف عند كبار علماء من أهل الفرس ولهم بصمات في اللغة العربية، ولا نزال لم نرتقِ إلى مستوى منتوجهم في العربية التي أسسوا لها أسساً صحيحة في صناعة العربية؛ صناعة تعرف التطوير لحدّ الوقت:

1/4- سيبويه صاحب (الكتاب) ونحن لا نزال لم نخرج من برنوسه في قواعد العربية بتلك الصيغ ومجاري الكتاب، وتلك الهندسة اللغوية في التعرف على المباني والمعاني، وما يحسن وما لا يجب...

2/4- أحمد بن فارس القزويني: صاحب معاجم وكتب، ولا نزال نستفيد من معجم مقاييس اللغة+

الإتباع والمزاوجة.

3/4- أبو الرّيحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي، ألع علماء القرن الرابع الهجري، وموسوعة كبيرة في مختلف العلوم، وقيل عنه "أعظم شخصية مُسَلِّمة عرفها التاريخ" كما قيل عنه "بطليموس المسلمين" إنه نابغة فذة لم يعرف له مثيل في الأدب العربيّ والجغرافيّة والفلك الطّب والصّيدليّة والرياضيات والتّقويميات والصّيدلة التّاريخيّة والأنثروبولوجيّة والرّحلات والخرائط وتقسيم الأرض والطّب والصّيدلة واللّغات، وكان يجمع بين

الفارسية والعربية والسريانية واليونانية والسانسكريتية والهندية. وله نبوغ كبير في الأشعار والآثار وفي الفلسفة له كتاب (المقالات والآراء والديانات) وكتاب (جوامع الموجود في خواطر الهندود) وزادت مؤلفاته عن 150 كتاباً. وهناك مجسم له في فناء كلية الجغرافيا بجامعة طهران (شترستوك) وأطلقت وكالة (ناسا/نازا) اسمه على فوهة من فوهات سطح القمر عام 1390 للهجرة (1970 للميلاد)، تكريماً لإسهاماته القيمة في علم الفلك مع الخوارزمي وأرسطو وابن سينا. إنه من أكبر عظماء العالم، وأعظم عقلية عرفها التاريخ.

5- علماء فرس تركوا بصمات في الحضارة العربية الإسلامية: يرى الباحثون بأن 90% من علماء اللغة العربية من أصول فارسية، ويشمل ذلك علماء الحديث على غرار: أبو حنيفة النعمان + مالك بن أنس + البخاري + مسلم + الترمذي + ابن ماجة + النسائي. إضافة إلى مشاهير كبار الأمة العربية التي تفتخر بكبار العلماء من مثل: الزمخشري + السجستاني + الغزالي + الأصفهاني + الثعلبي + الفيروزآبادي + ابن خلكان + أبو إسحاق الشيرازي + البيهقي + الحاكم النيسابوري + عبد الحكم القندهاري + إسماعيل الصفوي.

وإلى هنا يمكن القول بأن أهل فارس تنوعت اختصاصاتهم، وهم كثر، ولا يمكن أن نحصي ذلك العدد الكبير من البحوث الذين خدموا الحضارة العربية الإسلامية بعقول فارسية، ولكن بالعربية التي أبدعوا بها وفيها. ولا نزال نفتخر بجابر بن حيان، وإسماعيل الجرجاني، ومحمد رضا حافظنيا، وابن خرداذبه، وإبراهيم الفزاري، والتبريزي، وأبو بكر الرازي، وجلال الدين الرومي، والسنهوري، ونصر الدين الطوسي... وكلهم لمع مضيئة في سماء الحضارة العربية الإسلامية التي لها وقع كبير في أوروبا الغربية والشرقية وفي حواضر أفريقية وآسيا الوسطى. إنهم كبار علماء فارس، علماء خراسان الذين زينت بهم المؤلفات ودونت هذه الأوراق لكثرة عددهم، وكثرة مؤلفاتهم في مختلف فنون القول والعلوم، ونحن بحاجة إلى استكناه معالم هؤلاء العلماء الكبار الذين ينسبون إلى أصفهان وأصبهان ونيسابور وقزوین وسجستان وراهويه وقم ومهریزد وكرمان والأهواز واستراباد. علماء قامت على أفكارهم الحياة العربية والإسلامية؛ ألفوا فيها ما ألفوا من كتب أصبحت في ما بعد أصلاً من أصول هذه اللغة، وثبتت لقواعدها سواء في النحو أم الإعراب أم المعاجم أم رواية الشعر.

ومن باب التأكيد يكفي الإشارة إلى من قعد للعربية قواعدها (عمر بن عثمان بن قنبر) الملقب (سبيويه) وقال عنه (محمد بن سلام الجمحي) "كان سبيويه النحوي غاية في الخلق، وكتابه في النحو هو الإمام فيه". إنها أفضل الفرس/الإيرانيين الذين امتزجوا بالعرب والمسلمين، وأن البعض منهم أصبح إماماً لمذهب من المذاهب الأربعة، وهم أهل اجتهاد وفضل كبيرين على العربية، بل يتسابقون في خدمة الدين ولغة الدين، وهم يتساحون من أجل العربية، ومما يرويه (عبد الرحمن شيبان) أنه في سنة 1966م كان في اليونسكو مع الوزير (أحمد طالب الإبراهيمي) من المندادين بترسيم (اللغة العربية) لغة أممية في اليونسكو، وكانت (إيران) قد تقدمت بطلب ترسيم (الفارسية) وفي إطار المفاوضات بين الوفدين: الإيراني والعربي في ترشيح لغة واحدة فقط. نجح (عبد الرحمن شيبان) في إقناع الإيرانيين بسحب ترشيح الفارسية، بقول (شيبان) "إن اللغة العربية هي لغة عقيدة وحضارة، قبل أن تكون لغة قومية، والدليل على ذلك أن المساهمة في بناء مجد الحضارة العربية

الإسلامية كانت لشخصيات من أصول فارسية، نبغوا في مختلف ميادين الثقافة العربية، وإنّ الوفاء لأولئك العباقرة والتّمجيد الحقيقيّ لهم، إنّما يكون بالدّفاع عن اللّغة التي كتبوا بها، وخلدوا ذكرهم ببناء صرح حضارتها، وترقية ثقافتها".

ومن وراء ذلك اقتنع الوفد الإيرانيّ وسحبوا ترشيح لغتهم لصالح اللّغة العربيّة الذي تجسّد سنة 1973م. إنّها أفضل علماء فارس على العربيّة التي نالتها الأفكار التطويريّة من علماء مسلمين أحبّوا العربيّة وأبدعوا بها وهم الذين حملوا مشكاة العلم في الحضارة العربيّة الإسلاميّة، وأعلّوا من صرحها وجعلوها لغة مفتوحة على ألسنة الأعاجم الذين قاموا بعنايتها وتدير تطویرها وانتشارها لأنّها لغة الحضارة الإنسانيّة. هم "... علماء فرس لم تمنعهم الأعجميّة من أن يكونوا أسماء بارزة في هذا المنجز الحضاريّ والعلميّ البشريّ، وربّما تكون الثقافة الدّينية دافعاً أساسياً لهؤلاء الأعاجم لتعلّم اللّغة العربيّة، إذ كان لا بدّ لكثير منهم من الانتقال إلى مراكز الثّقل الاجتماعيّ والاقتصاديّ في تلك الفترة مثل مدينتي: البصرة والكوفة في العراق" ونتيجة الاختلاط نشأت حركة توسّع لغة القرآن على حساب اللّغات المحليّة، وتسامحت الكثير من البلاد في محليّاتها، وتعوّلت في خطابها المحليّ مصطلحات العربيّة، كما دفعتهم الغيرة الدّينية على حماية العربيّة والدّراية بفقهها، ونعلم الحرص على حسن الأداء بصفر خطأ؛ لأنّ ذلك يشوّه المعنى الحقيقيّ لفهم القرآن، وكم حزّ في نفس (سيبويه) كلمة "لحنت يا سيبويه" ودفعته ليصحّ إمام النّحاة. فالخطأ صنع أعظم شخصيّة عالمّة في اللّغة العربيّة كما دفعهم هذا الحرص إلى تعلّم لغة القرآن، وانتقال العلماء إلى العراق، وإسهامهم في تأسيس الدّولة العبّاسيّة وحاضرتها بغداد القريبة من بلاد فارس، وكلّ ذلك أحدث تزاوجاً وتصارهاً وتطوراً علمياً وثقافياً كان في صالح العرب والأعاجم الذين يجمعهم الإسلام، ومن ثمّ أصبحت العربيّة الفصحى جامعة في الامتزاج الثّقافيّ؛ حيث لا توجد حضارة قوميّة خالصة لم يُخالط نقاءها عنصر آخر البتّة. وهكذا فإنّ علماء الفرس هم نتاج الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي سادت وانتصرت، وبذلك الانتماء من خلال الحضارة المشتركة وصلوا إلى ما وصلوا إليه من مراتب في سلّم العلم والإنجاز الحضاريّ. وكذلك علينا أن نقرّ أنّه لولا الحضارة العربيّة الإسلاميّة ما ظهر مثل سيبويه، والفارابي، وابن سينا، وعمر الخيام، ولا غيرهم بالطريقة نفسها التي ظهروا فيها وقدموا من خلالها خدماتهم للبشريّة. علماء فرس بجهد إيجابيّ مضيف كان السّبب في بقاء الأثر الذي نروم أن يتواصل الآن ببناء طريق العلماء على غرار طريق الحرير لمزيد من بناء العرفونيّة التي تجعل منّا قطباً بصفاته ومميّزاته ودينه، ولا ندوب في العولمة التي تأتي على دحر الشعوب التي لا تفتخر بمقوماتها وخصوصياتها وإينيتها ومرجعياتها في الجمع بين الاتجاه العلميّ والسّياسي والاقتصاديّ والعسكريّ، وهذا من مقتضيات صنع الحضارة العربيّة الإسلاميّة. وعلينا التّكلّل من جديد لضمان التّفاعّل مع الآخر لترميم الشّرخ الذي حدث في بعض المواقف والأحوال.

- الخاتمة: لا ننكر أثر اللغة الفارسية، ودور الفرس في الارتباط اللغوي والديني، وفي تداخل الثقافتين بعد انتشار الإسلام، وموقع العربية الرسمي الآن في إيران يتطلب منا نظرة جديدة للغة الإسلام، وحسب متغيرات المرحلة الحاضرة التي قد نستكنه بعض معالمها من القرون الأولى للفتح الإسلامي؛ حيث العربية اللغة الرسمية، ولها موقع قوي حتى القرن السادس للهجرة، وشهدت بعض التراجع، ولكن لا يعني التسامح فيها، بقدر ما يتطلب نظرة حديثة بعيدة عن التشنج، كما كانت أيام المد الإسلامي الذي تداعت العربية إلى القبول والعمل فيها والإبداع بما لها.

ويذكر لنا التاريخ "... أن من العلماء الفرس من ألف كتباً بالفارسية فقط، ومنهم من ألف بالفارسية والعربية كالعالم والطبيب والفيلسوف الكبير الشيخ الرئيس (ابن سينا) الذي كتب الشعر بالفارسية والعربية. ولا شك أن أشهر كتبه بالعربية هما: الشفاء والقانون، ومن مؤلفاته بالفارسية (دانشنامه علای) و (معراج نامه)" وكذلك نقراً أن "أبا حامد الغزالي المتوفى سنة 505 هجرية ومن أهم مؤلفاته العربية: كتاب (إحياء علوم الدين) الذي اختصره بعد ذلك بالفارسية وأسماه (كيمياي سعادت) ومن كتبه العربية أيضاً (المنقذ من الضلال) و(تهافت الفلاسفة) وله مؤلف عربي عبارة عن مجموعة من الرسائل جمعت تحت اسم (فضائل الأنام من رسائل حجة الاسلام) وهنا تجدر الإشارة الى أن مؤلفات هذا العالم الفارسي بالعربية تفوق ما كتبه بالفارسية". والخلاصة إنه التكامل المطلوب لتحصل لنا المنعة والقوة والشهرة والمقام والاعتبار.

توظيف الذكاء الاصطناعي في بناء المناهج التعليمية[♥]

- الدّياجّة: يُقال "يولد الإنسان جاهلاً، ولا يولد غيباً؛ فالنظام التربويّ هو الذي يجعله غيباً" مقولة مشهورة ولدت من ذكاء الخبير المُستشرف لآفاق التّربية، وكان ينظر نظرة المُستقبل التي لها وقع في التّحول من اللّوح إلى اللّويحة، حيث أتت الثّورة المعرفيّة الحديثة والتّطور التكنولوجيّ على تغييرات عميقة في شتّى الميادين وانعكس ذلك على مناهج التّعليم التي تستمدّ مضامينها من مجالات المعرفة، فباتت التّربية التّقليديّة عاجزة أمام تراكم المعرفة الحديثة، وأصبح الذكاء الاصطناعيّ /Artificial Intelligence عمدة الاستعمال الذي يستقطب أكثر تغطية جميع المجالات التّربويّة والأكاديميّة؛ باعتبار الذكاء الاصطناعيّ إجراءات الحاسوب التي تحاكي اتّخاذ القرارات البشريّة استناداً إلى التّجارب والبيانات التي تمّ التّعرّف عليها. كما أتاح العصر اقتناء أجهزة ذكيّة تشتغل ببرامج معلوماتيّة ذكيّة، تكفيك متاعب البحث عن المُعلّم القدوة/الكتاب النّموذج/المناهج التّربويّ الرّياديّ. ومن هنا بات أمر التّربية يحتاج إلى نظرة مُعاصرة في البحث عن علاقة طردية تُناسب الوضع الجديد، وتجعل الذكاء الاصطناعيّ قادراً على تمثيل المُعلّم والكتاب والمناهج في نماذج دراسيّة تعمل على التّفاعل والتّحاور مع المُتعلّمين بعمليات شبيهة بالتّواصل البشريّ ويمكن أن يقوم بعمليات التّفكير والتّفهم والسمع والتّكلّم والحركة، ويكون له القدرة على الاستنتاج والاستدلال والاستنباط والادراك واتّخاذ القرار. وكلّ هذه الأمور ليست صعبة وهي مُمكنة في القريب؛ حيث إنّ الذكاء الاصطناعيّ يتطور بسرعة، ويشمل العمليّة التّعليميّة في المدارس العامّة والخاصّة، والجامعات ومراكز البحوث، إضافة إلى الاختراعات والابتكارات من حيث تكييف هذه التكنولوجيّة الجديدة مع مُختلف مناحي الحياة اليوميّة.

1- - الرّقنة والذكاء الاصطناعي: إنّ الرّقنة قاعدة الذكاء الاصطناعيّ، حيث يشمل الذكاء الاصطناعيّ التّحول الرّقنيّ، وكلاهما من مُستلزمات التّعليم عامّة، وبخاصّة التّصميم الفنيّ، حيث تُتيح الرّقنة استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعيّ من انطلاقة فنيّة إبداعيّة لمُعلّم التّربية في إدراك مفاهيم فنيّة جديدة تنمي الوعي والتّفكير الإبداعيّ؛ حيث صنع الذكاء الاصطناعيّ ثورة في التّعليم بسبب كثرة فوائده وقدرته على زيادة كفاءة وفعالية المُعلّمين، كما فتحت الرّقنة آفاقاً جديدة للإبداع والتّعبير، وما يُستخدم من تقنيّة الحاسوب والمُؤثرات المتطوّرة، وآليّة التّفاعل بين رؤية الفنّان الذّهنيّة، والرّؤية الرّقنيّة على شاشة الحاسوب وكلّها تدخل في ضرورة شيوع هذه التقنيات تحت أطر قانونيّة وفكريّة لأنسنة الآلة. ولا بدّ من الرّقنة التي تنقلنا إلى تطبيقات الذكاء الاصطناعيّ في تطوير مناهج التّربية والتّعليم ضمن رؤية مُستقبليّة على الأقلّ آفاق 2030، بمُعلّم يُتقن التّعامل مع البرامج ومهارات الرّقنة والذكاء الاصطناعيّ. ويعني هذا ضرورة الاستثمار في صناعة مُعلّم مُواكب للعصر؛ يسعى وراء المعرفة بطرائق ووسائل مُغيرة لما هو من الماضي بالاعتماد على استخدام الأجهزة

♥- أُعدت الكلمة لصالح مُلتقى (توظيف الذكاء الاصطناعيّ في بناء المناهج التّعليميّة) المُلتقى المُشترك بين: المُجلس الأعلى للغة العربيّة+ مخبر الممارسات اللّغويّة بجامعة تيزي-وزو+ المركز العربيّ للخدمات التّربويّة في كندا. ويُعقد المُلتقى وجاهة واقترافاً بتاريخ 25 - 26 جوان 2024م، بمقرّ المُجلس الأعلى للغة العربيّة.

والمستلزمات والبرامج الرقمية، وتقنية المعلومات والاتصالات، واعتبارها ركيزة أساس لتقديم الدروس بما يمكن من زيادة فرص الوصول للخبرات العلمية والتربوية بشكل أسهل وأكثر فاعلية.

إن التربية التعليمية الحديثة تستلزم توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في المناهج التعليمية عامة؛ حيث أبانت الدراسات الميدانية نجاحها في تعزيز الابتكار والإبداع، وتحسين كفاءة التدريس، وجعل التعليم مقصداً مرغوباً في تطوير التجارب الفنية في تطبيقات الذكاء الاصطناعي ذات العلاقة بجمال التربية والتعليم، وهذا ما نلاحظه من زحام تطبيقات الألعاب، والبصمة اللسانية، وبرمجيات ChatGPT وبرمجيات روبوتات الدردشة، وبرمجيات ذوي الاحتياجات، والصم البكم على نسق براي، وأنظمة Appel Siri التي تساعد المكفوفين من خلال تلبية طلباتهم صوتياً، مثل طلب قراءة كتاب، وذلك عبر الحوار الصوتي مع هذه الأنظمة، وصناعة الروبوتات الناطقة... ولا ننكر أن هناك بعض المنصات التعليمية الناجحة على غرار: Duolingo وALEKS وكورسيرا وQuestionPro والذي يجب علمه أن هذه التطبيقات وأمثالها متاحة ومهمة، ولديها القدرة على تعزيز تفكيرنا في تطوير التربية بمجموعة واسعة من نقاط القوة التفاعلية التي تعمل بنظام الذكاء الاصطناعي لدعم المتعلم 7/24.

بالإضافة إلى معالجة وتحليل كميات كبيرة من البيانات بسرعة، والكشف عن اكتشافات جديدة، وتوليد فرضيات وإجراء مراجعات الأدبيات بشكل أسرع من الطرائق التقليدية. ونعرف أن هناك الكثير من التحديات والمضايقات التقنية والخوف، ولكن لا مشكلة في ذلك أمام الباحثين والمطورين الذين يواصلون استكشاف إمكانات الذكاء الاصطناعي في التعليم، والعمل بصفة دائمة على معالجة التحديات التي قد تظهر مع استمرار هذا النوع من التكنولوجيا في التحسن، وتنفيذها في نظام التعليم الحالي. ولذا لا نطلب في المرحلة الأولى إلا البداية الافتراضية بما لدينا من إمكانيات الرقمنة؛ والتي يمكن تعزيزها عبر ورش العمل، واستدعاء وكلاء افتراضيين للمساعدة، مع بداية توظيف بعض التطبيقات في مناهج التربية بداية من التصميم وصناعة المحتوى التعليمي، وإنشاء العروض والاختبارات وفقاً للتحوّل الرقمي بالشكل الذي يحقق المنتظر الإيجابي للملح الخرج المطلوب. ولا بد من البداية، والطريق تصنعه الأبحاث التي تكتمل عند مراحل التقييم والتقييم والمهم في الأمر أن هذه التطبيقات مهمة جداً في تلبية طلبات المتعلمين، وفي حسن التسيير، وفي المراقبة البعيدة وإجراء الامتحانات دون حراسة، وما له علاقة بأمور تأمين مختلف الأنظمة ذات العلاقة بالمتعلم مهما كان مستواه الدراسي.

وهكذا نرى أهمية الاستثمار في الذكاء الاصطناعي في منظومة التربية والتعليم لانعكاساته الإيجابية في تمكين المتعلم من مواجهة تحديات التعلم والتعليم، وتسريع التقدم نحو تحقيق التنمية المستدامة، وعلاج أوجه القصور ووضع سياسات لدعم التعليم المعزز بتقنيات الذكاء الاصطناعي. وكل ذلك يتيح إمكانية جعل المعرفة مشاعة، والذكاء الاصطناعي سهلاً وبسيطاً وملجأ لحل الكثير من القضايا العالقة في جميع القطاعات.

2- . التكنولوجيا الحديثة ثورة في معارف التربية والتعليم: هي ثورة فكرية مُستمدّة من مُنتوج الذكاء الاصطناعي الذي هو صناعة بشرية، وبدايتها من صانع محتوى مايكروسوفت/Microsoft، وفي أصله قائم على آلة/Robot تكون أفضل من المُدرّس الذكيّ في تعليم القراءة والكتابة، وبكلفة أقلّ، مع ما يصحب الآلة من مواد عديدة أخرى منها الرياضيات، وعلى هذا جاءت برمجيات تعليمية تستعملها الآلة تُحاكي ذكاء الإنسان من حيث الشرح والإجابة عن الأسئلة، وما يتبعها من منهاج مُتدرّج حسب العمر الدّراسي. ولما عمت تلك الآلات أبانت عن مزايا لا يُمكن إنكار فوائدها الكثيرة، وهي:

- "توفير التعليم المُفصل وفق الاحتياجات الفردية لكلّ طالب؛
- تقديم الدّروس الخصوصية والمُساعدة على حلّ الواجبات المنزلية؛
- المُساعدة على تعلّم اللّغات من خلال توفير المُحادثات والشرح والترجمات بلغات مُتعدّدة؛
- مُساعدة الطّلاب والباحثين في العثور على المعلومات بسرعة، وتلخيص المقالات، وإنشاء الاستشهادات، وهو ما يُوفّر لهم إمكانية إنجاز الدّراسات والبحوث بسرعة وكفاءة أكبر؛
- مُساعدة الطّلاب في تحسين مهاراتهم الكتابية عبر تقديم اقتراحات نحوية وأسلوبية ومُساعدتهم في توليد الأفكار، وكتابة المقالات والتقارير؛
- مُساعدة المُعلّمين في إنجاز مهامهم الإدارية؛ كإدارة جداول الحصص أو الإجابة على استفسارات الطّلاب الشّائعة؛
- يوفر للمُعلّمين إمكانية تطوير الموادّ التعليمية وإنشاء دروس تفاعلية وتصميم الاختبارات والواجبات." ولا مناص لنا من الغمر التكنولوجيّ ضمن هذه التّقانات وهي خير كثير، ولا نثلاثي عبر الزّمان، مهما حصلت بعض الأعطال التّقانية، حيث العالم ينحو نحو صناعات روباتية/Robotique ناجحة في إدارة الأعمال، وقيادة الطّائرة، والتنبؤ بالكوارث، وإطلاق مرّاصد عملاقة نحو الفضاء... هو علم العصر الحديث بحاسوب حديث، وبمعلومات حديثة، وما أحوّجنا استثمارها في ميدان التربية والتعليم، بما نرى من مُخرجات في السلوك العامّ، وفي تطوير التعليم بشكل خاصّ، وتحسين تدريب العاملين على التعليم الذي أحدثته هذه التّقنية التي نالت الدّعم الكامل من قبل اليونسكو، باعتبار التكنولوجيا الحديثة -بما تحمله من الذكاء الاصطناعي- تهدف إلى زرع الذكاء البشريّ في الآلات المصنوعة؛ لتكون قادرة على أداء الوظائف المُخصّصة لها بشكل أكبر كفاءة وأكثر ذكاء في ميدان التربية؛ حيث "تمنح المنظومات التعليمية قدرة هائلة على التطوير وتحقيق الأهداف، والوصول إلى جميع الرّاغبين في التعليم، وتقديم المعلومات والمعارف المطلوبة بجودة عالية دون تكاليف مادية باهظة، ولا مجهود بدني كبير".

3- . ضرورة الذكاء الاصطناعي في التعليم: لا يُمكن أن نستفيض فيها أكثر، ونترك الأمر لموضوعات خاصّة في هذا المجال، وأقف مُكرّراً ومُنوّهاً بالإيجابية التي يعمل بها من أجل تطوير العملية التعليمية بما يوفّره من تخفيف الأعباء الإدارية، وتوزيع الأدوار داخل المنظومة بشكل مُحيد، وتوفير البرامج الدّراسية المناسبة

والعمل ضمن منصات ذكية تتوافق مع ما يبحث عنه، وتحرره من التعليم التقليدي، وما تحمله من محتوى وتغذية راجعة، بنظام لا يتعب وفي أسرع وقت، وإنتاجية أكثر. ولهذا نرى أهمية الذكاء الاصطناعي في التعليم بأنه يلبي مختلف الحاجيات ودون عقبات، ويحتاج فقط إلى التماهي التقني وبالتدرج لمواكبة التطورات التي تحدث باستمرار. إنه ضرورة في المنظومة التربوية بما يقوم به من الحد من الغش، وتوفير الفرص للمتفوقين، ولا يُماري مقولة "سيروا على قدر ضعفاءكم" بقدر ما يحمل شعار "الأفضل أو لا شيء/Best or nothing" وكأني به يأتي استكمالاً لشعار سيارة المرسيدس الألمانية.

وهذا ما نريد أن يتجسد في فرص تعليم تتوافق مع مُتعلم بشكل فردي/جماعي، ويزيل الحواجز والصعوبات في التواصل، ويوفر حلولاً للمُتعلمين بمختلف مهاراتهم، وكذلك يعزز تجربة التعليم للمُعلم والمتعلم، ويجعلهما أكثر معرفة بمهاراتهما في المناهج والمقررات والبرامج الدراسية. والمهم في الأمر أن هذه الضرورة تقتضي المتابعة وعلاج الصعوبات، والتدخل حالة ما يستدعي الوضع ذلك؛ حيث الصراع المعاصر قائم حول مكتسبات التربية والتعليم التقانية، فهي الديمومة والتفوق وبيع الأفكار، وهي ريع المستقبل والاعتماد العالمي والموقع الدولي للمؤسسات التربوية التي يأتي من ورائها اقتصاد المعرفة، ومجتمع المعرفة والحاضنات التي تحرك آليات الاقتصاد الوطني، ولا بد من التنافس في كسب رهان التحديات التي تنتظرنا وما ينتظر العربية من إغماس تقني ذكي للحصول على المعرفة باللغة الأم، وهذا ما تلح عليه اليونسكو/UNESCO في مجال التعليم بالأجهزة المحمولة، وتحويل التفكير ليشمل دور الذكاء الاصطناعي في "معالجة أوجه عدم المساواة الحالية في ما يتعلق بالحصول على المعرفة والبحث، وتنوع أشكال التعبير الثقافي، وضمان عدم قيام الذكاء الاصطناعي بتوسيع الفجوات التكنولوجية داخل البلدان وفي ما بينها. يجب أن يكون الوعد بالذكاء الاصطناعي للجميع؛ بحيث يمكن الجميع من الاستفادة من الثورة التكنولوجية الجارية والوصول إلى ثمارها، لا سيما من حيث الابتكار والمعرفة".

4- **توظيف الذكاء الاصطناعي ضرورة أم ترف:** إذا نظرنا لواقعنا نرى أهمية هذه الوسائل الحديثة التي تقضي بها مصالحنا بسهولة ورفاهية، ولكن من خلال الواقع التربوي نرى استعمالها غير مُعمّم في مدارسنا ومخابرنا، وأن استعداداتنا ليست جاهزة من حيث اقتناء الوسائل، ولا من حيث تسييرها وفق المحتوى الرقّي التشبيكي الذي يتعلق بتحليل الذكاء الاصطناعي في عمليات التدريس، وفي تحسين جودة التعليم من خلال توفير تجارب تعليمية مخصصة وفعالة؛ تستجيب لاحتياجات المتعلمين المختلفة، وكذلك تطوير مهارات المعلمين من خلال دراسة توظيفها من قبل مُعلّمي مواد العلوم الدقيقة، وفي بناء مناهج مبتكرة تفاعلية تُسهم في جذب اهتمام المتعلمين وتعزيز مشاركتهم. وهنا تستعصي العملية التعليمية في البداية ولكنها ضرورية وليست ترفاً نستظهرها وقت ما نريد، وزركنها في زاوية الإهمال وهي ضرورية. ولهذا، فإن الذكاء الاصطناعي أمر لا مفرّ منه في عمليات التدريس المعاصر، لأنه يدخل في صميم تنمية الذكاء العام، وما يتعلق بتحسين مقررات البرنامج التعليمي في مختلف العلوم، وفي تحسين جودة التعليم والتعلم، إضافة إلى تلك العمليات التقويمية التي تُتمّي

القدرات الفردية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ المسألة أمر لا بدّ منها، وتحتاج فقط إلى تبسيط استخدام هذا الذكاء الاصطناعي في المرحلة القاعدية، وتوفير الأجهزة مع البنية التحتية والموارد الضرورية لتنفيذ تقنيات الذكاء الاصطناعي، ودعم تبادل الخبرات والمشاركة بين المعلمين من خلال إنشاء منصات تفاعلية لتبادل الأفكار والتجارب المتعلقة بتوظيف الذكاء الاصطناعي في التدريس.

- الخاتمة: وتقاس الأمور بخواتمها ونتائجها، فهما وقع الوهم والخوف من برمجيات الذكاء الاصطناعي فإنّ المآلات سوف تقضي على التردّد، وما ينتج من وراء ذلك من انتقال المادة العليّة وانخفاض التفاعل البشري، وضعف المهارات الاجتماعية، وفقدان التدريس التقليدي، والتعلّم غير الشخصي، والمخاوف الأخلاقية، تبقى الأمور استكمالاً للتعلّم الآلي بفكرة الخوارزمية التي يمكنها معالجة كمّيات كبيرة من البيانات ثمّ البدء في تحديد الاستنتاجات؛ بناءً على النتائج التي كانت تحصل عليها. وستبقى عملية التعلّم الآلي حتمية معاصرة للبقاء في الحياة، ومواصلة درب السابقين بمنهج مخالف، ولكلّ زمان رجاله. ولا بدّ من الاستعداد للمستقبل بمعطيات الذكاء الاصطناعي وتكنولوجية الحداثة، للوصول إلى ثروة من الموارد البشرية التي تنتج المهارات بكفاءة وراحة وتعاون ومشاركة عامّة، وبأقلّ تكلفة وبخصوصية وأمان، مع ما يصحب ذلك من مزيد تطوير الذكاء الاصطناعي الذي يُعوّل عليه في الأقسام الدراسية في المستقبل القريب، وأنّ تقدّمه زاحف عبر أنظمة التدريس الذكية، والروبوتات التعليمية، ولوحات معلومات تحليلات التعلّم، وأنظمة التعلّم التكيفية والتعلّم البشري، والمحاضرات عن بُعد... وكلّ هذا يتعرّز بإيجابيات استخدام الذكاء الاصطناعي في التعلّم بشكل عامّ، ومن المتوقّع أن تنتقل الفصول الدراسية وقاعات المحاضرات في الجامعات قريباً من الإطار التقليدي للتعلّم إلى استخدام مزيج من الروبوتات والذكاء الاصطناعي المصمّم حسب الحاجة والطلب.

علماء أمشدة في الميزان^١

- الديباجة: قد يستغرب البعض عنوان المحاضرة، ويقول: كيف يوزن العالم؟ وما هي معايير هذا الميزان؟ ولماذا يوزن العالم؟ وأسئلة ذات العلاقة بدلالة وضع العالم في الميزان... ويعني أن العالم يُذكر بخصاله وأعماله وما تركه من بصمات تشهد على آثاره، ولا يُقوّم بثن مادي، وأن له ميزان حسان تشهد على قيمته الرمزية. والكلمة في دلالتها اللغوية، من فعل (وزن): بمعنى وطن الشيء؛ أي قدر ثقل الشيء بالميزان. الوزن: كتلة من المادة توزن بالميزان. وزون: المثقال، مقدار الثقل المحمول زنة = حمولة حقيقية أو معنوية. ونجدها ذكرت ثلاث مرات في سورة الرحمن: 7+8+9. الميزان: آلة يوزن بها الشيء ويعرف مقداره. ويقال: "اعرف لكل امرئ ميزانه". وعند الصوفية: العدالة أو العقل الذي هو منور بنور القدس. وهنا يقع الحديث عن المعيار المعنوي لميزان علماء أمشدة الذين كانت لهم كفات الترجيح في مختلف العلوم، وأن ميزانهم يتعدى الجانب المادي فيُقاس بميزان العظمة والخلود في زمانهم، وقد بزوا أقرانهم، وبرعوا ونالوا الغايات العلية؛ حيثما وجدوا أو ارتحلوا، فيُشار لهم بالمجد في: حمزة/بجاية/تلمسان/الزيتونة/القاهرة/دمشق... والأعجب أنهم من خريجي زوايا بسيطة في أعالي أمشدة، وفي بني منصور وفي إيغيل أعلى، وفي حلقات المصليات المحلية التي عملت على صناعتهم؛ فنالوا العلم بعدما قصدوه للفهم وتطوير معارفهم.

1- مُلتقى علماء البويرة: ويعود مُلتقى (علماء البويرة) بعد بيات طويل من أول مُلتقى سنة 2005م وما تلاه من مُلتقين اثنين، ثم جاءت القطيعة، وقد طالنا الشوق لعودة الوجوه العالمة واستذكار عظات وعبر وأفكار الذين غادرونا. وهنا يأتي الكلام عن مدينة حمزة التاريخ/بويرة الحاضر، التي عودتنا على إقامة تلك التظاهرات السنوية التي استقبلت ذات يوم (عبد الرحمن شيبان+ السعيد شيبان+ أبو عمران الشيخ+ أبو عبد الله غلام الله+ الطاهر آيت علجت+ صالح آيت علجت+ أبو عبد السلام+ عبد الوهاب حمودة+ عمار طالبي+ عبد الرزاق قسوم+ الهادي الحسني+ السعيد بوزيري+ عبد المجيد بيرم+ محمد الشريف قاهر+ يحيى بوعزيز+ ميلود عويمر+ محمد الصغير بلعالم+ إبراهيم مقلاتي+ مشايخ الزوايا+ علماء أجلاء+ قراء قراءات+ طلاب الدراسات العليا+ باحثون... كما مرّ بها ذات يوم الشيخ ابن باديس+ البشير الإبراهيمي+ العربي التبسي+ أحمد شقار الثعالي+ الرحالة الألماني هانريش فون مالتزان/Heinrich Von Maltzan+ أبو يعلى الزواوي+ أحمد حماني+ سعيد صالح+ محمد أكلي أحميمي+ أحمد بوشمال+ السعيد اليجري+ محمد الفضيل الورثاني+ المولود الحافظي+ مبارك الميلي+ محمد الأمين العمودي+ الطيب العقي+ أحمد عروة+ كبار علماء الزاوية... إنها حمزة الماضي التي أنجبت أبا القاسم عبد الله بن عبد الله بن داود، والمؤرخ عبد الله محمد بن حماد الصنهاجي، وابن قرقول، ومحمد بن السلاح الزواوي وأحمد بن إدريس...

١- الكلمة التي أعدت مُلتقى البويرة (علماء أمشدة) تنظيم الولاية، ومديرية الشؤون الدينية والأوقاف، بمعية جمعية (إسعاد) للصلح والأعمال الخيرية، بتاريخ 29 - 30 جوان 2024م.

وإنَّه من الضرورة التَّنقيب في سيرة وعلماء السلف والحاضر، وطرح أفكارهم، وشرح مُصنَّفاتهم ومُدوناتهم والنظر في ما تركوه/سجلوه من بضَمات وأثر، وفي ذات الوقت ضرورة الحديث عن الخصوصيات التي عرفتها منطقة البويرة من خلال الأعراش والقبائل والبطون، وعن التَّوَن السَّكاني والتَّعدُّد اللُّغوي، وما يتعلَّق بتلك العادات والتقاليد التي ترسَّخت عبر الأجيال، فكانت ثروة في تفتِّح الهويَّة على التَّكْييف بالمحافظة على الأصالة. ولا نذهب مَذاهب قَدَدًا في هذه المسائل، بقدر ما نُنمِّن برنامج اللجنة العليَّة التي صمَّمت محاور المُلتقى الخمسة؛ بُغْيَة إبراز علماء أمشَدالة في القديم والحديث، وما أبدعوا فيه من آثار في خدمة القرآن والسَّنة والعلوم، وما دَبَّجوه من كتابات في المخطوطات، وما أغلقوا عليه في صناديق (إفنيقن) التَّراث حفظًا، وما تركوه من أشعار ومرجعيات وتاريخ، وإنشاء مدارس، وتأسيس زوايا، وإلقاء خطب كانت تهزُّ فرنسا أيام المُقاومات، وفي ثورة نوفمبر الخالدة التي استأسدت المنطقة مُجاهديها وعلمائها وشبابها الذين استرخصوا أنفسهم من أجل أن نعيش نحن هذه الرِّفاهيَّة. إنَّها أمشَدالة المنطقة التَّاريخيَّة، وما سجَّله المُقاومات الصَّامدة للحفاظ على الهويَّة والدِّفاع عن الثَّلاثي المُتراكب: الجزائر وطننا، والعربيَّة لغتنا والإسلام ديننا. وكان علينا الآن توجيه أولادنا إلى كتابة تاريخنا وتجيده، وتدوين أفكار علمائنا والسُّمو بها وتحقيقها وتركها للأجيال عبرًا ودروسًا، بأنَّهم كانوا شيئًا ذا قيمة وميزان مُعتبر، ولهم بضَمات في الذاكرة، وأن نذكرهم بمَقولة الشَّييد ديدوش مُراد "إذا استشهدنا حافظوا على ذاكرتنا" ومَقولة (ماوتسي تونغ) للمُجاهدة (جميلة بوحيرد): "اُكتبوا تاريخكم؛ فإن لم تكتبوه سيأتي غيركم يكتبه".

ويا أيَّها الحضور، كان علينا الوعي بمَسألة الذاكرة الجماعيَّة الحاملة لأبعاد الأصالة المازيغيَّة والعروبة التَّصاهريَّة، والإسلام الجامع، وهي عتَلات مُتكاملة للجزائر التي بناها المُقاومون والشَّهداء، وتعرَّز هذا في الصِّراع الوحدويِّ ضدَّ الغزاة، وبخاصَّة المُستدِم الفرنسي الذي أراد فرض أوامره، وعلينا الطَّاعة إلحاقًا وثقافة وتبعيَّة. واستيقظت الذاكرة الوطنيَّة الشَّعبيَّة عن وعي الذات بما يجمعها من ثقافة ولغة ودين وتقاليد ونمط العيش وفلكلور وأساطير... وهي قيم جامِعة رافضة للانبطار من خلال التَّمسُّك المتين بالثقافة الإسلاميَّة العربيَّة، وبمجهود الزوايا والعلماء، والدَّولة المركزيَّة، وقيم نوفمبر التي سَطَّرت أوجه التَّكامل بخصوصيَّة: بالمازيغيَّة بقينا، وبالعربيَّة تطوَّرنَا، وبالإسلام شكَّلنا العروَّة الوثقي. ومن هنا يجب الوعي المُصاحب بالحديث النُّوعي الصَّحيح بأنَّ المسألة اللُّغويَّة لم تكن محلَّ صراع بتاتًا، فقد حدثت وضعيات تعايش تامَّة شعارها: المازيغيَّة إرثنا، والعربيَّة غراء اجتماعيَّ توحيدِي، فبالمازيغيَّة كُنا، وبالعربيَّة نبقي. وهذا الوعي التامَّ يجب أن يصحبه الرَّاْي الصَّواب القائل بأنَّ حضارتنا شرقيَّة لا غربيَّة، كما أنَّ أيام في الشَّدة حدثت هجرات إلى المشرق العربيَّ لا إلى الغرب الأوروبي، وهو شعور العودة إلى الأصل. كما أنَّ هناك مَباعث الاعتزاز الكثيرة التي يجب الافتخار بها على غرار كتاب (صالح بن عبد الحليم الإيلاني) (مُفاخر البربر) فكيف كانوا أسودًا في الحروب وكيف عملوا على حبَّ العربيَّة، والاعتزاز بالمازيغيَّة، وكيف عمل ملوك البربر - وعددهم ثلاثة عشر (13) ملكًا بربريًّا - على إنزال العربيَّة المُقام العالي، وعملوا بها في دُولهم، ولم ينسوا التَّمزيغ/المازيغيَّة؛ فكانت لغتهم

الوظيفية التي يستعملونها في المصالح المرسله، وفي مناسبات تليق بها، وهذا مبعث الاعتزاز الذي كان عند السلف، فكيف لا يتكامل/يتعزز أكثر عند الخلف فلم لا يكون للسابق فضل التأسيس، وللاحق فضل التطوير.

2- بوية التاريخ: إن البوية / ⵜⴰⵔⴰⵢⵔⴰⵏⵜ / ثويرتست/Bouira مدينة التنوع والتجانس والتعايش، إنها بوية الخير التي لها تاريخ مجيد، منذ تأسيسها من قبل (حمزة بن الحسن العلوي) في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ونالت شهرة كبيرة، وقال فيها (البكري) في المسالك والممالك "... وهناك مدينة تسمى حمزة نزلها وبنها حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن (تصحييف والأصح الحسين) بن علي بن أبي طالب، والحسن بن سليمان هو الذي دخل المغرب، وكان له من البنين حمزة هذا، وعبد الله وإبراهيم وأحمد ومحمد والقاسم، وكلهم أعقب وعقبهم هناك... إلى سوق حمزة وهي مدينة عليها سور وخندق، وبها آبار عذبة وهي لصنهاجة". وزارها (اليقوبي) وقال عنها في كتابه (البلدان) "... ومن هذا الموضع البلد الذي تغلب عليه الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب... وأول المدن التي في يده مدينة يقال لها هاز، سكانها قوم من البربر القدم، يقال لهم بنو يريين من زناتة أيضاً، ثم مدن بعد ذلك سكانها صنهاجة، وزاوة، يعرفون بالبرانس، وهم أصحاب عمارة، وزرع، وضرع، وإلى هاز ينسب البلد، وبينها وبين عمل أدنة مسير ثلاثة أيام". والمهم في الأمر أن (حمزة) سكن وموطن صنهاجة القبيلة البربرية العظيمة تمتد من المسيلة حتى جزائر بني مزغنة ومليانة والمدينة مروراً بأرض حمزة، ولهم قبائل مشهورة بحمزة مثل بني جعد وممتان، وجزء من أونوغة الغربية ولذلك فقد تبعت منطقة حمزة الزيريين وبني عمومهم الحماديين الصنهاجيين زمن سطوع نجم ملوك تكلالة أواخر دولة الفاطميين بالمغرب الأوسط والأدنى... وأترك مسألة التاريخ لأهله. وما يمكن أن أسجله بأن التاريخ ينطق في البوية بضريح (تاكفاريناس) الملك البربري المعروف بضريح أولاد سلامة بالهاشمية، وعين حازم بالأسنام، وحجرة البلارج، والبنيان، وجنين، وأمعلة بعين بسام التاريخية... هي معالم تحتزن تاريخاً حافلاً بالأعاجاد، وتبقى آثارها ظاهرة في الفترة العثمانية في (برج حمزة) إلى غاية مجيء المستعرب الفرنسي الذي دمر كل شيء. إنها بوية التاريخ التي عرفت أسوأ أيامها في فترة الاستخراب، وقد عاشت أشد الويلات من فترة حكم يجو إلى المستدمر باسطوس، وسجلت الفترة الاستدمارية كل عذابات القهر والتنكيل، وويلات النابالم والتحريق والقضاء على زعيم الدولة الحديثة في المنطقة (الأمير عبد القادر) سنة 1842م، وإلى ثورة المقراني، ثم الخليفة بومزراق... ثورات وراء ثورات، وثورة الانتصار لها وقع في المنطقة بمعارك: سوفلات+ ثاوريرث+ المعمورة+ آث حوارى+ صهاريج+ السماش+ جبل بوقعودن+ جبل بودربالة+ أعالي القادرية+ معارك مدينة الأخضرية+ ضربات سور الغزلان+ معارك عينية طويلة في ثيلوية... هي معارك في كل ربوع هذه المنطقة من الولاية الثالثة، وقد دفعت فيها هذه الجهة الآلاف من الشهداء الشباب والذين قال فيهم المجاهدون "إخواني لا تنسوا شهداءكم". ويا أيها الحضور سيعود الشهداء، ويحاسبوننا هل حافظنا على العهد، وأدينا الأمانة، ووفينا العهد، وحافظنا على الوحدة ولحمة التآخي والتآلف والتصاهر والتكامل؟

3- البويرة مدينة علماء جمعية العلماء المسلمين: إنها مُتَدَّةُ الجذور، عميقة الغور، بما تحتزنه من العلماء الذين تجاوز صيتهم ونشاطهم حدود منطقتهم ليلبغ مناطق عديدة من الوطن؛ فنجد تناسل علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ظاهراً ومُتَدِّداً وقوياً، فهذا الشيخ عمر بوناب من عُمر، صاحب المقولة المشهورة "العلم هو الوسيلة الأولى من وسائل الاستقلال، ولا يمكن الوصول إلى الغاية إلا بعد الحصول على وسائلها؛ لأنَّ الاستقلال معناه انفراد الأمة بحكم نفسها وإدارة شؤونها، وتصريف تجارتها توريداً وتصديراً والموازنة بين الاثنين قلةً وكثرةً، والاعتماد على محصولات بلادها ونقلها من باب الفلاحة إلى باب الصناعة والقيام بهذه الأمور يستدعي علماً اختبارياً وفناً تجريبياً تقوم عليهما دعائم الاستقلال. لسنا وحدنا في العالم ولسنا مبدأ تاريخ حتى نشد في الدنيا أو نجري على غير المنهاج الذي جرت عليه الأمم في استقلالها". وهذا الشيخ (أحمد صدقاوي) من الأخضرية، والشيخ (محمد أكلي حميمي) مُرشدًا في مسجد العجينة والشيخ (محمد الطيب الخضير) واعظاً في بني يخلف، والشيخ (إسماعيل جوامع) مُدرِّساً في مسجد مدينة البويرة، وتطول القائمة بأسماء صنعوا المجد، وتركوا الأثر، فيحتاجون الآن من هذا الجيل التاريخ لماثرهم فأثارهم تدلّ عليهم.

وهنا علينا أن نستنطق التاريخ بأن مدارس كثيرة قامت في هذه الولاية، فتفتح أول مدرسة في (ثاوريرث) ببني منصور سنة 1944م، وتحوّل بعد ذلك إلى زاوية، وتليها ثاني مدرسة في (بني يخلف) سنة 1945م وثالث مدرسة في (آث إبراهيم) سنة 1947م. وفي هذه القرية كان أول مسجد في ولاية القبائل الكبرى ويعود تاريخ تأسيسه إلى القرن الثامن عشر الميلادي، ثم مدرسة (العجينة) سنة 1948م، فدراسة (القصر) سنة 1948م، ثم مدرسة (التربية والتعليم بالبويرة) سنة 1949م، فدراسة (إيزمورن) بحيزر سنة 1952م وثم مدرسة (عمر الحطة) وأخرى في (عين بسام) ومدارس أخرى حرة تتبع جمعية العلماء المسلمين على غرار مدرسة (سلوم) لمؤسسها (دحماني الحسين). مدارس تشهد على تعطش المنطقة على تعلّم العربية وفهم الدين الإسلامي، والتربية على القيم والأخلاق العالية. وتشهد المدارس العتيقة على دور المدارس الإصلاحية في هذه الولاية، وأشهر معلمها نسمع بالرواية: أحمد شقار الثعالبي + عبد المالك فضلاء + محمد الطاهر التأموكي + محمد الشريف الحسني + أحمد الحسيني + محمد سعدون + محمد الشريف العربي + عبد الرحمن قاري + موسى سفير... الخ.

ويحتاج منّا البحث في القائمة الاسمية لمؤسسي هذه المدارس، فهم أناس يتطهرون، ومن الوزن الثقيل ومن الذين ينظرون إلى البعيد، ويخططون للمستقبل، والأجدر بنا أن نكتب عنهم سيرهم في سجل الأعيان الخالدين. وإنها بويرة التاريخ في قلب الأحداث القديمة والمعاصرة بما لها من علماء وأعيان ومصلحين وفاعلي الخير ومُحَطِّطين، وبما قدّمته من قوافل الشهداء من مختلف التيارات الوطنية، وكان منهم المعلمون والطلبة الذين تشبعوا في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بحبّ الوطن والعربية والشعور بالمسؤولية والتضحية، ولم يتأخروا عن تلبية نداء (حي على الجهاد) الذي أطلقه المجاهدون في ليلة أول نوفمبر 1954 "من جبالنا طلع صوت الأحرار يُنادينا، يُنادينا للاستقلال لاستقلال وطننا".

وشمخت هذه المنطقة من الولاية الثالثة التاريخية بكار شهدائها الذين بفضلهم التقينا ونلتقي ونكبر ونفتخر فهذا الشهيد (سي راجح المقراني) المدعو الرائد (سي نخضر)، وهذا الرائد (مولود عمروش) المدعو (سي مولود أواقور)... والقائمة كبيرة كبر الجزائر، وأنعم بهم من شهداء! والشهداء لا يموتون ويتناسلون، ففراهم في المجاهدين، وفي هؤلاء العلماء هداة الأمة وهم يتسابقون للجد والتدافع لخدمة الوطن والحفاظ على الموروث الثقافي المادي وغير المادي، وأنعم بكم أيها المجاهدون والعلماء!

4- بيرة العلماء والمعمرات/الزوايا: يشهد التاريخ على ما قدمته المنطقة من علماء، وأنها زاخرة بالمعمرات/الزوايا: زاوية أحيف + كرومة + بوكرام + بودربالة + أولاد بلهوا/أولاد سيدي عبد العزيز + الرابطة + أمعل + بلعموري... وعليها مصلحون وشيوخ ومعلمون أمثال: المشداليون القدماء أيام علماء الزاوية، وكانوا من السابقين، وتضاف إليهم قائمة من العلماء أمثال: عبد الرحمن شيبان + عمر بوناب + أحمد صدقاوي + محمد الصادق بن أرزقي... ومر بها مرشدون ومعلمون أمثال: البشير الإبراهيمي + أحمد حماني + محمد أكلي حميمي + محمد الطيب لخضير + محمد الشريف الثعالبي + محمد الطيب قاسمي + محمد العربي بن بوزيد + صالح الصالح... منطقة شهدت حضور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدارسها، منطقة زاخرة بشهداء علماء، وبخاصة رجال التيار الوطني، وقائمة طويلة من الذين كتبت أسماؤهم في ميدان الشرف. وما يجب أن نعرفه أن من بين هؤلاء العلماء نجد القضاة والمفتين والفقهاء والمدرسين من علماء أمشالة الذين اشتهروا في بلاد المغرب والمشارك، فأين يوضعون في الميزان، وكيف تسقط كفة الميزان لصالح هؤلاء يا إخوان، والأحق بنا جميعاً أن نفخر ونفاخر بأن بلادنا بعلمائها في الماضي وفي الحاضر بألف خير.

5- علماء أمشالة في الميزان: أتحدث في هؤلاء العلماء ليس لأول مرة، بل سبق أن كتبت في عظمة الميزان العلمي لعلماء أمشالة؛ وليس من باب المفاخرة المناطقية، وأتشف أن أكون منهم، وينطبق علي قول الشاعر:

بلاد بها شدت علي تمني * وأول أرض مس جلدي ثرابها

وليس من باب المقابلة العشوائية، بل من باب المفاخرة العلمية التي أظهرها المشداليون بعلمهم وتحبيرهم وملازماتهم العقائدية، والمسيرة المذهبية الوسطية، فحادث التاريخ هي التي حفظت لهم شأنهم بما ورد في إضباراتهم وقرائيسهم من العلمية والدقة. ومع ذلك فإن الأمور ليست قطعية؛ وهي في حاجة إلى تحييص وبيان دلالة صدق أو تكذيب من شواهد ومصادر أخرى مندكة في تلايف الحدث أو قرينة منه. وتبقى هذه الأمور التي طال عليها الزمان في الأخبار الواردة تحتاج إلى تدبر الحفر والتحرز والتحرّج الثبت في البحث للوصول إلى كبد الحقيقة التي لا يسدها غريبال وهذا ما فعلته عند إعدادي هذه المحاضرة، وهذا ما نحتاجه من خلال هذا اللقاء العلمي لتبادل الأفكار بالحجة والبرهان، والإتيان بالدليل على صنع علمائنا الكبار ونحتاج إلى نشر أفكارهم لدى الناشئة؛ ليعوا قيمة الاهتمام بالعلم والعلماء، ونأخذ بنصائح القول؛ فإنه سوف تنزل علينا ويلات ونخر الضمير إذا لم نحترم علماءنا، وويل لأمة لا تحترم علماءها ومفكرها، وليس منا من لم يرحم

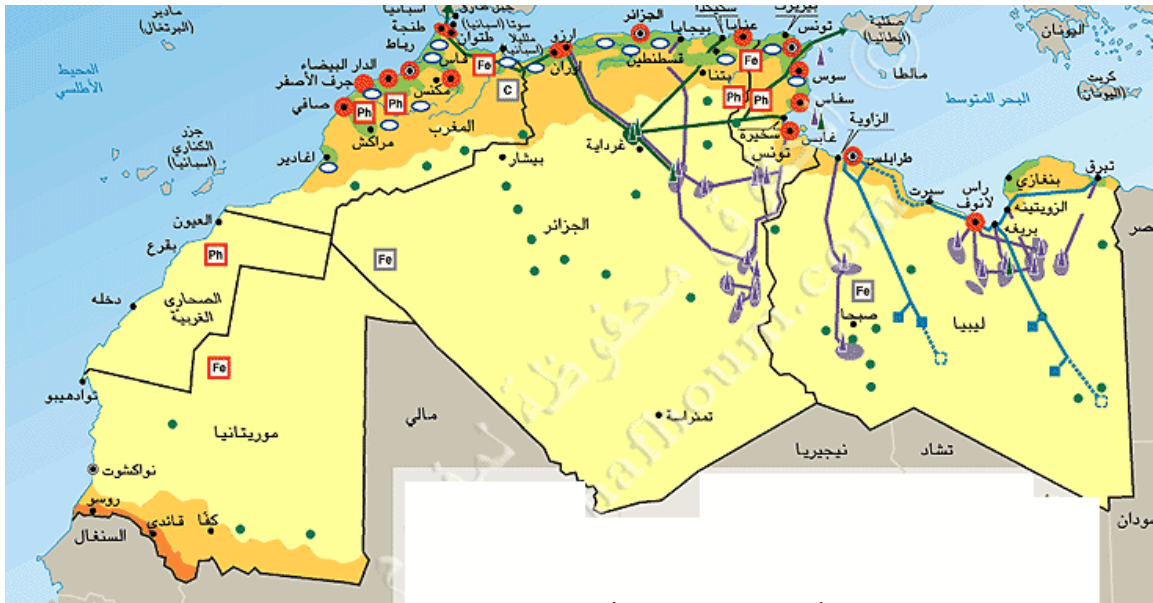
صغيرنا ويوقّر كبيرنا. وإنّ الحديث عن علماء أمشدة كبير لما لهم من وزن علمي في الإبداع والتصدر، وما تركوه من مكتوب، وما كُتب عنهم من الباحثين، والأحرى أن أعمل النظر بتقسيمهم إلى قسمين؛

1/5- القسم الأول: علماء أمشدة القدامى: ويكون الحديث عن علماء ما قبل العصر الحاضر وحفظت لنا المصادر أسماءهم، ونشير إلى ناصر الدين سيدي منصور المشدالي (631هـ-731هـ) + أبو موسى عمران المشدالي (670هـ-745هـ) + بلقاسم المشدالي (770هـ-858هـ) + أبو عبد الله المشدالي (816هـ-859هـ) + محمد بن محمد المشدالي (820هـ-864هـ) + محمد المشدالي (792هـ-866هـ)، والقائمة تكبر بمجموعة من رجال الفقه والخطباء والعلماء، وتقف المصادر على أعلام لهم ميزان في التاريخ من مثل "... وهناك أيضا العلامة عمران المشدالي (1271-1344م)، وهو تلميذ ناصر الدين المشدالي، الذي رحل إلى تلمسان، فأحسن سلطانها ابن تاشفين الزياني وفادته، ثم عينه مدرّساً بالمدرسة التاشفينية، درس العلوم الشرعية واللغوية والمنطق، ولعل أشهر تلامذته في تلمسان المقرئ الجد وهو من العلماء الكبار في زمانه، ومكث عمران المشدالي في مدينة تلمسان إلى أن أدركته المنية، وهناك أيضاً أبو الفضل المشدالي (1418-1460م)، الذي ارتحل إلى تلمسان طلباً للعلم سنة 1436م، ومكث بها مدة أربع سنوات، أخذ خلالها العلوم الشرعية والأدب والمنطق والفلسفة على يد العلامة ابن مرزوق الحفيد، ودرس أصول الفقه على يد العلامة أبي العباس أحمد بن زاغو، وأخذ شتى فروع العلوم والمعارف التي كانت رائجة في زمانه على علماء كثيرين. وبموازاة إقباله على طلب العلم، كان بدوره يقوم بمهمة التعليم، ولعل أشهر تلامذته في تلمسان أحمد بن زكري".

وأقف وقفات في علماء أمشدة الذين قيل فيهم "لولا علماء أمشدة لما كانت بجاية الحضارة" بجاية حاضرة من حواضر المشداليين الذين أبدعوا فيها تحت مصطلح (الزواوة+ علماء بجاية+ علماء المسيلة)، ولا بد من التنويه بدور علماء أمشدة من خلال حاضرة بجاية التي حصل فيها التبادل المعرفي بين رباط تلمسان ورباط بجاية، وأدى ذلك إلى بناء قاعدة علمية وثقافية ودينية في مواجهة الجهل والظلام الذي كان يسود كثيراً من المناطق وبخاصة أوروبا، وشكل قاعدة التبادل العلمي للعدوتين. فمن هذا التبادل عرفت رباطات المنطقتين نجاحات معتبرة، بفضل جهود مرابطيها وعلمائها، فكان لها وزن ووقع ثقافي في دول شمال أفريقيا؛ إذ تكاثرت فيهما الرباطات؛ وبخاصة بعد سقوط الأندلس؛ حيث حلّ بهما كثير من علماء الفردوس المفقود؛ فكانت لهم أياد بيضاء في الحراك الثقافي على مستوى الرباطات التي حلّوا بها. ولماذا هذان الرباطان؟ ما يعرف أنّ الرباطات من الأماكن العلمية التي كان لها وجود ثقافي في الماضي، وربما في الوقت الحاضر، وقد بقيت وشمات الحضارة ظاهرة في كثير من معالمها الشاهدة على أنّ حضارة قديمة كانت فيها، بل امتد شعاعها إلى الخارج، فأصبحت مصدرية للحضارة.

وتشير المصادر أنّ رباطات تلمسان تشهد آثارها على أنّ حضارات عربية إسلامية مرّت فيها، وكان لها أن تركت البصمات على كثير من الصعد. وأمّا بالنسبة لرباطات بجاية فلا يمكن أن نخفي تلك المعالم الكبرى الشاهدة من مثل: برج موسى، وحضارة الحمادين، وما قدّمته جامعها من أنوار العلوم، في وقت كان الظلام

يسود العالم، ألم يقصدها ليوناردو دافنشي/Leonardo da Vinci، ويتعلّم فيها كبار علماء الرياضيات، ألم تكن بجاية تستقطب العشاق، حتى لُقبت بعروس البحر المتوسط، وكانت محلّ إلهام الشعراء والفنانين... ولقد عبّد علماء الحاضر طريق العلم التي يسلكها العلماء والطلاب للوصول إلى منابع العلوم. فهي طرق العلم والحياة ومثلها مثل طريق الحرير في آسيا أو طريق الملح في توات، ومثل الطرق التجارية المشهورة في أفريقيا؛ فمن شمال أفريقيا إلى تومبوكتو أو إلى السنغال، أو طريق البحر من الخليج إلى دار السلام بتنزانيا، أو الطريق البحري العربي إلى زنجبار... وفي هذا كله نجد موقع تلمسان في قلب (شمال أفريقيا) الدول المغاربية في الاصطلاح المعاصر؛ حيث تُشدّ إليها الرّحال من رباط القرويين، ومن رباط بجاية، ولا تُقصد مباشرة من القيروان، وإنّ قاصدي تلمسان من علماء القيروان لا بدّ عليهم أولاً أن يحطّوا رحالهم في بجاية، ثمّ يواصلون المسير إلى رباط تلمسان وكذلك بالنسبة للوافدين من القيروان إلى تلمسان لا بدّ من المرور برباط بجاية كمحطة راحة أو تجربة أو مغامرة، ثمّ إلى رباط تلمسان.



ولقد ثبت هذا من خلال المدوّنة التي اعتمدتها في هذه الدّراسة (نفع الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب) أحمد المقرّي التّلمساني، تح: إحسان عبّاس. أنّ الطّريق الذي يسلك بين القيروان إلى تلمسان، لا بدّ من محطّة بجاية، وأنّ التّبادل الثقافي والعلمي قائم بين بجاية اختصاص العلوم، وتلمسان اختصاص العلوم اللّغويّة والدّينيّة والاجتماعيّة. كما استخلصنا من ذات المدوّنة ما يلي:

- 1- ثبت كلّ الأعلام الذين ذكرهم المقرّي في مجلّدات كتابه؛ والذين يُكونون بـ: التّلمساني (نسبة إلى تلمسان) البجائي/الزّواوي/المشدّالي/المسيلي/الحسناوي (نسبة إلى بلاد الزّواوة).
- 2- الجُمع بين علماء منطقة الزّواوة في كُنَيات خمس وهي: البجائي/الزّواوي/المشدّالي/المسيلي/الحسناوي. وكان يُطلق على علماء هذه المناطق في القديم (البجاويّون) أو (أهل الزّواوة)؛
- 3- الرّباط المقصود ذلك الموضع الذي يجمع الطّلبة والباحثين والعلماء؛ وهو يقرب إلى مدرسة/زاوية/جامعة. ومن موصّفاتهما: مُرابطة العلماء فيها+ التّدريب على جهاد النّفس+ تهيئة مُريدين عاملين

مُجاهدين مُرابطين+ قيام الحلقات والمُناظرات+ مَنح الإجازات، وإرسال المُريدن إلى رباطات أخرى للتدريس.

وعلى العموم؛ فإنّ غلبة الطّابع الصّوّفيّ على هذه الرّبّاطات/الزّوايا ظاهر، ومَعَ كلّ ما يُمْكن قوله؛ فإنّ لها دوراً مهمّاً في حياة النّاس الثّقافيّة والدينيّة، وكانت مُلتقى العلّماء والمُفكرين والدارسين والباحثين والمُناظرين. وكانت لها مَكتبات عامرة؛ حيث حوّت نفائس الآثار وروائع المُصنّفات؛ فقصدتها الطّلاب من كلّ حدب وصوب، كما أقام فيها الطّلاب الغرباء والفقهاء والعلّماء حبّاً في علماؤها الذين تركوا أبواب مَراكِهم مُسرّعة للتّبادل المعرفي، فهم يَسمعون ويُسَمعون، ثمّ يُحلّلون ويناقشون، ويقبلون الحجّة والبرهان، فيرضخون للرّأي والصّواب.

- علّماء بجاية من خلال المُدونة: لقد توزّعت كنياتهم بين: البجائي - المَسيلي - الزّواوي - الحسناوي - المَشْدالي:

1- البجائي:

الرّقم	اسم العالم	المجلّد	الصفحة
1	أحمد بن إدريس البجائي	5	255
2	أبو الحسن البجائي	2	180
3	عبد الله التّيمي البجائي (أبو مُحمّد)	2	489

2- المَسيلي:

الرّقم	اسم العالم	المجلّد	الصفحة
1	أحمد بن عبد السّلام المَسيلي	2	598

3- الزّواوي:

الرّقم	اسم العالم	المجلّد	الصفحة
1	نصر الزّواوي	5	328
2	الزّواوي	6	215
3	المقرّي الزّواوي	6	172
4	مُحمّد بن أبي يوسف يعقوب الزّواوي (أبو عبد الله)	5	250
5	مُحمّد بن يلبخت (أبو عبد الله)	5	359
6	مَنصور أبو علي الزّواوي	7	304 / 166 / 147

4- الحسناوي:

الرّقم	اسم العالم	المجلّد	الصفحة
1	أبو إسحاق الحسناوي	5	503

5- المَشْدالي:

الرّقم	اسم العالم	المجلّد	الصفحة
1	مُحمّد بن أبي القاسم أبو عبد الله المَشْدالي	5	419
2	مَنصور المَشْدالي (أبو علي)	5	259
3	ناصر الدّين المَشْدالي (أبو علي)	5	485 / 395
4	أبو الفضل المَشْدالي	5	428
5	عمران بن موسى (أبو موسى المَشْدالي)	5	224 / 223 / 218
المجموع			16

- التعليق: إنَّ بجاية الحضارة كانت حاضرة علمية عالمية قبل الفتح الإسلامي، ومن الفتح الإسلامي عرفت انفتاحاً آخر على العلوم الدينية الإسلامية، وفيها عرفت تعليم العلوم، وعقد الحلقات، وإجراء المناظرات والانفتاح على اللغات، وازدادت تألقاً بعد سقوط الأندلس؛ حيث انزاح إليها الكثير من الموريسكيين ووجدوا الرعاية من الحكام والأعيان والأهالي، وتأسست فيها المدرسة الصربية مع (أبو الحسن بن عصفور الإشبيلي) إلى جانب مدرسة الرياضيات، كما تأسست فيها جامعة عالمية يقصدها الطلاب من كل فج عميق. مرة أخرى عندما نتحدث عن بجاية يعني نتكلم عن جامعة بجاية؛ هذه الجامعة التي عملت بجدارة على ترسيخ الثقافة الإسلامية. ففيها وجدت جوامع كثيرة؛ حيث كان (الجامع) ملتقى فكرياً للعديد من الشيوخ والفقهاء، ومن أتباع الديانات اليهودية والمسيحية، وكان التركيز على إعمار المساجد التي عملت على تنقيح المنقول وابتكار المعقول، وفي هذه الأماكن (المساجد) نشأ من نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى الغرب وكانت جامعة بجاية تُضيء طريق البحث عن الثقافة والفكر العربي في بلاد المغرب منارة ضخمة عاشت لحماية اللغة والأدب العربي، وتنقله خارج أسواره. وبجاية العصر الحاضر هي بجاية الناصرية، بجاية الصنهاجية، بجاية المعمرات والجماعات، بجاية الشيخ الحداد صاحب الطريقة الرحمانية والمذهب المالكي، بجاية الأكثر عدداً في زوايا تعليم القرآن الكريم على المستوى الوطني.

وما يمكن استنتاجه أنَّ علماء أمشدة كان لهم ميزان في التواصل بين الرباطات، وتبنوا كلمة (الزواوي: البجاوي/المسيلي) دون التخلي عن (المشدالي). هم علماء رُحل، وكان لهم حضور بين علماء الشرق والأندلس وأوروبا، ولهم مُريدون من كل البلاد بما لهم من تعدد الاختصاص في البحث، وفي تحصيل العلم والموسوعية؛ وهم صغار السن. علماء أمشدة نسجوا التبادل المعرفي المضيف في التدريس والتصدر. ومن خلاهم ازدهرت الحركة الثقافية، وقامت المؤسسات التعليمية، وتأسست المناهج التربوية الجديدة، كما قام الشعر التعليمي، وتطورت المؤنحات، والإبداع في المقامات، والانفتاح على الثقافة اللاتينية خاصة وظهور التبادل المعرفي بين بلاد المغرب وأوروبا، وبرزت معالم وخصوصيات ثقافية مغربية اقتداء بمدرسة الأندلس النحوية. ومن خلال هذا المختصر يكفي أن أقول: إنَّ علماء أمشدة يوزنون بأعمالهم المائزة بما لهم من إبداع في العلوم وفي الشريعة والاجتهاد وعلوم الفلك، ومختلف العلوم الطبيعية، وزادهم كبير بوزن أكبر في الفقه والأصول، ومذهب الأشعرية، وفي سلوك التصوف العلمي. ويمتد طريق العلم بين علماء الزاوة وتلمسان ولعل أشهر الأسماء التي أقامت جسوراً علمية وثقافية بين المدينتين، علماء أمشدة ونذكر منهم ناصر الدين المشدالي الذي يعدّ ضمن قائمة العلماء الكبار الذين أنجبتهم بلاد الزاوة، وقد مرّ بتلمسان، وهو في طريقه إلى المشرق لإكمال دراسته، ويعود عالماً كبيراً يتصدر في بجاية، ويحدث ثورة في إصلاح طرائق التدريس، مُعتمداً على الحوار والمناقشة والتعمق في البحث، عن طريق تغليب مبدأ المناظرة العقلية، والاهتمام بالدراية قبل الرواية وقد انتشر صيته في مدينة تلمسان؛ بوصفها منارة للعلم والمعرفة، وعاصمة الدولة الزيانية.

2/5- القسم الثاني: علماء أمشدة العصر الحاضر: وسيكون الحديث على دور علمائنا المعاصرين: الأحياء والأموات دون ذكر الأسماء إلا من باب الضرورة، وهم من علماء الفقه أيضاً والأصول، ومن رجال السياسة والتربية، فلهم وزن خاص في الحديث عن الجهاد، وما تنتظره فلسطين منّا، ومستقبل الأدب الجزائري والاحتفاء برئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وإنها لجهود كبيرة في حسن الدفاع عن تجسيد الإسلام دين الدولة في أول دستور جزائري 1963م، وإحباط ترسيخ الدولة اللائكية، والإسلام دين الشعب والعربية لغة الكتائب. إنها مرفعات عالية من عيار الميزان الثقيل من علماء أمشدة عن الإسلام والعربية، وترسيخ بيان نوفمبر، بله الحديث عن ترسيخ سياسة التعريب المرحلي وتجسيد تعليم التربية الإسلامية.

وما يخفى على الكثير أن من كان ينادي في اليونسكو باعتماد العربية لغة أممية هو (عبد الرحمن شيبان) سنة 1966م، بمعية أحمد طالب الإبراهيمي (وزير التربية آنذ)، وهذا بحسن الدفاع عن القيمة الحضارية للغة العربية، وهو يقول للإيرانيين عليكم سحب ترشيح الفارسية لغة أممية "إن اللغة العربية هي لغة عقيدة وحضارة، قبل أن تكون لغة قومية، والدليل على ذلك أن المساهمة في بناء مجد الحضارة العربية الإسلامية كانت لشخصيات من أصول فارسية، نبغوا في مختلف ميادين الثقافة العربية، وإن الوفاء لأولئك العباقرة والتجديد الحقيقي لهم، إنما يكون بالدفاع عن اللغة التي كتبوا بها، وخلدوا ذكرهم ببناء صرح حضارتها.. فافتنع الوفد الإيراني، وسحبوا ترشيح لغتهم لصالح اللغة العربية" الذي تجسّد سنة 1973م.

ونجح (عبد الرحمن شيبان) في مساعاه بصدر قرار بهذا الشأن في الدورة 14 باعتماد اللغة العربية اللغة الخامسة الرسمية لهيأة اليونسكو، على أن يطبق هذا القرار في العام 1968، ولم يحصل إلا بعد مرفعات الدول العربية عام 1973م، وبصعوبة كبيرة ومناقشات طويلة، وممانعات بعض الدول. إنها مرفعات في استرجاع (نادي الترقى) في 27 جانفي 2002 وإحياء جرائد جمعية العلماء المسلمين: الشريعة + السنة + الصراط + الشهاب + البصائر. وكان (عبد الرحمن شيبان) صعب المراس، ولكنه رجل الدولة، فكتبت عنه "مؤسسة إعلامية (indigo- publications) في عدد خاص تحت عنوان: "الجزائر ورجال الحكم/ Algérie les hommes du pouvoir.. حارس القيم الإسلامية/ Le gardien des valeurs Islamiques". إنه وأمثاله من علماء المنطقة الذين ناخوا من أجل المواطنة اللغوية والمصاهرة الجماعية والعيش معاً بسلام، وقد تجسّدت أفكارهم في:

2/5-1. الإقرار بالتعدد اللغوي منذ القديم: إن شمال أفريقيا ومنذ الممالك البربرية وكانت مزدوجة اللغات، وقد كان الازدواج اللغوي نعمة كبيرة؛ لأنه يسمح بالتواصل البيني/الأجنبي دون عوائق، وهذه خاصية جيدة حيث أحسن التخطيط لها في ما مضى من الزمان، وكان سلاح ذلك العصر، وتواصل الفعل اللساني إلى غاية ظهور الدول الوطنية.

2/5-2. الوعي بالتكامل اللغوي الطبيعي: وهو كائن في قضايا اللغتين من حيث المكونات: النحوية والصرفية والدلالية والمُعجمية، هذا ما تظهره طبيعة اللغتين: العربية والتّمزيغت/المازيغية من حيث الأرومة

والتكامل في كثير من القضايا، ومن حيث النشأة والتبادل اللساني؛ لأن المنطلق واحد، والتكامل كان موجوداً في أصل وضع اللغتين.

3-2/5. الوعي بالمطلب الهوياتي الوطني الإيجابي: ويتمثل في رسمية المازيغية بما عليها في المادة الرابعة، وهذا لم يحصل منذ المملكة المازيغية الأولى. وقد وقع الإقرار بها؛ وهي تُمارَس وتُدْرَس ويقع البحث فيها وبها. وبذلك نقول: إن المازيغية والعربية لغاتنا، والإسلام ثقافتنا، وبالعربية تُمارَس وجودنا العلمي والفكري وبلغاتنا الوطنية الرسمية تُمارَس وجودنا الثقافي والفني. وهذا الوعي يستلزم الدعوة إلى ضرورة التكامل، والعمل على مزيد من التأدية الجماعية.

4-2/5. استيعاب قوي ميكافيلية عدو الأُمس: كما نعرف بأن الفرنسيين دسّوا أنوفهم في المسألة اللغوية وحاولوا إعطاءها صورة التفتيت؛ باتباع سياسة (فرق تسد) وانبرى لها علماء الجزائر بمعية علماء المنطقة وأفشلوا سياسته في إظهار عدم وجود الصراع اللغوي، وهو اختلاف في المنهجية، والوصول إلى هدف واحد.

5-2/5. التنصل من دعاوى التأسيس للأمة الأمازيغية المتميزة والمتسامية عن الأمة العربية..

6-2/5. رفض التماهي مع مشروع الهوية الغريبة الذي تبناه بعض النخب.

7-2/5. التبرئة من تلك الأقوال المغالية والمحبطة من مثل: العربية لغة الشعر والأدب، والفرنسية لغة الفعل والتنمية والحداثة، والمازيغية لغة الفن والرقص... أمام هذا الوضع كيف العمل لإعادة النظر في المسألة اللغوية في الجزائر. ودعا علماء المنطقة إلى ضرورة مراجعة المسائل، ويكون البدء بجلد الذات والوعي بأهمية اللغات الوطنية التي لها الأولوية في التدريس وفي الاستعمال. فدعم اللغات الأجنبية أن يكون بالنفع بحيث نستفيد منها، ولا تكون وسيلة استخلاف أو بديلاً عن اللغات الوطنية.

8-2/5. الاحتكام إلى وصفة الأجداد في المسألة اللغوية: وهي وصفة تكامل لا تصارع، وهذا ما تجسده الكثير من الكتابات حول تاريخ الزواوة، ويكفي أن ننظر إلى كتاب (جماعة المسلمين) لأبي يعلى الزواوي. وأن الكتابات البربرية الأولى للقديس أوغسطين والمُلك يوبا II ومن كتب بالرومانية أو اللاتينية أو الإغريقية فتصنّف ضمن الأدب الأوروبي.

إن علماءنا ليسوا مُغلّقين، وليسوا من أولئك الذين يقفزون على الحقائق، ويقرون بضرورة التفتح على اللغات الأجنبية، وهي ضرورة قصوى تملّحها علينا آليات الانسجام الجمعي الوطني؛ سعياً إلى بناء مستقبل يتجاوز العقبات اللسانية. وإنها البويرة ولاية منجابه للعلماء، وأصحاب الكعب العالي؛ بما صنعوه بأفكارهم وأقلامهم ففي البويرة يلتقي العلماء مع التاريخ، هنا في حمزة يلتقي التاريخ المجيد، فمن تاكفاريناس صور الغزلان العتيد وإلى أشير عين بسام المديد، وإلى أمشدالة يما اخليجة نريد، ونحط في پاليسطرو سي لخضر الصنديد...

- الخاتمة: إن الجزائر وحدة واحدة، وجمالها في تنوع أفكار علماءها المؤدية إلى هدف واحد، وهو المحافظة على الهوية اللغوية، وعلى الذاكرة الوطنية. ولا تكون المحافظة على الهوية إلا بفكر إيجابي لمسطرة علماءها، ولا يجب أن نسمح للأشياء الجميلة بالرحيل. ومن الضروري أن نكون أوفياء لفكر علماءنا بتأسيس كراسي جامعية

بأسمائهم؛ تقوم على تطوير البحث العلمي، وهي قاعدة مُستمدّة من ديننا الحنيف "العلماء ورثة الأنبياء، ويوزن مداد العالم بدم الشهداء"، وعندما نحترم علماءنا تتحسن سلوكيات أعمالنا في وظائفنا بشكل إيجابي، ولذا، علينا أن نسوّى إرشادات ومرجعيات ونماذج أخلاقية من علمائنا وشهادتنا ومجاهدينا. نعم إنهم علماءنا وشهادتنا المائزون في العليّة والوسطيّة والاعتدال، وفي الدفاع عن الوطن تحقيقاً لمأثور سلفنا الصالح "كونوا خير خلف لخير سلف + إن أحسن اللاحق، فإن الفضل للسابق". مقولات ذهبية قالها الكبار وكلّها أمعنا فيها النظر أبصرنا طريقاً تمتين الوحدة؛ وصولاً إلى موقع الصدارة، وصناعة النهوض، كما أنّ الهوية الوطنية تحتاج إلى شدّة الطاقة؛ لتقوية النفس، فالهوية ليست في التفكير، بل في ما لم يفكر فيه أحد من قبل، وفي تأمل أشياء لم يتأملها الآخرون. تلكم هي علامات النجاح الوطني، ومواصلة تقوية المسار الذي عبده العلماء والشهداء. وإن البويرة ما هي إلا قطعة من الوطن الكبير (الجزائر) الذي يفخر بعلمائه وشهادته وبأحبيه وصانعي مجده، ومن الذين تناسلوا من الكبار، ومن أولئك الذين وزنهم من العيار الذي لا يُقدّر إلا بالعليّة والافتخار، ومن نحفظ لهم سجل خلود أسمائهم بما لهم من أفضال، وهم من الصالحين الذين تبقى أعمالهم وأقوالهم صالحة ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأنبياء 105، والسلام عليكم جميعاً.

سپتمبر 2024

ترجمة العلوم إلى اللغة العربية*

-المنهج والأدوات-

- الديباجة: أستهلّ كلمتي بالسؤال التالي متى نتكلّم العربية بالعلم، وهل يمكن للعلم أن يكون عربياً؟ وأحاول تحليل مخرجات السؤال بالحديث عن فقر العربية في الأبحاث والدراسات العلمية الجادة التي ينتجها الأجانب بلغاتهم، وهي تتبادل أدواراً في مختلف العلوم بالإبداع الدائم، ولا يوجد ذلك في منظومة اللغة العربية، ونحن نعيش الاستهلاك والتبعية اللغوية، وتارة بالعودة إلى الإشادة بماضي لغتنا العربية وتاريخنا المجيد، ونُناغ الأُقوال بأنّ العربية شهدت أول نقلة لها في الترجمة في تعريب/ترجمة علوم الطب والفلك والرياضيات والموسيقى والفلسفة والنقد عن السريانية واليونانية والفارسية والعبرية والهندية، وصولاً إلى حركات الترجمة اللاتينية في القرن XII وقد واكبت العربية تطور العلوم آنذاك. ولكن الآن قذّف بها حال الإهمال إلى البيات في إنتاج العلوم وملاحقة آليات العصر، فأصبحت لغة غير مُنتجة للعلم، وحتى في بعض حالات الاجتهاد، فإن المترجم يقترح ترجمة لمصطلح ما مع الإبقاء على المصطلح الأجنبي الكفيل وحده بتحديد المعنى بدقة، رفعاً للبس، وفي كتابة أسمائنا وألقابنا لا بدّ أن تأتي الحروف اللاتينية معها؛ تصديقاً للصواب.

وتأبى العربية أن تأتي على ظهر العلم، ولا ينطق بها العلم، ولذلك نراها تعيش أزمة ثقة، وضعف بحث وتيه وضلال، وغرق في تشعبات الإذلال. ومن خلال هذا نقول لا يمكن أن يكون العلم عربياً إذا لم يأت بلسان العرب، وعلينا وخز الضمير بوعي جديد عماده فعل (بيت الحكمة) وبوصفة الأجداد في إغماس العربية في حمّامها التعليمي الاستعماليّ الإبداعيّ، وتنشيط التواصل مع الآخرين في مختلف أعمالهم وإبداعهم، وتعزيز طرائق العلم والتلاقح الثقافيّ. وستكون العربية لغة العلم عندما تنجح في تشكيل تداخل حضاريّ بخرائط لغوية جديدة في مجالات الثقافة والسياسة والعلوم، وبإنشاء طبقات الترجمة لتسهيل تدفقها في السنوات القادمة وفي نظريات العلوم ومن مصادر مختلفة.

1- العربية وترجمة العلوم: كان ذلك أيام (المأمون) و (الرّشيد) من بغداد الأشمّ بتخصيص ذلك المَعلم الحضاريّ (بيت الحكمة) زمن العصر الذهبيّ للإسلام، وتطوّرت العربية بما كسبته من علوم اللّغات في ظرف سريع، وارتفعت لتكون اللغة الرسميّة والشّعبيّة في الإمبراطوريّة الإسلاميّة، وبدأت حركة ترجمة الوثائق الرسميّة والمعاهدات وعلوم الفلك والطب والأغاني البيزنطيّة والفارسيّة، وما تلاه من مدونات النصوص اليونانيّة وغير اليونانيّة مثل كتابات أرسطو وبطليموس وجالينوس وأبقراط... ودون استثناء علم من العلوم فقد وقعت الترجمة عاموديّة وأفقيّة، ونشطت حركة النّقلين والجوالين العلماء بين اللّغات في الحضارة العربيّة الإسلاميّة بما نالته من تشجيع معنويّ وماديّ بمحمّلات فكريّة واسعة، وفي زمن محدّد لترجمة العلوم والمعارف المختلفة من لغة

♥- الكلمة التي أعدت المُلتقى (ترجمة العلوم إلى اللغة العربية -المنهج والأدوات-) جامعة (علي لونيبي) بمناسبة اليوم العالمي للترجمة.

البلدة في 30 سبتمبر 2024م.

المصدر إلى لغة الهدف، وبهبة عربية غرضها معرفة ما حولهم من محمول اللغات التي لها السبق الحضاري والإنتاج الفكري، ورفع الظلام عن بصيرة العربي المسلم؛ وهو ينشد المعرفة في لحظة محورية في التطور الفكري والثقافي للعالم الإسلامي. ومع توسع الدولة الإسلامية ظهرت الحاجة ملحة للاستفادة من لغات وثقافات تلك الشعوب، وفي ذات الوقت هناك ضرورة نشر الدين الإسلامي بلغته التي حملته وتكاملًا معًا في حضارة عربية إسلامية.

2- الترجمة العربية في الحضارة الإسلامية: لا يأتي الحديث هنا عن فعل التاريخ للتاريخ، بل من باب كيف نجح أجدادنا في حركة الترجمة في صدر الإسلام على الخصوص مع قلة الوسائل والأفكار، وكانت عبارة عن دعوة حملت تحديات نقل العربية إلى صدارة لغات العالم والاستفادة من علومها، ونشر العربية لها؛ وبخاصة تلك النظرة الدينية لانتشار الإسلام، بميسم "ما لا يفهم به الواجب فهو واجب". بدأت الترجمة بداية محتشمة في تعلم السريانية وغيرها من اللغات في وقت وجيز، والاستفادة منها في التواصل اللفظي واتخاذها وسيلة لنشر الإسلام بخطوة أولية، ومع أول خلافة الأمويين شهدت حركة الترجمة نهضة حقيقية في الطب والكيمياء من ترجمة كتب من مكتبة الإسكندرية؛ وإحضار فلاسفة يونانيين من مصر يعرفون العربية لبناء طريقة النهوض بالعربية عن طريق الترجمة. وتطور حركة الترجمة في الخلافة العباسية بتلك الإغداقات المادية والتشجيعات السياسية، ومن ثم أضحت ركنًا أساسيًا من السياسة العامة للدولة، وتوسعت لتشمل المنطق والآداب والطب ومختلف العلوم، وتأسس (بيت الترجمة/الحكمة) في عاصمة الخلافة العباسية، ويستفاد من منشورات القسطنطينية وآسيا الصغرى. ويتواصل العمل عندما حل المسلمون بصقلية والجزيرة الخضراء، وتزدهر الحركة أكثر في عصر النهضة بالتبادل الفكري والثقافي بين العالم الإسلامي وأوروبا وقد سمح التواصل باكتشاف المؤلفات العلمية والمعرفية التي طورها المسلمون في مجالات الرياضيات وعلم الفلك والطب والفلسفة والأدب والزراعة. وهكذا اتسعت حركة الترجمة، وحققت إنجازات اقتصادية وعسكرية جعلت العربية يُترجم منها في المقام الأول؛ لأنها اكتفت بنفسها بعدما استوعبت الكثير من علوم اللغات، وعملت على تطويرها. وإنها وصفة الأجداد لتحقيق الأمن اللغوي والعلمي في الضروريات باللغة العربية الفصيحة، وترسيخ قواعد الترجمة بطريقة مبنية على النقل والاقتراض والتعريب والمجاز والتصرف... وتنامت العربية بما أبدعه: ابن سينا+ ابن رشد+ الخوارزمي+ عمر الخيام+ الفارابي+ البيروني...، وكل ذلك أدى إلى تشكيل الأسس الفكرية للثورة العلمية والفكرية، وكذلك تقوية أسس الدولة الإسلامية بما لها من امتداد عالمي.

3- الترجمة الحديثة بما لها من منهج وأدوات: هي الخطوة الحديثة التي نروم أن نتعاقد أفكار الباحثين في تقوية العربية من جانب الترجمة الآلية، ولا مفر منها، وهناك شركات من مثل (شركة فاست ترانس للترجمة الإسلامية التخصصية) ومشاريع ترجمة كبيرة تعرف نسبًا من الإنجازات، ومشاريع مُعلقة تحتاج إلى أدوات ومنهجيات مُعاصرة. ولذا لا بد أن تستند الترجمة الآن إلى آلات العصر وبرمجيات الترجمة ومناطق الذكاء الاصطناعي، ونظريات الترجمة عند الغربيين، وكل ما له علاقة بتسهيل الحركة الترجمة المعاصرة، والبحث في

تطوير اللسانيات الحاسوبية التي يستعملها ذكاء OCR الذي يشهد قفزة مُعاصرة في اللغات التي لا تعرف المضايقات في المصطلح ولا في توليد الكلمات أو صناعة النمو اللغوي، ومواكبة النمو الحضاري من خلال ملاحقة التطور العلمي المتواصل، ووحدها الترجمة هي القادرة على بناء الجسور التي يمكن من خلالها عبور الإنجازات البشرية، وإشاعة روح العلم والعقلانية والتجريب، ووضع الباحث العربي في قلب حركات الإبداع والفكر العالمية، من خلال ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت الإطار المرجعي للثقافة الإنسانية المعاصرة. ولا يمكن أن نكون في مستوى الترجمات الغربية إلاّ باعتماد المناهج والأدوات التي تقوم على رُفد اللغات من مثل البرامج الإلكترونية والحاسوبية وأجهزة جُبارة Datacenter وما فيها من مخزون مليارات الكلمات، وقواميس ومعاجم تمتاز بالوثوقية وما ترتبط به هذه الأدوات من ترجمات مكتوبة/مسموعة/تصويرية.

وعلى هذا الوقت الاستثمار في أدوات الترجمة وتوجهاتها المستقبلية التي تلبي احتياجات الزبون وبجودة عالية وبتكلفة أقلّ وبمساعدة مواقع الترجمة والحواشيب ذات العلاقة/CAT tools مع أدوات ضمان إدارة الترجمة TMS. وهناك أدوات كثيرة بمساعدة الحاسوب، وأنّ الغواصين في هذا الميدان على دراية بها. ولا بدّ من تهيئة المحلّلات الصّرفية والمحلّلات النحوية والمُشكّل الآليّ، والمُدقّق اللغويّ، والمُراجعة السياقية والبرامج المُصطلحية بنظام MS Word أو في أيّ برنامج آخر. وعلى الباحث تزويد ذاكرة الترجمة بآلاف المُعطيات ليعمل فيها البحث الآليّ الأتمتة: تصنيفاً وتبويباً وتطابقاً للصّيغ، وأخذاً للمطلوب، وهي الصّيغة الضّرورية في مناهجنا اللسانية المُعاصرة في توفير الوقت، وتقليل الجهد المبذول في عمليّات البحث. وهذه هي الأدوات والمناهج الحديثة في إدارة أنظمة محتوى CMS بما يحصل من دُجّ ينتج استدعاء المحتوى الجديد، ونتاج عمليّات التطوير في ذكاء الآلة لتُضاهي ذكاء الشّخص السّوي المثالي.

- الخاتمة: نريد في وقتنا المُعاصر أن ننتج طالباً مُترجماً يعيش عصره من خلال التّماهي مع آليات العصر ومع استخدام برامج الترجمة من لغة أجنبية وتكييفها بالعربية ليتعرّف على خصائص العربية في المُنتطق؛ بغرض اللحاق، ولا ننتظر الوقت الطّويل لإنجاز برمجيات ترجمة بالعربية، وسيطول بنا الوقت والزّمان سريع، ولا ينتظر الخوالب. ولهذا لا بدّ من اعتماد الترجمة الآلية بمقدار كبير مُستندة إلى قواعد منطقيّة تقبلها كلّ اللّغات الطّبيعية، من خلال الآليات العصائبة التي يتعرّف عليها محرّك البحث من مثل ترجمة گوگل و ترجمة Bing، بالإضافة إلى أدوات ترجمة آلية قابلة للتخصيص، برنامج يمكن تدريبه من أجل إخراج ترجمة دقيقة، وتحسين دقّتها في بعض المجالات، وبخاصّة تكنولوجيا المُصطلحات الأكثر شيوعاً. وهذا كلّ يحتاج إلى طرائق ومنهجيات الترجمة، واعتماد المقاربات المعرفية الحديثة في الخروج من منهج التدريس اللسانيّ المُحض إلى المنهج العرفانيّ المُنتبئ والقابل لتطوير وصفات جاهزة وتكييفها وترويضها وفق تنبؤات مرضية يَخَصّ تطوير قدرات المُتدرّب على الترجمة التي تُتطلّب عمليّات المهارة والقدرة والممارسة والتّطبيق. وهذا ما تسعى اللّسانيات الحاسوبية تجسيده في الترجمة الآلية في ذهنية البرمجة الحاسوبية كما تبنيه أعمال المُنظرين الذين يهتمّون بمدى أهميّة عمليّة الفهم وتحققها أثناء عمليّة التّواصل من باب المُصطلح الكبير/Trdoctologie من حيث

انتهت إليه بعض الدراسات التي أنجزت في هذا الاتجاه والتي لم تعتمد على علم الترجمة بمفرده؛ بل هي نتيجة تضافر جهود عدة في ميادين علم النفس اللغوي psycholinguistique وعلم الاجتماع اللغوي sociolinguistique وعلم الأعصاب neurosciences وعلم النفس المعرفي psychologie cognitive. ولا بدّ للباحثين العرب من إشغال المهارات العرفانية في تطوير نظريات الترجمة التي تعمل على نقلة نوعية في ذات العربية للحاق بالعصر، وإلاّ سوف نزداد تخلفاً. وينصحنا علماء اللسانيات بضرورة اعتماد نظريات الترجمة المشهورة، وهي: النظرية الاجتماعية + الاتصالية + التأويلية + اللغوية + الأدبية + السيميائية. وهي مفاتيح علم الترجمة في صيغته المعاصرة، فإمّا أن نكون أو لا نكون، وعلينا أن نكون بما نعتمده من مُنتوج بلغتنا وفي ذات لغتنا العربية الفصيحة، فهل نحن مُستعدّون؟ ودعونا نبدأ، والطريق تصنعه الأقدام.

نوفمبر 2024

وإنه لبيان أول نوفمبر ♥

- أما قبلُ؛ ينالني شرفُ الكتابةِ في البيان الخالد (بيان أول نوفمبر 1954م) إنه بيان نوفمبر العظيم وخريطة طريق للتخلص من الاحتلال، وبناء دولة الاستقلال، وتحقيق إنجازات تُسهم في الرفاهية العامة ضمن البناء والتطور لجزائر الحاضر والمستقبل. وتحقق ذلك، بفضل الدول الجزائرية المتعاقبة التي وضعت طوبة فوق طوبة وصولاً إلى الجزائر الجديدة التي أعلنت من شخصية الذاكرة، واستعادة رفاة الشهداء وتأسيس لجنة الذاكرة وتقديس المواطنة، والرفع من الهمة، والاحتفاء بالأيام الخالدة، وبنوفمبر المجد ولم الشمل، والانتصار لكل المطالبين بتقرير المصير، وتشمخ الجزائر في الذكرى السبعين (70) باحتفائية كبيرة من صنع ثورة عظيمة لم تبق ولم تذر، وبقي اسمها في سجل الثورات العالمية الكبيرة. ثورة ألهمت العالم سبل التحرر، ثورة المرجعية التاريخية والدينية والحضارية والثورية، ثورة قلعة الثوار "فإذا ضاقت بكم السبل، فاقصدوا الجزائر" هي مأثرة الشهيد (ياسر عرفات) التي يستشهد بها الفلسطينيون بما قدمته وتقدمه الجزائر للقضية الأم (قضية فلسطين).

إن هذه المدونة التي أنجزها المجلس الأعلى للغة العربية للإسهام في الاحتفال الكبير الذي تقيمه الدولة الجزائرية بمناسبة الذكرى السبعين (70) لثورة نوفمبر 1954م، في أول نوفمبر 2024م وتحمل أفكار نخبة وطنية من المستكتبين الذين بحثوا في مظان هذا الموضوع؛ بتحليل وأفكار وإحصائيات وبرمجيات وبيانات وترجمات وتصورات وإبداعات كل كلمة في البيان النوفبري 1954م؛ من حيث المبنى والمعنى والمصطلح، ومن حيث الدلالة والقصد، ومن سميائية المكان والزمان والمنهج والطريقة. وإنه لبيان من الوثائق التاريخية من السهل الممتنع؛ بما حمل من فتح مبین في تغيير منظومة الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري، وانقلب السحر على الساحر. ونتعجب من قوة التأثير؛ فكيف يحصل التغيير في منظومة اجتماعية عرفت الوهن والفشل بعد تلك المقاومات المعزولة التي لم تُحقق المطلوب كاملاً. ويفعل الله فعله بأن الثورة قادمة وحان قطافها، وأن الغليان الشعبي يتجسد في الوعي الذي علق لدى النخبة السياسية التي حملت مشعل القيادة، والشعب وراءها. وفي دولتنا الجزائر الجديدة حان وقتُ الجزاء، وردّ الأفضال لصانعي المجد من خلال اللجنة الوطنية للاحتفال الرسمي باليوم العظيم، بقيادة السيد رئيس الجمهورية (عبد المجيد تبون) الذي يوجه دفعة دوايب الدولة في الاتجاه النوفبري الصحيح، من خلال الجهاز الحكومي للسيد رئيس الوزراء (محمد نذير العرابوي) رئيس لجنة الاحتفال الرسمي ببيان نوفمبر.

وكان علينا في المجلس الأعلى للغة العربية أن نكون في مستوى حفظ ذاكرتنا الوطنية، والعمل على تركيتها والرفع من مستواها؛ بذلك الاكتتاب الوطني الذي وجهناه لأعضاء المجلس، وللنخبة الوطنية في مختلف الاختصاصات؛ بدعوتهم في الكتابة في محور من محاور الاحتفال الخاص بـ (بيان أول نوفمبر 1954) وقد

♥- الكلمة التي أسهمنا بها في الاكتتاب الوطني حول (بيان أول نوفمبر) بمناسبة الاحتفال بالذكرى السبعين (70) لاندلاع الثورة التحريرية.

استجاب من استجاب، وها هي أعمالهم في متن هذا العمل؛ بوصول العديد من المقالات وأعمالنا فيها الترتاب والتوضيب ومقتضيات المراجعة، ونطرحها في هذه المدونة التي يسهم بها المجلس الأعلى للغة العربية؛ باعتباره مؤسسة تابعة لرئاسة الجمهورية؛ تعمل على ازدهار اللغة العربية، وعلى تعميم استعمالها في العلوم وفي التكنولوجيا، وتقوم بمنجزات ذات العلاقة بالترجمة، وتدخل هذه المدونة في أبواب هذه المهام الكبرى والمجلس دائماً في الصدارة؛ بما يسهم به من خدمات تعمل على تطوير اللغة العربية وما يحفظها من الزوال والعهد في كل هذا العول على العمل والعمل ثم العمل.

ومن خلال موقعي في المجلس؛ أقدم شكري لكل من أتاح لنا الإسهام الوطني في تجيّد (بيان نوفمبر 1954م) من سياسيين وصناع القرار، ومن مستكبين ومُسهمين في توجيه دفة المجلس ليكون حاضراً بهذه المدونة التي تشهد له بالحضور في المناسبات الوطنية العامة، بله الحديث عن ذات المجد الرفيع (بيان نوفمبر 1954م). إنه بيان ووثيقة تاريخية مهمة أعطت للمجلس وسام الإسهام الوطني، ونأمل أن نكون في مستوى تجسيد (خير خلف لخير سلف). والشكر الكبير لكل الذين أنجزوا كلماتهم لتكون في هذا المنجز الحضاري الرفيع، ونقول لهم: ألف ألف شكر على كل حرف دبجتموه من أجل البيان التوفيري الذي لا يموت، وأنعم به من بيان! وبوركت خطوات العاملين، والله من وراء القصد، والشهداء لا يموتون، والمجد والخلود للشهداء وأطال الله أعمار المجاهدين، وأن أهل الفضل يتناسلون، وهم العلماء والعلماء الذين كتبوا في هذا السفر وهم من الخالدين، ويشهد التاريخ عليكم بالخير العميم، وأن بصمتكم تدلّ على آثاركم. وإن شكري أحمله لكم جميعاً على أجنحة بيتين لشاعر النيل (حافظ إبراهيم) الذي قال:

شكرتُ جميلَ صنعكم بدمعي * * * ودُمع العين مقياس الشعور

لأول مرّة قد ذاق جفني * * * على ما ذاقه دمع السرور

- أما بعد؛ إنه بيان نوفمبر 1954م، وأول نداء لجبهة التحرير الوطني الجزائرية، والوثيقة الأولى التي أعلنت اندلاع الثورة ضد الاحتلال الفرنسي، وتكمن أهميته في تلك الأهداف التي سطرته مرجعية للاستقلال الوطني، عبر ثورة التحرير الجزائرية/حرب الجزائر/حرب الاستقلال الجزائرية، ودارت رحاها عبر ربوع الوطن، ونالت مواقع في بلاد فرنسا. وإنه لبيان أول نوفمبر المجد، نوفمبر 1954م، وأجدي فقيراً لغةً وتعبيراً وأفكاراً للحديث عن معجزة غيرت بوصلة التاريخ من البيان الذي طال في تصوّر المعاني، دون تجسيد المباني، وطال التردد في تجسيد الثورة العارمة رغم المقاومات المناطقيّة، وما صاحب ذلك من "عدم الإعداد والتخطيط لها مسبقاً؛ وعوض ذلك الارتجال السائد في الميدان+ عدم التكوين والتدريب العسكري لرجالها؛ حتى يكونوا مؤهلين للقيام بالثورة ضدّ عدوّ قويّ+ عدم وجود الإمكانيات في كافة المجالات، ممّا لا يؤهلهم لمواجهة عدوّ يتفوّق عليهم عدداً وعدة وتجربة+ عدم الشموليّة+ وجود الخيانات واختراق مخبرات العدو لصفوف الثورات". هي عدميّات، ومنها تولدت العزيمة مرّة أخرى في محاولة النهوض من جديد بسلاح المقاومة مع تغيير المنهجية.

وتذكي شعلة الثامن (8) من ماي 1945م الحركة الوطنية ومختلف التنظيمات، وتدعو بالإجماع إلى الخروج من الاحتراف السياسي إلى العنف الثوري والعمل على التعجيل بانطلاق الثورة ضد فرنسا العدو. وذلك ما ألهم الكبار الستة (6) العظماء أنه لا بد من منهجية جديدة عمادها البارود، وثورة رعود. هو الوعي الذي كان حرفة صانعي المجد في الاستعداد لثورة البارود والزناد وضرورة تدبج البيان لجهة التحرير التي حملت على عاتقها إعلان ثورة التحرير، ثورة التغيير، بمطلب الاستقلال، وهو الهدف الأساس الذي جمع كل الجزائريين بعدما كانوا يعيشون الشتات في تلك الحركات الوطنية التي أثمرت عن وعي التوحيد، وأن العدو لا يقهر إلا بضخ الدماء فداءً للحرية، وبناء الدولة الجزائرية العصرية في إطار المبادئ الإسلامية. هي أهداف سطرها الشهداء في ضرورة الاستقلال الوطني الذي تنداعى جميعاً من أجل وطن يجمعنا، والجزائر بلاد أجدادنا، وليس لنا وطن غيره، ولن نقبل به بديلاً ونحن فداؤو هذا الوطن المفقدي. وقالها الكبار:

جزائرنا يا بلاد الجود * نهضنا نحطم عنك القيود
ففيك برغم العدا سنسود * ونعصف بالظلم والظالمين
سلاماً سلاماً جبال البلاد * فأنت القلاع لنا والعماد

1- في بيان نوفمبر: لا أفسف الأمور في كتابة أصل كتابة هذا البيان باللغة الفرنسية، وكان حتمية الثقافة الاستعمارية آنذاك، وأن الكاتب (العيشاوي) استلهم أفكار السياسيين؛ باعتباره سياسياً وصحافياً لدى جريدة Le Monde ومجاهداً جزائرياً، وأن مترجمه (إبراهيم زدور القاسم المهاجي) طالب مناضلاً مجاهداً متقناً لفنون أقوال العربية، وأنه من رواد مدارس الزيتونة والقاهرة، ويتحكم في الفرنسية والعربية، فأثقت الترجمة وزينها ليفهم الجزائريون وثقتهم النضالية باللغة العربية المشتركة، وهي لغتهم الأم، ويفهوا عماد منهجهم الثوري ضد الكولون والمستدمر الفرنسي الغاشم. كما أن الإطار الزمني كان جاهزاً في 23 أكتوبر 1954م، وتم حفظه بالسرية التامة بمنزل في (حيّ الرئيس حميدو) وتمت كتابته على الآلة البرازيلية بدقة عالية من خلال دلالة مفردات البيان، ومتطلبات الأسلوب والاستهلال بعبارة الفخر الموجهة لكل الجزائريين (أيها الشعب الجزائري) وهو صاحب القرار، ولا بد أن يُحترم في مصطلحات البيان التي تحمل الوضوح. وإنها الحكمة والدراية التي دعت أن يُسحب في مكان يبعد بـ 100 كلم عن محل كتابته، في (إغيل أومولا) بمنطقة القبائل وهذا تحزناً من وصول العيون الفرنسية للوثيقة التاريخية التي صنعت الانعتاق والتحرر فلا مجال للخطأ، فإله من حسن التدبير، وفعل إدارة التمويه بالتدوير.

إنها الوثيقة التاريخية التي زرعت الوعي وأقامت حجة الثورة؛ استكمالاً للمقاومات الشعبية في كل المناطق ولا بد من مواصلة المشوار، وأن استراحة المحارب مؤقتة؛ ليستعد للثورة وللکفاح المسلح لتحقيق الاستقلال وما يتبعه من إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية. وكان من الاجتهاد النبيل أن البيان حمل لغة رفيعة شخّصت الظروف المأساوية من الاستيطان، ووضّحت طبيعة الثورة وهي الخيار الأفضل، والمزاوجة بين الكفاح المسلح وتدبير السياسة، وأن الثورة من الشعب وتناجها

للشعب، وأن النصر من عند الله. وتترلز أقدام فرنسا وترعب وثور، وتجمع قيادها وتقول لهم "... إن هذه الأحداث التي نفذها المجرمون في فاتح هذا الشهر موجهة إليكم قبل الغير. وستفقدون مناصبكم السامية ونفوذكم ومكتسباتكم إذا تهاوتم في الواجب، واستصغرت الأحداث... ألا فانتبهوا وكونوا يقظين في أعراشكم، وراقبوا الجماهير سراً وجهاراً، فإن السلطة الجهورية ستكون رهن إشارتكم... أما فرنسا العظمى؛ فإنها لا تكاد تسمع بهذه الأحداث، ولا ترهبها تخريبات هؤلاء الحاقدين، وسوف تعلمون بنبيهم بعد حين...". إنه الفزع الأكبر الذي أحدث نوفمبر الأكبر. وتدققت الجنود الفرنسية من كل مكان بقيادة (60) جنرالاً + (750) عقيداً + (1100) رائد + (5300) نقيب + (16000) ملازم + (1000000) جندي + (200000) مرتزق... كل هذه الأرمادة لو أدت ثورة أول نوفمبر 1954م، ولم تحب شعلتها حتى أضاءت سماء الجزائر بعيد الاستقلال، ويا لها من ثورة الحق ثورة العظمة، ثورة الافتخار، ببيانها النوفبري الذي يبقى الحركة والحياة والاعتاق.



2- بيان نوفمبر الثورة: لا أبحث في مضمون نداء هذا البيان الظاهر، بل في ما وراء السطور من خلال مداليل الكلمات التي حملها النداء إلى الشعب الجزائري في أول نوفمبر 1954م، وإلى الشعب الفرنسي الرافض للكلون/ Les Colons، ولكل المتعاطفين مع المظلومين، ومن يحمل قضية وطنية، أو مشروعاً تحريراً يسعى للخروج من محترفي السياسة الاستعمارية على غرار مسيري فرنسا الاستخراب، سياسة البريق اللامع دون نتيجة، سراب بقية لا يُمطر. إنه بيان الثورة الذي ينص على العمل الثوري والكفاح التحرري وعلى خطورة المرحلة التي يجب أن يتحملها الجزائريون جميعهم؛ وبخاصة الشباب الذي عليه العول، وأن يكون واعياً بقضايا تأثير السياسة؛ حيث الثورة يصنعها الجميع؛ كل من موقعه، والشباب مع النخبة في المقدمة؛ وتحت إمرة جبهة التحرير الوطني؛ وهي القيادة العليا السياسية والعسكرية، التي لها البرنامج السياسي لتحقيق الاستقلال الوطني وإقامة الدولة الجزائرية ضمن العيش معاً بسلام لمن هم أحق بالسلام من غير الجزائريين، واحترام الحريات الأساسية، وما يتبع ذلك من تسيير داخلي يعود للجهاز التنفيذي الذي تتداول عليه الحكومات الجزائرية؛ ضمن دستور ومرجعيات وطنية وتاريخية وحضارية ودينية وتحررية. وكل هذا يحتاج إلى توضيحات كبيرات من الجميع، وأي حب كان يحمله أنصار حركة الحريات الديمقراطية من فكر النضال لتفجير الثورة من صفر عتاد وبإيمان ينبض بأنهم عقدوا العزم بدفع أرواحهم وأعلى ما يملكون لتصبح الجزائر حرة مستقلة، مازيغية مسلمة بانتماء عروبي، وذات سيادة. وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر، فاشهدوا فاشهدوا. ويتكامل كل ذلك في التراكم المتلاحم من خلال نشيد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين كانوا طرفاً مهماً في الثورة ودبجوا ذلك النشيد الذي كنا نحفظه من أول دولة الاستقلال:

شَعْبُ	الْجَزَائِرِ	مُسْلِمٌ	وَالِىَ	الْعُرُوبَةِ	يَنْتَسِبُ
مَنْ	قَالَ	حَادَ	عَنْ	أَصْلِهِ	أَوْ قَالَ
أَوْ	رَامَ	إِذْمَاجًا	لَهُ	رَامَ	الْمُحَالَ
يَا	نَشْءُ	أَنْتَ	رَجَاؤُنَا	وَبِكَ	الصَّبَاحُ
خُذْ	لِلْحَيَاةِ	سِلَاحَهَا	وَحُضِرِ	الْخُطُوبَ	وَلَا تَهَبْ

هو النضال والتضحية والوعي من أجل مصلحة الجزائر قبل كل شيء، جزائر السيادة المطلقة وعدم التبعية جزائر الازدهار والتطور. وإنه بيان نوفمبر الثورة والتغيير والتطهير والتحسين والضبط والإصلاح بيان نداء تجميع القوى الفاعلة لإخراج الاستعمار من أرض الجزائر إلى غير رجعة، وتدويل القضية الجزائرية ليعرف العالم حجم فرنسا المحتلة. ولهذا لا بد من إعداد عدة الكفاح تمهيداً مع الثورة التحريرية، وهو سبيل النصر، والمستدر لا يهادن، وعليه أن يرى المرارة يومياً تنزل على شخصه، وعلى أملاك اغتصبها، وعلى مصانع أقامها بغير ماله وعلى منازل سكنها ليست ملكه، وحيث يتواجد هذا الغازي دون حق مهما يكن المكان، وفي كل زمان والعدو لا يجب أن يعيش الأمان. لا للمهادنة، حتى النصر، وهي مسألة مصير شعب يتطلب منه التجنيد والتعبئة، وأن الكفاح سيكون طويلاً، ولكن النصر مُحقق.

هو البيان المحمّس للتّجديد الثّوريّ، ويعترف بحقّ الجزائريين في أرضهم، وأنّ الجزائر ليست للبيع، وأنّ الجزائريين ليسوا فرنسيين ولا يريدون أن يكونوا فرنسيين، وأنّ لغتهم غير الفرنسيّة، ودينهم الإسلام. إنّ بيان نوفمبر الثّوريّ التّغييريّ الذي يدعو إلى خلق جوٍّ من الثّقة مع الجزائريين كافّة؛ للظّفر بالحرية التي أنكرها المحتلّ يوم انتصار الحلفاء على النّازيّة 1945م. إنّ نداء وبيان مسلّح يدعو جميع الجزائريين لمباركته والالتفاف حول مبادئه والعمل على نشرها وتطبيقها، وفي البيان إنقاذ الجزائر من المحتلّ الذي عليه أن يغادر البلد، وأنّ جبهة التحرير هي جبهة كلّ الجزائريين، ومن واجبهم الالتفاف حولها، وتطبيق تعليماتها.

3- بيان نوفمبر وامتداده: هو بيان تأسّس على الدّفاع عن حقّ المظلومين، ونُشْدان الحرية والعدل، وهي من مبادئ المبادئ العالميّة التي ترفض الاستعباد، وتسعى إلى تأسيس قيم التّحرر ضمن الإقرار بالحقّ والمواطنة وحقّ الاعتراف بالآخر في أرضه وفي حقوقه، وإلاّ سيكون بالكفاح المسلّح الذي هو خيار الطّرف المعتدي حيث فشلت الطّرائق السّليمة. وبالفعل؛ فإنّ ما أخذ بالقوّة لا يُسترجع إلاّ بالقوّة، ذلك ما حصل من خلال التّعبئة الجماهيرية لكلّ الفئات الاجتماعيّة، والعمل على التّدويل العالميّ للقضية الجزائرية. وتحقّقت أهداف البيان في مبدأ الكفاح الوطنيّ المسلّح، وهو سبيل استعادة الشّخصيّة الوطنيّة، ومن خلال ذلك نيل كلّ الاستقلال بأشكاله العسكريّة والحضاريّة والدينيّة والاقتصاديّة واللّغويّة والثّقافيّة والوحدويّة والديمقراطيّة والعدالة الاجتماعيّة، ومبدأ السّلم، والدّفاع عن القضايا العادلة. هو البيان الثّوريّ الوطنيّ في برنامج ومسار الثّورة الجزائرية الذي فعّل فعل الخميرة الذي كان وثيقة وطنيّة نالت الامتداد العالميّ والمرجعيّة في الأبعاد السّياسيّة التي ظهرت في حصول بعض الدّول المغاربيّة استقلالها، وفي ظهور الوعي الأفريقيّ بمطالبة الكثير من الدّول الانعتاق من ذات الدّولة التي فرضت طوقاً من حديد على كلّ من ينادي بالحرية.

4- بيان أول نوفمبر الإرث الوطني: إنّ من مفردات الذّاكرة الجماعيّة للشّعب الجزائريّ؛ باعتباره من أهمّ الوثائق التي تحتاج إلى تدريس على مختلف مراحل التّربية والتّعليم، وأنّ صانعيه من الخالدين الذين نُرَبّي أولادنا على فهم عملهم المُهمّ الذي أنقذنا من فم تمّسّاح فرنسا التي نالت الآفاق بمكرها ودهائها، وضرورة تجريم أفعالها. بيان ننظر إليه كذلك من زاوية مستقبلية للاستثمار في هذا الجيل الذي يحمل المشعل؛ ليكون في مُستوى الإقرار بالتّضحيات، وأن يسعوا بكلّ ما أُوتوا من علم بالتّسلّح بقيم نوفمبر في بناء الوطن والعيش بكرامة، ونشْدان استمّار جزائر الثّورة نحو جزائر المُستقبل المُشرق. ولا ننسى تلك القيمة الكبيرة للثّورة الجزائرية التي صنعها نوفمبر، بأنّ العالم كلّهُ يفتخر بهذه الثّورة، وبالبرنامج السّياسيّ المرجعيّ ضمن تعهّدات الأربعة والخمسين (54) للسّيد رئيس الجمهوريّة في برنامجه السّياسيّ، وهي عبارة عن مُحدّدات البناء والتّطور والمُستقبل، واحترام الحريات، والدين الإسلاميّ، والنّضال، ومساندة القوى الحيّة التي تريد الانعتاق، وتحقيق وحدة شمال أفريقيا في إطارها الطّبيعيّ العربيّ، ونُصرة القضايا العادلة بما تُقرّه مواثيق الأمم المُتحدة، والعيش بسلام ضمن الاحترام المُتبادل بين الشّعوب.

إنَّه بيان نوفمبر الفخر، ونحن نقرأ ونسمع أقوالاً واستشهادات تقول: "إذا كانت مكة قِبلةَ المسلمين والفاثيكان قِبلةَ المسيحيين، فإنَّ الجزائر قِبلةُ الثَّوار"، عبارة قالها ذات يوم الزعيم الثوري الأفريقي (أميكلال كبرال) وذلك الصدى القوي لاسم الجزائر حيث تُذكر ببلد الشهداء، ومَقولة (الجنرال جياب) الذي قال: "هناك ثورتان عظيمتان في العالم تحتاجان إلى تخليد، ثورة الفيتنام، وثورة الجزائر؛ إلا أنَّ ثورة الجزائر أعظم من ثورة الفيتنام؛ لقرب العدو وانتصرت، عكس ثورة الفيتنام التي تبعد بأربعة آلاف كيلومتر عن العدو". ومن حقنا الشموخ بثورتنا التي قادها بيانها النوفبري الواضح الذي أضفى مرجعيةً ودروساً تُستخلص منها العبر والتجربة والممارسات الناجحة على أنها ثورة الكفاح التحرري عند أحزاب المغرب العربي، وفي بعض أحزاب مصر العربية، وعند شخصيات استلهمت أفكار الثورة، ومبادئ النضال التي نجدها في المسيرة النضالية لمنقذ جنوب أفريقيا من نظام الأبرتاید (نيلسون مانديلا)، وعند الزعماء الذين تركوا بصمات في التغيير التحرري الإيجابي من إلهام ثورة الجزائر على غرار "... ديسموند، وجوزيف تيتو وجوشوان، ونكروما وروبير موكابي، وسامورا ماشل، وپاتريس لومومبا، وأميكلال كبرال، وسام أنجوما، وتشي غيفارا، وفيدال كاسترو..." وكانت الجزائر مُساندة لثورات هؤلاء الأبطال في بلادهم، وعاصرت حركات التحرر عبر برنامجها المُستمد من وثيقة أول نوفمبر، في مُساندة القوى الحية في التحرر والانعقاد والانتقال إلى مرحلة البناء والاعتماد على الذات.

5- ولعذب الكلام مقام في البيان: لقد حفظنا مآثرات ونحن صغار في حبّ الجزائر، ولا تزال محفورة في الذاكرة، وسمعنا بلادي أحبك فوق الظنون، وأشدو بحبك في كلّ نادٍ، عشقت لأجلك كلّ جميل، وهمت لأجلك في كلّ وادٍ، ومن هام فيك أحبّ الجمال، وإنّ لأمه الغشم قال: بلادي. كما حفظنا مُعلناً:

قسماً بالنّازلات الماحقات * والدماء الزايات الطّاهرات
والبنود اللامعات الخافقات * في الجبال الشّاخات الشّاهقات
نحن نرنا حياة أو ممات * وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

هو القسم للدّفاع عن الوطن، وتكبر الوطنية فينا؛ حيث رضعناها ونحن صبيان، ويكبر الوطن ونخدمه بعيوننا، وليس صعباً أن ننقذ بلدنا حيث الضريبة جاهزة، والشهداء كان لهم السبق، ونحن لا نضيع الأمانة وعلى القسم والعهد باقون، وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر، وفي الجزائر شباب واعٍ ما يزال على درب ونهج شهداء التحرير. هو النضال الذي صنع ثورة الجزائر والأبطال والإباء، وقد أثمرت بالأوفياء، والشعراء منهم بما لهم من عذب الكلام حين نطق الشاعر (مفدي) وقال:

تأذن ربك ليلة قدر * وألقى الستار على ألف شهر
وقال له الشعب أمرك ربّي * وقال الرب: أمرك أمري

ليس سهلاً أن تقول شعراً في هذا البيان النوفبري، وكلّ الكلمات تتزاحم، وقد لا تكون في مستوى تحقيق المأمول، ولكن الأحداث الكبيرة تُنطق الجماد، حيث الثورة أسماك، والجماهير الشعبية مياهاها، ولا يمكن أن تقع السباحة إلا في حوض أحذية صفوف الثورة، فلا مجال للسكوت، والمحقق أعظم من المتوقع، وذلك ما

كان يُنطق الأخرس. هي ثورة ملهام، وقد دقت بندولها على الساعة المباركة، ولا ريب أنّها نهاية كابوس فرنسا في بلادنا. وهكذا نطق شيطان الشعر الشعراء في الحديث عن صنّاع المجد، وعن بيان نوفمبر وعن العدو الغاشم فأبدع الذي قال:

نوفمبر جلّ جلالك فينا * أَلَسْتَ الذي بثّ فينا اليقينا
سبحنا على لجج من دمانا * وللنصر رُحنا نسوق السّفينا
وثرنا نفجر ناراً ونوراً * ونصنع من صلبنا الثّائرينا
ونلهم ثورتنا مُبتغانا * فتلّهم ثورتنا العالمينا
وتسخر جبهتنا بالبلايا * فنسخر بالظلم والظالمينا
وتعلو السياسة طوعاً وكرهاً * لشعب أراد فأعلى الجبينَا
جمعنا لحرب الخلاص شتاتاً * سلّكنا به المنهج المُستبينَا
ولولا التحام الصفوف وقانا * لكنّا سماسرةً مجرمينا
فليت فلسطين تقفو خطانا * وتطوي كما قد طوينا السّينَا
وبالقدس تهتمّ لا بالكراسي * تميل يساراً بها ويمينا
شغلنا الوري وملأنا الدّنا.. بشعر نُرتله * كالصّلاة.. تسايحه من حنايا الجزائر

أيّ شعر هذا، وأيّ حبّ في تجيّد العظيمة وهي الأحقّ بالتمجيد، أيّ أثر تُحدثه هذه المقطوعة الشعريّة في نفوس سامعيها وهي تُعلي مقام (نوفمبر) وتُعدّه من مُعجزات الشعب الجزائريّ الذي رفع الظلم والاستيطان وحارب أقوى مُحتلّ استيطانيّ، وجيشاً لا يُقهر. أيّ بيان هذا حمس الشباب والشيوخ فتدافعوا لساحة الموت جماعات جماعات. هو الحبّ والإيمان والتّضحية والفداء، هو العهد والقسم المنشود. ويعلو الشعر؛ وهو يسمع لعلّة الرّصاص، ويكبر اليراع بحبر يُجسّد شواظ الجمر، ويُسجل صوغ الكلام بسبائك حمر الكلام النّابض المؤثّر من روائع الشعر في نوفمبر التاريخ:

نوفمبر غيرت فجر الحياة * وكنت نوفبر مطلع فجر
وذكرتنا في الجزائر بداراً * فقمنا نضاهي صحابة بدر
إنّ الجزائر في الوجود رسالة * الشعب حرّرها وربّك وقعا
الضّاد في الأجيال خلّد مجدها * والجرح وحدّ في هواها المنزعا

هو عذب الكلام من أناشيد الخلود التي سطّرت في (نوفمبر):

إنّ الجلاء وإن يكنّ لم يكتمل * سرّ النفوس بأعذب الأحلام!!
الثّورة العظمى كسبنا نصرها * والجهة اكتسحت قوى الإجرام

ويقول الشاعر (أحمد سحنون) يحقّ لنا أن نباهي الأمم:

وَنُفَعُ هَامَاتِنَا فِي شَمِّ	يُحَقُّ لَنَا أَنْ نُبَاهِيَ الْأُمَمَ
نَوْمِ الشُّعُوبِ وَنَهْدِي الْأُمَمَ	لَوْ أَنَّا مَضِينَا عَلَى نَهْجِنَا
مُحَصَّنَةً بِجَمِيلِ الشِّيمِ	وَنَبْنِي حَضَارَتَنَا فِدَّةً
وَلَمْ نَتَّخِذْ مِنْ هَوَانَا صَنْمَ	وَلَمْ نَخْشَ عَنِ هَدْيِ دِينِنَا
عَلَى إِثْرِهِمْ سَارَ كُلُّ قَدَمٍ	لَقَدْ كَانَ آبَاؤُنَا قَدَوَةً
وَيَبْنُونَ صَرْحَ الْعِلْمِ وَالْعِظَمِ	يَشْقُونَ نَهْجَ الْهَدْيِ لِلْوَرَى
عَلَى عَالَمٍ غَارِقٍ فِي الظُّلَمِ	أَطْلَوْا بِأَنْوَارِهِمْ كَالْبُذُورِ
فَقَدْ بَلَّغُوا غَايَةً لَمْ تَرَمِ	فَإِنْ أَصْبَحُوا لِلْوَرَى سَادَةً
مَجْدَ الْحَسَامِ وَمَجْدَ الْقَلَمِ	لَقَدْ جَمَعُوا الْمَجْدَ مِنْ جَانِبَيْهِ
وَفِي كُلِّ جَوٍّ رَفِيفٍ عِلْمٌ	فَفِي كُلِّ أَفْقٍ سَنَا حِكْمَةٍ
وَلَمْ نَزَعْ مَا قَدْ رَعَوْا مِنْ ذَمِّ	وَنَحْنُ هَدْمُنَا الَّذِي قَدْ بَنَوْا
حَضَارِيَّةً نَتَّحِدُ الْعَدَمَ	هُمْ ابْتَكُرُوا فَبَنَوْا نَهْضَةً
لَمَنْ قَلَّدُوا خَطُونَا فِي الْقَدَمِ	وَنَحْنُ شَغْلْنَا بِتَقْلِيدِنَا
وَأَصْبَحَ لِلضَّادِ حَضُنَا أَشْمٌ	فِيَا بِلْدَا صَنَعَ الْمُعْجَزَاتِ
تَحَدَّتْ قُوَى مَنْ بَغَى وَاجْتَرَمَ	وَصَارَ بِإِيْمَانِهِ قُوَّةً
نَالَ مِنْهُ وَبَرَّ الْقَسَمِ	وَأَقْسَمَ أَنْ يَطْرُدَ الْغَاصِيَيْنِ
أَطَاعَ الْهَوَى وَأَضَاعَ الْقِيَمَ	وَلَكِنَّهُ بَعْدَ نَيْلِ الْمُنَى
يَبُوءُ أَهْلِيهِ أَعْلَى الْقِمَمِ	أَلَا عَدَّ إِلَى مَنْهَجٍ لَمْ يَزَلْ
وَنُعْلِي مِنْ صَرْحِنَا مَا انْهَدَمَ	أَلَا عَدَّ لِنَحْيِ أَعْجَادِنَا
عَلَيْهِ الْمَعُولُ فِي مَا أَهَمَّ	وَيَا أَيُّهَا الشَّبَابُ الَّذِي
إِذَا مَا دَجَا لَيْلُنَا وَادْلَهَمَ	وَعَدْتَنَا فِي الْخُطُوبِ الشَّدَادِ
أَعْيَيْكَ أَنْ تَتَّحِدَ الْقِيَمَ	وَيَا مَنْ تَحَدَّى جَمِيعَ الصَّعَابِ
عَلَيْكَ لَدَيْنَ بِهِ الْفَضْلُ تَمَّ	وَأَنْ تَجْهَلَ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي
وَمَا بَذَلُوا مِنْ فِدَاءٍ وَدَمِ	أَلَا فَادْكُرُوا شُهَدَاءَ الْحَمَى
فَإِنَّ حَوَادِثَهُ لَمْ تَنْتَمِ	فَلَا تَأْمَنُوا حَادِثَاتِ الزَّمَانِ
غَدَتِ مَوْلِدَا لِعَلَاكَ الْأَتَمِ	فِيَا ابْنَ الْجَزَائِرِ ذِي لَيْلَةٍ

فإنّ بها ولدت ثورة * * * رددت بها حَقَّ المهْتَضَم
وكان لها في جميع البلاد * * * ثناء يردده كلّ فم
وصار لها دولة لا ترام * * * لها غصبة الأسد المنتقم
وجيش له مقلّة لا تمام * * * شديد المراس على من ظلم
فأعظم بها نعمة فأرعها * * * فأهون شيء زوال النعم
وبالشكر لله فلتحمها * * * تدم: إنّ من يحم شيئاً يدم

هو الشّعْر وعذب القصيد في نوفمبر العالمين، نوفمبر التفجير، نوفمبر المنابر في الدّنا والتّودج والمثال نوفمبر النّصر والتّوحيد، نوفمبر الصّفوف الرّاصيات هنا وهناك، ويستحقّ تخليده بموسوعات وموسوعات ودواوين من الشّعْر العالي الرّصين، وممداد العلم المتين. ومَشِينا صامدين مُوحدين، وكلّ قلوب الجزائريين تشدّ بعضها بعضاً نحو الاستقلال. وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر، وتحقق النّصر، وما أجمله من نصر وانتصار! وقد قيل في مآثرنا "إنّ من البيان لسحراً" ونقول: إنّ من نوفمبر 1954م لعظمة.

قد حفرنا اسمه على كلّ قلب * * * وجرى في الدّماء عزماً أكيداً
ومَشِينا كما علمت صفوفاً * * * وحدّ الصّدق رأياً توحيداً

الخاتمة: إنّ بيان نوفمبر الذي علّنا معنى التّضحية والنّضال، وأعمل فينا كيف نسترخص كثرة التّكاليف وعلّنا معنى رفع النّصال ضد المحتلّ، وعلّنا روح الوحدة والتّضامن؛ وهي التي تفلّ الحديد مَهْمَا كانت طاقته. إنّ البيان الذي قاد الجزائريين إلى الاستقلال ولم يكن بالجان؛ حيث قدّمت الثورة التحريرية مليوناً ونصف المليون من الشّهداء، وضحايا الألغام والمُسْتَتِين عبر العالم، والثّكالى واليتامى والمُشَوّهين والمفقودين... هي إبادة ومحركات أقامها هذا الدّخيل الغربيّ المسيحيّ، وجعلنا نعيش التّخلف، وأعادنا إلى العصور المظلمة. وليس سهلاً أن ننسى القمع والتّشكيل والتّبقيّر ومختلف العمليات التي جرت على أجدادنا من تهجير إلى كاليدونيا، وإلى أطراف ما وراء أرخبيلات الموت، وتلك الأجساد التي جعلت منها فرنسا فترناً لتجارب الأسلحة البيولوجية، وما حصده الخطّين الجهنميين المكهربين لخلق الثورة: شال/Ligne Châle بطول 400 كلم، وعرض 12 كلم في ولاية الطّارف، وخطّ الجنرال موريس/Maurice بطول 460 كلم مع تونس ومشروع چاك سوستال/Jaques Soustelle في البلديات المختلطة لتدمير المنظومة الاجتماعية ذات العلاقة بالاسميّة والمواقعية، ونظام الأعراش والقبائل، والدّين الإسلامي والعادات والتّقاليد... كلّ الجزائر كانت محلّ تجارب العدو الفرنسيّ الذي لم تكن له ذرّة من الإنسانيّة والأخلاق. ولكن وتنتصر الثورة التحريرية بالإرادة والعزيمة لكلّ الجزائريين؛ كلّ من خلال موقعه. والعبرة هنا ذلك الالتفاف الوطنيّ حول بيان أول نوفمبر الذي غير مجرى الأحداث، وكان له رجّع الصّدى الوطنيّ والعربيّ والعالميّ. وتشمخ جزائر الحاضر/الجزائر الجديدة بمنجز صنعه الكبار، وها هي تلك الفئات الشّابة تحتفي بفخر أجدادها، وتعمل على صيانة الأمانة، وحفظ الوديعة، فأنعم بالسّابق واللاحق!

ترجمة التراث العربي إلى اللغات الأجنبية وتأثيره في الحضارة الإنسانية*

- الديباجة: سأحدث في موضوع ترجمة تراثنا العربي إلى اللغات الأجنبية عامة، فهل هو ضرورة أم ترف وكيف يكون ذلك مُثاقفة جديدة بين العرب وغيرهم من الشعوب التي نالها الإسلام وبقِيَ فيها، ومع الصّفة الغربيّة التي نالها الإسلام، وعاد، ولكن بقيت آثار العرب فيها بتلك السّيادة التي دامت ثمانية (8) قرون، ولا تزال الشّواهد والبصمات قائمة، وبخاصّة في الفردوس المفقود. وجاء عصر جديد يُجبرنا على ربط جسور التّلاقي من خلال العلم والثّقافة والمعرفة في إطار من الحيّاد والتّوازن والاختيار لما يُمكن ترجمته/نقله بموضوعيّة من غيرنا، وما يُمكن أن يُنقل لهم منّا. ونقول بأنّ تراثنا العربيّ قدّم للحضارة الإنسانيّة الكثير من العلوم وأسهم في إدارة حركة التّرجمة من العربيّة إلى غيرها من اللّغات بشكل إيجابيٍّ وقدّم مكاسب حضاريّة للإنسانيّة تتجاوز المركزيّة الصّلبة، والتّشدّد في القوميّة والعرقية، وأعطى العلم لكثير من الشعوب عبر التّفنّن على تعدّدية لغويّة شرقيّة آسيويّة وأفريقيّة وأوروبيّة. وكان ذلك الفتح الحضاريّ واللّساني عبر وصفه تراثنا المتفتّح للحضارة الإنسانيّة أن تأخذ القواسم المشتركة والإفادة منها، والاحتكاك بين الحضارات والتّأثر والتّأثير رغبةً في نشر الدّعوة الإسلاميّة بين الشعوب الأخرى. ويشهد التّاريخ والكتابات أثر العربيّة في كلّ اللّغات في علوم الرياضيات والجبر والخوارزميات والطّب والمنمنمات ولا يزال أثر العرب قائماً إلى الآن.

1- ذلك من الماضي: يأتي زمان الحاضر الذي يُقرّ بعظمّة مجدنا التّليد، ويضعه في الماضي المغدق ولكنه يشير إلى الحاضر المُلقق، وهل حريّ بنا العيش في زمن ترجمات: أبقرات وجالينوس وأرسطو وأفلاطون وسقراط، ونتمثّل عصر النّهضة الإسلاميّة، ونحن نعيش انتكاسة ترجميّة ولا أثر لنا في غيرنا ولا نزال لم يكن لنا أثر في الحجر الأساس للحضارة الغربيّة الحديثة. ولا تزال تركبنا الاتكاليّة والعيش في التّاريخانيّة، والإشادة بفعل أجدادنا، وفي كلّ غلبة علميّة نستكنه تجربة أجدادنا النّاجحة، ولم نعمل على تكييفها في ترجمة جديدة لتراثنا العربيّ الإسلاميّ، ولم نهتدِ إلى قنوات ترجميّة معرفيّة بحيثيات العصر وتجارب غيرنا لاعتبارات التّواصل المعرفيّ بين الأمم والشّعوب، وفي ذات الوقت تكون إسهماً منّا في تقوية حوار الحضارات عن طريق تلاقى اللّغات، وبناء القوّة النّاعمة ضدّ القوّة الصّلبة التي لم تبني إلّا الخراب. هو دور التّراجمة أهل بريد اللّغات الذين كان عليهم التّرفع عن حقوق المملكيّة الفكرية، واحترام أخلاقيات التّرجمة، وتحرّي الدّقة، ونسبة الفضل لذويه، والإبداع في وصفة الأجداد. بالفعل هي وصفة مائزة خلقت روح المنافسة في التّرجمة في الفحص والتّدقيق والمراجعة والمتابعة والموضوعيّة والفهم الصّحيح للأصول، واستواء الحذق بين لغة المصدّر ولغة الهدف، وتضافر الجهود السياسيّة في صناعة التّرجمة بما نالته من أصحاب القرار. ذلك من الماضي المجيد رغم بعض العثرات التي لحقت به وهي من المرحلة الصّعبة؛ لأنّها مرحلة التّأسيس، ومع ذلك أسّس ذلك الماضي

*- الكلمة التي ألقيت في الملتقى الوطني حول (ترجمة التراث العربيّ إلى اللّغات الأجنبية وتأثيره في الحضارة الإنسانيّة) تنظم جامعة عبد الحميد بن باديس، بمسّغانم، بمناسبة اليوم العالميّ للتّرجمة، بتاريخ 6-7 نوفمبر 2024م.

لعدم التزوير والانتحال، وسعى للتظهير ولكنه لم يواصل التطبيق، وأعمل الحركة العلمية في تفجير الطاقات ومدها بأسباب القوة والمجد لتكون الترجمة فعلاً قيمة مضافة في التواصل المعرفي، وحدث أن شهدت اللغة العربية بفعل الإسلام حركة ترجمية قل نظيرها في تاريخ الحضارات البشرية، وتمثلت في ظاهرة التأثير والتأثر وتمت بين الأمم والشعوب التي كتب لها أن تتعايش على الرغم من تباين الأديان، واختلاف الثقافات وتنوع اللغات. ولا ينكر إلا جاحد ما كان وصفة عربية ناجحة في حركة الترجمة الرائدة، والجديرة بالبحث والاعتبار رغم ما عتراها من بعض الملاحظات. وتبقى حركة الترجمة العربية لها أثرها الإيجابي شرقاً وغرباً منذ أواخر القرن الثاني الهجري. وقد أرسى أسس تبادل المعارف + الجدل والمناظرة + احترام علوم الأمم المغلوبة + احترام ثقافات البلاد التي نالها الإسلام، والإبقاء على عوائدهم ولغاتهم + بناء جسور التواصل بغاية العيش معاً بسلام. لقد كانت بحق تجربة ووصفة رائدة بامتياز، وناضجة بكل المقاييس، وتوفرت فيها كل المقومات التي تجعلها ناجحة، والدليل أننا نستذكرها الآن بفخر بما أضفى عليها من طابع التعبئة العامة.

2- الترجمة أس النهوض في هذا العصر: لا نزيد تكرير الحديث عن أهمية فعل الترجمة ودورها في التعريب والتفاعل الثقافي والحضاري، وبإمكاننا العيش في هذه الألفية ضمن رفاة لغوية بهية عربية في مواجهة تحديات نقل المعرفة وتوطينها بخطة عربية تصدر من جامعة الدول العربية، وتبني على محاور إجرائية تتفاعل وتتجاوز مع غيرها من الثقافات العالمية التي سبقتها أو عاصرتها، مع بناء خطة تعدد الرؤى والمقاربات التناظرية والنظريات الترجيمية المعدلة والمناسبة لخصائص المنطق والمُشترك اللغوي، واعتماد ما ينطبق فعلاً في واقع العربية بما لها من امتداد في الزمان وفي المكان، وما تحمله من كلام الله وأحاديث رسوله الكريم، والأثر الكبير من ديوان العرب: شعره ونثره، ومراعاة الأبعاد الحضارية لخصوصية هذه اللغة التي ليس لها مثيل من تلك اللغات الجديدة/لغات المهجين. إن الترجمة عمل ثقافي ينتج عنه ثاقف طويل المدى، وهي الأداة التي يمكن من خلالها الوصول إلى تقوية اللغة العربية المشتركة بما لها من وساطة بين الماضي والحاضر والمستقبل. هي الترجمة النشاط المؤثر والمتأثر والقناة النابضة التي تربط بين بحار وأنهار اللغات المختلفة، وهي أم الفنون الإنسانية التي تنقل الثقافات بين الأمم وتعمل على التقريب بينها، وتدفع عجلة التطور الإنساني إلى المحاكاة والتكامل حالة ما استعملت إضافة نوعية وليس استلاباً أو هيمنة أو دحراً للغات الهشة.

الترجمة هي معرفة الآخر والتعاون والتجاوز في إطار معالجة القضايا المشتركة واحترام الخصوصيات والذوات، وخلق التفاعل الثقافي والحضاري معه، وذلك ما يخلق صورة الندية والابتعاد عن القوة الصلدة وسلوك القوة الناعمة. وهذا ما أبانت عنه الحضارة العربية الإسلامية في تطوير الثقافة المتلقية "أثر الترجمة والتعريب في التواصل بين الأمم في ضوء الاعتراف الثقافي الذي أثمر حضارة عربية راقية تتمظهر في بروز ميادين جديدة لم تكن معروفة من قبل كالفلسفة والمنطق والنقد والفلك والكيمياء والطب، وأغنت اللغة العربية بآلاف المجلدات، وعدد لا يحصى من المصطلحات المترجمة والكلمات المعربة التي لم تكن معروفة، وهو الأثر الذي كان له دور كبير في نهضة الحضارة الإنسانية في العصور اللاحقة".

3- ضرورة تبني الترجمة في العلوم للحاق بالركب الحضاري المعاصر: بالفعل تقتضي النهضة الحديثة ومقتضيات الأولويات والتقدم أن يقع الاهتمام بالترجمة في مجال العلوم والتقانات لما لها من الاستفادة والإفادة من جل اللغات، ولما لها من وسائل التواصل والتفاهم بين الثقافات والشعوب واللغات المختلفة وهذا دون حاجز الأورمة اللغوية، بل أن تكون المنهجية بمقولة "من تكلم العربية فهو عربي" وأنّ الإضافة إلى الإبداع إبداع، ونحن نعلم أنّ سيارة وقطار 1920م، يسيران عشرين (20) كلم في الساعة، وذات الوسيلتين تسيران اليوم أكثر من ثلاثمائة (300) كلم في الساعة؛ بمعنى أكثر بـ 150 ضعف، يعني هناك تطوير لغوي وفكري وحرفي في ذات الوسيلتين وغيرهما، وهي إبداعات متكاملة في مختلف الأجهزة جاءت عن طريق الأفكار والمعاني والمصطلحات والتراكيب الفنية إلى درجة أن تحوّلت اللغات من الإطار الضيق إلى العالمية المشتركة في الحضارة الإنسانية، وهذه هي صيغة التلاقي بين اللغات التي نتعامل بالأخذ والعطاء "إنّ العلوم والفلسفة كانت تعتبر أعجمية وهي دخيلة تمّ استيرادها واستجلابها من الحضارات القديمة ومع إرادة تأسيسها من طرف السلطة خاصة زمن الخلافة العباسية، وإحكامها في التربة الإسلامية، كان لازماً أن يحدث تجديد في اللغة نفسها كي تستوعب المعاني غير المألوفة وهو ما حدث بالفعل، حيث اكتسبت العربية سلاسة وجزالة ومرونة فأصبحت قادرة على أن تعبر عن: منطق أرسطو، وفلسفة أفلاطون وطبّ أبقراط، وجالينوس، وفلك إبرخس وبطليموس، ورياضيات إقليدس... إلخ." وبذلك التلاقي أصبحت العربية لغة الحضارة بامتياز. وإنّا في عالم اليوم تغيب لغة الشعر، وتأتي لغة التقنيات الرقمية وإضفاء الطابع العربي عليها في التواصل الإلكتروني وكلّ الوسائط التي نتعامل بها: الهاتف المحمول/مواقع فيسبوك/تويتر/إنستغرام/لنكدان/تيك توك... ونجعل العربية تنال موقعاً في البرامج الثقافية والترفيهية والرياضية في (YouTube) وما له علاقة في برمجيات الترجمة. كما يكون لها الحضور النوعي في مجال الرياضة ولغة الشباب ولغة الإعلام بما للغات العالم من تأثير على شبابنا الذين يستعملون ويتابعون مختلف المنافسات والمناقشات بلغات أخرى، ويجد فيها سلاسة ومُتعة، فالأحرى أن يجدها في لغته العربية التي يملك فيها الأرضية المعرفية القاعدية، ويحتاج فقط إلى تطوير بعض أساليبها وفقاً للغة الرياضة والإعلام اللذين تديرهما اللغات العالمية، وهي الأكثر حضوراً لدى الشباب العربي، والعربية تعرف الانحسار في هذه الوسائل والمجالات بكلّ أسف، مع ما تملك من أساليب مُعبّرة ودقيقة ومؤثرة ومُتنوعة ولكن يدّ الزّمان أبعدها عن الاستعمال في المجالات الحيوية وفي مُستلزمات الشباب. وأين الحديث عن الأولويات في هذا المجال، وهل ترجمة تراثنا القديم من الأولويات؟

4- أولويات العصر: هناك سلسلة من الأولويات؛ علينا التزام السير من أجل تحقيقها، وتشكيل أُسس النهوض بالعربية الفصيحة بصفّة عامّة، ومن بينها الترجمة، وهي ليست أولوية الأولويات وإن كانت جزءاً من منظومة النهوض العربي اللغوي. وقد أفاض تقرير مؤسسة الفكر العربي والموسم (لنهض بلغتنا مشروع لاستشراف مستقبل اللغة العربية) ط1، 2012م. ويركّز على اعتبارات الواقع وضرورات التطوير- وتنصّ بنود هذا التقرير على توطین المعرفة والمُصطلح في مُجتمع التعريب، والمُنطلق من حماية العربية في سياقها الجمعي

والتركيز على أولويات لغة الشباب الذين يشكلون أكثر من 72% من المجتمع العربي وأن العربية حاضرمهم ومستقبلهم، ولا بد من استشراف واقع اللغة الأساسية في المفاهيم والاستخدام؛ يربط ذلك بالهوية والانتماء والثنائية اللغوية. هي لغة عربية تعيش الغربية والتشظي المعاصر في المستجدات الحديثة في عالم أسماء المخترعات وحدود الاندماج والمجتمع الافتراضي. وينص التقرير على رغبات وتطلعات في مضمون التواصل الشبابي بما يبتكرونه من لغة العريزي+ العربو فرانكو+ الكتابة المهجنة وما يلحق ذلك من بعض التسامح اللغوي تجاه لغة بيضاء ما لها ماضٍ. ولهذا يستدعي الظرف المعاصر تحديد أولويات النهوض اللغوي ببناء سياسة لغوية ومنظومة فكرية متكاملة من القاعدة، وتنفذ عبر مراحل ترابعية في بناء الدولة العربية الحديثة دون سلطة قوانين ردعية أو قوانين أجنبية. وعلى المدرسة العربية سد كفاية الفهم والقراءة وكفاية التعبير الوظيفي وفي الكفاية النحوية والتذوق الأدبي. هي مجموعة من الفجوات علينا سدها بالبدائل النوعية المطلوبة، وهي من سبل النهوض بالواقع والارتقاء به، ولذا، لا بد من الخطة اللغوية في توطين العلم في كل المؤسسات والإشهار والإعلام والسياحة والنشاط التجاري... ولا يتحقق كل هذا إلا بنشدان آفاق الاستثمار في الرقنة والمحتوى الرقمي، ومراجعة قصورنا في حضور العربية في التحديات الحوسبية التي تستثمر فيها لحد الآن، وتحديد البيئة العربية المحوسبة، ومعالم الطريق لصياغة مستقبل البيئة العربية الرقمية. وهكذا نرى الوضع المعاصر يستدعي الوقوف عند هذه الأولويات التي تقتضي منا الهبة العربية من مؤسساتنا ومن النخبة العربية، ويعضدها التشجيع والقرار السياسي.

5- هل نحن بحاجة إلى الترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية، أم العكس؟ لا ننكر أثر الترجمة من وإلى العربية، ولكننا الآن لسنا في إطار الاختيار، بل في إطار الأخذ بالأولويات والمصالح المرسلة والنهضة المنشودة، والكفاية العلمية للغات الأجنبية، والفرغ العلمي الذي نعانيه في العربية. ولهذا تقتضي النهضة الجديدة الإفادة من اللغات الحية التي لا تشكو فراغاً في فقر العلم والتعلم على غرار ما تعرفه العربية في واقعنا المعاصر؛ وهي لا تحمل الكفاية العلمية المطلوبة، وأن نهضتنا المعاصرة لن تتحقق إلا بفهم ما فعله الآخرون السابقون علمياً، وتقليده في المقام الأول، ثم الإضافة إلى منجزاته، ومن ثم الاهتمام بتراثنا وتطبيقه في دروسنا، ومن ثم ترجمة الجديد، والعودة إلى مواصلة ترجمة القديم، رغم أن القديم في معظمه تمت ترجمته من الأعاجم، من المستشرقين والمستعربين في القرن XVIII أو في القرن XIX أو في القرن XX. وهنا ماذا نعيد وكيف نعيد، وما المنهج الذي نعتمده... هي الأولوية التي لا نريد أن تحكمها العاطفة أو التعاطف، وليس من باب التقليل من قيمة تراثنا، أو عدم التمسك به، كما لا ننفي الكثير من الجهود النيرة المبذولة من قبل المؤسسات والأفراد لكن ذلك لن يكون له تأثير قوي إذا لم نضعها ضمن مشروع المجتمع ونندخل فيه كل الأقطار العربية؛ اقتفاء لركب اللغات الرقمية العالمية، وما تعطيه معطيات العصر. ولذا علينا العمل بفقهِ الأولويات في مجال التأثير والتأثر، والسير ضمن منوال العصر، ومتطلبات النهضة، بله الحديث أن يكون المحيطون بنا أكثر تقدماً في مجالات الحضارة المعاصرة، ونحن فقراء في السبق العلمي في العلوم والتكنولوجية

وفي طرائق التدريس، وفي المنهجيات الدقيقة، وحتى في منهجية تحقيق مخطوطاتنا، وننتظر الغرب لاكتشاف ما، ونقول: هذا موجود في تراثنا، ولم نستطع اكتشافه إلا بعد أن قرأناه عبر اللغات الأجنبية، وفي كل مرة نضع الحِراث أمام الثيران. هو تعطيل غير مقصود من سدنة العربية، وبحسن نية خوف الذوبان والانتحار ولكن هذا مصيرنا المحتوم وعلينا أن نكون مع الأحداث العلمية المعاصرة وإلاّ نزداد تبعية وغلبة وإملاءً لشروط الغالب علماً، وهو الغالب اقتصاداً ولغة.

6- الانفتاح على تعددية لغوية مُضيفة: تقتضي الأولويات لخدمة لغتنا وتراثها أن نوسّع باب الترجمة بتعلّم اللغات الأجنبية ونفيد منها، وندعم البحث في الترجمة إلى التّرقّي التّرجمي في اللغات الأجنبية، بما يسمح لنا من السيطرة حالياً على اللغات الأوروبية بما لها من سبق وإحراز علوم العصر بلغاتها، وهي الخزان الذي تفيد منها كلّ اللغات، ونحن بحاجة إلى القضاء على فوضى المصطلحات، واستيعاب ألفاظ الحضارة وما يضمن لنا مواكبة الحياة والعلم، وما يجعل اللغة الأم/العربية الفصيحة تعلو، ويكون لها الشأن العالمي. وفي بالي دائماً أنّ اللغات الأجنبية لا تصنع لنا تنمية مُستديمة، ولكن تنفعنا في تطوير لغتنا المشتركة، وأنّ الإبداع لا يأتي إلاّ عبرها، ولهذا نأخذ العبرة من إبداع اللغات الأجنبية، وما يدفع المهتمين بالإصلاح اللغويّ إلى منهجية جديدة في التمسّك بتعريب العلوم، وما يستدعيه من اعتماد أفضل الطرائق للنهوض بالترجمة إلى العربية؛ وهي الأولوية المعاصرة. وعلينا أن ندرك خصوصية هذه المرحلة وأهمية التعددية اللغوية التي أسسها لها الانفتاح اللغويّ في ظلّ تباطؤ تقدّم اللغة العربية، وطغوى الطابع التقليدي التلقيني على تعليمها، وانتشار المحليات واللهجات والتأخّر في دخول عصر الآلة، وفي منظومة شاملة طابعها التّراخي والإهمال في اللغة الأم/لغة الأمة/اللغة الجامعة التي تلهز بانزمام وانكسار وإحساس عميق بالفشل وتقاعس الجامع عن تفعيل العربية تكون في مستوى تلبية حركة تدفق المصطلحات، وتداول العبارات في عصر العولمة والوثبات الآلية التي تعرفها الأمة العربية والإسلامية من اللغات الأجنبية، وغياب تام للغة الأمة في عصر العولمة والانفتاح الثقافي والانفجار العلمي الي نعيشه اليوم. وهنا نشهد صراعاً لغوياً من أجل الهيمنة اللغوية، ونرى تلك المحطّات تقوم على الاقتراض اللغوي المبالغ فيه، الذي يجعل العربية تابعة للغلبة العالمية، وتضيع معالمها، ونفقد الهوية والخصوصية وانهيار المرجعيات، ولا نشهد إلاّ الذوبان اللغوي والثقافي في الآخر، ولا نعيش اقتصاد المعرفة بلغتنا التي لا تعرف الانفجار المعرفي وكثافة الإنتاج الثقافي الذي يشهده عالم اليوم. ولقد استسلمنا للغة التواصل العالمي/(Lingua Franca) وهي لغة متنمّرة تقضي على كلّ اللغات التي لا تعرف العلم، والعربية إحدى هذه اللغات. فما هو الحلّ؟ لا بدّ من اعتماد تعددية لغوية لاستقاء العلوم، والعلم ليس ملكاً للإنكليزية وحدها، وعن طريق الترجمة ننتقي النصوص المطلوبة حسب أولوياتنا، ونختار اللغة ونتفاعل مع المشاهد الثقافية العالمية، ونختار ما يحدث حركة نوعية في ذواتنا، عبر كفاءات عربية لها الدراية بالأولويات، ولها خطة الترجمة في أبعادها الحاضرة والمستقبلية، وفي زمانها المطلوب. ولا نفتي أمام المختصين، فنضع العهدة في أعناقهم لينقلوا العربية من الوهن والفشل إلى لغة الإبداع والعلم.

7- مواصلة تقييم وتقييم مسار مشاريع الترجمة: هناك مشاريع عملاقة لا يمكن نكرانها قامت بها المؤسسات ذات العلاقة، مؤسسات تابعة لجامعة الدول العربية عبر (ALECSO) ومؤسسات مجعية وجامعية ومؤسسات إقليمية/وطنية، ومؤسسات أهلية، واجتهادات أفراد... وبعضها أنهت مشاريعها وبعضها تعرف نسباً مثوية جيدة، وبعضها معلقة، وبعضها على الورق، وكل ذلك يعود إلى جملة التحديات والمعوقات في مشاريع ترجمة على غرار: المنظمة العربية للترجمة + مشروع الألف كتاب الأول + الألف كتاب الثاني + مشروع (كلمة) + مشروع الشروق - بنجوين + معهد تونس للترجمة + جائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدولي + جائزة ابن خلدون - سنغور + جائزة أركنساس للترجمة العربية + جائزة سيف غباش - بانينال للترجمة الأدبية من العربية إلى الإنكليزية + لجان التأليف والترجمة في معظم بلاد العرب + المراكز القومية للترجمة + المجلس الأعلى للثقافة... الخ. وفي حوصلة عامة هناك مشاريع محققة، وهناك ما هو في الآفاق البعيدة، وأموالها صرفت دون نتيجة والترجمة عندنا ضعيفة.

هي جملة مضايقات تواجه العربية ولم تتمكن الترجمة من مسيرة الحداثة والطفرات العلمية والتقنية التي عرفها العالم. هو عجز في ذات المترجم لأسباب غياب القاعدة القوية في مرحلة التكوين، وهي مرتبطة بالمنظومة المدرسية وبالمنظومة الفكرية والثقافية والأخلاقية والجامعية، ومراكز البحوث للمجتمع العربي الذي يعرف الانهزام الداخلي، وغياب المؤهلات العلمية والمُعجّمة الداعمة للبحث العلمي، ولتلك الحوامل الإلكترونية المعاصرة ذات المحتوى العربي المعتمد على الحوسبة والتحليل والجداول والبيانات الرقمية الموجودة في لغات العلم. وهنا يجب الفصل بين الباحث ولغة الباحث، فالعجز في الباحث، ولم تكن العربية مُنكفئة على نفسها، بل كانت ولا تزال الحاضن الأقوى لمقومات لغة العلم ووسيلة التعبير الصحيح، بما لها من مواءمة الجديد، وفيها المؤثر الأبرز بمكونات اللغات التي نتعايش معها، والمتأثر الأقوى في ميدان حقولها الدلالية، وخير وسيط لربط ثقافة الأمم ببعضها. وهذا ما أظهرته عصورها الذهبية من قوة علمية تجاوزت بعض اللغات التي كانت لها السيادة والريادة مُثّلة في بعض اللغات الإقليمية في القارة الآسيوية، وقد تقوّت عليها "عبر تعاطيها اللغوي مع مختلف اللغات التي تمثل ثقافات متنوعة، واتجاهات متعددة في منظومة التواصل الثقافي الكلي جسراً للاتصال المعرفي، عبر ما تملكه من إمكانيات نوعية جعلتها قادرة على التواصل الإنساني مع الثقافات الأخرى في مختلف أنحاء العالم". وكل ذلك جعلها تترك الرصيد الثقافي والاقتصادي في صروح الحضارات المختلفة والمتعددة، لتؤثر بما تملكه من رصيد ثقافي واقتصادي وإنمائي في عدد من الحضارات الإنسانية وذلك عبر بوابات مختلفة ومتعددة، تنسّمها الترجمة، فكانت القوة الناعمة في مساعدة تلك الحضارات بالعربية الغنية علماً وتسامحاً وأخلاقاً وقيماً وتقدماً واتحاداً، وتقول المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكة) "إنّ كلّ الشعوب التي حكمها العرب اتّحدت بفضل اللغة العربية". كما أنّ العربية لها أفضال على اللغات الغربية/اللاتينية، وهذا ما يقرّ به الباحث (جان بروفو/Jean Provost) في كتابه (أسلافنا العرب: ما تدّين به لغتنا لهم) ويقول بأنّ الكثير من الكلمات العربية أغنت لغاتنا: الإسبانية + الفرنسية + المالطية + الإيطالية + اليونانية + البرتغالية بما

يتعلّق بالمصطلحات ذات العلاقة بالحياة اليومية، ويشير إلى مجالات الرياضيات إلى الصّفر والجبر والحوارزِميات، والفنون والموسيقى والعمارة... ويبيّن بوضوح ذلك بشواهد لغويّة أصوات العربيّة، وكيف نالها التحريف أثناء الترجمة إلى هذه اللّغات. إنّ العربيّة خزّان كبير بما لها من خصوصيات ذاتيّة في المبنى وفي المعنى، وما أحوّجنا إلى عالم غوّاص يستكنه أصدافها في محيطها الكبير، وهذا ما يجعلنا نقول بأنّها الحاضن الرئيس لكافة الأقطاب اللّغويّة، يعني الأقطاب الحضاريّة التي تتألف لبناء كيان حضاريّ لأيّ مجتمع ينشد نهضة تخرج من البدويّة إلى عالم الأزرار الذي هو مطلب الحداثة في الإبداع في مختلف العلوم والفنون وذلك ما حصل للعربيّة التي استفادت من الحضارات السابقة وأفادت الحضارات اللاحقة، بتعديّ حدود الزّمان والمكان ووسائل التّواصل بمعطيات الجيل والفكر، وأرست وثبة الحضارة الكبرى في المشرق والمغرب وبلاد الغرب، وباللّغة العربيّة التي بدأت من تماهيا مع علوم السّابقين، وتجاوزتها بمُضيف فنّ الترجمة بمؤسّسيه وأبطاله الذين شقّوا للاحقين طريق المعرفة سهّلت ممشاها، وفي أرض لها حراك ثقافيّ كبير لا تخطئه عين مُنصفه في بلاد العربيّة، وفي الأندلس يشهد ذلك كتاب الإدريسي (نزهة المُشتاق في اختراق الآفاق) هي حضارة عربيّة إسلاميّة نصّاً ولغة وتطوراً، بما لنقاط التّواصل بين المشرق وصقلية والأندلس وطيطة عبر بلاد المغرب الذين خلقوا المزج بين العربيّة واللاتينيات في ظرف وجيز يحكم غلبة العربيّة أدباً وعلماً.

- الخاتمة: يقول (ألكسندر بوشكين) "إنّ المترجمين هم خيول بريد التنوير" وهكذا خدم المترجمون التّلاخ الثقافي بين الشّعوب، وأناروا فكر الحوار بمنطق المقارنة والمقابلة والأخذ والعطاء. ونحن الآن في وضع مُعاصر يستدعي مزيداً من تمثين الأفكار مع مَنْ يشغل معننا، ومع مَنْ تجمعنا به الكرة الأرضيّة، ومَنْ يُجاورنا من ضفاف البحار والأقاليم، ولا بدّ من نيل المقام عبر لغاتنا في تفاعلها المُعاصر مع شبابنا المُغتربين في لغتهم الأمّ بدلالات اللّغات الأجنبيّة، أليس من الأجدر التّماهي مع هذه اللّغات التي تملك العلم ووسائل التّواصل التّقاني بمضمون عربيّ يحفظ الخصوصيات، ويلبيّ الاحتياجات، سعيّاً لتحقيق ثقافيّ يخلو من تحفّظات عبر معرفة الآخر من خلال لغته، والوقوف له بالندية باللّغة الفصيحة التي لها قوّة المناعة والاستجابة والإنتاج والإبداع. ولا بدّ من خلال هذه الكلمات التّنويه بعلم الترجمة الذي نسعى إلى تجسيده عبر مؤسّسات الدّولة وتظهر في مجالس/مراكز ترجميّة ثقافيّة يكون لها صفة اقتراح أفكار ومُتابعة التّجسيد ودون تأخير.

أثر برمجيات اللسانيات الحاسوبية في خدمة اللغة العربية[♥]

- الدِّباجة: تكمن أهمية الموضوع الذي يُعالجه هذا المُلتقى الهجين في طرح ومُدرسة أثر برمجيات اللغة العربية، وكذلك الحديث عن العلاج الآلي للغة العربية وفق هندسة اللغات الطبيعية، بما يُرافق ذلك من التركيز على اللسانيات الحاسوبية؛ وهي تخدم اللغة العربية التي تفتقر إلى مجال اللسانيات الحاسوبية وكذلك أنظمة الذكاء الاصطناعي في رهن الحال. وفي ظلّ الصراع اللغويّ وحرب اللغات، والبقاء للغات التي تُسيطر على عالم الأزرار، كان على أصحاب العربية تغيير منهجية البحث وتطوير أنظمتها التّواصلية والبحثية لتعيش ضمن عالم الأزرار؛ وهو علمٌ حديث تُهيمن عليه اللغات الأوربية، ويعني هذا أنّ اللغات المزودة بالتقنيات الحديثة لها المكانة العلمية عن غيرها من اللغات التي لا تُنتج أدوات التّعامل مع التقنيات الحديثة؛ إضافة إلى سبق بعض اللغات الأُمية إلى فتوحات اللسانيات بما لها من ربط لغاتها بالحاسوب؛ ويعني ذلك سيطرتها على المعلومة بما للتقنية الحديثة من البرمجة التي يحلها الحاسوب بكلّ خوارزميات الذكاء الاصطناعي، والعربية تعاني مضايقات تواصلية مع اللغات الأُمية فيلتجئ أهلها للتواصل بالإنكليزية/الفرنسية لسهولة لهما وحسن الاستجابة الفائقة، وغنى قاموسهما مع سيطرتهما على أدوات التّواصل الحديثة، وأنهما من اللغات الحية التي لا تعوزها الحاجة في كلّ أشكال الاستعمالات اللغوية. وأما العربية في صيغتها التقليدية، لها باع كبير في علم اللغة/فقه اللغة، ولكن في ظلّ تطورات ذكاء أجهزة الحواسيب المعاصرة، والحوسبة، ورُبّتها الخامسة أُمياً فقد قلّت حيلتها وهذا ما أسعى الحديث عنه في هذه الكلمة؛ وتسليط الضوء على إكراهات وتحديات ومضايقات اللغة العربية، ومن ثمّ طرح أفكار تطبيقية لاستدراك النقص، ونشدان اللّاحق، وهذا من مُتطلبات الباحثين في علوم اللسانيات عامّة، واللسانيات التطبيقية خاصّة؛ باعتباره علماً يبحث في تعلّم اللغات البشرية وتعليمها، والهدف من ذلك تطوير العمليات التعليمية وفق منظور حداثيٍّ بمتطلبات علم اللسانيات بكلّ ما يعرفه من وسائل وأهداف وغايات.

1- نظرة عامّة في مجال اللسانيات الحاسوبية: نلقي نظرة على مُستوى عمليات الدماغ الآلي الذي تعمل اللسانيات الحاسوبية على ضخّ خوارزميات على غرار دماغ الإنسان المُفكّر والطبيعيّ، وصاحب لغة فطرية/الناطق المثالي. وتقوم الآلة بتمثيل مُستويين: المُستوى الخوارزمي + المُستوى الحاسوبيّ؛ بتوفير نماذج رياضية للغة في مختلف أشكالها التّواصلية. وتعمل اللسانيات الحاسوبية على نمذجة المظهر الحاسوبي للغة لتفاعل المُستويين؛ ليظهر لنا المُستوى التجريديّ بالاستناد إلى الفرضيات والسيرورة الذهنية الخاصّة باللغة المُعبّرة عن تلك الخوارزميات المُخزّنة. وأهمّ عامل في هذا المجال تلك النمذجة الحاسوبية في وصف ودج مختلف

♥- الكلمة التي أُعدّت للمُلتقى الهجين حول (أثر برمجيات اللسانيات الحاسوبية في خدمة اللغة العربية) تنظم المركز الجامعي (الشريف بوشوشة) آفلو، معهد الآداب واللغات، بمعية مخبر اللسانيات وتكنولوجيا التعليم وقضايا الأمن اللغويّ + مخبر اللهجات ومعالجة الكلام بجامعة وهران، وبالتعاون مع فرقة البحث التكوينيّ PRFU- (اللسانيات وتطبيقاتها في العلوم البينية) بتاريخ 13- 14 نوفمبر 2024م.

السيرورات التي تُحوّل تلك الأنظمة العمليّة إلى سيرورة بنية اللغة المثاليّة في كلّ مُتطلّبات فقها. وما يجب علّه أنّ صياغة النماذج اللّغويّة الحاسوبية تتمّ بمشاركة الرياضيات بصفة مباشرة أو عبر المعلومات؛ فكلّ نموذج حاسوبية تُتفرّغ دائماً عن نموذج رياضيّ تفرّغاً ظاهراً أو مُقدّراً. ومن هنا فإنّ منهج اللّسانيات الحاسوبية يتضمّن أساسيات وفروع اللّغة وبعض الخصوصيات التي يكثر دورانها، ومن خلالها يبيّن مناهج الذكاء الاصطناعيّ، الذي يتعرّف على المُعالجة الآليّة للغة؛ وهي في ذاتها تعني التطبيق الآلي على مجموعة من نصوص اللّغة في مُختلف تحويلاتها، وإبداع شيء جديد اعتماداً عليها، ويتمّ كلّ ذلك باستعمال تقنيات وأدوات من اللّسانيات والمعلومات وما يجري عن طريق الآليّة بشكل كلّّي أو جزئيّ بغية بناء المجالات المشتركة، والبرامج البحثية والبرامج التعليميّة... وهذا كلّ لا يتحقّق إلّا بالبحث العلميّ والترجمة الآليّة والفهرسة والتوثيق الآلي، وما له علاقة بالحدس الآلي في مُختلف الأنحاء والمقامات.

2- حديث في بناء البرمجيات: في منظور هذه الكلمة يكون الحديث عمّا تُوفّره التكنولوجيّة المتطوّرة من أجل بلورة برامج وأنظمة مُعالجة اللّغات الطّبيعية مُعالجة آليّة، وصناعة الحوسبة التي تملك وضع آليات تُوهّل اللّغة لولوج مُجتمع الصناعة اللّغويّة التي ترفدها اللّسانيات الحاسوبية، وبخاصّة ديداكتيك اللّغات التي تجعلها اللّسانيات الحاسوبية هدفاً في تعليم وتعلّم اللّغات كمجال أساس للدراسة والتّجريب وكذلك في "تفسير كفيّة اشتغال الذّهن البشريّ في تعامله مع اللّغة، معرفة واكتساباً واستعمالاً". وبعد السيطرة على مجال التّعليميّة يمكن للآلة/الحاسوب أن يبيّن برمجيات وتطبيقات حتى مع أعقد العمليات بما للآلة من قدرة عظيمة في التحليل والتداول، وبناء نماذج ذكيّة في اللّسانيات التطبيقية المتصلة بالذكاء الاصطناعيّ، وكلّ مُتضمنات تعليميّة اللّغة. وإنّ بناء بيانات البرمجيات يقف موقفاً حديثاً يخرج من التّلقين والتّحفيظ والتّسميع، إلى استغلال قدرات الحاسب في إعداد برامج حاسوبية تعليميّة، تتشّى مع النظريات البيداغوجيّة والتعليميّة الرّاهنة. ومع ذلك فإنّ البرمجيات لا يُمكن أن تُحقّق المطلوب إلّا بتنميّة الرّصيد المعرفيّ الثّقافيّ للغة من مُنتوج مُحتواها الرّقميّ، ومن بياناتها ومشاريعها وبرامجها، مع ربط مُتلازم بين النظام اللّغويّ والخوارزمية الصّورية التي تضع البرامج من مجال الهندسة اللّغويّة.

لا يُمكن أن نستفيض في هذا المجال، بقدر ما تعود الكلمة إلى المهندسين في الحديث عن شقّ الخوارزميات، ورسم الحروف، ومُراعاة الاتجاه، وتلك الصّورنة التي يرغب فيها المُستخدم أن تكون مع مُكونات العتاد اللّسانيّ، ومُلاحظات البيانات. وفي هذه المسائل تُعاني العربيّة من مُضايقات من حيث حوّلها اللّسانية الضّخمة، وتحتاج إلى غربلة وتشذيب كبير، مع الاشتغال على الشّق الثّقافيّ كي يتعرّف عليه الذكاء بسهولة؛ لأنّ أصله وضعت فيه خوارزميات لغات لا تنتمي إلى أرومتها، رغم ما يجمع ذلك من منطق اللّغات. وكما قلتُ هي مسائل تعود إلى المُختصّين، وإلى مُنظمة المُواصفات والمقاييس؛ ذات الصّلاحيّة بشفرات الحارف الخاصّة بتنميط لوحة المفاتيح العربيّة الحاسوبية، ووضعها في الجهاز رهن إشارة المُستخدم وهي الضّرورة والمنطق لصّورنة كلّ الأشكال التّعبيريّة والهندسيّة للعربيّة. ولما تكون الصّورنة الدّقيقة يحصل

التَّعَرُّفُ البصريُّ على الحروف + التَّوْلِيْفُ الصَّوْتِيُّ + الإِمْلاءُ الآلِيُّ للعربية بأقلِّ الأخطاء، مع ما يتبعها من: تحقيق التَّرجمة الآليَّة الشَّفويَّة + تحقيق المجال التَّركيبي + تحقيق التَّفاعل المُتبادل بين الآلة بصفقتها مُدرِّساً/مُرشداً تعليمياً، وبين المُتعلِّم بصفته مُستخدماً... ومن هنا نعلم بأنَّ البرمجيات لا يمكن أن تُحقِّق المُطلوب إلاَّ بصناعة حاسوبية مُحاكِيَّة لما هو موجود في الذَّهن البشري، مع الاستفادة من التَّطوُّر الذي تعرفه اللُّغة في تكنولوجيا تقانة الصَّناعة اللُّغويَّة العالميَّة.

3- معنى اللسانيات الحاسوبية/linguistique computationnelle: علمٌ معلوماتيُّ يهيئ للحاسوب كفاية لغوية تُشبه ما يحمله الإنسان من ذكاءٍ مثاليٍّ فطريٍّ؛ حيث يستقبل اللُّغة ويُدركها، ويفهمها، ومن ثمَّ يُعيد إنتاجها وفق المُطلوب؛ وبالكفاية المقصودة التي يتلاغى بها أهلُ الفطرة، مع ما تعرفه اللُّغة من تطوُّرات. وتعني اللسانيات الحاسوبية ضَخَّ واستدخال قواعد اللُّغة في مُستوياتها الأربعة: الصَّوت + الصَّرف + الدَّلالة + القواعد، وكلَّ أحكام الرِّسم وعلامات الوقف، وبعض الخصوصيات التي تعرف بها من حيث معجمها المفرداتي، وفقها اللُّغوي، والتَّعريف والتَّنكير والبداية بالفعل، وبعض الخصوصيات الثَّقافيَّة في أمثالها وحكمها التي يكثر دورانها... ومن أبرز فروع علم اللِّسان (اللسانيات التَّطبيقية) الذي يهتمُّ بدراسة علميَّة للُّغة الطَّبيعيَّة من منظور حاسوبيٍّ، وتمَّ "بناء برامج حاسوبية لأنظمة اللُّغات البشريَّة من خلال تقييس ومحاكاة نظام عمل الدِّماغ البشري لنظم عمل الحاسب الآلي". إذاً تعني اللسانيات التَّطبيقية البحث في اللُّغات البشريَّة باعتبارها أداةً طَّبيعةً لمعالجتها في الآلة بسرعة لا توجد في ذهن الإنسان، وهذه ميزة يتفوق فيها الذَّكاء الاصطناعيُّ لما له من سرعة فائقة، واسترجاع المعلومة في ظرف وجيز.

ولا يمكن أن يحصل الذَّكاء على منطق اللُّغة إلاَّ إذا ترسَّخت في أنماط مجاريه من الكلام في كلِّ المُستويات الأربعة، ومن خلال ذلك يتبع الذَّكاء الاصطناعيُّ والمنطق والرياضيات الطُّرق السَّيارة في تشكيل نماذج لغوية ينفذها بناء على ما ترسَّخ في دماغه من نماذج لغوية، ومن ورائها يُشكِّل نظريةً لسانيةً تنفيذيةً؛ تكون وسيلةً لتطوير نظرية لغوية غمطيَّة جديدة بمُساعدة الحاسوب. وهكذا عمل/فعل اللسانيات الحاسوبية التي تعمل على تطوير الصُّورة العادية إلى صورة رقيَّة، وهي من مُتطلَّبات الثَّقافة الآليَّة المُعاصرة، وبخاصَّةٍ منذ الخمسينيات من القرن الماضي الذي تشكَّلت معالم اللسانيات الحاسوبية عبر النُّشر الإلكترونيِّ والمُلتقيات والأيام الدَّراسية والندوات الفكريَّة ومُختلف التَّطبيقات البرمجية، ولحدِّ الآن لا تزال تترى الأفكار وتزدهر وتتنافس، وتشهد الغلبة اللُّغوية في هذا المجال للُّغة الإنكليزيَّة. ولا نخفي ذلك النقص الذي تُعانيه العربية في اللسانيات الحاسوبية، عدا بعض الأعمال للباحث (نبيل علي) وكان له السَّبق بكتابه (اللُّغة العربية والحاسوب) عام 1988م، ويعدُّ أوَّل كتابٍ عربيٍّ يتحدَّث عن الهندسة اللسانية؛ وهو يقول "إنَّ ميكنة العمليَّات الصَّرفيَّة بالنسبة للُّغة العربيَّة تُعدُّ مدخلاً أساسياً وقاسماً مُشتركاً لمُعظم نُظُمها الآليَّة... تُعدُّ مُعالجة الصَّرف العربيِّ آلياً مُطلَباً أساسياً لميكنة عمليَّات تحليل النُّصوص المكتوبة والمنطوقة وفهمها، وتوليدها ذاتياً؛ علاوة على كونه أساساً لا غنى عنه لميكنة المعاجم، واسترجاع المعلومات، وتحليل مضمون النُّصوص...". وهناك هاجس

للحاق الذي تأخر، ولكن يبقى أنه الخطوة الأولى للبحث في نظم العربية في مسيرة الدرس اللساني الحاسوبي. كما أن الباحث (نبيل علي) لا ينكر أفضال سابقة تعود لشركة (صخر) التي عاجلت بعض القضايا الأولى ببساطة؛ ولكنها بعلمية، بالاستناد إلى إجراء عمليات إحصائية في صناعة المعاجم وتعليم العربية، وبعض قضايا البلاغة. وما أحوجنا -من خلال هذه الملتقيات- إلى توحيد الجهود في الانتقال من الوصف إلى التوصيف ووضع نظرية لسانية عربية يفهمها الذكاء الاصطناعي؛ وفق خصوصيات العربية؛ من حيث فقها النحوي وبعض الخصوصيات في العرف اللغوي العربي، وكيف تُعالج الآلة النصوص العربية على الحاسوب، واصطناع الكلام المنطوق. وهنا استدعي منّا البحث في منهج اللسانيات الحاسوبية لاستدراك الحاق.

ومن هنا نقول تكمن أهمية التّماهي في اللسانيات الحاسوبية في اللغات الأجنبية، وهي حتمية وضرورية ولكن ليس لدرجة الانهيار بها وذلك ما يعطل طاقتنا الإبداعية على أنه تحقق كل شيء ولا مزيد لمُستزِد كما لا يعني انهيارنا بالغرب بصورة عمياء، وذلك ما يجعلنا نصاب بالجمود، ولو انهر (ابن المقفّع) بالأدب الفارسي لما أبدع (كليلة ودمنة) كما أن (الجاحظ) أبدع في (البيان والتبيين) رغم اطلاعه على الأدب الإغريقي العالي المستوى آنذاك. ومن هنا نعمل على الإبداع بالعربية وفي العربية بالاستناد إلى لغات لها السبق، ونتمهي معها لمواكبة العصر، وهذا من مُتطلبات الحداثة؛ بوضع برمجيات خاصة باللغة العربية، وكذلك الاستفادة منها في الجمع الشامل؛ بإحصاء محوسب وتصنيف دقيق؛ يشمل ديوان العرب: شعره ونثره وعلومه ومعاجمه واصطلاحاته ومشاريعه، دون الحديث عن تلك الفائدة التي تعمل على انتشار العربية لدى غير الفطريين... ولهذا فإنّ معالجة اللغة العربية حاسوبياً ضرورة لا ترف، لأنها تعمل بالتوازي مع التحليل والتوليد والتركيب في نظم: التعريب + الإحصاء اللغوي + المحلل النحوي + المدقق اللغوي + المحلل والمدقق الصرفي + المشكل الآلي + المحلل الإملائي + الترجمة الآلية + صناعة المعاجم الإلكترونية + النطق الآلي وصناعة الكلام + النمذجة العالمية للعربية + توفير قاعدة بيانات عالية تستجيب لمختلف العموميات والخصوصيات + بناء نظرية لسانية عربية.

4- ضرورة تمثّل منهج اللسانيات الحاسوبية باللغة العربية: هو من صلاحية المنظرين لقضايا تطوير اللغة العربية من اعتماد منهج نُدخل فيه اللسانيات الحاسوبية والتّوجهات العلمية؛ بين هندسة يطغى عليها التّوجه الآلي التقني، وبين معرفة يشيع فيها إنشاء النماذج الحاسوبية، سواء في جانبها النظري أو من خلال تطبيقاتها المتعددة، والتي هي مجموعة من القواعد ترتّب بشكل مُعَيّن لتعطي نتائج مُماثلة للنتائج التي نجدها لدى الإنسان "وبالتالي فإنّ اللسانيات الحاسوبية ليست علماً جديداً مُستقلاً عن اللسانيات النظرية بقدر ما هي تخصص فيها يتبنّى منهجاً خاصاً في دراسة الوقائع اللغوية يتمثّل في دراسة النواحي الحاسوبية لدى إنتاج اللغة وتحليلها، وذلك من أجل إنشاء البرامج الحاسوبية غالباً". ولا أريد الاستفاضة في مُكوناتها النظرية أو التطبيقية؛ باعتبار النظري يختص بمعرفة كيفية عمل الدماغ الإلكتروني، والتطبيقي يختص بحلّ القضايا والمشكلات اللغوية، وهذا يوحى لنا بضرورة عقد لقاءات تشاركية بين اللغويين والحاسوبيين، والتعاون فيما بينهم، للخروج بنتائج تُسهم في تذليل

العقبات، وحلّ المشكلات التي تواجه التحليل الحاسوبي للغة الطبيعية. وهذا من مُتطلّبات البحث في علوم اللغة العربية من خلال المخابر الجامعية التي نعدّد اختصاصاتها، وتلتقي كلّ الأطراف لعلاج مُضايقات العربية من وجهات أفكار أعضاء وَحَدَات البحوث المُختلفة. ولهذا؛ فإنّ فائدة العربية في تمثّل مناهج اللسانيات الحاسوبية لتعرف العربية التخطيط والتنظيم والبرجعة، وهذا كلّ من أجل صياغة نماذج صورية مُحاكّة لما هو موجود في الذهن البشريّ، مُستفيدة من التطوّر لتكنولوجيا المعلومات المُتقدّمة في جميع المجالات وبخاصّة الصناعة اللغوية العالمية، والتصنيف اللغويّ القائم على نحو علميّ وسريع يتمشّي والتطوّرات الحديثة، بالإضافة إلى رُقنة المعلومات التي تنشدها لغتنا العربية، وهو الرّهان الذي يُمكّنها مواكبة العولمة، وضمان بقائها بين اللغات الأُمّية السّت.

5- تحدّي الرُقنة ورفع المُضايقات: لا نعدم تلك الجهود الجبّارة التي قدّمها البَحْثَة، ورجال المعلومات وبعض الشّركات، والجمعيات الحاسوبية، والمعاهد العليا، والمُلتقيات والأيام الدّراسية لصالح ميكنة اللغة العربية، وما أنجز في مجال اللسانيات العربية المُعاصرة تنظيراً وتطبيقاً. ولا بدّ من التنويه الكبير بأهمّ إنجازات الشّركة العالمية للبرامج (صخر) وشركة IBM والجريسي للتقنية، من تطوير الحواسيب الشخصية PC ووضع مُعالج النّصوص (عربستار) بالعربية، وما قامَت به الألكسو/ALECSO ومعهد الكويت للأبحاث، والمركز العلميّ والتّقنيّ لتطوير اللغة العربية في الجزائر، وجهود المهندسين التقنيين والمُصطلحيين في عمليات أنظمة التعريب... هي جهود مُعتبرة، ولكننا في هذا اللقاء العلميّ نريد البحث في تلك التّحديات التي ترفع المُضايقات عن اللغة العربية، ونزوم تكثيف جهود الباحثين في تقديم أفكار في علاج التّحديات التي تجعل للعربية موقعاً بين اللغات، ويمكن أن نعتبر ذلك من مُشكلات تحتاج إلى تقديم حلول بمعالجة جهود الأفراد/المُؤسّسات. وإذا جاز لي اقتراح أفكار في جملة التّحديات إليكموها في هذه النّقاط:

- 1/5- تحدّي تحقيق مصطلح اللسانيات العربية، أو عوربة الحاسوب.
- 2/5- النّظر العلميّ الدقيق والمُغربل في كلّ ما قدّم من مُنجز حضاريّ في مجال اللسانيات بالعربية والعمل على تحيين ما يحتاج إلى تطوير، والاستغناء عمّا يدخل في القول المُكرور/التّخمة المُضرة.
- 3/5- السّعي الحثيث للإسهام في إنتاج الحواسيب؛ بما تحمله من أنظمة أرومة اللغات الطّبيعية وبخاصّة شجرة أرومة الحامية السّامية.

- 4/5- النّظر من قبل المُختصّين في كيفة الاستفادة من تقنيات الحاسوب المُنتج في اللغات الأوروبية وكيفة الاستفادة منها في تطوير العربية.

إذاً، هناك جملة من مُضايقات، نزوم من الباحثين أن يضعوها ضمن مشاريعهم التي تُطرح على الجهات المعنية، أو على الأقلّ أن تُقدّم فيها مشاريع على الآماد الثلاث، ولا شكّ أنّ البحوث تصنع فيها بعض الحلول الجزئية التي تأتي بالحلّ النهائي في آخر الأمر، ولا تهمّ نسبة المُنجز الدقيق أوّل مرّة إذا كانت ضعيفة، والمُهم الإصرار والمتابعة؛ وهو ما يأتي بالنتيجة لا شكّ. وإليكم ما بصُرت به من مُضايقات:

- الكتابة العربية؛ وهي تواجه مُضايقات في التحليل الحاسوبي من حيث تعدد الأشكال البصرية للحرف الواحد، واتجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار، والحروف المتصلة، وخاصة عدم وقوع الصّات على الصّامت؛
- فقر العربية من حيث مُنجزات بحوث جادة في اللّسانيات الحاسوبية؛
- غياب الإبداع التقني الحاسوبي، والالتجاء إلى الإتباع والنسخ، ومن ثمّ اللّصق من اللّغات الأجنبية وهذا يأتي بسطحية الأفكار، وغياب النتائج المأمولة؛
- قلة التشجيع المعنوي والمادي للعاملين في ميدان البحوث العلمية المتطورة، ويُستقربون من الغرب بمُغريات عالية؛

- شخّ اقتراح مشاريع كبرى في خدمة اللغة العربية، وما صاحب ذلك من مشاريع مُعلقة، وطالَ عليها الزّمن، وتُشرف عليها مجامع لغوية ومُؤسّسات عاجزة عن مُسيرة تكنولوجيا العصر.

6- خدمة العربية بتحدّي التّماهي في الذّكاء الاصطناعي/AI: هناك تحديات عالمية في قضايا اللّسانيات الحاسوبية، ونعيش طفرات ChatGPT والابتكار يزداد يومياً، وعلينا أن نبتكر وإلاّ نندثر ومكانة العربية في هذا الوضع التقني هشّة، ونعتبر منجزات الآلة ترفاً، وأنّ العربية تخدمها هذه الأجهزة دون تدخلنا المباشر وأنّ الذّكاء الاصطناعي نستفيد منه حتماً... وما أحوجنّا إلى وعي لغويّ نكون على دراية أنّ مُتغيّرات قادمة قد لا تكون في صالحنا، وأنّ عدم فقهنا لأنظمة الذّكاء الاصطناعي يوقعنا في مزيد من التّأخير، ونحن نعيش التّخلف، وأنّ الذّكاء الآلي يزحف ويكون بديلاً للمُعَلّم الذي لا يبتكر ولمدارس محاضن تجمع التّلاميذ وتحرّسهم لساعات ثمّ تُعيدهم لأسرهم دون جديد، وأنّ البرامج المدرسية واحدة مُوحدة لكلّ الحضور، دون مُراعاة الخصوصيات، وهكذا دواليك. ولجامعات لا تختلف عن الكُتاب إلاّ في الجلوس على الطّاولات بدل الحصر وتشهد غياب براءات اختراع؛ حيث الأستاذ الجامعي يأخذ الكتاب ويشرحه، والكتاب موجود، فلماذا نُضَيّع جهد الطّالب وهو يستمع لشيء سابق، أين الابتكار المطلوب في مخبرنا؟ أين مُخرجات المبادرات الدّاعمة لنشاط الطّلاب؟ وكما نشتكى من الفجوة الرّقميّة، والآن سنشتكي من فجوة الذّكاء الاصطناعي الذي كان يجب أن تقوده الجامعات، ولكنها في عطلة تدوم لأشهر، وأنّ المخترع لا يرى فيه إلاّ (دع ما لقيصر لقيصر) وهو من اختصاص مدارس عليا ويجهل بأنّ الذّكاء الاصطناعي ليس تخصّصاً؛ لأنّه يمسّ كلّ الأفراد، فنّ لا يتماهى فيه نقيم له حفل وداع لمُغادرة جامعتة التي تحتاج إلى مُعلّمي وصفات تخرّج المُخترعين، وإنتاج الجديد، ومُلاحقة المُستجدّ، ولا لترقيع التّخلف، فقد شعبنا خطباً و (يجب الذي يجب) كما أُنتمنا بتسويق المسائل التي تأمل ولا تعمل. إنّ الذّكاء الاصطناعي الذي يُخرّج لغتنا العربية من لغات الهامش، ويرقي بها إلى لغات القمة، وعهدنا بماضي سلفنا أيام مجدنا وإسهامنا في الحضارة العربية الإسلامية. وعهدي أن نعود إلى الواجهة العالمية إذا ربّحنا معركة تحكّمنا في اللّسانيات الحاسوبية مع الذّكاء الاصطناعي.

7- خدمة العربية في عصرنا: أن نشدّد وأنّشدهُ العربية بخدمتها علمياً في التّقانات، وهو الميدان الذي تعيش فقراً بل المطلب الملح، وأولوية الأولويات، مع ما يصحبها من ترجمة الأعمال اللّسانية إلى العربية، وكذلك العمل

على صناعة مُعجم مُوحّد لمُصطلحات اللّسانيات الحاسوبية. إنّ العربية تُنادينا لفتح مشاريع امتلاك معارف جديدة؛ وبخاصّة في علم اللّسانيات الحاسوبية الذي يُعد الآن من أبرز العلوم اللّغوية، التي ظهرت في العصر الحديث؛ وهو العلم الذي يدرس اللّغات الطّبيعية الإنسانيّة في ذاتها ولذاتها، سواء أكانت مكتوبة منطوقة/أم منطوقة فقط؛ وهو الضّابط اللّغويّ في وصف أبنية اللّغات وتفسيرها، واستخراج القواعد العامّة المشتركة بينها والقواعد الخاصّة التي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلفة لكلّ لغة على حدة، مع تلك البرامج الحاسوبية بما تُخزّنه من إمكانيات رياضية خارقة، وسعة تخزينية هائلة، في خدمة اللّغة.

إنّ العربية تُنادينا؛ فنعال نخدمها بصناعة طريق مُجتمع المعرفة بها وفي ذاتها، ونعيش الرفاهية اللّغوية بها إذا وقع الاستثمار في قدراتها، وعدم بخس متوجها، وتشبيك مُعطياتها ضمن مُتطلبات الحاسوب وعصر السرعة. وإنّه نُحتم علينا الخدمة العالية أن نُشبع مخزونها المدرسيّ برصيد وظيفيّ في لغة التّليد، ولدى هذا الشّباب العربيّ الذي يُشكّل كتلة بشريّة تنيف عن 70% من السّاكنة في كلّ البلاد العربيّة. ولهذا كان علينا أن نسدّ كلّ الفقر الذي تفتقده العربيّة في هذه الفئات بمشاريع المكنز والأرصدة والمعاجم والقواميس والأدلة وعلم الإحصائيات ومنتوج دوائر المعارف والموسوعات من اللّغويات الحاسوبية العربيّة. وهذا لا يُمكن تحقيقه بالتّاريخ له وما يعرف من تطوّرات إلّا بتقنية الآلة Datacenter الجبّار الذي يُخزّن ملايين من المعلومات التي تُستعاد بالسرعة الفائقة حسب الطلب. وعليه، فإنّ حضور المجلس الأعلى للغة العربيّة في هذا الملتقى الدّوليّ يُجلب بعض الأمور ذات العلاقة بتقنيات خدمة العربيّة في ميدان التّعليميات، وما له علاقة بالشّبكة المعلوماتيّة، تمّشياً مع التطّور التّكنولوجيّ عبر المجلس في ضوء "رؤية مؤسسة عصريّة مُتطورة وفق أحدث المعايير الموضوعة عالمياً وتقنياً ولسانياً وثقافياً، سواء في أساليب التّقديم، أو بناء المحتوى الرّقميّ...". ومن هنا فإنّ المجلس بمعية الشّركاء يسعى لتحقيق أهدافه في "العمل على ازدهار اللّغة العربيّة، والعمل على تعميم استعمالها في العلوم وفي التّكنولوجيّة، والترجمة لهذه الغاية" ويفتح مشاريع في تطوير العربيّة بقوة مع الجامعات ومخابر اللّغات في تجسيد شراكة مُجتمع المعرفة بمُستلزمات التقنية المعلوماتيّة. وهذا ما ينصّ عليه مشروع (جامعة الدّول العربيّة) المُنعقد في الجزائر 2022م، الموسم (آفاق البحث العلميّ 2002-2030م) الذي ينشد بناء مُجتمع المعرفة من زاوية علاقته بالتّقنية الرّقمية، وبتدفّق المعلومات والمعارف ومُعالجتها بسرعة فائقة. وكذلك ما دعت إليه (الألكسو) في ضرورة "تبني التقنية في المجال التّعليميّ من أجل النهوض باللّغة العربيّة، وجعلها لغةً مُسيرةً للتّطوّرات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والتّوجّه نحو مُجتمع المعرفة؛ حيث أصدرت سنة (2010) وثيقة تبلّور فيها مشروع النهوض باللّغة العربيّة تحت عنوان: تعليم العلوم والتّكنولوجيا باللّغة العربيّة وأثره في التّميّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وفي التّوجّه نحو الاقتصاد القائم على المعرفة".

وإنّها لمهام جسيمة يحملها المجلس، وينقلها لكم بغية الإسهام في فتح مشاريع من هذا النوع تكون في خدمة جلاله ملكة اللّغات (العربيّة المُشتركة) باعتماد تطوير آليات خدمتها آلياً، وهو حتمٌ علينا، ووسيلة حضارية مُعاصرة تُستدعي منّا جميعاً الدّراية بمُختلف التّحوّلات السّريعة في مجال التقنية إلى ظهور أنماط جديدة لخدمة

العربية، وتحبيبها والعمل على تيسير نحوها وفق القواعد العالمية للغات؛ لأنَّ الضرورة الحضارية تتطلب التواصل الثقافي والحضاري والعلمي في سياق تبادل المعرفة والخبرات؛ لبناء ثقافة عربية على أسس علمية تواكب المستجدات. ولهذا، فإنَّ الوضع اللغوي الراهن للعربية، ووهن اللغات الهشة، وهي منها، وضعفها وفقرها العلمي لا يمكن أن يُرفع إلا بتسطير برامج إلكترونية في مُركّزات اللسانيات الحاسوبية، بما لها من احترام للمعايير اللسانية والديداكتيكية، والعُهدَة على أصحابها وجامعاتها وباحثيها وكلّ يتحمّل طرفاً من المسؤولية، ولكن الجامعيين هم نخبة الوطن، وكان عليهم أخذ مبادرات اقترح مشاريع، بمنهجية العمل الجماعي، وبالقوة الناعمة التي تقود النخبة إلى تصدر الأمة، ولكل أمة علمائها ومُخلصيها وهم الحاضر والمستقبل، وأنتم أيها الطلبة من المعنيين. والعربية تُنادينا وتقول لنا: اخدموني بتطوير دواخلي الثرية، وانشروني وعزّزوا مكاني فأنا لغة كونية وستضعون بإصبعي، ولم يثبت أن أمة تقدّمت باللغة الأجنبية، فلمّ التعطيل في خدمتي؟ اخدموني على مستوى المدرسة أكفّكم ما يعلّق عليّ من نقائص، وهي عدم ثقّكم في. اخدموني عبر الجامعات باعتماد التقنية وتكنولوجيا المعرفة؛ فسوف أكون نداً للغات العلم، وأملك العلم، فهل تبحثون؟ نعم، أملك هندسة لغوية في اشتقائي وترادفي ومُشترك لفظي ومُروني وقابليتي للتطبيق، بالإضافة إلى تميّزي عن باقي اللغات، ولم ينقطع في تواصل الحاضر بالماضي، وهنا الخصوصية والتفرد والشمولية في ذات الوقت. أطلقوا حرية البحث، ومكّنوني في كينونتي، وتروّن سبيلَ خيارِي لغة القرآن، وسوف تروّن مهاراتي في الاستماع ومُتعة القراءة والكلام والكتابة وجمال الخطّ، وكلّها تمهيدٌ في خصوصياتي إرسالاً واستقبالاً.

- المقترحات: هي أفكار نراها بسيطة، ويمكن تحقيقها خطوة خطوة إذا تضافرت جهودنا في عمل جماعي في برمجيات اللغة العربية، والهدف هو توطين اللسانيات الحاسوبية ضمن دراساتنا الجامعية وندفع بالبحث العلمي لصالح العربية نحو علميتها وبرمجياتها في الأنظمة اللغوية وتحليلها ومُعالجتها آلياً. وأقترح الآتي:

- 1- القبول المبدئي للغزو النبيل للغات المتقدمة للإفادة منها في تطوير العربية، وإلا سنعيش السبللة والتبعية اللغوية، ولا يكون لها ضوء في العولمة التي تأكل اللغات التي لا تنتج التقانة الحديثة.
- 2- التّماهي مع الأتمّة ومُتطلبات التّطور التّكنولوجي المتسارع الذي توسّم به اللسانيات الحاسوبية في الاستجابة الحضارية لمُستجدات تطوير العربية، وتوظيفها في خدمة العربية وأهلها وعلومها.
- 3- التخطيط والتنسيق والتعاون بين الفئات المعنية باللسانيات الحاسوبية، وبخاصّة مخبر اللغات مع المؤسسات ذات العلاقة، والعمل على التقاء علماء اللغة وعلماء الهندسة والحاسوب في مشاريع تخصّ اللغة العربية والبرمجيات.

- 4- معالجة قضايا ذات أولوية من مثل: إنجاز معجم مُوحّد لمُصطلحات اللسانيات الحاسوبية، بالعربية مع أندادها من اللغات الأهميّة. بأمثلة ونماذج أنماط، تكون العربية لغة الهدف، بمُحاكاة الصّناعة اللغوية العالمية.
- 5- العمل على تركيم معرفي من البحوث الكبرى والجادة في المحتوى الرقّي، بإنجاز مواد علمية باللغة العربية في اللسانيات الحاسوبية، وإنشاء تطبيقات حاسوبية لمُعالجة اللغة العربية على عديد الاختصاصات.

المُعْجَمِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ، وَمَشْرُوعُ النُّهْضِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ^١

- مُلَخَّصُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: إِنَّ الْمَعَاجِمَ مَتْنٌ لُغَوِيٌّ أَسَاسٌ لِكُلِّ اللِّغَاتِ، وَهِيَ تَرَاثُهَا وَمَكْنَزُهَا وَقَاعِدَةُ نَحْوِهَا وَصَرَفُهَا وَدَلَالَةُ مُفْرَدَاتِهَا. وَإِذَا كَانَ الْعَرَبُ قَالُوا قَدِيمًا "الشَّعْرُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ" فَإِنَّ الْمُعْجَمَ كَنْزُ اللُّغَةِ الَّذِي تَسْتَمِدُّ مِنْهُ أَلْفَاظُهَا وَحَرَكَاتُ أَفْعَالِهَا وَضَمَائِمُهَا، وَكُلُّ مَا يَخْدُمُ تَنَاسُقَ الْكَلِمَاتِ مَعَ بَعْضِهَا فِي إِطَارِ أَلْفَاظِهَا مِنْ حَيْثُ: اشْتِقَاقُهَا وَمَبْنَاهَا وَمَعْنَاهَا وَعِلَاقَةُ كُلِّ لَفْظَةٍ بِمَا يَجَاوِرُهَا، وَمَا يُفَسِّرُهَا بِالتَّضَادِّ أَوِ الْمَشْتَرَكِ، وَمَا يَرْتَبِطُ بِاللَّفْظَةِ مِنْ حَيْثُ مَقَامُهَا وَسِيَاقَاتُهَا الْمُخْتَلِفَةُ، وَمَا عَرَفَتْهُ مِنْ تَطَوُّرٍ وَكُمُونٍ وَتَكَوُّرٍ وَتَغْيِيرٍ وَتَرْكِيبٍ عِبْرَ الضَّمَامِ وَالْمُلْحَقَاتِ الْمَقْبُولَةِ، وَمَا تَرْفُضُهُ الْكَلِمَةُ وَمَا تَقْبَلُهُ.

إِنَّ الْمُعْجَمَ فَنٌّ وَصَنَاعَةٌ وَتَقُومُ اللُّغَةُ عَلَى تِلْكَ الْأَلْفَاظِ/الْأَبْوَابِ/الْمَدَاحِلِ فِي مُخْتَلَفِ تَقْلِيْبَاتِهَا الْمُسْتَعْمَلَةِ وَالْمُهْمَلَةِ، وَمَا يَلْحَقُهَا مِنَ الْحَسَنِ/الْمَقْبُولِ/الْجَوَازِ/الْمَحْظُورِ/مَا لَيْسَ مِنْ لُغَتِنَا... ضَمْنُ فِيلُولُوجِيَّةِ اللُّغَةِ الَّتِي لَهَا قَوَاعِدُهَا مِنْ أَرْوَمَتِهَا اللَّغَوِيَّةِ، وَتَسْتَمِدُّهَا مِنَ الِاسْتِعْمَالِ الْعَفْوِيِّ مِنْ نَاطِقٍ مِثَالِي عِبْرَ الِاسْتِعْمَالِ الطَّبِيعِيِّ؛ فَاللُّغَةُ وَضَعٌ وَاسْتِعْمَالٌ. وَلَقَدْ كَانَ لِلْعَرَبِ السَّبْقُ فِي مَجَالِ حِرْفَةِ الْقَوَامِيْسِ/الْمَعَاجِمِ/الْكِتَابِ؛ فَأَنْجَزُوا مَدُونَاتِ مَعَاجِمِيَّةٍ حَفِظَتْ الْعَرَبِيَّةَ مِنَ الضِّيَاعِ وَتَبَلُّبِ اللِّسَانِ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ مِنَ الصَّنَاعَةِ الَّتِي عَرَفَتْ تَطَوُّرَاتٍ جَعَلَتْ الْعَرَبِيَّةَ تَعْرِفُ التَّطَوُّرَ وَالْإِزْدِهَارَ وَتُبَادُلَ الْمَنَافِعِ اللَّغَوِيَّةِ مِنْ خِلَالِ ثِقَافَةِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي كَانَتْ قَاعِدَةَ التَّقْوِيدِ اللَّغَوِيِّ فِي مَرَاكِلِ التَّعْلِيمِ الْقَاعَدِيِّ، وَانْعَكَسَ ذَلِكَ عَلَى مُنْجَزَاتٍ كَبِيرَةٍ فِي هَذَا الْمَجَالِ الَّذِي أَبْدَعَ فِيهِ الْعَرَبُ وَأَحَقُّ أَنْ يَفْتَخِرُوا بِتِلْكَ الصَّنَاعَةِ الَّتِي تَرَى الْآنَ فِي مُنْجَزَاتٍ تَعَدُّ مُجَلَّدَاتٍ نَقَلَتْ الْعَرَبِيَّةَ تَارِيخِيًّا وَلُغَوِيًّا وَأَدَبِيًّا وَمَا لَتِلْكَ الْأَلْفَاظِ مِنْ سِيَاقَاتٍ وَشَوَاهِدٍ وَاسْتِعْمَالٍ فِي مُخْتَلَفِ الْمَقَامَاتِ وَالْأَحْوَالِ السِّيَاقِيَّةِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِكُلِّ لَفْظَةٍ عَرَبِيَّةٍ مِنْ أَصُولِ الْكَلِمَةِ/فُرُوعِهَا، وَارْتَبِطَ كُلُّ ذَلِكَ بِصَنَاعَةِ حَدِيثَةٍ فِي مَجَالِ الْمُعْجَمِيَّةِ/الْقَامُوسِيَّةِ، وَمَا نَتَجَ مِنْ تَطَوُّرٍ فِي مُلْحَقَاتِ: الْكَلِمَةِ+النَّطْقِ+الشَّاهِدِ+الْمَكَانِ+الزَّمَانِ+الدَّلَالَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ/الْحَسِيَّةُ+مُخْتَلَفِ التَّغْيِيرَاتِ+الْحَقْلُ الدَّلَالِي...

- الْكَلِمَاتُ الْمِفَاتِيحُ: صَنَاعَةُ الْمَعَاجِمِ - مَشْرُوعُ النُّهْضِ - السِّيَاسَةُ اللَّغَوِيَّةُ - السِّيَاسَةُ التَّرْبُويَّةُ - التَّخْطِيطُ اللَّغَوِي - النُّهْضُ اللَّغَوِيُّ الثَّانِي - الْهَبَّةُ الْعَرَبِيَّةُ - اتِّخَاذُ الْقَرَارِ السِّيَاسِيِّ.

Abstract: The Arabic Lexicon and the Arabic Language advancement Project Lexicons are the basic linguistic corpus of all languages; they are their heritage thesaurus, grammar, morphology and vocabulary. If the Arabs once said, "Poetry is the Diwan of the Arabs," then lexicon is the treasure of the language from which it derives its terms, verb conjugations, syntactical structures, and all that harmonizes

١- الْكَلِمَةُ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْمُؤْتَمَرِ الدَّوْلِيِّ الثَّالِثِ لِلُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بِجَامِعَةِ الْوَصْلِ بِدُبَي، الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ، كَلِيَّةِ الْآدَابِ بَتَارِيخٍ 20 - 21 نَوْفَرٍ 2024م، عِبْرَ التَّحَاضُّرِ الْمُهَيَّجِنِ.

words within the framework of its words in terms of: derivation, structure, meaning and the relation of each word with what is next to it , whether through contrast or commonality. In addition to what is related to the word in terms of place and different contexts, and the evolution, latency, formation, change and synthesis through acceptable auxiliaries and conjunctions, as well as what the word rejects and what it accepts.

The lexicon is an art and an industry, and language is based on those words/chapters/and entries in their various used and neglected forms, and all that follows them , from the well/the acceptable/the permissible/the forbidden/that is not a part of our language... within the philology of the language that has its rules from its linguistic origin, and draws it from the spontaneous use of a perfect speaker through the natural use, as language is a positioning and a use.

The Arabs were the first in the field of crafting dictionaries/lexicons/books, and they achieved lexical corpus that saved Arabic from loss and confusion. It was even an industry that allowed Arabic to develop and prosper, and exchange linguistic benefits through the culture of those words that were the base of linguistic consolidation in the stages of fundamental education, and this was reflected on the great achievements in this field, in which the Arabs innovated and are worthier to feel proud of that industry, which is now accumulating achievements that are considered volumes that have transferred Arabic historically, linguistically and literarily, As they merit to be proud of the contexts, citations and uses of those words in various situations and contextual phrases, that are associated with each Arabic word from the origins of the word/and its branches. Moreover, all that proceeded was associated with a modern industry in the field of lexicography/dictionary, and with the resulting development of auxiliaries in: Writing + pronunciation + citation + place + time + abstract/sensory semantic + various modifications + semantic field...

Keywords: Lexicography. The advancement Project. Language policy. Educational policy. Linguistic planning. Second Linguistic advancement. The Arab uprising. Political Decision Making.

- **الديباجة:** إنه لمن دواعي الاعتزاز والفخر أن أشيد بتلك المجهودات التي تقوم بها جامعة الوصل بالإمارات العربية المتحدة من خلال تلك الفعاليات العلمية التي تقوم بها من أجل خدمة اللغة العربية عبر المنجزات واللقاءات العلمية، وما تستقطبه هذه الجامعة من كفاءات عالمة سامة ذات المستوى العالي، وما تُنجزه في تأطير خريجها بمقاييس عالمية، وأنعم بها من جامعة! وكل الشكر لكلية الآداب في حسن اختيارها لعناوين ملتقياتها السنوية، وهو صيد اللآلئ الوفير الذي نرفع لها القبة الزرقاء على نشاطها، وما تقدمه هذه الكلية من خلال طاقم التدريس الذي يُعالج موضوعات ذات العلاقة بتطوير اللغة العربية. وأنوه بموضوع هذه السنة حول (المُعجمية العربية والدراسات البيئية) وهو موضوع مهم يحتاج إلى إنتاج أفكار تنافسية، وتقديمها لصاحب القرار في السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي والتربوي، وتأسيس مدرسة الجودة من خلال هذا البناء الهرمي في محاور الملتقى التسعة، وهي محاور متعاضدة تخدم بعضها البعض. وكل التحايا للفاعلين في هذه الجامعة؛ وبخاصة لمعالي (جمعة الماجد) رئيس مجلس الأمناء، وللسيد المدير العام للجامعة ومستشاريه، وكل الأساتذة والطالبات والطلبة.

1- موضوع بحثي: لقد اخترتُ الكتابة في المحور الرابع (المُعجمية العربية، ومشروع النهوض باللغة العربية) وبمس هذا المحور بعض المقامات من المحور الثاني الموسوم (المُعجمية العربية بين السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي). وهذا الاختيار نابع من تكويني وأبحاثي وما أنجزته من أعمال وبحوث في السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي والأمن اللغوي، وفي ما سوف أرفع به عن موضوعي المختار بتقديم مقترحات بوصفه ترابعية قابلة للتنفيذ إذا صدقت النيات في الجهة التي تنظر في المشروع الذي أقدمه بمسمى (مشروع النهوض باللغة العربية). وسوف أعالج هذا الموضوع بالمنهج الوصفي التحليلي، وهو أقرب المناهج إلى الموضوع؛ باعتباره يصف ويحلل وينتقد، ومن ثم يأتي بالبدل. إنه موضوع أصيل؛ بما له من أفكار في ضرورة العودة إلى الدراسات البيئية لما لها من قدرة على فهم مواضيع الدراسات بشكل شمولي، وما توفره الدراسات البيئية من فرص لحوار العلوم، وافتتاح بعضها على بعض، وإزالة الحواجز القائمة بينها، سواء في مجال البحث العلمي أو في ميدان التعليم. وهنا تكمن قوة هذا الموضوع الذي يعمل على تطبيق دقيق لدراسة وحل المشكلات، وفي ذات الوقت يقوم بتفسير الظواهر، والتنبؤ بها، وضبطها، والتحكم فيها "وهو ميدان للدراسة يختبر عمليات التعليم والتعلم والخصائص والتفاعلات الإنسانية، والمنظمات والمؤسسات والمعاهد التي تشكل المخرجات التعليمية". وهنا نتضح أكثر أدبيات هذا الموضوع من رسم السياسة التعليمية، واتخاذ القرارات التربوية، وللوصول إلى الصورة المثلى لتربية الفرد الذي يشكل رأس المال الفكري في مجتمع المعرفة، تحت مسمى الموضوعية والحياد المحض.

2- أهمية الدراسات البيئية: لقد علمنا بما قرأنا بتلك النزعات الانفصالية والوحدة الدراسية في جزئيات الدراسات، وقد قامت أعمال كثيرة جزئية أدت إلى استقلال كل تخصص بذاته، وعمل ذلك على تشويه إدراك السياق الشمولي للمعرفة، كما نتج من وراء ذلك ضعف القدرة على رؤية الأفكار بعلاقاتها وتداخلاتها وذلك ما جعل أولي الأمر الآن يبحثون في طريقة جديدة تُعيد العلوم إلى تكاملها من خلال الدراسات البيئية

والعلوم العابرة للتخصصات، والدّمج المعرفي. وهنا تكمن أهمية هذا اللقاء العلمي الافتراضي الداعم لتلاقي المعلومات مع التقنيات والأدوات والمفاهيم والنظريات... ويلتقي فيه أكثر من تخصص لحلّ مشكلات لا يمكن حلّها من اختصاص واحد. إذًا، هكذا تكمن أهمية الدراسات البيئية؛ بربط التخصصات ذات الصلة بالأعمال المختلفة والأشخاص والأماكن، وما يُعزّز تبادل الأفكار، وما يعمل على تكامل الرؤى عبر التخصصات المختلفة؛ وكلّ ما يؤدي إلى حلول جديدة قابلة للتطبيق. وإنّ الحاجة اليوم إلى الدراسات البيئية أكثر من ضرورة للتغيير المستجّد، وضرورة التفاعل بين العلوم، وحلّ المشكلات المتزايدة؛ وبخاصّة في العلوم الإنسانية والتي لا يحلّها اختصاص واحد أبدًا. والحاجة قويّة إلى تفعيل التعاون بين التخصصات في مجال البحث العلمي، وهذا ما يُطلب من الجامعات والمراكز البحثية العمل على إنتاج الخريجين بملح (المتعدّد الاختصاصات) والتعامل الجيد مع متغيّرات البيئة المجتمعية والمستقبلية في تكامل العلوم، وهو مطلب حديث يتحسّن عبر تقديم دورات تدريبية في تفعيل الدراسات البيئية ودورها في التنمية المستدامة، وتشجيع الحياة التدريسية على الدراسات البيئية؛ وبخاصّة في التخصصات التربوية، والاهتمام بمبدأ الاقتصاد المعرفي. ولماذا الدراسات البيئية؟ لأنّ الضرورة المعاصرة تستدعي هذا النوع من الدراسات (البين بين) وفقًا لكثافة المعارف + انفتاح الحقول المعرفية على بعضها + التفاعل بين المجالات الأكاديمية العامة للمجتمع + نقل المعرفة من حالتها الأكاديمية إلى الجمهور العام + المعرفة الإنسانية ذات مصادر متعدّدة المجالات والتخصصات + الحاجة إلى منهج متكامل/Approche Intégrée. هي دراسات بيئية أرفع من أجل تشجيعها وتحسين خدماتها وأراها مهمّة لأنها تسعى إلى لملّة المعارف المنشطية بالبحث عن الصّلات التي تصل العلوم ببعضها أو الجُمع بين التيارات الفكرية في وحدة علمية/ثقافية جامعة لدى جميع الفاعلين في الحقل المعرفي الواحد. وما أحوج الأدب أن يلتقي بالعلوم، والرياضيات بعلم الجمال، والطب بالدين، وعلم التّواصل بالتّقانات والحاسوبيات بالقانون، واللغة بعلم الإناسة... تلكم هي الصّورة الجميلة لتداوليّة الخطاب الشّامل في مختلف العلوم، وما له علاقة بالرواية والتّاريخ والخفريات وعلم التّراث، وكلّ ما يؤدي إلى المخاض العام لتلاقي العلوم في ما بينها، والخروج بنتيجة وراء تلك الأفكار التي تصنع الجديد، بدل الوقوف عند اختصاص واحد يقدّم رأياً من وجهة نظر واحدة.

3- العربية التّاريخ والموقع: العربية أمن قومي، والتّاريخ يقول إنّّه لم تحدث نهضة علمية في آية دولة في العالم بغير لغتها الوطنية، وهذا يحتاج إلى تنمية الاعتزاز بلغة الأمة وثوابتها وهويّتها. وفي هذا الظّرف نحتاج إلى النهوض بلغتنا (لننهض بلغتنا) ومؤازرتها، ودعمها بمشاريع كبيرة؛ كي لا نقلق على مصيرها ومصيرنا وحضارتنا وموقعنا. وإنّ العربية تُطوّرها المشاريع والتّحديثات المتواليّة للقواميس والمعاجم. وهي من أولويات النهوض، وعلينا أن ننظر إلى المستقبل، ونملك وصفات النهوض المدعومة بالمنطق والحجج والبراهين، لا المدعومة بالآمال، نعم أن يكون الأمل المقرون بالعمل والذي يستدعي الخطط الواضحة والمتكاملة في سيورة عقدية مُترابطة على نحو معروف من المنطق في أهمّ مقدّمات اللغة، وهي اللغة العربية الفصحى/اللغة الجامعة

والعول على الشباب، ولا نريد لهم أن يعيشوا الاغتراب في لغتهم أو ضعف الانتماء أو الذهاب نحو لغات الانجذاب ونسيان اللغة الأم، وثقافة الهوية والانتماء. وما لا يمكن نكرانه أن شبابنا يعيش المأزق اللغوي تجاه اللغة الأم. ولا بد أن يؤخذ الأمر بجدية تجاه هذه الفئة الغضة وهم في تواصلهم يخازون إلى غير لغتهم، فأين الاعتزاز والاستعمال وحب اللغة المشتركة، وأين ديناميّة العربية كلغة حيّة وهي تغيب في الحواسيب التي يحملونها؟ وأين التداول اليومي؟ هنا ضاعت الخطة اللغوية في قطاعات التّربية والتّكوين المهني والجامعة والثقافة، ولا زالت الرؤية العربية الشمولية غير حاضرة في التعامل مع اللغة العربية، وفي مادة الفكر العربي الرّاهن، وفي المستقبل شبه مفقود بغياب مسارات مستقبل اللغة العربية، ومُفردات المعرفة العربية وفق المنظور الحاليّ والمستقبليّ. ولننّهض بلغتنا في لغة الشباب، وتحبيب العربية الفصحى لهم، وعزلهم عن التلهيج وعن توظيف اللغة البيضاء، وعن سخافات الكلام الخليط في بعض المسلسلات، ولغة الأفلام الساقطة والفيديوهات التي لا تفيد. شباب يعيش غربة في لغته وهو في الجامعة لا يتحاور بها لأنّه فقد الخيط اللغويّ والبوصلة التي تهدي له طريق لغته منذ مرحلة القاعدة بعدم امتلاك مهارات: الاستماع والقراءة والحوار والكتابة. وإنّ الخوف كلّ الخوف من مصير العربية إذا لم تكن في كليات الإعلام، وفي الاقتصاد والآداب والطب، ونحن نعلم بأنّها غائبة بشكل مطلق في العلوم. ومطلوب منّا الاستثمار في المنظومة المعرفية لدى كلّ الفئات، وعند أهل العربية ليكونوا في مستوى الحفاظ على رتبها الخامسة (05) وأن لا نُضيّعها كما ضيّع بعض السلف الأندلس/الفردوس المفقود. إنّ العربية لغة التاريخ والمواقع، وما تعرفه من سيرورة التطور نحو الرقنة، وتحديات الحاضر، ضمن مكتسباتها العربية والعالمية، وهي تحتفي باليوم العالميّ منذ إحدى عشرة سنة وتنتشر بسرعة منذ 2012، وأنّها لحظة فارقة لما لها من أهمية لم يكن لها في سابق من الزّمان، وما تعرفه من تجارب حيوية في الآداب والعلوم الاجتماعية، وبعض الميادين العلمية.

وكان علينا تحريك إعلامنا في حسن الأداء، فهو القوة العالية المؤثرة إذا اتقن فنّه، ولا نريد منه الانحياز للخطاب البسيط الدارج، ويتراجع في المواجهة اللغوية بنظرة متشائمة، وهو ضعيف يحمل العربية بغير تلميح واضح، ويزكي هيمنة اللغة البيضاء في وسائل التواصل الاجتماعيّ، ويغذي تعددية لغوية مخيفة تذهب بأركان فقه اللغة العربية. وكان علينا أن نقول بعض الحقيقة بأنّ اللغة العربية في الإعلام تعيش الغربة عند الصحفيين الذين يعيشون الانهزامية اللغوية تجاه اللغات الأجنبية من خلال ما يرونه من الإهمال في الواقع المعيش، ولا يعملون على الرّفْع من خطابهم بقدر ما ينزلون لها ليفهمهم القارئ أو المشاهد، وتلبس صورة الانهزام، ولا يقدم الإعلام الأصوات المبتكرة التي فرضت نفسها بعربية جيدة على غرار صحافي القنوات الثقافية والخطابات الدينية للقنوات المتخصصة، في الوقت الذي نحتاج إلى إعلام فاعل يصنع مستقبلاً فاعلاً للغة العربية. هو واقع مرير، نضيف له ضعف النّشر الورقيّ الزهيد، والنّشر الإلكترونيّ وغياب النّشر العلميّ والكتاب العلميّ، والمجلة العلمية، وتدنيّ مستوى النّشر وما صاحبه من قرصنة الكتب.

وإنّ العالم العربيّ يسير نحو عالم مجهول في هذا المجال لغياب سياسة النشر الإلكترونيّ التي تعمل على إثراء المحتوى الرقّيّ العربيّ، والمُساعدة في تطوير البحث وسرعة الوصول إلى المعلومة. وهنا نقطة الألم في أنّ النشر الإلكترونيّ يعطي صورة حضور العربيّة بضعف كبير، ويغيب تفعيل دور المؤسّسات ذات العلاقة، وغياب تشجيع تطوير النشر الإلكترونيّ. وصورة أخرى من واقع مرّ وهي ضعف العربيّة في الحوسبة، ويطول الحديث عن واقع العربيّة المجالات التّقنية والذكاء الاصطناعيّ AI الذي لا يزال في مراحله الأولى، ومحركات البحث العربيّة التي لا تعرف الأتمتة السريعة، لأنّ البني التّحتية والهيكلة لفروع التّقنية لا تُواكب سرعة التطوير التّقنيّ العالي، ومعالجة العربيّة آلياً لها مُطابقات من حيث نقص أنظمة التحليل عامّة، أضف إلى ذلك مجال أنظمة التّعرف الضوئيّ على الحروف OCR التي تعيش مُضايقات في التّعرف على الخطّ العربيّ لما له من خصوصيات. ومشغل أخرى شبه باهتة في مجال التّرجمة، وهو سؤال عن الهوية اللّغويّة لما نراه من فوضى الواقع التّرجمي المرتبط بفوضى المصطلح، رغم أنّ العصر يتطلّب نقلة نوعيّة في التّرجمة الآليّة، وهي الحلّ الأقرب للعيش ضمن التّطوّرات المعاصرة.

هو حديث صعب أن نقوله، ولكن لا بدّ من قوله حيث العربيّة غير قويّة في البحث العلميّ وموقعها في الجامعة بعيدة عن الاستعمال، وتدرّس العلوم بها عدم، هو سؤال الدافع، وسؤال الوسيلة التي شكّلت أزمة في مجتمّع المعرفة، وكيف يرتقي المستوى بعملية التّعريب هو رهاب من العربيّة عند بعض أساتذة العلوم ونرى تدنيّ المستوي الجامعيّ، ولم نشهد الانتقال السّلس نحو تعريب التّعاملات اليوميّة والمعاملات التّجاريّة والاقتصاديّة والعلميّة، ولم نر ترسيخ العربيّة في كلّ مجالات الحياة المُختلفة. ولكن علينا أن نعلم بأنّ المستقبل الافتراضيّ البشريّ سيكون عصر تواصل الجمادات/شابكة الأشياء، فأين اللّغة العربيّة من ذلك إن لم تُدعّم مكانها بقاعدة بيانات ضخمة معدّة للنّحوض في غمار العصر الجديد المُرتقب؟! وإذ أقدم هذه الصّورة السّوداء لكن تحمل في ذاتها إضاءات استشرافيّة، وتجب عن أسئلة الرّاهن المعرفيّ، وما له علاقة بإمكانية صنع القرار السّياسيّ المبنيّ على الأبحاث الأكاديميّة، وتلك المُقاربات العلميّة البحثيّة التي تستشرف النّهوض من جديد بمشروع الأمة للّغة الأمّة، ولّغة الحضارة الإنسانيّة بمُنطلقاتها الوجدانيّة والتّاريخيّة والدّينيّة، ومع ذلك لا نعدم مجموعة من الإنجازات التي تحقّقت في كثير من الميادين، وهي الخطوة الأولى لما سيأتي في لاحقٍ من الأبحاث.

4- المُعجميّة العربيّة: نعلم بأنّ (المُعجم) أداة من أدوات الثّقافة، وكذلك المرآة التي نرى فيها مُستوى الارتقاء الثّقافيّ في المُجتمّع، والمُعجم العربيّ حامل للرّصيد اللّغويّ والمعرفيّ للعرب، وكما كان الشّعر ديوان العرب فإنّ المُعجم ذخيرة العرب. والمُعجم في ذاته يحمل اللّغة الثّقافة والهويّة والذاكرة والأقوال المأثورة والأهازيج الشعبيّة... وكلّ ما يعمل على شدّ المُستعمل للمُعجم من شخصيّة ووطنية وتوجيه وانتماء. ولا يمكن أن تنتشر العربيّة إلّا بتسكّهم بقاموسهم اللّغوي، وبقوتهم في علومهم وقوّة اقتصادهم، وتكّلمهم في قطب القوّة العربوفونيّة التي هي من صميم حصاد حضارتهم. وإنّ كلّ شعب يسعى للنّهوض لا بدّ من اهتمامه بلغته، وبكلّ

مساراتها وإبداعها وتراثها، والاستثمار فيها ضمن مشاريع النهوض، ومنها (المعاجم) فهي التي تحفظ اللغة والهوية والأدب، وتبعث التجديد، فضلاً أن تكون محوراً كبيراً في الإصلاح التربوي والتجديد الفكري، مع ما يصحبها من حملة القراءة التي تعمل على تحسين لغة المعاجم، ورفع المستويات اللغوية من خلال قراءة القصص، وتذوق اللغة، والبحث في دلالة مفرداتها. وإني مؤمن بأن الاستثمار في التعليم القاعدي يضمن الإجابة اللغوية، ويزيد من المكتسبات والقدرات الذهنية في فكر أولادنا، ويرفع عنهم فواجع ضحالة المستوى. ومن الضروري تشجيع الأطفال على مشاهدة برامج الأطفال الناطقة باللغة العربية الفصحى، وإننا في هذا العصر المعلوماتي نفتقد إلى برامج لغوية هادفة على غرار: المناهل/افتح يا سمسم... واللغة الأم/العربية الفصيحة عنواننا وسبيل تميزنا، وكما قال (ابن تيمية) "اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يميزون"... وقال: "... وأيضاً فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

ومن هنا، فإنه يتوجب علينا تعليم أطفالنا أصول العربية منذ المرحلة الأولى، وأن تلك الألعاب اللغوية وأفلام الكارتون، والميكس من أقوى عوامل إثراء القاموس الذهني واللغوي للطفل إذا تمرس عليها في بداية التعليم؛ حيث فكره غرض وقابل للحفظ والاستيعاب، وله سرعة الربط، وهذا هو دور المدرسة التعليمية والمحوري في استعمال الوسائط الإلكترونية، ومختلف الروافد المكملة لعملية التدريس. ولهذا ندعو إلى نظرة جديدة في إعداد القواميس المدرسية الجديدة، مع الكتب التعليمية المتطابقات العصر؛ باستخدام الآليات الحديثة بكفاءة كوسائل الإعلام وتكنولوجيا المعلومات، والنظرة الجديدة الشجرية المنطقية لتطوير النحو العربي في المبنى وفي المعنى، ووضع سياسات تعليمية تعطي القيمة العليا للغة الأم. وهو الاستثمار الذي يحيا ويدوم، ويحفظ للأمة هويتها بفاعلية متجددة.

وفي كل الإصلاحات التربوية التي ندعو لها يجب إصدار معاجم/قواميس متخصصة ورقية وإلكترونية مقروءة ومسموعة وتوسيع مجال استعمالها. وفي كل هذا لا نعدم ذلك المنتج المعجمي الذي قامت به هذه المؤسسات واستهدفت في ما استهدفت مراحل التعليم العام. وشهدنا صدور معاجم كثيرة جداً، ونذكر منها: المعجم الوسيط+ المعجم الوجيز+ أجزاء المعجم الكبير+ المعجم العربي الأساسي+ معجم اللغة العربية+ المعجم التاريخي للاتحاد الجامع+ أجزاء من المعجم التاريخي للدوحة+ المعجم الحاسوبي التفاعلي للغة العربية+ معجم الرياض للغة العربية+ معاجم وقواميس وظيفية للمجلس الأعلى للغة العربية... معاجم مهمة أحادية اللغة/ثنائية وثلاثية إلى ثمانية اللغات، معاجم في المصطلحات، معاجم تربوية وعلمية ومخصصة في مختلف المجالات... زخم كبير تفتخر به هذه المؤسسات في توسيع دائرة أبحاثها إلى إنجاز دراسات حول المعجمية وتحقيق ملتقيات عالمية في صناعة هذا الاختصاص الذي يستهدف النخبة والعموم، وكل مراحل التعليم. إن هذه المؤسسات العربية اضطلعت بدورها المعجمي والثقافي والعلمي والترجي في وضع المصطلحات والترجمة إلى اللغة الهدف (العربية).

ولا غرابة في هذا أن نشر المعرفة تبدأ من إنجاز معاجم ذات الصلة بتطوير اللغة الأم، وهو "ما يقتضي زيادة العناية بالمعجمية وصناعة المعاجم في الجامعات والمدارس ومختلف المؤسسات العلمية والثقافية وفي مقدمتها دور النشر، كما يقتضي أيضاً مزيد الإقبال على وضع المعاجم الإلكترونية (الحاسوبية) التفاعلية مواكبة للعصر وتيسيراً على المستخدمين". ونرى من خلال المنجز كله يتوجه إلى مشروع النهوض باللغة العربية للوصول لمجتمع المعرفة. ولكي يكون ذلك محققاً تقتضي الحاجة توفير جملة من المنطلقات تتطلبها السياسة اللغوية من تنظيم العلاقة بين اللغة العربية وأهلها، وكذلك العربية ومقامها الديني والحضاري والأمني والمستقبلي، وهو ما يستلزم من سياسة تخطيط لغوي بوصفه يعمل على تدبير تخطيط لغوي يستند على منطلقات ومرجعيات وأهداف وغايات ترتضيها البلاد العربية بما يجمعها في العربية الفصحى كلغة علم وأدب؛ وهي من مقتضيات السياسة اللغوية التي نريد تقديمها عبر (مشروع النهوض باللغة العربية).

5- أهمية الصناعة المعجمية: تكمن أهمية الصناعة المعجمية في الانتقال النوعي للبحوث العربية من ضبط السند والكتابة في الشروح وفي الروايات وفي جداول الكلمات ومداليلها، وأنواع المعاجم، إلى صناعة المعجم اللغوي دراسةً وتأليفاً، والبحث عن مفردات اللغة العربية ومعانيها ودلالاتها في الماضي، والتطورات الناجمة مع مرور التاريخ وصولاً للعصر الحالي، والرؤية الاستشرافية لمستقبل المعاجم من خلال عرض تطور المعاجم ودراستها عبر العصور. والصناعة المعجمية تتجاوز تحقيق مدلول الكلمة إلى سلامة اشتقاقها وصحة ضبطها، وعين مضارعها، ومعاني الكلمات حسب سياقاتها المختلفة وفاءً للجانب اللغوي، ومستلزمات علوم متعددة تشمل مناحي الحياة الدينية الثقافية والاقتصادية والاجتماعية... وباعتبار المعجمية أحد أهم روافد اللسانيات الحديثة، وهي على حداتها كنظرية أو مقارنة "كانت محل اهتمام علماء اللغة في مختلف الحضارات، وكانت الحضارة العربية أكثر هذه الحضارات إسهاماً في الصناعة المعجمية لما أنتجته من معاجم عبر العصور، وكانت المعاجم سنام وثمار الدرس اللغوي العربي؛ لأن المعجم هو نظرية متكاملة فلم ينجز الخليل معجمه إلا بعد أن استكمل جوانب اللغة المختلفة دراسة وتعمقاً، فقد كان الخليل نحويًا وصرفيًا ولغويًا ودلاليًا وعالم أصوات ورياضيات، ثم قدم لنا زبدة وخلاصة علمه في إنتاج معجم عظيم هو معجم العين المشهور، وقد كان نتيجة تأمل وتعمق كبير في المسألة اللغوية. والمعجمية هي الآن في العصر الحديث مشغل جوهري من مشاغل مؤسسات علمية وتربوية رائدة وأساسية وهي محل اهتمام الباحثين، شغلهم الشاغل هو تحقيق نظرية معجمية متكاملة". هو ميدان علم صناعة المعاجم/Lexicography، وتكمن الصناعة في ذلك الجمع بين المكون الصوتي + المكون الصرفي + المكون الدلالي + الانتماء المقولي + العصبية اللغوية + الضبط العلمي + الإزاحة الدلالية + التضاد + الترادف + المشترك اللفظي. وهذه مسائل قديمة وعامة، وأما في الصناعة الحديثة هناك معطى تقنيات الحوسبة كالصوت والعروض الصرفية والنحوية والصور والألوان والتصميم والإخراج ونوع الورق والمختصرات والإشارات المرجعية والبيانات التوضيحية وترتيب المداخل ومشتقاتها ومسكوكاتها، وإتاحتها عبر الشبكة بكل وسائل التوضيح التي أتاحها التقانة في مجال التجديد والتجديد.

والخلاصة: إنّ الصّناعة المعجميّة معيار المداخل والوحدات والمدايل واللّغات ولغة الهدف، وكلّ ما يسعى إلى رؤية تطبيقية شاملة من حيث المادة والمحتوى والمداخل والترتيب والضبط والوظيفة، وكلّ متعلّقات الميادين التربويّة والتّلقينيّة والثّقافيّة والحضاريّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعلميّة، وصناعة الإخراج. ولا يمكن أن نتحدّث عن مشروع النهوض باللّغة العربيّة إذا لم نتقن فنّ الصّناعة المعجميّة؛ بما لها من أدوات وإجراءات تؤدّي إلى علم المعاجم التّطبيقيّ؛ الذي يدرس علم أصول المفردات واشتقاقها، وكيف ظهرت ومتى وفي أيّ عصر، وكيف صيغت، والتّقلّبات التي مرّت بها. إنّ الصّناعة المعجميّة عبارة عن بطاقة تاريخيّة للّفظه تؤرّخ لها عبر الزّمان، وفنّ تطبيق آليات المعاجم اللّغويّة، وتهتمّ بكلّ مناحي اللفظة ضمن مجموع متداولها وتركيبها ووظيفتها. ولذلك يعتبر المعجم الأداة الأساس في التّحكّم اللّغويّ، ويتجاوز حدود اللفظة المفردة إلى واقع تداول مقصديّة الخطاب. ومن هنا نعلم بأنّ المعجم يحمل اللّغة بما لها من ألفاظ ودلالات ونحو وصرف وبلاغة، ولا تخلو مقدّمة المعاجم اللّغويّة من مقدّمة موجزة في النحو.

6- التّخطيط اللّغويّ: إنّ الغرض من هذا الفصل هو تقديم صورة عن غاية التّخطيط اللّغويّ في فاعليّة تطوير اللّغة والتّخطيط لها؛ لتكون أداة فاعلة في تحقيق التّنمية البشريّة، وخلق الانسجام العامّ بين مختلف الفاعلين الذين يتحدّثون بلغات مختلفة/متباينة، وهذا يؤدّي إلى تبليد الأفكار. ومن هنا فنحتاج تخطيطاً لغويّاً يراعي انسجام المجتمع لا انشطاره؛ فوحدة اللّغة من وحدة المجتمع، ومن تماسكه ومواطنته وتشكيل ثقافته. واللّغة الجامعة هي الوعاء الذي "تنصهر فيه الهوية ووحدة الوطن والمواطنة، ففي هذا الوعاء وبه تتحقّق المشاعر ووحدة الوطن ووحدة الذاكرة ووحدة التطلّعات". وإنّ التّخطيط اللّغويّ الرّاسم يضبط السياسة اللّغويّة ويعمل على التّلاحق الفكريّ دون تدميره أو تشتيته. وأما الثّنائيّة اللّغويّة فلم تقدّم نتيجة ما لصالح التّنمية البشريّة/التّنمية المُستديمة، وهي سياسة عرجاء نلّسها في الدّول العربيّة في العلوم الأدبيّة والاجتماعيات بلغة عربيّة، وباقي المصالح الحيويّة بلغة أجنبيّة بعيدة عن الواقع، فضاع الطّالب والمطلوب، وبقينا نزواح مكاننا ونرى اللّغة المشتركة في لغات الهامش، بفضل التّخطيط اللّغويّ الأعرج الذي رجّح اللّغات الأجنبيّة لما لها من وجود في المصالح الماليّة/التّجارة/التّواصل/التّسيير/البحوث العلميّة... وهي المؤسّسات الأكثر مردوديّة مادياً والأعلى مكانة اجتماعيّة. ويعيش المواطن التّشظي والخوف من لغته ويعيبها بالنقص نتيجة هذه السياسة التي تُعلي الأجنبيّات، وتُسفل بالعربيّة والمحليّات، ويظهر في المجتمع التّنخيب على أساس اللّغة، وكلّ ذلك يخلق القلاقل، وينعدم السّلم الأهلي، وتشتعل الاضطرابات الاجتماعيّة. وكلّ ذلك كان لا بدّ أن تؤطّر السياسة التربويّة ضمن مسار التّخطيط اللّغويّ بعناية الدّول بالتّعليم بجودة عالية وبديمقراطيّة التّعليم، وتحقيق رفع الأُميّة بما تعمل عليه الدّولة من مجانيّة التّعليم والتّطبيب على كلّ مستوياته، ومنع الدّروس الخصوصيّة، وتأطير المدارس الخاصّة بقوانين وبرامج الدّولة لكافة أبناء البلاد. وهذا ما نريده أن يكون من خلال (مشروع النهوض باللّغة العربيّة) وتكون وحدة اللّغة هي القاعدة، ويكون الإشباع اللّغويّ في مرحلة القاعدة مع مُستلزمات:

تدريس الرياضيات + المنطق + فلسفة اللغة. وفي المرحلة القاعدية يكون الانفتاح على الإنكليزية، ثم نتلوها بعض اللغات العلمية التي تقتضها المصالح المرسله.

7- تقارير حول (حالة اللغة العربية): لقد استندت في هذه الدراسة إلى التقارير التالية :

- 7/1- التقرير العربي الرابع (04) للتنمية الثقافية 2011، مؤسسة الفكر العربي (لبنان).
- 7/2- لنهض بلغاتنا مشروع لاستشراف مستقبل اللغة العربية 2012، مؤسسة الفكر العربي (لبنان).
- 7/3- تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها 2021، الصادر عن الإمارات العربية (لبنان).
- 7/4- قانون اللغة العربية 2022م، الإصدار الثاني، عن المجلس الدولي للغة العربية.
- 7/5- تقرير حالة العربية من موقع جوجل، بتاريخ 2023م.
- 7/6- تقرير حالة السياسات اللغوية في البلاد العربية (مسودة) 2024، (المملكة العربية السعودية).
- 7/7- السياسة اللغوية، وموقع لغة الأمة 2023، صالح بلعيد (الجزائر).
- 7/8- فقر التعلم (3) أجزاء، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2024.

وقد أبانت كل التقارير أن اللغة هي جوهر الذات، ومن خلالها تظهر حضارة الأمة ومستقبلها، فهي الديوان التاريخي الذي تبنى عليه الأمم سياستها اللغوية بتخطيط لغوي يبنى على معطيات الماضي والحاضر واستشراف الغد، ولهذا من الضروري إيلاء اللغة المشتركة/اللغة الأم أهمية في القرارات السياسية ومختلف القوانين في مختلف الجوانب التنموية؛ باعتبارها تحقق الأمن اللغوي المؤسس للأمن الاجتماعي، والانصهار الجمعي للمجتمع، وماله من انتماء لغوي وحضاري. واللغة عامل أساس في منظومة الاستقرار الذي يبنى بها في المستقبل لتطوير النمو في اتجاهات مختلفة بما تشكل من منظومة التواصل بين الأجيال، والحفاظ على التراث المادي واللامادي، وتطويره لتشكيل الاستقرار، ونشدها التميز ضمن مجتمع المعرفة. وإن التقارير تُعطي للعربية قيمة من حيث خصوصياتها التي لا توجد في أية لغة؛ فهي لغة دينية، وكتبت بها كل الديانات، وتكتب من اليمن لليسار، ولها الأمتداد في الزمان يتجاوز XXI قرناً، وفي المكان تمس كل القارات. لغة الحضارة الإنسانية، بما لها من أدب وبلاغة وعلم واكتشاف وارتباط بالدين الإسلامي... وقد عاشت البيات العميق من القرن XVI الميلادي حتى حركة النهوض المعاصرة التي لها فتوحات في علوم اللسان بما لها من آفاق واستشراف خريطتها اللغوية ضمن لغات الإسپرنتو/Esperanto. لغة لها موقع مع منظومة اللغات العالمية الأخرى كلغة مركزية عليا، مع الإنكليزية والصينية والإسبانية والعبرية والفرنسية والألمانية والروسية والهندية واليابانية والمالايوية والبرتغالية والسواحلية. العربية لغة من بين اللغات العشر (10) المتفق عليها عالمياً بما لها من مكانة كبيرة بين لغات العالم المعاصر.

8- ضرورات النهوض باللغة العربية: من خلال تلك الأفكار والمشاريع البيئية التي أشرفت عليها، ومن دراساتي المتشابهة والكثيرة، رأيت النقص الفادح في تهيئة أسباب النهوض، ولذا أعالج في هذه النقطة ضرورة النهوض باللغة العربية، وهي اللب الذي سيكون توضيح بعض أبعاده في مشروع. ورأيت أهمية

التأكيد على تكامل العلوم، ونحن نتحدث عن النهوض باللغة العربية التي ترفدها مختلف العلوم. ولكي نهض بلغتنا علينا الاعتراف بها وتعميمها وتمكينها وإغماصها في العلوم؛ للوصول بها إلى العيش ضمن متطلبات مجتمع المعرفة/اقتصاد المعرفة كما دعت إليه القمة العربية لجامعة الدول العربية التي انعقدت في دمشق 2008م والحاملة لـ (مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة) وهذا ما رأته الألكسو/.. "Alecso. أن الجهود والاستثمارات الكبيرة التي تضعها الدول العربية للتوجه نحو (مجتمع المعرفة) لن تكون مجدية إذا لم يرافقها وجود المعرفة والمعلومات العلمية والتكنولوجية باللغة العربية لتكون في متناول الفرد العربي. حيث لن يقوم مجتمع المعرفة في الدول العربية دون وجود معرفة باللغة الأم/اللغة العربية، كما أن تعليم العلوم بغير اللغة العربية يقلل من نقل المعرفة للقوى العاملة العريضة، ويحصرها في النخبة فقط. لذلك فقد غدت قضايا تدريس العلوم باللغة العربية، وتسريع وتيرة البحوث في مجال المعالجة الآلية للغة العربية بهدف استعمال القوى العاملة العربية لهذه اللغة أصبحت مسألة جوهرية في تعزيز النمو الحقيقي للاقتصاد العربي، وفي تحوله من اقتصاد ريعي إلى اقتصاد ينمو نمواً مستديماً مع إحراز قيمة مضافة عالية. وفي ظل الاقتصاد القائم على المعرفة ازداد دور اللغة ازدياداً كبيراً باعتبارها وعاء للمعرفة، ومع انتشار استعمال الحاسوب والشبكة (الإنترنت) شهدت الصناعة اللغوية الحديثة تطوراً كبيراً، وأضحى استعمال الحاسوب في تطبيق اللغة العربية ضرورة ملحة" (مؤتمر دمشق، الشبكة، موقع جوجل، بتاريخ 2024/4/22م).

وهناك مشروع ذات الصلة بموافقة قمة الدوحة عام 2009م على (وثيقة مشروع النهضة) التي تعد الركيزة الأساس في عملية الإصلاح اللغوي، بوضع اللغة العربية وطرائق تدريسها، ومعرفة الأسباب التي أدت إلى الضعف العام في واقع استعمالها. وهناك مشاريع كبيرة ومهمة تلاحت من جهات دولية وأهلية ومؤسسات عربية تخص استخدام التقانات وفي النشر الإلكتروني، وفي توحيد المصطلحات، وفي الترجمة، والمعجم التاريخي للغة العربية، والمعجم الكبير، ومشروع الذخيرة اللغوية + مشروع كلمة للترجمة... وإن الحديث كبير في هذا المجال، وقد يطول نظراً للأمانى المعلقة على هذه المشاريع التي نرى ضرورة تحقيقها ببحوث علمية في تطوير محرك بحث عربي مفتوح المصدر يدعم خصائص اللغة العربية، مع ما يرافق ذلك في إنجاز أنظمة المحلل الصرفي + المعاجم التفاعلية + المدقق الإملائي + مكتبات رقمية مفتوحة المصادر + برمجيات للمواد التعليمية + مواصلة سريعة لمنجزات طال عمرها في السبات.

9- مقام العربية في تقارير (حالة اللغة العربية): العربية لغة رسمية أممية بالرتبة الخامسة (05)، ورسمية في اثنين وعشرين (22) دولة تنضوي تحت إمرة جامعة الدول العربية، ورسمية أجنبية أولى/ثانية في (42) دولة أجنبية، ورسمية في الاتحاد الأفريقي إلى جانب الفرنسية والإنكليزية، ورسمية في FiFa، وفي الواحد والعشرين (21) وكالة أممية، وفي منظمة المؤتمر الإسلامي. لغة لها وجودها السياسي والجغرافي بمساحة كبيرة مسّت كل القارات، بما لها من امتداد استعمالي ناطق مثالي بما يصل إلى (600) مليون؛ بمساحة 13.186.216 كلم²، واستعمالها تعبيرى وصل لحدّ بيانات مارس (2023) مليارين وستة ملايين 2.06

مسلم، ولها خريطة ديموغرافية تزداد يومياً بالملثات من النمو البشري، وبعدد المسلمين الذين يتعبدون بها، ولها منافس وتعدّد لغويّ على مستوى جامعة الدول العربيّة بعددها (22) دولة. ينظر الجدول: التعدّدية اللغويّة في دول الجامعة العربيّة وأنواعها:

الدولة	اللغات الرسمية	تعددية أصيلة	تعددية طارئة	تعددية دخيلة
مصر	العربية	العربية، النوبة، أمازيغية		إنكليزية
السعودية	العربية	العربية	البنغالية، الهندية، الأوربية، الفلبينية، التيبالية، الأندونيسية	إنكليزية
العراق	العربية، الكردية	العربية، الكردية، التركمانية، السريانية		إنكليزية
سوريا	العربية	العربية، الكردية، الشركسية، التركمانية، الداغستانية، أرمنية		إنكليزية، الفرنسية
لبنان	العربية	العربية، الأرمنية، الكردية، السريانية		الفرنسية، إنكليزية
الأردن	العربية	العربية، الشركسية، التركمانية، أرمنية، الشيشانية		إنكليزية
اليمن	العربية	العربية، المهرية، السقطرية، الحميرية	الصومالية، الأثيوبية	إنكليزية
ليبيا	العربية	العربية، أمازيغية		إنكليزية
السودان	العربية، إنكليزية	العربية، البجاوية، الفوراوية، الكواليب، النوبة		إنكليزية
المغرب	العربية، أمازيغية	العربية، أمازيغية		إنكليزية
تونس	العربية	العربية، أمازيغية		الفرنسية، إنكليزية
الكويت	العربية	العربية	الهندية، البنغالية، الفلبينية، التيبالية، الأردنية، السهالية	إنكليزية
الجزائر	العربية، أمازيغية			الفرنسية، إنكليزية
البحرين	العربية		الأوردية، الهندية الفارسية	إنكليزية
قطر	العربية		الهندية، البنغالية، الفلبينية، التيبالية، الأردنية، السهالية	إنكليزية
عمان	العربية	العربية، البلوشية، اللواتية، السواحلية، الشحرية، المهرية	الهندية، الأردنية، البنغالية، الفارسية	إنكليزية
الإمارات	العربية		الأوردية، الهندية، البنغالية، الفلبينية، الفارسية، البلوشية	إنكليزية
موريتانيا	العربية	العربية، الولفية، البولارية، السنونكية		الفرنسية
الصومال	الصومالية، العربية	الصومالية، البانتو، العربية		إنكليزية (رسمية في بعض الأقاليم)
فلسطين	العربية	العربية		
جيبوتي	الفرنسية، العربية	الصومالية، العفر		الفرنسية
جزر القمر	الفرنسية، العربية	القمرية		الفرنسية

إنّ العربيّة لغة تعيش في مناطق لها تعدديّة لغويّة متأصلة لوجود مُكوّنات اجتماعيّة من السّكان تتحدث المحليّات، وتعيش مع العربيّة، كما نعيش مع تعدديّة طارئة لتوافد الأيدي العاملة في الدّول العربيّة، وأحيانا تشكّل لها طعنة كبيرة في الهجينة اللّغويّة. ولها تعدديّة لغويّة غير غالبية في بعض الدّول المنضويّة تحت جامعة الدّول العربيّة؛ باعتبارها من لغات الهامش، فحدودها جدّ ضيّقة وهذا ما نراه في: جيبوتي+ الصّومال+ اتّحاد جزر القمر+ التّشاد؛ وهي لغة هامشيّة في دول الغرب تدرس لديها فقط، وليس لها موقع في البحوث الجامعيّة الغربيّة، وليس لها موقع في التّواصل اللّغويّ الثّقافيّ.

الخلاصة: العربيّة من بين لغات الكوكبة اللّغويّة المهيمنة/Dominant language constellation، ولها سيّورة التّواصل مع مجموعة اللّغات المختلفة، وكلّ هذا يحتاج إلى مزيد من الاهتمام والتّوعية بأهميّة السياسات اللّغويّة والشفافيّة في البلاد العربيّة تجاه المنظومة السياسيّة اللّغويّة؛ برسم سياسة لغويّة واضحة بتخطيط أبعادها وآمادها، وبمنظومة قراراتها اللّغويّة لتنال التّطبيق، والكشف عن المضايقات التنافسيّة والتّقنيّة في ضعف استعمالها وقلة الاهتمام بتطويرها، وجعلها لغة الاستعمال العامّ. وإنّ العربيّة العالميّة العالمة تصنّف في قطب الثّاني المقسّم إلى: 1- قطب اللّغات الفائقة، وفيه: الإنكليزيّة+ الرّوسيّة+ الإسبانيّة+ الفرنسيّة+ الألمانيّة. 2- قطب اللّغات اللاحقة، وفيه: اليابانيّة+ العربيّة+ المالويّة. وترتيبها في القطب الثّاني يعبر عن مضايقات علميّة تكمن في: عدم تطبيق القرارات التعريبيّة+ ضعف استعمالها الدّبلوماسيّ والسّياحيّ+ قلة البحوث والنّشر الإلكترونيّ+ ضعفها الإعلاميّ+ عدم تعميمها في العلوم والثّقافة. وتقدّم التقارير مواصفات النّهوض بها في ضرورة اعتماد أنواع التّخطيط اللّغويّ الأربعة (04):

1. تخطيط الوضع اللّغويّ.

2. تخطيط الاكتساب اللّغويّ.

3. تخطيط المتن اللّغويّ.

4. تخطيط المكانة اللّغويّة.

وكلّ هذه التّخطيطات تسندّها مجالات القرارات الصّادرة عن الجامع اللّغويّة، ومصطلحات مكتب تنسيق التعريب، ولوائح القمم العربيّة، ثمّ تنسيق كلّ ذلك في منظومة: استعمال اللّغة بشكل جيّد، مع تحقيق الاتّصال بين اللّغات، ومتعلّقات الإصلاّح اللّغويّ والتّبسيط اللّغويّ والتّبسيط الأسلوبيّ والترجمة إليها ومنها واستكمال عمليّات التعريب والتّقيين اللّغويّ. وفي كلّ هذه المقترحات توصي التقارير بما يلي :

1. عدم توزيع قرارات النّهوض على تعدّد الجهات.

2. ضرورة توكيل مؤسّسات عربيّة حسب النّطاق والجهة، وتحديد مجالات الفتاوى اللّغويّة لجامع ومجالس عربيّة دون غيرها.

3. بداية تطبيق القرارات وبصورة إلزاميّة بلجان متابعة.

4. تحديد آفاق (2030) لنهاية تعميم استعمال العربيّة، والخروج من المسألة اللّغويّة بشكل نهائيّ.

5. اعتماد مجالات ذات الأولوية تراتبياً:

1/5- التعليم العام والمهني والجامعي والديپلوماسي.

2/5- القانون والثقافة والاقتصاد.

3/5- الإدارة والإعلام والعمل.

4/5- الصحة والعمل.

5/5- التقانة.

6/5- البحوث والنشر.

7/5- السياحة والرياضة والشؤون الدينية.

وإن هذه التقارير تدور في النقاط المشتركة، لعامل النهوض بالعربية، بالتركيز على صيانة اللغة العربية بمجموعة من القرارات القابلة للتنفيذ، وتأكيد علويتها الدستورية، وفق تخطيط الوضع اللغوي، إلى جانب تواصلها مع اللغات الأئمية على الخصوص، واللغات الشرقية مهمة جداً، ثم كل اللغات مُراعاة لجانب الدين الذي يستلزم تواصل العربية مع مختلف اللغات والأجناس، إلى جانب تقييسها العلمي (المعيرة) في منظومة الخطاطة مع اللغات التي تدون من اليسار إلى اليمين، وفق المنظومة العالمية، ثم تمكينها المنهجي في مختلف مناحي نشاطها وازدهارها، وكل ذلك يستدعي تحليل ووصف جديد لتقنية لغوية جديدة وفق الاستعمال المعاصر الذي حدث فيه بعض الخروقات بين لغة الكتابة، ولغة المشافهة ولا بد من نشرها في كل المرافق وعبر كل الحوامل التقنية الحديثة، وهذا كله بغية تحقيق تصنيف جديد لمنظومة لغوية، عربية وملتطلبات النوعية الطارئة.

كما تنصّ التقارير على علاج تحديات الحلول النوعية لاستدراك التأخير، وهذا يرتبط بالإغماس في وجوه التعزيز الممكنة وراهن الواقع المعيش والتخطيط السليم في حضور اللغات الأجنبية في البلاد العربية ك لغات يُستفاد منها، لا كلغات هوية ومنافسة. ولهذا من الأهمية الاستثمار في الرصيد الوظيفي المدرسي، وبناء الكتاب العلمي بالعربية ومتعلقات الإدارة والإعلام، وكل ما يعمل على تعزيز مكانة العربية في إلزامية تطبيق القرارات، والخروج من التذبذب في ازدواجية التعليم الجامعي العلمي الخاص باللغات الأجنبية، والأدبي والاجتماعي باللغة الوطنية العربية، وتؤكد كل التقارير أن العربية قد شهدت تراجعاً كبيراً يحتاج إلى منهجية جديدة؛ وبخاصة على مستوى الإعلام، وهنا الخلل الذي يدعونا إلى اقتراح بدائل نوعية في عدم النزوح إلى الهجنة اللغوية التي يعمل الإعلام العربي على نشرها وتوزيعها في الفضائيات، ولهذا علينا الانطلاق من سياسة لغوية شاملة، فاللغة تمس كل الميادين، ولا بد من تجسيد رسمية العربية في كل المرافق ضمناً لتنسيق العام في منظومة القرارات السياسية والتربوية، وتبعات التنفيذ بالتقييم والتقويم. وهنا مسألة ضعف التنسيق بين الدول العربية في مجال السياسات اللغوية، وهي فجوة كبيرة تحتاج إلى تدخل عاجل لأصحاب القرار من جامعة الدول العربية ولا يحصل النجاح إلا بتلك الهبة العربية نحو تعزيز مكانة العربية بالإجماع العربي، مع ما يصاحب ذلك من حماس وخدمة وإيلاء مكانة عليا للغة المشتركة (اللغة الفصيحة).

هذه جملة التّحدّيات التي أجمعت عليها التقارير والدراسات في أهمية تلاقي أوجه القصور والنقص في السياسات اللّغويّة العربيّة؛ لا سيّما وأنّ مشاريع كبيرة تنتظرها باعتبارها لغة الماضي، والحاضر، والمستقبل ولغة العالم، والعلم. إنّهُ من الصّروريّ الحديث عن محتوي تلك التقارير التي حوصلت المضايقات والنتائج وتوصّلت إلى استكناه واقع اللّغة العربيّة في عالمها العربيّ بما قامت به من دراسات واستبانات مسّت العالم العربيّ، وقدّمت ما وصلت إليه من نتائج، وما نصّت عليه من نقائص. ومن خلالها يمكن لي الحديث عن مشروع النهوض باللّغة العربيّة. وهو مشروع الأمل في نظرة جديدة للعربيّة الفصيحة في عصر العولمة والصّراع اللّغويّ، وفي وقت تحتاج العربيّة لمسيرة الوضع الجديد الذي يأتي على دحر اللّغات الهشّة؛ وبخاصّة العربيّة التي التقت عليها النّصال من كثير من الأطراف لما لها من علم وحضارة وقِدَم ولغة مُستقبل، وهي الآن تنال انتشاراً، ولذلك رُفعت ضدها بعضُ الدّراسات النّقديّة؛ وتوصّمتها بما ليس فيها، وتقول بأنّها على مشارف الموت.

حوصلة التقارير: تنصّ هذه التقارير في مجملها على هذه النّقاط المشتركة، وهي:

1- إنّ العربيّة في خطر إذا لم تكن في مُستوى التّصدّي لتحدّيات العولمة اللّغويّة والثّقافيّة، واستيعاب تحدّياتها التّكنولوجيّة، ولم تكن في مُستوى مُواكبة الحداثة بمختلف تجلّياتها، والتّعبير عن إيقاعاتها وليست في مُستوى ربط الأجيال الجديدة بلغتهم وبما يقرؤونه من اللّغات الأجنبيّة، وسيكون المُستقبل غامضاً إذا لم تحصل مشاريع حديثة تخرج من التّاريخانيّة.

2- ضرورة التّوجّه نحو نظرة مُستقبليّة انطلاقاً من الواقع الحقيقيّ الذي تعيشه العربيّة من الاستخدامات الحقيقيّة التي تتجسّد فيها، وهي ضعيفة وهشّة ومحدودة الآفاق، ومستقبلها ينذر بالخطر بما رصدناه وما نسمعه وما أعطته التقارير الكليّة من الواقع بأنّ ممارسات ضعيفة في المدرسة والإعلام والاقتصاد والتّواصل العالمي وفي المحيط العامّ.

3- إنّ الرّصد أبان عن رؤى مُستقبليّة شبه غامضة، لما للقصور الذي لا يعطي الأمان اللّغويّ للعربيّة الماثلة أمامنا، وهي مُجتزئة في تعابيرها عن سياقاتها في بيئاتها العربيّة، ونجدها خارج مواطنها لا تنال مواقع أمام التنافس اللّغويّ للّغات الحيّة.

4- لا تعدّ التقارير مؤشّرات النبض والحيويّة والنّهوض في الواقع الحاليّ للعربيّة؛ انطلاقاً من ذلك الرّصد الذي أجزته التقارير، فهناك "لغة عربيّة قويّة حيّة وناضضة تمثّل الأداة الحاضنة للتّواصل والتّعبير والإبداع لدى أعداد كبيرة من النّاس تشمل النّاطقين بها وبغيرها من اللّغات. وهي تقف على أرض صلبة وتمتلك الكثير من مُقومات الاستمرار والنمو والتّطور والقدرة على مُواجهة التّحدّيات التي تواجهها وتواجه غيرها من لغات العالم في خضم عالم دائم التّغيّر والتّحوّل.

5- هناك الكثير من الإيجابيات سجّلت في مجال القوانين والتّشريعات والمبادرات، الدّعمة لتمكين العربيّة عبر ترسيخ دعائم العربيّة لدى الدّول العربيّة ومجتمعاتها، وتنامي الاهتمام بها في كافة مناحي الحياة وبخاصّة تلك

المبادرات اللغوية في القطاع التكنولوجي التي يعمل بعضها على الجانب التعليمي والتأصيل العلمي والأكاديمي للغة العربية، وبعضها الآخر على تطوير حوسبة اللغة العربية، وإغناء المحتوى العربي في الشبكة، وتعزيز استعمالها في شبكات الاتصال والتواصل.

6- هناك أدوار جديدة تظهر فيها العربية في تلك الجهود الهادفة إلى تطويرها بشكل عام، وإلى إنعاش الإنتاج اللغوي بشكل خاص، والدفع بها إلى فضاءات جديدة من التوزيع والانتشار.

7- تسجيل حالات جيدة في مجال تحسينها في الاستعمال في مجال الإعلام والفضاء المكاني العام بطفرة كبيرة تشهدها وسائل الإعلام في البرامج الإخبارية والحوارية والترفيهية ذات المحتوى العربي، والتي تعكس إقبال الناس عليها، وتؤثر لنفض قوي للعربية في حياة المجتمعات الحاضنة لها.

8- لوحظ تحسن في مجال منصات النشر الرقمية باللغة العربية، والتزايد المطرد في أعداد الكتب الرقمية المنشورة فيها، وكذلك أعداد المستخدمين المسجلين فيها، وبخاصة الروايات الإلكترونية التي تجتذب الكثير من الكتاب الشباب الذين يجدون فيها الملجأ والبديل عن دور النشر الورقية، وما يلحق ذلك من تزايد إنجاز معارض الكتاب عبر كل الدول العربية والإسلامية والغربية.

9- هناك منجزات كثيرات في مجال التكنولوجيا، والعربية الآن هي الأسرع نمواً فيها، وظهور الاهتمام بالذكاء الاصطناعي في الكثير من التطبيقات العلمية والتربوية والحضارية وكلها تعمل على أداء عربي جيد مفردات ومصطلحات وتراكيب.

10- في مجال الترجمة هناك وعي لغوي جديد في الترجمة من وإلى العربية، وما يصاحب ذلك من نمو حركة نشر الكتب المترجمة. وهناك اهتمام في مجال البحث العلمي وتعريب العلوم، وظهور نزعات جديدة مكّلة في الحوايات العلمية، ومُعامل التأثير والمُعيرة، وتوفير المادة العلمية باللغة العربية في الإنتاج العلمي والطبي وتخليص العربية في كثير من أبعادها الدونية - في العلوم - التي توصم بها.

11- هناك إيمان راسخ تجلّى لدى الشباب العربي أنّ العربية هي الحياة، وبدونها لا مقام لهم، وهي عمق العلاقة بينهم وبين أسلافهم، وهي الماضي والحاضر والمستقبل. هي الباقية وأنها ليست زائلة، وتصنعها أقلام وأفكار الشباب العاملين على تطويرها، وأنها ليست في طريقها إلى الزوال، وهي قادرة على مواكبة التطورات التكنولوجية الحديثة، وعلى أن تكون لغة لتدريس العلوم والرياضيات في المناهج المدرسية والجامعية.

12- دعوات كثيرات في الإثثار من مبادرات تطوير مناهج تدريس العربية في كافة مراحل التعليم العام تقوم على توظيف المبادئ والمقاربات الحديثة في التعليم والتعلم؛ كالمعايير والكفايات والتواصل ومخرجات التعلم، وتوليّفها بما يتلاءم مع طبيعة اللغة وموضوعاتها، ويربطها بالحياة وبالتنمية المستدامة التي يتّجه قطاع التعليم إلى تكريسها في مناهجها. والاهتمام بالمقاربات الجديدة بالمُعلّمين الذين ترى فيهم المحور الأساس في العملية التعليمية، والتركيز على تطوير استراتيجيات التعلم، واستخدام الوسائل والطرائق

والتقنيات الحديثة؛ سعيًا لخلق بيئة تعليمية داخل فصول اللغة العربية؛ تحفز المتعلمين على التعلم وتحببهم باللغة العربية.

13- ضرورة الانفتاح على عوالم جديدة ومستقبل العربية في محيطها الدولي، وعلاقتها مع اللغات عامة واللغات الأممية، وهي خامستها، وضرورة وجودها لسانًا وكتابة على ألسنة المسلمين وأبناء الجاليات العربية وكذلك من المتعلمين من غير الناطقين بالعربية، وضرورة التعرف إلى الثقافات والمجتمعات العربية التي ترتبط اللغة العربية بها وتشكل مدخلًا إليها.

14- معالجة مكامن التحدي في واقع العربية اليوم، ونرى مؤشرات النهوض أحيانًا تنزل في الترتاب العالمي لقصور في بعض الاختصاصات العلمية، وأحيانًا تخل بالتوازن والحيوية التي تشكلها القطاعات الأخرى العالية الجودة. وعليه؛ فإن الثغور تحتاج من سدّها بعلمية واحترافية، وبمشاريع واستراتيجيات تعالج كل النقائص المحلّة بحسن الأداء.

15- الدعوة القوية لمعالجة القصور في القوانين وتطبيقها غير الإلزامية، وضعف التنسيق بين المجمع، وعدم انفتاحها على الخارج، وتفشي أخطاء على ألسنة الإعلاميين، واستغلال النشر الإلكتروني في القرصنة والتعدي على الملكية الفكرية، وصناعة تزوير الكتب، وافتقار المكتبات العربية إلى كتب الطفل، وما هو موجود لا يرقى إلى معايير الجودة والعلمية، بله الحديث عن مضايقات في الرقمنة والمحتوى الرقمي، والتأخر عن مواكبة التحول الرقمي، وضالة المنتج العربي في أنظمة الذكاء الاصطناعي، وحوسبة العربية، وقلة البحوث والدراسات التي تدعم تمكين العربية في هذا المجال، وضعف المتون اللغوية العربية المعتمدة على تقنيات البرمجيات حول معالجة اللغة العربية وتمكينها في البنى التحتية للتقانات الهندسية في كافة نواحي التكنولوجيا.

16- هناك قصور في الاستثمار في التربية والتعليم، وفي تأسيس أجيال الحاضر والمستقبل، فهم خلفاؤنا وهم المستقبل، ويحتاج هذا الجيل المرافقة والتوجيه والتدريب على رفع التحديات في حسن الاستخدام المتنوع للتكنولوجية؛ ليكونوا قادرين على المواكبة السريعة للتقنيات الحديثة، وما يرتبط بها من ترجمة آلية وتشبيك تقاني في مختلف فروع المعرفة المتنوعة، وتشجيع على استخدام العربية في مناحي العلوم، بضبط تقنيات الانتقال السلس إلى تدريس كل العلوم بالعربية، مع الانفتاح على تعددية لغوية مضيئة مفيدة بحسب الأقطاب اللغوية. قصور كبير في ضعف المقروئية التي تعمل على شحذ همم الأطفال وتملك اللغة العربية في مهاراتها: الاستماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة. وما يصحب ذلك من النشاط والحماس في الهبة التي تحدثها المدرسة من حصص المطالعة، وحفظ المسكوكات والأناشيد والمحفوظات، والتشجيع على الكتابة في مجلات الحائط في المؤسسات التربوية، وما له علاقة بالتنافس والتباري بمناسبة إحياء الأيام القارة ذات العلاقة باللغة العربية.

17- علاج صارم لمحدودية المعاجم المتخصصة التي لا تواكب المصطلحات المستحدثة في مختلف المجالات المعرفية، وهو ما لا يقوم على تقديم المقابل العربي لكثير من المصطلحات العلمية الأجنبية وهو

ما أدّى إلى عزوف المُتعلّمين عن المجالات العلميّة، وكذلك التّعامل العلميّ باللّغة العربيّة في مجال العلوم والتّكنولوجيا؛ ممّا سبّب أزمة نقل المعرفة دون تمكّنها من التّقدّم بشكل فاعل نحو مرحلة إنتاج المعرفة أو تدويرها.

ومع كلّ ما يُمكن أن يُقال ممّا أحرزته العربيّة على الكثير من الصّعد، هناك غياب استراتيجيّة واضحة لمشروع النهوض باللّغة العربيّة الذي يستلزم مناهج ومقاربات مختلفة لاحتياجات تعليم/تعلّم العربيّة في مجالاتها وعلومها وتراثها وخصوصياتها اللّغويّة والدينيّة، وانتشارها العالميّ في الزّمان وفي المكان، وغياب التّوازن في كثير من مناهج التّدريس والتّواصل والاحترافيّة والعلميّة والتّقنيّة، وهذا كلّهُ يُشكّل جزءًا لا يتجزّأ من منظومة التّواصل بالعربيّة. هو نقل وغياب العربيّة في الاختصاصات العلميّة في العوالم الجديدة والأكاديميّة والعملية وإدارة التّسيير، والافتقار إلى معايير الكفاءة المرتبطة بالمعايير العالميّة التي نقترحها في (مشروع النهوض باللّغة العربيّة). والتّأسيس لمستقبل جديد للّغة العربيّة وفق مظاهر النبض والحيويّة والقائم على مواطن التّحدّي واقترح الحلول البديلة التي نخطوها لمستقبل مزهر للعربيّة؛ كونها لغة فصيحة وتراثيّة وقرآنيّة وحضاريّة وإنتاج ثقافي كبير سدّت الكثير من الفجوات في مختلف العلوم، ويمكنها أن تكون الآن مثلها مثل لغات العلوم والتّقانات، وتؤدي كلّ الوظائف المنوطة بها كلغة حيّة تواصلية مُواكبة للمستجدّات والمهام اللّغويّة القديمة والجديدة. وما يُمكن التّعليق عليه هو ضرورة تأطير العربيّة ضمن أداة تواصل قابلة للتّطور، وتحقيق العلاقة التّاريخيّة بين العربيّة والإسلام خارج إطار التّقديس والماضيّة، وإعطاء رؤية قائمة على الثّقة فيها دون خوف وشعور بالخطر من الصّراع اللّغويّ وحروب اللّغات، ونشدان مستقبل أفضل تثبته الأبحاث والدّراسات الجادة الأصيلة المتينة العلميّة في أعلى تجليات فصاحة العربيّة على المستوى النظريّ والتّطبيقيّ، وهي خطوة مهمّة درب المستقبل، وما يجعل المحافظة عليها تكون باستعمالها في مختلف المقامات والتّخصّصات، وذلك ما يضمن لها البقاء والازدهار في المُستقبل كما ازدهرت في الماضي.

مشروع النهوض باللغة العربية

تمهيد: نستهدف من خلال (مشروع النهوض باللغة العربية) وضع آليات مُعاصرة للنهوض العربيّ الثّاني بخصوص الاهتمام باللغة العربيّة اهتماماً أولياً، باعتبارها لغة الانسجام الاجتماعيّ والتّناغم البيّنيّ، ولغة المُستقبل، إضافة إلى الشّرعية التي نالتها من خلال الدّساتير العربيّة، وما يتبع ذلك من مستلزمات النّصوص القانونيّة، فلا جدالَ في القضايا الشّرعية في اللّغات الوطنيّة من حيث مَوقعها الاجتماعيّ، بقدر ما يكمن المُشكل في زحزحتها الفعليّة والقصديّة من قبل بعض الأفراد الضّعاف والمُسؤولين الذين لم يقتنعوا بالواقع اللّغويّ، ولا يرضون للعربيّة أن تكون لغة التّعليم، ولا اللّغة اليوميّة للمواطن، إذا المُشكل في كيفية الاقتناع بها كلغة لا بديلَ عنها، وهي القَدَر الذي لا يُمْكن التنازل عنه أو التّسأخ فيه، أو تركه للزّمان، وهذا ما تحرص عليه الأُمم الحيّة التي تقدّمت بلغاتها، ويشهد التّاريخُ بأنّه ما تقدّمت أمة بغير لغتها البتّة، وهذا ما يجب أن نقوم على تجسيده من خلال بثّ هذه الفكرة لدى كلّ الفئات العربيّة.

يأتي هذا المشروع في إطار التّردّي اللّغويّ الذي تشهده اللّغة العربيّة في أوطانها، وما تنادي إليه الكثير من المنظّمات المدنيّة العربيّة، وبخاصّة ما تنادى له بعض الجامعات اللّغويّة، ولا تزال أصوات مؤسّسات وعلماء وبحثّة ينافون عن مقام اللّغة العربيّة الفصيحة بوصفها المشترك اللّغويّ، وكان على الدّول العربيّة العمل على أن تنال العربيّة مَوقعها الطّبيعيّ في بلادها. وكان علينا -نحن الجمعيّين- تسجيل مَوقف لصالح العربيّة، بتقديم مشاريع الحماية والتّطوير، وخدمة العربيّة في هذا الوضع الذي تشهد فيه تراجعاً في الاستعمال، وضعفاً في الأداء، وهجراناً من أهلها. وكان عليّ اتّخاذ مَوقف إيجابيّ بتقديم (مشروع النهوض باللغة العربيّة) والذي أزعّم أنّه يحفظ للعربيّة ألقها، ويعيد لها اعتبارها في بلادها، بل ستصبح بفضلها لغة علميّة؛ تقف ندّاً للّغات المُعاصرة المُنتجة للعلم إنّ لم تنافس اللّغات الحيّة.

وإنّه لا يُمْكن أن يحصل تطّيق (مشروع النهوض باللغة العربيّة) إلّا في إطار النهوض العامّ للعرب، ومن خلال واقعنا العربيّ، ومن مُستلزماتنا اللّغويّة الطّبيعيّة، ومن مُقترحاتنا النوعيّة، ومن تفكير العربيّة وثقافتها في ذاتها ولذاتها، كما لا يُمْكن أن تهض اللّغة العربيّة إلّا بالتّجنيد الفعليّ لكلّ فئات المجتمع العربيّ، وبخاصّة تلك الفئات المُثقفة؛ والتي لها دور التّأثير في المجتمع وفي القرار السّياسيّ، هذه الفئة المُسمّاة (النّخبة) والتي يجب أن تضع في وعيها خدمة الشّأن العامّ، وإلّا لا فرق بينها وبين الدّهماء. ومن هنا نريد نُخباً تعمل على تقديم إضافة للعربيّة في مسائل حديثة بنظرة جديدة. ونريد نُخباً تنقل العلم إلى العربيّة لا نُخباً تنتقل إلى اللّغات الأجنبيّة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فعن طريق هذا المشروع نريد تبليغ صوتنا لأصحاب القرار السّياسيّ بأنّهم معنيون بالمسألة اللّغويّة؛ إن لم يكن لهم الضّلع الكبير في عودة الوعي اللّغويّ إلى مقامه، فهم يعدّون بمثابة المرجع القيميّ فيزع بأوامرهم ما لا يزع بالوعظ والقرآن.

ونريد أن نذهب بعيداً لتأخذ المسألة اللغوية حجمها الحقيقي بوضعها الحالي الضعيف؛ ليعرف المواطن أن من تسامح في لغته يتسامح في عرضه، واللغة العربية هي الهوية والاستقلال والتراب الوطني، ويجب أن تلوّ فوق الجميع، فختلف في طريقة حفظها أو خدمتها فقط، ولا تكون اللغات الوطنية محلّ التساؤل أو التراجع بل لا تخضع للاستفتاء إلا في تلك الآليات التي يقع التنافس على خدمتها. كما يجب العلم بخطورة الوضع اللغوي المسمى بالتردي الخطير الذي آلت إليه العربية في أوطانها وأنه ينذر بمستقبل خطير لأصحاب اللغة العربية، وكذا اللغة التراث العالمي، ولها موقع متميز بين اللغات لما تحمل من حضارة اشترك فيها العرب وغير العرب، فهي ليست ككل اللغات، فهل نرضى بهذا الانحدار الشاقولي ونقول: للعربية ربّ يحميها؟ وهل نسكت عن الوضع، ونقول ليس للعربية مؤسسات تعمل على ردها؟ ونقول: هناك عرب كان عليهم أن يخدموها... وإنه لمن المؤسف أن نقول هذا لأن الجرح عميق والزيف يكبر ويتوسّع، ونحن عن الوضع ساكتون، بل إننا راضون عنه أو مكروهون، وكلّ يقول: لا شأن لي بمسألة اللغة العربية، فلها فئاتها المعربة المنكفئة على نفسها تستجدي الخبز وتنظر حتف أنفها، وتعيش يومها، ولا تحمل همّ المجتمع، بل لا تفكر في مستقبلها ولا مستقبل الأجيال. إنها فئة ضعيفة لا تشعر بما يشعر به المواطن العربي من حقرة في لغته، بل ربّما تربّت في أحضان غير مجتمعتها. فهل هذا هو المطلوب من نخبة ينتظر منها قيادة الجماهير العربية للخلاص من مشاكلكه.

يأتي (مشروع النهوض باللغة العربية) في إطار ضرورة تمكين العربية في أوطانها، وتبنيها في مواطنها وتجسيد الفعل المطابق للقول. وفي الحقيقة يعمل هذا المشروع على المحافظة على اللغة العربية والعمل فيها وبها لتكون لغة المجتمع العربي في مختلف المجالات، ولغة التعليم في كلّ الأطوار، ولغة تعمل على مدّ جسور التواصل اللغوي مع اللغات العلمية للتأثير والتأثر، وفي ذات الوقت يقدم المشروع وصفات تقوم وسائل الإعلام بختلاف قنواته من أجل الإسهام في خدمة هذه الهبة المنتظرة للرفع من العربية بتقديم خطط تقوم على الآماد الثلاث:

1- المدى القصير: ستحدّد فيه ما هو مُستعجل، ويتطلّب الحلول السريعة، ويكون التركيز على: التوعية بأهمية اللغة العربية (اللغة الأم/ langue mère) باعتبارها لغة الاجماع والانسجام المجتمعي، ولغة تعمل على حصول التنمية، وهذا ما أثبتته جلّ الدراسات المعاصرة بل هذا ما يحصل لدى الشعوب التي نهضت مؤخرًا. كما لا يمكن أن يحصل تهميش (لغات أم/ les langues mères) التي هي جزء من التراث والهوية، فبدل الانشغال والتعلّق باللغات الأجنبية أن يقع الاهتمام بهذه اللغات التي تعلق بخصوصيات محلية، على أن تكون رافدًا للعربية ومكملة لها. ومن ثمّ نفتح على اللغات الأجنبية بصيغة تشاركية للاستفادة منها في المنهجيات العلمية، وفي الطرائق السهلة التي تعمل على تقديم العربية بصورة سهلة للمتعلم. كما يقع التركيز على تجنيد منظومة الإعلام في صورتها القوية لخدمة المسألة اللغوية في كلّ أبوابها. وفي هذا الظرف القصير أن يكون التركيز على إعادة الاعتبار للعربية بعد تلك الهزة التي شهدتها من خلال التسامح الذي عرفته مختلف مؤسساتها.

2- المدى المتوسط: يتعلق بمنظومة التربية والتعليم في كل مراحلها، وما يستلزم ذلك من إعداد المستندات التربوية، كما يتم فيه تقديم مشاريع وأبحاث في مجال الديدكتيك؛ لفك لغز تعليم وتعلم العربية بطريقة سهلة مثلما نتعلم اللغات الأخرى. على أن يخضع هذا لمرحلة زمنية محدّدة لا تتجاوز عشر (10) سنوات، وإنها لمدة صعبة، وفيها يحصل الانتقال الفعلي من مرحلة التسيب على التحكم الدقيق بفضل تلك البرامج النوعية التي تقدّم في المدارس، وبخاصّة في العلوم التطبيقية. وفي هذه المحدّدة تتحدّد جملة الحلول للمضايقات التالية: ضرورة توضيح أبعاد السياسة الفاعلة+ تخطيط لغوي واضح وصارم+ خطط زمنية مضبوطة+ تطوير آليات عمل المجمع اللغوي+ مزيد من المؤسسات اللغوية التخطيطية+ مزيد من التشريعات والقوانين+ اقتراح مشاريع قابلة للتنفيذ+ تعزيز التنسيق بين المجمع والمؤسسات ذات العلاقة+ مرافقة الإعلام والفضاء المكاني العام+ تجسيد سلطة متابعة من جامعة الدول العربية لمراقبة الخطط المتفق عليها التي تخصّ النهوض اللغوي+ الرعاية اللغوية والفنية لترشيد المواد الإبداعية وما له علاقة بالجوائز حول اللغة العربية+ إغناء المحتوى الرقمي العربي بمعاجم عامة ومتخصصة ومصطلحات لتمكين العربية من مواكبة التطور العالمي في الذكاء الاصطناعي+ وإطلاق مبادرات لغوية موسمية عبر كل الدول العربية لتحصل الهبة العربية لخدمة العربية وعبر سفارات الدول العربية في مختلف بلاد العالم، ومع المنظمات الدولية ذات العلاقة بالثقافة والعلوم+ تفعيل كليات الإعلام في حسن الأداء اللغوي بطلاقة لغوية وبارتجال في مختلف المستويات اللغوية ولكل مقام مقال.

3- المدى البعيد: ويتعلق بالنظرة الاستشرافية لمستقبل اللغة العربية وموقعها بين اللغات، وهذا بالنظر في فك لغز المضايقات التقنية، وتقديم الحلول النوعية. وهذه المدة يمكن أن يدوم عمرها لمرحلة الجيل ليس إلّا. ويكون فيه التركيز على التخطيط المنظم بغية توجيه السياسة اللغوية في أفق الحاضر والمستقبل، وفيه يحصل قياس الحاضر على الحاضر، لا اعتماد قياس الحاضر على الماضي إلّا في ضرورات فقه اللغة. وفي هذا المدى أرى ضرورة توضيح مجموعة من الآفاق المستقبلية في زيادة مستوى التمويل في مشاريع الأتمتة+ تنشيط البحوث والدراسات في اللسانيات الحاسوبية وتطبيقاتها+ العمل على إنجاز محرّكات البحث في ذات اللغة ولذاتها+ العمل على قراءة المحتوى اللغوي للمخطوطات العربية بما وراء الرقنة+ إقامة مزيد من المكتبات والموسوعات الرقمية العربية+ شجاعة الابتكار في ميدان الترجمة الآلية+ السعي الحثيث لرفع المنتج العربي إلى الفعالية والجودة والتنافسية+ توقيع شراكات علمية مع الأجانب للإفادة منهم في الخبرات التقنية+ ضمان الانتشار/المرئية للمنتج العربي على كل وسائل الحوامل الإلكترونية+ ضرورة تعميم نظام توثيق APA لجمعية علم النفس الأمريكية/منهج Turabian لجامعة شيكاغو؛ باعتبارهما من التوثيق التأملي المعتمد حالياً.

للتفصيل في هذا المشروع، كان عليّ توزيعه بحسب طبيعة الموضوع بتحديد مواطن العلاج وهي كما يلي:

-أولاً: الإقرار بالتقصير، لاستخلاص مواطن المعالجة؛ فبدأ من الجانب النفسي الذي يتعلق بعدم الاهتمام باللغة العربية؛ وبخاصّة في تدريس العلوم بها، وترك الإعلام للخوض في الهجين اللغوي، ولم يقع الاهتمام بالترجمة، والإقرار بالتسّاح في الانتماء والهوية اللغوية والاعتزاز الوطني، وهو جانب مهم في الخصوصية

النفسية واللغوية التي يكون بها الانسان محترماً... وضرورة مراجعة بعض المسلمات من مثل: تكريس ثقافة عصر الانحطاط+ التركيز على القياس لا على الاستعمال اللغوي+ تفضيل الحفظ على الفهم+ التفكير في تحقق شروط القياس لا الاستدلال بالقياس+ تجسيد أفكار التكلس والجمود لقتل البحث والقراءة+ تفضيل النحو على القراءة في المدارس+ التوجه لمادة النحو وليس لدرس القراءة+ الخروج من عصر السفساف في الأقوال والتشدد ودون فهم المحتوى+ البحث في المسائل الخلافية القليلة بين المدارس النحوية دون اعتماد المشترك المتفق عليه وهو الكثير+ اعتبار الكتابة هي اللغة... وأمام هذا التقصير الفظيع، ما العمل؟ ولهذا نحتاج في هذا المشروع إلى مناقشة القضايا ذات العلاقة بالموضوع، ومن ثم العمل على إيجاد الحلول، ولذا بصرت بجموعة من القضايا الأولية، كان علينا تجسيدها قبل تقديم الوصفة العلاجية، وهي:

1- ضرورة الاعتزاز اللغوي: ونحتاج إلى خطاب علمي أدبي بخصوص الاعتزاز، فإنه ما ذل قوم إلا بسبب تقصيرهم في خصوصيتهم، وما انحط المجتمع في لغته إلا وانحط في واقعه، ولذا نجد الأمم الحية تعطي للغة الأم كل الأهمية، بل تنزلها الصدارة على أنها وجودهم ومقامهم، وبها يكونون، وبدونها لا يكون لها المقام مهما كانت قيمة اللغة في حساب اللغات العالمية، ولا يمكن أن يتنازلوا عن لغتهم بدعوى عدم حملها للعلوم أو عدم مساهمتها للواقع؛ بل يعتزون بها ويعملون على أن تترقى، فهل نتعظ من ذلك؟

2- إقناع صاحب القرار بمعاذلة اللجان المحلية أو العربية: يجب علينا وضع آليات الشروع في تطبيق تعميم استعمال العربية وعلى مراحل، وهذا بإنشاء لجان المتابعة والتقييم والمراجعة؛ لجان محلية أو عربية تقوم على حث صاحب القرار باستصدار القرار الذي لا رجعة فيه؛ بتعميم استعمال اللغة العربية على مراحل، ويتم فيها التقييم والتقييم، فنعم للمراجعة في المنهجيات لا للتراجع عن المبدأ.

3- الإقناع بأهمية تدريس العلوم بالعربية: ويكون هذا في باب التنمية الوطنية التي لا تكون إلا باستعمال اللغة العربية في كل مراحل التعليم، وفي مراكز البحوث، وفي مختلف الوزارات، والاعتبار من تلك الدول التي ما تقدمت إلا بلغاتها، ويكون العلم بأن العرب هي الأمة الوحيدة في العالم التي لا تدرس مختلف المواد بلغتها، وهذا فعل شنيع لا تقوم به إلا دول نكرات، فهل نحن العرب نكرات، وتندر للغة زكاهم القرآن الكريم، بل مجدها في أكثر من آية.

4- إقحام النخب العربية في إنجاح المشروع والدفاع عنه: وزيد من هذا المشروع أن ينال الصبغة العربية والعالمية، ولن يكون هذا في ظل عزوف النخبة العربية عن مسيرة المشروع. فعلى النخب العربية التجديد من أجل هذه القضية القومية، ولكن كيف يمكن تفعيل النخب العربية في هذا المشروع؟ يكون ذلك عن طريق المشاورة، وطلب إعداد المشاريع ودراسات الخبرة والجدوى، على أن يكون للنخبة موقع لدى صاحب القرار.

5- إشراك مختلف أجهزة الإعلام: إن الإعلام يعتبر السلاح الرابع، بل هو القوة المتنفذة في حياتنا اليومية، ولهذا يكون التعويل عليه في هذا المشروع النهضوي الذي نطلب منه التجديد الحقيقي في تعبئة الجماهير للسير في حمل هموم المواطن العربي الذي يحترم لغته ويريد أن تنال وضعها الطبيعي.

- ثانياً: إعداد وسائل تعميم استعمال العربية: وهذه المسألة تتطلب منا ما يلي:

1- تشجيع الترجمة وإنشاء المؤسسات الترجمة: لا يمكن للعربية أن تستغني عن الترجمة، بل هي الركيزة لتكون لها صبغة علمية وعالمية، وتنال الصدارة، ولهذا تتجدد القوى العربية على الترجمة إلى العربية والترجمة من العربية إلى اللغات الأخرى، ليكون لها الصدى العملي والعلمي، وتكون مُنفذة في مختلف دواليب الاستعمال.

2- تجسيد التخطيط اللغوي المناسب: يعني وضع استراتيجيات شاملة متكاملة لجوانب السياسة اللغوية ومن ثم إلى سن سياسة تربوية مناسبة، بناءً على استراتيجية عربية تُحدد فيها وسائل العمل ومتطلباته، وتشير إلى اتجاهات التخطيط ومساراته؛ بقصد إحداث تغييرات في النشاط اللغوي، على أن يخضع التخطيط لمراحل ومسار علمية، ولا مآد يحددها المختصون. كما تُمس تلك الاستراتيجية الأبعاد الكبرى في نشر اللغة القومية في مختلف المجالات، والاهتمام باللغات الوطنية في جوانبها التراثية، وكذلك تعليم اللغات الأجنبية بالنفع المطلوبة، وتنظيم الترجمة والعمل على إنتاج المصطلحات وتوحيدها.

3- تفعيل المؤسسات المختصة: وهنا يقع التركيز على الجامع اللغوية التي يفترض أنها القاطرة التي تقود عملية تعميم استعمال اللغة العربية، وكان عليها أن تقوم على إنتاج أفكار التوجيه والتسيير مع كافة المجالس العليا ومع مؤسسات الدول العربية. وإن الجامع اللغوية هي التي تعمل على التهيئة لهذا العمل القومي في كل أبعاده، على أن يكون لها سلطة القرار.

4- تفعيل الوزارات: إن هذه العملية تتطلب التجنيد والتعبئة العامة لمختلف أجهزة الحكومات العربية، كما يقع التركيز على كل القوى الفاعلة في المجتمع العربي، وعلى كل المؤسسات العربية العمل من أجل ربح معركة تعميم استعمال اللغة العربية. ويكون التركيز على: وزارات التخطيط + وزارات التربية + وزارات التعليم العالي والبحث العلمي + وزارات التعليم والتكوين المهنيين + وزارات الإعلام + وزارات الشؤون الدينية + وزارات الداخلية + وزارات المالية والاقتصاد. هذه أهم الوزارات، أو ما يمكن أن يطلق عليها وزارات ذات التأثير في المواطن، وهي وزارات السيادة، وكل وزارة لها برنامجها الخاص الذي تقوم به تجاه العملية الوطنية، وتوضع لكل وزارة خطة خصوصية محددة ببرامج وبمدة زمنية، على أن تتعاضد مناهج وخطط الوزارات في صورة واحدة متكاملة تخدم بعضها البعض، وفي الحقيقة لا يمكن الاستغناء عن هيكل ما أو جهاز ما في الدولة بقدر ما نريد التجنيد الفعلي الذي يدوم خمس (05) سنوات حتى تدخل العملية في روتين طبيعي وفي صميم اهتمامات المواطن العربي، وعند ذلك تكون خريطة الطريق قد توسعت وأخذت أبعاداً وطنية، فلا يمكن الحياد عنها في المبدأ، وإنما تحصل المراجعات في المنهجيات فقط، وهذا من الطبيعي أن يحدث فيها التغيير مراعاة للظروف والمستجدات.

- كفايات تجسيد (مشروع النهوض باللغة العربية): هناك وصفة أعرضها على المؤسسات وعلى الجمعيين وكل من يهمه أمر النهوض باللغة العربية، وترتكز على ما يلي :

1/وضع جهاز مُتخصّص يُتابع المُشروع: ويكون هذا الجهاز تحت إمرة (الدولة التي تبنى المشروع) ويُختار الفاعلون والعاملون من دولة البلد المُتبنى للمشروع، ومن غير دولة تبني المشروع أفراداً مشهود لهم بالدراية والعلمية والعمل الجاد من كلّ بلاد العرب، وتكون المتابعة من جهاز جامعة الدول العربية، ومن بعض منظماتها، وكذلك بمُرافقة: الألكسو+ اليونسكو+ ايسيسكو. والمنظمات الإقليمية ذات العلاقة باللغة العربية على غرار اتحاد الجامعات العربية+ اتحاد الجامع اللغوية+ المجالس العليا العربية+ المنظمات الثقافية+ السفارات العربية في الدول الأجنبية.

2/إنشاء جهاز اقتراح مشاريع: يستعين هذا الجهاز بالكفاءات في مختلف اللغات، على أن يُطلب منهم تقديم خبرات في الترقية اللغوية، وتقديم المشاريع الكبرى ذات العلاقة بإخراج العربية ممّا آلت إليه من وضع ينذر بالخطر. وللجهاز سلطة توحيد الجهود التي تبذل في تلك الأعمال المُكرّرة أو المشاريع المُتطابقة من مثل: مشروع المعجم التاريخي لاتحاد المُجامع بالقاهرة، ومشروع المعجم التاريخي في دولة قطر، ومشروع المعجم التاريخي للغة العربية، مع مشروع الذخيرة اللغوية، الأعمال العشوائية التي تُنجز باسم: صاحبة الجلالة اللغة العربية في كلّ من بيروت وقطر ودبي، وتأسيس المجلس العالمي للغة العربية، والمجلس الدولي للغة العربية... وإنّها لجهود كان الأحرى أن يحصل بينها التنسيق ربحاً للوقت والمال والجهد، وهذا أحد العوامل التي تعمل على تشتيت القوى الفاعلة في المُجتمع العربي، أما حان الوقت لتنظيم أنفسنا؟

3/ينظر الجهاز في تلك المضايقات التي أشارت إليها تقارير (حالة اللغة العربية) وهي في جملة نَتعلّق بجملة موضوعات تخصّ دور ومراكز البحوث اللغوية، والمنظمات الثقافية، والجمعيات الترجيحية، ولجان وضع المُصطلحات، ومكتب التعريب لتنسيق المُصطلحات؛ وهي تحمل برامج ومشاريع تخدم اللغة العربية، وتُحافظ على سلامتها وجعلها وافيةً بمطالب العصر. وضرورة استكمال إنجاز معاجم عامة ومُتخصّصة/قواميس/أدلة بخصوص تطوير اللغة العربية، ويتجاوز العمل إلى المهنية في صناعة معجمية تناسب كلّ المُستجدّات.

4/للجهاز سلطة اقتراح توزيع المشاريع الكبرى: نروم من هذا المشروع التقليل من كثرة المؤسسات التي أصبحت تتضايق منها اللغة العربية، بل إن بعضها بلوى فيها، فلا تخدمها بقدر ما تستنزف أموال المواطن العربي دون نتيجة تُذكر، فكفانا كثرة المؤسسات التي لا تدير إلّا الفراغ، فما أحوَج هذا الجهاز إلى أجهزة فرعية تعمل تحت إمرة المُجامع فقط.

5/توزيع المهام الكبرى: نروم في هذا توزيع المهام اللغوية على المُجامع اللغوية؛ لتصبح مُجامع مُتخصّصة ويكون لها صيغة التشريع والعمل برأيها وبقراراتها.

6/تحديد الزمان: لا يمكن للمشاريع أن تنجح في ظل غياب الزمن المحدد لإنجازها، فلا بدّ من التّنصيب في بداية العمل في المشاريع أفق النهاية منها، والتفرغ لمشاريع أخرى ولا مانع أن تكون هناك مراجعة.

7/الإغداق المادّي: إنّ المشروع في صورته الأولى يقدّم وثيقة تقنية بخصوص الجوانب المادية والطلبات المطلوبة، ولهذا ناشد الدول العربيّة الرّفع من الميزانيّة التي تُرصد للبحث العلميّ وتخصيص ميزانيّة مُحترمة للمشاريع الكبرى، ومتابعة المصاريف المطابقة.

- ما قبل الخاتمة: إنّ هذا العمل كلّ متكامل، يستهدف جملة أفكار في (مشروع النهوض باللّغة العربيّة) من خلال تقديم تصوّر رؤية فاعلة لإنعاش اللّغة العربيّة في بناء إنسانها بوجدانه ومعارفه وتراكمات تاريخه ورؤاه الاستشرافية. هي أفكار بصرتُ بها من خلال ما تفاعلت مع الموضوع، وما كتبت في كتابي (السياسة اللّغويّة وموقع لغة الأُمّة) وأمل أن أسهم في وضع بعض أعمدة النهوض بالعربيّة الفصحى (اللّغة الجامعة) ومن لا لغة له لا وطن له، ومن لا يحترم لغته لا يحترم، ولا يستقيم الشعب إلّا في إطار لغته، ولا تناله التنمية المُستديمة إلّا من خلال لغته. إنّ مشروع طموح، استقيت مجموعة أفكاره من تلك التقارير حول (حالة اللّغة العربيّة ومُستقبلها) الذي يتركز على التشريعات والمرجعيات المؤسّسة، وهي كبيرة لا تحصى ولا تُعدّ، والقوة فيها أنّها صادرة عن الدساتير التي تمثّل حجر الزاوية في حماية العربيّة والنّهوض بها وتطويرها والحفاظ عليها في كلّ الدول العربيّة. هي مجموعة مدونات يمكن العودة إلى مظانها ومُؤسّساتها ومختلف التشريعات التي تحتكم إليها كلّ دولة عربيّة، مع مجموعة قوانين جمعيات ذات العلاقة بالحفاظ والدّفاع لحماية اللّغة العربيّة، ومختلف القوانين الصّادرة عن لجان ومجامع ومراكز ومجالس ومُؤسّسات ومؤتمرات واتّحادات ومنظّمات وجامعة الدول العربيّة... والنّتيجة قوانين وتشريعات عالية دون تفعيل في الواقع اللّغويّ، وتحتاج إلى رؤية مُستقبلية وسياسة لغويّة حاكمّة، ومُؤسّسات مرجعية راسمة، وإرادة سياسية فاعلة.

- الخاتمة: لا أدعي أنني أحطت بكلّ حيثيات (مشروع النهوض باللّغة العربيّة) بقدر ما أعطيت الخطوط الكبرى، فأريد أن ينقل المشروع إلى السيّد الأمين العامّ لجامعة الدول العربيّة، ويتمّ عرضه على اللّجنة المختصّة، ليكون طرحه في قّة من قيم ملوك ورؤساء وأمرّاء الدول العربيّة. كما يمكن النّظر لهذا المشروع من خلال مفاصل البحث، وفيه إشارات كبيرات بخصوص السياسة اللّغويّة والتّخطيط اللّغويّ الذي ندافع بهما عن مقام العربيّة في مختلف المحافل.

المصادر والمراجع:

- 1- الحريري، رافد، الوادي، حسن، أساسيات ومهارات البحث التربويّ والإجرائي. دار أنجد، 2017م.
- 2- صالح بلعيد، السياسة اللّغويّة، وموقع لغة الأُمّة. دار: زاد تي تي، الجزائر 2023م.
- 3- عبد القادر الفاسي الفهري، السياسة اللّغويّة في البلاد العربيّة. دار الكتاب الجديد المتّحدة 2013م.
- 4- علي القاسمي، علم المصطلح: أسسه النّظريّة وتطبيقاته العمليّة. مكتبة لبنان ناشرون، 2008م.
- 5- القاضي هاشم بن صالح، الاستعمار اللّغويّ، في [Blogs.aljazeera.net/blogs/2017/03/11](https://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/03/11)
- 6- مؤتمر دمشق، الشّابكة، موقع گوگل، بتاريخ 2024/4/22م.
- 7- مُحمّد عابد الجابري، نحن والتّراث. الدّار البيضاء، المغرب 1995م.

السياسة اللغوية للمحتل الفرنسي، ووصفة المقاومة الثقافية

لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ♥

- الديباجة: يطول الحديث في هذا الموضوع بما قدّم فيه من كُتب ومَنشورات، وما جرى حوله من مُلتقيات وأيام دراسية، وندوات فكرية، وما أنجزته بعض الوزارات والمؤسسات والجمعيات ذات العلاقة... وما قدّمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من منشورات ومطبوعات ولقاءات وجامعات صيفية، وكلّها تصبّ في هذا الموضوع الطويل، فهل نحن من خلال هذا الملتقى نستزيد؟ نعم نستزيد؛ لأنّ الموضوع مُتجدّد يتناسل من خلال أفكار السابقين الذين تركوا الأثر، وأنّ القمع اللغوي لا يُنسى بِقَدَر ما يعيش أحداث العصر، ويتفاعل لردّ الاعتبار؛ لأنّه مُرتبط بالاستدمار الفكري الذي قد تنساه الذاكرة الفردية، لكن لا تنساه الذاكرة الجماعية أبداً؛ لأنّه يعلّق بالهوية الفكرية التي لا تُحَى مَهما تراكم عليها الغبار، أو طالها بعض النسيان.

وهكذا إخواني، ونحن نعيش أماسي اليوم الكبير في احتفالية سبعينية (70) انطلاق الثورة التحريرية التي أشعلت نور التغيير، فكان التغيير، وكان التحرير. وأنعم بالشهداء، وأنعم بالمجاهدين كلّ من خلال موقعه! ونحن نعيش مجريات هذا الملتقى الخاصّ تمثيلاً وثورة التغيير الماجدة، نوفمبريّة التخطيط، باديسية التنفيذ، فمن الجزائر الجديدة إلى الجزائر المنتصرة. هي الذاكرة التي كانت لها الأولويات، هي اللغة التي تجمعنا في ثلاثية مُترابطة: الجزائر وطننا، والعربية لغتنا، والإسلام ديننا. وعهدي بجمعية العلماء الأُمس التي حافظت على الموروث الثقافي الوطني، هي جمعية العلماء الحاضر، المُكملة لمسار الكبار، فهما مثل الشجرة التي تُغيّر أوراقها باستمرار، ولكن جذورها ثابتة تزداد غرساً وتجدّراً، وتُعطي الثمار في كلّ حين.

هي تلك الجمعية التي وقفت ضدّ مشاريع الهيمنة الفرنسية في جانبها الفكري واللغوي والاقتصادي والتغريبي وكلّ أشكال السلب والنهب. وفرنسا بِحُبّها تعتمد القوة الناعمة، وباسم الحضارة والتفتح تدعو إلى فرنسة كلّ البلاد التي تغزوها، في مشاريع طويلة النفس، تحقيقاً لأقلّ الأضرار، والضّم النهائي للبلاد التي تسير في فلكها. هي مشاريع الاحتواء بضربات حديدية مُغلقة بالقفاز، فهل نعتبر من تلك السياسة باسم التّحضّر ونحن لم نشهد منها إلّا الخراب والاستدمار، والمحتلّ لا يُمكن أن يقبل بك إلّا أن تكون خادماً. وأقدم كلمة المجلس الأعلى للغة العربية في الجمع بين المحاور الثلاثة التي وضعتها اللجنة العلمية لهذا الملتقى وتدور الكلمة في محاور: التربية والثقافة والدين.

♥- الكلمة التي أُلقيت في الملتقى الوطني حول (المشاريع الفرنسية غير العسكرية للهيمنة على الجزائريين وسُبُل مقاومتها) تنظيم فرع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لولاية خنشلة، احتفاءً بسبعينية (70) اندلاع ثورة نوفمبر 1954، في جامعة خنشلة، بتاريخ 29-30 أكتوبر 2024م.

- المقدمة: لا يسع المقام للتفصيل في مسألة الاحتلال اللغوي لفرنسا الباغية، ولكن جمعية العلماء كانت بالمرصاد بعد تأسيسها مباشرة، وقد وجدت أرضية التذمر من الوضع الاجتماعي المدمر فدعمته بأفكار التنوير وفرنسا تحتفي بمرور قرن على نيل المقام والاستقرار والسيطرة -في منظورها- وهي تظن أنها تنتصر النصرانية على أرض محمدية، ويخيب أمل الكاردينال شارل مارسيل ألمان لافيغري (Martial Allemand Charles Lavigerie) الذي كان يحلم بسماع نشيد (La marseillaise) في مسمى (Lavigerie) ويدوي نشيد

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع

ويتحول المكان إلى مسمى (المحمدية). ومع ذلك أثر الاستعمار الفرنسي على البلد، ولغة البلد، وعلى الفكر الاجتماعي، وخلق النخبة التابعة التي تقبل الآخر في لغته ونحلته، ولكنها لم تنتصر، ولم ينتصر الاستعمار اللغوي/Linguistic Imperialis/ الأمبريالية اللغوية، والتي هي فعل استدماري بأدوات لغوية؛ حيث وقع الانتقال من تعلم الفرنسية إلى التعليم بالفرنسية كإلزام وجوبي، ولتصبح لغة الإدارة، وتُسمي العربية (اللغة الأم) لغة الهامش في دوايب دولة الاستعمار. وبذلك السياسة القاتلة للهويات بقي العلم والتدريس والبحث أجنبياً، وبقيت العربية في العقل الجمعي لغة لا تقوى على حمل العلم. و"كأن اللغة العربية لم تحمل منارة العلم وشعلته إلى الأوروبيين في قرونهم الوسطى، وكأن كل أبناء الوطن العربي اليوم مجرد عاملين مقيمين افتراضيين في البلدان الأجنبية!".

هي الحقيقة التي لا بد من التنويه بها أن معظم الدول العربية بدأت الآن تستنهض المواطنة اللغوية القادرة على تحقيق الأمن اللغوي، وهو أمن فكري هوياتي بامتياز، بل هو أمل العرب بتحقيق الهوية الثقافية والتشكل الاجتماعي والنظام القيمي الذي دعت إليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مختلف محافلها في الماضي لمحاربة الفرنسيين الذي راهنوا على التبعية اللغوية، وهي تبعية فكرية ثقافية واقتصادية، ونهاية المطالبات بالحقوق الدينية واللغوية. ومن هنا، فإن فرنسا الاحتلال راهنت على المشهد اللغوي؛ بإثارة التعددية اللغوية في الجزائر، ولا يفتح ملفها في بلدها، ونثير معنى (اللغة الأم) في غير بلادها، ولا تشير إلى لغات أقوامها السابقين التقليديين/(Les Gaulois)... وهي مأساة زرعتها فرنسا على مستوى التعليم بالفرنسية وفي التاريخ الفرنسي، والتضييق على العربية بقوانين وأمرات ومراسيم بدءاً من سنة 1838م كما عملت فرنسا على مصادرة الأوقاف الإسلامية التي كانت تنفق على التعليم العربي الإسلامي، ثم أصدرت ترسانة قوانين تفرض الوصاية الفرنسية على التعليم الإسلامي سنة 1850م، ثم قانون 1901 القاضي بمبدأ علمانية الدولة الذي نص عليه النص الصادر 1907م وكان صريحاً بفصل الشؤون الدينية عن الدولة الفرنسية لتتولى إدارتها جمعيات يشكّلها أتباع كل ديانة. وأن هذا النص طبق على كل الأديان في فرنسا إلا على الدين الإسلامي... ومن خلال هذه النصوص/القوانين المجحفة سعت فرنسا إلى تدمير الذاكرة الثقافية حتى في طهونيات الأسماء والألقاب والأماكن والمدن والأنهار ومجاري المياه والأودية والهضبات والأسواق... وصار كل شيء مفرنساً على

أنقاض المنظومة التربوية العربية الإسلامية الجزائرية ومع ذلك بقيت بعض الزوايا محتفظة بالعربية، وبعض الكنائس المنعزلة بل السرية التي لم تطأها أقدام الاستعمار.

وتبقى سياسة فرنسا اللغوية تلاحق بقانون (كامي شوتون/Camille Chautemps) وزير الداخلية الفرنسي عام 1938م، والذي يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، وتمنع تعليمها لطمس هوية الشعب الجزائري... وينتفض المصلح الكبير، الحامل لهموم الأمة، وصاحب العقل المنير (عبد الحميد بن باديس) على لسانه وصحبه؛ مخاطباً الشرفاء من رجال التربية الزميين "... أتم يا رجال التربية والتعليم أعلم الناس بفضل التربية والتعليم على الأمم... وإذا كان لبعضكم منازع لا دينية في التربية والتعليم، أو منازع سياسية في لغة التعليم، فلا تنسوا أن في الأمم جانباً وجدانياً لا يمكن انتزاعه؛ وهو الدين واللغة العربية التي تعبر عن حقائق ذلك الدين... وأنتم تعلمون كذلك أن الأمة الجزائرية أمة إسلامية الدين عربية اللسان؛ يستحيل أن تتخلى عن ذلك الدين، ويستحيل أن تفهم حقائق ذلك الدين إلا باللسان العربي".

1- مشروع الاستعمار اللغوي الفرنسي في الجزائر: مصطلح مُجمع عليه بأن سياسة فرنسا عندما تغزو بلداً ما كانت تُحضّر له جيوشاً من الباحثين والعلماء والمخططين والمدنيين والضباط والعسكري؛ لاستكشاف البلد المغزوّ لتتعرّف على خصوصياته ومعتقداته ولغته وعاداته؛ لتعدّ كفاية عدّة البقاء الدائم، ولا تُراهن على الجانب الاقتصادي، أو ليس من الأولويات. ويكون التخطيط على الجذب الثقافي؛ فهو الذي يضمن لها سيرورة تسير الجانب الاقتصادي بسهولة، وهذا بغزو لغوي فكري من وصفة المستكشفين الذين أرسلوا لدراسة البلد المغزوّ. ولهذا، فإنّ فرنسا الغازية لها وصفات ثقافية في المقام الأول، وليست على غرار المحتل البريطاني الذي ينهب ويغادر ولا يهتم الجانب الثقافي. وفي هذا المقام فإنّ مشاريع فرنسا كثيرة، ونرى لها الانتشار في كلّ بلد احتلته، وليس من السهل الخروج من شرنقتها بما تركه من أولئك الذين يدافعون عنها من أهل البلد المغزوّ. ونراها الآن بمشروع (الفرنكوفونية) تنال الانتشار حتى في غير البلاد المحتلة، وهذا بزّرع ثقافة براقة للفرنسية باسم (الفرنسة) وتنتشر لغتها وتوسع خارج موطنها؛ وبها يكون لها الصدى العالمي في غير بلادها، وتنال الصدارة بين اللغات وبعض من أهلها يهجرونها ويعدّونها لهجة، ولكنّ التبّع لها خاضعون، ولا يرون العلم والرفعة إلا فيها، كما لا يرفعون المضلات إلا عندما تُمطر في باريس فقط.

2- منهج مشروع الاستعمار اللغوي للمحتل الفرنسي: يقول (هومبلوت/Humboldt) اللغة هي لهجة لها جيش وبحرية (La langue est un dialecte avec armée et une marine)، وهكذا تفعل فرنسا بعد تجيش مجموعات من المخططين للغزو، لا بدّ أن يتحقّق المشروع إما بالسّلاسة أو بالقوّة الناعمة المدعومة بالجيش. وإنّ المنهج كان يخضع للتطور الذي يخضع للتقويم من المخططين الآخرين، ومن أصحاب القرار ويتبع القرار بأنّه لا مجال للرفض، وإلا سيكون العنف اللغوي، باعتماد طريقة استصغار اللغات الوطنية وعدم احترام النسق الرمزي وما له من تماثلات وطنية. وهنا تتركب عقدة التخلي عن سيادة اللغة الأمّ ويتلوها شرح الواصل الجمعي الهادئ بين الساكنة أهل لغة الفطرة.

هو منهج تدمير للذاكرة واللاعلاقة لغوية، وتظهر في السيادة المنقوصة عند أهلها عندما تفرق المدرسة بين لغات علم ولغات أدب. وترى التهميش يظهر من أهلها في تخليهم عن اللغة الأم، وبذلك يتجردون من المواطنة، وتهدم ثقافتهم. هو منهج عنف فرنسي مكمل لنزع أملاك الناس، ونهب خيراتهم، وهتك أعراضهم وإبطال دينهم. منهج يحمل الشلل في ذهنيات تابعة نتيجة الاستعمار اللغوي المقيت الذي يجعلك تابعا للانجذاب اللغوي، ولا تنظر إلا من زاوية لغة فرنسية واحدة؛ فكأن العالم مختصر فيها، ولا يبقى إلا بها. ولذلك عشنا فترة افتقدنا فيها القدرة على أن نكون نحن، ولبسنا لباس الغير علنا نكون، وهو بخس ذاتي فنسعى بقوانا للانفصال الذي أوصى لنا به الكولون، ونفضل الهجرة والاهتجار؛ لأن الغير أغرانا، فنركب بواخر الموت لننقلنا إلى الضفة الأخرى والآخر يسحرنا، ونستأجر لغته ونترجاه أن يقبل، فأصبح الأجنبي يمل ما يريد، ونقبل دون مناقشة ما يريد ولا نرى إلا بعين الآخر. وأحيانا نقرأ من يقول: إن تملك اللغات الأجنبية حتمية ثقافية وعالمية، والوسيلة إلى ذلك هو تعلمها والترجمة منها...". قول حق أريد به باطل، لا ندعو إلى الانغلاق اللغوي، ولسنا ضد اللغات الأجنبية، لكن لا للقهر اللغوي واحتقار اللغات الوطنية، والأمة عليها أن ترفع من قوتها بقوة لغتها ويقول (ابن حزم الأندلسي) "إنما يفيد للغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولها ونشاط أهلها. وإن اللغة يسقط أكثرها بسقوط أهلها ودخول غيرهم عليهم". ومن عدم النشاط وضعفه وتساح الدولة في لغتها تحصل أزمة في المواطنة اللغوية، وهنا علينا أن نعلم بأن الأزمة أزمة ألسن وأزمة الفرنسية المعبودة، فكيف نتدبر الأمر؟

إنه منهج الفرنسيين في التوسع اللغوي في ما وراء البحر، وعن طريق اللغة تتحقق الإيديولوجية العاملة على إنجاز مصالح استعمارية وتوسعية ثقافية واقتصادية، بغرض الإلحاق والسيطرة والتحكم للفرنسية في غير موطنها، ومحاربة اللغات المنافسة لها. وهكذا الآن بما تعتمد في الحركة الفرنكفونية التي تضرب جذورها في أعماق طبيعة الاستعمار الفرنسي قبل أن تستنزف خيرات الشعوب، باستقطاب نخبة النفوذ التي تعاكس المواطنة اللغوية، وللأسف أن تلك النخبة تعلم بأن العربية الفصحى شفرة المعاملات بلا منازع، وأنها رأسمال الجزائريين تضمن التواصل بشكل أوسع وسهل، ولها الدعم المجتمعي الثابت والكائن في ضمير الشعب الجزائري الذي يقرّ بضعف العربية في بعض العلوم؛ نتيجة عدم انتشارها الإرادي، وتقليص حجمها في الاستعمال في الإعلام والمدرسة، وتقليص وظائفها الإدارية، كما يعلم الشعب الجزائري بأن نخبة النفوذ لا تزال تُعرقل التنمية بسبب تماهيا في اللغة الأجنبية.

هذا من نتائج مشروع تقليص نفوذ العربية التي راهنت عليه دولة الاحتلال، في الوقت الذي ننتظر من النخبة إيجاد مخرجات حديثة في التربية والتعليم والبحث العلمي، والنهوض بمكونات الأمة، وتمتين العاملين على المتون اللغوية والعمل على الترجمة، وتوفير الدعم السياسي لأن الدعم المجتمعي ثابت وكائن. علينا أن نتدبر أمر لغاتنا بالبحث عن إعادة النفس إلى براجمنا ومشاريعنا، وإدخال الحماس إلى باحثينا وطلابنا، وعلينا أن نعي بأن إقامة مجتمع المعرفة يحتاج إلى الاستفادة من التجارب المتراكمة، ويحتاج إلى الانفتاح على الآخر، وعلى

التعددية اللغوية، ورفع القهر والفرص الذي أوصت به فرنسا، ولم تحقّقه إلا بشكل جزئي، وهو في طريق الزوال مع الجزائر الجديدة التي تنتصر للوطن ولغة الوطن، ونشهد لها بالحضور في الصرح الهوياتي للوطن، وفي كثير من المؤسسات المانحة للقوة والتفائل، وبخاصة قطاعات التربية والعدالة والتعليم العالي والبحث العلمي والاقتصاد والإعلام.

3- اغتيال اللغة العربية في الجزائر، وإحيائها من قبل جمعية العلماء المسلمين/A.O.M.A: إن اللغات يغتالها المستدمر؛ لطمس الإرث الثقافي الذي هو محصلة الخبرات العلمية والتقاليد الاجتماعية الغنية، والديانات والعقائد الخاصة بالبلد المستعمر لغوياً، ويكون عن طريق الاستلاب الثقافي، وبضخ سياسة ثقافية تغتال الهويات علانية أو سراً، وعلى نار محرقة هادئة بغلاف ثقافي لا شعوري، وإنها لسراب ماء ببيعة يرى ولا يقبض ولا يشرب.

هي سياسة تخطيط لغوي ثقافي براق، وهو فعل فرنسا في شعارها المزيّف liberté Fraternité Egalité الداعية إلى تدريس اللهجات في غير بلدها، وكتابة اللغات باللاتينية ونطقها الفرنسي واستبعاد العربية الفصيحة فهي ليست لغة أم... محارق لغوية أقيمت من أجل اغتيال الأجيال التي عرفت الاستعمار الثقافي الفرنسي في ظل التعليم الأجنبي، وإنه لأمر محزن لهذه السياسة، لولا أن قيض الله جمعيتنا المباركة وفي ردود أفعالها على سياسات الاستعمار اللغوي المزروعة بدايات القرن xx. وهي التي أسهمت في تخطيط لغوي مستنير في الاهتمام بالتربية والتعليم، وأحدث رجّة سياسية في كل المناسبات للرفع من مقام العربية باعتبارها لغة أم+ اللغة الأم+ لغة الأمة. وأن التعددية اللغوية لازمة في ما تقدّمه الأجنيات من قيمة مضافة للعربية؛ فضلاً عن المحافظة على الإرث اللغوي الأصلي إلا بلغة البلد، ولا تكون الأجنيات لغات هوية، وعدم التصل من أرومة اللغات والحضارة الشرقية.

ولهذا نقول بأن وعاء الثقافة الوطنية الجزائرية حافظت عليه جمعية العلماء، وقد أنقذت هذا الوعاء اللغوي من العبث بالبطاقة التعريفية، ولكن في مضمون البطاقة حالة نفسية تقول: "لن أكون فرنسا، ولا أستطيع أن أكون فرنسياً، ولغتي ليست فرنسية...". هو تمسيخ ووعاء أرادته فرنسا مدمراً للأجيال عبر الاستعمار الثقافي ويشمل كل ما له علاقة بالذاكرة وطرائق التفكير، بل هو استهداف للعقل الجمعي، ولما يتصل بعمليات التفكير وطرائقه، وما ينتج عنه، وما لم يكن التخطيط اللغوي واعياً لسياسات الاستعمار اللغوي، وما لم يكن التطبيق راشداً في تنفيذ السياسة اللغوية العربية، فإننا سنصحو يوماً لنقول لبعضنا جميعاً وبصورة اعتيادية (Bonjour Tout Le Monde). ونتداعى للانشطار، كما نتسابق لقبول الهيمنة اللغوية من خلال تبني التعددية اللغوية الجاذبة. ومن هذا الموقع نفتخر بمُنجزات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية، ولا تقدّر جهودها بالشكر، بل بالتنويه الكبير لمضمون استراتيجيات الجمعية وكأنها مؤسسة تخطيط لها تحارب وتطبيقات ناجحة. وزاها تبذع في الانطلاق من التعليم الأصلي المشبع بالأصالة اللغوية؛ بحفظ القرآن وقفا نبك، وهو ما جعلنا طيلة 132 سنة لم نذب في التجنيس اللغوي، ولا في النخبة الفرنكفونية، ولسنا من

تبع فرنسا، وذلك ما حافظ على أمننا الفكري واللغوي، وبقيت العربية واقفةً للندية مع عوادي الزمان، رغم الصراع اللغوي، وحرب اللغات، وموت اللغات الهشة، وتغول لغة العولمة ومُتلازمات الإيديولوجيات الفارضة أنماطها عبر التقانات الحديثة والذكاء الاصطناعي OCR، وفقر العربية في التعليمات...

ومع ذلك فالعربية من إسبرنتو اللغات، ولا نعدم تغير مقام اللغات وسط ضغط الاستلاب اللغوي والثقافي، بأن نسمع في مناطق فرنكفونية نشيد العلم في تلك البلاد -المستقلة شكلاً- بلغة المحتل الذي ذهب وبقيت لغته وثقافته وهويته، والأخطر عندما يتكلم العملاء الحضاريون للغرب، بدعوى التمدن في وعاء الآخر، وهو الاستلاب الذي يصعب فكّه في أخطبوط مشاريع سياسة فرنسا، ومخططات الاستعمار حيث حل يصنع الاستعمار اللغوي وينفق عليه بسخاء.

4- الوصفة الوطنية لجمعية العلماء في إنهاء إرث المُرْكَب في الأنا الثقافية لإرث الاستعمار: من الأشياء المضيئة أننا شهدنا تمسك أجدادنا بالإرث القومي اللغوي، من خلال تلقينا العربية بالحليات، وأنا واحد منهم في أول درس بعنوان (أليف أورينقز أرا) وكيف كنا نحفظ العربية ونجيدها في عشرة (10) أيام فقط وما كنا نشفر مداليل كلماتها. هو حبنا للعربية لارتباطها بالدين. يُنظر الملحق. هو الوعي اللغوي والديني الذي زرعتة جمعية العلماء عبر مدارسها العاملة سراً بمُرافقة شيوخها المُشبعين بثقافة قرآنية وبوعي جهادي مرتبط بمُحاربة فرنسا ولغة فرنسا، وفي منطقة نشر فيها المُستدمر أرمادة من الوسائل لطمس الهوية العربية الإسلامية وثبيط معنويات الساكنة لغرس هويته الفرنسية في كل أبعادها، ولكن ما حصل المرغوب ولم تنجح الإجراءات القمعية، ولا البدائل السياسية، ولكن نجحت تخطيطات لغوية من (ابن باديس) وصُحبه فأقامت جمعية العلماء المؤسسات المهذمة، وبنت مؤسسات جديدة، وحمل الغيورون مصالح الشأن العام في جمعيات خيرية تُتفق على الزوايا والمدارس والمعاهد والمساجد، وانتشر خطاب الوعي في ضرورة الالتفاف على مُحاربة السياسة الاستدمارية ضد اللغة العربية، وقالها الأماجد "لا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأغر والمستقبل السعيد، إلا هذا الحبل المتين: اللغة العربية، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة. إن هذا اللسان العربي العزيز الذي خدم الدين وخدم الإنسان، هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ زمان، ونعمل لإحيائه منذ سنين، فليحقق الله أمانينا". وهناك ما يتبع ذلك من مُحاربة سياسة الإدماج والفرنسة والتجنيس والتنصير والتَّهجير، وكل أشكال القمع.

إنها وصفة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مُحاربة التبعية الثقافية، وتضاد فرنسا في تخطيطاته وحملاته الداعمة للهجات، وفتيت المجتمع الجزائري إلى شيع ومناطق وحضر وبدو وقبائل وعرب ولغات وتعميم الإنجيل رحمة بالساكنة الذي أكلت خيراتهم... إنها جمعية العلماء التي حافظت على هوية الجزائر ومقوماتها الحضارية عبر المواجهة، والوقوف بالندية أمام خطط فرنسا التغريبية، واعتماد تحقيق أهدافها المنشئة، وهي الاستثمار في التربية والتعليم، وتطهير الإسلام من البدع والخرافات، وإيقاد شعلة الحماسة في الجزائريين وإحياء

الثقافة العربية، والمحافظة على الشخصية الجزائرية بمقوماتها الحضارية والدينية والتاريخية، ومقاومة سياسة الاحتلال الرامية إلى القضاء عليها، وبعث التاريخ العربي الإسلامي.

إنها خطة منهجية قائمة على استراتيجيات مقام دولة في ذلك النظام المنهجي في بعثات تعليمية للمشرق العربي ووضع برامج لنشر التعليم للصغار والكبار والبنين والبنات؛ بما يصحب ذلك من خطب الوعظ والوعي والإرشاد ونحو الأمية، وحتى في عقر فرنسا كان هذا التنظيم. وهناك نظام إعلامي مستنير من طبع صحف وجرائد على غرار: السنة النبوية + جريدة الشريعة المحمدية + جريدة الصراط السوي + جريدة البصائر... والحق كل الحق أن الجمعية نجحت عندما راهنت على الكاتيب والزوايا والمساجد والمعاهد في أنها جعلتها محاضن لنشر الوعي اللغوي العربي، وإحلالها محل تلك المدارس التي زرعها فرنسا عبر الوطن للفرنسة، والدعوة إلى بقاء فرنسا في الجزائر وتصبح بلاد فرنسا ما وراء البحر. هذا هو الجواب الذي نرفعه في وجوه المشككين ونقول لهم عليكم الاطلاع على هذا الدور الاستراتيجي الذي قامت به الجمعية لترؤا أفضل الطرائق العصرية في الحفاظ على تمسك المجتمع من خلال هويته اللغوية والدينية. ولولا تلك الخطط لكنا شتاتاً أتباعاً نعيش أقصى عذابات المحتل، وفي وضع مزرّي من الإبادة الجماعية، وتزوير التاريخ، وقبول فكرة أن الجزائر ولاية فرنسية.

وكم وددت الاستفاضة في المرافعة والمنافعة في هذه الجهود التي دافعت عنها الجمعية والتي قهرت العدو الفرنسي، وقادته إلى الهزائم والانحجار. هي جهود يسجلها التاريخ على دور العلماء المسلمين الجزائريين من خلال منهج الجمعية في التعليم الذي قام بمهام تعليم الدين والعربية، ومواجهة المسخ والمسخ والتبشير، وكل عوامل التصدي لسياسة التجهيل. وما قامت به من تكثيف جهود الإعلاء باللغة العربية والعمل على عودتها إلى وطنها عالية جامعة في مجتمع متعدد اللغات، وبتصدر العربية لغة العلم والدين والحضارة، فلا تعلق عليها المحليات ولا الأجنيات. وما يلاحظ عن قرب أن هم الجمعية كان منصباً على التربية والتعليم، وهو ظاهر وبقوة، باعتباره قاعدة كل إصلاح، وهو فعل حضاري لوخز الضمير الذي يتطلب الحضور في معترك التدافع الحضاري بين الأمم، ومن مستلزمات هذا الحضور الدراية بفقته الوعي في عمليات التغيير المجتمعي، وإتقان مناهج التحرك في المجتمع؛ لتحقيق القدرة المثل على التأثير فيه وبالتالي ضمان نجاح انتقاله وتحوله ضمن مسار حركة النهوض بفقته الواقع الذي لا يُقر بالتواكل، بل "اعقلها وتوكل".

هنا الوصفة الطويلة المدى التي تروم الجمعية تحقيقها من أجل خلق نخبة مجتمعية من رجال/مصلحي/معلبي التربية والتعليم والدين الإسلامي التي تُحقق النهوض، وتؤدي إلى التغيير الإيجابي. ولم يتوقف هذا النشاط والوعي، وهو ينو ويتطور في كل المراحل، وعبر كل المحطات وإلى غاية يومنا هذا، فترى الجمعية بما تستقطبه من فئات عالمة من نخبة الوطن والمصلحين والموجهين، بل والمؤثرين تقدم خدماتها وأفعالها التوجيهية؛ وكأنها صمام أمان ضد تلك الأفكار المضللة وخطاب الكراهية، فهي وسط الوسط، وتريد الإصلاح، وتنتصر لردم القصور، والسير بفقته الأولويات، وعدم التبعية في كل أشكالها وتعالج قضايا الوطن بخصوص الصراع اللغوي بمرجعيات تربوية ودينية ووطنية وتاريخية وبيان أول نوفمبر ومؤتمر الصومام، وما أقرته قوانين الدولة الجزائرية

وبالقوة الناعمة والمرافقة الدينية المستخلصة من مآلات الفعل الإصلاحي في الجزائر في أواخر مرحلة ما قبل الثورة، وفي مرحلة الثورة، وما بعد الاستقلال. هي سياسة تحقيق مسح مشاريع فرنسا في الاستقرار في الجزائر، بما يقابله من سياسة القوة الناعمة المغلفة فرنسياً، وبالقوة الناعمة غير المغلفة جزائرياً. فالجمعية تدافع عن الحق وعن ثقافة الحق، وعن بلدها وأصالتها، فلا تخفي ولا تُموّه، عكس فرنسا الضالة التي تعمل في الخفاء وتعكس مآرا الانشطار للمجتمع بمخادعات وهمية حضارية.

5- المجلس الأعلى للغة العربية، وتكامل أعماله مع جمعية العلماء: تحقيقاً لمهام المجلس في أنه "يعمل على ازدهار اللغة العربية، وعلى تعميم استعمالها في العلوم وفي التكنولوجيا، والترجمة لهذه الغاية" فإنه يعمل ضمن مرجعيات الوطن المذكورة، وبمنهجية التدافع بين القوى الاجتماعية داخل النسق المجتمعي وفي تلك الأيام القارة التي يعكس فيها المجلس موضوعات ذات العلاقة بلسان الأمة، ومن خلالها يتم تجسيد التراث وأيامه الخالدة؛ حيث العربية حجر الزاوية في بنية الثقافة العربية، وإنها لمرآة تعكس جوانب الحياة والعقائد والتطلعات، كما تفقدنا تلك الاحتفائيات إلى تعزيز الشعور بالانتماء والولاء للهوية العربية الكبيرة والعظيمة ويتيح لنا ولغيرنا استكشاف جماليات هذه اللغة العملاق والتي تستحق التقدير؛ لمحولاتها وقوة علمها، وإنها لغة القرآن الكريم التي أنزلها الله تعالى لتكون هدى للبشرية، ومن خلالها نلصق السر العميق لتلاقي الثقافات وتلاحقها. وتحتاج العربية إلى تبليغ بالقوة الناعمة في تحييدها، والعمل على تطويرها ضمن مصلحة الوطن التي لا تنفني عن التكامل بينها وبين المازيغيات، بينها وبين اللغات الأمية، بينها وبين اللغات الشرقية، بينها وبين كل اللغات من مبدأ الأخذ والعطاء. وبقدر ما يكون الحوار اللغوي عبر المؤتمرات والأيام الدراسية، وعبر الندوات الهجينة تتحقق أهداف وغايات قانون المجلس في الغلبة اللغوية؛ من خلال اللغة العربية كمرسل أو مستقبل. وهذا ما يقوم به المجلس في سيرورة استراتيجية لتحقيق الغلبة للعربية الفصيحة.

أيها الجمع الكريم، هناك تكامل تام بين المجلس الأعلى للغة العربية، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في أن الجمعية مرجع لغوي وطني؛ بما أرسته من دعائم العربية بتلك الجهود المضنية عبر سنوات من النضال اللغوي والديني، وكانت لها ومضات نستنير بها في منجزاتنا، مع إضافات تقتضيها المستجدات. وإننا نعصد بعضنا والعربية تجمعنا، وأن ثلاثي الجمعية خريطة طريقنا، وقد نختلف في المنهجيات، ولكن الوصول إلى هدف واضح مضمون، بل هو شعارنا. ولسنا في حلبة الصراع المتناقض بل في حلبة نزال التكامل والتسابق في المحافظة على اللغة العربية. وما دمنا نتحدث عن منجزات المجلس يمكن زيارة موقعه www.hcla.dz، وسوف ترون بشخصكم ذلك الكم العلي من منشورات ومؤتمرات وأيام دراسية، وقواميس ومعاجم وأدلة وندوات فكرية... وكلها تصب في خانة المواطنة اللغوية. وأقدم لكم بعض الإصدارات ذات العلاقة المباشرة في هذه الترسيم:

إصدارات المجلس ذات العلاقة بموضوع الكلمة

الرقم	العنوان	نوعه	سنة الإصدار
01	مكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية	مُلْتَقَى دُولِيّ	2001
02	مُساهمة اللغة العربية في التّواصل والتّضامُن والوَحدة بين أَقطار المغرب العربيّ	مُلْتَقَى دُولِيّ	2003
03	دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها	يوم دراسيّ	2004
04	العربية من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثّورة التحريرية	مَجَلّة العربيّة العدد 12	2005
05	الفهم اللّغويّ القرآنيّ واستراتيجياته المعرفيّة	جائزة	2005
06	دراسات حول اللغة العربية في الجزائر خلال الفترة الاستعماريّة	جائزة	2005
07	مُظاهر وحدة المُجتمع الجزائريّ من خلال فنّون القول الشّعبيّة	مُلْتَقَى وطنيّ	2006
08	المُجتمع المدني وترقيّة استعمال اللغة العربيّة	يوم دراسيّ	2007
09	الطّريق إلى مُجتمع المعرفة وأهميّته بالعربيّة	مُلْتَقَى وطنيّ	2008
10	الفصحيّ وعاميّاتها لغة التّخاطب بين التّقريب والتّهديب	مُلْتَقَى دُولِيّ	2008
11	الإذاعة الوطنيّة وترقيّة أداء اللغة العربيّة	مُلْتَقَى وطنيّ	2009
12	مُستقبل اللغة العربيّة في سوق اللّغات	مُلْتَقَى دُولِيّ	2009
13	أهميّة العمل الجوّاريّ في ترقيّة استعمال اللغة العربيّة	يوم دراسيّ	2010
14	اللغة العربيّة بين التّهجين والتّهديب "الأسباب والعلاج"	مُلْتَقَى وطنيّ	2010
15	المُحتوى الرّقميّ بالعربيّة في نظام الإدارة الإلكترونيّة	يوم دراسيّ	2011
16	أهميّة التّخطيط اللّغويّ – اللّغات ووظائفها	يوم دراسيّ	2012
17	تقنيّة القراءة السّريعة ودورها في تطوير تعليم اللغة العربيّة واستيعاب مُفرداتها.	جائزة	2013
18	التّعدد اللّسانيّ واللّغة الجامعة.	مُلْتَقَى دُولِيّ	2014
19	دراسة المُصوّنات العربيّة عند الفلاسفة المُسلمين	جائزة	2014
20	ربيع البديع تأليف قطب الأنمة العلّامة الشّيخ أمّحمد بن يوسف أطفيش.	جائزة	2014
21	دور جُمعيّة العلماء المُسلمين الجزائريّين في الحفاظ على اللغة العربيّة وأثره في الهويّة اللّغويّة.	مُلْتَقَى وطنيّ	2016
22	مُظاهر التّعدّد اللّغويّ وانعكاساته في تعليميّة اللغة العربيّة في الجزائر.	يوم دراسيّ	2017
23	ازدهار اللغة العربيّة –الآليات والتّحدّيات-	مُلْتَقَى وطنيّ	2017
24	ازدهار اللغة العربيّة: بين الماضي والحاضر	مُلْتَقَى وطنيّ	2017
25	جهود ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغيّة -الواقع والآفاق-	مُلْتَقَى دُولِيّ	2017
26	الأمن التّقافيّ واللّغويّ والانسجام الجُمعيّ	يوم دراسيّ	2018
27	الانغماس اللّغويّ بين التّنظير والتّطبيق	مُلْتَقَى وطنيّ	2018
28	الأدب الأمازيغيّ في الجنوب الجزائريّ	مُلْتَقَى دُولِيّ	2018
29	التّعايش اللّغويّ في الجزائر بين العربيّة والأمازيغيّة في ظلّ التّعديل الدّستوريّ الجديد.	مُلْتَقَى وطنيّ	2018
30	مُلامح وحدة المُجتمع الجزائريّ من خلال الواقع اللّغويّ الأنوماسيكيّ الطّبونيّ.	مُلْتَقَى وطنيّ	2018
31	جهود المجلس الأعلى للغة العربيّة في تطوير اللغة العربيّة.	يوم دراسيّ	2019
32	المواطنة اللّغويّة ودورها في تعزيز سبل التّعايش السّلميّ بين اللّغات الوطنيّ في الجزائر.	يوم دراسيّ	2019
33	واقع اللغة العربيّة محليّاً ودوليّاً.	يوم دراسيّ	2019
34	واقع اللغة العربيّة في الإعلام السّمعيّ البصريّ الجزائريّ في ظلّ التّطورات التّكنولوجيّة.	يوم دراسيّ	2019
35	القياس العالميّ للغة العربيّة.	مُلْتَقَى وطنيّ	2019
36	دليل المُصطلحات البيئيّة (عربيّ – أمازيغيّ – فرنسيّ).	دليل	2019
37	الكتاتيب ودورها في الرّفاه اللّغويّ	مُلْتَقَى وطنيّ	2020
38	التّسامح اللّغويّ في الجزائر ودوره في ترسيخ ثقافة العيش معاً بسلام.	مُلْتَقَى وطنيّ	2020
39	جهود علماء الاستشراق والاستعراب في خدمة العربيّة	مُلْتَقَى وطنيّ	2020
40	القرآن الكريم واللّغة العربيّة.	مُلْتَقَى وطنيّ	2020
41	الانغماس اللّغويّ في اللغة الوظيفيّة: التّسويق اللّغويّ السّياحيّ أنموذجاً.	مُلْتَقَى وطنيّ	2021
42	في حيّ للعربيّة.	يوم دراسيّ	2021
43	إمكانيّة قراءة إلكترونيّة للمخطوطات العربيّة باستعمال الدّكاء الاصطناعيّ.	مُلْتَقَى وطنيّ	2022
44	الترجمة والهويّة: أيّة علاقة؟ وأيُّ تأثير؟	مُلْتَقَى وطنيّ	2022
45	الخطاب الإشهاريّ باللّغة العربيّة في الجزائر.	يوم دراسيّ	2022
46	الاعتزاز اللّغويّ بين المُحافظة والانفتاح.	مُلْتَقَى دُولِيّ	2022
47	السّياسة اللّغويّة وموقع لغة الأُمّة.	مُنشورات المجلس	2023
48	فَقُرُ التّعلّم - ندوة الشّرق-.	مُلْتَقَى وطنيّ	2024
49	فَقُرُ التّعلّم - ندوة الغرب-.	مُلْتَقَى وطنيّ	2024
50	فَقُرُ التّعلّم - ندوة الجنوب-.	مُلْتَقَى وطنيّ	2024
51	البصمة اللّغويّة.	مُلْتَقَى وطنيّ	2024
52	ترجمة آداب الطّفل وبرامجه.	مُلْتَقَى دُولِيّ	2024
53	مدوّنة التّكوين مُستخدمي المجلس الشّعبيّ الوطنيّ.	دليل وظيفيّ	2024
54	مدوّنة الرّصيد اللّغويّ الوظيفيّ للمرحلة الابتدائيّة.	قاموس	2024

6- تعليق عام حول هذه المنجزات: نعتبر هذه الإنجازات تكلمة للوعي التربوي واللغوي الذي غرسته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في كل دعواتها وتجمعاتها وندواتها وأفكارها ومطبوعاتها وجرائدها وبخاصة أيام الصراع الفكري مع المستعمر الفرنسي ولغته، وفي وضع المستغل مع المستغل. ومن هذه ينطلق المجلس لاستكمال حركات الإصلاح بمنهجية كشف الصعوبات والمضايقات، واقتراح الحلول الواقعية ابتناءً على ما آلت إليه مشاريع فرنسا من إخفاق وفشل، وكان بسبب التّصور المبني على غير المرجعيات الوطنية ذات العلاقة بالجانب الاجتماعي والديني، وهي فائدة مهمة نرميها لمن يهمهم الأمر، من ضرورة توشيح العلاقة مع الواقع؛ حيث لم يثبت أنّ أمة تطوّرت باللغة الأجنبية، ولا بدّ من تخطيط دقيق، فلا مجال للصّدف، وعلينا أن نعي ما ورثناه من صعوبات في التّربية واللغة واستيعاب مقدمات ضرورية عن طريق فقه الواقع وتغييره. وإنّ المجلس الأعلى يعي أهمية مقام اللغة العربية التي أنزلها المقام الأعلى في أعماله ويخطط مُحكّمة، وهي لغة تلامس الجوهر الذي يعالج بالقوة الناعمة كلّ المعطيات، وبأخفّ التكاليف. وبالتالي فإنّ المجلس لا يصنع المنازعات؛ لأنّ وجوده ضروري في كلّ مكان بما يصنعه أو يقترحه من أفكار، وكان عليه استعمال شعرة معاوية في بعض المقامات، ونحن نحتفي باليوم العالمي للعيش معاً بسلام، واليوم العالمي للتنوع الثقافي. وترون بأنّ هذه المنشورات والأيام الدّراسية استباقية وحضارية دخل بها المجلس للنّزال مع اللّغات الأُمّية، وهي عبارة عن معركة حضارية علينا كسب ودّ كلّ الأطراف بسياسة راجح راجح. وكان علينا إسهام كلّ الأطراف، والتركيز على فئة الشّباب، بدءاً من المرحلة الثّانوية إلى الجامعيين، ويكون بحسّن اختيار الرّصيد اللّغوي الوظيفي، ومُرافقة الجميع في التّوجيه ومتابعتهم من خلال دردشاتهم في وسائل التّواصل الاجتماعي وهي وسائل وقائية يُخزنها المجلس كآليات وظيفية اتقاء للاستيلاّب الفكري والثّقافي، وبمبدأ النّدية والفعالية لمُواجهة الإغراء، وسلاح الدّعاية، وحملات التّغليط والتّزييف، واختلاق مختلف أنواع السّرديات التي تحطّ من قيمة الخصم... ونملك وُصفات الأجداد، وكذلك الوسائل العليّة التي نراهن عليها في عدم تخيخ بضاعتنا من خلال الأعمال الجماعيّة للملتقيات التي تُدار وطنياً وعبر التّحاضر الهجين، وما يتعلّق بالمشاريع الكبيرة والمتوسطة المدة، وتنجز بأقلّ التكاليف وربّما بصفر دينار. وهي صناعة جماعيّة ربحها المجلس من خلال التّطوُّع اللّغوي الذي أبان شبابنا العالم والنّخبة الوطنيّة عن استعدادهم لخدمة المُواطنة اللّغويّة دون انتظار المُقابل المادي، ويبقى المُقابل المعنوي أهمّ وأقوى، وهو الذي يبقى بعد أن نكون رموساً.

إنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة يعالج قضايا التّربية واللّغة العربيّة من منظور أنّه مرصّد علمي وثّقافي له المُكافئ النّظير/النّد، وكان عليه أن يمتاز مع خصومه من التّابعين، ومن المُؤسّسات ذات العلاقة التي يجب السّبق بمُعادلة الخصم الضّحيّة، والمجلس بما له من دراسات وأعضاء أكفاء، وإطارات علميّة وإداريّة يملك هامش المُناورة بما له من إبداع وسبق في انتشاره الوطنيّ والعالميّ، وفي خدماته للعربيّة التي من مهامه تقديم الجهد التّطويري وفق آليات الحداثة. وهنا يمدّ المجلس رجليه في محصّلات سابقة، ومشاريع قادمة، ومنصّات سارية وكشافات مُضيئة، وحركات علميّة واقعة؛ منها الظّرفيّة ومنها الزّمنيّة.

7- على سبيل الختم: لقد قدّمنا هذه الدراسة باقتضاب كبير، والذي يهّمنا الاحتفاء بمنجزات علمائنا الذين كان لهم الوعي اللغوي والإصلاحي والتجديدي في الجزائر، وتمثّل ذلك في أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجلّ مشاريعهم التنويرية. ولهم أفضال كثيرة في الدّود عن حياض الوطن، وإفشال محاولات التمسّيح والتّفرنيس والتّجنّيس، وكلّ مشاريع التّفكيك الاجتماعيّ الممنهج للاستعمار في شتّى أساليبه. وإنّ كما حقّقنا من هذا الملتقى ربط جسور الأخذ والعطاء بين الجمعية والمجلس وهما صنوان لا يختلفان بما يجمعهما من مُشترك وطني، وواجبات قادمة، ومشاريع استراتيجية، وضرورات استكمال تعزيز هويّة الأُمّة الجزائرية ووجودها الثقافي. وكان على المؤسّستين فقه الواقع وخدمته بالاستناد إلى النّجاحات التي حقّقتها الجمعية من خلال مسار يقرب من القرن. وهي تجربة تاريخيّة لها مآلاتها الإيجابية، ولا بدّ من تعزيزها بالشّروط الموضوعيّة المعاصرة التي يتطلّبها التّحرّك العلميّ وفق مُسيرة واقع حال المتغيّرات اللّسانية بما تُحقّقه اللّسانيات الحاسوبية، ومُعطى الذّكاء الاصطناعيّ/IA. ولا مُشكلة في استدراك التّأخير، وعلاج القصور، وهكذا يحصل تفاعل الأجيال، ويستفيد اللاحق من تجارب السّابق، سواء تلك النّابجة منها أم الفاشلة.

وهذا منذ احتلال الجزائر، وما هي العثرات التي كانت تُعرق مسار الإصلاحات، وقد طال ليل الاحتلال، ولكن ما ضاع حق وراءه طالب. ومع ذلك فإنّ الذّاكرة الوطنيّة لم تُمِت رغم نحودها لبعض من الوقت، والجزائر الجديدة عمّلت على استرجاع جماجم المُقاومين، وسنّت يوماً وطنياً للذّاكرة، وتحتفل بعظمة اليوم الخالد بأرمادة من الاستحقاقات يوم أوّل نوفمبر في سبعينيّة (70) اندلاع ثورة التّحرير. وتنتصر النّجاحات في الجزائر المنتصرة، وتغلّب على الهزائم السّاكنة المُثبّطة، وتبقى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نبراساً مُشعاً في الحفاظ على مقوّمات الأُمّة، بعدد شهدائها العلماء الذين قضوا، وبمداد علمائها الذي أرّخ للجزائر في مسار ثورتها التّحريريّة، ثورة التّغيير، ثورة البارود والزناد، وانتصرت بفضل القيادة الرّشيّدة لجهة التّحرير الوطني، وللمُخلصين المناضلين والمُسبّلين والشّعب الجزائريّ الواقف ليل نهار، فنعم أجر العاملين الصّالحين!

- الخاتمة: نحن على أبواب الاحتفاء باليوم العالميّ للغة العربيّة، وتوزيع جائزة اللغة العربيّة في الثامن عشر (18) ديسمبر 2024م، وسنعيش اليوم الكبير الذي ناضلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن يكون للعربيّة موقع في بلادها، وذلك الذي كان، ونرى العربيّة تنال العالميّة، وهي مُناسبة لتجديد العهد مع لغة هويتنا، وتأكيد التّزامنا بالمحافظة على مكانتها والعمل على ازدهارها وإشعاعها ونشرها خارج أوطانها. وإذا نفتخر بلغتنا التي نعمل على تعزيزها وتمكينها في مختلف المحال والأماكن، وإشاعة رونقها كلغة الحضارة الإنسانيّة، والجميع في هذا المحفل معني بالمحافظة على العربيّة الجامعة المانعة، فإنّنا كلّنا مسؤولون على تألّقها وصفائها. نعم نخدمها ونحافظ عليها كما نحافظ على صفاء عيوننا. وكلّ الفخر ينالني من خلال هذا اللقاء التّشاركيّ؛ والذي أدعو رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن نحتفي معاً بهويتنا اللّغويّة، ونجعلها تتجدّد وتُتطوّر، وتنال مواقع عالميّة. وسيكون ذلك فرصة النّظر في مُساهمة العربيّة في الحضارة الإنسانيّة، وفي إسهاماتها الفدّة التي قدّمها أدباء وشعراء وفنانون سجلّوا بصماتٍ أدبيّة في جماليات مُتفردة، تميّزت بتجليات

الكلام، وأساليب العلوّ الفصيح الذي شكّل مصدر إلهامٍ شاعريٍّ مُميّزٍ في العربيّة الواسعة بخزونها الذي لا ينفد إلاّ بسلطان الكلام الفصيح، فنعم اللغة أنت يا جلالة ملكة اللغات! وأستسمح الحضور على لأقول كلمات شاعريّة مُعارضة كلام شاعرٍ؛ بتصرّفٍ يُناسب مقام تجميد العربيّة، وهي تنتظر يومها الاحتفائي، وأنا أذوب حبّاً فيها، وأقول:

مُعَلِّمٌ مَا اسْتَسَلَّمْتُ قَبْلُ لِمُقْتَسِ	**	مَا لِي أَمَامَ حُرُوفِهَا مُسْتَسَلِّمٌ
أَقْفٌ عَالِيّاً فِي كُلِّ دُرُوسِي	**	وَأَمَامَ أَسَالِيِبِهَا الْبَرِيئَةِ أَهْزَمٌ
أَنَا نَاضِمٌ مَا أَسْعَفَتْنِي حُرُوفُهَا	**	وَالْأَلْقُ فِي عَرَبِيَّةِ الْمَشَاعِرِ أَعْظَمُ
لِي أَلْفُ أَوْرَاقٍ بِالْفَصِيحِ دَبَّجْتُهَا	**	لَكِنِّي فِي حَبِّهَا أَتْلَعُهَا

مُلْحَق

أَلِفْ أَوْرِيْتَقْظْ أَرَا

المُقدِّمة: هي وصفة جُمعيَّة العلماء المُسلمين الجزائريين عبر طلابها الذين انتشروا في ربوع الوطن لتدريس العربيَّة، وقد أُعدَّوا لمُقاومة وإفشال كلِّ مَشاريع فرنسا بخصوص الهيمنة اللُّغويَّة/الثقافيَّة، والوقوف بالصدِّ للفرنسيَّة بأشكالها المُتعدِّدة. وأُنقل وصفة تعلِّي السَّريع، وأنا أُنقل من تلميذ يُدرِّسوننا الفرنسيَّة سنة 1960م عند مُدرِّس فرنسيّ بلباس عسكريّ، وبتحويل المسجد المُعطل وظيفيًّا إلى مدرسة ابتدائيَّة. وفي 19 مارس بعد وقْف إطلاق النَّار، ظهر مُعلِّمو جُمعيَّة العلماء المُسلمين بقوَّة، وبدؤوا يُدرِّسوننا العربيَّة بمنهج/وصفة بسيطة وسهلة تُناسب وضعنا اللُّغويّ في مُحيط لا يعرف العربيَّة بتاتاً، ولو في مُستواها اللُّهجي. وليس سهلاً أن يقوم بهذه المُهمَّة إلاَّ مَنْ خَبِرَ المنطقة، وأمتلك أَرْضِيَّة مَعْرِفِيَّة في المنهج الدَّرَاسيِّ مُثَلًّا في: تحبيب العربيَّة+ فهمها صوتيًّا قبل فهمها كتابيًّا ودلاليًّا+ امتلاك لغة المُحيط فِطْرَة+ الشَّرح المُناسب+ التَّمثيل من واقع المُتَمَدِّرس.

- **من الواقع:** في غُمرَة الاحتفالات بوقْف إطلاق النَّار 19 مارس 1962م، وفي ظلِّ الاستعداد لأوّل دولة الاستقلال، تجنَّد الجميع في قريتنا (السَّماش) بهبة شعبيَّة نالت كلَّ البيوت، بشعار (نتعلِّم العربيَّة والعربيَّة لغة الإسلام). وتجنَّد بعض المُعلِّمين الذين نالوا نصيباً من التَّعليم الدِّيني من حَفْظ القرآن في الكُتَّاب سرّاً في عهد دولة الاستعمار. تجنَّد الحفظة لتقديم مبادئ العربيَّة كانوا قرووها وسمِعوها عن شيوخهم من قرآن وحديث وتفسير، وكلُّ يسعى أن يُقدِّم مُحفوظه بالجَنان؛ والمُهم أن يُقال له (شيخ/مُعلِّم). وجاءنا شيخ مُجاهد من إيپهلل بلدية تازمالت يُدعى (سي السَّعيد أِهلول) ليُعلِّمنا العربيَّة. مُعلِّم/شيخ صاحب النظارات وعليه علامة العِلْم والوقار بذلك البرنوس الأحمر، ونُخاف منه كثيراً، ولما استأنسنا من طريقة تعليمه ومُرافقته؛ عَشِقْنَا العربيَّة لسهولة ارتباطها وارتباطها بتلك الهبة الشعبيَّة الكبيرة لتعلِّمها، وبذلك العبادات التي نراها في صلوات آبائنا وأُمَّهاتنا، وتلك الصَّدقات، وصُوم رمضان، ومُنَاداة من النَّاس باسم (الحاج) بما حازوه من رتبة اجتماعيَّة مُحترمة؛ لأنهم زاروا بيتَ الله.

وكنا نُحترم كلَّ تلك الطُّقوس الدِّينيَّة ونحن لا نفعلها. كُنا صغاراً لا نفهم الكثير من القضايا، ونفهم فقط السَّير وراء الزَّحاف نحو أماكن سقوط الشَّهداء، وانتظار مجيء المُسَلِّين والمُجاهدين ومُختلف الزَّوار، لقريتنا المُجاهدة على أنَّها النُّموذج في الكفاح، وما كان يُحمِّسنا أكثر تلك التَّشجيعات من الكبار لمتابعة مَشاهد خروج المُستدَمِر من ثُكَّاته -في قريتنا- بالصَّباح ورُفِي شاحناته بالحجارة، ولا ندرى ما السَّبب؛ إلاَّ أنَّنا نتابع بعض كبار السَّن الذين يأمرُوننا أن نرْمِيهم بصياح (إِجْأَن إِجْأَن إِجْأَن = كلاب). في هذه القرية البسيطة المُنعزلة وُلِدَت الهمة والشَّجاعة، ولذا عملت فرنسا للسيطرة عليها ببناء ثكنة عسكريَّة كبيرة في أرض عائلة (بلقاسمي) مُقابل المسجد الذي بُني سنة 1942م بهبة من (بلعيد حموش) المدعو (أعمر أُوپلعيد). وعملت فرنسا كلَّ تخطيطاتها لعزل القرية بذلك السَّياج الذي أحيط بها من كلِّ جهة ومع ذلك لم تفلح، ولذلك عملت على بناء ثكنة ثانية بمُسمى (Poste Avancée) في ثيزة الكدية العاليَّة بين ملكيَّة (عبوط وبهلول) ومع ذلك خابت

تخطيطاتها، وبقيت السّماش مؤثلاً للمجاهدين، ونعم القرية هي! وهذا ما سجّل عليها التاريخ بأنّها قريةٌ أوّل علمٍ وطنيّ رُفِعَ فيها.

- مأساة الاستعمار: وفي كلّ ذلك الغمر الاحتفائيّ البهيج، وفي قرية تعيش الظلام والقهر والغلبة، وقد قطعت الوديان والثّلوج أوصالها وتواصلها. سّماش القرية البعيدة عن كلّ أساسيات الحياة، ومع ذلك كانت الحياة فيها جميلة في تلك اللّحظات التّاريخيّة، ونحن نرى العدوّ الفرنسيّ يهرب بشاحناته، ونقترب منه دون خوف، ندخل الثّكنة ونبعثر أدواتها ونزيمها في الخارج. قريةٌ يتيمةٌ بشهداء كبار لا ذنب لهم إلّا أنّهم رفضوا فرنسا الاحتلال، قريةٌ بساكنة وأناس يعيشون خارج الزّمن، قريةٌ مُسيّجةٌ بخطوط (شال + مورييس) ولكنّها قلعة الشهداء ومنها خرجت مجموعات من الفلاكة - حسب تعبير المُستدّمرين - ولم يعودوا. قريةٌ أنجبت المُسبّلين والمجاهدين والمُجاهدات، والكثير الكثير من أولاد الشهداء الذين يكون آباءهم في حُرقة: أين أبي؟؟؟ مات أبي/ليس لي أب... وفي الحقيقة كلّ السّاكنة هم من أولاد الشهداء؛ كلّ عانى ما عانى من فقرٍ ومُجاعةٍ لحدّ سوء التّغذية الباديّة على الأطفال، والكثير منهم يأكل الصّلصال والتّراب جزءاً من أكله اليومي، فترى وجوههم مُصفرة، وأسنانهم خارجة، وأثوابهم رثّة باليّة. الفقر والجوع والعراء والتّهميش والموت البطيء يلاحق الجميع، ومَرَضُ السّل ينهش الصّغار والكبار.

إنّها التّعاسة والضّنك والمُستقبل الغامض، إنّهُ الموت البطيء، فطويل العمر لا يتعدّى الأربعين سنة. ومع ذلك وفي غمرة تلك الأيام الجديدة، جديدة بالاستقلال تناسى الجميع مأساة الظروف الصّعبة والحالكة؛ لأنّها عامّة، فلم تستثن بيتاً، ولا مكاناً ولا حيواناً ولا حجراً، وكلّ مكان ينطق بالمأساة، ويحمل التّاريخ والبطولة، كلّ بيت له سجلّات الخلود، ويا له من قرية التّاريخ، قلعة الشهداء. مأساة قريةٍ دفعت قوافل الشهداء، وفي كلّ بيت ثكالى، وفي تجمّعاتنا يتامى، وكلّ يبكي آلام، وكلّ يحكي لك مأساته حكايا، والجميع شبه عرايا. مأساة كبيرة، ولكن قال الجميع: "المهم استقلنا، وحصلنا على المطلوب، وعلينا أن نحتفل ونحتفي سنوات وسنوات بهذا الخير العميم الذي جاءنا من الله، وبفضل تلك التّضحيات، وطلقات البارود، وشدّ الزّناد، والحمد لله على كلّ حال".

- قرية خارج الزّمن: بالفعل كان ذلك من الحقيقة بما عانته من ويلات الحرب المُدمّرة، وتلك القوانين المُجحفّة على السّاكنة من دفع الضّرائب بالإجبار، والطّاعة كلّ الطّاعة لحاكم فرنسا (لاصا/ SAS) المراقب لكلّ تحرّكات السّكان، وعمل على تسييج القرية بسيّاج حديديّ وقطّع كلّ وسائل التّواصل، ومع ذلك أفضل الشّعب كلّ وسائله. إنّها القرية الصّامدة في منطقتة القبائل الكبرى؛ بعيدة عن كلّ مرافق الحياة، وأُفقِلَ عليها من الشّرق والجنوب والغرب بوّديان ثلاثة، ومن الشّمال بجبل جرجرة، فلا حياة فيها. يا له من موت مُحقّق وحتى القرى المُجاورة تُعاني نفس المُعاناة، فمن الشّمال قرية أقويال، ومن الغرب قرى مُهجّرة تعسّفاً وأُسكن الكثير منهم في قرية السّماش، وبعضهم في قرية أمالو، ومن الجنوب الوادي وقرية العجيبة، ومن الشّرق وادي البارد وبلدية مايو/أمشدالة.

عزلة تامّة أعجز عن وصف المرارة التي أتعبت السّكان؛ دون ماء ولا طريق ولا سيارة ولا كهرباء ولا حياة أبداً، ولكن من المعاناة وُلد الثّوار الذين خلّدوا هذه القرية التي كان لها الصّدى الوطنيّ، وفيها رُفِع أوّل علم جزائريّ قبل إعلان وقف إطلاق النّار بساعات، وهو مساء 18 مارس 1962م على السّاعة الثالثة مساءً 15h. وشهدتُ الموقف الذي انطلق من قرية السّماش في الطّريق إلى قرية أمالو، وتأتي سيارة Jeep للحاكم الفرنسيّ، وينزع العلم الجزائريّ من يد الشّاب (زقان أحمد) بمُرافقة الشّيخ/المعلّم (سي مخلوف) مع محمّد الشّريف مكلي + مسعود عززي + والعيد عمّراني؛ وهم يندشّون "من جبالنا طلع صوتُ الأحرار يُنادينا للاستقلال". ونعود خائنين إلى مسجد السّماش لنجتمع كلّنا في انتظار الاستقلال. وبالفعل في الثّانية عشرة ليلاً أعلن (بيان وقف إطلاق النّار) من راديو كبير، وكلّ الحضور يتابع (صوت العرب من القاهرة) وينطق (سي مخلوف) تحيا الجزائر.

وبدأت الاحتفالات ليلاً، وحملنا مشاعل النّار، ومن الغد تأتي الوفود لزيارة هذه القرية التي لها السّبق في رفع العلم الوطنيّ. وتحكي القرية بطولاتها للزّوار، بما قدّمته للثّورة التّحريريّة بامتياز، وذلك فخراً بأن رُويت فيها الأعاجيب عن بطولات ثوارها وشهداءها ونسائها. ويأتيها أستاذنا الكبير (مسعود ياسين) الفلسطينيّ ليستكمل تدريس العربيّة في أوّل (1) سبتمبر 1967م، وأكون من أوائل المُستقبلين له، حيث سبق لي أن درست عليه أيام تعليمه لي في قرية (بني يخلف) مع زميل لي (أقنوش مسعود) وكنا في صف واحد في المرحلة الابتدائيّة. ولما انتقل إلى السّماش، وسمع ببطولات هذه القرية، هامَ بها واستقرّ وتزوّج، وأبى مغادرتها ودفن في مقبرة العرش. ولقد أحبّ (مسعود ياسين) القرية لبطولاتها التي يريد أن تكون مرجعيّة للثّورة الفلسطينيّة، ويحترق ألماً لما وصل إليه ذلك الشّتات الفلسطينيّ، ويقول: كم قلتُ لهم "خذوا العبرة من الجزائر". لقد أحبّ (مسعود) الجزائر، وعشق قرية السّماش، وكتب فيها شعراً كثيراً، واخترت هذه القصيدة من خلال عنوانها قلعة الشّهداء:

اخلع حذاءك أنت في السّماش	مهدُ المروّة	مؤئل الرّشاش
الله قلّها سنا آله	فعدت منى الرّبكان	دون نقاش
يتسابقون لأمنها وسخائها	كتسابق الأطيّار	للأعشاش
في كلّ بيت من نفمبر نفحة	وأربح ملحمة الدّم	الرّشاش
في كلّ بيت أيم ما راعها	سخط العدو ولا قذى الأوباش	
في كلّ بيت برعم يبكي أباً	هزّ الوجود بجأشه الجيـاش	
يا قلعة الشّهداء صيتك هزني	ضمي شتيتي، بلسمي	إنعاشي
يا بلدة العمرين جئتك مُحبطاً	هلاً احتويت نبوءتي	وقاشي
هذا يجود بأرضه وقفاً لنا	وبحنكة الثّاني رويت عطشي	

رَمَتْ أَشْلَائِي وَصَنْتُ هَوَيْتِي * تدوينُ ما ضحيتُ كان معاشي
صار اليتيمُ منارةً قدسيةً * تحبو لها العليا على الأرمـاش
كلّ الكواكب تستقي من شمسها * والشّمس حمض بزوغها سَمَاشي

قرية السّماش في سنة 1969م. شعر مسعود ياسين.

- عوداً على بدء: وحانَ وقت الجدِّ لتعلّم لغة الدّين، وننطلق من العدم، وكان المعلّم يبدأ ناطقاً بالأبجدية العربية، ونحن بعيدون عنها، ولكي يُقرّبها لنا يُدرّسنا بالقبائلية نطقاً، ويرسم الحرف العربيّ كتابةً؛ باستعمال الطّبشور والسّبورة، ويربط النطق بواقع مُحاكته من أشياء تُحيط بنا؛ لتعلّم النطق والكتابة مرّة واحدة. وما كنتُ أدري كيف تحايلَ علينا هذا المعلّم الذّكيّ صاحب هذه الطّريقة التّربويّة التي حفظتُ بها الألفبائية العربيّة في درسٍ واحد، ورسمتُ على اللّوحة كلّ الحروف دون خطأ، وأدخلتها في رأسي بسهولة، وترسّخت من يومها إلى الآن. وكنتُ أقول له باستمرار: "هل من مزيد"، ويقول: اذهب إلى حوض الصّلصال لمسح لوحك وتهيأ للدرس الموالي غداً. وأقرّ بأنّ معلّمنا/شيخنا كان ذكياً فطناً في تحبيب العربيّة لنا، وحفظ ألفبائيتها بسهولة وكانت منهجيّته فعّالة أتت أكلها بنتائج جيّدة، وفتحت لنا آفاق تعلّم العربيّة دفعة واحدة، وبدأنا نتعلّم كلمات العربيّة بخصوص مُصطلحات/مُسكومات المصالح اليوميّة على غرار ألفاظ التّحايا، وما له علاقة بمحيطنا من أسماء عربيّة، وكأنيّ بها الطّريقة الوظيفيّة لتعلّم اللّغة العربيّة في وقتنا المعاصر.

إنّها الطّريقة المهجين المرتبطة بنطق الحرف العربيّ وكتابه مع شرحه بالقبائلية، وكانت أسئلتنا كلّها بالقبائلية. كم تفاعّلنا وعشقنا تلك الطّريقة، وكم أحببنا المعلّم الذي يرافقنا دون أن يضربنا. ولذلك برعنا في تعلّم العربيّة بسهولة، كما كنّا نتبارى في من يحفظ الخطب التي نسمّعها من المجاهدين الذين يخطبون بالعربيّة، أو من قبل بعض المعلّمين. وحفظنا "من جبالنا طلع صوتُ الأحرار يُنادينا للاستقلال" وزدّده يومياً، كم حفظنا من مقطوعات في الخطبة التي تقول (الحمد لله الذي بزغ فجرُ الجزائر) وحفظنا "قل جاء الحقّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً" وحفظنا نشيد (قسماً بالنّازلات الماحقات) وحفظنا السور القصار من القرآن الكريم وبعض الأحاديث الشّريفة، وحفظنا (نحن طلاب الجزائر نحن للمجد بُناة، نحن آمال الجزائر في الليالي الحالكات) وحفظنا (إخواني لا تنسوا شهداءكم الّلي أضحاو للحياة، حدّ اثنين). وحفظنا (الاتّحاد عنواننا التّضحية شعارنا، الحرية غايتنا، حدّ اثنين). وحفظنا (طلع البدر علينا من ثنيات الوداع). وحفظنا أطيارة أصفراء تفكيض ثافرزاة أورثجيص ثادارث أثنها، وحفظنا أغاني "أيّما أعريزن أورترو.. . ماذ أثار أمثيدراغ" وحفظنا بعضاً من مقدّمات الشعر الجاهليّ، وما كنّا نُشفر مداليل ذلك المحفوظ، وما يشفع لنا أنّ ذلك المحفوظ كان رصيذاً أوّلياً لأوّل دخول مدرسيّ حكوميّ حدث في 2 أكتوبر 1963م تحت منظام أكاديميّة القبائل الكبرى. وأمّا معلّمنا المتطوّع، فله بعض الآداءات الصّوتيّة التي تختلف عن أداء منطقتنا، وحيث يستعمل التّاء المُرَقّقة التي تميل إلى السّين، ونحن نُقرّبها إلى الطّاء، إضافة إلى بعض الكلمات التي لها دلالة غير

دلالة منطقتنا، ومع ذلك آلفناه في نُطقه، وقد حفظنا الأبجدية العربية بهذا النمط النطقي والمنهجي التربوي لتلاميذ لغتهم الأم ليست العربية، وليس سهلاً أن نتعلم لغة بعيدة عن السلوك اللغوي اليومي، وكانت لغةً عَدَمًا في حُيُطنا. ولكن ذكاه الذي ربط الأبجدية العربية بوجود النقطة على الحرف، وعدم وجودها، وهو يقول خذوا عني ما أقول؛ وسوف تتعلمون ثاغرايث/العربية بسهولة:

- 1- العربية من الدين، فمن لا يعرف العربية ليس مؤمناً.
- 2- العربية سهلة ركزوا على موقع النقطة، وقد تكون فوق/أسفل الحرف.
- 3- هناك نقطة/نقطتان/ثلاث نقاط؛ وقد تكون أعلى/أسفل الحرف.
- 4- تابعوا الكتابة وفق ما ترونه من كتابته مثلي، بمصطلح (أكا) بمعنى (هكذا).
- 5- إعادة التشديد على النصيحة بقوله "اعلموا أن العربية فيها اثنان وعشرون (22) نقطة وإذا علمتم مواقعها فقد تعلمت العربية، وهي لغة الدين، ومن لا يتعلم العربية لا دين له".

وكل ذلك دفعنا إلى تعلّمها بحب وسرعة، لنكون من المسلمين، وتعلّمنا مواقع النقاط على الحروف بالبداية من (ألف أوريנקظ أرا) وأدرّكنا تشابه رسم الحروف، وكيفية التفريق بينها بالنقاط. وإنّها لطريقة سهلة محببة مع بعض الشروح التي يعطيها المعلم من ألفاظ الارتفاق ومن حياتنا اليومية، ويعطي لنا نماذج من أدائه وحركاته، ومن بعض الوسائل التي يستخرجها من جيبه وسائل توضيح، وكذلك يستعمل أسماء الحيوانات أو النباتات، وكل ما يحيط بنا من واقع؛ ليحصل لنا حسن الاستيعاب بربط الصوت بالصورة. ويقول:

- أَلِفْ أَرِينَقْظُ أَرَا = أ / ا. أكا

- أَلْبَا أَرِيوْثُ يِيوْثُ أَثْنَقِيطُ أَسْوَادَا = ب. أكا. أتا أَسْنَاثُ سُوْفَلَا = ث. أثا أَثْلَاثَا سُوْفَلَا = ث.

- أَلْجِيمُ ذَايَعُوْقُ يَسْعَى أَتْعَرِيقَا = ج. أكا. أَلْهَاءُ بَلَا أَتْقُطَا = ح. أَلْخَا يِيوْثُ سُوْفَلَا = خ.

- أَذَالُ ذِيْمِي يَلْدِينُ أَكَا = د. أَذَالُ يَسْعَا أَثْنَقِيطُ سُوْفَلَا = ذ.

- أَرَا إِسْرَحُ أَكَا = ر. أَرَا شَسْعَا أَثْنَقِيطُ سُوْفَلَا = ز.

- أَسِينُ ذَا كَرُوْشِي فُو أَثْلَاثَةُ وُوْكَلَانُ بَلَا أَتْقُطَا = س. أكا. أَشِينُ أَثْلَاثَا سُوْفَلَا = ش.

- أَصَادُ ذَا زَاغُورُ أَوْقَنْفُودُ = ص. أكا. أَضَادُ يِيوْثُ سُوْفَلَا = ض.

- أَلْعِينُ ذَقُوشُ أَوْقُحُونُ = ع. أكا. أَلْغِينُ أَبْلَا النُّقْطَةُ = غ.

- أَلْفَا ثَعْلَقُ أَكَا أَثْنَقِيطُ أَسْوَادَا = ف. أَلْقَافُ يِيوْثُ سُوْفَلَا = ف.

- أَلْكَافُ ذَا فَرِيْذُ أَيْدُورُ أَكَا = ك. أَلَامُ ذِيْفَلُوْ أَلْمَرْقَا = ل، أكا. مَا نَزْنَايَاسُ لَامُ أَلِيفُ شَسْعَا الْمَعْنَى = لا. أَلْمِيمُ

أَتِيطُ أَفَرُوحُ أَكَا = م. أُنُونُ ذَا اسْطَلُّ أَبَامَانُ يَسْعَا النُّقْطَةُ سُوْفَلَا = ن. أكا. أَلْهَاءُ سِينُ الْمِيْمَاثُ ثَا سُوْفَلَا أَثْثَا = هـ.

أكا. أَلَوَاوُ ذَا أَضْمَةُ مُقَرْنُ أَكَا = و. أَلِيَاءُ ذَا أَفَرِيْذُ أَمْرِيَانُ شَسْعَا أَسْنَاثُ أَثْنَقِيطُ أَسْوَادَا، أَكَا = ي، يَرْنَا ذَا.

- الخاتمة: وعندما برعنا في تعلّم رسم الحروف ونطقها كان هذا المُعلّم/الشيخ يُشجّع الذي لا يُحدّث الخطأ بحمله على أكتافه، ويدور به على مرأى كلّ التلاميذ؛ وهو يُردّد (أليف أوريثقظ أرا). ومن يحفظ الخطب دون خطأ يصحبه إلى الأسواق، ويريه للمواطنين وهو يُؤدّي الخطبة بطلاقة، على غرار ما كان يفعل بزميلنا (علواش ربيع) الذي يقرأ بطلاقة جيّدة خطبة (الحمد لله الذي بزغ فجر الجزائر) كما كان يُحفظنا تمثيلات باللغة العربيّة على لسان الحيوانات؛ ونؤدّيها أمام الزوّار الذين يقصدون القرية يومياً، وبأفواج من المهتمّين والمُعجبين والمُكتشفين لقرية كانت عدماً، وتفعل الإرادة عملها، ويصبح الشّباب كلّهم يتحكّمون في اللغة العربيّة بشكل جيّد. وتابعت القرية فعلها النّيل في تخرّيج دُفْعَات من المُعلّمين باللغة العربيّة؛ والذين سدّوا النّقص في كلّ قرى منطقة القبائل الكبرى في أوّل دولة الاستقلال، وما بعدها إلى بداية الثّمانينيات؛ لدرجة أن سُميت بمعمل تخرّيج المُعلّمين بالعربيّة.

ومن مدرسة/معهد بني عيسى أخذنا المبادئ الأساس التي فتحت لنا طريق المعرفة، وهي قاعدة متينة مكّنتنا من نيل المقامات في أن نرى جماعات من الخريجين يُصبحون من كبار رجال التّربية والعلماء والأطباء والمحامين والمهندسين والمحاسبين والفلاسفة والمسؤولين ورجال الأمن ذُكراناً وإناثاً، والذين أعلّوا العربيّة في بلدها، كما أعلّوا اسم (قرية السّماش) وأنعم بها من قرية! وأنعم بتلك الثّلة الأولى من المُعلّمين المؤسّسين، وهم من خريجي جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين!

دیسمبر 2024

اللسانيات الجنائية في عصر الذكاء الاصطناعي[♥]

- **الديباجة:** يحظى المجلس الأعلى للغة العربية برعاية خاصة في هذه الجامعة من قبل صاحب الحوكمة وأهل الحكامة، وحضور مكثف للطلبة، وإقبال كبير على هذا الموضوع المهم والجامع بين رجال اللسانيات والمعلومات، وأهل الاختصاص من رجال القانون والمُشتغلين في مجال الجناية والجريمة من الشرطة القضائية وما يدخل في باب البصمات بأنواعها: الصوتية والخطية والكتابية، وكل العاملين على تقصي الآثار الدالة على الفعل أو محاولة الفعل، من بصمات الأيدي وأفعال الكلام ومحيطات مقتضيات الحال والأحوال. وهذا ما يدل على حسن الاختيار للموضوع الجديد لهذا الملتقى الذي تقدمه النخبة العالمية من رجال الاختصاص في ميادين البحث العلمي/التقني/الجنائي، وما يدخل في فتوحات اللسانيات التي نالت مجالات عديدة، وهي أم العلوم المعاصرة؛ بما نالته من مقامات تداولية في اللسانيات التطبيقية التي أعطت نتائج معتبرة حيثما وقع تطبيقها.

1- **المقدمة:** علينا أن نعي أن المعركة التقليدية تقوم بين دولتين متخاصمتين باستعمال السلاح التقليدي القديم، والآن أضحي ذلك غير مجدي، فهناك سلاح آخر قد يكون سابقاً، أو هناك سلاح حرب الإشاعات والإشاعات المضادة، فمع تطور العلم وتقنية المعلومات، صارت الحرب مفتوحة على أكثر من جبهة منظورة وغير منظورة. وكل الأمور مفتوحة على مصاريعها، وهناك بوابة المعلومات التي تستخدم في كثير من القضايا باعتماد البرامج الإلكترونية التي تحمل المعلومات التي تستطيع السيطرة على الخصم بما تملكه من معلومات حوله، وما يمكن أن تعرف الكثير من أعماله وتصرفاته وأصحاب التأثير الجمعي فيه، وكيف يمكن التأثير فيه عن طريق محيطه. تلکم هي المعلومات اللسانية التي يحملها علم الجريمة عن الأشخاص والمحامين والساسة ورجال الأعمال وأصحاب القرار... إنها الآلة التي تحمل الذكاء الاصطناعي وكأنها المحامي الأمين على أسرار موكله تفتش بين معلوماته في القضية التي يرفع فيها دون خوف من النيابة العامة، وكأنها مؤسسة تملك القدرة التقنية في اتخاذ القرار؛ لأن التقنية قادرة على معرفة الوضع بكل محيطه وقادرة على تقديم الحلول، وكل ما له علاقة بالملفات المطلوبة. إننا مع الذكاء الاصطناعي، ومع حرب المعلومات التي تستعملها الآلة تحت مبرع البحث عن صدق المعلومات/دحضها، دون تدخل عامل البشر بشكل مباشر، وقد تخفى عليه أشياء/أو تعمى عليه معلومات، ولكن الآلة تكشف الحقيقة المخفية من وراء: معلومات سرية لا يعرفها إلا قلة من أصحاب الخلية الأمنية، وهنا مكن البحث الذي يطرحه هذا الموضوع اللصيق باللغة، واستعمال فعل اللغة في الجريمة وكيف يمكن تحديد معاني أفعال الكلام التي أنجزت من خلال تشفير قواعد اللغة من صوت وكتابة وترميز ومبنى ومعنى ودلالة مخفية تحت فعل التعمية المقصودة.

♥- الكلمة التي ألقيت لصالح مُلتقى (اللسانيات الجنائية في عصر الذكاء الاصطناعي) المنعقد في جامعة (مصطفى اسطنبولي) بمعسكر كلية الآداب واللغات، في إطار الاحتفاء بشهر اللغة العربية، بتاريخ: 54 / 12 / 2024م.

2- أهمية ما يعالجه هذا الملتقى: إنّ العلوم تتداخل في ما بينها وتتقاطع، وتتبادل بينها المنافع في عمومها وبخاصة تلتقي كثيراً في فروعها، ونرى الدراسات اللسانية تلتقي مع كلّ العلوم، وهي القلب المحرك لمختلف العلوم في وقتنا الحاضر. ويهمنّا في هذا الملتقى مصطلح (اللسانيات الجنائية) وهو فرع من اللسانيات التطبيقية ويعرّف بأنه "العلم القائم على دراسة النصوص التحريرية والشفهية ذات الصلة بالجرائم والخلافات القانونية أو المسائل المتعلقة بإجراءات التقاضي، أو ما يتعلق بلغة القانون، ومدى وضوحها، وكيفية إصلاحها وإتاحتها لفهم الأشخاص العاديين والمتخصصين على السواء". وتأتي أهمية هذا الملتقى إذاً في ما يعالجه من موضوع جديد يظهر في التعرف على أهمية اللسانيات الجنائية ومجالاتها، وأهميتها في الإثبات الجنائي، وأنّ اللسانيات متعلقة بمختلف الاختصاصات العلمية والإنسانية والاجتماعية، "وأنّ اللغة متعلقة بالعلوم الإنسانية، والعلوم القانونية ومنها (الجنائية) أقرب العلوم الإنسانية والاجتماعية باللسانيات. وأنّ علم اللسانيات الجنائي، يقصد به الاحتكام إلى اللغة والاستعانة بها باعتبارها وسيلة من وسائل إثبات تهمة ما أو نفيها. ويشمل علم اللسانيات الجنائية مجالات متعددة، تساعد في الكشف عن بعض الجرائم، وتساعد في نفي أو إثبات الأدلة". ومن هنا نعرف أنّ علم اللسانيات بصفة عامة واللسانيات الجنائية بصفة خاصة من العلوم اللغوية الحديثة التي أصبحت تشغل حيزاً كبيراً في أبحاثنا رغم قلة تطبيقاتها من خلال واقعنا، وفي مختلف السّاحات القضائية، والدوائر القانونية، وقد يكون هذا الملتقى عوناً كبيراً لبعض الدوائر الحكومية في ضرورة تسليط الأبحاث على اللسانيات الجنائية وصلتها بحقوق الإنسان، وما يمكن أن يقدمه المتخصصون في هذا المجال من عون في الدوائر القضائية لبعض الفئات الاجتماعية التي تعاني تحيزاً لغوياً، أو تمييزاً عنصرياً أو ضعفاً في لغة دولة التقاضي كحق من حقوقهم الإنسانية، حيث يعنى اللساني بكلّ عمليات التحليل اللغوي أو السيميائي ذات العلاقة بالحاكم وبخاصة تلك القضايا التي تتعلق بخطاب الكراهية/التهديد/الابتزاز/التعدي اللفظي/الاحتيال اللغوي... إنه ملتقى نوعي نروم أن يحقق الفتح الكبير للتقاضي اللساني الذي يصنع المختصين في علم الجنائية؛ وهو ميدان حديث يعمل على حماية المواطن من كلّ أشكال العنف اللفظي، وعن طريق طائفة القانون والعقاب، ويتربى المجتمع بعدم هدر حقوق الإنسان. وإنه أسلوب حديث من اللسانيات الوظيفية واللسانيات الاجتماعية، وزاها تسهم في تضيق الفعل الجنائي، وتزيد من فعالية حسن الأداء في السلوك اللفظي وفي تجميل طريقة التعبير والكلام.

3- علم اللسان: إنّ علم اللسان واسع، ومسّ مختلف المجالات والعلوم، باعتباره يشغل على اللغة واللغة أداة تواصل وتأثير وسلطة وتوجيه. وموضوع ملتقانا يتعلق باللسانيات الجنائية/اللسانيات القانونية، وهي فرع من اللسانيات التطبيقية، كما قلنا، وأنّ اللسانيات لها رؤاها وطرائقها وأسلوبها، وتمثّل في فهم لغة القانون الكتابية وفهم استخدام اللغة في العمليات القضائية والقانونية، وتوفير الأدلة اللغوية، مع ما يشترك/يتجانس ومجال اللغويات الجنائية مع العديد من الخبراء والباحثين في مجالات مختلفة. والمهم في الأمر أن يقع التركيز على اللغة التي تُستخدم في أيّ مجال، مهما كان نطاق عرض الأدلة/الحوار/الاستجواب/الاستنتاج/المقابلات/ملء الاستمارات... وذلك من خلال تحليل آليات أفعال اللغة التي استخدمت في النطاقات، والاجتهاد في

تشفير/تحليل كل أفعال الكلام من: ارتفاع الصوت/انخفاضه. الإجابة الكاملة/الناقصة. علامات التهرب/التلثم/التردد/المخادعة. صدق المعلومة/الكذب/التهديد. رسالة انتحارية/طلب الفدية... وكل هذه الأمور يفهمها المختص من خلال الاستنتاج/تشفير المكالمات، وغير ذلك من القراءات التي تكون مكتوبة/معمية... وكل هذه المسائل يعرفها أهل الاختصاص في ميدان الشرطة القضائية، ومن هنا تقتضي الضرورة البحثية التعامل البيني للوصول إلى استنتاج بيانات غامضة أو أريد إخفاؤها في أفعال الجرائم مهما كان نوعها.

4- خصائص الاختصاص: لا شك أن البحث في هذا المجال ظهر حديثاً، ويدخل في التوسع الذي تعرفه اللسانيات العامة، وفي ذات الوقت يحمل سياقات ظرفية متعددة تتعلق بالمرسل + المرسل إليه + الرسالة الكلامية وملابسات العلاقة بين الأطراف الثلاثة التي يجري بينها استخدام الأدلة اللغوية في الإجراءات القانونية من خصوصية في العلامات مهما يكن نوعها، وفي النزاعات وفي الأساليب القضائية وفي التعرف على الصوت من خلال الخصائص الصوتية. ولهذه الخصائص لا بد من لغة وبيانات تحتوي على نماذج للغة المنطوقة والمكتوبة يتعرف عليها الذكاء الاصطناعي الذي يعمل على تحليل اللغة في علم الأصوات اللهجي التي تحتوي على كل الاحتمالات التي تقتضيها مسائل التصريحات والمقابلات وكل المركبات اللفظية/المسكوكات اللغوية/التهديدات/الرسائل المستخدمة في اللسانيات الجنائية.

وإن الخصوصية هنا تكمن في اللهجة الفردية وصعوبة الوصول إلى البيانات المتجانسة والتغيرات الاجتماعية واللغة تعرف متغيرات، كما تعرف صناعة وانتحالاً، وبخاصة إذا كان المستجوب على دراية بفعل المستجوب له. هي خاصيات يصعب على الآلة التعرف عليها إلا بوجود مدونات كثيرة تشمل مختلف المتحدثين بأشكالهم اللغوية ومن مختلف المصادر، وما له علاقة بالوثائق في معظم القضايا الجنائية التي تكون في إطار قضائي لكي يبنى عليها ويتم تحديدها تحديداً موثقاً. وكل هذا يحتاجه الباحث في ميدان اللسانيات الجنائية للوصول إلى بناء قاعدة بيانات، وترميز خاص، وما يدخل في قياسات الألفاظ ونظريات الإحصاء، ومنهج تحليل العامل، وما يبنى عليه الافتراض أن لكل متحدث عادات متعددة فريدة، لذا؛ فإنه ليس هنالك أي فرق بين خطاباتهم وكتاباتهم. ويميل المتحدثون إلى استخدام كلمات من حرف إلى ثلاثة حروف في جملة واحدة، أما خطاباتهم فتشمل كلمات تبدأ بحرف علة.

5- اللسانيات الجنائية في عصر الذكاء الاصطناعي: إنه لمن الأهمية بمكان أن ينتصر البحث العلمي في هذا العصر، ويكون لصالح رفاهية الإنسان، بما له من تطوير آليات الذكاء الاصطناعي الذي تكون فيه الآلة في خدمة الإنسان. ونظراً لتوسع الأبحاث وكثرة الباحثين، وسعي العالم نحو الرقمنة واقتصاد المعرفة، وصفر ورق وسرعة الأداء، بأقل جهد وتكلفة؛ فإن اللسانيات الجنائية تستدعي توظيف آليات الذكاء الاصطناعي لحماية حقوق الإنسان، والتقليل من النفقات، والتقاضي عن بعد، وكذلك العمل على تحديد الهويات، والعدد والمسافة، والأماكن... وكذلك التعرف على الجناة والسرقات، وكل ما له علاقة بالتقاضي، فلا بد من أسلوب وطريقة جديدة يستدعيها الظرف الحالي لتحديد: الصوت + المحتوى + المعنى + المبنى + هوية المتحدث + الهاتف +

المكان+ الزمان+ الوسيلة المستعملة+ الفضاء+ البصمات... وهذا من أشياء تتحكم فيها الآلة بسهولة. هي رفاهية حديثة تقدّمها الآلة لصالح الإنسان، وتعمل على حمايته من كلّ أشكال العنف والابتزاز والسّرقاات الفكرية وكلّ أشكال التهديدات... هو كلام كثير يمكن أن يقال في هذا المجال، ولكن تبقى الكلمة للمختصّين الذين نروم أن ننتج معهم ما يمكن أن يعمل على تطوير هذا المجال لنجاح صناعة اللّسانيات الجنائية في عصر الذّكاء الاصطناعي، بضرورة:

5/1- الدّعوة إلى تأسيس لمهام عالم اللّغة الجنائيّ: وهو ما ندعو له في إطار توسيع مجالات اللّسانيات، بما نعرفه من ملاح واستخدامات اللّغة في تراكيبها، وما نعرفه من تعمية وتلهيج وتحوير ولحن وتشفير، وكلّ ما يطرح عليها من طلاس تخفي الحقيقة. ولا بدّ من مُتخصّصين في هذا المجال للرّقي بهذا الاختصاص الذي نفتقده في الوطن العربي، وفي مجال اللّغة العربية.

5/2- إنتاج برمجيات في تحليل الخطاب: سواء المنطوق والمكتوب، واللهجي والفصيح، ولغة الإشارة وكلّ ما له علاقة بأشكال التّعمية، وما تقتضيه التحاليل السّرية الدّقيقة في مختلف الاستدلالات المقامية ومقتضيات الحال والأحوال، وما له من علامات وتضاد وشارات وإشارات وتضليل وترميز وعلامات إثروبولوجية.

5/3- إنتاج برمجيات مُتخصّصة ودقيقة في وظيفية أجزاء الكلام من خلال استخدام الشّرح والتّفسير والتأويل وكلّ مُتعلّقات الهرمينوطيقا والسّيمياء. إلى جانب التّعمق في علم اللهجات اللّغوي، لما يقدّمه هذا العلم من منهجية تستند إلى معلومات أنثروبولوجية وجغرافية مناطيّة بما لها من أطالس لغوية خاصّة. واعتماد علم النّفس الجنائي الذي يعتمد في المرافعات القضائيّة بخصوص ارتكاب الجرائم التي فيها نوع من المسكوكات اللّغوية التي لا تشفر إلّا من ثقافة لغة المنطقة التي أنتجتها.

5/4- ضرورة تطوير علم الأصوات القضائيّ: وهذا من عمل الشرّطة القضائيّة؛ بالعمل على التّعرّف على النّسخ التّسجيليّة عن معلومات عن الخلفيّة الاجتماعيّة والإقليميّة لأحد المتكلمين. ويمكن أن يحدّد علم الأصوات القضائيّ أوجه الشّبه بين ناظقي تسجيلين أو أكثر، كما يمكن أن يكون التّسجيل الصّوتيّ مصحوباً بالنّسخة الكّابيّة. وما أحوّنا إليه في هذا الوقت الذي يتنامى فيه خطاب الكراهية عن طريق الفيديوهاات وكلّ وسائل التّواصل الاجتماعي.

5/5- ضرورة إضافة مفاهيم جديدة للّسانيات الجنائيّة: من مثل البصمة اللّغوية، وسبق أن عاجلها المجلس الأعلى للّغة العربيّة في ملتقى خاصّ بذات العنوان (البصمة اللّسانية) المجلس، 2023م. وفيه دعوة إلى طرح بدائل ذات العلاقة بالتّعرّف على أسلوب الكاتب/نوع الخطّ/العلامات المستخدمة/البصمة الكّابيّة... وكلّ هذه البصمات يمكن تمييز أسلوب شخص عن شخص، وبها يمكن بناء نمط اللّغة المدججة بناء على بصمة لغويّة لشخص عن طريق التّفاعلات اليوميّة للفرد، وما له علاقة بالمتغيّرات الظّرفيّة والعلامات الفسيولوجية.

5/6- بناء لغة النصوص القانونية: ويشمل ذلك اللسانيات الجنائية في جزء كبير من مجالات تطبيقها، على دراسة النصوص القانونية أو القضائية من زوايا مختلفة منها "نوع النصوص والتدرج المنطقي اللساني في الأحكام القضائية، إضافة إلى تحليل الكلمات المستعملة ودلالاتها المعجمية والنحوية والسياقية". ولا بد من الإشارة هنا إلى اعتبار أي نص من نصوص اللغة نصاً قضائياً يخضع للسياق الذي يرد فيه، ويأخذ معناه من سياقه.

5/7- العمل على احترام خصوصيات اللغة القانونية في الدقة في صياغة الألفاظ، وفي التعبير عن المفاهيم بكيفية واضحة، والابتعاد عن الغموض والحشو واستخدام المجاز. ومع ما تعرفه اللسانيات الجنائية من ضعف الوضوح وعدم البساطة، ولكن على المختص أن يكون على دراية بأسس فقه اللغة في دقته واستخدام الألفاظ حسب معناها وفي موضعها. ولا بد من البساطة والوضوح كي تفهم تلك الألغاز التي تأتي من الجاني أو المخفي للحقيقة، وربما نقول "وبالضد نعرف الأشياء". وكذلك اعتماد الإيجاز والاختزال والدقة، وهذه طبيعة اللسانيات الجنائية التي تبتعد عن الألفاظ الغريبة والمعقدة.

5/8- حفظ الملكية الفكرية والعلامات التجارية: وهو حق تحفظه براءة الاختراع والسبق، وما يأتي عن طريق التصريح والشهود، أو ما يشهد على عكسه الانتحال أو السرقات الأدبية/العلمية.

- الخاتمة: إنه لقمين بنا أن نؤسس لهذا الاختصاص من هذه الجامعة، وندعو المختصين في تركيب المعرفة في مجال اللسانيات الجنائية، بتضافر جهود كل الشركاء الاجتماعيين؛ وذلك في مجال استخدام خبراتهم في علم الصوتيات والبرامج الإلكترونية المتخصصة، مع توسيع مجالات الذكاء الاصطناعي في التعرف على السمات الصوتية والكتابية والأسلوبية والعمر والجنس والعوامل العرقية والثقافية والمنطقة واللغة الأم، ولغة المدرسة... وهذا ما يجعل التحليل التي تقوم بها الآلة تكون صادقة، وتصل إلى اكتشاف الجاني بسهولة، وتعطي بدائل العلاج في أحوال تقتضيها أحياناً بعض القضايا. إنها البصمات التي نريدها أن تكون في هذا الاختصاص في استخدام الأساليب التقنية التي يدركها رجال المعلومات في صناعة الوصول إلى الحقيقة عن طريق الذبذبات ومُتعلقات الكتابة، وما تطرحه نظرية التفريد الجنائي في بصمة الإصبع، والحال أن لكل شخص صوته وخصائصه الفردية في كل أموره، وهذا ما يمكن أن تميزه الآلة فقط، فلها تلك الدقة العالية في التفريق بين المتشابهين.

اللغة العربية والتحول الرقمي ♥

- **الديباجة:** إنه عصر الرقمنة والتحول الرقمي، ولا بدّ لنا -نحن المشتغلين على تطوير اللغة العربية- من إلزامية إعادة النظر في استخدامنا للغة العربية، لأنّها الكنز المدفون الذي لم نعرف قيمتها/قيمتها، كما لم نجتهد في تجديدها بمُتوافقات العصر، وبما يحافظ عليها وعلى سلامتها، وما يعمل على حسن استعمالها في أوطانها، وأهمية امتدادها خارج أوطانها، وبما يجعل لها قيمة عند ناطقيها، وهي لغة العالمين. والعربية فرض عين علينا في المحافظة عليها كما نحافظ على صفاء عيوننا، وتقتضي المعاصرة ضرورة إقامها في التحول الرقمي الذي يجعل لها موقعا بين اللغات العالمية المتصدرة، وهي لغة أُمّية ولغة ديننا وأجدادنا، وإنّها لأمانة في أيدينا. وإنّ التحول الرقمي لا يعني إخراج لغة جديدة ضمن آليات التقانة، بل هي عمليات تحويلية للغة الحالية بتطبيق تكنولوجي بطرائق حديثة تستفيد منها الآلة، وتفيد مستخدميها من خلال خدماتها السريعة ببرمجياتها الآلية، وتعاملها في تصور جديد في الجوانب العلمية والتيسيرية والتيسيرية، وفي تسهيل مختلف العمليات التي كانت الموارد البشرية تقوم بها وتكون البرمجيات بديلاً عنها. وكلّ هذا ليس من ماء البحر الذي لا يُشرب، بل يحتاج إلى رؤية مُعاصرة للغة العربية؛ وهي تُمارس في الاستعمال اليومي ليس إلّا، ومع ذلك يتطلّب منّا بذل مجموعة من التحديات في دافعية العصر الرقمي، بترميز الحروف، وتشجير خصائص فقه اللغة العربية، وتوظيف العوامل الداخلية بشكل صحيح نعرّف عليه الآلة بالتشفير، وكذلك تغذية الحواسيب الجبارة في قراءة النصوص العربية بالمحتوى الرقمي، وجعلها تُمارس البرمجيات التي تنطبق على كلّ اللغات الطبيعية.

1- **معنى التحول الرقمي:** ولنتحدث عن التحول الرقمي، كان علينا توضيح قاعدة هذا التحول، وهي (الرقمنة) التي تعني برجة ذكية، وتحويل كلّ شيء حولنا كان مكتوباً إلى شيء إلكترونيّ أو آليّ، مما يساعد في "توفير مساحات تخزين، وتخفيض تكاليف الطباعة والورق والحبر، وتوفير الوقت والجهد لدى المستخدم، وتسهيل عملية الأرشفة، وبحث وفرز الملفات المختلفة، وأيضاً توفير فرص أكبر للتوسع والانتشار، والحد من الروتين". إذن تعني هذه القاعدة (الرقمنة) برجة اللغة العربية حاسوبياً؛ من حيث تشكيل النصوص والكلمات بكفاءة عالية، وأيضاً قراءة اللغة العربية وكتابتها آلياً، وهذا كلّ من أجل تمكين البرمجيات المختلفة على متجر جوجل مثلاً/APPstore، من استعمال العربية بسلامة سواء في الترجمة الآلية/هندسة/ترميز/تشفير... بما هو معمول به في اللغات اللاتينية؛ أي هندسة التطبيقات المختلفة التي تعمل باللغة العربية وبرمجتها بشكل آلي؛ بحيث يمكن للآلة أن تنطق وتكتب اللغة العربية بشكل سليم وبكفاءة عالية وبجودة متميزة. هي قاعدة توطين المعرفة التقنيّة التي تحتاج أن تُؤسس على الصناعة الحرفية، والترجمة الآلية، وتضخيم المحتوى الرقمي العربي السليم في مواقع أنماط الشبكة وفي الفضائيات المختلفة، بالإضافة إلى استعمال فعليّ للعربية في برامج الأطفال والبرامج

♥- الكلمة المُعدّة في إطار (شهر اللغة العربية) 11-18 إلى 18 - 12- 2024م. وتخصّ كلّ من: المركز الجامعي صالحى أحمد بالنعمّة+ جامعة تمّراست+ المركز الجامعي مُرسلي عبد الله بتيبازة.

الاجتماعية، وما له علاقة ببرامج المرأة؛ بالإضافة إلى عقد شركات دولية لموقع العربية التي نروم ممارستها في المصالح المرسلة عالمياً. ولهذا تحتاج العربية إلى معالجة كل الظواهر اللغوية التي تسمح لها بالتطوير والحوسبة التي تكون قاعدة انطلاق صحيحة، وذخيرة لغوية تتغذى منها البرمجيات في التحوّل الرقمي المنشود. والمهم الوصول إلى وضع بذرة تأسيس مجتمع عربيّ معلوماتيّ متطوّر، وإلى صياغة جوهر الفكر المعلوماتيّ والرقميّ. وأما المقصود بالتحوّل الرقميّ فهو عملية تطبيقها المؤسسات لدج التكنولوجيا الرقمية في جميع مجالات الأعمال أي تقنيات رقمية مبتكرة لإجراء تحولات ثقافية وتشغيلية تتوافق بشكل أفضل مع متطلبات العملاء المتغيرة. وتكمن أهميته في كيفية الإجراءات والمهارات والتقنيات الجديدة للحفاظ على القدرة على المنافسة في عالم التكنولوجيا دائم التغير. وله مزايا تحسين الإنتاجية، وتحسين الخدمات عن قرب وعن بُعد، وتطوير تطبيقات وتدفقات عمل للأجهزة المحمولة، واعتماد تقنية الاستشعار الذكي لأجل تتبع الطلبات، وتنفيذها بطريقة أسرع، واعتماد الذكاء الاصطناعي بالأتمتة في سحابة Honogramme، وما يتبع ذلك من تخفيض التكاليف بكل أنواعها.

2- الفرق بين الرقمنة والتحوّل الرقميّ: إنّ الرقمنة قاعدة أساس للتحوّل الرقميّ؛ باعتبارها عملية تحويل الجوانب المادية إلى تنسيق رقمي في نظام الحاسوب لاستخدامها بطريقة معلوماتية؛ يعني تحويل النماذج الورقية إلى بيانات رقمية في التحليلات وذكاء الأعمال، ويتمثل ذلك في تحديث الأنظمة الكتابية القديمة المكتوبة بالآلة البرازيلية/خط اليد، وهذه الخطوة الأولى التي تقود إلى تحوّل رقمي ثقافي/مؤسسي يكون متاحاً في الشبكة ويستعمل من كلّ من يهّم الأمر في إجراء الدراسات أو الاستعانة بها في الوصول إلى بيانات، وقضاء المصالح بأقل جهد وتكلفة. ولهذا يتفوّق التحوّل الرقميّ في أنّه يسدّ فراغات لم تكن في الرقمنة على غرار: التعامل مع الوكلاء/العملاء + ابتكار الأعمال التي توجه التحوّل الرقميّ + إنشاء الحاضنات + صناعة الابتكار وبراءات الاختراع + خلق الحوكمة وقيادة الحكامة + إبداع الأعمال الاستباقية في التخطيط + استكشاف تقنيات من عديد الزوايا. وما يقدمه التحوّل الرقميّ كثيراً جداً في سرّ النجاح والعمل الجماعي في الإبداع. وما يمكن العول عليه في مجال التحوّل الرقميّ بخصوص خدمة العربية هو "تحويلها إلى لغة قادرة على مواكبة التطوّرات العلمية والرقمية المتسارعة، وتوطين العلم والمعرفة الرقمين، من خلال الإنتاج والترويج. وقد اهتم دارسو اللغة العربية بهذه الجزئيات الخاصة باللغة سواء أكانت كتابية أم شفاهية، خاصة ما يرتبط بالوجود الجديد في العصر الرقمي والثورة المعلوماتية... ولا يقف دور الوسيط الرقمي المغاير عند حدود الخلخلة في طبيعة العرض أو التلقّي أو تسريع وتيرة المواجهة الساكنة أمام شاشة زرقاء، وإنما يأخذ تأثيره في العلوم العربية والإسلامية مدى واسعاً. ففي العلوم المتصلة بالدّرس الأدبي أو النقديّ يستطيع المتأمل أن يقف عند منعطفات جديدة وثيقة الصلة بهذا الوسيط، مثل الرواية التفاعلية، أو الرواية الرقمية، وولادة أشكال إبداعية كتابية جديدة، ترتبط بالمُجَنَّة والتنازع وفق منظومة الأنواع التقليدية، وتحتاج -والحال تلك- إلى مقارنة جديدة، وإلى نظرة تصنيفية جديدة... ويمكن تأمل دور الوسيط الرقمي في إسدال نوع من المغايرة على جميع

العلوم العربية... وتصبح الثقافة في معناها الواسع، والهوية الثقافية واحدة من الجزئيات التي تتأثر تأثيراً واضحاً بفاعلية العصر الرقمي، لأن هذا الوسيط الرقمي أتاح الوجود المباشر لسلطة الهيمنة الثقافية، فأصبح العالم مقسماً إلى ثقافة عالمية مؤثرة ومهيمنة نظراً للنسق الاستهلاكي غير المشارك في الإنتاج، وإلى ثقافة محلية تابعة يقف فعلها عند حدود التأثير والتقليد". ونفيديكم بالفروق الدقيقة بين المصطلحين من خلال هذه الترسيم:

هناك خلط كبير يقوم به بعض الباحثين في مسألة وضع المصطلحين: الرقمنة والتحول الرقمي ورأيت ضرورة وضع هذه الترسيم للتفريق بينهما. ومن الضروري أن يكون الباحث على دراية بالفروق الدقيقة بينهما، رغم القواسم المشتركة.

الرقم	الرقمنة (ر)	التحول الرقمي (ت ر)
1	لغة: إعطاء الرقم. تحويل الجوانب المادية في عمليات الأعمال وتدفعات العمل إلى جوانب رقمية، مع إمكانية السحب الورقي	لغة: عملية تطبيعها المؤسسات لدعج التكنولوجيا الرقمية في جميع مجالات الأعمال بالتخلص من الورق
2	قاعدة الفتوحات التقنية الحاملة للبيانات	اعتماد كلي على بيانات القاعدة، وتطوير للقاعدة
3	برمجيات وخوارزميات لكل اللغات الطبيعية	تحويل أعمال المؤسسات إلى نماذج أعمال يعتمد على التكنولوجيات الرقمية في تقديم الخدمات
4	(ر) بابها للأنشآت، وميدانها اللغة	(ت ر) بابها الرياضيات، وميدانها استثمار في الأنشآت
5	العمل في إطار الهندسة اللغوية، وقواعد البيانات المعجمية	وضع مدونات لغوية بالمحتوى الرقمي على غرار المعاجم والموسوعات والمكتبات الرقمية
6	الاعتماد على مدونات التأصيل في اللغة: دلالة وصرفاً ونحواً ومُعجماً، المخزنة في الحاسوب	الاعتماد على الموسوعات والمصادر المفتوحة/ MOOCs (Online Courses Massive Open غير المخزنة في الحاسوب
7	السعي لاقتصاد المعرفة وتطويرها	السعي لاقتصاد السوق بغية الربح
8	نمذجة لتطوير المحتوى الرقمي	تشبيك في المحتوى الرقمي
9	التشغيل الفردي بتوفير الوقت والجهد، مع ضمان أمن المعلومات	التشغيل البيئي، مع ضمان التدقيق وعدم التلاعب، وحفظ المعلومات بصرامة
10	معرضة للقرصنة، ومخاطرها ليست ذات أهمية قصوى	معرضة للقرصنة أكثر، وخرقها مسألة جد خطيرة، ولا بد من أمن صارم
11	أعمالها حول الواقع والمستقبل القريب	أعمالها في مآلات المستقبل في الغالب في الحوسبة السحابية
12	تقديم خدمات للفرد/ للجماعات	تقديم خدمات للمؤسسات/ للجماعات/ للأمة وحسب العرض والطلب
13	(ر) أفكارها في معالجة الواقع بتخفيف الإجراءات الروتينية. وخدماتها على هيئة	(ت ر) أفكارها في معالجة ما سوف يحصل لاحقاً: تشبيك وسائل النقل+ منصات المدن الذكية+ بلوك تشين... وخدماتها اقتصادية نفعية
14	تطور لغوي داخل اللغة ذاتها	تطوير تكنولوجي رقمي في اللغة وملاحقتها
15	اعتمادها على الورق، وتصوير الورق	الوصول إلى صفر ورق
16	المخطوط فيها تصوير فقط، غير قابل للتصرف	المخطوط قراءة ذكية من برمجيات ذكية على غرار Umeka
17	بدل نوعي عن الآلة البرازيلية لعام 1947م	استثمار وتطوير في تقنيات الحاسوب
18	الرقمنة قضية أفراد/ مجموعات واتساب/ فيسبوك/ تويتر/ أنستغرام/ تلغرام...	التحول الرقمي قضايا وزارات ومؤسسات وشركات
19	(ر) من متطلبات الأفراد: حاسوب+ شريحة+ خادوم/ Modem	(ت ر) من متطلباتها: خادوم+ منصات+ برمجيات+ ملحقات أخرى على غرار Datacenter
20	أنظمة أساسية ملحقة بالحاسوب+ أنظمة مركبة حسب طبيعة عمل الباحث، وغالباً تطورها بعلي	أنظمة ذكية جتارة، مع منصات حسب عمل المؤسسة/ الشركة/ المطبعة/ برمجية التفسير الآلي لنظام ما... وهي متطورة باستقرار
21	كتابة آلية بمحولات الحاسوب: pdf/ word	إجراءات عمليات التحويل لصيغة pdf إلى Word وإعمال الذكاء في طلبات قراءة النص المحول
22	تقنية المسح الضوئي (تصوير) وإمكانية التعليق	إجراء عمليات التعرف البصري على الحروف بنظام OCR/ Optical Character Recognition
23	استخراج ملفات من الخزون الشخصي/ وإرسالها عبر وسائل التواصل	استخراج وثائق إدارية عن بُعد، وفي أي إدارة/ مكان
24	كتابة/ نسخ نصوص قابلة للقراءة والنسخ مع بعض التعديلات والإشارات بخصوص علامات الوقف والأخطاء القائمة	تحويل صورة نص إلى تنسيق نصي قابل للقراءة آلياً من مثل: Excel أو PowerPoint مع تدخل المحلل الصرفة+ المشكل الآلي+ المدقق التحويلي+ المحلل التحويلي
25	كل الوردكاسات+ الفيديوهات+ وتلك المحاضرات التي تأتي عن طريق: التلغرام/ الفيسبوك/ تويتر+ أنستغرام... (ر)	كل تعديل/ إضافة لهذه الوسائل من مثل: الترجمة+ تعليق صورة+ تحسين الإخراج/ الصوت/ كميته... (ت ر)
26	السعي لتحقيق نظرية الأقل جهد	السعي لتحقيق الرفاهية الجماعية
27	تحقيق العمل الجيد بأسرع وقت	تحقيق الجودة بتقليص الزمن والعمالة
28	تحقيق الحوكمة، وإنتاج أفكار	تحقيق الحوكمة والحكامة، واتخاذ قرار
29	طريقة في المحافظة على الأرشيف	المحافظة على البيئة

3- استراتيجية التحوّل الرقّي: وكلّ ما في الأمر يحتاج إلى خطة مفصّلة على الآماد الثلاث: السّريع + المتوسّط + الطّويل؛ هي آماد تحصل فيها أولوية الأولويات في مكوّنات الاعتبار ذات العلاقة بالحوكمة والحكامة والعمالة لقيادة التحوّل الرقّي، ثمّ التخطيط والاستثمار والمال، ثمّ المتابعة والمراجعة والقياس، وما يدعم أدوات وعمليات التحوّل، ثمّ الموارد الخارجيّة والخبراء الأجاب للاستفادة من خبراتهم في كلّ عمليات التّحسين. وإنّ الاستراتيجية تتطلّب هنا تخطيطاً في مؤشّرات الأداء، وتسريع النّقلة نحو الرّقنة في المؤسّسات بخريطة وطنية لتنفيذ التّكنولوجيا الرّقمية وفق تقنيات الأجهزة المحمولة وتطبيقاتها الجبّارة، وما يتبع ذلك من مستشعرات ذكية تتصل بالشّبكة وتجمع البيانات، وتلحقها التقنيات السّحابية والتّخزين، وكلّ المؤشّرات التي يبنى عليها مشاركة العملاء، ومن ثمّ اتّخاذ القرارات. ولهذا تفرض الاستراتيجية نقلة في الإغماس في منظومة الذّكاء الاصطناعي، وتقنيات الروبوت بغية تحسين استراتيجية التحوّل الرقّي. ولا يكون ذلك وافياً ومجدياً وناجحاً إلّا بإطار عمل التحوّل الرقّي بتخطيط إدارة التّغيير من خلال تحديد أفضل الممارسات والإجراءات للقيام بإدارة التّغيير بكفاءة وفعاليّة، وتحقيق المكتسبات التي تعمل على تحقيق التّقدّم خلال مراحل التحوّل الرقّي.

4- فوائد التحوّل الرقّي: لا أريد أن أسرد فوائد جمّة يدرّها التحوّل الرقّي بما أنّه ضرورة وجود وبما له من "تقنيات واسعة في التّطبيقات والبرامج، وقدرات الشّبكات، والذّكاء الاصطناعي، والتّعلّم الآلي والواقع المدج والافتراضي، وتقنية الاستشعار، والتحليلات المستندة إلى الفيديو، والسّحابة..." والقضية هنا أنّ التحوّل الرقّي تقنية محدّدة إلزاميّة لتحقيق نقلة جديدة لنا بلغتنا، وعلينا فقط اختيار التّكنولوجيا المناسبة لخصائصنا في ميدان التّنمية، ولغتنا التي نريد أن لا نبتعد عن مسك السّجلات الورقيّة إلى دمجها في البيانات المحوسبة، وتنفيذ الروبوتات والذّكاء الاصطناعي والتّعلّم الآلي؛ وتركيب مستشعرات البيانات التي تنقل المعلومات كلّها بالعربيّة السليمة، وبتحوّل مادي مقبول يستجيب لعامل الإدراك اللّغويّ وتمكين العربيّة على القيام بأدوار علماء البيانات وتحليلها علمياً وثقافياً في العالم الرقّي.

هي فوائد كثيرة تعمل على نقلة جديدة في عالم تكنولوجيا الاستثمار اللّغويّ مع الآلات الذّكية التي تقوم بأدوار خلق فرص التّنافس، والوقوف بالندية أمام التّغول اللّغويّ للغات الهيمنة. ولا يقف الأمر في هذه النّقطة بأنّ الفوائد جمّة، بل إنّ المستقبل للتحوّل الرقّي وستكون له الاستراتيجيات والأهداف وفرص الاستكشاف وسوف نتلاحق مع تحديات الأعمال الحاليّة، كما أنّ ملاحقة الجديد يدفعنا إلى سلسلة مترابطة من حالات الاستخدام اللّغويّ إلى النهوض بلغتنا في ظلّ تطوّر اللّغات والتحوّل الرقّي سوف يعطي لها نوراً لتعميمها وانتشارها وحسن تدريسها، وبخاصّة موقعها العالميّ في المنظّمات الدّوليّة، وهي لغة أميّة. ولنجاح هذه الاستراتيجية المتصورّة، والتي عرفتها اللّغات المتقدّمة، كان علينا العمل على حلحلة القضايا العالقة في اللّغة العربيّة، وعلاج مسائل (التّحديات).

5- تقديم أفكار في حلّ التّحدّيات الحديثة: لا بدّ من علاج فقرّ موقع العربيّة في التّحدّي الإلكترونيّ والذي يعود إلى ضعف مخرجات البحث العلميّ العربيّ في التعاطي مع البيانات الرّقمية من حيث التّجديد والتّحديث والابتكار؛ بدءاً من مواصفات الحروف العربيّة بما لها من خصائص، وقلة توظيف بيانات المنظّمة العربيّة للمواصفات والمقاييس/ASMO وجمع Unicode المتعلّقة بشفرة كتابة اللّغات العالميّة، وكذلك ما وضعته منظّمة ISO بخصوص الجودة في الكتابة. وفي هذه النّقطة هناك مُشكلة التّعريف الضوئيّ على الحروف/OCR ولا بدّ من ذكاء اصطناعيّ للتّعريف على الحروف، وقراءتها بأشكال مطلوبة، بغية إجراء عمليّات الأرشفة والتّخزين وقراءة المخطوط، ولا بدّ من ميكنة الكتابة العربيّة ميكنة جديدة، وبمّسح ضوئيّ للعربيّة بطابعها التّرابطي، وبما لها من عمليّات الاشتقاق والمُشترك اللّفظي وغير ذلك من أنماط الكتابة العربيّة. هو تحدّي رقم واحد لربح معركة "المحتوى الرّقميّ مع الفضاء الرّقميّ العالميّ"، والدليل على ذلك النّسب المتدنيّة لتواجد المحتويات العربيّة على الشّبكات مقارنة بلغات مهيمنة لاتينيّة وآسيويّة تقلّها انتشاراً وعراقاً.

ويجب أن نعلم بأنّ التّرميز للحروف يُمثّل ركيزة أساسيّة في تطوير العلوم والتّكنولوجيا لجميع اللّغات؛ وبخاصّة وأننا نهتمّ بقطاع تكنولوجيا المعلومات والاتّصال، ويقتضي منّا ذلك تطوير معايير عربيّة حديثة تمشي والتّطوّرات العالميّة لتكنولوجيا المعلومات والاتّصالات. وبذا نرى أنّ أهمّ تحدّي في العصر الرّقميّ هو ترميز الأحرف العربيّة، ولذا نرى مضايقات في مجال التّعامل مع اللّغة العربيّة بخصوص التّرميز المقنّن للمحارف مع صعوبات صياغة الواجهات التّطبيقية للبرمجيات وهي بحاجة إلى إعادة النّظر في مدى تطابقها مع الخصوصيات الحضاريّة واللّغويّة للمستخدمين النّاطقين بالعربيّة. والتّحدّي الموالي هو ضعف المحتوى الرّقميّ العربيّ على الشّابكة، وتشهد على هذا الضّعف تلك النّسبة البسيطة 3% من مجموع المحتوى العالميّ. رغم أنّ شكوكاً كبيرة حول هذه النّسبة تُطرح وهناك دراسات تشير إلى أنّها جدّ متقدّمة في الشّابكة، ومع ذلك نقرّ بضعف المحتوى الرّقميّ، وكان علينا التّفكير في قلة تواجدها الفعليّ للنّسب العاليّة من تصفّح القارئ العربيّ للمواقع اللّاتينيّة هذا من جهة، ومن جهة أخرى؛ فإنّ المحتوى الرّقميّ العربيّ الموجود كثيره مكرّر، والمكرّر غير محسوب، وأنّ ما يوجد في شبكات التّواصل الاجتماعيّ لا يعتدّ إلّا بالفصح، وما له علاقة بالأسلوب العلميّ، وغياب إعلانات الشركات العالميّة العربيّة بالعربيّة، وكلّ ذلك لا يبني الشّبكات الدّلاليّة التي يبني عليها اليوم مجتمع المعرفة. وتحدّي ثالث في مشكلة المصطلحات والشّبكات الدّلاليّة العربيّة لجعل العربيّة مندمجة بسهولة في المعالجات الدّلاليّة على الشّبكات الرّقمية ومتعلّقات التحليل الصّرفيّ + النّحويّ + المشكّل الآليّ + المدقّق النّحويّ + التّرجمة الآليّة + الذّكاء الاصطناعيّ... هي تحدّيات ومضايقات في المجالات المعرفيّة الحديثة التي لم تسدها العربيّة بشكل كبير، نظراً لقصور أداء الجامع في الفضاء الرّقميّ وغياب تنسيق المصطلحات، وعدم ملاحقة آليات الحداثة من قبل الدّول العربيّة مجتمعة، فهي تتحمّل تبعات هذا التّأخير.

وهناك مشكلة/مسألة أخيرة وهي فرض النطاق اللاتيني، وتعرض اللغة والكتابة العربيتين؛ وهذه المسألة تعود للغلبة اللغوية أو للسبق الشبكي، أو لقوة الاقتصاد الأوروبي/الأمريكي، وكان من الأجدى الوصول إلى الموارد الرقمية بنطاقات التنوع اللغوي المنشود على الشبكة، ولكن لم يحصل بهذه الهيمنة للإنكليزية/الأحرف اللاتينية. هي جملة التحديات التي تحتاج منا إلى تقديم أفكار تعالج وتقدم أفكاراً تزيل الانقسام اللغوي وضعف مستوى الفصحى، وما نتداوله الخاصة من أخطاء، وراهنها يعيش نَحراً في جسدها، ونحن ندري أنه لن نحصل لنا التنمية المستدامة إلا باللغة العربية الفصيحة، ولكن لم نستغل تلك الطوعية التي تعرفها العربية وهي تُمارس في خطابات متعددة، وعلى مستويات مختلفة، وكما نعلم أن العربية عماد الثقافة العربية الإسلامية وهي مرتبطة ارتباطاً قوياً بالهوية التي لا غنى عنها. كما أن النهوض لا يحصل لنا إلا بالعربية و"في مجالات العلوم والتكنولوجيا، ولا يكون ذلك إلا من خلال تطوير برامج وتطبيقات تعليمها، ليستفيد منها كل راغب في تعلم لغة الضاد، وتستفيد منها حتى الجامعات في مناهجها الدراسية".

6- اللغة العربية والتحول الرقمي: العربية لغة العالم والحضارة الإنسانية، لها ماضٍ مغدق ولكن حاضرها مقلق، بما لها من قلاقل في الأوساط الرقمية، وما نراه من ضعف في مسيرة العصر تقنياً، والأمر مرفوع العواقب، والأسباب معروفة. وإذا أردنا تحولاً رقمياً، نضيف إلى ما قدمناه في حلّ قضايا التحدي، بالبحث في علاج:

- 1/6- مزاحمة الدّوارج للفصحى.
- 2/6- إيجاد استراتيجيات في توجيه شبكات المعلومات العالمية، وما يتبعها من وسائل التواصل الاجتماعي.
- 3/6- البحث عن سُبُل جديدة لسدّ فقر التعلم.
- 4/6- البحث في آليات استعمال الفصحى في مستوياته العامة.
- 5/6- إعادة الاعتبار للبحث التربوي الذي يبني القاعدة، ولا تتحقق لغة مبدعة دون قاعدة مبدعة تكون في المدرسة.

هناك كلام كثير يُقال في هذه النقطة التي نريدها أن نحصل للعربية (نقلة رقمية) من مرحلة التأسيس التي تعمل على الانتشار والتجديد والابتكار "... فإذا انتشرت اللغة من دون أن تتجدد، مبنًى ومعنى أصولاً وقواعد، أبنية وأوعية، اصطلاحاً وأخيلة، افتقدت الضمانات التي تفتح أمامها السُّبل نحو النضج والتفوق. فهذا التوازن الدقيق بين مساري التطور، هو الذي يقي اللغة من الجمود، ويقوّيها ويكتب لها الخلود، ويحقق (النقلة النوعية) للغة، التي هي نقيض ما عبرنا عنه بـ (النقلة الرقمية) التي لا تعكس طبيعة التطور الذي عرفته اللغة، ولا تكشف حقيقة التقدّم نحو المستويات الأحسن والأرقى والأجمل الذي تسير في ركابه، لأنّ اللغة كائن حيّ تسري عليه سنن الحياة التي تتعارض مع الطفرة والإفراط والتفريط والعشوائية والانحراف عن جادة الاعتدال، والميل عن التوازن والتجافي عن التعادل، وهي شروط التطور اللغوي الطبيعي الذي ينفذ إلى العمق فيكون تأثيره على اللغة قوياً ومتغلغلاً ومستمرّاً".

هي العربية المنشودة ضمن الانضباط اللغوي الذي يقي العربية من موجات الإفساد والتشويه والتميع وعدم الاهتمام والعول على اللغات الأجنبية، وعلى برمجياتها والخنوع لها دون إعطاء النظر للخصوصية والشخصية والهوية. ولهذا هناك ثغور كثيرة تحتاج إلى جبهة التحدي، وفرض التحول نحو خدمة العربية والتواصل والتطوير اللغوي فيها وبها، قبل الحديث عن التحول الرقمي. وإنه يمكن تحقيق نقلة رقمية بناءً على تلك اللغات التي بنت لنفسها تحولاً رقمياً، وهذا عندما تجتمع الأفكار على ضرورة إشعال الأمل في البعثة والطلاب الشباب، وبث العزيمة والهمة والإصرار على التقدم، ورفع التحدي والانضباط والحرص على استخدام العربية السليمة المرنة، والقادرة على إفهام الناس علمياً وأدبياً واجتماعياً، سيكون الحاصل إيجابياً وتكون النتيجة جيدة. وعلينا البداية بوضع الثقة في لغتنا، ومتابعة أبحاث علمائنا مهما كانت نسبة تحقيق المطلوب، فالطريق تصنعه الأقدام، وتحقيق نسبة النجاح العالية يعود إلى صناعة النجاح الجماعية، وإلى مواصلة رفع تحقيق النسبة سنة بسنة. إنه الوعي اللغوي الذي نسعى إلى تحقيقه بالتداول ونشده المعرفة في مختلف الميادين لتكامل المعارف.

- الخاتمة: لا نجس لغتنا التي لها مواقع في الشبكة أفضل من كثير اللغات، وما نشهده الآن أفضل من الماضي في حضورها العربي والإسلامي والدولي، وأن مضامينها بدأت جلية في البحث العلمي، ولا شك أن إغناءها وتطويرها والنهوض بها ضرورة جماعية، كما أن تجديدها وتحديثها ومواكبتها في صيرورتها ضرورة نخبية عربية، تقف على منهجيات تمكينها من التكيف مع المتغيرات، والوفاء بمتطلبات التطور اللغوي القائم على الأسس القوية، والمستند إلى العناصر التي تضمن لها حركات لغوية جديدة في الإبداع بشق فروع. وإن أية لغة لا تنمو خارج الاستعمال، فاللغة وضع واستعمال، والعربية تحتاج إلى الاستعمال في المدارس والثانويات والجامعات والمدارس العليا والمعاهد وفي المخابر، ولا تزدهر إلا في ظل البحث والإعلام والقنوات والمساجد والدراسات المتخصصة ومراكز البحوث وفي السفارات العربية في الخارج، وفي مختلف المنابر؛ وذلك ما يكسبها التواصل السليم المبني على المشترك الفصيح. وهذه غايتنا من أمثال هذه اللقاءات التي نكون مع الطلبة والبعثة فهم الحاضر، وهم المستقبل، والعربية بين أيديهم، وعليهم العمل على تطويرها وفق آليات التحول الرقمي الذي لا مفر منه، وأن الفضاء الافتراض ملك لمن يبدع فيه، وعلينا التسابق في من يقدم الأفضل لهذه اللغة، وهي سهلة بسيطة إذا صدقت النيات، وأثبتتها العمليات.

اللغة العربية في ظل الرقنة والتعدد اللغوي: واقع ومُشكلات*

- الديباجة: أقدم لكم كلمتي بخصوص هذا الموضوع الذي نال أبحاثاً كثيرة، وسوف أتحدث باختصار عن الرقنة؛ وهي قاعدة المحتوى الرقمي، ونحن نعمل من أجل رفع مختلف المضايقات عن اللغة العربية في مجال اقتصاد المعرفة بأركانه الثلاثة: الرقنة + المحتوى الرقمي + الذكاء الاصطناعي. سأحدث تنظيراً عن واقع العربية في ظل الرقنة، وأطرح أفكار التغيير في واقع العربية ليكون لها موقع في الشبكة، وفي التصنيف العالمي لموقع اللغات بحسب تمثيلها الرقمي/الأرشفة الرقمية الإلكترونية/التخزين على الوسائط الحديثة من أقراص صلبة/مرنة قابلة للنشر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أحدثت عن حلول أراها تمس موضوع ضعف العربية في الشبكة، وما هي البدائل التي تنقل العربية في ظلّ عدميات التريّة تقنياً وكسيف يمكن تطويرها للحاق، وإلا سيكتب الزمان أننا ما أسهمنا في عدم الاهتمام بها إلا بالتبكي ورفع الدعاوي لمن لا يهّمه الأمر.

كلنا يعرف بأن هذا العصر له مُعطياته التقنيّة، وكلّ لغة لا تعتمد ما لها الفشل، وإننا نناخ بالعربية ومن أجلها، وكلّ ذلك -في غالبه- كلام/تنظير/سراب بقية لم يتبين منها الخيط الأبيض من الأسود فأين الخلل؟ هذا ما نريد نقله للطلبة والباحثة لتحمل أمانة تطوير لغتنا الصّامدة، ولغة حضارة أمة مبدعة في الماضي، ولكن قعد بها الحاضر لعود أهلها ودولها وأصحاب القرار من المؤسسات الجمعية. ومن الضروري الوعي بخطورة الوضع الحالي الذي يستدعي منا النهوض بالعربية من خلال الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة، وتطوير برامج وتطبيقات تعليمها، وتحديد ما يواجهها من مُشكلات؛ بالعمل على تقديم وصفات الحلول، في ظلّ التطور التقني والتكنولوجي في عصر التّغول اللغوي. ولهذا نفيد الطلبة بأنّه لا توجد في العربية جينات تعيقها عن التّقانة الحديثة، ولكن يوجد الوهن والفشل ووضع الثقة في صلاحها كغيرها- من اللغات، وأنّها لغة طبيعية تقبل التجديد، ولها مؤهلات تُعينها على سرعة التطوير. فالعول عليكم أيّها الباحثون في إنتاج التطبيقات باللغة العربية، والبحث عن مناهج التعليم المتبعة في هذه التطبيقات واقتراح منهجيات تحسينها واستعمالها مراجع موثوق بها في التعليم تستفيد منه الجامعات والمؤسسات التعليمية والمتعلمون.

1- الرقنة: لا أريد الاستفاضة في الحديث عن الرقنة، بقدر ما أقول إنّ الرقنة قاعدة أساس يُبنى عليها المحتوى الرقمي، ومعناها برجة وتحويل كلّ شيء من حولنا إلى شيء إلكتروني/آلي؛ حيث تساعد في توفير مساحات التخزين، وتقليل نفقات الورق والطباعة، وتوفير الجهد، وتسهيل الخدمات، وتقريب المعاملات وتوفير فرص التّوسّع والانتشار... ولا يمكن أن نتحدث في الحاضر عن مضايقات العربية إلاّ بالعروج عن مقامها الشّابكي في إنتاج المصطلحات، وصناعة الإعلام الدّولي، وإنتاج المعاجم المتخصصة ومواكبة الأحداث والدراسات الجديدة. فالرقنة فعل حضاري جديد يعمل على إحداث نقلة نوعية في الانتقال من الورق إلى

♥ الكلمة التي أعدت للملتقى الوطني الذي يُعقد شراكة بين: المجلس الأعلى للغة العربية + جامعة (حمة لخضر) بالوادي بتاريخ 5 ديسمبر 2024م. في جامعة الوادي.

صفر ورق، ومن مجتمع البحث اليدوي إلى البحث الآلي، ومن انتشار الأمية إلى صفر أُمِّيَّة معلوماتية، ومن ضعف بنية السرعة إلى سرعة فائقة، ومن المشاق إلى الرفاهية، ومن إطالة الوقت إلى ربح الوقت... هي مضايقات كانت تعرفها مفردات وآليات الرقنة في العربية أمام ضعف البنية التحتية للشبكة، وضعف المستوى المادي لغالبية شعوبنا، وما يتبع ذلك من الأمية ذات النسبة المرتفعة، وفقر التعلّم، حتى أصبحنا ننظر إلى الرقنة على أنها ترفٌ فكريٌّ لا ضرورةً حضاريةً.

2- **جملة الصعوبات والمشكلات والتحديات:** هي كثيرة، ويمكن استعراض بعضها في غياب البحث بالعربية، وعدم ملاحقة تعريب العلوم في الجامعات، وضعف الاستثمار في الرقنة، وبخاصة في رقنة المخطوطات، وضعف حركة النشر الإلكتروني، وغياب شبكات التوزيع، وانعدام الاعتماد على الخوادم العملاقة في المؤسسات والوزارات والشركات، بله الحديث عن المحيط العام الذي غيب العربية الفصيحة التي يُبنى عليها المحتوى الرقمي. عديمات في كثير من المواقع في كتابة العربية بالأخطاء، وانتشار كتابة الحروف العربية بالحرف اللاتيني، ضعف آليات التدقيق اللغوي أمام شيوخ الأخطاء اللغوية، والقبول العفوي بالخطأ المشهور أفضل من الصواب المهجور. وعدم البحث في الخوارزميات الرياضية باللغة العربية التي بقيت تأخذ ما يأتيها من باحثيها عن طريق الترجمة الصماء. وغياب الموسوعات العربية الموثوقة لوضعها محلّ بحث يقبله الذكاء أثناء الترجمة/أو ما يُسمى MOOC وهو اختصار للعبارة الإنكليزية Online Courses Massive Open وهي مواقع متخصصة في كلّ فرع من العلوم، وفيها معلومات موثقة وغياب هذه الموسوعات يزيد الفجوة المعرفية ويُنح المجال لانتشار المعلومات المغلوطة. هي جملة التحديات/المضايقات التي أثّرت على العربية في واقعنا المعاصر، وأصبحت مهجورة من أهلها. ولا يمكن تجمل هذه الفجوات إلاّ بتنمية المحتوى العربي الرقمي وهذا يتطلب منكم -أيّها الطالبات والطلبة- بذل الجهد في تغيير هذا الواقع المهترئ، وأن تدخلوا عالم الرقنة بلغتكم وفي لغتكم، وبأدوات معلوماتية تعتمد على حوسبة اللغة العربية، وتحليلها بشكل عمليّ دقيق، والعمل على تطوير أدوات محرّكات البحث والمعاجم. ولا مانع في البداية الانطلاق من محرّكات أعدت للغات اللاتينية ومن ثمّ يقع صنع المحرّكات الخاصة بالتعرّف على العربية. وهذه المرحلة حاسمة تستدعي تصميم وصناعة المعاجم لتوليد المصطلحات وتوحيدها.

3- **مواجهة المضايقات والمشكلات بتقديم الحلول:** كلّنا يعرف هذه المضايقات، والرجل الرشيد من يقدّم لنا أفكار الخروج في معالجة المشكلات وإيجاد الحلول بأقلّ الأضرار، وبأقلّ جهد في الوقت والتكلفة واعتماد تخطيط سنويّ يراعي التّقييم والتّقييم لسدّ الفجوة الكبيرة بيننا وبين العالم المتقدّم في العلوم الحديثة، وعدم مسيرتنا لتطوّراته، وما يُصاحبها من مصطلحات وتعابير. هنا المواجهة، وهنا الحلّ في مطابقة الكلام بالعمل حتى نقدّم الثراء المطلوب في لغتنا؛ كي لا تبقى عاجزة في المصطلحات الحديثة، وفي برمجيات الذكاء الاصطناعي. وهنا الاستثمار المطلوب في الجامعة التي ترفع التّحدّي الشّابكيّ، بما تنتجه من أبجديات المجالات الحيوية في اللغة العربية، ومن تقديم أفكار تطبيقية ومن حلول لإشكالات "... الرقنة التي تواجه اللغة العربية

وتعوق إثراء المحتوى الرقّي العربيّ على الشبكة/الإنترنت إشكاليات الترجمة وتعريب المصطلحات ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. وفي مجال الترجمة لا بدّ من التأكيد على أهمية التنسيق بين مختلف الجامع اللغويّة، واتخاذ قرار بتوحيد ترجمات الكلمات الأجنبية. كما أنّه من الناحية التقنية، على مترجمينا الابتعاد عن الحرفية والارتباط باللغة المنقول عنها، فلننحت مصطلحاتنا من لغتنا وخلفياتنا الثقافية والحضارية، ولا نكنّ مرآة للغات الأخرى واستنساخاً لها".

4- العربية والواقع: مرّة أخرى، ونحن نعيش عالم الاتصالات الحديثة وننلش في التقليديّة، ويأتي عالم الرقنة الحامل لأدوات/أوعية إلكترونية سريعة وواسعة ضمن النانوتكنولوجي المصغّر والحامل للملايير المعطيات بنظم ذكية وفائقة السرعة. وواقع اللغات العلميّة في تصاعد وتعايش وحامل للتقانة، والعربية لا تزال عاجزة عن التّباري العالميّ للحصول على المعيرة الدوليّة. وهل هناك آفاق الأبحاث التي تجعلها لغة العلم والتّعبير العلميّ والهندسة والفيزياء والكيمياء، ولغة حضارة المستقبل؟ ذلكم واقع العربية الذي اخترق ثوابت الفكر، وقبّل براهن اللغات الأجنبية، في ظلّ تراجع القيم الأخلاقيّة، وعدم وخز الضمير في ضياع الهوية والانتماء، وتفشي فظيع للاختراق الثقافيّ في العصر الرقّي، فماذا نحن فاعلون؟ إنّ الواقع لا يعني أنّه المصير المحتوم، بل هو دعوة للحراك العلميّ، ورفع الصّعوبات، وتنبيه الجميع بأنّه "لم يثبت أنّ أمة تطوّرت باللغة الأجنبية" وهذا يكفينا لاستنهاض الهمم لتغيير الواقع الهشّ/المزّ، والاستثمار في اقتصاد المعرفة المنشود بما للعربية من إرث معرفيّ حضاريّ عالميّ.

ومن خلالكم ندعو الجميع إلى تكوين مجموعات بحث تهتمّ بالهندسة المعلوماتيّة والإلكترونية وبمبادرات الحاضنات الطّلابيّة من أجل البحث في تطوير اللغة العربيّة للحوسبة، والاتّكال على مخرجات البحوث الجديدة مثل ChatGPT في محولاته الرائدة، واستراتيجيات البحوث المتفوّقة في اللغات الغربيّة، وبناء محرّكات بحث عربيّة من خلال الواقع والنظريات اللسانية القائمة على الوصف والتحليل. وإنّ الواقع يتطلّب التغيير المبني على تقديم أروضيات معرفيّة في المحتوى الرقّي من خلال العربيّة مخزونها اللغويّ في عصر اقتصاد المعرفة والرقنة وتعزيز دور المهتمين والباحثين العرب من أجل صناعة معاجم إلكترونية موسوعيّة وأطالس لغوية ومُستندات تطبيقية إضافية. ولكي يحصل النّجاح في ظلّ هذا المخاض الجديد، والتّعدّد اللغويّ المُنافس كان لا بدّ من الأخذ والعطاء، لأنّ الانفتاح والعولمة والتّجارة الدوليّة تفرض تعدّداً لغوياً مفيداً لكلّ الأطراف، وهذا يحتاج إلى قوّة اللغة الأمّ/اللغة العربيّة المشتركة (الفصيحة)؛ لتُحافظ على مكانتها وموقعها بين لغات العالم وسهولة التّواصل العلميّ والثقافيّ، والاستفادة من التشبيك العالمي الذي يفرض علينا التّحكّم في لغة العولمة.

إنّها الانكليزيّة لغة العالم بامتياز، لغة السّياحة والطّيران المدني والتّبادل المنفعي، ولغة ضخّ المعلومات في الشّبكة، فأن تكون تستفيد، وأن لا تكون تنقرض. هي لعبة الانفتاح والتّعدّد اللغويّ المضيف الذي نريده أن يكون بالعربية وفي العربيّة، ولا بدّ من طلاب مُتعدّدي اللّغات، وهم أنتم. أنتم جيل الحاضر وجيل المُستقبل وعَضُوا على العربيّة بالنّواجذ؛ بحسن دراستها واستعمالها بصفر خطأ، والتّحكّم في اللّغات بقوّة المنفعة

وَمُتَطَلِّباتِ التَّأثيرِ والأثر. هي مَهاراتِ كان عليكم الاستفادة مِنْها إتقاناً لأكثرِ مِنْ لغة؛ لأنَّ التَّعدُّدَ اللُّغويَّ جزءٌ مِنْ التَّوطينِ العليِّ وحسنِ التَّعايشِ مَعَ العولمة، وهذا ما يجب الانغماس فيه حسبِ المنفعة، وحسبِ العلاقاتِ الدَّولِيَّةِ والمنفعةِ العلميَّةِ والمقاماتِ العلميَّةِ لِللَّغاتِ الأُمِّيَّةِ. كما أنَّ الفائدةِ والنَّافذةِ العلميَّةِ بالنَّسبةِ لنا هي دعمُ العلاقةِ العلميَّةِ بينِ العربيَّةِ والانكليزيَّةِ بسببِ التَّرابطِ العلميِّ والتَّجاريِّ والعالميِّ، ولا نكون نكراً بينِ العالمين، ونبقى تحتِ إمرةِ لغةٍ أجنبيَّةٍ عفا عليها الزَّمان، وكلُّ هذا لا يعني التَّخَلِّيَ عن اللُّغةِ الأمِّ، بل هي قوامُ الأمر، وهي المُنالُ والمآلُ وضرورةُ التَّحكُّمِ فيها قبلِ أيَّةِ لغة. إنَّها العربيَّةُ الفصحى؛ لغةُ تفكيرنا وما يجمعنا ويوحِّدُ مستقبلنا ويزيدُ من احترامنا بيننا ومن الآخرين. إنَّها العربيَّةُ التي تصنعُ لنا مجداً، وهي التي تحقِّقُ لنا مستقبلاً ضمنَ ثقافتنا القديمةِ المنفتحةِ على الثَّقافةِ الجديدةِ في بلاغةِ الوضوحِ أداءً وكتابةً.

- الخاتمة: إنَّ لغتنا العربيَّةَ تحتاجُ إلى وعيٍ لغويٍّ جديدٍ، واشتدِّي أزمةٍ تنفجعي، وكان علينا -نحنُ البَحثة- العملُ ضمنَ فرقِ البَحْثِ للرفعِ من سويَّتها، بمعالجةِ فقرها التَّقانيِّ، ضمنَ الثَّورةِ المَعْلوماثيَّةِ التي يشهدها العالمُ اليوم. وتظلُّ العربيَّةُ الفصيحةُ الأداةُ الوحيدةُ القادرةُ على كشفِ كلِّ المضايقاتِ عندما يُعتمدُ البَحْثُ اللِّسانيُّ الفاعلُ في نظرياتِ البَحْثِ الجادةِ العاملةِ على تقديمِ حلولٍ لصعوباتٍ مرَّت بها لغاتٌ كانتَ عدماً، وأصبحَ لها الشَّأنُ بباحثيها والعاملين على فتوحاتها اللِّسانية. والأملُ موجودٌ، ويحتاجُ إلى عملٍ محمودٍ، يتبعه مالٌ مرصودٌ. وأختمُ بالدَّعوةِ إلى الاستثمارِ في بناءِ محرِّكاتِ البَحْثِ، وفي برامجِ باللُّغةِ العربيَّةِ الوسيطةِ والمتداولةِ وإقامةِ مشاريعٍ قوميَّةٍ كبيرةٍ في الأرصدَةِ الوظيفيَّةِ لتوحيدِ لغةِ التلاميذِ في أقطارنا. ولا بدَّ من مزيدِ الرِّقنةِ لتراثنا الكبير، وتيسيرِ النَّحو، وبناءِ الموسوعات، والمحتوى الرِّقِّي الذي يحلُّ الكثيرَ من القضايا العالقةِ في تعليماتِ العربيَّة. وعليه، لا بدَّ من بناءِ مرحلةِ القاعدةِ بناءً جديداً وفقِ متلازماتِ الذِّكاءِ الاصطناعيِّ وتشجيعِ كبيرِ لفقهاءِ العربيَّةِ وشعرائها ومترجميها الذين يُبدعون في تطويعِ العربيَّةِ وفقِ خصوصياتِ الحداثة.

دور مُحركات البحث العربيّة في تنمية المحتوى الرّقميّ العربيّ ♥

- الدّياجة: سنناقش هذا الموضوع الجديد؛ بما له من مآلات الحاضر والمستقبل؛ حيث نقرأ من مُحركات بحث غربيّة في العربيّة من مثل تلك المُحرّكات الأكثر استعمالاً:



وهناك مُحركات أخرى نستعملها في البحث ينسبُ ضعيفة على غرار: MSN + دك دك (غو) بالإنكليزيّة DuckDuckGo / وياندكس بالإنكليزيّة Yandex + مواقع متخصصة كثيرة.. . ونتاجت كما تلاحقت مُحركات مثل: Archie + Aliweb + Web crawler؛ حيث وقع استثمار وتنافس في هذه المُحرّكات وكلّها في الشّابكة تزحف على قراءة/كتابة/تحويل النّصوص لكلّ اللّغات، وفي ذاتها برامج حاسوبية صُمّمت لمُساعدة مُستعملي الشّابكة في البحث عن المعلومة المُخزّنة فيها أو في غيرها عبر البحث في البيانات التي بدأ المحتوى الرّقميّ يضعها بعد الرّقنة. هي مُحركات بحث عملاقة تعمل لصالح اللّغات الطّبيعيّة، والآن نستعملها في كثير من المواقع، وهذا لا يعني غياب مُحركات بحث عربيّة، بل هناك الكثير منها من مثل: أين؟ + بوابة العرب + المستقبل + كنوز + المنير + جوسق + صخر + من نحن؟ + لبلب + العالميّة + شبكة مسار + Araby + الإسلام + السّهل + مدوّنة عربي + onkosh + مكتوب... + مواقع شخصية لبعض كبار علماء العرب... وهي مواقع بُنيت على طريقة كلاسيكيّة خاصّة بتقنيات المكتبيّة في نظامها القاعديّ الأوّلي، ولم تخضع للتّحسين والمعيرة، ولها فراغات كثيرات أثناء البحث، وكلّ مُحرك له تصميم يختلف عن الآخر، رغم أنّها مُصمّمة بطريقة تشبه مُحركات البحث العالميّة، ولكنها لا تلبّي المطلوب إلّا بشحّ المادة، وسرعتها البسيطة، وليست ذات فعاليّة، وفهارسها محدودة، ولهذا يذهب الباحثون العرب إلى جوجل/Google أو ياهو/Yahoo لسهولة الحصول على المعلومات، وتصنيفاتها دقيقة، ويملّكان الفهارس الكبيرة. أضف إلى ما يخزّه الموقعان من محتوى ضخم، ومن أدلّة شاملة باللّغة العربيّة، ويحتويان على أركان تعليميّة بأسلوب سلس وجيد، ولهما برامج مجانيّة، وما له بالخدمات العامّة دون الحديث عن الملفات/البرامج الملحقة من مثل: Excel + Power Point + ملفات Web + Lycos + Snap + Ask Jeeves/Teoma + Walhello...

1- أهميّة مُحركات البحث العربيّة: لا نجس بضاعة مُحركات البحث عامّة، ولها المزايا الكبيرة في الاستجابة المطلوبة في: تخزين المعلومات + استعادتها وقت الطّلب + تحليل المعلومات/البيانات + تدخّل في وضع

♥ الكلمة التي أعدت للملتقى الوطني حول (دور مُحركات البحث العربيّة في تنمية المحتوى الرّقميّ العربيّ) جامعة الحاج لخضر، بباتنة

بتاريخ 9 ديسمبر 2024م.

التصاميم + تقديم النسب المئوية بأشكال مختلفة + البحث السريع في المحتويات اللغوية + الترجمة الآلية + اقتراح تصاميم في الفهرسة + المساعدة على اقتراح روابط مساعدة + عرض البحث بالتقارب + تقديم ملخصات وكلمات مفاتيح + تقديم عروض وإمكانية إرضاء المستخدم/الزبون + اقتراح توقعات مستقبلية + تحديث/تحسين المعلومات وتعديلها دائماً... ولا نستفيض في تلك الخدمات التي تقدمها محركات البحث مع جلّ تقنيات التطور، ويبقى الموضوع الأهم في مدى استفادة العربية منها وهو شيء كبير، ولكن لكل لغة خصوصية من حيث نحوها وفقها وألفبائيتها، وتكون هذه المواقع مساعدة حالة ما بُنيت على خصائصها تراعي تلك الخصائص، وتكون الاستفادة أفضل حالة ما يفهم الذكاء الطلب حيث يُضيق نطاق البحث ويعمل على الإجابة الصحيحة، وهذا لا يحققه إلا ذلك المحرك الذي صُمم وفق نطاق لغة وضمن معانيها المعجمية وأسلوبها ومصطلحاتها وبلاغتها، مع مراعاة تلك الفروق الدقيقة بين اللغات الطبيعية. ولهذا ندعو إلى الاستثمار في تصميم محركات بحث عربية؛ تراعي جملة الخصائص: فقه اللغة العربية + البعد الزمني + البعد التاريخي + المتن الديني + المتن الكبير + الترادف + المشترك اللفظي + الأرومة اللغوية + تنوع الأسماء + تنوع الأمكنة... وهذا ما يضمن لها المعالجة الطبيعية والدقيقة من خلال هيكلية معينة في خوارزميات ومعادلات رياضية تكون ضامنة للتعرف على أية لفظة ضمن سياق النص؛ دونما حاجة إلى العودة في كل مرة إلى المعاجم/القواميس.

2- بناء المحتوى الرقمي العربي: لا يمكننا أن نسد فجوات محركات البحث في العربية دون تبيين الجهود الأولى للمحركات البينية؛ وهي التي لا تمتلك قاعدة بيانات خاصة بها، بل تستعين بقواعد بيانات محركات البحث الأخرى من أجل إجابة طلبات المستخدمين. ومن هذه الجهود بدأ المحتوى الرقمي العربي يكبر في صناعة أولية وبأدلة WEB التي عملت على إنشاء طرائق إرسال الاستعلامات إلى محركات بحث متعددة، ومن ثم بدأت صفحات Web/تتغى بالمحتوى العربي. ولهذا، فإن المحتوى الرقمي العربي يحتاج لكميات كبيرة من "المصادر والمراجع اللغوية، كالمكانز، والتي تحتوي على عبارات وجمل ذات علاقات محددة مسبقاً.

وباستخدام هذه المكانز يمكن لبرمجيات البحث أن تفهم بشكل أفضل طبيعة العلاقة بين الكلمات المختلفة ومواقعها الصحيحة ضمن الجمل. ورغم الفائدة العظيمة للمكانز، فإن مدى فعاليتها يعتمد على تحديثها وتطعيمها باستمرار، وإلا فإنها تفقد فاعليتها تدريجياً. وباستخدام المكانز، وتصريف الجمل وإعرابها يمكن الحصول على نظم بحث قوية يمكنها فهم عبارات البحث ومعاني الكلمات ضمن السياق بشكل أفضل". ولهذا كان الغرب قد أسسوا للغاتهم المحتوى الرقمي من خلال ضخ الموسوعات والقواميس ودوائر المعارف، وأمّات الكتب الكبيرة التي تحوي تراث لغاتهم، وكلّ المخطوطات والوثائق التي تعمل على تضخيم المتن اللغوي الذي يكون مرجعاً للبحث الآلي الذي تعتمد المفهرسات/الكاتالوجات في مختلف العلوم والفنون.

إنّ المستقبل لأية لغة مرهون بالاستثمار في محركات البحث الجبارة الحاملة للبتون الكبيرة المصحوبة بكلمات المفاتيح، والملخصات المرئية القابلة للفهرسة ديناميكياً في خوادم Servers موفرة للجهود والتكلفة وبسرعة فائقة، وجودة عالية. وإننا بحاجة إلى محرك بحث عربي يتعرف على الكتابة العربية من اليمين إلى

الشّمال+ لكلّ حرف له صيغة التّشكيل/لا تشكّل+ تصريفات الكلمة وموقع عينها في المضارع+ التّفرة بين الدّلالة المعجميّة التي ليست ذاتها دلالة السّياق+ فنون البلاغة المتنوّعة+ الجانب الحسيّ والأدبيّ للنّصوص+ المُشترك اللفظي+ كثرة التّرادف+ المكتوب يختلف عن المسموع+ أدوات الرّبط كثيرة+ الأدوات الوظيفيّة كثيرة+ معاني الواو متعدّدة... إنّهُ الحُرّك العربيّ المنشود الذي يُصحّح الخطأ، ويقترح الصّواب المناسب. حُرّك بحث عربيّ متقدّم يراعي استعمال علامات الوقف في محلّها بصفر خطأ، ويميّز بين المصطلحات القديمة وما عرفته من تطوّرات، حُرّك بحث عربيّ يعتمد المختصرات العلميّة في صندوق خاصّ وعامّ، بموافقات اللّغات الأجنبيّة، حُرّك بحث عربيّ يقدّم لك الصّور المطبوعة في أصفى أضوائها وبنقرة واحدة تحصل على المرغوب... هي خدمات الحواسيب للّغات بميزات حديثة حسب كلّ الطّلبات عندما يكون المحتوى الرّقميّ مشبعاً بالمادة تتجاوز مليارات الصّفحات وتريليونات الكلمات.

3- المحتوى الرّقميّ والنّشر الإلكترونيّ: كلّ الورق ليس مُفيداً إذا لم يكن في أوعية مُعاصرة، وما فائدة تراثنا الضّخم وهو قابع في رفوف المكتبات، وما الجدوى من تلك الفهارس العملاقة إذا لم تكن في شريحة على غرار تلك المجلّدات ذات المئة وزيادة (100) للمعجم التّاريخيّ للغة العربيّة، وهو في QR ونترك عمليات البحث تستعيد المطلوب بسرعة، وربّما بزيادة في الإيضاح. إنّهُ النّشر الإلكترونيّ بسعة تخزينيّة غير محدودة ودون حيّز مكانيّ ورفوف، مع سهولة حملها واستعمالها بنقرة Enter في لوحة المفاتيح، أو على زر البحث Search التي وردت فيها هذه الكلمة في النّصوص (أو المواقع) المبحوث فيها.

وبالجملة، فإنّ الخيارات المتاحة حديثاً في محرّكات البحث يمكن أن نستفيد منها في إنشاء محرّكات تستجيب لخصائص العربيّة على غرار فعل: الصّلافيّة+ الصّينيّة+ الكوريّة+ اليابانيّة. وإنّهُ توجد أبحاث في مواقع عربيّة جدّ متقدّمة، وتحتاج إلى تطوير دائماً بشكل يستفيد من تطوّرات الذّكاء الاصطناعيّ الذي يتطوّر باستمرار، مع ما يقترحه من أفكار، مع متابعة الحُرّك العملاق Google الذي يمتاز بالسرعة والشّمول والتّعدّد اللّغويّ، ومنها العربيّة التي لها نصيب كبير في حمولته، وهو يعالج يومياً أكثر من 100 لغة و120 مليون طلب بحث يومياً.



وإذا ضغطنا على زر (بحث متقدم) حصلنا على الشاشة الآتية:

وإذا وقع تركيزي على هذا الموقع، فغايتي الاستفادة منه في بناء محرك بحث عربي كبير ولو بمسمى Arab Google كمنطلق بأكبر محرك نحتاجه في النشر الإلكتروني، وسوف ينمو على مدار السنوات القادمة، والمهم الاستفادة من الخدمات التقنية واللسانية التي يقدمها هذا العملاق Google وكله من أجل مساعدة المستخدم العربي للوصول إلى مبتغاه بشكل مباشر، أو يساعده في الفهرسة + الأرشفة + التصنيف على المدى القريب حتى يتسنى للعرب بناء محرك خاص باللغات التي تكتب بالحرف العربي. وليس من الصعوبة الآن؛ حيث توجد أرشيات من المحتوى المخزن على غرار: فهرس مكتبة الإسكندرية، وكشافات كثيرة في التدوين الإلكتروني المعلوماتي بالعربية، وترجمات ضخمة للعربية إلى كثير من اللغات وكانت في قاعدتها تضع تحليلات كبرى بالعربية، وكل ذلك شكل أرشيفاً كبيراً لمختلف مجالات العربية في محتواها بما له في الوقت الحاضر من فرص وأوليات وتوجهات.

5- المحتوى الرقمي واللغة العربية: نحن بحاجة إلى استراتيجيات في تكنولوجية المعلومات والاتصالات في إنتاج المعلومات وتصنيفها وتبادلها ونشرها، وهذا ما يبني لنا مجال المحتوى الرقمي، ويزيل العقبات اللغوية للعربية للحاق بركب اللغات الأممية. ولذا أصبح من الضروري وضع الاستراتيجيات المناسبة لتمكين العاملين في مجال فقه اللغة العربية مع خبراء المعلوماتية من أجل الاستفادة من اقتصاد المعرفة كما هو حال الثورة الصناعية التي بُنيت وقتها على أنظمة معلوماتية مؤسّسة بمعارف إدارة المعرفة حسب ذلك الوقت. وتجسّدت فكرة (الدائرة/البكرة) في الاهتمام بالعلوم الإنسانية لصياغة قاعدة فنّ التسيير، ومن ثمّ قاعدة هندسة التسيير، بالربط المتكامل بين الحكمة والحكمة، وكان ذلك منطلق ثورة البخار في الغرب الذي أسّس للمحتوى الرقمي في اللغات الهندوأوروبية وهو ما سمّاه (اقتصاد المعرفة). وبصيغة أخرى كان الاستعداد عاماً في ذلك الانتقال من اليدوية إلى المهنية/التقنية، وبناء اقتصاد المعرفة/مجتمع المعرفة يعني الجميع، حيث الانتقال من النمط التقليدي للمجتمع إلى النمط الحديث المبني على الأفكار ومآلات الحداثة. وهذا ما نحتاجه في استراتيجياتنا الحديثة وفي مؤسساتنا البحثية، بالاستثمار في الموارد البشرية التي تعمل على النقلة الحديثة للمجتمع الحديث وفق البحث العلمي واكتشاف المجهول.

ولهذا لا بدّ من حضور العربية رقمياً في تعاملتنا اليومية، وإدارتها معرفياً بنظرة مجتمع المعرفة الذي يقدر لغته، ويعمل من أجلها في كل جوانب المعرفة، بل يقدم لها أفضل المناهج للرقى بها بتكنولوجية المعلومات والاتصال. هو عمل الجميع لمآلات مشتركة من قبل جميع المشتغلين في مختلف الورش بضرورة الانتقال إلى النمط الجديد المبني على اقتصاد المعرفة. هو نهوض ومآلات تبدأ من المدرسة ثم الجامعة فراكز البحوث، وكل المؤسسات ذات العلاقة بتوجيه المجتمع نحو الرفاهية المستقبلية التي تحقّقها اللغة الأم، وكذلك دوام التنمية المستدامة التي لا تكون لها نجاحات إلاّ باللغة الفصيحة ذات المعيار والعيّار العالي المتسق في أبعاده اللغوية والدلالية والفكرية. ولا بدّ من البحث العلمي وهو ركيزة المعرفة الإنسانية في كافة ميادين الحياة وبفضل العلم نتحكم في التقنية والمعرفة؛ باعتبارهما الأداة الفاعلة لتحقيق الاستثمار الأمثل للموارد المتاحة من أجل تحقيق

التَّسْمِيَّة والتَّقدُّم. ومن خلال هذا كان علينا الوعي بواقع العربيَّة وهي مصنَّفة رابع لغة مستخدمة في الشَّابكة لغة أُمِّيَّة، وهي السَّرع نموًّا على مواقع التَّواصل الاجتماعي... ومع كلِّ هذا، فإنَّها تعاني فقرًّا في المحتوى الرِّقِّي من إجمالي المحتوى العالميِّ، وأين الخلل؟

6- **عقبات في المحتوى الرِّقِّي العربيِّ:** إنَّ المحتوى الرِّقِّي يعني تلك البيانات والمعطيات المكتوبة بالعربيَّة أو الموضوعية على أقراص/فيديوهات/مواقع/شابكة/خدمات/سمعي بصري/بيانات/برمجيات/محرَّكات بحث/دروس/الصور/الرَّسوم المتحرَّكة/الخرائط/صحف إلكترونيَّة/إذاعات/مواقع إخباريَّة... وكما يشمل كذلك الأخبار والنَّشاطات الرِّسميَّة، ومواقع المؤسَّسات والشَّركات والوزارات وكلِّ الجهات والمصالح الإداريَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة. وعندما نتعلَّل هذه الأجهزة تشكُّل عقبة في المحتوى الرِّقِّي في التَّسويق والتَّرويج والإشهار والتَّجارة الإلكترونيَّة وخدمات البورصة ومواقع التَّسليَّة، وتتعطَّل المصالح المرسلَّة، هذا حالة ما تعطلَّت ولكن عندنا شبه منعدمة، فلا وجود لبعضها في ثقافتنا ولغتنا، وليس لنا محتواها بتاتًا، هنا العقبة التي نسعى سدِّها بالمحتوى الرِّقِّي العربيِّ وبمعطياتنا العلميَّة والثقافيَّة والتَّعليميَّة وليس من الصَّعب على مؤسَّساتنا التَّعليميَّة والأكاديميَّة ومراكز البحوث والمكتبات إنتاج المحتوى الرِّقِّي العربيِّ وهو عملها، ليس من الصَّعب على الإعلام السَّمعي البصريِّ إنتاج بيانات في مجال المعلومات والاتِّصال، ليس من الصَّعب على الوزارات والشَّركات إنتاج المحتوى الرِّقِّي العربيِّ في مجالاتها، ليس من الصَّعب على النَّخبة الوطنيَّة إغناء المحتوى الرِّقِّي العربيِّ بمنشوراتها ومقالاتها وإبداعاتها وبمبتديات ومواقع شخصيَّة...

كلِّ هذا في مقدور ما ذُكرت، ولكن هل نعمل باستمرار لإغناء المحتوى الرِّقِّي العربيِّ الذي يجعل لنا مكانًا وموقعًا وصفة مائزة، ومن يُعلِّق الجرس؟ أو أين الرَّجل الرَّشيد؟ ومع ذلك نتحدَّث عن بثِّ العزيمة في نفوسنا بالعمل على صناعة المحتوى الرِّقِّي العربيِّ، وتكون البداية بسدِّ فراغات تعمل على تباطؤ عمليَّة تطوير المحتوى من مثل: ضعف جودة تصميم المواقع + قلة المحتوى + عدم الاهتمام بآليات البحث + التَّعدِّي على الملكية الفكريَّة + الأخطاء اللُّغويَّة والإملائيَّة + استعمال اللُّهجات + نقص التَّطوير والإبداع في المعلومات + ضعف تحصيل وتحقيق المعلومات... وهنا ضُعب الطَّالب والمطلوب، وغاب تحصيل وتحقيق المعرفة لضعف التَّطوُّر الثقافيِّ. هي مجموعة أوليَّة من العقبات التي يمكن ردمها إذا تضافرت جهودنا في استراتيجيَّة الدَّول العربيَّة في البحث في مصادر المحتوى الرِّقِّي في: رقنة المخطوطات وقراءتها بنظام OCR وإنتاج موسوعات معرفيَّة بنسخ تقانيَّة، وتكثيف البحوث في الفهرسة وإنشاء المكتبات الرِّقِّيَّة، وإيجاد آليات التَّرجمة الآليَّة من وإلى العربيَّة.

7- **لِترَفِّع التَّحدِّي:** لا توجد مشكلة دون حلٍّ، وما طالَّت المشكلة إذا كان وراءها باحث جاد، وعزيمة فذة، وتحدِّي يواجه البحث في مجال البحث في المحتوى الرِّقِّي العربيِّ. ولِترَفِّع التَّحدِّي لا بدَّ من الاستثمار في الرِّقنة والتَّحوُّل الرِّقِّي، مع الاهتمام بالحكمة والحكمة في تحقيق مُسيرين أكفاء بما يملكون من موهبة وذكاء في آليات فنِّ التَّسيير، بما يجعل الاستراتيجيات تعتمد على سياسة التَّخطيط المرتبط بتكنولوجيَّة المعلومات والاعتماد على الزَّخم الإعلاميِّ الذي يعمل على الدَّافعيَّة، وتشجيع المبادرات المحليَّة والعربيَّة والعالميَّة التي

تشجع على الانتاج والتجارة بالمحتوى العربي أولاً وبالمحتوى الرقّي ثانياً. ولكي نرفع التحدي من الضروري بناء مُحركات البحث العربيّة مئة% عربي، وخلق ثقافة الثقة في لغتنا بأنّها لغة علم وحضارة وسوف تلحق ركب اللغات المصنّفة، ومآلاتها المستقبلية مشجّعة، ومن الضروري العمل بها وفيها ضمن معطياتها الجامعة بين الأصالة والحداثة. وضرورة الاهتمام بالفصحى التي هي قوام المحتوى الرقّي، وهي القدرة على التحدي، وهذا ضمن شعار (لغة فصحي ومحليات متعدّدة). وليس ذلك بالمشكلة عندما يحصل تخطيط منتظم يراعي المقامات الوظيفيّة للغات. نرفع التحدي بتحديث العربيّة بمتوافقات اللغات الأجنبية في مرحلة إغناء المحتوى الرقّي العربي، والبرمجيات/المنصّات وضعت في أصلها لكل اللغات الطّبيعيّة، نرفع التحدي بإنتاج المصطلح المعرب، وإنتاج القواميس والمعاجم وبناء الأرصدة التي تنتج الألفاظ والمعلومات والمختصرات العلميّة، وتحريك مصفوفة الخطاطة العربيّة بمتوافقات الأجنبية في حروف جديدة: (P) و(G) و(V)، نحن بحاجة إلى توظيفها أثناء كتابة مصطلحات الأدوية، وهي صفة عالميّة. (پ) و(ف) و(چ) + الزاء الفارسيّة المفخّمة (ژ) + (گ) وغيرها إذا دعت الضرورة. ونرفع التحدي بالأمل المقرون بالعمل في أنّ مستقبل المحتوى الرقّي العربيّ واعد يستهدف النهوض بالعربيّة ليكون لها المقام، وتستحقّ المقام لما لها من ماضٍ مُغدق، لغة القرآن والأجداد. نرفع التحدي في إنتاج المحلّلات الصّرفيّة والنّحويّة والتّدقيق اللّغوي وحسن تطوير المحتوى الرقّي العربي، وصناعة وابتكار المحتوى بكلّ أشكاله وأنواعه وصوره، وتوفير الوقت والجهد وجذب الزبائن والمتعلّمين للعربيّة.

- الخاتمة: وقعت الاستفاضة في ضرورة الاهتمام بالمحتوى الرقّي، وإنّه عمل العصر الذي يتطلّب تحقيقه عبر اللّغة العربيّة في توليفاتها الصّرفيّة + الدّلاليّة + المعجميّة + التركيبيّة، وكلّ هذا يعمل على رفع مُستوى الوعي والثّقافة لدى المجتمع العربيّ، كما أنّه يلعب دوراً مهماً في تعزيز التّواصل بين مختلف الثقافات والشّعوب. وكان حقّاً علينا إغناء لغتنا بالمحتوى الرقّي العربيّ الذي يُعزّز من وجودها في المواقع والتّطبيقات، وفي مختلف الصّناعات ولدى المطوّرين والمؤثّرين والناشرين والهيآت العلميّة ولدى الشّباب المولّع بالتّكنولوجيا من أجل تحقيق قفزة نوعية في رقنة المحتوى الرقّي العربيّ. وإنّ نجاح المحتوى الرقّي في العربيّة يحتاج إلى تكاتف الجهود في التّعليم + تكثيف ومُراعاة صناعة المحتوى + التّرفيه والألعاب + الإعلام الاجتماعي والأخبار. وهي من القواعد النّاجحة التي استثمرت فيها الأمم التي لا تفتقر إلى ضعف المحتوى الرقّي، ونحن بحاجة إلى الاستثمار في هذه المجالات أكثر من غيرنا نظراً لوضع العربيّة حالياً موضع الفقر في المحتوى الرقّي العربيّ الذي قلّص من دورها العلميّ.

احتفائية المجلس الأعلى للغة العربية باليوم العالمي للغة العربية 2024م

- الديباجة: كل الشكر لجميع الحضور، ولكل الذين هيّؤوا لهذا الحفل الكبير، بمناسبة الاحتفاء بجلالة قُدمى اللغات، وهي تحتفي بعيدها الأُمِّي، على غرار الإنكليزية في 23 أفريل بذكرى وفاة الكاتب المسرحي ويليام شكسبير/William Shakespeare، فمن قُطب السَّاكسونية إلى قُطب العربوفونية، ومن 20 مارس لغة فولتير/Voltaire في عيد الفرنكفونية الانتشار، إلى عربية الأنوار، وفي 12 أكتوبر يحصل الاحتفاء بيوم الثقافة بإسبانية نيل المقام، وللعربية بما في قاموس الأخيرة من فصل الكلام، وفي 20 أفريل لغة التّنين (كانج جيه) مُحترق الأبجدية الصينية، إلى عربية الألفبائية، وفي 6 جوان يوم اللغة الروسية، الذكرى السنوية لميلاد أمير شعراء الروس (ألكسندر پوشكين/Aleksandre Poushchine) المغرور، إلى لغة المُتنبّي شاعر كلّ العصور. نحتفي بلغتنا اليوم في الثامن عشر (18) ديسمبر بلغتنا العربية الأُمّية، وبعبارة القرآن التي عربت العالم، وغدت لغة الأدب شعراً وخطابةً وعِلماً، وازدادت ألقاً وإشراقاً عندما تعدّت حدود شبه الجزيرة فاحتواها المسلمون بدينها، وتطوّرت بمفاتيح علومها. هي عربية تعلو فوق الزّمان والمكان، وتشدّنا إلى تاريخ بعيد وحاضر مجيد، ومُستقبل جديد، إنّها روح الأُمّة في الفرد، وهي شعوره في حضارته، وهي الهوية الثقافية المُعبرة عن روح الأُمّة العربية الإسلامية وتحصينها.

إنّ العربية قوامُ وجودنا، وعمادُ وحدتنا، وعند الأمم المُتقدّمة تعمل على أن تلتقي لغويّاً، ونرى حال الغرب الذين تعدّدت لغاتهم، فاخترعوا ما يجمعهم؛ وهي عملة الأورو/Euro ليُجتمعوا على عمود التّلاقى ويحاولون الآن الإبداع بلغة قادمة هي لغة الإنكليزية، ونحن نملك لساناً مُبيناً، فإذا اعتصمنا به ورعيناه راعنا وإذا ضيعناه ذهبنا ريحنا وضُعنّا، ولا نتقدّم إلّا به، والحديث يطول في أهمية اللغة العربية، فهي هُوية ثقافية وحاملة تجانس المُجتمع العربي، وهي الرّمز المُعبر عن الشّخصية لغة وثقافة ووجداناً، وهي العروة الوثقى التي جمعت الماضي بالحاضر ثقافةً، والناطقين بها هُويةً، وهي الرّباط الذي جمع أبناء الأُمّة في وحدة لغوية انتماءً.

1- في شعار اليوم العالمي للغة العربية: وترى اليونسكو أن نحتفي بلغتنا بشعار (مُساهمة العربية في الحضارة والثقافة الإنسانية) وحسن الاختيار لما للعربية من أنوار على الحضارة الإنسانية التي نقلتها بكرة العرب إلى الثورة الصناعيّة/La Révolution Industrielle في تدافع العربية بين اللغات؛ بما قدّمت من كُتب أصول وإبداع نظريات، وإنجاز تجارب كانت النّواة للتّصنيع الكيميائي، وإنتاج الحديد، وتطوير أدوات الآلات والتّصنيع الميكانيكي... في الوقت الذي كان الغرب يزرع تحت عصر الظّلمات، والعرب يعيشون عصر الإبداع والأنوار. وكان ذلك من الماضي، وعلينا أن نعتبر الآن، ونحن نشهد بعض الانحدار في انحسار العربية وفقرها التّعليمي والتّقني، وقلة حيلتها في استعمالها في الحياة اليوميّة، ونُتطلّب من صاحب القرار أن يرعاها بالقرار

♥ الكلمة التي أُلقيت بمناسبة احتفائية المجلس الأعلى للغة العربية سنة 2024م، بشعار اليونسكو "مُساهمة اللغة العربية في الحضارة والثقافة الإنسانية". بتاريخ 18 ديسمبر 2024م.

والباحث بإحيائها، والمواطن باستعمالها، واللغوي بتسييرها، والأديب بتجديدها والمختص بتوليد مصطلحاتها وكلنا في خدمتها. وهي واجب ديني وسياسي وقومي "وإنَّ الأمل اليوم أن تعود أمتنا إلى إنتاج العلم، وإلى كتابته بلغتنا، والحاكم يرعاها بحزم وتشجيع، والعالم بعلمه وإبداعه، واللغوي بتطويعها للتعبير بحروفها عن العلوم وفروعه. وبذلك تعود العربية إلى استيعاب العلوم، وتعود العلوم إلى التعبير بالعربية، لتكون اللغة العربية في الوطن العربي ناطقةً بالعلم وفروعه، كما تنطق بالأدب وفنونه؛ وما ذلك ببعيد إذا تضافرت جهود الحاكم والعالم اللغوي، وأرقت الجهود الهمة والعزيمة والإخلاص¹.

إنَّها عربية الحضارة الإنسانية، وقد دخلت بصعوبة، ولكنها دخلت مرفوعة الهامة، وبخطى وثيدة إلى رحاب الأمم المتحدة عبر مطالب عربية؛ دخلت شفوية في ديسمبر 1973م. ثم استصدرت الدول العربية توصيةً بجعلها لغةً رسميةً سنة 1974م. وطال الانتظار، حتى أكتوبر 2012م عند انعقاد الدورة 190 للمجلس التنفيذي لليونسكو، وتقرر تكريس 18 ديسمبر من كل سنة يوماً احتفالياً للغة العربية، بقرار الجمعية العامة برقم 31990، وأصبحت لغةً أمميةً رسميةً برتبة خامسة، ولغة وكالاتها الأممية الإحدى والعشرين. لم تحصل لها هذه الشارة الرتبة إلا بما لها من خصائص اللغات العالمية؛ عربية الفطرة والعقل التي تفتح المستغلقات، وتيسر المستعصيات، وتحدث المستحيلات، مع كل المستجدات، وفي ذات الوقت تعرف التأويلات والتحويلات، بقوة البيانات. هي لغة القوة والغلبة والوحدة التي ارتقت على كل اللهجات، بما لها من نظم الشعر، وإلقاء الخطب، وإرسال الحكم والأمثال، وتدوين الرسائل، وتفاوض الوفود، وتباري الأدباء ومجاراة كلام النوادي والمناقشات والمداولات.

هي السليقة اللغوية التي نضجت واستوت، وفهمت كلام الله بما له من بيان وبلاغة وفصاحة وإبداع وتبليغ، وتحول كل ذلك إلى زخم وانتصار وجود متعالٍ مائلٍ إلى الآفاق. ويقول ابن (خلدون): "... اعلم أن لغات أهل الأمصار إنما تكون بلسان الأمة، أو الجيل الغالبين عليها أو المختطين لها، ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم. والدين والملة صورة للوجود وللملك، وكلها مواد له، والصورة مقدمة على المادة". إنها العربية العالية، لغة الأدب شعراً وخطابةً، ولغة منزلة إجادة الكلام في سلم الإتقان والتبليغ، وقد فعلت فينا فعلتها التعلقية، ويبقى أن نقول:

لا السيف يفعل بي ما أنتِ فاعلةٌ * ولا لقاءٌ عدوي مثل لفظاك

لو بات سهمٌ من الأعداء في كبدي * ما نال مني ما نالته بلغاك

إنَّها العربية التي تحوي موصفات اللغات العلية في الإطار التاريخي من حيث القدم والركام المعرفي والامتداد في الزمان وفي المكان. وفي الأهمية المعاصرة من حيث إقامة المؤسسات وانتشارها خارج بلدانها والمنتوج والإبداع. وهي لغة الانجذاب والاعتزاز والمواطنة، ويشهد التاريخ على إيلاء مؤسسات ذات العلاقة

1- مازن المبارك "العربية" مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 97، الجزء 1 + 2، السنة 2024، ص 231.

من الدولة الجزائرية المكانة العالية للعربية الجامعة، في ظلّ الجزائر الجديدة التي أولتِ الذاكرة الوطنية أولويةً، لما لها من سيادة ومُواطنة، وبقوة القانون، فلا مُستقبل لنا إلاّ بتاريخنا المجيد، فمن الجزائر الجديدة إلى الجزائر المنتصرة، والعُهد في هذا أنّ المسيرة العلمية مُتواصلة، والمجلس الأعلى للغة العربية يُنجز مشاريع كبرى في عوامل ازدهار اللغة من خلال: النشاط العلمي واللغوي والثقافي والترجمي، ودخول عالم التقنية، ومُلاحقة البحوث المُتطورة؛ بإنتاج البرمجيات، ومُتطلبات الاحتكاك اللغوي، وخوض العولمة بالخصوصية والإبداع وكلّ هذا لا يغيب عنا التّقييم والتّقييم.

وبالمختصر المُفيد إنّ اللغة العربية أعطت للحضارة أسهمت بقوة في الحضارة الإنسانية بما قدّمه من إضافات إلى علوم اليونان، بتقديم أفكار جديدة في مُختلف العلوم، واتّصف فكرهم العلميّ بالإبداع؛ فطوروا الحضارة الإنسانية بمُنجزات الحضارة العربية الإسلامية في مجال العلوم الطّبيعية؛ باستخدام المنهج العلميّ التجريبيّ الذي اتّخذوه أساساً للبحث والتّفكير العلميّ؛ فكان هذا المنهج أعظم هدية قدّمتها الحضارة الإسلامية لتاريخ البشرية كلّها، واستطاعوا أن يميزوا بين طبيعة الظواهر العقلية الخالصة والظواهر المادية الحسية ولما حان دورهم لقيادة الحضارة الإنسانية، ترجموا الكتب اليونانية، واطّلعوا على علوم القدماء، كان لهم فضل كبير في تقدّم علوم: الطب والرياضيات والميكانيك والجغرافية والتّاريخ. وقد اتّصف كلّ ذلك بالتّفكير العلميّ كثير من الباحثين، أمثال: الرازي وجابر بن حيان وابن سينا وابن الهيثم والبتّاني والخوارزمي والبيروني وابن خلدون... وتكشف لنا المصادر التاريخية دور العرب العظيم في صناعة الحضارة الإنسانية في تقدّم العلوم وتطورها، وهذا ما سجّله كبار علماء الغرب: سارطون وسيديو وويلز ونيكلسون والبارون ديفوكارا. ويجمعون القول في قول مُشترك "... إنّ المُكتشفات العلمية التي نحن مدينون بها للرواد العرب أكثر من أن تحصى؛ فلقد كانوا مشغلا وضاءً في القرون الوسطى المظلمة، ليس في أوروبا وحدها، بل في العالم أجمع... إنّ الميراث العلميّ الذي تركه اليونان، لم يحسن الرومان القيام به. أما العرب المسلمون فقد أتقنوه، وعمّلوا على تحسينه وإثرائه حتى سلّموه إلى العصور الحديثة... إنّ العرب والمسلمين هم في واقع الأمر أساتذة أوروبا في جميع فروع المعرفة... وفي سقّف مكتبة الكونغرس الأمريكي توجد عبارة منقوشة بماء الذهب كُتب فيها (الينوع الأول للحضارات جميعاً إنّما هو مصر الفرعونية، وأما الينوع الأول للحضارة في العلوم الطّبيعية، إنّما هو العصر العربيّ الإسلاميّ)".

2- في جائزة اللغة العربية في طبعها الحادية عشرة 2024م: لا أطيل الحديث فيها، وأترك الكلام لرئيس اللجنة العلمية قراءة تقرير اللجنة بكلّ مجرياته، وما أودّ الإشارة إليه أنّ هذه الطّبعة شهدت عدد الأعمال المُقدّمة مُتقاربة بين المجالات الثلاثة: الازدهار+ تعميم الاستعمال+ التّرجمة، كما أودّ الإشارة إلى أنّ الطّبعة القادمة (12) سوف تأخذ بُعداً أفضل بكثير من حيث توسيع المجالات، ورفع المُكافآت مع المُستجدّات. وفي برنامج اليوم الاحتفائي سوف نشهد سلسلة مُحاضرات بخصوص اليوم العالمي، وما يتبعه من تشنيف آذاننا من سبّك الشّعر تمّشياً والاحتفاء.

وفي الأخير، باسم زملائي في المجلس الأعلى للغة العربية نحن مُمَنون بهذا الحضور الكبير وهو دلالة على اهتمام الجزائريين باللغة المشتركة التي لها العمق في الوجدان، لما للعربية من سيادة بحق القوة، وبقوة الحق إبان نزول الحق، وجسده بمسيرة الحضارة العربية الإسلامية، كما أنّ للغة العربية جانباً أساسياً واعتبارياً في حياة الجزائريين، وهي بيئة فكرية للشعب الجزائري، وتمثل خصائص الأمة، وتربط بين الماضي والحاضر والمستقبل، وأنّ تعلقه بها لا يمكن وصفه أو التعبير عنه، ولكنه حبّ الصّحبة والألفة؛ حبّ ائتلاف روحي يُنسك جماله وصف جزئياته، ويناله ذلك كله حين لا تقوى على وصفه. إنّه السرّ الإلهي الجميل، وللجزائريين تفنّن عجيب في لغتهم، وهي ليست الوحيدة، ولكن لهم سياسة طريفة رائعة إنهم يعشقون العربية حدّ النّخاع. أيا لغة بلغت التّجلي، فما لغة في الأرض تُعدّل؛ وحياة الأمة تقوم قبل كلّ شيء على لغتها؛ لأنّها إذا نسيت تاريخها فإنّها تفقد شعورها، ومن ثمّ تفقد أسلوب عيشها الكريم، وتصبح في عداد الأموات. والعربية تحتاج إلى مُبدعين، وكُتّاب مُتألّقين، وصيارفة البيان العالي، وكلّ الكلام الذي يأسر الألباب، وما يأخذ من فيوض القرآن الذي يجري جرياً قوياً على ألسنتنا، وهي من شواهد البيان العالي. وإنّها العربية التي تُناهي مواصفات اللّغات الجاذبة، والعربية فصيحة جاذبة، وكلّ اللّغات عند ناطقها معبودة جاذبة، ولكنّ الجاذبيّة هي الاستعمال والاعتزاز+ الجاذبيّة هي التّكيّف لا التّغيّر+ الجاذبيّة هي مُسيرة الواقع. فتعال يا مُعلّي العربية لإعمال النّظر في الصّورات والحاجات، والعمل بفقهِ الأولويات، وقد اجتمع فيكم عقل وعلم وعمل، فتعال نصنع الحدث معاً، والطّريق تصنعه الأقدام، والنّجاح صناعة جماعيّة. وعلى الله قصد السّبيل.

والسلام عليكم يا كرام.

كرسي الثقافة العربية في اليونسكو يحتفي باليوم العالمي للغة العربية^١

- الديباجة: إنه اليوم الكبير الذي تحتفي فيه ملكة اللغات في يومها العالمي؛ اليوم الذي ترسخت قواعدها رسمياً في رحاب الأمم المتحدة بصفتها لغة من اللغات المعتمدة في الأمم المتحدة، وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21). ولتقي في المدرسة السعودية على العادة، والمملكة العربية السعودية تترأس كرسي الثقافة العربية في UNESCO وبالشراكة العريقة المتينة المتميزة، يُحيي المجلس الأعلى للغة العربية مع المحقة الثقافية السعودية هذه المناسبة الكبيرة بشعار اليونسكو (مساهمة اللغة العربية في الحضارة والثقافة الإنسانية) وإنها لسنة حميدة وضعت معالمها منذ سنة 2017م، ونحن نواصل تمتين بيتنا اللغوي، وأن العربية لغتنا المشتركة وتحتاج إلى تعاضد جهودنا جميعاً، والعربية تعلو فوق الأوطان والأزمنة والأمكنة وتشدنا إلى تاريخ بعيد وحاضر مجيد، ومستقبل جديد، إنها روح الأمة العربية والإسلامية، وهي شعور الفرد في قوميته وحضارته وتطلب من صاحب القرار أن يراها بالتشريعات والقرار، والباحث بإحيائها، والمواطن باستعمالها، واللغوي بتسييرها، والأديب بتجديدها، والمختص بتوليد مصطلحاتها... وكلنا في خدمتها.

هي واجب ديني وسياسي وقومي "وإن الأمل اليوم أن تعود أمتنا إلى إنتاج العلم، وإلى كتابته بلغتنا والحاكم يراها بحزم وتشجيع، والعالم بعلمه وإبداعه، واللغوي بتطويعها للتعبير بحروفها عن العلوم وفروعه. وبذلك تعود العربية إلى استيعاب العلوم، وتعود العلوم إلى التعبير بالعربية، لتكون اللغة العربية في الوطن العربي ناطقة بالعلم وفروعه، كما تنطق بالأدب وفنونه؛ وما ذلك بعيد إذا تضافرت جهود الحاكم والعالم اللغوي، ورافقت الجهود الهمة والعزيمة، والإخلاص"². وإنها لعربية الجلال والجمال، إنها السر الإلهي الجميل، وللعرب في لغتهم تفنن عجيب في لغتهم، وسر ملون، وسياسة طريفة رائعة، إنهم يملؤون الوعاء الواحدة بمعنيين، والسياق يفرق بينهما كما أن للعربية مهارة خاصة، فهي الوعاء الشفاف، والماهر من يستشف المنطق والعقل من ذات الوعاء؛ وذلك بحسن الأداء "إن اللغة العربية أطول اللغات عمراً، ومن أكثرها قدرة على إنتاج المولد المشتق... حيث أصبحت اللغة العربية ذاكرة الأمة العربية، وسجل تاريخها وستبقى متعالية على الحدود القطرية، ومتعالية على الزمان مهما تابعت السنوات؛ يحملها ويرعاها ويثبتها وينشرها القرآن؛ حيث قرئ وأيما سار، ولن يضرها تباين لهجاتها القطرية المختلفة، ما دام القرآن يتلى كما أنزل مشافهة؛ يتلقاه جيل عن جيل".

1- أفكار في هذه المناسبة: ويعود بنا التاريخ اللغوي لعربية قريش التي كانت إرادة إلهية أعدت للعرب إعداداً مؤهلاً من خلال عربية حدادي الكلام، وأهل السليقة اللغوية، وذوي الرأي الحصيف والكلام الحكيم، وكما تنقل لنا الأخبار، بأن ابن المقفع 142 هـ، وهو من ناهي العرب، سئل أي الأقوام أعقل؟

١- الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس الأعلى للغة العربية لصالح المحقة الثقافية السعودية، بالمدرسة السعودية بالأيثار الجزائر العاصمة بتاريخ 19 ديسمبر 2024م.

2- مازن المبارك "العربية" مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق. المجلد 97. الجزء 15 + 16، 2024، ص 231.

فقال "إنَّ العرب ليس لها أوَّلُ توَّمة، ولا كتابٌ يدَّ لها، أهلُ بلدٍ فقيرٍ، ووحشةٌ مِنَ الإنسِ احتاج كلُّ واحدٍ منهم في وِحدته إلى فكرة ونظرة، وعليها أنَّ معاشهم من نبات الأرض، فوسَّموا كلَّ شيءٍ بِسَمته، ونسبوه إلى جنسه وعرفوا مصلحة ذلك في رطبهِ ويابسهِ وأوقاته وأزمِنته، وما يصلح منه في الشَّاةِ والبعير، ثم نظروا إلى الزَّمان واختلافه، فجعلوه ربيعياً وصيفياً، وقبظياً وشتوياً، ثم علِّموا أنَّ شربهم مِنَ السَّماء، فوضعوا لذلك الأنواء، وعرفوا تغيُّر الزَّمان؛ فجعلوا له منازلَه مِنَ السَّنة، واحتاجوا إلى الانتشار في الأرض، فجعلوا نجوم السَّماء أدلَّةً على أطراف الأرض وأقطارها، فسلَّكوا بها البلاد، وجعلوا بينهم شيئاً ينتهون به عن المنكر ويُرغبهم على المكارم... ليس لهم كلامٌ إلَّا وهم يتحاضون به على اصطناع المعروف، ثم حفظ الجار وبذل المال، وأبتناء المحامد؛ كلُّ واحدٍ منهم يُصيب ذلك بعقله، ويستخرجه بفطنته وفكرته، فلا يتعلَّون ولا يتأدَّبون؛ بل ونحائزُ مُؤدبة، وعقول عارفة، فلذلك قلتُ لكم، وإنَّهم أعقلُ الأمم لصحة الفطرة، واعتدال البنية وصواب الفكر، وذكاء الفهم لها". إنَّهم عربٌ عاربةٌ فصيحَةٌ في ابتداء وابتداع لغةٍ عظيمةٍ اتَّخذها القرآن سَجلاً لِكَلِمه، فكانت عربيَّة القرآن التي عرَّبت العالم، فهي عربيَّة ترقَّت وتطوَّرت من عربيَّة النظائر إلى عربيَّة الجاهليَّة، وعربيَّة قريش التي صقلها القرآن، وغدت لغة الأدب شعراً وخطابةً وعلماء، وازدادت ألْقاً وإشراقاً عندما تعدَّت حدودَ شبه الجزيرة، فاحتواها المسلمون بِدينها، وتطوَّرت بِمفاتيح علومها، وهي الآن لغتنا، وما بقي من عناصر وِحدتنا؛ بل هي الهويةُ الثقافيَّةُ المُعبِّرة عن روح الأمة وتحصينها.

أيُّها الجمع الكبير، ونحن نُحيي المناسبةَ الكبيرة في رحاب كرسى الثقافة العربيَّة، ونردُّ الفضل لصاحب الفضل سعادة سفير المملكة العربيَّة السَّعودية في الجزائر، الذي يعمل على لَمِّ شملنا في هذا اليوم، وأن نلتقي لغوياً للاعتبار بِقوام وجودنا، وعماد وِحدتنا اللُّغويَّة، وعند الأمم المُتقدِّمة تعمل على أن نلتقي لغوياً ونرى الغربيين الذين تعدَّدت لغاتهم، فاخترعوا ما يجمعهم؛ وهي عملة الأورو/Euro ليجمعوا على عملة تلاقي المصلحة المُرسلة، ويُحاولون الآن الإبداع بلغة قادمة هي اللغة الإنكليزيَّة، ونحن نملك لساناً مُبيناً؛ فإذا اعتصمنا به ورعيناه رعاناً، وهو مظهرٌ وِحدتنا وعمادها؛ وإذا ضيَّعناه ذهب ربحنا وضُعنّا، وما من أمة تقدَّمت بِغير لغتها. ويطول الكلام في وِحدتنا اللُّغويَّة، فهي هويَّة ثقافيَّة، وحاملةٌ تجانس المُجتمع العربي وهي الرَّمزُ المُعبِّر عن الشَّخصيَّة لغةً وثقافةً وعقلاً ووجداناً، وهي العروة التي جمعت الماضي بالحاضر ثقافةً والناطقين بها هويَّةً، وهي الرِّباط الذي جمع أبناء الأمة في وحدة لغويَّة انتماءً.

أيُّها الحضور الكرام، إنَّ العربيَّة تطلُّ علينا من نافذتها الخامسة أُمياً، والعُهدَةُ علينا جميعاً أن تنزل إلى رُتب مُتقدِّمة تراتباً، ولا يحصل ذلك إلَّا بِتخطيط لسانی يبدَأ من الاعتبار والرَّمز؛ بما للعربيَّة من خصائص الأمة التي ترتبط بالقرآن، وبذلك التاريخ الرِّابط بين الماضي والحاضر والمستقبل. وإنَّه لا يكون حلُّ فقرها التَّعليمي الآن إلَّا بِسدِّ جميع الثَّغرات المُفرِّمة لعوامل ازدهارها، وهي: النَّشاط العلمي واللُّغوي والثقافي والترجيحي ودخول عالم التَّقانة والبحوث المُتطوِّرة بإنتاج البرمجيَّات، وخوض العولمة بالخصوصيَّة العربيَّة والإبداع، وكان علينا الوقوف بِماضي العربيَّة وحضارتها الإنسانيَّة بما لها من امتداد، وقد تجسَّد ذلك في مسيرة الحضارة العربيَّة

الإسلامية، حيث يُقرّ بعضهم أنّ الحضارة الغربية المسيحية أصلها الحضارة الشرقية، وعمادها اللغة العربية وقد قال أحد المسؤولين في مؤتمر اليونسكو "... ما الهندسة المعمارية والشعر والرياضيات والفلك والطب وغيرها لولا الثقافة العربية التي ورثت أيضا المعارف القديمة، وجابت أصقاعها بعيداً عن جذورها في الوقت الذي كانت فيه أوروبا مُغلقة على نفسها" بله الحديث عن مُستشرقين زيهين وكُتاب غربيين أُغرموا بالثقافة العربية التي نالت أصقاع العالم، ولم تستثن قارة إلا وتركّت ما يشهد على أنّ الحضارة العربية الإسلامية مرّت ذات يوم من هنا. إنّها الحضارة التي نالت الامتداد والانتشار، فهل تعود تلك السّنون التي جالت وصالت ونالت مقاماً في جزيرة صقلية وإيبيريا وفي بوردو والنّمس والقوقاز وبلاد السّند العجيب، وكبوديا واليونان... إنّها حضارتنا المجيدة بلغة التجلّي، فما من لغة تعدّها.

هو الماضي التاريخي العظيم، ولكن أين نحن الآن من بضاعتنا التي لم تُرد إلينا. ضاع الفردوس منّا ولم تضع جهود أسلافنا، ولكن ما يؤسف له أنّه ردّ إلينا التشكيك والتّكثير منها، وأنّها ليست لغة علم في أصولها... كلام ليس بحقّ، ولكن وجدّ ثغرات في بعض من أهلها المبدعين والعلماء وصيارفة البيان العالي أنّهم لم يعملوا واجهم بإتقان لردّ الاعتبار للإطار التاريخي للعربية العلمية من حيث القَدَم والركام المعرفي ومن حيث الأهمية المعاصرة للمنافسة الجديدة، والوقوف بالندية مع لغة العولمة، وما لها علاقة بفتور الاعتزاز، وفقر التعليم، وضعف الاهتمام بالتّقانات الحديثة. إنّها الحقيقة التي لا مرأى فيها، ولكن ليس ممّا يثبّط عزيمتنا أنّنا لا نلحق ولا نسدّ فجوات الذّكاء الاصطناعي، وكلّ ذلك ممكّن إذا شدّت العزائم، وصدقت النّيات، وما ذلك بعزيمتنا على أهل العلم والعزم والرأي.

أيها الحضور، وما يجب ترسيخه أنّ حياة الأمّة، في أيّ مُجتمع، تقوم قبل كلّ شيء على لغتها؛ لأنّها إذا نسيت تاريخها فإنّها تفقد شعورها، ومن ثمّ تفقد أسلوب عيشها الكريم، وتصبح في عداد الأموات. والعربية تحتاج إلى أن تأخذ من فيوض القرآن أنماطاً، كما يكون العول على المبدعين في فتح المُستغلقات، وتيسير المُستعصيات، وملاحقة كلّ المُستجدات؛ بقوة البيانات. وكلّ هذا لا يمنع التّباري في نظم الشعر، وإرسال الحكم، ونسج الأمثال، وهي المقوم الأساس للغات العلمية، ولولا الكلام الفصيح لما كانت لغة شكسبير وفولتير وسيرفونتيس وبوشكين والمتنبي وكأنج جيه. والعربية الآن هي النّد، فمن Good Morning الإنكليزي إلى صباح الخير العربي، ومن Bonjour الفرنسي إلى لغة الرواسي، ومن Buen dias/بيونس دياس الإسباني إلى عربية البياني، ومن Dobroye Utro/دوبري وترا الروسي إلى عربية التّسامي ومن Zàoshang هّاو الصّيني إلى لغة برهاني. وتبقى العربية لغة اليقين والغلبة، ويقول ابن (خلدون): "... اعلم أنّ لغات أهل الأمصار أنّها تكون بلسان الأمّة، أو الجيل الغالبين عليها أو المحتطّين لها، ولذلك كانت لغات الأمصار الإسلامية كلّها بالشرق والمغرب لهذا العهد عربيّة؛ والسبب في ذلك ما وقع للدولة الإسلامية من الغلب على الأمم. والدين والملة صورة للوجود وللملك، وكلّها موادّ له والصّورة مُقدّمة على المادة".

إنَّ العَرَبِيَّةَ في ذاتِها تَمَيَّزُ فَرِيدٌ أَنَّ المَاضِي يَحْضُرُ في الحَاضِرِ، وَأَنَّ الحَاضِرَ لَا يَبْعَدُ عَنِ المَاضِي، وَهُوَ السَّرَّ العَجِيبُ في لُغَةِ القُرْآنِ، وَأَنَّ البَقَاءَ مَرَهُونَ بِالمُنَافَسَةِ العَلِيَّةِ الَّتِي نُزِيدُهَا مِنْ قَبْلِكُمْ أَيُّهَا الحَاضِرُ، وَأَنَّ نَلْتَقِي في أَمْثَالِ هَذِهِ المُنَاسَبَاتِ لِلْحَدِيثِ عَنْ صَعُوبَاتِ العَرَبِيَّةِ في: عَدَمِ تَحْرِيكِ آيَاتِ عِلْمِ النُّحُوِّ لِمُقْتَضَى التَّفَاعُلِ اللُّغَوِيِّ المَعَاوِرِ + عَدَمِ إِضَافَةِ مُصْطَلَحَاتٍ جَدِيدَةٍ بِطَرِيقَةِ نَمْطِيَّةٍ + النَّظَرُ إِلَيْهَا عَلَى أَنَّهَا لَا تَقْبَلُ التَّطَوُّرَ + رَفُضُ اسْتِعْمَالِ الحُرُوفِ الجَدِيدَةِ الَّتِي نَسْتَقْبِلُ بِهَا المِصْطَلَحَاتِ الغَرِيبَةِ + ارْتِبَاطُهَا بِظَاهِرَةِ القُدْسِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ لَا يُمْسُّ مَا سَنَهُ الأَسْلَافُ + ضَعْفُ الجَانِبِ الوُضُفِيِّ لِلِاسْتِخْدَامِ + عَدَمُ حَلِّ المِضَاقَاتِ التَّعْلِيمِيَّةِ التَّعْلِيلِيَّةِ + ضَعْفُ بَرَجِيَّاتِ التَّعْلِيمِ + انْتِشَارُ العَامِيَّاتِ وَالمُجَنَّةِ اللُّغَوِيَّةِ + قَلَّةُ النِّشَاطِ الْخَاصِّ بِالتَّرْجَمَةِ.

- الخَاتِمَةُ: إِنَّ الأُمُورَ بِخَوَاتِمِهَا وَمُسْتَقْبَلِ لُغَتِنَا مُبَشَّرٌ بِالْخَيْرِ، وَوَصْفَةُ الأَجْدَادِ كَانَتْ جَيِّدَةً، أَلَمْ تَبْزُتْكَ اللُّغَاتُ العَالِيَّةُ فِي أَبْرَاجِهَا، وَكَانَتْ مَانِعَةً، وَلَهَا سَبْقُ النِّشْأَةِ، وَلَكِنْ أَزَاحَتْهَا، بَلْ أَزَاحَ أَهْلُهَا لُغَاتِهِمُ المَحَلِّيَّةَ طَوَاعِيَّةً وَاسْتَبَدَلُوهَا بِالعَرَبِيَّةِ حَبًّا فِي دِينِهَا وَعِلْمِهَا وَمُسْتَقْبَلِهَا. إِنَّهَا العَرَبِيَّةُ العَالِيَّةُ، لُغَةُ الأَدَبِ شِعْرًا وَخَطَابَةً، وَلُغَةُ مَنْزِلَةِ إِجَادَةِ الكَلَامِ فِي سَلَمِ الإِتْقَانِ وَالتَّبْلِيغِ. وَأَنَّ إِسْبَرَنْتِ اللُّغَاتُ قَائِمَةً، وَالبَقَاءُ لِلْعَرَبِيَّةِ مَعْلُومٌ، وَالْغَلْبَةُ الْعَلِيَّةُ لَيْسَ مِنَ المَعْدُومِ. وَيَا لُغَتِي الْجَمِيلَةَ لَا أَجِدُ الكَلَامَ الْجَمِيلَ أَمَامَكَ فِي هَذَا اليَوْمِ الَّذِي أَنْتِ عَرُوسَةُ الحَفْلِ إِلَّا بَضْعَ كَلِمَاتٍ أَتَصَرَّفُ فِيهَا مِنْ شَعْرِ أَصَابٍ مَرْغُوبِي، وَأَقُولُ:

لَا السَّيْفُ يَفْعَلُ بِي مَا أَنْتِ فَاعِلَةٌ * وَلَا لِقَاءُ عَدَوِي مِثْلُ لَفْظَاكَ

لَوْ بَاتَ سَهْمٌ مِنَ الأَعْدَاءِ فِي كَيْدِي * مَا نَالَ مِنِّي مَا نَالَ بُلْغَاكَ

وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللَّهِ، ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ التَّوْبَةُ 105. وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ جَمِيعًا.

هل اللغة العربية أعظم اللغات؟[♥]

- الدّيباجة: سؤال في الواجهة، وجواب يأتي من التحليل، ونقول بأنّ قياس عظمة اللغة يكون بعظمة مبدعيها، ولهذا أصبح التّماهي في اللغة الأمّ بإحكامها مطلب كلّ الشعوب، فهي باب تعلّم اللّغات الأخرى وفي واقعنا المعاصر صار اختيار معرفة اللّغات أمرًا بالغ الأهمية لتسهيل التّواصل، والسّماح للأشخاص بالمشاركة في أنشطة المجتمع المختلفة، والبروز والتّميّز في ظلّ عالم معلوم، وتشابك المجتمعات المتعدّدة اللّغات، وما يفرضه الواقع المعاصر من الحوار والمعرفة والإعلام والقدرة على الدّبلوماسية، وإمكانية الانخراط في العلاقات الدوليّة. وحتى نجزم في الأمر بأنّ لغة ما هي الأعظم كان علينا الاستناد على أدلّة والاطلاع على اللّغات والتّعرّف على ماضي لغة وحتميّة تطوّرها، وانتشار متونها، والنّظر إلى مقدار ازدهار أهلها أو نحوهم. كما أنّ عظمة اللغة تُقاس بماضيها وبحاضرها وهو العامل المهمّ، فمستقبل اللغة مرهون بالقدرة على الاختراع، وأنّ عزم الأمة على لغتها هو الاعتزاز والاستعمال والعمل من أجل العليّة والازدهار، إلى جانب ما يُقدّم فيها وبها من إبداع الشعراء والنّقاد والفنّانين. وإنّ عظمة اللغة تكمن في أداء وظائفها في بناء علاقات قويّة وفعّالة في السيطرة بشكل جيّد على مهارات التّواصل اللّغويّ المناسبة؛ لأداء وظيفة الثقة بالنفس، وفهم الثقافات والعادات المختلفة، وتعزيز الروابط بين الأشخاص وتمتّين المشاركة في المجتمعات، والتّطور الاجتماعيّ والثّقافيّ وما يتبع ذلك من تحقيق نجاحات في الحياة الشّخصيّة والمهنية من خلال استخدام اللغة بشكل صحيح وفعّال.

1- وظائف اللّغات: في الحقيقة كلّ اللّغات الطّبيعيّة والاصطناعيّة تحلّ في ذاتها وظائف منوطة بأدائها من أجل التّواصل، وإنتاج المعرفة، ومواصلة فعل الحاضر والمستقبل وتطور الثقافة، وبناء الحضارة، وصنع الكتابة وتسجيل الملفوظ والتّعبير عن المشاعر والأحاسيس، والتّطلّع لمطالب الحياة، وما له علاقة باستشراف إنتاج المعرفة، وغير ذلك من الوظائف اللّغويّة من المركّبات ذات العلاقة ببناء القواعد النّحويّة. وأما اللّغات العظيمة ففيها الهوية والانتماء والتّميّز والقطيبة والماضي الذي يمتدّ في الحاضر ويستشرف المستقبل، وما له علاقة ببناء التعاون والامتداد وحسن الأداء، وهذا لا يكفي بل لا بدّ أن تكون مقومات اللغة من حيث المعنى الرّمزي والاعتباريّ وكذلك المتنّ اللّغويّ من حيث ثرائها وكفائتها وتميّزها وأهميّتها وسهولة نفاذها إلى المستمعين في بيانها وتعلّمها، وسهولة البقاء والانتشار الذاتيّ.

تلكم هي الوظائف المطلوبة في عظمة اللغة، ومن يفوز بهذه العظمة يا ترى؟ لا يفوز بها إلاّ تلك اللّغات ذات المعايير العالميّة من انتشار وغلبة استعماليّة، وتمتدّد دائم وسيطرة على المعرفة العامّة والعليّة، وإنتاج التّقانات والآليات الحديثة وما له علاقة بالتّعمير في منحاها الحضاريّ المعاصر. والصّراع الآن قائم بين اللّغات الأهميّة في الحروب اللّغويّة القادمة، والخرائط اللّغويّة المتغيرة مع آفاق 2030، ومع كلّ عشريّة من الزّمان هناك متغيّر في التّراتب اللّغويّ، وهناك موت وانتفاء لكثير من اللّغات. هناك حروب لغويّة قادمة، ولمن

♥. الكلمة التي أعدت لصالح مجلة اللغة العربية بالشارقة. العدد التاسع 2024م، وتدخل في مجال اللسانيات.

يُكتب لها البقاء؟ لا يكون إلاّ للغة التي لها التّقانيّة، ولها الماضي المُعَدَّق، والمستقبل المُشرق. وللغة التي لها العمق التّراثي في الكلمات والجذور والاتّساع، وقوّة التّعبير عن الأحاسيس والمعاني والمفاهيم والتّطلّعات، وقوّة الدّلالة للكلمات، مع توصيل كامل للمعنى المطلوب في نقل المفاهيم وحمل الأفكار، ودفع الغموض والتّعبير عن الذات؛ بالإضافة إلى فهم المراد بيسر وإيجاز. وهناك المعيرة والانتشار؛ وهما من أقوى عوامل البقاء ولغة العظيمة؛ حيث تظهر في لغة عالميّة لا حدود جغرافيّة ولا زمنيّة لها، سهلة النّطق والتّعلم، ذاتيّة الانتشار والتّمدد.

2- عظماء الحضارة الإنسانيّة: تعلّنا في المدارس بأنّ (أبو الرّيحان مُحمّد بن أَحمد البيرونيّ) (973-1048م) باحث مُسلم، وصاحب الأفكار الأولى في: الفلسفة والفلك والفيزياء والجغرافيّة والمعادن والرياضيات والصّيادلة والتّاريخ والترجمة، وقد كتب أكثر من مئة وعشرين (120) كتاباً، ويُعدّ أعظم شخصيّة عالميّة في زمانه؛ نظير تلك الأعمال التي جعلت عصره يُسمّى بالعصر الذهبيّ، بما كان يُبدع من أفكار ويجول بين اللّغات: الخوارزميّة والفارسيّة والعربيّة والإغريقيّة والسّنسكريتيّة والعبريّة والسّريانيّة. إنّهُ أعظم شخصيّة موسوعيّة باللّغة العربيّة التي كانت قاعدة إنتاج علومه كلّها، مُستعيناً بلغات أخرى روافد استكشافيّة وإنّ اللّغة العربيّة هي التي أوصلته إلى إيجاد وسيلة لقياس طول الشّمس، ووضع تصور أوّلٍ لجهاز الإسطرلاب وأصبح بها عالماً كبيراً في الرّحلات والأعراق والأديان والعادات والنّاس، وأسماء الأماكن، وبكلّ موضوعيّة حاز قصب السّبق في العلوم النّظريّة؛ لدرجة أن أطلق عليه المُستشرقون تسمية بطليموس العرب؛ لأنّه أسهم في تقديم المنهج العلميّ التّجريبيّ في أبحاث الحركة والدّوران. صدّقنا أقوال المُعلّمين، وما نقلته الكتب في ما ناله من الشّهرة المصحوبة بحُجج ملبوسة على كروية الأرض، واختلاف ساعات النّهار بالمواسم وبراعته في التّقويم الهنديّ، وغيرها من الأبحاث التي أضفت عليه مُصطلح أعظم شخصيّة مُسلمة قدّمت للحضارة الإنسانيّة الخطوات الأولى للتّطور الذي حدث تراتبيّاً عبر القرون. والخلاصة أنّ مُعظم أعماله من مُنتوج اللّغة العربيّة باعتبارها وعاءاً لفكره الذي كان حاملاً للثقافة الإنسانيّة؛ بما له من حمولة لسانیّة لها مُقومات الاستجابة لتفسير الظّواهر المُختلفة التي تُطلّبها مُختلف الدّراسات الأدبيّة أو العلميّة، وما يدخل في الأدوات الفلكيّة، وتجريد الشّعاعات والأنوار، ومعرفة الجواهر، وما بابه التّوحيّد والتّعميّة. وصدّقنا القول أكثر ممّا قرأناه، كما رأينا ما ناله من تكريم مُستحقّ بعد مُرور قرون على أن يكون له موقع على إحدى الفوهات البركانيّة على سطح القمر وعلى الكويكب 9936 Al-Biruni، وأن تُخصّص له بعض الدّول أفلاماً لحياته، ويكون في مُسلسلات عربيّة وغربيّة، ويُطلق مكتب الأمم المتّحدة في فيينا اسمه على جناح العلماء: ابن سينا، أبو ریحان البيرونيّ، أبو بكر مُحمّد بن زكريا الرّازي، وعمر الخيام، وكلّهم من الفرس ولكنهم لم يدعوا في لغتهم كما أبدعوا في العربيّة فيها وبها. وبعد قرون من موت (البيروني) جاء من يقول لنا بأنّ أعظم شخصيّة هو مُخترع الطّائرة وصدّقنا الأمر لعظمة هذا الاختراع، عندما نرى تلك الطّائرات العملاقة/النّفاثّة وهي تحلق في السّماء، وبلّح البصر تمرّ وفي بطنها الأطنان، وتبقى مُعلّقة في الجوّ ساعات وساعات، ويا لها من اختراع!

وتأتي في أبحاثنا تلك المحاولات التي اعتمدها السابقون في المنطاد وما قام به بعض المغامرين في تصميمات أولية للطيران، ويأتي الأخوان رايت/Wright Brothers: أورفيل/Orville + ويلبر/Wilbur في بناء أول طائرة وقامت برحلتها الأولى في تاريخ مشهود في 17 ديسمبر 1903. هو تطور نوعي شهدته صناعة الطائرة التي أصبحت تطير وتهبط بسلاسة. إنهما من الشخصيات العالمة بلغتهما الإنكليزية التي جعلت منهما أعظم شخصيتين عرفهما التاريخ. واللغة الإنكليزية كانت لهما عوناً في تلك التجارب التي كللت بالنجاح. ومن ثم جاء من يقول بأن أعظم شخصية هو صاحب مايكروسوفت أوفيس إكسل/Microsoft Office Excel البرنامج المستخدم لإنشاء جداول البيانات والقوائم، والميزانيات والرسم البياني، هي الجدولة التي تعتبر من أكثر البرامج استخداماً على مستوى العالم، ونجد فيها أعمدة/Columns وصفوف/Rows وتتقاطع لتشكيل خلايا/Cells وعرفت تطورات وتحسينات، وأصبحت تقدم خدمات كبيرة في مجال قواعد البيانات وإنشاء الرسوم البيانية. وتعد هذه الجدولة أعظم عمل حضاري لا يقل عن العجائب السبع، إن لم تكن ثامنتهم. إنه صاحب مايكروسوفت العبقري الذكي في خوارزمية عجيبة متضمنة حزمة برامج (Office) التي أضحت لا غنى عنها في أنظمة تشغيل ويندوز/Windows للحاسب الشخصية، وربما قد تستخدم برنامج وورد/Word بين الحين والآخر. والشاهد هنا أن عظمة الجدولة من عظمة صانعيها ولغة صانعيها، ومحتوى محمول أعمدها من التحول الرقمي، وما يمكن كتابته على برنامج الإكسل بما له من صيغ جاهزة لتبسيط وتنفيذ مجموعة واسعة من العمليات الحسابية التي تشمل العمليات الشائعة؛ مثل إدخال التاريخ/الوقت إلى العمليات الأكثر تعقيداً وكذلك البحث عن معلومات محددة موجودة في جداول البيانات الكبيرة.

والشاهد أن صاحب الجدولة/Excel أعظم من البيروني ومن الإخوة رايت بهذه البرمجة في الفرز وتصنيف البيانات، وربطها بخططات الاستخدام مع برامج الپورپوانت/PowerPoint والورد. وهذا ذكاء خارق لا يتوفر إلا في فكر شخصية عظيمة مُمثلة في بيل جيتس/Bill Gates ومن لغة عظيمة/English ويعد الآن (بيل جيتس) الإسكندنافي أثرى شخص في العالم، ولم يكن السابقون بهذا الثراء الذي ليس له حساب، كما أنه الشخصية الذي أحدث كلمة مزيجية من: Absalon وAxelen تجيداً لمعنى (الإله + القدر الكبير). وسمى عمله باسميهما Excel بذكاء جامع في المعنى اللغوي يساوي: الإتقان والتفوق والتميز والبروز والإجادة... وهذه حضارة أوروبا الشرقية الإسكندنافية وأعجوبة القرن المعاصر. والحوصلة من هذه الديباجة أن أقوى اللغات صنعت أقوى الشخصيات، واللغة هي التي ساعدت المبدع على التأقلم والتعلم بهدف التطور الجبار، والتقدم الهائل الذي نشهده، وما كان ليكون لولا اللغة.

3- عظمة اللغات بعظمة أهلها: قرأنا أن كل الحضارات قامت على لغة من اللغات، فقامت الحضارات الأساسية في بلاد الرافدين: السومرية + الأكديّة + البابليّة + الآشورية؛ وهي التي شكّلت صلب حضارات أخرى واصلت المسار، على غرار الحضارة الإغريقية والنوميدية والفارسية... وكل حضارة قامت على لغتها وقامت الحضارة العربية الإسلامية على العربية، والحضارة اللاتينية على الإيطالية، وقامت بعد ذلك أوروبا

الأنوار على الفرنسية، وأدرج الحديث عن أوروبا الأنوار لحداتها، والاعتبار من تلك الهبة الكبيرة والجماعية للتجديد من أجل خدمة اللغة المشتركة، ونقرأ ذلك من كتاب (أوروبا التنوير) تأليف: إيف بوروير. تر: محمد علي مقلد. سلسلة نصوص. دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1. 2008م ونجد المؤلف يصف ذلك التجديد من الفرنسيين بلغتهم القومية التي خرجت من اللاتينية، وجعلوا المركزية الفرنسية باباً لأوروبا الأنوار، أوروبا فولتير/Voltaire، فرنسا الإشعاع، وعاصمة للأنوار أكثر منها العاصمة الفرنسية (باريس) وأعلنوها جمهورية الآداب، وإعلان كوزموبوليتي، وتأكيد وعي قومي للخروج من سبات القرون الوسطى، والبداية من الكوجيتو الدكارتى/Emmanuel Kant "أنا أفكر إذاً أنا موجود" فحدث أنوار العقل والعقلانية. هي بداية تحرر العقل الفردي من مكبلاته الغيبية، ومُنطلقها من الفكر والقلم والكتابة. كانت استفاقة كبيرة بإعداد جمهورية الآداب والأكاديميات والبحوث العلمية والصالونات الفكرية والأدبية، إنه تأسيس لعصر الصحافة والجرائد، صحافة التبادل الثقافي والترجمات الإبداعية وتوظيف الريشة والفنون الجميلة والبالى.

إنه عصر الثقافات الأوروبية بمنهجيات تضافرت فيه جهود وعي النهوض، وتلاحمت أفكار يوهان غوتليب فيخته/Johann Gottlieb Fichte في تفعيل الحقوق والواجبات، وتوليفة ديديه ماسو/Didier Masseau والأديب الفنان Pierre Bayle ناشر أخبار جمهورية الآداب، والأكاديميات والنوادي العلمية والصالونات الأدبية، والمنتديات الثقافية، والجمعيات الاقتصادية، ومؤسسات التراسل الأكاديمية، وحتى الكهنوت ومؤسسات (Arcadia). التقت أكاديميات العلوم والآداب، وجندت العلماء الأجانب أعضاء شرف في الأكاديميات والمشافي العالمية. أساتذة أفذاذ على غرار جان دانيال شوفلين/Jean- Daniel Schoepflin أستاذ التاريخ والفصاحة المتقل بين باريس وإنكلترا وألمانيا، وكانت الديبلوماسية عضيدة للأنوار بما بلغته من ذروة بناء معارك التبخر في معارك الأنوار، وجاءت أوروبا الارستقراطية والمجتمع النبيل بصالوناتها ومسارحها، هي أوروبا التنوير، وكانت فسحة الانتقال والتبادل.

إنه استنفار أوروبي كبير طال الزمن، وعادت لهم عجلة العلم جديدة، ولم يكن ليحصل لهم ذلك إلا بتلك الجهود المبنية على الأبحاث والإبداع والتكوين، وما سنوه من تطور نوعي بمسار صارم لا يقبل أي انتهاك بل الأخرى ممارسة تربوية اجتماعية كمقصد للتحيين. هو نجاح ملحوظ في أوروبا بما لها من قوميات متقاتلة وأصبحت متآلفة من أجل العيش معاً بسلام. هو تطور نوعي مستديم يستحق الاهتمام حتى لو تعرض نموه إلى عوائق، والمهم كان النموذج الفرنسي قد كبر بعدما تأسس في القرن الثامن عشر/XVIII وأصبحت اللغة الفرنسية عالمية في ذلك القرن، وذلك الذي أدى إلى الثورة الفرنسية التي حصل فيها تطوير عجلة العرب إلى ثورة البخار، فهل نعتبر!

4. معايير عظيمة اللغات: من خلال هذه البصمات الإبداعية التي تركها هؤلاء المبدعون، وهي بصمة لسانية بامتياز، وكل مبدع أجاد وأتقن بلغة عبرت عما في فكره، وعن خميرة في ذهنه تحمل صناعة فكرية بلغة ارتيائية، وفيها صفة التمايز بين الأفراد، بتمايز كائن بين اللغات من حيث ما يجري فيها من بحوث واهتمام

ومناهج وغير ذلك من الأبحاث التي تقوم على التَّو/التَّهْيئة اللُّغويَّة. ومع ذلك نرى أنَّه لا توجد وصفة تشير إلى معايير مُتفق عليها تُعتمد في تصنيف اللُّغات من حيث العظمة، بقدر ما يمكن أن نقول: إنَّ عظمة اللُّغات تكمن في الإبداع الذي يأتي من علماء اللُّغة؛ لأنَّ المبدع لا يُبدع إلاَّ بواسطة اللُّغة؛ فهي آلة تفكير، وبها يقع التَّخطيط، وفيها يقوم الرِّسم، ومنها تنطلق مرحلة التَّجريب والتَّواصل. وتأتي اللُّغة في أصلها من مظاهر المحيط الذي يعيش فيه الإنسان + الزَّمان + الدَّافعيَّة + المتغيِّرات + الملاحظات. وعليه؛ فإنَّ عظمة اللُّغة من عظمة ناطق تلك اللُّغة وهو صانعها، وهي التي صنعتها، وبها أنطقت أفكاره، وصنع إبداعه، ومن خلالها استطاع توثيق خطواته، ومُواصله بناء منطوق الأشياء التي يقوم عليها أيَّ إبداع يأتي من الفكر، والفكر منطوق، والمنطق لغة. ومن هنا نرى هذين الوجهين لعملة واحدة. ونقول بأنَّ اللُّغة تصنع المبدع، والمبدع يُطوِّر اللُّغة، باللُّغة تأتي الأفكار المنطقيَّة التي نفرِّق بها بين لغة مُبدعة، ولغة غير مُبدعة، وبين لغة جاذبة، ولغة غير جاذبة، وبين فكر نير، وفكر خامل، وهذه سنَّة الحياة في حصول المعارف. ومن هنا، فإنَّ معايير لغة مُبدعة تظهر من خلال مُطوِّريها، ومن إبداعاتهم المُستمرَّة، وذلك ما يجعل اللُّغة مُبدعة. وعلى العموم يمكن استخلاص المعايير التَّالية:

1/4- اللُّغة نسق منطقيُّ مبني على ملاحظات جعلت الإنسان يصطلح أسماء على الأشياء المحيطة به أوَّل الأمر، ثمَّ على أشياء مُتصورة وقائمة في الذَّهن في المرحلة اللاحقة.

2/4- اللُّغة في أصلها فعل أمر في البداية لحاجة الطَّلَب لغيره لمقاومة عوامل الطَّبيعة، ثمَّ فعل مُضارع للاستشراف، ثمَّ فعل ماضٍ للتَّاريخ.

3/4- لا توجد في الأصل لغة مُبدعة، ولغة غير مُبدعة، كما لا توجد لغة راقية، ولغة وضيعة.

4/4- اللُّغة في أيِّ مُجتمع قضية جماعيَّة، فهي صورة أمة ووجودها ومُستقبلها.

5/4- الإبداع في اللُّغة يأتي من الاهتمام بها في نقلها عن طريق تدريسها واستعمالها ونشرها.

6/4- اللُّغة المُبدعة لغة سهلة التَّعلُّم، بسيطة القواعد.

7/4- اللُّغة المُبدعة حيَّة وقابلة للتَّطور.

8/4- اللُّغة المُبدعة مُفتحة لا تقبل الثَّبات.

9/4- اللُّغة المُبدعة لها صانع ومُريد وامتداد في الزَّمان وفي المكان، وتقبل التَّكيف.

لا نذهب مذاهب قديداً في هذه المسائل التي تؤدي بنا إلى الخلاف؛ حيث رأينا لغات لها هذه المعايير ولكنها أفلتت، ونرى لغات أخرى حديثة اعتلت، ولغات قديمة لا وجود لها، ولغات حضارة اندثرت واللُّغات دُول. ولكن تكمن عظمة اللُّغة في التي تحمل مجموعة كبيرة من هذه المعايير التي استخلصناها من اللُّغات الحيَّة التي كانت لها الريادة، ولا تزال تعيش التَّميِّز والفرادة والوَقع العلمي، وللُّغات التي كان لها الوضع الجيِّد كلغة عالميَّة ولكنها تراجعت. ويمكن أن نخضع هذه المعايير للغرلة التي تأتي بها الأفكار الجديدة في إطار تطوير اللُّغة العربيَّة لينطبق عليها مُصطلح (أعظم اللُّغات).

5- أعظم اللغات: لم نحصل على دراسة وضعت تراتباً لأعظم لغة من اللغات، بل هناك أفكار متضاربة بعضها تأخذ معايير الغلبة البشرية/أقدم اللغات/أسهلها/أقواها اقتصاداً/أقواها صناعة/أكثرها استعماراً/أكثرها انتشاراً... وترى الموسوعة السويدية أنّ أعظم اللغات هي: الإنكليزية + الهندية + العربية + البرتغالية. وهناك من يرى أنّ اللغات الحية هي أعظم اللغات، وهي تلك اللغات المنتشرة في أرجاء العالم بشكل واسع، ونستطيع أن نتعلّمها كالعربية والانكليزية والإسبانية والصينية. وهناك من يرى بأنّ اللغات الاصطناعية سوف تكون لاحقاً من أعظم اللغات على غرار: الإسبرنتو، وكذلك لغة الإيدو + الإترليجوا اللتين وضعنا لنفس السبب. وهناك من يرى أنّ الإسبانية من أعظم اللغات لانتشارها القوي في العالم، وأنّ العربية أقواهنّ لما لها من دين ثابت ومن يرى بأنّ الانكليزية هي العظيمة، وإمبراطورية لغات العصر الحاضر بما لها من التغيّرات الثقافية الحديثة مثل صعود هوليوود، وصناعة السينما، وانتشار التكنولوجيا الجديدة، ووسائل التواصل الاجتماعي.

وهناك من يرى بأنّ أقوى اللغات هي أعظم اللغات؛ وتوزّع بين الأكثر استخداماً في العالم وهي: الإنكليزية + الفرنسية + الإسبانية + الروسية + العربية + الصينية. وهناك من يرى أنّ الانتشار الحقيقي يكمن في الاستعمال في العالم، وفق هذا الترتيب: الإنكليزية + الصينية + الهندية + العربية + الإسبانية + الروسية + البرتغالية + البنغالية + الفرنسية + الألمانية... وهناك من يرى أنّ اللغات في العالم كثيرات، ولكن هناك عشر لغات فقط في العالم القادم، وهي: الإنكليزية لعلّهم الماندرين لعدد ناطقيها + الإسبانية لانتشارها + اليابانية لنانو تكنولوجيايتها + الألمانية لدقّتها + الروسية لفضائها + الفرنسية لديلوماسيتها + العربية لدينها + الهندية للاهوتها + البرتغالية لجغرافيتها. وتبقى الآراء في تجاذب وتضارب، والزّمن كفيل بإظهار ذلك في الزّمن القادم؛ حيث تنقلّص اللغات، وتموت أكثر من واحد وعشرين (21) لغة كلّ سنة.

6- العربية أعظم اللغات: ليس جواباً للسؤال، بقدر ما هو تمهيد له، لما للعربية من خصوصيات لا تُوفّر مُجمّعة إلّا في العربية؛ حيث يتحدّث بها ما يقرب من ستمئة 600 مليون من فطريتها في البلاد التي تنضوي تحت إمرة جامعة الدّول العربية، ومليارين (2) وستة (6) ملايين من المستعمرين لها في صلواتهم بصورة يومية، بله الحديث عن العمالة الموجودة في بلاد الخليج والمقدّرة بثمانية (8) ملايين يستخدمونها في قضاء مصالحهم اليومية، أو في المعاملات الإدارية، وهناك فئات أخرى تستعمل العربية على غرار الكثير من الأفارقة، والأحواز وتركيا وتشاد والسّنگال وإريتريا، وفي عواصم الغرب من المهاجرين العرب. وهي لغة رسمية أجنبية أولى/ثانية في كثير من الدّول على غرار قبرص، ولغة مالطا العربية المهجينة، ووصل العدد الآن لدول تستخدم العربية لغة رسمية إلى 63 دولة بما فيها الدّول العربية. ويمكن تأكيد بعض المتغيّرات الحديثة، فنجد رسميتها الطّبيعية في الجزائر + (الأمازيغية). البحرين. تشاد + (الفرنسية). جزر القمر + (الفرنسية). جيبوتي + (الفرنسية). مصر. العراق + (الكردية). الأردن. الكويت. لبنان. ليبيا. موريتانيا. المغرب + (الأمازيغية). عُمان. فلسطين. قطر. السعودية. الصومال + (الصّومالية). السودان + (الإنكليزية). سورية. تونس. الإمارات العربية المتّحدة. اليمن.

ونقرأ ونطالع بعض المناخات التي تقول: إنّ العربية أعظم اللغات وأكثرها سحراً وثراءً، وهي تحمل أدباً عالي الجودة، وبلاغةً وفصاحةً؛ وهي لغة الضّاد، لغة بلغت بفضل القرآن من الاتّساع، مدى لا تكاد تعرفه آية لغة أخرى من لغات العالم، لغة بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة، لغة لا تزال حيّة حياة حقيقية، وهي واحدة من ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاءً لم يحصل عليها غيرها، لغة أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلميّ الذي نقلهم إلى ثورة البخار، لغة لها معنى رمزيّ كبير، وبما لها من الأيام العالميّة القارّة: اللغة الأمّ + لغة الضّاد + لغة اليوم العالميّ لغة من أقوى اللغات اشتقاقاً وثراءً وسلاسة ومجازاً...

7- العربية أعظم اللغات بشهادة غير أهلها: وهذه أقوال وشهادات مفرحة قيلت في اللغة العربيّة من علماء زيهين، هاموا بعشقهم للعربيّة بما لها من أثر في فكرهم، وقالوا كلاماً واقعياً بما فيها وما عليها: قال الكاتب الفرنسيّ وليام مارسيه William Marçais "العبارة العربيّة كالعود، إذا نقرت على أحد أوتاره رنت لديك جميع الأوتار، وخفقت، ثمّ تحرّكت اللغة في أعماق النفس من وراء حدود المعنى المباشر موكباً من العواطف والصور". ويقول الفرنسيّ لويس ماسينيون/Louis Massignon "إنّ اللغة العربيّة هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلميّ، والعربيّة من أنقى اللغات، فقد تفرّدت في طرق التعبير العلميّ والفنيّ". ويقول الفرنسيّ إرنست رينان/Ernest Renan: "... اللغة العربيّة بدأت فجأة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة". وتساءل المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه/Sigrid Hunke "كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟ فخيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة".

ويؤكّد المستشرق والمؤرخ كارل بروكلمان/Carl Brockelmann: "بلغت العربيّة بفضل القرآن من الاتّساع مدى لا تكاد تعرفه آية لغة أخرى من لغات الدّنيا". ويقول الألمانيّ يوهان فوك/Johann Fock "لقد برهن جبروت التراث العربيّ الخالد على أنّه أقوى من كلّ محاولة يقصد بها زحزحة العربيّة الفصحى عن مقامها المسيطر". كمّا يقول البلجيكي جورج ألفريد ساراتون/George Alrered Saraton "إنّ اللغة العربيّة أسهل لغات العالم وأوضحها، فمن العبث إجهاد النفس في ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل، وتوضيح الواضح، فإذا فتحت أيّ خطاب فلن تجد صعوبة في قراءة أردأ خطّ به، وهذه هي طبيعة الكتابة العربيّة التي تتسم بالسهولة والوضوح". ويقول جوهان ويلفگان فون غوته/Johann Wolfgang Von Goethe "ربّما لم يحدث في آية لغة هذا القدر من الانسجام بين الرّوح والكلمة والخطّ مثلما حدث في اللغة العربيّة، وإنّه تناسق غريب في ظلّ جسد واحد". ويقول الأستاذ ديفيد صامويل مرغليوت/David Samuel Margoliouth: "اللغة العربيّة لا تزال حيّة حياة حقيقية وهي واحدة من ثلاث لغات استولت على سكان المعمورة استيلاءً لم يحصل عليها غيرها".

يقول المستشرق الفرنسي بارثلي هربلو دو مولنكيل/Barthelemy d ,Herbelot de Molainville: "إنّ اللغة العربية أعظم اللغات أدباً وأسماءها بلاغة وفصاحة، وهي لغة الضاد. كما يقول جول فرن/Jules Verne "إنّ مستقبل الأدب في العالم العربي هو للغة الفصحى وحدها الزاخرة بالثروة والغنى والتراث، وليست للهجات العامية بلغة كيانية؛ بل هي تحريف وتشويه للفصحى، ولن تتمكّن هذه اللهجات إطلاقاً من اجتياز جدار التراث والفصحى". ويقول المستشرق جاك بيرك/Jacques Berque "اللغة العربية لغة المستقبل، ولا شكّ أنّه يموت غيرها وتبقى حياة خالدة". وأما المجري عبد الكريم جرمانوس/Germanus يقول: "إنّ في الإسلام سنداً هاماً للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها فلم تتل منها الأجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة، كاللاتينية حيث انزوت تماماً بين جدران المعابد".... وشهد شاهد من غير أهلها، ولا عجب في أن يشهدوا بعظمتها وهم ليسوا من فطريها، ولكنهم أهل اطلاع ودراسات ومنجزات فيها، وعرفوا كنوزها وهذا ما يجعلنا نعتزّ بقناعة أنّ العربية في موقع إكبار من غير أهلها النزيهين العلماء الذين قالوا الحقيقة وهم يكون المديح والإشادة بالعربية لما رأوه فيها من مواطن العظمة في لغة العظمة، وهذا كفيل لها بالقوة بأنّها ستعود لمخالها أكثر من ذي قبل، وتصبح إسبرنتو اللغات عندما نتداعى جميعنا للاعتزاز بها والعمل فيها وبها في الإبداع لمواصلة عمل من نهضوا بها من العرب وغير العرب، فالعربية لغة الحضارة الإنسانية جمعاء، لها الأصول الممتدة في الماضي لا يمكن أن تتخلّف عن رسالة الحاضر بالجدارة المطلوبة.

8- اللغة العربية أعظم اللغات وأرقاها، وهي لغة القرآن العظيم: إنّها اللغة التي حملت هذا المتن المعجزة بما يحمله من فصاحة وبلاغة، وإنّ لكلام الله لا يعلى عليه كما وصف من أعراب أصحاب الفصاحة والسليقة "إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّ ليعلو ولا يعلى عليه، وما هو بقول بشر". ولذلك سارع أجدادنا في تأليف كتب النحو لفهم القرآن فهماً جيداً على قول ما يتلغى به العربي القحّ الذي ينطق بالسليقة اللغوية، وما كان يستعمله من بلاغات لغته التي تأتيه طوعاً لا كرهاً. ولغة زكّاه القرآن الكريم لخدمة شريعة الإسلام التي لا تفهم جيداً إلّا بفهم قواعد وبلاغة العربية المطلوب منّا إتقانها، وعدم تضيقنا الوقت في التّسامح الذي يؤدّي إلى الإخلال بخصوصياتها. إنّها العربية الماجدة التي لا تقبل الضياع في فقر تعلّوها، ولها وسائل التّحكّم فيها بسهولة، وهي حكمة اقتضاها الله لهذه اللغة ليعلي مقامها بخاتم الرّسالات السماوية، في شبه جزيرة العرب بحكم الموقع الجغرافي المتوسّط في العالم القديم، ووجود الكعبة في مكة. وفي الحقيقة لا حاجة لنا في الحديث عن عظمة العربية، وهي تحفظ وتبرهن على تلك العظمة من خلال مكانتها في الماضي المشرق، بقدر ما يمكن التّركيز على الحاضر المقلق؛ حيث تميل أجيال الحاضر إلى التّوجّه للغات الأخرى، وما له علاقة بسوق العمل ومصادر البحوث ومراجعتها، والتّواصل مع المجتمعات الأخرى. وعلمنا أن نفهم بأنّ قوّة اللغة من قوّة ناطقها في مسار عجلة الإنتاج بشكل عامّ، وبخاصّة في العلوم الحديثة التطبيقية الذي تفتقده العربية ممّا جعلها مغلوبه مفتقرة مائلة للأجنيبيات، ومُتداعية للإفلات.

هو فقّر في العلوم، فقّر في التّربية المدرسيّة في مرحلة القاعدة التي تُنعى من خلالها أنّ العربيّة في خطر وتعيش قلاقل في العصر الحاضر، ولم الحديث عن عظمة لغة لا تؤكّل الخبز؟ بالفعل هناك عظمة الماضي وهناك استسلام الحاضر الملحوظ في الغلبة للأجنيّات، في ظلّ غياب التّقويم والتّقييم وتطبيق التّوصيات وهدر الوقت في المناخات. هو كلام ناعم، وبلغة ناعمة مؤدّبة لحال العربيّة في ترديّ مهارات الإبداع، فغاب رجّع الصّدى، وأين المستوى الحسن في القدرة على الكتابة والقراءة والخطّ والمحادثة والتّواصل والتّفكير والتّعبير وغيرها؟

ومع كلّ هذه القلاقل؛ فإنّ جينات العربيّة كفيّلة بردم كلّ المضايقات، والعظمة ثابتة بما تبذل من جهود حديثة في التّعليميات، وما ترفعه المؤتمرات من مواطن العزّة والقوّة والغلبة والحوكمة، وما تأتي به الأبحاث في العلوم والمعارف بالقوّة الناعمة لإعادة الثقة باللّغة العربيّة، إذا تماهينا في صفات الأجداد الذين استثمروا في العربيّة، ونالوا الريّادة، وعلينا الاعتبار من أقوالهم، وهذا ما قاله (ابن حزم الأندلسي) في كتابه الإحكام في أصول الأحكام "... فإنّ اللّغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم. فإنّما يقيّد لغة الأُمّة وعلومها وأخبارها قوّة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم. وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوّهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذلّ وخدمة أعدائهم فضمّون منهم موت الخواطر، وربّما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم". ونفهم الوصفة أنّ الغلبة تعود لأهل اللّغة الذين عليهم أن يتداعوا من أجل عظمة لغتهم أن يتماهاوا في مصيرهم ومعارفهم من خلال لغتهم لا غير. وهذه هي عظمة اللّغة المشتركة العربيّة التي تستدعي منّا التّبجيل بالعمل لتطوير معارفها واستكمال قوّتها، وقوّتها في أهلها.

9- ومع ذلك تشمخ العربيّة: قياساً على الذي قال "ومع ذلك تدور" وهو مُقيّد بالسّلاسل إلى ساحة الإعدام؛ لأنّه خالف الكنيسة التي رفضت (كروية الأرض + دورانها) وتشمخ العربيّة أمام الجاحدين والناكرين بأنّ العربيّة لها ماضٍ مجيد تليد، ومُستقبل جديد، وتقول لمن يقول: "لا أمل في العربيّة، وعلينا التّماهي في اللّغتين: الفرنسيّة/الإنكليزيّة، وهما المخرج والحق". وهي تقول: لم يثبت أنّ أمة تقدّمت باللّغة الأجنبيّة. وهنا تشمخ العربيّة بما نقوم به من مشاريع ومنجزات، والمطلوب منّا السير في مصيرنا وقدرنا المختار بإتقان (العربيّة الفصيحة) هي الابتكار وانصلاح المجتمع، هي الحاضر والمستقبل، بما فيها من عظمة، هي مصدر قوّة الأُمّة السياسيّة والاقتصاديّة والثّقافيّة والحضاريّة، هي التي قامت بدور مهمّ في نقل المعرفة إلى البشريّة، هي العظمة بأنّها أم اللّغات الشرقيّة، هي مُنجز العرب والمُسلمين لحضارة عظيمة كانت الفصاحة والبلاغة والبحوث من أهمّ المؤهلات التي عملت على شرفها اللّغويّ في إيصال المعارف إلى كلّ العالم. وتشمخ العربيّة مع كلّ تلك الصّدمات، وترتفع بوظيفتها الحضاريّة وبأركانها المعرفيّة إلى السّمو بعلومها وسدّ عجزها التّقاني، وتردّ بأنّ كلّ اللّغات تُعاني مضايقات، ولكن ليست عجزاً في ذاتها، بقدر ما هي مرحلة من الكمون التي عرفت فيها البيات الذي طال عليها، وهي تنازع بقايا القرون المظلمة، وتشمخ في صدّ النّصال

شاحنة تُسهم في بناء الحضارة الإنسانية في انطلاقة جديدة لبناء المستقبل، وبناء مُجتمع المعرفة. وتشمخ وتدور الأرض دورتها في الإبداع الذي بدأ يحصل من العاملين عليها، ومن عقول العلماء والمُثقفين والإعلاميين ليشكلوا وعي الشعوب بمصادر قوتها وكيفية استخدامها في مشروع حضاري جديد؛ مشروع الاستقلال اللغوي الشامل بما له من بنات معرفية واقتصادية وسياسية وحضارية وغلبة ومكانة عالمية، مشروع ما بعد الاحتلال الأجنبي، الذي يحتاج إلى الغلبة اللغوية في عالم السوق والثقافة وإدارة الأعمال، وإنتاج الأفكار والحصول على الأموال، ونرى العالم يحتاج إلى لغة المعرفة والحضارة والجمال والحرية والاستقلال، ولا شك أن اللغة العربية مُرشحة لما بعد الاحتلال؛ كما انطلقت بها البعثة الحمدية في إنشاء قطب العروبة التي هي الأمل في بناء مُجتمع المعرفة، وأنسنة التقانة بلغة لها مقومات العلم التي تقود إلى الرفاهية اللغوية، وهي أصل التنمية الشاملة، بدل التغول اللغوي الذي ينتشر عبر اللغات الأجنبية التي تأكل وتحي الكثير من اللغات. ومع ذلك تشمخ العربية، وتحلم بالحرية والعدل والحضارة والتعايش، فهي أهل للعودة إلى مجدها أيام وجودها في الفردوس المفقود، وجديرة لقيادة العالم مرة أخرى.

10- سرّ عظمة اللغة العربية: إن مفتاح إشراق العربية يعود للقرآن الكريم الذي أصبح عليها الجلال والعظمة، وأزّلها المكانة العليا، وشرفها بالغبى والتنوّع والتجديد، ومن ثمّ بما حملته من العلم والأدب والفنون وكان المرتكز على خصائصها: الفصاحة + الترادف + التوسّع + الإعجاز + الإبداع، وبذلك أصبحت محطّ اهتمام التواصل والإبلاغ والتنبيه، وما يُضاف من فعل وفصل العرب في الفتوحات التي عربوا فيها شعوب غرب آسيا، وشمال أفريقية، فتركوا لغاتهم الأولى، وآثروا لغة القرآن، وكان حبهم للإسلام هو الذي عربهم، فهجروا ديناً إلى دين، وتركوا لغة إلى أخرى، كما أشركوا الأعاجم المسلمين في تعلّم وتعليم قواعد العربية وآدابها للآخرين، فكانوا علماء النحو والصرف والبلاغة، وقادوا الحضارة العربية الإسلامية بإتقان. وهكذا كانت العربية لغة توحيد عبر العالم؛ حيث نقلت الثقافة العربية عبر القرون وحملت الإسلام وما انبثق من حضارات وثقافات التمازج والتصاهر حيث حلّت، وأصبحت لغة المفاهيم والبحوث رغم اختلاف الديار والأقطار وأضحت أداة الاتصال ونقطة الالتقاء بين مجموعات الشعوب وذلك ما جعل منها ركناً أساساً في كثير من الثقافات. ومن وراء كلّ ذلك أصبحت تحلّ رسالة إنسانية بمفاهيمها وأفكارها، واستطاعت أن تكون لغة حضارة إنسانية واسعة اشتركت فيها أمم شتى، وكان العرب نواتها الموجهة، بجنسية استعرابية تجمع أطراف النسبة إلى العربية، وكلّ ذلك حدث سريعاً بأسباب لغة القرآن التي امتازت ببناء قويّ مُحكم، ومادة غزيرة... وشكّل ذلك هوية ومُواطنة وانتماء.

إنّ السرّ في عظمة العربية يكمن في القلب الذي تصبّ فيه الثقافة، ولغة آية أمة هي الفكر والثقافة وهما الجانب المعنوي من الحضارة الإنسانية، فالعربية لها أهمية عظيمة في الحفاظ على التراث الثقافي والفكري فكلّ أمة ناهضة لا بد وأن تهتم بلغتها اهتماماً عظيماً، وتُحافظ عليها وعلى انتشارها ووجودها قوية شاحنة. وأنّ سرّ العربية يكمن فيها بما لها من إمكانات تختلف عن باقي اللغات، فهي لغة دينية وبها كُتبت كلّ الديانات، ولغة

آخر كتاب سماوي، بمعنى هي لغة المستقبل، والدين الإسلامي يتدد، والعربية يطلب ودّها لفهم الدين، فنُوط بها توضيح هذا الدين بلغة نزول الدين ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف 3، وآيات كثيرات تحثّ على أنّ اللسان العربيّ مُوجّه للعرب وغير العرب، باعتبار الرسالة للناس كافة، وهو ليس بكلام بشر وكلّ الناس لهم رغبة في تعلّم هذا اللسان الذي يحمل البيان المعجز، والسحر المفلج، وما يعجز عنه الإنس والجنّ "... وكان العربيّ البدويّ راعي الأغنام يكفيه سماع بعض آيات من القرآن حتى يعلن دون مُواربة الدخول في الإسلام؛ لأنّه أدرك في هذه اللحظة الفاصلة أنّه ليس كلام بشر؛ فكلام البشر يعرفونه حقّ المعرفة، وتركت لنا كتب السيرة حوادث كثيرة ثبتت هذه الحقيقة؛ وهي إسلام بعض الصحابة بمجرّد سماعهم آيات من القرآن". فكيف الحال بمجموعات من الأجانب الذين يُعلنون إسلامهم في كلّ ساعة لحدّ هذه الساعة الفارقة. وإنّه لسحر كلام الله، وسيبقى هذا السحر ما بقيت الدنيا، وتبقى هذه اللغة ما بقي الدين.

11- فضلُ العربية على لسان العرب وغير العرب: نفخر بالعربية على أنّها اللغة الأمّ التي نستطيع أن نقرأها ونكتبها بسهولة، ونفهم بها الماضي كذلك بسهولة، وهي اللغة التي لم تنشأ ولم تنقرض. وهي التي نالت شرف نزول القرآن بها، ولولا القرآن لما أصبحت اللغة الأولى للفكر والثقافة والعلم والأدب، ولما تسابق خيرة شباب أوروبا من أجل تعلّمها. لغة لها من الفضل على العرب والعجم ما لها من النعم التي لا تُحصى. لغة عظيمة وأمّ اللغات الشرقية، لغة قادت الحضارة العربية الإسلامية بجدارة، وصاحبت المدّ الإسلاميّ، وابتلعت لغات كثير من الشعوب التي اختارت الإسلام لها ديناً، واللغة العربية لها لساناً، واستطاعت أن تُسهم في إثراء التراث العربيّ في مجالات الحياة المختلفة، واستطاعت أن تستوعب تراث الأمم القديمة، وعمّلت على ترجمتها للإفادة منها في مجالات العلوم المختلفة البحتة والتطبيقية.

ومن وراء ذلك التأثير والتأثر أصبحت أواخر القرن XIII للميلاد لغة العلم والحضارة، وأصبح العلم يتكلّم بالعربية لمُدّة تزيد على ثمانية قرون، وأقبل علماء أوروبا على تعلّمها وترجمة تراثها العلمي إلى اللاتينية ونبغ بها ومنها علماء اللغات الأخرى كبار المفكرين على غرار: سيبويه والبخاري ومُسلم والترمذي والنسائي. إنّها العربية الجاذبة ذات الفضل الكبير في الوحدة الدينية، ووضع آليات العلم الحديث على قواعد نظرية من منطلق اللغة العربية، بما لها من آليات الإبداع في صورتها الجينية كلغة صانعة للفكر والهوية والانتماء، واستجلب ذلك الاعتراز بالتراث العربيّ الإسلاميّ، وبتلك الأعلام التي عشقت العربية وعمّلت على تطويرها، وكلّ ذلك جعل منها لغة قويّة صعبة المنال في التشويش عليها، أو الانتقاص من مقامها، لما لها من جوانب مُضيئة في حضارة أمتنا وتاريخنا.

- الخاتمة: إنّ الإجابة عن العنوان ظاهر من خلال هذه التحاليل؛ وهي كافية في تعزيز مكانة العربية لما لها من وقع خاص، وهي عظيمة ومُميّزة، من حيث إعرابها وفصاحتها ونبلها في حمل المعاني والتّرادف والمُشترك اللفظي، وبما لها من زينة الحروف رغم ما يطرحه البعض الآن من أنّ لها صيغ الإعراب التي عقّدها بل ومنعتها عن التطوّر، وهذا غير صحيح؛ حيث الإعراب يوجد في لغات أخرى على غرار الحبشية والألمانية

والإعرابُ سور يحميا من الزلل والّلحن، ويبيّن لها صورة الخصوصية ويضيف لها دقة التعبير، والإيجاز والإيجاز بمصاحبات التّرادف والتضاد، وكلّها تدخل في دقة إصابة المعنى وحسن التشبيه، وإيجاز اللفظ، بما لها من خصوصيات في الحروف التي مخرّجها الحلق: الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء، وهي نُدرة في الكثير من اللّغات، ويصعب نطقها إلّا لفطري العربيّة الملقّبة بلغة الضّاد.

وبهم افتخر المتنبّي قائلاً:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي نفرت لا بجوددي
وبهم نفرت كل من نطق الضّا * د وعوذ الجاني وغوث الطريد
أنا ترب الندى وربّ القوافي * وسام العدا وغيظ الحسود

والخلاصة هي علامات العظمة والبقاء للعربيّة، هي إسبرتو اللّغات في دوام الحالات، مع مختلف التّحديات والرّهانات، فلا مكان للمحليّات واللهجات إلّا لفحلة اللّغات، هي العربيّة الفصحى دون التّردّدات. ولكن يتطلّب الإسراع في منجزات ومشاريع تضمّن بقاءها لغةً أمميّة، في نافذتها الخامسة، إن لم نعمل على أن تنزل إلى النّافذة الرابعة، ولم لا، وهي الثّانية الآن في الشّابكة. وعلينا سدّ فجوات المرحلة التقنيّة وتحسين أداء تعليمها للأجيال الحاضرة عربياً ولغير النّاطقين بها. وإنّها لمرحلة تستدعي الإشباع اللّغويّ للعربيّة الفصيحة في مرحلة القاعدة، وهي المنقذ الذي يُمكن أن نقول إنّ العربيّة ستكون بخير، ونرفع عنها ما يحدّق بها من خطرٍ خطرٍ. ولا بدّ من الاستثمار في العربيّة الفصيحة المشتركة أيّما استثمار، والعمل على صناعة المحتوى الرّقّيّ للمصطلحات باللّغة العربيّة، فتلك بداية جيّدة لنشر اللّغة العربيّة وخصائصها وبذلك نردم خرافة من يقول لا مكان للعربيّة في العلوم والتّطور والرّقّيّ، ونقول بأنّ التّطور والرّقّيّ لا يحصل لنا باللّغات الأجنبيّة، ولم يكن لتلك الشّعوب التي تماهت في الأجنبيّات، وما حصل لها إلّا التّبعيّة والبعد عن العلوم المطلوبات، فلم التّعطيل في إيلاء اللّغة الأمّ مكانتها في بلادها العربيّة؟

حال اللغة العربية في العالم الإسلامي

- **الديباجة:** كل الشكر للفاعلين العلماء الذين فكروا في لم شملنا في حلقة نقاش تخص اللغة العربية وهي أمانة ولغتنا الجامعة المقرونة بديننا الحنيف. والشكر لأصحاب الفكرة من مسيري منظمة التعاون الإسلامي التي تقيم هذه الحلقة بمناسبة عالمية كبيرة تخص الاحتفاء باليوم العالمي للغة العربية، ونكبر كثيراً أن يرمى هذا الاحتفاء بمجمعنا الشاب؛ مجمعا علمي اللغوي العالمي بما يقدمه من خدمات للعربية في الداخل وفي الخارج، وما ينفقه من مشاريع النهوض بالعربية في مجالات كثيرات. إنه مجمع جاد في منجزاته وفي مشاريعه، وأعماله تنطق بذلك (مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية) بالمملكة العربية السعودية. والشكر لكل الحضور والمتابعين وأرفع لهم آيات التقدير في هذا العمل القومي الذي نحن بحاجة إلى تكثيف أمثال هذه اللقاءات العلمية ليحصل النقاش في القضية الأم (اللغة العربية). ومن خلال هذه الحلقة نسعى إلى بناء جسور التلاقي مع مؤسساتنا العاملة على تطوير اللغة العربية، وخدمتها باستراتيجية علمية، وبمشاريع كبرى تعود لصالح هذه اللغة التي تنال مواقع عالمية، وهي لغة أممية بما لها من ماضٍ معدق، وحاضر مبشر بمزيد من التألق.

- **المقدمة:** كل سنة ونحن نحتفي باليوم العالمي للغة العربية بتاريخ 18 ديسمبر؛ وهو تاريخ عظيم منذ سنة 2012م الذي أدرجت اليونسكو الاحتفاء بالعربية من بين لغاتها الست الأُممية الرسمية، ونرى البعد العالمي لهذه اللغة يكبر كل سنة، وحالها في تحسن بعلامة عودة الوعي اللغوي للشعوب العربية بتلك الدول التي تمددت في استعمال العربية بقُطب عربفوني، وبعُد الدول التي وصلت إلى ثلاثة وستين (63) دولة، فيها اللغة العربية لغة رسمية، وبعُد المسلمين في آخر إحصاء يعود إلى مارس 2023م وصل إلى مليارين وستة ملايين (2.6000000) متلاخ في صلواتهم التي لا تنقطع عبر القارات. إنها العربية بحالها العقدية ورسالتها السامية، وهي من الدين، وما لا يفهم الدين إلا بها؛ فهي واجبة، ويعني وجوب تعلمها وتعليمها لكافة المسلمين لفهم القرآن والسنة النبوية، ولا تتم العبادات إلا بها، وهي اللغة الشريفة التي حملت كلام الله ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الزمر 28.

إنه كلام الله، ولا يتم فهمه إلا بالعربية الفصيحة التي نحتفي بها هذه السنة بشعار (مساهمة اللغة العربية في الحضارة والثقافة الإسلامية) لإبراز دور العربية في الحضارة الإنسانية عن طريق العطاء والأخذ والسبق العلمي لحضارتنا الإسلامية التي كانت من فتوحات الحضارة الغربية التي أُفِدت من بكرة العرب/Roulement arabe، وحوّلتها إلى ثورة البخار/الثورة الصناعية/La Révolution Industrielle. هي الحضارة العربية الإسلامية التي كان لها السبق في تأسيس (بيت الحكمة) الذي كان المحرك المبكر للعصر الذهبي للحضارة الإسلامية؛ زمن (هارون الرشيد والمأمون وأبي جعفر المنصور) في القرن الثاني للهجرة، وأن

♥ أعدت الكلمة لصالح منظمة التعاون الإسلامي، في إطار الاحتفال باليوم العالمي للغة العربية، بالتعاون مع مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، بتاريخ 18 ديسمبر 2024م.

أول الجامعات في العالم كانت الزيتونة سنة 738م، ثم القرويين 859م، ثم الأزهر 971م، بينما أول جامعة أوروبية هي جامعة پولونيا وتأسست سنة 1088م، ثم أكسفورد 1096م. وتلاحق الإبداع في العربية والعربية في مختلف العلوم عبر العلماء الكبار باختلاف جنسياتهم والذين أغنوا الحضارة الإنسانية بفكر تنويري يراد منه التسليح بالعلم والعلوم والاهتمام بالقدوة والهوية والانتماء والإسلام، والتنافس بين من يقدم الأفضل والتفاني في خدمة العربية ولفت انتباه المسلمين إليها من أجل القيام بواجبهم في إيصال المقاصد الإسلامية باعتماد المنهج الاستقرائي والتحليلي لتتبع الأماكن المنطوية على هذه الأهمية اللغوية، ومن ثم تحليلها.

1- العربية تاج الإسلام: هي اللغة المعيارية التي نطق بها العرب سليقةً وصفاءً، وزكاها الوحي، ومن ثم في مرحلة التعليم الديني بما له من مذاهب، وما جاء عن طريق التفسير والمعاجم والشعر والحماسيات والأصمعيات والترجمات والمُدونات العامة والخاصة، وجمال من المنتج العلمي الفصيح كان المصدر التاريخي لتركيز الإسلام على اللغة العربية التي تتمتع بجودة شعرية استثنائية غير قابلة للترجمة بما لها من صفاء لا يوجد إلا في ذاتها، وأن قواعد جزء لا يتجزأ من العلوم الإسلامية، وهي فريضة دينية لفهم القرآن والسنة، كما قال (ابن تيمية). وقد أثر القرآن بشكل كبير في العلاقة بين الإسلام واللغة العربية، مما أدى إلى تطور العلوم الإسلامية المختلفة، وهذه خصوصية تكمن في العربية بما لها من صبغة الإعجاز، باعتبار القرآن يحمل فضائل متعالية، وأفكاراً شعرية، ولغة غنية، ومناسبة تسمو على الترجمة، ولهذا أبدع فيها العرب وغير العرب الذين أغنوها بالنحو التعليمي، فهذا (ابن معطي الزواوي) وهذا (ابن مالك الأندلسي) وهذا الرازي وابن الهيثم والبيروني وابن سينا وجابر بن حيان وعمر الخيام... أجنب عن لغة الفطرة العربية وليسوا أعراباً حقاً، ولم يكن إبداعهم بلغتهم الأم الأولى، بل بلغتهم بالتبني والتي وجدوا فيها حرية الإبداع وفاض المنتج في كل العلوم وكانت العربية خير معبر لسانهم وعمّا في فكرهم من متصور ذهني وجدوه في العربية دون غيرها من اللغات. إنها العربية العالية التي توسعت، ونالت الواقع والمواقع في خارج شبه الجزيرة العربية؛ لتظل لساناً وأداة من أدوات الحضارة الإسلامية الدينية والثقافية والفكرية، بما لها من مزايا التعصب للقومية والخط والتعريب ورفض اللغات الأجنبية وحتى المحليات فهي لا تعلو على العربية في الخطاب العلمي، وفي المشاريع ولغة الدولة العربية، وبعض الدول الإسلامية على غرار شمال أفريقيا وكازاخستان والقوقاز وباكستان وبنغلاديش وأجزاء من الهند... وهذا ما جاء من موافقات وأولى الواجبات على المسلم العلم بالعربية من أجل التفقه الديني واللغوي والتعليمي. وكل هذا هي عصمة وسيج للعربية خوف الازدراء أو التهمك بها، فهي فرض واجب للتعبّد بها، وهذا حال المسلمين في ما مضى من الزمان الذي كانت القداسة لهذه اللغة عند فطريها وغير فطريها؛ فالقرآن والسنة والاجتهاد وإنهاض المسلمين بغير العربية لا يمكن، وأن استثمارية قوة اللغة في أمة ما يعني أن تكون اللغة بغلبة أهلها ومنزلتها في الاستعمال والعمل على تطويرها.

2- العربية ومواقعها: هي أكثر السّاميات تطوّراً ونطقاً وانتشاراً، ونالت المواقع في كلّ القارات، وهي القطب الثاني في العالم بعدد الدّول من حيث رسميّتها، واللّغة الثّانية في الشّابكة، ولغة الحضارة العربيّة الإسلاميّة، ولغة الشّعائر الدّينيّة في الكنائس المسيحيّة، ولغة استوعبت أكثر من مئة (100) لغة محلّية كتبت بحروفها، ولغة نالت مواقع في كثير من البلاد المفتوحة؛ حتى أضحت اللّغة الرّسميّة، ولغة عولمة في القرون الوسطى، ولغة أثر مُعجمها في اللاتينيات بشكل يزيد عن نصف مُفرداتها عربيّة. وتعدّ العربيّة من أغزر اللّغات من حيث المادة اللّغويّة بما تحمله من ألفاظ مُعجمها التي وصل إلى اثني عشر مليون (12) لفظة بزيادة ثلاثيّة وتسعة آلاف وخمسمئة وأربعة عشر (3009514). هي كلمات من ديوان العرب في منطوقهم الشعريّ وتراثهم الدّيني بإحصاء أنجزه الباحثون المعاصرون حاسوبياً بشكل دقيق في إحصاء أبنيتها الصّرفيّة ومداخلها المُجمعيّة.

إنّها عربيّة الواقع والموقع نشأة وتاريخاً فهي قديمة قديمى بين اللّغات السّاميّة، وما طرأ عليها من تغير ما هو إلّا نموّ وتطوّر زاد في قيمتها اللّغويّة وفي تصدّرها حتى انعزلت عن النظائر والسّاميات، وتصدّرت موقع (لغة العصر الجاهلي/لغة قريش) المشهورة بالمعلّقات). ومن ثمّ أصبحت لغة اللّسان المُبين بعد نزول القرآن الكريم بلسان المُسلمين، الذي أصبحت فيه مقدّسة ومعجزة في حدّ ذاتها. لغة التّحدّي المُقبول الذي نطقت به المصادر العربيّة في نقوشها ومكائنها ومخطوطاتها ودفاتها ومُدوّنتاتها الشعريّة والنثريّة والشّواهد اللّغويّة، وكلام القبائل العربيّة في مُختلف دُوِيّلاتها وأعصرها الزّمانيّة والمكانيّة، وفي كلّ بقاع العالم، كانت العربيّة لسان حال العرب والمُسلمين، ولسان العالمين. لغة السّلطة السّياسيّة بعد الإسلام لأمد طويل، وتبقى لغة القرآن واقعاً عربيّة أعرابيّة مع ما عرفته من إضافات وتغيّرات في مراحلها الدّاخلية، بما للقرآن من فضل الحماية والانتشار والتّطوير. إنّها العربيّة التي ازدهرت ونالت الموقع في العصر الذّهبيّ لدولة العباسيين، مع إسهام الكثير من الأعاجم في تطويرها ومدّها بأسباب الانتشار والترجمة والاقتراض اللّغويّ من الفارسيّة والرّوميّة، وقد بلغت مبالغ الإبداع والصّنع في كثير من مُدوّنتاتها بتلك المُجلّدات التي أنتجها هذا العصر الذّهبيّ والعصور الوسطى بلسان عربيّ مُبين وبجوامع الكلم عبر الثّقافت والاختلاط مع أهل الأندلس التي تأثّرت بالإسبانيّة والفرنسيّة والماطليّة والإيطاليّة والبرتغاليّة والإنكليزيّة فأفادت وأفيدت.

إنّها العربيّة التي عرفت الكمون في بعض الكلمات، وعاشت الانكماش، كما عرفت صراعات المواقع في اجتياح (هولاكو خان) الذي أمعن المَبْضِع في الثّقافة العربيّة وما صاحبها بعد ذلك من الصّراع الإسلاميّ الصّليبيّ. هنا الرّكود والهيمنة والسّبات العربيّ، وضياح القوّة والمجد في الاجتهاد والدّوران في القول المَكْرور. فضاعت العربيّة في شبه الجزيرة الإيبيريّة، وتُحَاكَم بالطرد مثلاً حوكم الموريسكيون في محاكم التفتيش، ومع ذلك فإنّ حركة العربيّة كان لها موقع في أوروبا الحضارة الغربيّة المسيحيّة، وبإقرار النّزيهين من العلماء. وبالمُقابل أخذت اللّغة العربيّة تجد موطئ قدم لها في بلاد الأناضول والبلقان، ويعود الوعي اللّغويّ حديثاً بمُنجزات حديثة أسهمت في ردّ الاعتبار للعربيّة عبر المدارس والجامعات والبحوث والمشاريع التي تنجز من

المؤسسات العربية ذات العلاقة بتطوير العربية وفق البرمجيات الحديثة، وخير شاهد هذا المعجم التاريخي للغة العربية الصادر عن اتحاد الجامعات والمجالس العليا العربية.

3- العربية حالها من واقعها: أبانت تقارير حال العربية عن مضايقات من واقع العربية في محيطها العربي وفي عالمها الإسلامي، ومكانتها الدولية، وحجم منتجاتها الثقافية، وأوعيتها المكتوبة والمرئية ومصنفاتها العلمية الكبيرة في شتى الفنون والعلوم والمعارف. والعربية لسان الأمة العربية على وجه الخصوص، حفظت تراثهم وروت أشعارهم، ولغة عبادتهم، وكتب لها الذروة ذات وقت، كما انحطت حاضراً في ضعف ملاحظة العصر. فواقعها سراب بقية يُنذر بالخطر رغم إبداع الماضي، ولا يشفع ذلك في فقرها الحديث، وتقلص نفوذها العلمي، وضعف تعليمها، وبقاء قضايا عصر الضعف في متنها الحديث، ولا حيوية فيها بما ينتجه الشعراء والكتاب المعاصرون، ولا توجد دماء جديدة تُعطي لها الحيوية والنماء. ضعف استشرى في قاعدتها التكوينية، فضعف الطالب والمطلوب، وإلى أين المفر؟

غاب المنطق العروبي/القومي، ضعف منطق الإسلام بما تقوم به اللغات الأجنبية في التشكيك في علميتها ونحمد الاعتزاز بها عربياً، بله الاهتمام بها أجنبياً، فشلت بعض السياسات التربوية، وهزلت التخطيطات والاستراتيجيات، مع تنصيب الدساتير العربية على مكانتها العليا. عربية الواقع المر مع انتشار المدارس الخصوصية بمنهج أفضل من مناهج المدارس العمومية، واستقطاب المدرسين الأكفاء لمدارس الدفع المالي القوي. مع توسيع الجامعات والمدارس العليا وأقطاب الامتياز والجامعات الأجنبية. وتبقى العربية في حالها تُعاني التهميش، لغياب المتابعة والمرافقة والتقييم والتتبع، ونقص في البحوث العلمية الجادة والبحوث اللغوية الفريدة، وبراءات الاختراع من نوع الفرادة والتميز. ورحمة على هذه اللغة التي تقوم للجامع اللغوية على تطويرها وتقديم خدمات مصطلحية، ولكن ليس بما هو من المطلوب في حجم الدول التي يتواجد فيها خمسة عشر (15) مجعاً وأكاديميات ومجالس وهيآت وكلها تعاني مضايقات في الطبع، وفي تمديد أوقاتها في منجزات طال الذي طال على لُبد.

وأسفاه على مؤسسات أهلية/دولية ومنظمات وروابط تعاون، ولم تفلح مئة بالمئة في نجاح مشاريعها. إنها حال العربية في واقع هش يريد النهوض، لكن همة النهوض غائبة، والرجل الرشيد ليس من اهتمامه تجنيد القوى الجماهيرية للاهتمام بالتربية والتعليم، وهو يشهد انحسار استعمال الفصحى في مجالات أضيّق، والقوانين لا تنال التطبيق، وتدرّس العلوم والطب باللغات الأجنبية، وتذبذب في توليد المصطلحات، وصارت اللهجات هي السائدة في مرافقنا العامة... وإنه إقرار بحالة الضعف والتخلف الحضاري الذي تُعانيه الأمة في شتى المجالات، وهو انتحار لغوي بامتياز كما يقول (عبد السلام المسدي) "... أنّ العداء الخارجي ليس هو الأخطر على اللغة العربية، إذ الأشد خطراً وفتكاً بها هو لون من العداء الداخلي... آلية النفس الداخلي التي تهدد اللغة العربية بالانفلات الذاتي على يد أبنائها".

وإنها لمحنة العربية تعيشها في وسائل الإعلام؛ وهي أخطر كذلك من حيث شيوع الأخطاء النحوية وشيوع الكتابة بالعامية في الإعلانات، وفي تقديم البرامج التلفزيونية والإذاعية، واستخدام اللغة البيضاء في المفردات الأجمية بكثرة في ثنايا الخطاب الموجه إلى المتلقي العربي. نحن كثيرات تعانينا العربية في واقعها وأركانها وحالها؛ وهو واقع مؤلم، لواقع رخو، ومع ذلك لا نعدم بعض الإيجابيات التي نرتاح لها بأن العربية مهما كثرت عليها النصال، سوف تبقى وثبتت، وستكون عصية على الزوال/الموت؛ لأنها ثابتة بجذورها وأصولها وامتداداتها وصمودها.

4- الانتعاش اللغوي المعاصر: كان في مراحله الأولى عبر إنتاج القواميس، وما صاحبه من أدب المهجر وتلك الإبداعات القصصية والترجمات، رغم الازدواجية المعاصرة والثنائية اللغوية، والهجنة والعاميات وحرب اللغات، والصراع اللغوي، بقيت العربية في حالها تواصل المسار، وتحل المضايقات، وتتنفض أمام الصعوبات، وتلتقي مع اللغات في همة الأخذ والعطاء، ولا يوجد الكمال اللغوي لآية لغة فالعلوم نتقاسمها مجموعة من اللغات، والعربية تستحوذ على شطر منها، رغم التأثير والتأثر والتغول اللغوي في هذا العصر الذي تُهمين فيه اللغات الأجنبية على ميدان التقانة، والعربية تفتقر إلى برجمات، وإلى تحكّم في الذكاء الاصطناعي/OCR، ويعود إلى باحثيها الذين لم يغمسوها في هذا الذكاء التقني المعاصر لا إلى جيناتها الطبيعية/الفطرية وهي لغة قابلة للتطوير، ولها كل وسائل التعبير عن الحداثة بما تملكها من وسائل التعريب والترجمة والنحت والاشتقاق والمُشترك اللفظي والترادف. إن الانتعاش اللغوي عرفته اللغة العربية باعتبارها لغة أممية بناء على قرار الأمم المتحدة رقم 878 في دورتها التاسعة المؤرخ في 4 ديسمبر 1954م، باعتبارها لغة عمل عام 1955م، وكان عنوان القرار هو "ترجمة بعض الوثائق الرسمية للجمعية العامة للغة العربية وفقاً للمادة 59 من النظام الداخلي للجمعية العامة".

وتلاحقت المطالب والمؤتمرات بضرورة استعمال الأمم المتحدة للعربية لغة دولية في جمعيتها العامة، وفي دوايب الترجمة الفورية للمتدخلين، وعبر توزيع الوثائق باللغات الأممية الرسمية. وتم ذلك بعد صراع كبير سنة 2012م باحتلالها الكرسي الخامس في نوافذ الجمعية العامة للأمم المتحدة، وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21) الموزعة عبر العالم. ولقد صدر القرار بترحيب وإجماع، وبنص دقيق يقول "إن الجمعية العامة تُدرك ما للغة العربية من دور مهم في حفظ ونشر حضارة الإنسان وثقافته، وإذ تُدرك أيضاً أن اللغة العربية هي لغة تسعة عشر عضواً من أعضاء الأمم المتحدة... وأنها لغة عمل مُقررة في وكالات: منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، ومنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة العمل الدولية، كما أنها لغة رسمية، ولغة عمل في منظمة الوحدة الأفريقية؛ وإذ تلاحظ مع التقدير ما قدّمته الدول العربية من تأكيدات بأنها ستُغطي بصورة جماعية النفقات الناجمة عن تطبيق هذا القرار خلال السنوات الثلاث الأولى تقرر إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل المعتمدة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسية على أن تقوم بتعديل أحكام النظام الداخلي للجمعية العامة المتصلة بالموضوع".

5- اللغة العربية وتحديات الراهن: وإذ نحتفي باليوم العالمي للغة العربية، علينا أن نقول بعض الحقائق التي يجب التفعيل داخلها لخدمة لغتنا التي تحتاج إلى الأمل المشفوع بالعمل، تحتاج إلى إغماس في مجال المعلومات والتأسيس للعلوم المرافقة لها، وتحسين حضارتها القديمة لانتفاع منها واستمرارها في حركة النهوض الجديد لتعيش الشموخ الحي في ما نقوله عن عدد ناطقها، وعن مكنتها الملائى بالمخطوطات وتحسينها بحسن تعليمها والعمل على انتشارها، ومحو آثار الاستعمال اللغوي الضعيف من ذلك الاستعمال الهجين/اللغة البيضاء التي تنزل علينا يومياً من إعلامنا المتساح لغوياً. نحتفي بالعربية لنقول: إن العربية تنتشر عبر بلاد الغرب والشرق، وتتل مواقع في الصين وكوريا الجنوبية وفي فرنسا، وتحتاج من سفاراتنا العربية نشاطات دائمة، ومن مراكزنا الثقافية عبر العالم استقطاب متعلميها زيادة في انتشارها لدى غير الفطرين، ولا بد من الإغداق المادي، وإسداء الجوائز، وتقديم الشهادات الفخرية لكل مشجعي العربية من أهلها ومن غير أهلها. هي العناية المركزية التي نطلبها منّا، وهي من المناخات التي نكون طرفاً فاعلاً بعضوية خدمة الشأن العام، والعربية من الشأن العام، وأنعم بها من خدمة! وعلينا العمل على إيجاد برامج تعليم العربية لهؤلاء الأجانب مثل نظام Duolingo/Tofel/Dalf/Delf... لحل قضايا صعوبة تعليم العربية المطروحة حالياً لدى هؤلاء المتعلمين من غير العرب.

6- اليوم العالمي للغة العربية: هو اليوم الذي اختارته الأمم المتحدة بناء على أول استعمال للعربية في الجمعية العامة فقط، هو 18 ديسمبر 1973م، وتيمناً لأول استعمال تجسد اليوم العالمي للعربية بما لها من تاريخ مجيد وحضارة إنسانية، وما قدمته للحضارة الشرقية، وكذلك للحضارة الغربية المسيحية أيام الظلام الغربي في العصور المظلمة، وكانت الحضارة العربية مضيئة بمجدها التليد، ولا نقف عند إحصائيات تلك التطورات العلية التي عرفتها في الاستعمال وفي الإنتاج القديم، بقدر ما ننظر في آلياتها الحديثة لمجاعة التطورات من حيث تنامي عدد المستخدمين، وحسن التحكم اللغوي، وإنشاء المؤسسات ذات العلاقة ومجاعة آليات العصر بمرافقة اللغات الأجنبية، والعمل على نظام المرئية La Vésibilité والتشبيك التمثلي المعلوماتي/Enclenchement وتحقيق وتحقيق استعمالها عند غير أهلها لأنها لغة العالمين.

إن هذا الاحتفاء يعطي قيمة مضافة للعربية بما لها من عالمية على غرار: الإنكليزية+ الفرنسية+ الإسبانية+ الروسية+ الصينية، كما يحقق لها الاستمرارية المتجددة في بلاد السند بما لها من كثرة بشرية، وبملايين من المسلمين، وبلاد فارس والأناضول ودول البلقان، وكل دول جنوب آسيا، وأفريقية الاستعراب، وبخاصة شمال أفريقية وأغلبهم عرب عاربة. ونحتفي بلغتنا الجامعة ونفتخر بها بما لها من مواقع في العالم، وتبادلها اللغوي مع اللغات التي عاركتها وانتصرت عليها، ولغات تعايشت معها في ازدواجية متبادلة. وعلينا أن ننظر في متنها اللغوي، وفي شعرها وأثرها وفي استمرار استعمالها، بتواصل الماضي بالحاضر، وهذا لا يوجد إلا في العربية المعجزة؛ عربية الدين الإسلامي الذي رفع من مستوى أدائها، ونقلها من بداءة وجلفة إلى حضارة ورفاهية ومن تلهيج إلى فصاحة.

وعلىنا التنويه بمطوري هذه اللغة من كل الأجناس واللغات، فعدّوا العربية لغتهم الأم التي أعلّوها مقاماً ورفعة عبر العصور، وقد أسهم في رفعها الفارسي والهندي والمازيغي والأفريقي والغربي والمستعرب والأندلسي والفرنسي والمالطي... وكلّ حُب لهذه اللغة التي نحتفي بيومها العالمي وبإبداعها الكبير، وبتقافتها العربية الإسلامية، وبتلك الآثار الممتعة المانعة من جمال وعلم وصورة وأداء كان من فضل الثقافة العربية الإسلامية التي أحدثت التغيير الهائل في ما تركه الخالدون الذين جعلوا للعربية قوام النهوض، وهم من الكبار الذين لا يموتون. ومهما أطنبت في الحديث عن أهمية الاحتفاء بهذا اليوم، فلا تكفيها الكلمات ولا العبارات ولا المجالات؛ لأنّ العربية لها خصوصيات، وليس هذا من كلام الإسراف إذا قلت بأنّ العربية أعظم اللغات بما لها من أثر في كل اللغات، وفي كلّ العصر الزمانيّ بما أمدّت المستنيرين في كلّ بقاع العالم بثقافة تعتبر جديدة من جميع الوجوه، وبما بثته من أفكار طريفة، وبلغة مُستديمة، وبما عملته على فتح آفاق وعوالم جديدة. إنّها عربية الماضي والحاضر والمستقبل، وتدين لكلّ اللغات التي تفاعلت معها، فهي اليد العليا واليد السفلى.

- الخاتمة: علينا أن نهض بلغتنا نهضة حضارية من جديد، وبمراعاة الواقع الحضاري المتسارع الذي لا يعترف بالمتقاعسين والمتخاذلين والساكّتين، وكلّ الذين يمسكون العصا من الوسط؛ فهم أسباب الخذلان والهزيمة. وكان المفروض أنّ اللغة القومية مسألة جماعية، نتنادى جميعنا من أجل تطويرها وخدمتها بعيوننا فهي ماضينا المجيد، وهي واقعنا الذي نفتخر به، وهي مستقبل أولادنا، ولا يكونون بلغة أجنبية إذا أرادوا الحياة المتجددة، ولم يثبت أنّ أمة في العالم تقدّمت باللغة الأجنبية. وهنا موطن زرع الضمير الحيّ في العرب في غرس حبّ واعتزاز وتعلّم العربية من الحضارة إلى الجامعة بمعطيات الراهن، واعتماد اللغات الأجنبية بمنهج النفعيّة اللغويّة من أجل تطوير العربية في شتى مناحي العلوم. وعلىنا حلحلة المسائل والمشاريع العالقة دون تئيس وتأزيم الوضع الذي يُنذر باحتمال انعزالها التام عن الحياة العلميّة، وبالتالي خطر الانقراض، والضياع بالكلية، من خلال واقع هزيل لحجم حضور العربية بين اللغات الحيّة، وماذا يترتب عن ذلك مستقبلاً في لغات الأمل/إسپرنتو اللغات/Language Esperanto، ونحن لا ننتج المشاريع للنهوض اللغوي، واللغة لا تتطور بالأمل والدعاء، بل بالعلوم والفلسفة والفكر والمنتوج الأدبي والترجمة، وحسن الدفاع، والمُحاجة والعلم الحديث، وإقامة الندوات والمُلتقيات والحوارات، وربط التنظير بالتطبيق، وإصدار القرار السيادي والسياسي الملزم.

إنّ اللغة العربية اعتزاز وانتماء وحبّة ومواطنة وهويّة وخدمة وتفاعل وتحيين وجبر عوارضها، وغوص في فهم أسرارها والعمل على انتشارها وتحديثها بخصوصياتها الفقهية والاشتقاقية وبُحُللاتها الصرفية والنحوية وبكل طواعيتها في ذاتها ولذاتها، وبما تحمله من شواهدا التي تقف دون انحرافها وتشتتها، ودون تصدّعها من هجمات وسلبيات العولمة. هي العربية الماجدة التي علينا أن نعصّ عليها بالنواجذ في ضرورة العمل على ازدهارها، وتعميم استعمالها في العلوم وفي التكنولوجيا، والترجمة منها وإليها.

- اقترحات: لا أريد الإكثار من سرد مجموعات من المقترحات، بقدر ما يقع التركيز على اقتراح واحد أَدْعُو زَمَلَائِي المُحَاضِرِينَ وَالمُتَابِعِينَ حشد التأييد لها، وهو المفتاح الذي أزعِم أَنَّهُ حَلٌّ لقضايا العربية في رَاهِنِنَا. ومن خلال حلقة هذا النقاش يتطلَّب مِنَّا التوافق على تقديم اقتراحات قابلة للتطبيق. وأدعو أَن تختار الجامعة العربية من خلال بيتنا العربي (لجنة عربية) وتشكّل من ثلّة من المفكرين العرب، ومن علماء اللغة العربية ورجال التربية الذين أظهرُوا نشاطًا من خلال مساهمهم المِهْنِي في مجال النهوض بالعربية، والدّاعين لرفع مُضايقات العربية بمُنجزات ومشاريع نالت رَجْع الصّدى، وَأَن يعملوا على إعداد مشروع النهوض باللغة العربية، بحضور الأمين العام للجامعة الدّول العربية راعي مُخرجات هذا اللقاء؛ وترفع اللّجنة اقتراحاتها إلى مُلوك ورؤساء وأُمراء الدّول العربية في قَمّة من القمم السّنوية التي تُخصّص لدراسة المشروع وإصدار القرار الملزم. وتكون مُخرجات أصحاب القرار محلّ تطبيق من اللّجنة العربية التي تُتابع كلّ أنشطة التّطبيق دولة دولة، عبر برنامج عربيّ بِمُسمى (مشروع النهوض باللغة العربية). ورأيت أَنه الاقتراح المُجدي والذي سوف يكون مُجدياً لأنّه يكون مُلزماً باعتباره صادرًا عن الجامعة العربية التي لها صفة الإلزام.

دراسة وصفية تحليلية لكتاب (ظواهر لغوية في المعجمية العربية: دراسات تطبيقية) للأستاذ مصطفى يوسف عبد الحي



- **الديباجة:** سعدت أيما سعادة أن أصل إلى كتاب الصديق (مصطفى يوسف) عبر تلك الملخصات الشبكية التي أرسلت لي، علماً أنّ الكتاب في نسخته الورقية نزل للبيع في معرض الكتاب في القاهرة، وقد صدر عن دار النابغة مطلع العام الجاري 2024م، وعنوانه (ظواهر لغوية في المعجمية العربية: دراسات تطبيقية) في 274 صفحة من القطع المتوسط، للدكتور (مصطفى يوسف عبد الحي) الأستاذ المساعد والمُتحدث الرسمي لمجمع اللغة العربية، وقد قدّم للكتاب عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة أ.د. (محمد العبد) أستاذ العلوم اللغوية بكلية الألسن بجامعة عين شمس. هذا الكتاب هو توليفة من خمس مقالات نشرها المؤلف في عدد من المجلات، وقد اشتمل كل فصل من فصول الكتاب الخمسة مقالاً من تلك المقالات. وتوالي السعادة بكتابة هذا المقال، ليكون لي السبق، وقد أنال شرف توصيل بعض مفاهيمه إلى القارئ العربي، ويبحث عنه لمزيد من الدراسة له ومن خلاله؛ باعتباره يستحق النظرة العلمية التي تُنزل هذا المنتج اللغوي منزلته، وتضفي عليه النقود التي تضيف له المصداقية، وكلّ ذلك لا يفسد للود قضية؛ حيث ازدهار الحركات الثقافية والعلمية لا يمكن أن تحصل إلا بالنقد المضيف والمنيف، وهذا ما لمسناه في أدبنا في الأندلس، فلولا النقد لما تألق الشعر ولولا تلك النقود التي تصدر من خيمة الخطيئة في الجاهلية لما كانت المعلقات تستحق التعليق على أعتاب الكعبة.

1- **الدراسة الوصفية:** اشتمل الكتاب على خمسة (5) فصول، وكلّ فصل يلحق السابق يكون مُواصلاً لآليات الحديث عن ظواهر معجمية مشفوعة بآليات المستويات اللغوية الأربعة: الصرفية+ المعجمية+ الدلالية+ التركيبية. وهي من تلك الظواهر التي عولجت عند قدمائنا بقوة، وبخاصة عند فقهاء اللغة على غرار: ابن جني+ ابن فارس+ الزمخشري+ السيوطي... وكانت لهم دراسات في بنية اللغة من جوانبها الصوتية

والصَّرْفِيَّة والنَّحْوِيَّة، بالتركيز على عِلْمَيْن هما: عِلْم النُّحُو وعِلْم العَرَبِيَّة. كما نال هذا العِلْم دراسات مُعاصرة كثيرة مِن قَبْل المعاصرين وهم كُثْرٌ مِن مِثْل: رَمْضَان عبد التَّوَّاب + كَمَال بَشْر + إِبْرَاهِيم السَّامَرَاي... إلَّا أَنَّ أَجْزَاء الكِتَاب فِي الحَقِيقَةِ انْقَسَمَتْ إِلَى: مَا لَهُ عِلَاقَةٌ بِالبَنِيَّة المُعْجَمِيَّة، هَذَا مِن جِهَةٍ، وَجِهَةٌ أُخْرَى ذَهَبَتْ المَقَالَات الأُخْرَى إِلَى قِرَاءَةِ لُغَوِيَّة فِي بَعْضِ قَرَارَات مَجْمَع اللُّغَةِ العَرَبِيَّة بِالقَاهِرَةِ، وَفِي بَعْضِ الحُرُوفِ مِنَ المَعْجَم الكَبِير. وَقَبْلَ الحَدِيثِ عَنِ مَظَاهِرِ التَّحْلِيلِ، أَضَعُ القَارِئُ فِي مَضمُونِ الكِتَابِ فِي فِصُولِهِ وَبِصُورَةٍ مُخْتَصِرَةٍ، وَهَذَا مَا تَقْتَضِيهِ المَقَالَةُ.

1/1- تناول الفصل الأول "أثر ظاهرة المُثَنِّيَّات فِي صِنَاعَةِ المَعْجَمِ العَرَبِيِّ: دراسة مُعْجَمِيَّة دَلَالِيَّة"، حَيْث تُعَدُّ ظَاهِرَةُ المُثَنِّيَّات إِحْدَى الظُّوَاهِرِ الصَّرْفِيَّةِ المَائِزَةِ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وَمَنْجَمًا مُهِمًّا لثَرَوَتِهَا اللَّفْظِيَّة. وَقَدْ سَعَى المُوَلِّفُ إِلَى دراسة هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَتَبْيَانِ أَثَرِهَا فِي إِثْرَاءِ المَعْجَمِ العَرَبِيِّ. وَمُرَادُهُ بِ(المُثَنِّيَّاتِ) تِلْكَ الأَلْفَاظِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَعْنَيْنِ مَعًا، مِنْ قَبِيلِ: لَفْظَةُ (الحَرَمَانِ) الَّتِي وُضِعَتْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَ(الجَدِيدَانِ) لِلدَّلَالَةِ عَلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَقَدْ دَرَسَ المُوَلِّفُ طَبِيعَةَ البَنِيَّةِ الاشتِقَاقِيَّةِ لِأَلْفَاظِ المُثَنِّيَّاتِ فِي المَعْجَمِ العَرَبِيِّ؛ حَيْثُ كَشَفَ عَنِ تَنَوُّعِ هَذِهِ البَنِيَّةِ وَثَرَائِهَا، وَمِيلِهَا أَكْثَرَ إِلَى المَجْيَاءِ وَفَقَ وَزْنَ (أَفْعَل) سِوَاهُ أَكَّانَ لِلتَّفْضِيلِ أَمْ لِغَيْرِهِ؛ وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ المُثَنِّيَّاتِ تَأْتِي مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ غَالِبًا. كَمَا أَوْضَحَ وَقَوَّعَ ظُوَاهِرَ دَلَالِيَّةِ فِي أَلْفَاظِ المُثَنِّيَّاتِ، كَالتَّرَادُفِ وَالتَّضَادِّ، وَالمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ، وَالتَّغْيِيرِ الدَّلَالِيِّ، وَكَشَفَ أَيْضًا عَنْ مُسْتَوِيَّاتِ الاسْتِعْمَالِ اللُّغَوِيِّ لِأَلْفَاظِ المُثَنِّيَّاتِ فِي الْقُرْآنِ الكَرِيمِ، وَالحَدِيثِ النَّبَوِيِّ، وَأَقْوَالِ السَّيِّدَةِ عَاشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- وَالصَّحَابَةِ، وَالأَمْثَالِ، وَالشَّعْرِ وَالمُصَاحِبَاتِ اللَّفْظِيَّةِ وَالتَّعْبِيرَاتِ السِّيَاقِيَّةِ؛ وَأَنَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى أَهْمِيَّةِ المُثَنِّيَّاتِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ المَعْنَى المَقْصُودِ بِإِيْجَازٍ، وَأَنَّ صُنَاعَ المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ قَدْ حَرَصُوا عَلَى إِبْرَازِ تَوْضِيْفِ مُسْتَوِيَّاتِ الاسْتِعْمَالِ السَّابِقَةِ لِلْمُثَنِّيَّاتِ فِي مَادَّةِ مَعَاجِمِهِمْ، وَخُصَّ إِلَى عِدَدٍ مِنَ النِّتَاجِ وَالتَّوْصِيَّاتِ، وَمِنْهَا: أَنَّ إِطْلَاقَ المُثَنِّيَّاتِ فِي اللُّغَةِ لَا يَخْضَعُ لِمَعْيَارِ مُحَدَّدٍ، وَإِنَّمَا يَحْكُمُ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ السَّلِيلَةُ اللُّغَوِيَّةُ لِلْمُتَكَلِّمِ، وَأَنَّ اللِّسَانَ العَرَبِيَّ لَمْ يَعْتَمِدْ بَنِيَّةً صَرْفِيَّةً بَعِيْنَهَا فِي بِنَاءِ ظَاهِرَةِ المُثَنِّيَّاتِ، وَأَنَّ تَوْضِيْفَ المُثَنِّيَّاتِ قَائِمٌ عَلَى التَّوَاصُلِ بَيْنَ المُتَكَلِّمِينَ فِي إِطَارِ مَبَادِيِ التَّدَاوُلِيَّةِ الَّتِي تَرْتَكِزُ عَلَى الوُضُوفَةِ التَّوَاصُلِيَّةِ لِلخُطَابِ. وَأَوْصَى البَاحِثِينَ فِي مَجَالِ الدِّرَاسَاتِ الأَدْبِيَّةِ وَالبَلَاغِيَّةِ بِالحَفْرِ عَمِيقًا فِي ظَاهِرَةِ المُثَنِّيَّاتِ لِلْكَشْفِ عَنِ جَوَانِبِهَا البَلَاغِيَّةِ وَالأَدْبِيَّةِ كَمَا أَوْصَى مَجْمَعُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِالقَاهِرَةِ بِإِنْجَازِ مُعْجَمِ حَصْرِيٍّ لِأَلْفَاظِ المُثَنِّيَّاتِ، مَعَ رِصْدِ التَّغْيِيرِ الدَّلَالِيِّ الطَّارِئِ عَلَى بَعْضِهَا.

2/1- أَمَّا الفَصْلُ الثَّانِي "سَجْعَاتُ الزَّمْخَشَرِيِّ فِي مُعْجَمِهِ (أَسَاسُ البَلَاغَةِ): دراسة مُعْجَمِيَّة"، فَقَدْ هَدَفَ المُوَلِّفُ إِلَى الكَشْفِ عَنِ تَجْرِبَةِ تَوْضِيْفِ السَّجْعِ فِي المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ، وَتَمْدِجِ ذَلِكَ بِمَعْجَمِ (أَسَاسُ البَلَاغَةِ) لَوْضُوحِ الأَسْبَاجِ فِيهِ، مُبَيِّنًا الدَّلَالَاتِ السِّيَاقِيَّةِ الَّتِي أَضْفَتْهَا عَلَى لُغَةِ مُعْجَمِهِ، وَكَيْفَ أَسَهَمَتْ فِي إِزَاحَةِ الرِّتَابَةِ وَالحَدَّةِ عَنِ لُغَةِ المَعْجَمِ؛ بِمَا يَمْتَلِكُهُ السَّجْعُ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى إِضْفَاءِ جَمَالِيَّةٍ نَظْمِيَّةٍ عَلَى الكَلِمَاتِ، فَضْلًا عَنْ سَهُولَةِ حِفْظِهِ، وَكَثْرَةِ دَوْرَانِهِ عَلَى الأَلْسِنَةِ. وَقَدْ بَيَّنَّ المُوَلِّفُ بَعْضَ الإِرْهَاصَاتِ الَّتِي سَبَقَتْ (الزَّمْخَشَرِي) فِي تَوْضِيْفِ السَّجْعِ فِي بَنِيَّةِ المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ، الَّتِي لَمْ تَرَقَ إِلَى مُسْتَوَى الظَّاهِرَةِ، وَلَكِنَّا تَبَدَّتْ بِجَلَاءٍ فِي (أَسَاسِ البَلَاغَةِ)

ولم يثبت أن (الزخشي) قد فيها غيره، أو أخذها عن سابقه. كما عرض الكاتب حاجية السجع في التراث المعجمي، واعتماد الخطباء والبلغاء والحكماء إياه فناً من فنون القول، ثم تمّ توظيف (الزخشي) السجع في استثارة عواطف المتلقي، وتحقيقاً للاتساق الصوتي في بنية الجملة المسجوعة. وقد أوضح المؤلف إلى أي مدى أثرت هذه التجربة في صنّاع المعاجم العربية الذين أعقبوا (الزخشي) وبخاصة (مرتضى الزبيدي 1205هـ) في معجمه (تاج العروس من جواهر القاموس)، كما أبرز مظاهر التغير الدلالي في لغة السجع من تخصيص الدلالة وتعميمها ورقبها وانحطاطها ونقلها، وأردف ذلك ببيان الأثر المعجمي والدلالي لبعض المحسنات اللفظية التي برزت في (أساس البلاغة) كالطباق والتضاد، والمقابلة، والجناس، والاقتراس.

ومن جملة النتائج التي خلص إليها: استعارة بعض اللغويين اللاحقين من أسجاع (الزخشي) في بناء مادته المعجمية، على غرار (الزبيدي) وبين إلى أي مدى وظّف (الزخشي) السجع في معجمه وسيلة من وسائل التزيين اللفظي وإبانة المعنى، وأنّ توظيف السجع في الصناعة المعجمية يجعل المعاني أكثر علوقاً بالذهن وأسهل دوراناً على الألسن، ويكسر حدة الرتابة في العمل المعجمي، وأنّ السجع في (أساس البلاغة) كان سبباً في إثارة عواطف المتلقي بوصفه أحد عناصر الخطاب، وبخاصة اعتماده الكثير من الأساليب الإنشائية، وتبيان إلى أي مدى حقّق السجع في (أساس البلاغة) اتساقاً صوتياً في سبك الألفاظ ورصفها؛ مما جعل الأذن تنوّه إليه، والنفس تطرب له وإظهار دور السجع في تفسير المعنى المعجمي؛ حيث إنّ سبك الكلمة في سياق السجع أكسبها معنى جديداً، وبنزع هذه الكلمة من سياقها تفقد الكثير من الملاحج التمييزية المكتسبة، وتعود إلى سيرتها الأولى في الدلالة الأصلية.

3/1- وفي الفصل الثالث "كلام العامة في معجم (تاج العروس) ومآلاته الدلالية في المعجم العربي المعاصر: دراسة لغوية"؛ سعى المؤلف إلى دراسة الألفاظ الموسومة بالعامة في معجم (تاج العروس) لمرتضى الزبيدي، وتبيان موقف بعض المعاجم المعاصرة منها؛ فقد بين المؤلف أنّ وصف اللفظ بالعامي لا يعني الابتذال أو الانحراف اللغوي، وإنما يعني في المقام الأول عدم تسجيل المعاجم القديمة له، وشيوعه على ألسنة العامة خاصة، وتبع المؤلف الألفاظ التي نصّ (الزبيدي) في معجمه على عاميتها، واختار منها نماذج صنفها إلى قسمين: أفعال، وأسماء ومشتقات، ووازن بينها وبين ما هو موجود في كلّ من (معجم اللغة العربية المعاصرة) و(المعجم الوسيط)، وقدم مسوغات معجمية تصحّح تلك الألفاظ، مستعينا في ذلك كلّ بقرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ لالتماس ما يمكن الاستناد إليه في تسويغها، واستنطق (أعمال لجنة الألفاظ والأساليب بالجمع)، و(المعجم الكبير)؛ للقياس على ما يمكن القياس عليه في التسويغ والقبول، واجتهد في تقديم أقيسة لغوية، وتخريجات منطقية عن تلك الألفاظ تدفع شبهة العامية، وبين ارتباطها بالأصول الاستعمالية الصحيحة، واقترح نماذج من الاستعمال اللغوي المعاصر لما يمكن إجازته وقبوله من اللغة الحية المستعملة، وخلص إلى عدد من النتائج والتوصيات، منها: الإسهام الكبير لقرارات المجمع، وخاصة لجنة الألفاظ والأساليب في إجازة العديد من الأفعال والمشتقات التي يُوهم عاميتها، وتبيان أثر التغير الدلالي في

تسويغ العديد من الدلالات العامية، ومما أوصى به المؤلف: ضرورة إخضاع كلام العامة في حياتنا المعاصرة للدراسة العلمية الجردة، والعمل على إشاعة الألفاظ والأساليب التي تُثوِّم عاميتها في لغة الكتابة الأدبية والصحافة... إلخ.

4/1- وفي رابع فصول هذا الكتاب "ظاهرة الاقتراض اللغوي: دراسة تحليلية لأعمال لجنة (الألفاظ والأساليب) بجمع اللغة العربية بالقاهرة"، أراد المؤلف تبيان منهج لجنة الألفاظ والأساليب بجمع اللغة العربية في التعامل مع الألفاظ والأساليب والتراكيب المقترضة من اللغات الأجنبية لفظاً أو دلالةً، وبين أن هذا التعامل تلخص في أربع نقاط: (1) ترشيح مكافئ عربي. (2) قبول اللفظ/الأسلوب/التراكيب المقترضة عن طريق التعريب. (3) قبول اللفظ/الأسلوب/التراكيب المقترضة، بوصفه من الدخيل. (4) الترجمة. وقد حاول الإجابة عن أسئلة بحثية منها: هل حققت المكافئات العربية للألفاظ والأساليب والتراكيب المقترضة التي رشحتها لجنة الألفاظ والأساليب بالجمع قبولاً في الاستعمال والتداول؟ وهل استطاعت اللجنة سد الثغرات المعجمية في المعجم العربي المعاصر عن طريق الاقتراض اللغوي؟ وهل وظفت اللجنة الترجمة في نطاق الضرورة التي نص الجمع عليها في قراراته المكملة لقرار التعريب؟ وقدم المؤلف تأصيلاً لنشأة الاقتراض اللغوي، وأوضح المصطلحات التي نابت عنه في فترات سابقة، وهي: المعرب، والدخيل، وبين أسباب الاقتراض اللغوي ودوافعه، ثم أعقب ذلك بتبيان موقف جمع اللغة العربية بالقاهرة من: التعريب والدخيل والاقتراض اللغوي، وحاول تبيان: إلى أي مدى ناسب المكافئ العربي البيئة اللغوية العربية؟ وتبيان سمات اللغة العربية التي اكتسبتها الألفاظ والأساليب والتراكيب عن طريق التعريب؟ وهل حسمت اللجنة الفصل بين المعرب والدخيل؟ وإلى أي مدى وجدت المكافئات العربية والمُعربات والدخيل صداها من التسجيل والتدوين في معاجم الجمع اللغوية، وخاصة المعجم الوسيط في طبعته المحدث (2020)؟

5/1- أما الفصل الخامس والأخير الموسوم "أثر بعض قرارات بجمع اللغة العربية بالقاهرة في تنمية الثروة اللغوية دراسة إحصائية تحليلية على حرف الصاد من المعجم الكبير"، فقد كشف الكاتب عن تطبيق بعض قرارات بجمع اللغة العربية (اسم الآلة، والمصدر الصناعي، والمصطلحات العلمية والفنية، وألفاظ الشؤون العامة، وألفاظ الحضارة، والاعتداد بالسماع من المحدثين) في المادة المعجمية للمعجم الكبير (حرف الصاد أنموذجاً)، وإلى أي مدى جاءت المادة المعجمية في (المعجم الكبير) ترجمة صادقة لهذه القرارات؟ وحاول المؤلف إظهار قدرة اللغة العربية وأبنيتها الاشتقاقية على استيعاب الثروة اللغوية المتنامية في العصر الحاضر وتبيان إلى أي مدى جاءت مادة (المعجم الكبير) من خلال تطبيق القرارات السابقة، ملائمة لحاجات الحياة في عصرنا الحاضر؟ وكذلك تبيان دور (المعجم الكبير) في تقليل الفجوة بين العامية والفصحى؛ أو بمعنى أدق: رفع الحرج عما يُظن عاميته؛ ومن ثم الكشف عن أهمية قرارات الجمع في تنمية الثروة اللغوية في بنية المعجم العربي المعاصر. وقد قام المؤلف باستقراء حرف الصاد، واستخرج الألفاظ والأساليب والتراكيب المحدث التي جاءت صدى لتطبيق قرارات الجمع السالفة الذكر، وصنف أوزان اسم الآلة، وأوضح ما يمكن

اقتراحه من قرارات في هذا الشأن، كما صَنَّف المصطلحات العلمية والفنية وفق مجالات العلوم الواردة فيها وبين بعض القصور الذي شاب صوغ هذه المصطلحات كالتكرار، والإفراط في المصطلحات المتخصصة في مجالها، والإفراط في مادة شرحها... إلخ، كما صَنَّف الألفاظ المُحدثة التي جاءت وفق قرارات تسجيل كلمات الشؤون العامة، والسَّماع من المُحدثين، إلى حقول دلالية، وأوضح ما فات (المعجم الكبير) من صيغ خاصة باسم الآلة، والمصدر الصناعي، والمصطلحات العلمية والفنية وألفاظ الحضارة، وكلمات الشؤون العامة وألفاظ الحضارة في حرف الصاد من (المعجم الكبير).

وقد خُصَّ المؤلف إلى عدد من النتائج، منها: أنَّ القرارات المجمعة الخاصة باسم الآلة عكست الحياة اليومية، فكلُّها تتعلَّق بألفاظ الحضارة المعاصرة، وأنها جاءت ترشيحاً للكافي العربي على نظيره الأجنبي. أما بخصوص المصدر الصناعي؛ فقد تنوع ما بين ألفاظ تعبّر عن الحضارة المعاصرة وأخرى علمية وتقنية مع قصور في بعض الصيغ تداركه (معجم اللغة العربية المعاصرة). كما أوضح البحث التزام (المعجم الكبير) بعدم اللجوء إلى المُعَرَّب والدَّخِيل إلّا في الضرورات القصوى، وإبرازه قدرة العربية على استيعاب المصطلحات العلمية والفنية قديمها وحديثها، وهذا ما يفسّر هيمنة المداخل ذات الصلة بحقل العلوم على بقية الحقول المعرفية بما فيها اللغوية. كما أبرز الكتاب جنوح (المعجم الكبير) عمّا اختطّه لنفسه في حرف الهَمْزة من التزام الإيجاز والاكتفاء بما شاع استعماله في الأوساط العلمية والحياة العامة، وجرى على ألسنة الأدباء واللغويين؛ إذ نجده قد أوغَلَ في إيراد عديد من المصطلحات العلمية المتخصصة، وكرّر شرحها وأطال النَّفس في شرحها بما لا يتناسب مع معجم لغويّ عام، وربما أغفل التنصيص على العلم الذي يتعلَّق بالمصطلح الذي يورده.

2- الدِّراسة التحليلية: لا أخفي القارئ أنَّ الكتاب يحلّ ثروة من المعلومات التي نحن بحاجة إليها في إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية الذي يقوم اتحاد المجامع اللغوية على إنجازه، وإنَّ اللجنة العلمية مدعوة للإفادة من هذا الكتاب عن طريق توصيله إلى المُحرِّرين، ويفيد في: المسكوكات اللغوية + المتلازمات + المكافئات. وإنَّه عمل رصين يحتاج صاحبه إلى تشجيع وتمثين جهده في هذا العمل الخاص بالتراث المعجمي، ونحن بحاجة إليه في وقتنا المعاصر في المحتوى الرقّي. ونشهد له بالرّصانة العلمية واللغة السليمة، والحفر العميق في فقه اللغة العربية. ولهذا يُمكن لي تسجيل بعض النقاط في مسألة التحليل وهي:

1/2- عالج الباحث قضايا قديمة من فقه اللغة العربية، وهي من باب المَكْرور في منظورنا الحديث وحتى بالنسبة للأمثلة/الشواهد هي ذاتها المُكرّرة، ويجدر بنا أن نربط القارئ العربيّ بواقعه، ولكن من الجيد كذلك أن يفهم الماضي في صورة الحاضر. وهذا ما نريده أن يكون في الباحثين العرب المُستجدين على فقه اللغة العربية، بأن يضعوا رجلاً في الأصالة، ورجلاً في الحداثة.

2/2- تصدّى الباحث لنقطة مهمّة وهي مسألة المكافئات التي أثار سُعلاً منها، وهي القضية الحديثة التي لم تكن العربية فيها على قدم وساق مع الأجنيات، ولم تتل المصطلحات المُعرّبة موقعها في الاستعمال العفوي ولم تسطع مُنافسة المصطلحات الأجنبية. والأهم في هذه المسألة أنَّ الباحث كان شجاعاً في حمل مُصطلح

(ونز الضمير) أمام الجمعين بأن ما يقدمونه في هذا المجال ليس منافساً، وما يحمله (المعجم الكبير) عبارة عن تأريخ التاريخ اللغوي. هي شجاعة (مصطفى يوسف) من شجاعة العربية التي تعاني في هذا الظرف من الكثير من البطء الجمعي في مسائل يفترض أنها من المنجز.

3/2- إن ما أثلج صدري حديث الباحث عن أسماء الآلة التي بقيت في صيغ ثلاث: فاعول + مفعلة + فاعول، وكذلك المصادر الصناعية. وأن المكافئات الأجنبية لا تُحصى ولا تُعد، وهي نظرة حديثة أرادها الباحث أن يقول أين دور هذه المؤسسات الجمعية في تحريك الصيغ الصرفية التي بنيت عليها العربية في عصر التدوين، وهي إحدى عشرة (11) صيغة، وأين ذلك الزمان، وهذا الزمان الذي يدرّ علينا آلات لها أسماء جديدة تحتاج إلى ميزان صرفي جديد. وعهدي في الباحث أنه مسّه بعض الحرج في هذه المسألة؛ على اعتبار أنها مسألة نقدية لأداء الجمعين، ولكنني لمست دعوته غير الصريحة، وهي لا بد من نظرة جديدة في الميزان الصرفي ليعبر عن المصطلحات الجديدة التي تأتي بها ألفاظ الحضارة. هي دعوة للجمعين في ضرورة التفاعل مع المعطى المعاصر في أن العربية أصيلة وحية، ولها هوية متفاعلة مع المستجدات بما لها من جينات داخلية تقبل الإضافة مثل الاشتقاق وتوابع النمو اللغوي الذي استفاد فيها الباحث.

4/2- عالج الباحث قضايا شائكة تعدّ حِكراً على كبار فقهاء العربية، وبخاصة تلك القرارات التي لا يطعن فيها إلا الخالدون، وأراه من سدنة الدّاعين لتغيير نظرة وضع الجامع في بعض التّسامح اللّغويّ الذي نراه في تلك القرارات العلميّة التي أنجزها مجمع القاهرة (القرارات العلميّة في خمسين عاماً 1934-1984) والقرارات العلميّة في ثلاثين عاماً لجمع دمشق... ومجموعة من القرارات الملاحق، وفي نظرة مُتفحّصة تجد بعضها غير مبنية على صواب لغوي، وبخاصة في تلك الإجازات بخصوص لغة الإعلام.

5/2- وأنا أقرأ للباحث، ويتبادر إلى ذهني تلك الأبحاث والدراسات الرّصينة النّاقدة للباحث التونسي (محمد رشاد الحزراوي) في تلك الأبحاث التي أنجزها في أعمال مجعّية: القاهرة ودمشق، وأمس التّكامل بينهما في تلك المرجعيّات الحديثة التي اعتمداها وهما يُقدّمان أبحاثاً في أعمال المجمع التي تعدّ من الحقول المغمّة بما للجمعين من صفة الاحترام العلمي والهيبة، وأنهم لا يقولون إلا الصّواب.

6/2- وجدت نفسي في تكامل مع الباحث في النظرة الحديثة لمنطق اللغة في ضرورة إعادة توصيف المستويات اللّغويّة، وعلى الجمعين الكبار مساعدة الجمعين الشّباب في المرافقة العلميّة لتطويع هذه المؤسسات الجمعيّة لتكون في مُستوى رفع المخاطر عن لغة الشّباب بعد التّوجيه اللّغويّ السّليم. وهي نقطة التّقاء في عمل لي حول أداء الجامع، وبالذات في قضايا النّحو العربيّ، وهو المُستوى الرّابع الذي تكلم فيه الباحث باقتضاب ولكنّه أثار قضايا قديمة حديثة هي محلّ خلاف في الماضي وكان عليها أن تكون محلّ مُوافقة؛ باعتبار (اللغة وضع واستعمال؛ فإذا تعارض الوضع مع الاستعمال، فالاستعمال أولى).

7/2- إن الباحث (مصطفى يوسف) جاد في عمله العلمي، وقلّ أن تجد الشّباب المعاصر يعود إلى الدّراسات القديمة، أو في تعبيرنا (العودة إلى الكُتب الصّفراء) وهي مُغامرة ركبها الباحث، وخرج مُنتصراً

بتلك الأفكار والمقترحات، ونزوم أن تنال موقعها في قرارات مجمع القاهرة، وهو يشتغل في رحاب المجمع وله أفكار نحن بحاجة إليها، والعلم صناعة أفكار وتداول. وعهدي به باحثاً رصيناً بضاعته خدمة التراث خدمة عليّة بالمتون، إلى جانب محاذاة ذلك بالمعاصرة، والطريق تصنعه الأقدام بكثرة الممارسة، وهذه سمة الباحث في تواضعه وفي مختلف أبحاثه، ولا تسمع منه إلا (منكم تتعلم) وهذا من تواضع العلماء فأنعم بكم سي مصطفى! 8/2- ما أريد تأكيده في هذا المقال أنه من المطالب الحديثة أن نربط هذه الأمور بالدراسات الحديثة على غرار التداولية وتحليل الخطاب، وأن اللغة لها عوارض، ولها مواقف، ولها جوازات، ولها ما لا يجوز. وكان على الباحث أن يقول: لا يجب أن نترك العربية سبيللة، ولكن لا يجب أن تكون لغة قديمة لا تقبل المناولة والاستعمال وفق الأرضية المعرفية لمستعملها، دون تراخ في خصائصها الصرفية الحديثة ولا تشدد في بنياتها على أنها هي الماضي الذي لا نخرج منه، ولا نتجاوز عصر الاستشهاد، ونحكم على بنيات اللغة العربية بأنها لا تقبل المعاصرة.

9/2- وددت توجيه فقهاء اللغة من خلال هذا الكتاب إلى التشبيك الآلي الذي يتيح الاشتقاق ونحو الألفاظ من خلال نظرية (الخليل بن أحمد) في تلك الدراسات الحديثة في هندسة اللغة العربية وأن اللفظة المفردة تكبر يمينا/يساراً، وتؤدي في كل ذلك معنى بما لا نهاية له، وتعود من حيث انطلقت كلفظة مفردة في مجاري الكلم على رأي سيويه. وكان يمكن للباحث أن يعود إلى النظرية الخليلية الحديثة للأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) هذا من جهة، ومن جهة أخرى سيكون البحث ماثلاً عندما نربط هذا بفكرة التحويلية التوليدية للباحث (أفرام ناعوم تشومسكي) الذي تحدث باستفاضة عن فكرة البنية اللغوية في أية لغة، من خلال كتابه المشهور (التراكيب النحوية).

10/2- هناك لازمة ضرورية في مجال الصرف، وفي مجال المصطلحات، وما له علاقة بالمكافئات والمتلازمات، وصعوبة تحصيلها في الوقت المعاصر، بتغير معطى الجالية. ومن الأشياء التي نريدها أن تكون في هذا الكتاب القيم الدعوة إلى الاستثمار في المحتوى الرقمي، وهو الذي يحل لنا مشكلة العربية في تاريخها العميق وفي الفلسفة اللغوية، والدعوة إلى ربط ذلك بالتراث الممتد في المكان وفي الزمان وفي العرفان، ولا يمكن تعقيله إلا بالنمذجة التي يعطيها المسح الضوئي/OCR وما تقدمه المجدولة/Excel من فتوحات في ميدان اللسانيات التقنية/الحاسوبية؛ وهي من علوم العصر التي يجب الاستثمار فيها؛ لجعل التراث العربي في متناول القارئ المعاصر، وهي ضرورة نزوم أن تكون في مستوى هؤلاء الفقهاء المجمعيين في توجيه البحوث الجمعية للرقنة، ولو كان ذلك منذ زمان، لما تأخر البحث في المشاريع الكبيرة التي أنجزتها الجامع، ومنها (المعجم الكبير) الذي لا يزال في حرف (الطاء) ولا يزال يعيش عمراً آخر، وطال به الأمد (طال الأمد على لبد).

- الخاتمة: هناك كلام كثير يقال في هذا المقام، ولكنني أقول وبصراحة لقد ربخنا باحثاً ماثراً لصالح المعجم التاريخي، وأراه مكسباً لنا في لاحق من المشاريع أن يكون معنا باحث وفقه لغوي مبرز من أرض الكنانة وقد تناسل من علماء أجلاء تعلبنا منهم تشفير العربية، وأنا واحد من أولئك الذين تلمذوا على معلمين ومشايخ

ودكاترة مِن مصر الشّقيقة؛ وهم مِن النّوع العالِي، وكان المُنتلق مِن الصّفر، ولكن تلك الرّعاية العلميّة مِن دولة مصر العربيّة التي أمدّت الدّولة الجزائريّة بأفضل مُعلّميها كان لهم رجع الصّدى بأن قامَ في بلدنا حبّ العربيّة وانتشارُها، وظهر في الجزائر العِلْمُ والعلماءُ، والحمدُ لله على كلّ حال. وحُبّاً لكم جميعاً، وأنا جدّ مُحظوظ بكتابة هذا المقال في كتاب الباحث النّحرير (مُصطفى يوسف) والسّلام عليكم.

ولقد صدقت أن أطفال غزة همّة

- الديباجة: إنها لمناسبة عظيمة ونحن نعيش إحياء شهر الشهداء، والشهداء لا يموتون، وسيعودون يوماً يسألوننا هل حافظنا على الأمانة، وصنّا عهدهم التّليد بمجد جديد، هل كنّا في مُستوى العظمة ونحن نرى إخواننا في غزّة يُحرّقون، فماذا قدّمنا وماذا فعلنا. إنّها المُقاومة باللسان والقلم والنّون وما يسطرون. هي ثورة النّخبة في الإسهام في طوفان الأقصى، عبر المُشاركة في المُقاومة الثّقافيّة في الفضاء الإعلاميّ الذي أصبح القوّة الخامسة. إنّهُ القلم الرّصاصة الذي يعيش الانتقال والتّحوّل بما له من سلاح اللّوح والمداد والحماس وخطاب المنابر وثورة الشّعْر، ودفاع المُحامين، وكلّ يسبح في اختصاصه ويؤدّي دوره بخطابه وإنّها لثورة حتى النّصر ولا يئأس إلّا الظّالمون. وهكذا علّمتنا الحياة أنّ الدّنيا تؤخذ غلاباً:

وللحرية الحراء باب * بكل يدٍ مُضرجة يدق

هي ثورة المُقاومة الثّقافيّة التي أعلنتموها أيّها المُحاضرون ويا أيّها الطّالبات والطّلبة في جامعة (حسيبة بن بوعلي) الشّهيدة الحيّة، والزّعيمة المُقاومة التي استرخصت دمها من أجل الوطن، وها هي من الخالدين الذين خلّدتهم أعمالهم الوطنيّة، وأصبحوا نماذج في الدّفاع، وإنّ القلم أنصفها، والأوراق سال فيها المداد بإسمها والمُؤسّسات الثّقافيّة حملت وسمّها. إنّهم الشّهداء الخالدون ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ آل عمران 169.

أيّها الطّالبات والطّلبة، زميلاتي زملائي، أيّها الجُمع الكريم، لستُ بشاعِرٍ ولا يأتيني سجع الكهان، وإنّما أنطقني النّخوة العربيّة وخدمة الشّأن العامّ، أنطقني ممارسات عنيفة ضدّ شعب يعاني الهوان. وجاءني شيطانُ الكلمات بما عندي من محفوظ شعر المُقاومة، ومن خطاب الحماسة. ومَعذرةٌ إذا كنتُ سليط اللّسان؛ لأنّ الواقع دعاني لاستنهاض الخلدان، لما رأيته من وقع التقصير في نصرة المظلوم، وأنا لستُ مُصنّفاً مع العموم ومُطلوب منّي خدمة الشّأن العامّ، ورفع الهمة بالتّمام، وإلّا لا فائدة من شهادات عليا، والأمة في الدّرك السّفلى. وما دورنا نحن النّخبة إذا لم نتصر لطوفان الأقصى بما لنا من مُقاومة مسلّحة وقويّة هي المُقاومة الثّقافيّة، هي جبهة الصّمود بالأفكار، هي جبهة الدّفاع بالقلم، وعلينا ان نكون بما بصرنا به من شعر ونثر وخطاب ومرافعات، ونصدح بها أمام العالم، ونقول لا للظلم، ونأخذ العالم الافتراضي وسيلة للتّبليغ والتّأثير هي حرب إعلاميّة علينا التّماهي فيها، وتوصيل الحقيقة إلى غيرنا الذين أصيبوا بعمى الإعلام الصّهيوّني، فوقعوا تحت التّخدير.

إخواني، إنا هنا مثلكم مَصدوم، ولكن كان علينا أن ننقل الحقيقة، وأنا لا أصدّق أن أرى الصّغار يزودون، تلاميذ يحملون الحجارة ويرشقون، تلاميذ على أكتافهم محافظ يقرؤون ويعلمون بأنّ الحرية لا توهب إلّا بدفع الغالي والنّفيس، تلاميذ غزّة فيهم صفات الأنبياء والصّحابة والصّالحين، والقنابل خيط مُتصل وهم صامدون، تلاميذ غزّة علّمونا بعض ما عندنا، ولكن سكّتنا أو نسينا، تلاميذ غزّة الذين قيل فيهم شعراً:

علمونا بأن نكون رجالاً * فلدينا الرجال صاروا عجيناً
 إننا الهاربون من خدمة الجيش * فهاتوا حاكم واشتقونا
 نحن موتى قد لزمنا بحورنا * وطلبنا منكم أن تقاتلوا التينا
 قد صغرنا أمامكم ألف قرن * وكبرتم خلال شهر قرونا
 حررونا من عقدة الخوف فينا * واغسلونا من قبحنا
 إن هذا العصر اليهودي وهم * سوف ينهار لو ملكنا اليقينا

لا أصدق أن تنهزم القوة العسكرية الضاربة في الشرق الأوسط، ولكنني صدقت ضعفها وهي تلاحق أطفال الحجارة، وتسجن الصبيان، لا أصدق أن الكيان هش، وأنا أسمع تلك الاختراقات من صواريخ صناعة الياسين، لا أصدق أن الصهاينة جبناء، وأن التاريخ يذكّرنا بجبنهم في قوله تعالى ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ المائدة 24. لا أصدق أن القوة الحديدية تحرقها الصواريخ، ولكنني صدقت لما رأيت دبابة ميركافا، توقفت عن العمل بضربة الياسين، كما تعطلت القوة الحديدية، تعطلت آلة الشركات الداعمة وللأسف مع ذلك جزء منا ندفع لنهوضها باستهلاك منتوجها. ويا أيها المتابعون، من الأعماق تصدر الآهات من شعب يعاني المأساة، وكل دقيقة لا تفارقه الأصوات: هزيم وأنين وصرير وصيل وأزيز وجعجة وخفقان ودوي وهفيف وطنطنة، أصوات مرعبة مخيفة، ومع ذلك شعاره "اطلب الموت توهب لك الحياة"، وعلى لسان شعر المقاومة: منذ متى يخشى المنايا مريدها:

فوا الله إن متنا وعشنا ولم تكن * على ما أردناها المنايا نعيدها
 ونستعرض الأعمار خيراً أماناً * فلا نُعلي إلا الذي نستزيدها
 كتقليد فوز من ثياب كثيرة * قديم المنايا عندنا وجديدها
 إلى أن نرى موتاً يليق بمثلنا * ليستأن من موت الكرام خلودها

وصدقت وصدقت وصدقت أن الأرض تعود لأصحابها، وسنعود يوماً إلى حينا، وفلسطين لا يرثها المارون وسيأتي من يقول: أيها المارون اخرجوا من أرضنا، من قمحنا، من زيتنا، من زرعنا، من ملحنا، من مفردات الذاكرة. صدقت وأنا أنقل مشاعر المواطن يجسده شعر المقاومة رافعاً هامته يقول:

يا سائس الخيل قم للخيل وانحرها * ما حاجة الخيل والفرسان قد ماتوا

ولكن لا نعدم الخير، هي حالات قسامية إن عُدتم عدنا، فهناك محاربون صامدون أعلنوها، وغرة انتصرت لنفسها، وانهزم الضمير الرجعي المطمع، هي الانتصار ما دام في العالم العربي نبض، وفيها حقوقيون يكبرون بجمل أمانة الدفاع عن الحق ووقف المجازر، رغم أن بعض المنظمات التي ندفع أقساطاً من وجودها ولم نر من مواقفها إلا ما يخدم الكبار، فيتو/VITO ليس لنا، فإلى أين المصير، أو لساناً بشراً؟ كان جبان مدعّم، مع أنه مدين بـ 140 قراراً دون تطبيق، ولو كان قرار واحد ضد دولة عربية/إسلامية ينال التطبيق

فوراً، هذا قانون الغاب؛ يستدعي النظر في المؤسسات الدّوليّة، وفي النّظام العالمي كيان لا يقبل إلّا بما يراه من تحقيق حلمه "من الفرات إلى النيل حدودك يا إسرائيل" كيان رافض لحلّ الدولتين، وهل يمكن أن نعيش بالسلام إذا كان الطّرف مُتغلباً على طرف؟ كيان ينتقم من الأولاد، ومن أهل البلد، ومع ذلك نقول: نفديك يا فلسطين، مَعْلِش كَلِّه من أجل فلسطين، نفترش السّماء، ولتتحف المطر ويا له من مشهد نساء فلسطينيات يحملن أولادهنّ على الأكتاف إلى المقبرة ويقلن "مُشْ خُسارة بفلسطين" والعدو الصهيوني لا يتقن إلّا ارتكاب المجازر، وشعارهم "دعونا من العواطف، نُريد قتلى وقتلى" ولهذا لا بدّ من مُحَاكمتهم دولياً، هم استخرا ب واحتلال، ولا يفهمون إلّا أن تعود القضية الفلسطينية إلى المقاومة وبعث الثّقة في المُقاومة وتحقيق الوحدة الشّعوريّة بين الأمّة جمعاء، وإسقاط فكرة تهجير ساكنة غزّة، وما يتبعها من إسقاط مقولة الجيش الذي لا يقهر، وإسقاط حضارة الغرب التي تدّعي الإنسانيّة.

هي المقاومة أيّها الفلسطينيون، فبيّض الله وجوهكم أيّها المقاومون، أنتم الطّليعة، أنتم النّبراس، رحم الله شهداء فلسطين ونقول لكم قفوا أيّها الأحرار ولا تخجلوا من دفاعكم عن الحقّ، وأعلنها أيّها الملثم، ونحن نشاق إلى طلعتك؛ مثل الغيث ينهمر، وإنّه يقولها: مَوْت فيه أو نصر، وإنا قوم في الحالين ننتصر، أعلنها بقولك "إننا نُقاوم من أجل الوطن الذي ليس لنا وطن غيره، أرضنا عرضنا منذ عهد الكنعانيين، ومن الفتوحات الإسلاميّة هو وطننا، ندافع عنه بضراة، وندفع الغالي والتّفيس، أرضنا صوت الضّمير الإنساني لا يزال ينبض من أجل عدالة القضية الفلسطينيّة". وهكذا نصرخ جميعاً ونقول: كفانا مجازر كفر قاسم، وصبرا وشتيلا، ودير ياسين، ودمار جنين، وهولوكست غزّة العزّة. هي المُقاومة التي تستجلب الانتصار، والفلسطينيّ مُجاهد ما دام يقاوم الشرّ، هي غزّة المَوت شهيد، أو الانتصار بالحديد:

في غزّة لا تذكر لي العربا * ولا الحميّة للإسلام والغضبا
حلت بغزّة أهوال مروعة * فما رعيم لها دينا ولا نسا
فكم رضيع بمُستشفى ومدرسة * ومن عجوز لقوا الأهوال والكُربا
تئن غزّة والأوجاع مُضنية * ولا نصير لها عجمًا ولا عربا

والاستثناء موجود في جزائر الخير، جزائر الشّهداء، جزائر جبر الخواطر، وتجريم التطّبيع، والتّطبيع كسر في عمود الأمّة، ومن يُطّبع فهو عزّاب الصّهاينة، والعزّاب بائع عرضه، ومن وال العدو فهو عدوّ والعدو لا شرف له، فهو أخنث لا يُعاشر، جزائر التّأييد لمرحلة ما بعد سبع أكتوبر لاستئناف حضارة الأمّة وانبعاث جديد للإنسان من خلال قيم جديدة يلمس فيها المواطن حريّته، جزائر الدّفاع عن القدس، ولا بدّ أن يعود لأصحابه، جزائر التّضامن الوطني والعالمي غير مسبوق عبر القارات، والتّنديد العالمي لمجازر الاحتلال، والوعي العالمي بعدالة القضية الفلسطينيّة، واستمرار الفعاليات الشّعبيّة للضغط على الحكومات لتقرير موقفها تجاه فلسطين، وفضح التّخاذل والتّطبيع الرّسمي لبعض الدّول.

نعلنها دولياً كما قال الرئيس (عبد المجيد تبون) "لا بدّ من مُحَاكَمَة قادة الكيان كمجرمي حرب أمام المحافل الدّولية والمحاكم الجنائيّة الدّولية، وبرلمانات العالم، هذا من جهة، ومن جهة ثانية عدم الاستهانة بالمقاومة مع قلة حيلتها في وسائل المواجهة، وتوحيد مكوّنات الوطن ضمن المشروع الوطني الفلسطينيّ، وسقوط الهيمنة الإعلاميّة الغربيّة وتحيزها للصّهاينة" إنّها القوّة والفعل، وعلينا أن نري أولادنا قوّة المقاومة، ونعلّمهم مجد يوم القادسيّة، ويوم اليمامة، وصلوات الخنساء وزغرداتها؛ شاكرة ربّها على استشهاد أبنائها، وملاحم القادسيّة وحُطّين. وكان علينا أن نعلّمهم كذلك أنّ اليهود طردوا من كلّ الدّول عبر التاريخ، ويُسجل عليهم التاريخ أنّهم طردوا ثمانية وثلاثين (38) طُرْدَة بالقوّة والتّهجير، فهم نازيون عَجْر، لأنّهم حيث حلّوا أعلنوا الفساد، ولهذا يُطردون شرّ طردة، ومنهم يأتي الشرّ، وسيأتي شتاتهم التاسع والثلاثين (39) على يد المثلّمين قريباً، وبحجارة صغار غزّة الذين أصبحوا رجالاً قبل أوانهم، ولسان حالهم قبل أقوالهم (الحمد لله). هو الحمد الحامل لصوت النّار والبارود، هو نوع من رباط الثّغور بالمصطلح الدّينيّ، فلا يمكن أن يرضى المقاومون القعود مع الخوالب والقاعدين. غزّة تُناديكم، ألم تحرك فيكم تلك المشاهد كلمات وأمعنصماه، غزّة تُباد بالبتروال العربي، ويسقط الخوف ما دامت الأجيال قد تحرّرت من الوهن؛ حبّ الدّنيا وكرهية الموت، وعلينا أن نتلمذ على هؤلاء النماذج اللامعة في الشّجاعة والبطولة، ومع ذلك هناك آلام:

أطفال غزّة آلام مُبرّحة * تدمي القلوب وتذكي الهمم والوصبا

ولكن هناك حتميّة الهجرة العكسيّة قادمة لتنتهي المشروع الصّهيوني، وتضرب أهمّ أركان وجود هذا الكيان، هو هوس وخوف من الفلسطينيين، رغم التّضييق والتّحقير والإهانة لأصحاب الأرض الذين جعلوهم يعيشون عزلة في بلدتهم بصور طوله 770 كلم، وبـ 350 حائزاً، وبخمسة وعشرين (25) سجناً كبيراً والسّجون لا تخضع لمراقبة المنظمات العالميّة... كم هو ظلم أن تكون فلسطينياً، وصعب أن تكون أباً في فلسطين؛ وأنت ترى ابنك أشلاء، وتحمله إلى نعشه الأخير، صعب أن تُكفنه وتودّعه ولا مجال للبكاء والأصعب وما يُدمي الفؤاد أن تكون طفلاً؛ ولدت في غزّة، ولا مقام لك فيها، وبقيت إرادة الحياة والعيش ويا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا، ولا يصيبنا اليأس حين يظهر الأمل، هو الانتصار الذي نراه قريباً، وسوف نقول ذات يوم قريب:

كلّ الحروف من الخريطة غادرت * لم تبقَ إلّا غزّة فهي الباقية

إنّها ثورة طوفان الأقصى تشهدها غزّة، واليوم تُعيدنا إلى تاريخنا المجيد، تاريخ العرب الأحرار والفُحول، إلى معركة بطحاء (ذي قار)؛ حيث هزم العرب القوّة العالميّة الثّانية آنذاك، قوّة الفرس، هي معركة ذي قار التي أعلت هامات العرب في يوم ذي قار، هي معركة النّجاح التي انتصرت الفئة القليلة المؤمّنة على الفئة الكبيرة الطّاغية، وينصر الله من ينصره، هي معركة النّخوة والنّجدة والفروسيّة، ومثلها تلك الكلمة الآحاد بأنّ (هند) بنت النّعمان لا تُسلم لملك الفرس، فهي ليست ابنة (النّعمان بن مُنذر) بل ابنة العرب. يا شرف العرب

وانهزم الفرس بتلك النخوة العربية، لبيك يا هند، وانتصر العرب بالإيمان والاتحاد، و"دستور الإسلام في الحياة هو التعاون، وشأن هذا الدستور الاتحاد والتّساند، وبهما تحيا الجماعات".

إنّها مرحلة فارقة؛ إما أن نتصر وإلا ندخل في مَزبلة التّاريخ، نفضح الذي ساعد الغريب حين نهب والذي لم يقل شيئاً للعدو حين اغتصب، والذي سَمّ القضايا فهرب، والذي طَبّل وتهجّد وتعلّم الخضوع وما ندب. ومع كلّ البساطة والوسائل التّقليديّة فإنّ المقاومة في غزّة أبهرت العالم بالوقوف أمام التّرسانة الحديديّة، في تفجير من مسافة صفر، وإصابة الدّابة في المقتل، بصواريخ تحرق دابة نمر/أميركاته، هي شجاعة المقاومة، ومن أين لها بهذه الخطّة، هم شباب المقاومة وثورة الطّوفان الذين سوف ينتصرون، وشعارهم:

سبيلنا النّصر مَهما طال موعده * * * وزادنا البذل مَهما عرّ أو عظما

الپود کاست

من كورية المجاعة إلى كورية الرفاهية

- الديباجة: إنها معجزة أحدثها الرجل الأصفر في منطقة كانت ثالث بلد فقير في العالم قبل سنة 1983م ويتحول البلد من المجاعة والفقر إلى التكنولوجيا العالمية، وفي ظرف وجيز، فما نحن نشهد مقولة كما قرأناها فقط (انقلب السحر على الساحر) في كورية الجنوبية. كورية الحروب الداخلية الطاحنة، والديكتاتورية وما صاحب ذلك من انقلابات داخلية، والحرب مع الجار الشمالي، والتكتلات بين معسكرين لا يلتقيان والنزاعات الإقليمية مع الجار الياباني، وإرث استعماري ياباني مدمر. فقر مدقع وتحت خط الفقر، ومضايقات مترابطة تسببت في المجاعة العامة. هو شلل مس المؤسسات، وأنقص الوظائف، وخلق بيئة موبوءة. سيول العاصمة تُحيط بها قرى الهامش، وساكنة القصدير، اقتصاد استعماري ناهب، تعليم نخوي مدفوع، صحة مريضة فساد على فساد... وكلها عوامل عمقت فجوة المجاعة القاتلة، وأضعفت التعليم، وغيّبت الاستقرار السياسي، وأوقفت النشاط الاقتصادي والتجاري، وأطلقت العنان للفساد المطلق. هي عوامل قاسية جعلت الأصدقاء يجتمعون في حوار بيني للبحث عن وصفة علاج في أسباب الفقر، والتأخر، وكيفية اللحاق ولماذا كورية الجنوبية ثالث بلد فقير في العالم؟ ولماذا تأخرنا؟ وكيف نردم الفجوة، ونستدرك ونلحق؟

حضرت كل الأطراف الفاعلة في المجتمع الكوري الجنوبي بما حملته من حسن التدبير، وطال النقاش أياماً أياماً، وبعد مداولات ماراطونية صلدة أحياناً، وناعمة أحياناً، ولكنها صريحة ونقدية تصب في علاج الأزمة. وقع الإجماع الوطني على تطبيق خريطة طريق النهوض في تنمية شاملة تراتبية، وعلى الكوريين حكماً وعملاً وتنفيذين التزاماً على آمام محددة؛ تكون محل متابعة وتقييم ومراجعة لا تراجع. هي وصفة كورية لشعب عملي منتج؛ لكنه مقيد بأفكار الشلل والوهن والتخلف، وعدم الاستثمار في التنمية البشرية وفي الطبيعة وفي الزمن. يلتقي الأقربون الأعداء، تحت حذاء عسكري من محبي الوطن، وسدنة البلاد ويتنازل السياسيون الغيرون من أجل هم مشترك؛ هم النهوض الوطني، ومستقبل كورية الجنوبية؛ لوضع استراتيجية الخروج من المجاعة، ونشيدان مستقبل الرفاهية، فن زرع حصد. ويلتقي الجميع على وصفة وطنية هي:

1- جعل سبيل النهوض هبة وطنية: إن كل الكوريين معنيون بالإسهام في النهوض؛ كل من خلال اختصاصه وموقعه، وأن المدة لا تتجاوز عشر (10) سنوات. وفي كل سنة يكون الفكر واللغة والعمالة كورياً بنسبة عشرة في المئة (10%) وهذا لا تراجع عنه. وهكذا تتحرك آليات الهبة الوطنية في تمهيس المواطنين للاشتغال ثلاث عشرة (13) ساعة في اليوم، وبشعار (خدمة الوطن واجب أخلاقي) وبذلك الحماسة والوطنية والمواطنة؛ كان السهر على وضع آليات التخطيط والتسيير التي تسير عليها كل الوزارات والشركات والنخبة الإدارية العاملة؛ والتي استوعبت الاستراتيجية في ظرف وجيز، وعملت على التقويم والمتابعة، وحل مشكلات التنمية والتعليم والقضاء على الفقر، وبناء اقتصاد حديث، وبنية صناعية وتكنولوجية متطورة وتحديث البنية التحتية وتحسينها، وتحضير الصناعة الكورية لدخول الأسواق العالمية وتحويل البلد إلى قوة اقتصادية وتجارية عالمية.

2- التأسيس لتنمية مُستدِمةٍ عِمادها التخطيط والإرادة: كان على كورية أن تدخل المُواجهة، وتركب التّحدّيات وسط أجواء مُضطربة سياسياً واقتصادياً، وأن تمنح التّميّة الاقتصادية أولوية، وأن تُوجّهها وفق ما تقتضيه الخطط التّنمويّة، وأن تُغيّر استراتيجيّة الواردات إلى اقتصاد الصّادرات، للحصول على العملة الصّعبة لشراء المُعدّات والتّكنولوجيا التي يحتاجها القطاع الصّناعي النّاشئ، وتسعى لتحقيق عمليّات التّصنيع. وهذا التخطيط سمّح بظهور شركات عملاقة اقتصادياً؛ حكوميّة/خاصّة تتعاون مع الحكومة في تخطيط التّصنيع التي رسمتها الدّولة، بدءاً من الصّناعات الخفيفة، ونتج عن ذلك توسّع كبير للشّركات ونموّ سريع في حجم الصّادرات. ومن سنة 1990م دخلت كورية في المنافسة الشّرسية، واستطاعت تطوير صناعاتها الخفيفة ممّا فرض عليها التّحوّل نحو استراتيجيّة مُغايرة تهدف إلى إنشاء قطاعات جديدة تستطيع المنافسة على الصّعيد العالمي. وكان عليها إنشاء العديد من مدارس التّكوين المهني، ومُعاهد تكوين المهندسين واختيار أفضل المُعلّمين والأطباء والمهندسين والعلماء، وجيوش من البَحثة لمُرافقة هذا التّحوّل الوطني الاقتصاديّ لصناعة الرّفاهيّة وتحقيق مُجتمع المعرفة. وتواصل الرّهان بتلك الحوافز المُشجّعة بالتركيز على تكنولوجيا المُستقبل؛ وبالأخصّ تكنولوجيا المعلومات، والتّكنولوجيا الخضراء، لتواصل النّموّ صُعباً مع القرن XXI بالاستثمار في التّربية والتعليم.

3- الاستثمار في التّميّة البشريّة: إنّ العامل البشريّ لعب دوراً مهمّاً في إنجاح التّميّة في ظلّ غياب الموارد الطّبيعيّة، وضيق المساحة الجغرافيّة، وشُحّ رأس المال، فكان التخطيط مُوجّهاً بالقوّة والفعل نحو التّربية والتعليم، ومدارس التّكوين المهني، وابتعاث الطّلبة والمُوظّفين للخارج، وبميزانيّة تصل إلى أكثر من 22% سنوياً، والعمل لساعات أطول، وبصرامة قانونيّة مانعة لكلّ إضراب أو ما يُخلّ بمنظومة الأداء مهما كان نوعها، وتربّي الجيل على احترام الوقت، بشعار (أَتَقَدِّمُ بِسَاعَةٍ وَلَا أَتَأَخَّرُ بِدَقِيقَةٍ). ولقد أُعطيّ التّعليم كلّ الأولويّة وباللّغة الكوريّة والتّفَتّح على الإنكليزيّة بغرض الانطلاق، وبشعار (لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ أُمَّةً تَقَدَّمَتْ بِاللّغَةِ الأجنبيّة) و (إنّ اليابانيّة قدّمت اليابان ولم تُقدّم كوريّة الجنوبيّة). وقع الإجماع على أنّه إذا صلّح التّعليم تصلّح كلّ القطاعات؛ باعتباره عماد النّهوض. وفي هذا البند كان الرّهان على بناء مدرسة الجودة، وهي المدرسة العموميّة ذات جودة، مدرسة الحداثة التي تنهي عمل المدارس الخاصّة والدّروس الخاصّة مدرسة قواعد الحكمة المُستمدّة من تعاليم (كونفوشيوس) في مَلَزَمَةِ (إنجيل كونفوشيوس) التي تُدرّس في مرحلة القاعدة، وتُركّز نصوصها على الأخلاق في صُورته: الإخلاص والحقّ وبرّ الوالدين والصّدق والرّحمة والشّجاعة والتّواضع، ضمن معالِم كبرى تمسّ إصلاح الحُكّام+ احترام التّقاليد الدّينيّة+ تقديس الأسلاف+ التّناغم بين الطّبيعة والجوانب الاجتماعيّة+ التأثير في الوجود وترك البصمة+ احترام المواقع وحسن التّقدير. مَلَزَمَاتٌ يَحْمِلُهَا كلّ تلميذ في محفظته ويحفظها، ويعمل المُعلّمون على تطبيقها بالقوّة النّاعمة. هي أقوال وأفعال المُفكّر/المُعلّم (كونفوشيوس) وفيها فلسفة المثاليّات المطلوب تجسيدها في مَلَبَحِ التّليذ الكوري، وأنّ تطبيقها يجعل الدّولة في غنى عن تشريع القوانين واستخدام القوّة الصّلبة.

لقد نالت التربية والتعليم حظوة كبيرة في تخطيط سياسة تربوية لجودة التعليم لكورية الجنوبية؛ بالتركيز على التربية الوطنية؛ ممثلة في الإشباع اللغوي للغة الكورية، ثم الرياضيات، ثم ضرورة تعلم الإنجليزية وتكييف المناهج والبرامج مسيرة للمتغيرات، والعناية التامة والصارمة في إعداد المعلمين ومؤسسات التعليم. إضافة إلى متابعة تجسيد التربية الخلقية في الانضباط، وتشجيع مبادرات الإبداع. كما لعب البحث التربوي والعلمي دوراً مهماً في ردم الهوة التي كانت تفصل كورية عن الدول المتقدمة، بإنشاء العديد من المكاتب والهيئات لتنسيق البحوث، وأنفق كل من القطاع الخاص والعام موارد مالية ضخمة لردم تلك الهوة، بما كانت تقدمه كورية من نفقات لتطوير تكنولوجيا جديدة، وتحقيق المزيد من التقدم في أبحاث آخر صيحة، وبخاصة في تقنيات النانوتكنولوجي والبايوتكنولوجي والكهروالنوية. وإنّ التركيز على الاستثمار في التنمية البشرية خلق شروط مواكبة التطورات، والقدرة على المنافسة؛ ذلك ما جعل منها قوة تربوية وبحثية، وخلق منها قطباً اقتصادياً يقوم على الذات الوطنية، وتنمية مستدامة في نقل ومن ثم توطين العلوم والتقانات التي مكنتها من المنافسة في السوق العالمية. وهنا أدركت كورية قيمة مراكز البحث الحكومية؛ فاستثمرت في إنشاءها للاستغناء تدريجياً عن المراكز البحثية الأجنبية، ومختلف الفنيين الأجانب، وأصبح نسبة الموظفين الوطنيين قوة في القطاع الخاص، دون الحديث عن القطاع العام.

4- السعي لتطوير العجلة، لا صناعة العجلة: إنّ العجلة مصنوعة وموجودة، فالسعي وراء تطوير العجلة هو طريق النمو، وجعلها أسرع مما كانت عليه هو مجال التباري الكوري، ولا نبدأ من جديد، حيث نواصل أين توقف السابقون؛ ربحاً للوقت، واستدراكاً للهفوات السابقة. ولهذا كانت كورية تعتمد على السابقين كمظلة يستند عليها في الجانب التقني أو المادي، كي لا تبدأ من الصفر، والحضارات واللغات تأخذ من بعضها البعض، وكانت لها مظلة الشركات الأمريكية العملاقة في الهاتف النقال، وفي صناعة السيارات، وبدعم أولي أمريكي بأسهم بآجال محددة، وبقروض واتفاقيات جد واضحة. وبذلك السعي في تطوير العجلة انضمت كورية إلى منظمات دولية للتعاون الاقتصادي والأسواق العالمية والجهوية، ومع التينات/التنور الآسيوية الخمسة: كورية الجنوبية+هونغ كونغ+تايبان+سنغافورة+تايوان؛ لتنتقل من ثالث بلد فقير في العالم إلى احتلالها الرتبة الثانية عشرة (12) في الاقتصاد العالمي، والثامنة (8) تجارياً، والثانية (2) في جودة التعليم العالمي. هي نقلات نوعية ضمن مسار تطوير العجلة بالرهان على الشركات الصناعية التي أخذت منها التكنولوجيا الأولية، وعملت على تطويرها بأيدي فنية كورية، وبآلات كورية 100% صناعة كورية، وأضحت من بين أفضل عشرة (10) بلدان في الاقتصاد العالمي. وهو منطق الشعب الكوري الذي يسعى للنهوض بعدما عرّكته أحداث الاضطرابات والتخلف والمجاعة. رفعت كورية التحدي بتسريع العجلة؛ فقد تفوقت الشركات الكورية العملاقة على صناعة التنمية، وأصبحت رائدة عالمياً على جميع المستويات، وبتبني طرائق معاصرة في التسيير والإدارة التي تتبعها الشركات العالمية الكبرى وما أثر ذلك على تنافسية السلع الكورية في العالم، فاستطاعت الثبات والمنافسة، وبدون فساد أو تهرب مالي أو تضخم فواتير.

ومن وراء كلّ هذه العوامل عرفت كورية الاستقرار على الصّعيد الاجتماعيّ؛ بما أحسّ به المواطن من أريحية ورفاهية في التّعليم المجانيّ، والتّطبيب المجانيّ، والنّقل والسّكن والعيش الرّغد، وعدم وجود الفرق في البنية التّحتية بين العاصمة (سيول) وأبسط قرية؛ وكلّ رفاهية الحياة متوقّرة بنفس الوتيرة. ويرتفع عمر الكوري الذي كان يعيش أثناء القلاقل والمجاعة تسعة وثلاثين (39) سنة، ليصبح مُعدّل العيش واحداً وثمانين (81) سنة، وسوف تصبح ثاني مُجتمع شائع في العالم بعد اليابان بحلول 2050، حسب ما تشير إليه الدّراسات المُستقبلية.

5- العول على الاقتصاد المُتنوّع، مُنطلق إسهام الشّركات المُتوسطة والشّركات العملاقة: ويكون في إطار شراء براءات اختراع مُدّة مُعيّنة، وبإدخال نظام 10% سنوياً، وسوف يكون الإنتاج كورياً بعد عشر (10) سنوات. وعبر الشّركات الصّغيرة، والمُشروعات الواعدة، عملت كورية على التّكامل بين المُؤسّسات الصّغيرة والشّركات العملاقة: الكارتلات على تطوير الاقتصاد بدءاً بالهاتف النّقال للعملاق (SAMSUNG) وتوسّع نشاطه ليشتغل في الصّناعات التّحويلية، وفي تركيب السيّارات مع شركات KIA و HYUNDAI MOTOR والثّلاجات والمكيّفات من شركة LG... وكلّ هذه الشّركات أضحت منتجة بدل التّركيب في المنطلق. وعرفت كورية النّمو الكبير في كلّ ما يُمثّل لصناعة تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات. وبذلك شكّلت هذه الشّركات الذّراع التّنفيذية للدّولة؛ حيث كانت تُحدّد الاختيارات الاستراتيجية والخطط التّنموية.

إنّها كورية الجنوبيّة دولة الاختراق والقوّة النّاعمة، وهي طفرة تكنولوجيا لشعب يسعى للتّفوّق والتّميّز، أو كما يقال عنها "إنّها زهرة نبتت من بين الحُطام" وما يُمكن أن نستخرجه عبرة من هذا التّحوّل أنّ الأزمات تُعلّمك الاعتماد على الذات، واشتدّي أزمة تنفّرجي. كورية نموذج حديث لبلد حديث النّمو يُحقّق طفرات ناجحة باستراتيجية وسياسة جعلت منه بلداً جاذباً بما له من مُؤشّرات النّمو، وبمُنجزات الأعمال، والتّجارة والحكومة والعلاقات الدّولية، والثّقافة والتّراث، والإعلام والاتّصال، والتّعليم والعلوم. هي مَوْجة جديدة ركّبتها الكوريّون في صناعة ثقافة البلاد وقيمها وسياستها الدّولية، هي الثّقافة الكورية النّاعمة التي تسعى للمُركّز الدّولي بنمط عالمي، وتنافس كارتلات الصّناعة؛ وبخاصّة في مجال تطوير الاقتصاد الرّقمي بآليات الحداثة في G5 و (IoT) شبكة الأشياء (Internet of Things)، وتحسين أداء تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات (ICT) (information and communication technology)، هنا تكمن قوّة كورية العجب. وعندما نستنطق الإحصائيات نرى سلماً يصعد كثيراً في الصّادرات، وأنّ دخل الفرد يرتفع كثيراً ونرى ترتيبها العالمي يتقدّم؛ فهي ثاني دولة (2) في العالم في جودة التّربية، وخامس (5) دولة من أفضل الدّول في المُحتوى الرّقمي، ومن بين الدّول التي تبحث في الميدان الجديد وهو (الرّقائقي)؛ وهو ميدان استعمار النّجوم بعد سنة 2050م. إنّها كورية القوّة النّاعمة استناداً لمُؤشّر القوّة النّاعمة العالمي ولمُقاييس مُؤشّرات صادرات السّلع الثّقافية والتّعاون الاقتصادي "... حيث إنّ استخدام كوريا الجنوبيّة للقوّة النّاعمة كمصدر أساسي لصادرات السّلع قد أحرز تقدّماً خلال العقود القليلة الماضية على نطاق واسع، وقد كان له تأثير على

التعاون الاقتصادي الكوري مع الدول الأفريقية، وإن كان لا تزال نسبته صغيرة جداً، ولكنها تحاول الحفاظ على تكثيف وجودها على أساس بناء استراتيجية لإحداث التغيير والتعاون بخطة طويلة الأمد. هي كورية التربية والأخلاق والعلم والانضباط والقوة الناعمة والتكنولوجية، وتعزيز العلاقات الاقتصادية والمصالح المشتركة، وإدارة نفقات الاستثمار.

6- العربية في كورية الجنوبية: لغة رسمية ثانية بعد الإنكليزية، وقد تخلت عن اليابانية، ونظرت للعربية نظرة انتفاع، وتبادل المصالح مع العرب وتطوير اقتصادها، وكذلك نظرة أفضل للمستقبل اللغوي في سيادة العربية باعتبارها لغة الأمل (Esperanto)، ودور الكوريين في معاملتهم مع العرب والأفارقة بحكم ضرورة فهم لغتهم، وهي باب من أبواب القوة الناعمة بتصدير ثقافتهم بالعربية في الإنتاج السينمائي وتشجيع العرب في السياحة، وكذلك توسيع اقتصادهم وأنشطتهم التجارية، وهذا كله يدخل في باب الترويج لمنتجاتهم الصناعية والعرب مستهلكون للصناعات الكورية لما لها من متانة وجودة. هي دبلوماسية كورية في ترتيب العلاقات الكورية العربية بالاهتمام بتدريس العربية كونها لغة العلم والحضارة والتاريخ، وتعال الإقبال سنوياً في الجامعات الكورية. ومن ذلك تم تأسيس الكثير من الأقسام والمعاهد العليا لتدريس العربية وتأسست جمعيات اللغة العربية وآدابها، ومعاهد الدراسات الإسلامية واللغوية وأقسام الترجمة: عربية كورية... وإن تعلم العربية في كورية الجنوبية يعني فرصة عمل مضمونة، ولذا يقع التسابق على الحصول على مقعد في المعاهد المتخصصة.

- الخاتمة: كورية العبرة من النجاح، كورية كوكب التحول الذي حقق المعجزة في ظرف وجيز؛ فمن الأزمات التي تلد الهجمات؛ تحولت كورية إلى بلد الناطحات. والنتيجة كورية الجنوبية في معناها العام صفر ورق، وصفر فساد، ضبط ودقة وتميز وأخلاق ورشاقة ومجانية التعليم والطب والنقل، ولا فرق بين العاصمة وغيرها من المدن والقرى في الأنوار، وكلها تشع بالتكنولوجية. كورية الحديثة تعني الجمع بين التكنولوجية المعاصرة والأخلاق الكونفوشية، ومن المجاعة تعلم الكوريون المربطة بالمشاورة، وحققوا الرفاهية. وهل نعتبر ونستفيد، ونخرج من الآمال إلى جادة الأعمال، فمن جد وجد، ومن نام لم يجد.

العربية لسان والثقافة سلوك

- الدِّباجة: لكل لغة مَنهج وثقافة وطقوس وأشكال تواصل، وفيها أنماط من مجموع النظم الاجتماعية والمظاهر الفنية والدينية والأعراف والمعتقدات والأفكار والقيم والعادات والتقاليد والأخلاق والقانون والسياسة والاقتصاد التي تتميز بها وتُحدّد مجتمعا ما على الآخر، ويظهر ذلك في كلّ ما يصدر من اللغة من إبداع أو إنجاز فكريّ أو أدبيّ أو فنيّ أو علمي. وكلّ لغة لها حمولة لسانية تُشكّل من ورائها النشاط الاجتماعيّ في المجتمع، وأساليب الحياة والسلوك وأنماط القيم السائدة فيه... وهو ما يُسمّى بالثقافة؛ رغم أنّ مصطلح (الثقافة) زبقيّ، وله ميادين كثيرة تشمل التعليم والمدنية والحضارة والمهارة والحذق والعادات والأديان والتنوع والتسامح...

1- العربية لسان وثقافة: العربية لسان على غرار كلّ اللغات، واللسان هو جهاز النطق الذي يتعلّق بمجموعة من الأصوات المحددة في آية لغة، وله أنماطه التي تؤخذ بالمحاكاة والتربية والتعليم. وأما الثقافة ما يحمله اللسان من سلوك ظاهر أو مُضمّر يتجسّد في أشكال مختلفة، وتحمل كلّ لغة محتويّ تعبيريّا لفكر اللغة، مثلها نقول (اللغة العربية) التي تحمل الثقافة العربية الإسلامية؛ وهي وعاء العلوم العربية الإسلامية جميعا بما لها من دين وفقه ومعاملات ودنيا وحياة يومية، إضافة إلى أنّها أداة الإفهام والتعبير العلمي والفنيّ والعاديّ، ووسيلة التأثير بفنونها القويّة، وسائر أدواتها التواصلية. ومن هنا ندرك العلاقة بين اللغة والثقافة وهما صنوان لا ينفصلان؛ حيث اللغة ثقافة تعكس طبيعة المجتمع، ولغة المجتمع، ومَصير المجتمع. وإنّ العربية تحمل ثقافات عاتمة وكتابات لكلّ الأديان، وهي موجودة على سطح المعارف الإنسانية وظلت وستظلّ تتطور وتخرج بمنتجات عقلية مُغيرة مكيّفة وفق الأرضية المعرفية لمجتمع يستعمل العربية في تواصله العام ووفق المستجدات. وإنّ الثقافة العربية بكافّي الثقافات لها قيمها التي تميّزها عن غيرها؛ فهي زاخرة بالعديد من القيم الثقافية مثل: الكرم والكرامة والمروءة والشهامة والنخوة والشجاعة... إلخ. والمتأمل في المجتمعات والشعوب العربية يجد ثقافة عربية واحدة؛ ذات ألوان مختلفة ومتنوعة، وذلك ما يُشكّل وحدتها المتدافعة المتناسقة من: اللغة والدين والتاريخ والجيرة والقضايا المشتركة والتطلّعات المستقبلية. هي مُشتركات ثقافية عربية لأرضية واحدة سبق لها أن تعاقبت عليها الصّروف والظروف جعلتها تنوّع أكثر إلى درجة التناقض أحيانا. وهكذا، فالعربية ليست لغة نمطية غير قابلة للتكييف حسب الأزمان، وكذلك الثقافة العربية فهي مرّنة تقبل أنماطا من لغتها وأفكارا من لغات أخرى رغم ارتباطها بالعربية تحديداً، وهذا نظير عالميتها وتوسّعها؛ وهي للعالمين كافة، وكان عليها أن تكون وعاءً وأداة للفكر تتضمن الخصوصيات، وكذلك تقبل العموميات والمُشترك مع الآخر من غير الناطقين بها. إنّها الأصالة وحتمية الاختلاف في الثقافة العربية لعالميتها وتأثيراتها في الشرق الأقصى، وفي شرق وغرب أوروبا، وتُجاور بحر العرب لآسيا، وضة المتوسط، إضافة إلى أثر الحضارات المشتركة، وامتداد الحضارة العربية الإسلامية، والتكتلات الجهوية في المناطق العربية، وتلك الهجرات التي وحدت بعض أنماط العادات والتقاليد والحرف والتصرّفات، والتي تراكت عبر الأجيال، وشكّلت ثقافة واحدة داخل مجموعات فرعية.

وهذه هي الثقافة العربية التي تحمل الإطار النظري والتطبيقي في السلوك العام وفي الأخلاق والدين، وكأنا لا نلصق الفروق بين اللغة ومخرجات الثقافة، فلا ينفصل القول عن العمل، كما لا ينفصل وجهها الورقة الواحدة، ولا تناقض في المال رغم اختلاف المحمول؛ لأنّ الجوهر واحد، والوجدان الجماعي واحد، رغم اختلاف الأعمال والمنهجيات. وكما أنّ العربية ذات تاريخ مديد وعميق، ولها قابلية الامتداد، وكذلك الثقافة العربية ذات تاريخ عميق؛ بوصفها ثقافة مُفتحة قابلة في أيّ زمن للحوار مع الثقافات الأخرى، بما لها من "عناصر إيجابية وقادرة على ابتكار آليات وقيم جديدة تقود أصحابها إلى التقدّم الدائم من أجل تحقيق أكبر قدر من الأمان والاستقرار والرّاهية وسعادة الفرد". إنّ العربية اللسان، هي عربيّة الثقافة المتجددة القابلة للاستمرار، ثقافة القوة والقدرة والتّوسّع الحضاريّ في الآداب والفنون والتّفاعل مع التّنميّة والبناء المجتمعي. هي اللغة والثقافة العربيّة التي ترسّخت جذورها عبر التاريخ من خلال مُتونها ودينها وقصائدها وترجماتها وانفتاحها في عطاءات إبداعية نالت كلّ المعمورة.

2- مُميّزات الثقافة العربيّة: تميّز العربية بثقافتها وبخاصيّة لغتها والإسلام سيّمتها، ولها صفة الشّمول فهي تشتمل على العديد من الميادين المعرفيّة والسلوكيّة، ولديها القدرة العالية على التّأقلم مع ما لها من الاحتفاظ بالخصوصيّة، إلى جانب مرونتها في القيام بعمليات التّعبير والتّواصل؛ لأنّها تجمع بين اللغة والأفكار والانفعال والمشاعر. وهنا تكمن أهمّيّتها في الماضي والحاضر، رغم ما عرفته من تراجع بدءًا من القرن XV الميلادي الذي بدأت اللغة العربيّة بحمولها في الانحدار، نتيجة ما أصابها من الحجر عليها من قبل الاحتلال، وبخاصّة الاحتلال اللّغوي/الثقافي، وانكفاء النخبة العربيّة التابعة للغات الأجنبية، والتّنكّر لدور العرب في المنجز الحضاريّ وفي الإبداع الإنسانيّ. بالفعل كان ذلك من محبّطات تقييد الفكر والإبداع العربيّ الذي أدّى إلى استفحال الأميّة، وكلّ ذلك كان سببًا في الدّعوة إلى مراجعات في الثقافة العربيّة بما يعرضها من إعادة النّظر في قضايا العائلة والقيم والتّضامن والضيافة والترحيب والاحترام والأنفة والكرامة وطلب العلم واللّغة والدين... وكلّها عوامل لها مداليل ثقافيّة وسلوك اجتماعيّ جعل اللغة والثقافة العربيّة محلّ شكّ ومراجعة، وهذا بسبب تلك الانتكاسة التي عرفتّها الحضارة العربيّة منذ سقوط الأندلس 1492م. وقد ظهرت ثقافة غربيّة تعدّت على الخصوصيّة وحدود القبيلة، وعمّلت على التّبعية من منظور الغرب وسلطة قوّة اللّغات الأجنبية، وعرفنا التنازل والسّقوط لغة وثقافة.

لقد عجزنا عن التّخطيط للغتنا وثقافتنا، عجزنا عن اقتراح مشاريع التّهوض، بل أجهزنا على فكر التّنهضة للطّهطاوي ورفاقه، وعلماء الأُمّة مع الشّيوخ (مُحمّد عبده وابن باديس ورشيد رضا...) عجز العرب في الوصول إلى إجماع عربيّ أمام تحديات الآلة ورهان العولمة، ودخلنا أزمة النّفق المُظلم، وفي سراب بقيعة نعوم، ودون حلّ رشيد، مع ما نعرفه من الفعاليات المُنتجة للمادة الثقافيّة لكنّها غير مُجدية، وقفزنا جميعًا إلى مقعد السّائق وكلّ واحد يريد أن يكون قائد الحافلة، وانقلبت الحافلة. ضاع منّا في العصر الحاضر المجد التّليد، ففي كلّ سنة هناك مُتخرّجون جامعيّون بطّالون، بحوث عليّة مُتراكمة عبارة عن تسويد أوراق ضحالة الإنتاج الفكريّ في

العلوم والفلسفة والعلوم الإنسانية والآداب والفنون والعمارة، قصور في الدراسات الإسلامية وانكماش الاجتهاد الفقهي، قرون وسطى نعيشها في القرن الواحد والعشرين، انتحار الثقافة العربية في أوطانها، هو فقر مُدقع في وسائل الثقافة، وتخلّف تنمويّ يجرّنا إلى الانسداد في العيش مع الآخر الذي يسبقنا في كلّ شيء ويجعلنا نعبده إن لم نهتجر إلى بلاده، فنحن تبع له وللغته وثقافته.

3- الوصفة اللغوية والثقافية: لا بدّ من الاستنجد بإيجابيات التراث، والتنقيب في أعماقه بإمكانات التخطيط، وبثقافة الإشراق، هو تعامل جديد يستهدف استكشاف فضاءات الالتقاء ومجالات التماس التقاطع بقوة المعاصرة فكراً وعلماً، وإحياء لثقافتنا عبر منطلقات جديدة بآليات العصر ووسائله. هو التجديد بتوسيع وعاء الثوابت ليستوعب الحديث وقولته ليستوعب القديم، إنه انطلاق من أفكار النخبة بمزج الأصالة في الضمير الجمعي ومتطلبات العصر، وهو الخيار الاستراتيجي للتجديد، وهو التحرك من خلال التراث إلى المعاصرة؛ ليكون التفاعل بين الاثنين أساس الصيرورة الثقافية. وعلى النخبة رفع خطاب التجديد ويكون موجّهاً للجميع، وإلى كلّ من يبحث عن صالح هذه الأمة؛ انطلاقاً من قناعة أن مستقبل الأمة هو ما سيصنعه الجميع، خطاب مشبع بالمقولات والمفاهيم الإنسانية والاجتماعية التي تتطلبها المعاصرة، خطاب حضاري وإع لا يوجّه اللوم إلى أحد، وكلّ له أفضال ومزايا ونقائص ورزايا، خطاب أمل وعمل يهدف إلى تنشئة جيل عربيّ يخطو لكسب ودّ هذه الفئة الشابة نحو فكر التجديد وممارسته في رحاب التنوع الثقافي المقاصدي الحامل لرفع المشقّات وإحلال اليسر، وما يتبع ذلك من معقول الشرع كالقياس والاستحسان وسدّ الذرائع والمصالح المرسلة.

4- حاجتنا المعاصرة: نحتاج لغة عربية بما لها من تراث ومُعاصرة، وأن تنال مساحات استعمالية في كلّ الميادين، وأن تعلو في كلّ المنابر وتتواجد في المخابر والأبحاث العالية، وإلى جانب ذلك أن تصدح بها المدارس الابتدائية لحدّ الإشباع، كي نضمن مستقبل ثقافتنا ببناء الجسور الثقافية وتحديد معالم استراتيجية ثقافية، ووضع الخطط الزمنية لتنفيذ مراحلها، ومن شأن ذلك أن يُشكّل منعطفاً تاريخياً في نيل المقام العربيّ والسوق العالميّ. وعلى النخبة أن تُعلي من الثقافة العربية، وتبرز فتوحاتها من عبقريتها. هي مسؤولية المثقّف العربيّ اليوم أمام المستجدات الحديثة التي تتطلب الوعي بالثقافة العربية والتعاون الثقافي لاستيعاب تجارب الآخرين وتطويرها بطريقة علمية ومدروسة. ونحتاج إلى الثقافة الناعمة في ظلّ انفتاح الحدود والسّماوات أمام تدفق المعلومات والصّور والأفكار والتي تعزز الإبداع الثقافي، والمبادلات الرمزية التي تؤثر في العقول والقلوب، بما يُحقّق المصلحة الوطنية لأية دولة عربية بوسائل ناعمة.

لهذا نحتاج إلى السلطة المعرفية العلمية التي نفتقر إليها في علم الذكاء الاصطناعي/OCR بما يُعطي لنا مقوّمات مؤثّرة في الدّاخل والخارج، ويُعطي للغتنا الأثر، ولثقافتنا التأثير. ولا يكون ذلك إلّا بالفضاءات الثقافية بجسد وقوام وبمشاريع كثيرة عبر البلاد العربية وسفاراتها وقنصلياتها ومراكزها الثقافية، وأن تكون هناك قناعة بدور الثقافة الحيوي في حياة الشعوب بأنّها بنية تُخدم التنمية والإنسان والحرية وكلّ التّجليات

الإبداعية والإعلامية والسياسية في بنية إنتاج البيئة الاجتماعية الصالحة، وذلك ما يُشكّل بُعداً أساسياً في بناء القوة، وتحويل البلدان إلى نموذج يحتذى به.

5- ضرورة الإغلاء بالعربية لتعلو الثقافة العربية: وجهان لعملة واحدة، وكما يقال: «ولو كان استعمال اللغات الأجنبية وصفة سحرية للتقدّم العلمي والحداثة لاستطاعت دول المغرب العربي والدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية أن تغزو الفضاء الخارجي، أو تقدّمت تركيا التي تخلّت عن استعمال الحروف العربية أن تلتحق بالغرب المتقدّم». كلّ ذلك محال واهام وتخدير، وإنّ الشعب الحيّ هو الذي يُعلي من لغته ويدفعها إلى الصدارة، وبها يعلو، وبدونها يعرف الانحدار، وأنّ البعد عن اللغة الأمّ بعد عن الوجود، وقتل مُبرمج للمُجتمع، وحياة اللغة الأمّ باستعمالها وتعليمها، وكما يُحدّدها الإيطاليون «حدّ اللغة أشدّ من حدّ السيف». ولا بدّ من التّأهّب، وحمل العصا والمخضرة والتّأهّب لنيل المقام، فلا مُساومة في اللغة، وإنّ (فنلندا) رقم واحد في التّربية على مُستوى العالم، نجد لغتها وراء مُنتوج الهاتف (NOKIA)، وسيارات (VOLVO) والفنلندية لغة المدرسة وحدها في مرحلة القاعدة. ومن هنا، وأمام المُستجدّات تستدعي العربية نظرة علمية نتباحث فيها عن الجوانب العلميّة، وفي فُقر التعلّم في ذات العربية بدل استذكار ماضي الأجداد، بوصفها كانت لغة الحضارة والثقافة والتّاريخ، والآن إنّها لغة قعيدة، ولا يعدو كلّ ذلك أن تكون كلمات مُناخات حماسية، وما قدّرنّا لها مقاديرها، وكفنا العبارات الرنانة التي تُشنّف بها الآذان رقةً ولطافةً. وإنّ اللغات تُقاس بالاستعمال لا بالقداسة، وإذا تمّ شيء بدا نقصه، فترقب زوالاً إذا قيل لقد تمّ. إنّ العربية غير مُقدّسة فهي مثل أية لغة وكلّ الأقوام تقول لغتي الأفضل. إنّ العربية تحتاج إلى مزيد من الانفتاح على اللغات والثقافات، ليكون لها الحضور الدّولي في تفاعلها مع العصر حتى تُواكب التّحوّل الرّقمي، وقواعد البيانات والإحصاء الكمي، وتحتاج إلى لغويين لا يعجزون ولا يترّبعون في مُؤسّسات على أنّهم خالدون، نحتاج من يُحلّل ويُعلّل مقولة اللّساني (كمال بشر) "... ومما يثير الاستغراب أنّنا إذا استفتيناهم في ظاهرة لغوية جديدة أو مشكلة في اللغة العربية لا يقدّمون حلاً أو رأياً لأنّهم إمّا متمسكون بالقديم، أو عاجزون عن الجواب، أو رافضون للتّجديد كلّ". تحتاج العربية مزيداً من التّواصل والحوار بين الحضارات والثقافات، وتوطيد العلاقات الدبلوماسية، وتعميق الروابط التجاريّة والاقتصادية بين الدول العربية ودول العالم.

- الخاتمة: لست مُتشائماً مما كتبته، بقدر ما أريد ونز الضمير؛ لأنّ حماية اللغة العربية تكون بمدرسة الجودة، إلى جانب حمايتها ثقافياً، لأنّ التشريع والقوانين دون ضمير ولا أخلاق لا مقام له، لا بدّ من قاعدة تربية خلقية ثقافية. فالدين الإسلاميّ أمّه الله، ولكن العمل كان على الأتباع بالوازع الدّينيّ ومُراقبة الذات حيث إنّ أصل القوانين القواعد الأخلاقية والاجتماعية، ومن ينكث يتحمّل التّبعات التي أقرّها القانون جزاء تخلفه عن تنفيذ التزامه. واللغة تُحمى بالقانون فعلاً، ولكنها تُحمى أولاً بالوازع الأخلاقيّ في إبراز معالم الهوية والانتماء والحضارة، وكلّ ما يمتّ إلى التّاريخ والأصالة من صلة، والمشكلة عندنا ليست في وضع

القوانين، بل في تطبيقها، كما أنّ القانون لا يعني شيئاً بدون تثقيف المجتمع، وإلهاب عاطفته بحبّ لغته وحسن حمايتها والدّفاع عنها، وبخاصّة النّخبة العضوة، فهل نملك النّخبة العضوة؟

إذا ما الجرح رُمّ على فسادٍ * تيّن فيه تفريط الطّبيب

وهكذا إذا لم تكن التّوجيهات والنّوايا سليمة؛ فتلقتي الإدارة السّياسيّة مع الإدارة العلميّة والتّربويّة، ومع الوعي الجمعيّ في الجهات التّنفيذيّة لا يحصل للعربيّة الانتقال المعاصر، ولا ما يجعلها تتطور ونيل المقام. ولا بدّ من الوعي اللّغويّ الذي يجعلنا نخرج من الأحلام الوردية، ونقول الحقيقة بأنّ (أمّ اللّغات) تعيش الخطر في وقتنا، وعلينا أن نستذكر أبحاثها (عمر حيدر أمين) متأسّفاً على الوضع الذي يستدعي التّدب على لغة نالها الجحد من أهلها:

أيّ العلوم عجزت عن تمثيلها	*	وبأيّ فنّ خانك التعبير؟
لكنّ أهلك بدّلوا بك عجمة	*	واعوجّ ألسنة لهم وسطور
أما سمعت بمن يُغيّر جلده	*	متدّرعاً أنّ ليس فيه بثور!!
أعداؤنا كؤب لبعث رميمة	*	وعليك يا أمّ اللّغات نجور!
لا لن تضلي فالهدي بلا ناطق	*	واللّوح والفردوس والمآثور

قصر الحمراء، وشهد شاهدٌ على أهله

إنَّه القصر الملائكي/Alhambra الذي يشهد على حضارتنا العربيَّة الإسلاميَّة الماجدة في دولة بني الأحمر في عهد ثاني سلاطين غرناطة (الغالب بالله؛ أبو عبد الله مُحَمَّد الأوَّل/مُحَمَّد بن نصر الأحمر) بين 1238-1273 في مملكة غرناطة، وقصر التحفة العربيَّة الإسلاميَّة الذي استغرق بناؤه 140 سنة من 1238م-1358م وانتهى مع آخر ملك بني الأحمر (أبو يوسف الأوَّل). وبالحقَّ كان أعجوبة العمارة الإسلاميَّة في الزخرفة الدقيقة، وفي تلك التَّنظيمات الهندسيَّة، وفي كتابة الآيات القرآنيَّة والأدعيَّة، وبعض المدائح والأوصاف من شعر (ابن زُمرَك). هو إبداع هندسيٍّ في حصن منيع من الهضبة التي قامت فيه جَنَّاتٌ وقنواتٌ ونوافيرٌ؛ تشهد لأجدادنا بإتقان الصَّنعة؛ وعليها أشهر النقوش (لا غالب إلاَّ الله). ويتوسَّع البناء، ويزداد بهاءً مع كلِّ الملوك المسلمين الذين تركوا بصماتهم في مزيد من المساجد والأبواب والبرك والدهاليز والأجنحة والأفنية والأبهاء والأبراج والحدائق، وأشكال السَّلام، والخنادق والأقبية والسَّقوف والسطوح، ومُختلف العُرف، والأرصِفة والحمامات والأحواض والرَّخام الأبيض المرصوف... وكلُّها بأيدي فنيَّة ماهرة، والأعجب في كلِّ ذلك تلك المياه التي تخرخر في كلِّ مكان بتيقة سرية من حيث مُدخلها ومُخرجها، وتعتلُّ لغة الكلام عن وصفها. إنَّها (جنة العريف/Generalife) التي أُتقن إبداعها في الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة في الفوارات، وفي زخرفة الحدائق العامَّة والخاصَّة، وتشهد على براعة المهندسين المسلمين العاليَّة في صنْع أشكال ومُجسَّمات مُختلفة من ملحقات قصر الحمراء من مثل Sala de Los Abencerrajes وقاعة الملوك/Sala de Los Reyes ومنظرة اللندراخا/Mirador de Lindarata. ومُتزين الملكة/Peinador de La Reina ولا يكفي الكلام في وصف الحمراء بقدر ما نقول بأنَّ آثار أجدادنا يشهد عليها أمثال هذا الإبداع الذي افتقدناه ذات يوم، وتلك الأميرة (عائشة) المرأة العربيَّة الحرَّة تستنكر وتقول لابنها (عبد الله الصَّغير) "ابك كالنساء على مُلك لم تستطع حمايته كالرجال". جملة محفورة في تاريخ الزَّمان بتسليم (غرناطة/Grenada) للملك (فرناندو الثاني) وزوجته (إيزابيلا الأولى). بالفعل إنَّها الجُمع بين قُمة المجد والانحدار الشاقولي، وبذلك يدخل الأندلس في مُصطلح (الفردوس المفقود). هو التاريخ ولكنَّ بصماتنا قائِمة في دُرة الأندلس/قصر الحمراء الذي اختير من UNESCO معلماً من معالم الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، وموقعاً من مواقع التُّراث العالمي منذ سنة 1984م.

إنَّها العمارة الفنيَّة التي عُرِفَتْ بها الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، وتفتخر بها إسبانية الحديثة، وتُدرَّ عليها السَّياحة اقتصاداً كبيراً؛ حيث يقصد السَّياح معالِم العرب في هذا البلد الذي كان في يد العرب لثمانيَّة قرون وقد عاش الرِّخاء والعلم والعُمران والمرجعية في كلِّ شيء، ويقول ابن عطية:

بأربعِ فاقَتِ الأمصارَ قرطبةُ * * * مِنهنَّ قنطرةُ الوادي وجامعُها
هاتانِ ثنتانِ والزَّهراءُ ثالثة * * * والعِلمُ أعظمُ شيءٍ هو رابعُها

إنَّه الحمراء القصر المنيف، ومدينة الزَّهراء الأعجوبة المشرقة من التاريخ الإسلامي، بناها الخليفة الأمويّ (عبد الرحمن الناصر لدين الله) سنة 936م، واستمرَّ بناؤها ستّة عشر عاماً، وهذان المعلمان يُشكّلان اليوم ذلك المجمع الذي يحفل بآيات الفنِّ العِمْراني، ويُعبّر في الوقت نفسه عن أبداع تجليات الفنِّ الزخرفي وكلاهما يشهد على كنوزنا في الأندلس، في كلّ من: الجزيرة الخضراء + برشلونة + قادس + بسطة + شنترة + ألمرية + بطليوس + قلهرية + جيان + لشبونة + مالقة + رندة + باجة + شاطبة + لارادة... مدنٌ بِسَمَات التَّحَفِ العِمْرانيّة التي كان العربُ أسيادها، وكلّ هذه الفنون وتلك المَهارة والعناية؛ تشهد على تلك المآثر للعبقريّة التي شيّدها بحضارة إنسانيّة شريفة، وبلغة عربيّة علميّة مهّدت الطريق للحضارة الغربيّة المسيحيّة، فَنَ بَكْرَة العربِ إلى ثورة البخار وتلك الأيام نُداولها بين الناس، ولكنهم آثارهم تدلّ عليهم، وشَهِد شاهدٌ من أهلها؛ فهذا الشّاعر (ابن زمرّك) يُجَمِّد ذلك الإِتقان:

قَصْرٌ تَقَاصَرَتِ المَدَارِكُ دُونَهُ * فَيَحَارُّ فِيهِ الوَهْمُ والتَّعْلِيلُ
هِيَاةَ مَا كَسَرَى وَمَا إِيوَانُهُ * لَا يَسْتَوِي التَّوْحِيدُ والتَّضْيِيلُ
قَدَرُ المَعَالِمِ قَدْرُ مَنْ قَدْ شَادَهَا * فَإِذَا لِي التَّقْدِيمُ والتَّفْضِيلُ
مُتَقَابِلُ الأَوْضَاعِ مَرْمُوقُ الحُلَى * فَيَرُوقُ الإِجْمَالُ والتَّفْصِيلُ
فَانظُرْ بِأَنْدَلُسٍ بِيوتَ قُصُورِهَا * وَلَأَهْلِهَا الإِتْقَانُ والتَّحْصِيلُ

إنَّها الأندلسُ صناعةٌ عربيّة، وبعلماء عربٍ أعلوا من صرحها أيام المجد التليد في كلّ الفنون، وها هو الإمام القرطبي + ابن عبد ربّه + الشّيخ ابن أبي حجّة + القاضي أبو بكر ابن العربي + أبو القاسم الزّهراوي + ابن زُهر + الجريطي + ابن حزم + ابن الزرّقالي + الشّرف الإدريسي + أبو عبيد البكري + ابن السّمح + عبّاس بن فرناس... وتطول القائمة، ويجمعهم الإسلام ولغة الإسلام؛ وبها وفيها ومنها أبداعوا ونالوا الريادة في التّنظير وتشهد الأندلس بروز مدارس عربيّة على أعلام أندلسيين؛ فهذا أبو القاسم مُسلمة بن أحمد الجريطي، وابن مالك والشّنتمري... من أعلام الحضارة الإسلاميّة؛ حيث قاموا بتعريب النّقود على الطّراز العربي في دار السّكة القوطيّة بطليطلة، وما تبعه من انتشار المكتبات، حتى أصبحت الأندلس محجّ العلم والعلماء في الإبداع، وأصبحت نظريّاتهم محلّ تجسيد في الحضارة الغربيّة المسيحيّة.

ولعلّ هذا الإِتقان والإنتاج العلميّ معالمٌ أسهمت في ازدهار الحركة العلميّة في ذلك العصر، وبخاصّة لما نعرف تلك العوامل التي وقع الاستثمار فيها وهي: الإعلاء من مكانة اللّغة العربيّة في البحوث العلميّة + مكانة العلم والعلماء + تأسيس المدارس اللّغويّة والمدارس الخاصّة بالرياضيات + إتاحة طلب العلم والبروز فيه + قبول البعثات الطّلابيّة الخارجيّة + مواكبة الخلفاء لحركة التّنافس في العلم بالإغداق المادي... وكلّ هذا العمل الجَمّ هو ما جعل الكُتّابات تترى في استحسان العلماء والأطباء والنّباتيين والفلاسفة ومختلف المُتخصّصين بأن يشنوا على جهود الخلفاء والأمراء عملهم العلميّ ذي الطّابع العربيّ الإسلاميّ الذي أثمر على حركة علميّة لا مثيل لها في أوروبا، بتأسيس طريق العلماء بين المشرق والمغرب والأندلس.

وها هي الشهادات تُقرّ بذلك "... هذا ومن الحق أن نقول: إنه كان للتواصل الثقافي بين المشرق والأندلس أثر كبير في ازدهار الحركة العلمية وتنشيطها. فقد كان أولئك العلماء الراحلين إلى المشرق أو المشاركة الراحلون إلى الأندلس يحملون معهم كثيراً من العلوم والمعارف المختلفة إلى جانب أعداد كبيرة من المصنّفات والتأليف في شتى فروع المعرفة... وكان لها الأثر الإيجابي في ريادة علوم العرب".

وذاث الشيء ينطبق على الإبداع الزخرفي وهذا ما جعل الكاتب جون د. هوغ يقف مبهوراً أمام هندسة قصر الحمراء، ويقول "لعل ما يلفت النظر حقاً هنا هو إن هندسة هذا المبنى العظيم، ينتهي بها الأمر إلى الإحشاء أمام عظمة الزخرفة. حيث يبدو لنا أن النحاتين هنا قد أبدعوا فناً يكاد يكون في رفاقته فناً أثوياً، ويكاد يلوح في أعين الزائرين وكأنه حلم غير مادي". وبعضهم وصف الأمر من الأثر الجمالي العربي، وهذا ما يقوله فيكتور هيجو/Victor Hugo في كتابه (Les Orientales) "إننا أمام المدينة الأجل في بلد كل مدنه جميلة ولكن مصدر سر جمالها إنما يكمن ويتجلى في (قصر الحمراء) الذي هو أثر جمالي عربي شرقي تزهو به غرناطة ولذا لم يعد من الممكن أن تُقارن بغيرها" لقد سحرت الحضارة الشرقية الغربيين التزيين، وأنصفوها في كتبهم مثل كتاب جاك لونج/Jack Long في كتابه (La Langue Arabe ; trésor de France) وجان بروفو/Jean Pruvost في كتابه (Nos ancêtres les Arabes ; ce que notre langue leur doit) هو إقرار بأن الحضارة العربية في الأندلس لم تكن احتلالاً، بل لقاء أشخاص بحيط علمي صدامي، جعلهم يبدعون ضمنه بمنطق الصدام العلمي الحضاري الموجود في الحضارة الرومانية والقوطية مع الحضارة الشرقية الإسلامية، وشكلوا قوة الحضارة العربية التي تجاوزت معارك الوندال إلى بناء الأفكار، وحولوا سلطان القوة والحروب إلى معارك فكر وإنتاج، وإلى تحرير العقول والتعاون في صالح الحضارة الإنسانية. ولذلك تميزت الأندلس بثناء علمي كبير أدهش الغرب ونالهم الخير العميم من وراء التصاهر والاندماج، ونشأت طبقة الموريسكيين الذين أبدعوا في الحضارة العربية الإسلامية، وأعلوا من ثقافتهم الإسبانية؛ فحصل لها الكثير من الترتي، من مبدأ التعاون العلمي، والأخذ والعطاء، وحسن التعامل مع أهل الذمة، ومن ورائها نتجت مدونات لغوية في الألفاظ والأساليب والمسكوكات وشعر تروبادور، والموشحات والموسيقى والنحت بحس شرقي وموسيقى وذوق عربي شرقي. هي مرحلة الاستعراب التي كان لها الوقع والهيام بالشرق في عمومها؛ فكان الإبداع كاملاً في مختلف الفنون، من ازدهار الحياة الأدبية والعلمية، وانتشار العربية والثقافة العربية والعادات والتقاليد الشرقية في أوروبا الغربية.

إنها الحياة الجديدة التي عرفتها الأندلس مع الفاتحين، الذين تساكفوا مع الأهالي بحُرمة الجيرة وتبادل المنافع في خدمة ما يجمع الساكنة، والذين توحدوا في الأرحام. سنوات من العطاء كتبها التاريخ، كما كتب ذات التاريخ أن محاكم التفتيش حملة صليبية لغسل آثار تلك الحضارة بوضع صليبهم، واستبدال اللغة العربية بالقشتالية، وهي ردة استعملت القتل والتهجير والسبي والطرد، فضاعت غرناطة بقرميدها الأحمر بين تيهان من تكون؟ أن تكون مسلماً لا ملجأ لك، ولكل من يحلم ويحمل (لا غالب إلا الله) وما بقيت حلاوة العربية في

الأفواه، ولا تُتلى بها الصَّلوات، وما عاد برجُ (قُمارش) يعلو ولا يرفع الآذان، ولا يَخْطِف الأبصار. ضاع سرُّ
 الحمراء، وجمالُ مدينةِ الزَّهراء، فردوس الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة من الماضي، ومُلوك الطوائف من الماضي
 والحضارة باقيَّة في جانبها الماديِّ وتشهد على أنَّهم كانوا هنا، وفي قُرْطبة بنوا القصور على الصَّخور، وما خربوا
 البلاد، ولا أشعلوا الأوتاد وما أجمل تلك السِّنون الخوالي التي أثمرت عن حسن اللقاء، وجادكَ الغيثُ إذا
 الغيثُ هما، يا زمان الوصلِ بالأندلس، ويختمها نزار قبَّاني قائلاً:

في مدخلِ الحمراء كان لقاءنا	✽✽	ما أطيَّب اللِّقيا بلا ميعاد
عينان سوداوان في حجرهما	✽✽	توالدُ الأبعادُ من أبعاد
هل أنتِ إسبانية؟ ساءلُها	✽✽	قالت: وفي غرناطة ميلادي
غرناطة؟ وصحت قرون سبعة	✽✽	في تينك العينان بعد رُقاد
ما أغرب التاريخ كيف أعادني	✽✽	لحفيدة سمرء من أحفادي
وجه دمشقيّ رأيتُ خلاله	✽✽	أجفان بلقيسَ وجيدَ سعاد
ورأيتُ منزلنا القديم وحجرة	✽✽	كانت بها أمِّي تمدَّ وسادي

بيت الحكمة في بغداد والتأسيس للترجمة

- المقدمة: بدأ العصر العباسي سنة 132هـ/750م، وانتقلت عاصمة العالم الإسلامي من دمشق إلى بغداد وحرص خلفاء بني العباس على طلب العلم بدءاً من (أبي جعفر المنصور) الذي أسس لمشروع الظهور العربي باستقدام كبار الترجمة والأطباء والأدباء ومختلف الفنون، ورأى أن حركة الترجمة أولوية في هذا المشروع فخصص له قانوناً خاصاً وميزانية لتأسيس فعل الترجمة على أسس متينة، وكانت العربية بحاجة إلى لغات لها السبق العلمي، ثم طور الخليفة (هارون الرشيد) منذ توليه الخلافة سنة 170هـ المشروع بتشجيع الترجمة والكتب والشعراء، وعلماء اللغة والآداب والهندسة والفلك، وكان يجمع الكتب والمخطوطات والأضابير حتى ضاقت بها سعة قصره. وفي ذلك الجو والاهتمام بالعلم، أضحت بغداد وجهة العلم والأدب ومركز التجارة بلا حدود، وعاصمة الصناعة والفنون، فرأى (الرشيد) ضرورة إخراج الكتب من قصره إلى مؤسسة بمسمى (بيت الحكمة) وكان عبارة عن مكتبة عامة مفتوحة للدارسين وطلاب العلم لأهل بغداد ومن يأتي من بعيد ولكل أجنبي يطلب العلم في عاصمة العباسيين.

1- في تاريخ (بيت الحكمة): هي الحكمة أو خزائن الحكمة التي تأسست في العصر الذهبي في عهد (أبي جعفر المنصور) ثم الخليفة المهدي، ثم (هارون الرشيد) هذا الأخير الذي أعطى دفعا قويا للحكمة بتوسيعها لأنه متعلم ومن هواة القراءة ومسامرة العلماء، وتجميل الأئمة، ومن العاملين على استقدام كبار العلماء المتخصصين إلى بغداد الحضارة للاستفادة من علمهم. ويسجل التاريخ بأن الخليفة (الرشيد) هو الذي جمع وفرة كبيرة من المخطوطات والدفاتر والكتب والأضابير بغرض تخزين الكتب الأثرية والمحافظة عليها من الاندثار، ومن ثم طوره وأصبح مركزاً للبحث والترجمة والتأليف والنسخ والتجليد، كما أضفى مقصد النهضة العلمية في علم الفلك والطب والفلسفة ترجمةً وتأليفاً، وتواصل كذلك في عهد الخلف (الأمين والمأمون والمتوكل) وما توقفت الحركة العلمية بفضل عنايتهم بالعلم وتشجيعهم للعلماء. وفي فترة وجيزة أصبحت المعارف العامة والخاصة في متناول العرب، كما أصبحت الكتابة والاشتغال بالعلوم والآداب من أعظم المهن، حتى ذاع المثل القائل "الكتابة أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة". وكانت بغداد -أثناء النهضة العلمية في العصر العباسي ممثلة في (بيت الحكمة)- مقصداً للعلماء وكعبة للعلم، وخزانة كبيرة في عاصمة العباسيين بغداد، ولم يستطع الباحثون إحصاء مخزونها لما لها من توسعات سنوية فنالت الدور والأقبية والأعالي، حتى مس التسوع السطوح.

وهكذا تأسس (بيت الحكمة) وفي أول نشأته كان مكتبة تخزين وحفظ، ثم أصبح مركزاً للترجمة والبحث العلمي والتأليف، وداراً للعلم تُقام فيه الدروس، وتمنح فيه الإجازات العلمية، ثم ألحق به المرصد الفلكي (مرصد الشماسية). وكان على هذا البيت العمل على ترجمة الكتب من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية واستقدام كبار المترجمين، وأفذاذ العلماء من مختلف التخصصات، كما تسارع الكبار إلى حضرة (بيت الحكمة) أمثال: يوحنا بن ماسويه + جبريل بن بختيشوع + حنين بن إسحاق + الأصمعي + الفضل بن نوبخت + حبيش بن

الحسن + ثابت بن قرة + جبرائيل الكحال + الحسن بن سهل + زكرياء الطيفوري + سهل بن سابور + الواقدي + عيسى بن الحكم + صالح بن بهلة + يوحنا بن البطريق + عيسى الصيدلاني + محمد بن الجهم البرمكي + محمد بن موسى الخوارزمي...

إنَّه (بيت الحكمة) الذي كان له أثر كبير في تطوُّر الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، وكان المحرِّك الأوَّل للعصر الذهبي، وأسَّهم إسهاماتٍ كبيرةً في مجالاتٍ مُختلف العلوم، وفي إنقاذ التِّراث العالميِّ من الفناء والضياع؛ بجلبه كنوز المعرفة من أنحاء العالم وترجمتها ثم حفظها ونشرها. كما أدخل نظام المكتبات في آسيا كُلِّها وحتى في الأندلس في مكتبة الزَّهراء بقرطبة، وفي مصر مكتبة العزيزيَّة ثم دار الحكمة أيام الفاطميين، ومكتبات القرويين والقيروان وبجاية. هو (بيت الحكمة) وفي كلِّ ذلك نقراً توسَّع وانتشار براعة القلم والمداد والنون والقلم وما يسطرون، وصناعة الورق، وظهور الورَّاقين المُحرِّفين والنَّساخ والمجلِّدين وكان لهم أثر كبير في تاريخ الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، فهم النَّاشرون للكتب، إلى جانب طائفة من المُؤلِّفين والنَّاقلين والمُرشِّدين والمنظِّمين، ويشهد التاريخ على تلك الفنون بأنَّها من خريجي (بيت الحكمة) الذي أدار مُسيره مُختلف الاختصاصات بإتقان، وبقلم العلماء والباحثين من الطَّراز العالي. ومن (بيت الحكمة) تخرَّج أبرزُ المؤلِّفات على غرار: مؤلِّفات (حنين بن إسحاق) وهي كثيرة مسَّت الأحكام عند الأعراب، والأغذية، وتدير الصحة والمياه المالحه... ومؤلِّفات (يعقوب بن إسحاق) في الطَّبيعيَّات والتَّوحيد، وقصد أرسطو طاليس في المقولات... ومؤلِّفات (الحسن بن سهل) في الأنواء... ومؤلِّفات (محمد بن موسى الخوارزمي): كتاب الرِّخامة + كتاب العمل بالإسطرلاب + كتاب عمل التَّاريخ... وكتابات (البلاذري) في الأخبار والأنساب وعهد أردشير... والشَّاهد هنا أنَّ الحركة العلميَّة كانت عبر مؤسَّسة (بيت الحكمة) التي كانت تُوطِّر النَّشاط العلميَّ في بغداد والأحواز وحيث امتدَّت الفتوحات الإسلاميَّة، لمعت نجومُ العلماء بلسان عربيٍّ وترجمات من اليونانيَّة والسَّريانيَّة إلى العربيَّة وحصل الإبداع في ذات العربيَّة من داخلها بعدما استوفت شروط التَّموُّل وخدمها العرب وبهم بقيت، وغير العرب وبهم انتشرت، فأنشؤوا المعرفة، وأسَّسوا المدارس، وقاموا بالتَّدريس، وترجموا الكتب. وكان للعلماء حريَّة التَّنقُّل بين الأمصار والبلدان بحثاً عن جمع المادة العلميَّة، وجلب الكتب النفيسة، وجعلها في خزانة (بيت الحكمة) لتكون في مُتناول القارئ/المُترجم.

2- بيت الحكمة والترجمة: إنَّه (بيت الحكمة) الذي شُيِّد سنة 774م، ليكون أوَّل مكتبة وداراً للعلم في بغداد، ويُنَافس مدرسة الإسكندريَّة وجنديسابور، ويضعُ في برنامجه الاستفادة من اليونانيَّة واللاتينيَّة والسَّنسكريتيَّة والسَّريانيَّة والفارسيَّة والهنديَّة، وغيرها من اللُّغات، وتكون مَرَجعيَّات انطلاق مشروع التَّهوض اللُّغوي عن طريق التَّرجمة. وبذلك كانت التَّرجمة سبيلاً مُهماً نحو تلاقي الحضارات والتَّقائها، فلولاً التَّرجمة لما قامَت الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، وعن طريقها تمَّ الاطلاع على مُختلف الحضارات، وبخاصَّة الحضارة اليونانيَّة ونقلها إلى العربيَّة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية لولا التَّرجمة لما كانت الحضارة الغربيَّة المسيحيَّة إنَّها آليَّة مُهمَّة اعتمدها مؤسَّسو (بيت الحكمة) واستخدموا منهجيات نسج العلاقات بين العربيَّة واللُّغات العالمة

بالاجتهاد ضمن نظام لغوي مُنطلقه العربية لغة هدف، واللغات الأجنبية إفادات توصيلية للمعارف وتحصيلية للمدارك، ومن بعد أصبحت العربية لغة تأسيسية تنتقل من نظام دلالي إلى آخر، وتميل نحو الالتزام أو الوفاء للنص. وكان لـ (بيت الحكمة) السبق في المنهج المبكر باعتماد الاقتراض والقبولة أو المحاكاة اللغوية والترجمة الحرفية والنقحرة والنظير والاقتباس بالتكييف. نجح (بيت الحكمة) في استيعاب خلفية لغوية حضارية وتاريخية وثقافية لمختلف الترجمات التي أعلت الثقافة العربية؛ بتلك المنهجية التي جاءت عن طريق المثاقفة في استيعاب معرفة اللغات المترجم منها، ونقلها نقلاً أميناً يحافظ على سياقها وخصوصياتها ويبيّن ميزاتها.

ولتحقيق ذلك كان على أهل بريدي اللغات معرفة معاني النص المترجم وحيثياته وظلاله اللغوية والحضارية، والتّباري في قولته بشكل مباشر، أو بترجمة المعنى، أو باعتماد المحاكاة اللغوية التي تنقل النص دون عوائق إلى العربية بإبداع مقاصديّ تأصيلي؛ كأنه من ذات اللغة. هي صناعة الترجمة التي كانت نقلة نوعية في مهام (بيت الحكمة) وبتلك الترجمات أصبحت العربية يُطلب ودّها عبر القرون، بعدما استوعبت ثقافات اللغات الحية ونقلت منها، وتجاوزتها إذ أضحت لغة مرجع. وكان أول عمل في الترجمة كتاب أرسطو (322-384 ق.م) في المنطق، "اختير خصيصاً لتعزيز موقف علماء الدين العباسيين في مجابهة أتباع الديانات الأخرى المتنافسة، فقد كان المسيحيون المستعربون واليهود، والمناويون الفرس -بين سكان آخرين للإمبراطورية الإسلامية- كلّهم بارعين في المجادلة الدينية يُمارسونها منذ قرون. وتبع ذلك سريعاً ترجمات مهمة، وشروح ثاقبة، وبحوث أصيلة أغنت العلم القديم ووضعت في مُتناول العالم المعاصر".

- الخاتمة: إنّه (بيت الحكمة) أعظم مكتبة أكاديمية عرفها الزمان، وكانت في عصور الإسلام الذهبية بيت جمع غرر وأصناف الفنون، وتنوع الآداب حتى أصبح بوصلة الحضارة الإنسانية في الإنتاج العلمي والقادح لزنادها، والمرجعية للمكتبات التي تنافست على البحث العلمي، والاكتشافات في الصناعات، ورصد الفلك ومجاري البحار، واستنطاق الكرة الأرضية، وغير ذلك من الإنجازات التي كانت فتحة ثمانية قرون أرسّت معالم ثورة البخار في أوروبا بزخم الأبحاث في الرياضيات والفلك والهندسة والكيمياء ووضع الخرائط وعلم التّفسير... وتكاملت الأعمال العلمية بلغة عربية علمية عمادها الدين والعلم والإيمان والفلسفة وفي تعايش العلماء من مختلف الأجناس في العصور الوسطى دون نكران عظمة الله. (بيت الحكمة) صناعة حضارة عربية إسلامية، أنتج للإنسانية أدواته المعرفية بفضل العلم والعلماء، فكان البيت المعمور في الإسهامات العلمية التي أثّرت عن صناعة العدسات والمرايا وعلم المثلثات والهندسة الفراغية والنظام العددي / Les Chiffres Arabes والجداول والتقاويم والقدرة على توقع الخسوف والكسوف. هي فترات سجلها التاريخ على العصر العبّاسي الأوّل والثاني، ويأتي العصر الثالث الذي يعرف الضعف، وتُصاب حركة العلم بالركود والبيات، ويحصل ضعف الخلفاء، ويُقصم العلم من ظهره، حيث أتت حملات كثيرات لدحر معالم الحضارة الإنسانية فهذا (هولاكو) في حملته سنة 656 هـ/1258م يدمر ويحرق (بيت الحكمة) وتُسجل المرويات بأن ما استطاع المنقذون إنقاذه من الحرق في حدود أربعمئة ألف كتاب مخطوط/400,000، كما مس الخراب

الحضارة العربية الإسلامية على يد (تيمورلنك) (1336-1405م) الذي قام بتدمير معالم بغداد التراثية مرتين، وأخذ معه إلى (سمرقند) عدداً من العلماء والمهندسين والمعماريين والأدباء بالقوة، ومسحت جيوش المغول والتتر كل البيوت، وأحرقوا المكتبات التي جعلوها جسراً بين الرصافة والكرخ وتلونت مياه دجلة بلون الحبر، فإلا له من تدمير للذاكرة الإنسانية. وبهذا الخراب يكون (بيت الحكمة) قد امتد عمره خمس مئة وأربعة وعشرين/524 سنة، من عهد (هارون الرشيد) حتى سنة 656هـ، ومرّ عليه اثنان وثلاثون/32 خليفة عباسياً. ومع ذلك؛ فإن الأرض تدور، و(بيت الحكمة) يبقى له أثر، ولا تزال الكتابات التاريخية تُشير إلى مجد هذه المنارة العلية التي صدح اسمها، وارتفع في أرجاء المعمورة على مدار ثلاثة عشر (13) قرناً، ولا يزال الآن يؤدي وظيفته بمنهجية الاستمرارية المتجددة، وأن البيت الآن قائم يبحث في صناعة المحتوى الرقمي، وفي الذكاء الاصطناعي، وفي الترجمة الآلية، فأنعم به من بيت!

العربية والحضارة

- الديباجة: إنّ العربية لسان تواصلٍ كآية لغة؛ ينطق بها العرب وغير العرب، لها مُتون قديمة تشكّلت من الشعر والبحث والعلم والمعرفة والفنون والأعراف والقوانين والأخلاق والسير والحكم والأمثال... وهي اللغة الأم لأهلها العرب وثقافتهم، ولسان القرآن الكريم الحامل للشريعة الإسلامية، وينطق بها الآن ملياران وستة (6) ملايين من ساكنة الأرض في صلواتهم اليومية. إنّها لغة حضارة إنسانية سادت ذات وقت وامتد شعاعها إلى أوروبا وآسيا وأفريقيا، ونالت مساحات استعمالية في التعليم والتجارة وفي طريق الحرير والملح والعلم. هي عربية الحضارة العربية الإسلامية التي عرفت في ذاتها تنوعاً ثقافياً، جعلها تُكتب بها الأديان السماوية وبها تُنلى، وهي التي أصبحت لغة أُمّية وتُسعمل في الوكالات الأُمّية، ويُترجم منها وإليها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ الحضارة مجموعة من القدرات الإنتاجية والعادات والمعارف والعقائد والفنون والقوانين والإبداع، وفي تعريف لها "الحضارة/الحضارة (حَضَرَ) مصدر(الحَضَرَ) الإقامة في الحَضَر، بخلاف البداوة، لها معنيان: 1- المعنى الموضوعي؛ يُطلق على مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متشابهة. المعنى الذاتي المجرد: تُطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الإنساني المُقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش، أو تُطلق على الصورة الغائبة التي نستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعات، ج: حضارات" (غريد الشيخ محمد، المعجم، ج2 761). وهكذا تتشكل الحضارة عبر منظار اللغة التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع، وفي أغلبها تنتقل له عبر اللغة الأم. وفي هذا المجال، فإنّ اللغة لها قابلية التأثير والتأثر، وفي هذه القابلية يحصل تدافع اللغات في ذات المستعمل، فيكون من وراء ذلك التكلل اللغوي، أو الازدواجية اللغوية، الانتماء اللغوي، أو العودة إلى منبت النشوء، فيحصل ظهور حضارة متشقة قد تؤدي إلى الاستلاب الحضاري للغلبة اللغوية أو للغلبة المادية، أو للجهوية الحضارية، أو يتكوّن في ثقافته حوار ذاتي يمزج بين الحضارات. وفي الغالب تحصل العديد من المستجدات التي تقترن بها الحضارات باللغات، وتظهر في التطور الحضاري والمعرفي، فكما استجد الحال وتطور؛ يؤثر ذلك على اللغة وعلى الحضارة. ومن ذلك تشكّلت مصطلحات كما نقرأها أنّ هناك حضارة شرقية/غربية/آرامية/مصرية/كنعانية/سامرية/عبرية/عربية... وبالفعل من خلالها ظهرت مسألة أصول هذه الحضارات، ونشوء حضارات متعاقبة، وزوال حضارات، وعودة حضارات.

1- اللغة والحضارة: إنّ اللغة هي اللسان الناطق الذي تستند إليه أية حضارة، ومن خلال اللغة تشكّلت الحضارات الأولى لوجود أبجديات مكتوبة من مثل الأكادية السامية القديمة، وما تطور منها من خط المسند الذي عرفت بها الحضارة العربية مُثّلة في خطوط: الحسائية والحيانية والصفائية والتمودية والنبطية والديداية وكل منها كان مُقترناً بواقع حال وبحضارة خاصّة. وعليه؛ فالحضارة هو إحداث منظور فكري تطوري تمدني مادي أو معنوي؛ لأنّ (الحَضَرَ) في العربية نقيض (البَدُو) استشهاداً ببيت الشاعر (القطامي):
ومن تكن الحضارة أعجبتُهُ * فأَيّ رجالِ البادية ترانا؟

ولما كانت العلاقة قوية بين البادية والمدنية، وبين شظف العيش ورفاهية المعيشة، وما يعلق بها من الترف والظرف، فتميل الدلالة اللغوية لمعنى (الحضارة) إلى التقدّم المادي في وقتنا الحالي. وفي المعجم التاريخي لاتحاد الجامع اللغوية، الجزء 21، ورد فيه "الحضارة والحضارة بمعنى الإقامة، ويستشهد بقول (سهل بن مالك الفزاري 70 هـ) يتغزل في أخت (حارثة بن لأم من طي):

يا أخت خير البدو والحضارة * كيف ترين في فتى نزاره
أصبح يهوى حرّة معطارة * إياك أعني واسمعي يا جارة

وقال (محمد بن أحمد القرطبي 671 هـ). "ومن كان يجب عليه الجمعة فهو حضري، ومن كان أبعد من ذلك فهو بدوي، فجعل اللفظة من الحضارة والبدواة". الحضرة: سكان القرى والمدن، والحضر خلاف البدو. وفي المعنى العام تعني الحضارة كلّ مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضرة لشعب أو لأمة معينة. والحضارة لا تحصل إلا في الأمة على أساس أنّ الأمة تعلو القيم والمعاني، ولذلك فإنّ الأمة تقوى كلّها قوت الروابط القيمية والمعنوية بينها، مثل الوحدة والأخوة والرحمة والتعاون على البر والتقوى، ولذا لا يقال (حضارة المجتمع) باعتباره تجمعاً إنسانياً يقوم على أساس الحاجات والضرورات وتسقط الحضارة سريعاً حيث تزول تلك الحاجات والضرورات، ولكن نقول (حضارة الأمة) لأنها للأمة قيمة ومبادئ يقوم على حفظها وتطوير الخلف. ومع ذلك يمكن أن نضيف بعض المحددات للحضارة من جانب أنّها انتقال ثقافي من العدم إلى الإبداع، ومن المرحلة البدائية إلى المرحلة الحضارية، ومن عدم ترك الأثر إلى ترك البصمة، ومن بيت الشعر إلى بيت القرميد/ناطحات السحاب.

وكذلك اللغة لسان وفكر، والحضارة مادة ووسائل وقوانين وأنماط سلوك، وتجسيد أثار لأمم أو دول أو شعوب كانت ولا تزال أو اندثرت وانقرضت. واللغة بحضارتها مرآة تلك الشعوب في النضج والرقي في مختلف الفنون التي تبقى أثراً بعد غمض العين وآثارهم تدلّ عليهم. اللغة هي نطق العلامات والدلائل الحية التي يتلاغى بها اللسان، والحضارة هي التاريخ الجلي، وصفوة النهضة التي نقلت الشعوب من البدائية إلى الذروة أو إلى حسن المآل. اللغة نطق وحبر وتفكير، والحضارة تطوّر ومتابعة وإضافة مادية ومستقبلية في صناعة التطوير كما تقوم الحضارة على القوة الاقتصادية والاعتماد على الذات.

وأريد المزيد في توضيح معالم الحضارة؛ وهي خلاصة النتاج الفكري والثقافي والمادي المتراكم لأمة لا مجتمع تُعطي لها صورة تمتاز بها؛ وتظهر في الابتكارات أو العمارات أو الفنون أو المنحوتات، وكلّ ما يسهم في الرقي العام، ويُعطي خاصيات الامتياز. وإنّ الحضارة أسلوب معيشي يعتاد عليه الفرد في استخدامه وسائل المعيشة بل في تعامله مع الأشياء المادية والمعنوية التي تدور حوله وشعوره الإنساني تجاهها، وما يتبع ذلك من أدوات الثقافة من عادات وتقاليد وسلوك اجتماعي وتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية ومقدرة الإنسان على الإبداع في الفنون والآداب والعلوم.

2- دور العربية في تجسيد المعرفة المشتركة: هو دور اللغة العربية الحضاري الذي نسعى إلى تجسيده من خلال المعرفة المشتركة؛ وهي مفتاح مهم للتعايش السلمي على كل المستويات، وهو من متطلبات العصر في إطار تبادل المنافع بصيغة (راج راج) وبظاهرة التأثير والتأثر في لغات العالمين، ولا غنى عن ذلك بما لنا من جوار واحتكاك وتجارة واستفادة بينية في مضمار الحضارة البشرية. وفي ذات الوقت نعيش مجموعة إكراهات معاصرة علينا الوعي بها جيداً باعتبارها من الأولويات والاحتياجات التي لا غنى عنها هي إكراهات الإسلاموفوبيا التي ألصقت بالحضارة العربية الإسلامية نتيجة فعل الإرهاب/الرهاب الذي مارسه بعض المجموعات، ولم يقع تحليل أسبابها، بل إنَّ الغرب من أسبابها في تلك الممارسات التي يقوم بها تجاه دور العبادة والرموز الدينية وحرق المصاحف ضمن حرية التعبير. وهي في الحقيقة فشل الغرب في تدوير التطوير في الجانب التقني الذي يُراد به التبعية واحتقار الإنية مع ما كان يصحبها من خطاب الكراهية للمسلمين، وهو أسوأ معاملات الغرب الذي لا يزال يحلم بالعنصرية والإهانة الثقافية وإشعال الفتنة وجعل الشعوب تشتري سلعها ليحترق العالم. وكل ذلك جعلنا نعيش التعمية والسبلة، ونسهم في قتل أنفسنا وتدميرها، ولا ننتج صناعة الآلة، وأصبحنا عبيداً لها، وهي من صناعة الغرب. هنا الصراع الحضاري المعاصر في أننا غائبون عن معركة التنمية البشرية، وعن علاج رهانات الحداثة، وعدم الانغماس في الرقنة والتحول الرقمي، وهو ما تسبب في انعكاس سلبي للعرب والمسلمين وعلى شركاتهم ليكون الجميع تحت رحمة الحضارة الغربية المسيحية وهي صاحبة الآلة الآن، وولد ذلك العجز الذهني لدينا، بما نراه من ضعف التخطيط، ونتجت عنها أزمة التنمية المستدامة على كافة الصعد.

ومن أهم العوامل نخلفنا عن استعمال اللغة العربية/اللغة الأم في مجالات الحياة اليومية السائرة، وتركنا المجال للغات الأجنبية التي أصبحت لها السيادة في كل شيء على حساب اللغة الأم. نتجت أزمة داخلية نفسية في ذات العربية على أنها لغة تواصل وعلوم أدبية لا لغة العلوم، وأما بأنها محدودة الذكاء، وأن مستواها العالي لا يقبل التنازل لمستوى العامة، فهي لغة النخبة، ولا مكان لها في الاستعمال التواصلي المعاصر. أما وصدقنا ما نراه من إمكانيات عربية دون استغلال، هدر في كل شيء، حتى أصبح الحديث بالعربية يشكل الاحتقار وضعف المستوى. وبالفعل ضعنا في خطابات المنابر وفي الدعاوى الرنانة والمناخات المشنفة التي لا تجد رجع الصدى، ولم نجعل العربية تعيش في الأقطاب اللغوية التي تأخذ بألباب الشباب الذين يشكلون الآن نسبة 70% من ساكنة العرب والمسلمين، فلمن تقرأ كتابك إذا كان الشباب مخدراً بلغة لها وسائل الإغراء والعربية لها وسائل الترفيه الشعري، وتُستظهر فقط في الجنائز، وكأنها لغة الأموات. ساد غياب الوعي اللغوي والاجتماعي بأهمية اللغة العربية؛ بحيث وصل الأدب، والفكر العربي إلى دركه الأسفل الذي تُقرأ عليه (سورة ياسين). هو التهميش الذاتي الذي مَسَّ ركباً من أركان الهوية للحضارة العربية؛ بذريعة عدم علمية اللغة العربية، وغيابها في التقدّم التقني، وليس لها ترتيب عالمي مقبول في أهم عامل معاصر وهو (التقنية).

فما هو الحل؟ سؤال وجيه كان علينا إعداد العدة، والتخطيط على آماده الثلاث، ومن ثم ركوب التّحدي في استرجاع الحضارة القديمة والعمل على تطويرها؛ للوصول إلى بناء النهضة من جديد، بما لنا من منجز ماضٍ، ومّا هو مُتجدّد في ثقافتنا، وعلينا بناء لغتنا بوصف جديد يتجاوز (قل ولا تقل) و(هذا غلط وهذا صواب) وتجاوز عسر الإنشاء اللّغويّ، إلى منطق اللّغة في علاقة المبنى بالمعنى في تطوّر (اقرأ مُستقبلك من خلال لغتك) و(استعمل لغتك في علومك)، لتجاوز مُضايقات التّطوّرات التي فرضتها التّقانة. والأحقّ بنا أن نبرّ بما وصلت إليه الفتوحات التّقانيّة، ونأسف في غيابنا وغياب العربيّة في الذّكاء الاصطناعيّ، ومُتعلّقات السّحابيّة والروبوت والتّجارة الإلكترونيّة، وسرعة قصوى، وصفر خطأ.

3- الحضارة العربيّة الإسلاميّة: هي متّوج امتزاج الشّعوب العربيّة وغير العربيّة التي اعتنقت الاسلام وثقافته، وهي في ذات الوقت نتاج لالتقاء الحضارات والثّقافات التي شملتها الفتوحات الإسلاميّة، وبلغت ذروتها في العصر الذهبيّ للإسلام، في مناج عديدة: علميّة وصناعيّة وفنيّة وتجاريّة واقتصاديّة... وقد تجسّدت معالِمها في الهوية اللّغويّة في لغة القرآن، وفي النّصوص التّشريعيّة وفي التّعليم والإعلام والإدارة وفي الخطاب الرّسميّ، وفي كلّ الوثائق التي تُجسّد هويّة البلد بالانتماء والشّعور بالمواطنة اللّغويّة والمواطنة الآمنة وضمان الحقوق والواجبات. هي حضارة التّاريخ الإسلاميّ من عقيدة وسياسة واقتصاد وتربيّة وقضاء هي حضارة إبداع لا اقتباس. وقد تميّزت الحضارة العربيّة الإسلاميّة بخصائص الإيمان والوحدانيّة والإنسانيّة التي شملت كلّ الشّعوب، بالتركيز على الإنسان، وتحقيق الرّفاهيّة والسّعادة له. هي حضارة مُعطاء في صورة الأخذ والعطاء بما للعلوم التي تتعدّى اللّغات؛ وهي ملك للإنسانيّة، وقد أعطت أكثر ممّا أخذت. حضارة مُتوازنة بين الماديات والروحانيات؛ لأنّها حضارة إسلاميّة ربانيّة باقيّة شاملة بما حفظ الله الذّكر. إنّها الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي أسّس لها الأمويّون في دمشق، وواصل العبّاسيون بإظهارها في بيت الحكمة، والفاطميّون في مكّات مصر، والفرس والترك والبربر والإسبان؛ ليقدّموا جميعاً اجتهادات في التّفسير وفي الحديث، وفي قواعد في النّحو، وفي إبداع في الشّعور والآداب ومختلف العلوم. هي الحضارة التي جمعت بلاداً ذات الأغليّة المسلمة، وتمتدّ بين منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وآسيا الوسطى وباكستان، وبنغلاديش واندونيسيا وماليزيا، بما لهذه البلاد من لغات وطنيّة: عربيّة + فارسيّة + تركيّة + ماليزيّة + بربريّة... حضارة عربيّة مستوحاة من العقيدة الإسلاميّة، ومُتمتعة بحماية الدّولة الإسلاميّة، ومُدعّمة بثراء اللّغة العربيّة التي حافظ عليها العرب وانتشرت في دول غير العرب، وهكذا الدّين الإسلاميّ بالعرب صمد وبقي، وبغير العرب انتشر وتمدّد... والحضارة أخذ وعطاءً، وبذا استمرّت الحياة في التّواصل إلى الآن، ولا يستطيع أحد أن يدّعي أنّه هو وحده صانع الحضارة، وسيد العالم ومُدبر شؤونه. إنّها الحضارة العربيّة الإسلاميّة مُمثّلة في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة التي كانت "واسطة العقد بين العلوم والثّقافات القديمة وبين النهضة الأوروبيّة؛ فالفكر العربيّ الإسلاميّ والثّقافة العربيّة الإسلاميّة، سلسلة مُتصلة الحلقات امتدّت من الحضارات القديمة، من مصريّة، وآشوريّة وبابليّة، وصينيّة، إلى حضارة الإغريق والإسكندرّيّة إلى العصور الإسلاميّة التي تأثّر علماؤها بمن سبقهم

وأثروا بدورهم في مَنْ لحقهم من علماء النهضة الأوروبية الذين قرؤوا أعمال العلماء العرب في كتبهم المترجمة إلى اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية. وإنّ العرب والمسلمين لما دخلوا الأندلس وجدوا مقولات تقول بأنّ الحضارة الإغريقية التّنظيرية خرجت منها الحضارة الغربيّة المسيحيّة، والصّواب أنّ الحضارة الغربيّة هي امتداد للحضارة العربيّة الإسلاميّة باعتبارها حضارة تطبيق؛ حيث اعتمدت على العلوم التجريبيّة، وبالتالي فإنّ أصل الحضارة الغربيّة المسيحيّة حضارة عربيّة إسلاميّة "من الرّهانات التي نُعَوّل عليها في إحداث تفاعلات مجتمعيّة لإعلاء من حضاريّة اللغة العربيّة وقيمتها الكونيّة، فعلى الرّغم مما تحمله اللغة العربيّة من القداسة وما أضفى عليها نزول القرآن الكريم بها من بركة وروحانيات؛ فإنّه يجب أن نوسّع المقاربات التي تعتبر اللغة العربيّة وعاءً ثقافياً ودائرة حضاريّة تجمع العديد من القوميات والأعراق والجنسيات الأمر الذي يكسبها عمقاً كونياً، ويُعطي مساحة وقدرة تنافسيّة للمستعربين على أرضيّة المعاصرة".

4- هل من عودة الحضارة العربيّة الإسلاميّة؟ لا نخفي بأنّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة أصبحت من الماضي، وأنّها عرفت الأفول منذ القرن XV، ونحن نعيش الآن التّحصّر الحضاريّ للانتحار الحضاري الذي كان بأدي المسلمين في غرناطة وإشبيلية ومجريط... فهل من عودة جديدة أمام فكر جديد يجعلنا نعيش الحضارة الإسلاميّة ومجد العرب، وهل يُمكن إعادة منهج السّلف الصّالح من رجال العصر العبّاسي وما خلّده تلك الأحداث التي سجّلها القادة العسكريّون العرب والمسلمون الكبار، في أضيّاب التّاريخ المجيد للأمة العربيّة الإسلاميّة، من فتوحات وانتصارات سجّلها: خالد بن الوليد + مُحمّد بن القاسم + طارق بن زياد + ألب أرسلان + قُتيبة بن مُسلم + صلاح الدّين الأيوبي + مُحمّد الفاتح + محمود بن مُمدود سيف الدّين قطز + نادر شاه + الظّاهر بيبرس + الحاجب المنصور... أو استلهم فكر رجال عصر النهضة، وإعادة صياغة أفكار المُستقبلين أمثال: حنين نعمت الله + شكيب أرسلان + مُحمّد عبده + حمدان لونيّسي + مُحمّد النّخلي + رفعت رافع الطّهطاوي + عبد الحميد بن باديس + البشير الإبراهيمي + مُحمّد رشيد رضا + مالك بن نبي + الشّيخ الغزالي + مُحمّد عمارة... وهؤلاء كانت لهم أفكار مُستقبليّة يَفقه الواقع، وبالمرجعيّة السّماوية والهُدي النبويّ، وقد جمّعوا بين صحيح المأثور وصريح المعقول، وأنّ تحرير العقول قبل تحرير الحقول، وأنّ تأليف الرّجال قبل تأليف الكُتاب ومن الضروريّ الأخذ بالأسباب، والتّماس العزائم وشدّ الهمم، ولا فصل بين العروبة كقوميّة، والإسلام كهويّة دينيّة... هم أصوليون حداثيون بمنطق أنّ التّهوّض الحضاريّ لا يُمكن أن يحصل إلّا بتمكين الإسلام في الواقع كمنهج، والعمل بروحه ومقاصده وعزائمه في بناء مجتمّع يمزج بين ماضيه ويتواصل في حاضره، وأنّ الإقلاع الحاضر له جناحان: جناح المعاني والأفكار والبشر وجناح الماديّات والحرف والحجّر. ولذا من الأهميّة بمكان الإحاطة بالحضارة وبمنتوجها المادي، والعمل على الاستفادة منها من أجل نهضتنا الجديدة، واللتّاق بالأمم المُتقدّمة، والتّخلّص من الأُميّة والتّبعيّة، وهي من مُستلزمات اليقظة العقليّة والنّفسيّة قبل أن تكون نشاطاً اجتماعياً أو سياسياً.

إنها نظرة عودة الحضارة العربية الإسلامية، وهي جدٌ مُمكنة لأنها لم تنقرض، بل عرفت الانحلال الأخلاقيّ تجاه فعل الأجداد، وأنّ معالمها قائمةٌ عند غيرنا في تلك الحداثة التي تطوّرت من أفكارنا وثقافتنا ويكفي أن نرفع الوهن والفشل والقبليّة للاحتلال؛ فسوف تعود معالم الحضارة بنهضة جديدة عمادها العلم الحديث. ولهذا لا بدّ من تقريب العلماء والمهندسين والأطباء والشباب الناضج والمفكرين بدل تهجيرهم أو تهميشهم، أو إسناد مسؤوليات ليست من اختصاصهم، وإغرائهم بالماديات أولاً، وتوجيههم نحو بناء الحضارة الصناعيّة؛ وهي حضارة اليوم في العالم المتقدّم؛ عالم الذكاء الاصطناعيّ. هو جانب مهمّ يجعلنا نقبل بتحويل الصناعات العربيّة بنسب سنويّة، ونعمل على تطويرها بلغتنا وبفكرنا؛ حتى نُؤسس قاعدة النّهضة من جديد دون أن نتصلّ عن روحانياتنا التي هي سلوكنا في الحياة الحديثة، ونحتاج فقط إلى إرساء مفهوم الحضارة العربيّة على أنّها حضارة إنسانيّة لها الكثير من الإيجابيات التي يُمكن العول عليها في هذه النّهضة، بما لأفكار الرواد من تميّز ولو أنّ معظمهم شيوخ وفقهاء دين، ولكنهم يحملون التنوير، هذا من جهة، ومن جهة ثانية وفي فهم جديد لا بدّ من الإقرار بأنّ هناك حضارة كونيّة جامعة، اشتركت البشرية في تشييدها على مدى عشرات القرون، وليست ملكاً لطرف دون آخر، ولهذا أسهم العرب المسلمون في الحضارات السّابقة، والآن يُمكن يُسهموا في الاكتشافات الحديثة بنسبةٍ من النسب، وليس من المهمّ الإبداع البحث؛ لأنّ إجراء عمليّات التطوير الجزئيّ هي الإبداع، وهكذا تطوّرت كلّ الاكتشافات ولا تزال تعرف التطوّرات، وكلّ حضارة تأخذ من الحضارة السّابقة، فلولا أفكار (ابن رشد) لما استطاع (كوبرنيكوس) أن يعطي معالم وصول العلم الحديث إلى القمر.

هي حضارة تواصلية إضافية حصلت عبر تاريخ طويل، وبعضها مغامرات أدّت إلى موت المئات من العاملين عليها، ولكنّها في الأخير وصلت إلى المفتاح الحلّ عبر المسارات الحضاريّة. وعلينا ألا نبخس أعمالنا وأنّ هناك نبوغاً عربياً إسلامياً أسهم في عسكرة المجتمع العربي في نشر الإسلام بالترغيب، وتعليم الدين بما فيه من حكم ودعوة إلى التفكير في خلق الله، وفي خرق السماوات وقلب الأرض، وما تركه السلف من فضاء الإبداع العلميّ الحضاريّ الذي كان قاعدة لحضارات توالى. ويُمكن للحضارة العربيّة الإسلاميّة أن تعود باندماجها مع الحراك العلميّ العام، وربّما تكون هذه العودة بالنقل الجزئيّ، ولا مشكلة في ذلك، والمهمّ ليس بالنسخ مئة في المئة، ولا بدّ من التمسك بالمستوى الذي يُظهر البصمة العربيّة الإسلاميّة، تجسيدا لمقولة الغرب "C'est le travail arabe" بمعنى الإتقان. هو وعي جديد كان السلف استثمر فيه في صورة الإبداع لكمال حقيقة الأشياء، ولا مانع دينيّ من وراء البحث عن عالم الغيب الذي يؤدّي إلى خدمة رفاهيّة الفرد ضمن شرع الله. هو نبوغ عربيّ إسلاميّ حين تكلم العقل العربيّ في أركان الدّول الإسلاميّة، ومن ورائها القرار السّياسي الذي أسدل الهيبة على الفكر العربي واتباعه بما له من مناشط إنتاج ومراكز إشعاع علمي، ومن منجزات المعقول وتطوير المنقول.

هي منجزات الماضي المجيد في مدونات الفقه وأصوله، في اللغة وعلومها، وفي البلاغة العالية، وفي المنطق والرياضيات، وفي العلم وجوهره، في ترابط أهل الرأي والحجة، وتعاطي أهل الفلسفة، وجلّهم من الأعاجم دماً، وعرباً لساناً ومُسلمين روحاً. هي الحضارة العربية الإسلامية التي عرفت الجمع بين التعدّد والاختلاف من خلال التناسل المُستَرسَل في احتواء العِرْق ضمن دائرة الفضاء الواسع لمرجعية الإسلام أن تكون شخصاً مُضيفاً لغيرك وكفى بها من خدمة. فلا مركّبة في البحث، بل هناك اللغة والمرجعية، وهذا ما صنع النّبوغ الذي تميّز به التراث العربي الإسلامي الذي ظلّ يُوطّر الحضارة الغربية مدة تزيد عن الثمانية (8) قرون. بما احتواه من أجناس الفرس والأكراد والهنود والبربر والسّلاف والتّرك، وأجناس غربيين مُنتمين لحضارة عربية إسلامية، وعماده العطاء وخلاصات الاجتهاد دون البحث في الأعراق أو خاصيات التّنافر التي تصنع الفردانية للهوية الحضارية للشعوب.

5- الحضارة العربية الإسلامية استمرارية مُتجددة: إنّها صناعة جماعية رحبة جمعت بين البيروني وابن المُفقع وابن ميمون والفارابي وابن سينا وابن رشد وسيبويه والخوارزمي وجابر بن حيّان وعبّاس بن فرناس... وغيرهم كثير، ولم يتحرّجوا في تطوير فلسفة أرسطو الإغريقية، والنّبوغ الهندي في علم الرياضيات، والتفتّح على هندسة (طاليس) في قواعد الجبر والهندسة، والاعتماد على تطوير خرائط (بطليموس) ورسم معالم الأبعاد الروحية من المدينة الفاضلة في مؤلّقات (الفارابي)، وكذلك ما نقرأه من كُتاب (طبائع الاستبداد) في مضامين كُتاب (العقد الاجتماعيّ) لجان جاك روسو/Jean-Jacques Rousseau أو كُتاب (روح القوانين) شارل مونتسكيو/Charles Montesquieu... حضارة عربية إسلامية مُتواصلة بذكاء جديد دون قتل الهويات، وفي إطار التّفاعل الحضاريّ في الأخذ والعطاء، وهذا ما تؤكّده الابتكارات الإنسانيّة والمناهج التّطويريّة التي لا تعرف الاستقرار. وهذا ما نقرأه من ضرورة تغييب عرقية العلوم، فلا تنسب العلوم للأعراق، بل لمضامينها الإنسانيّة والكونيّة الواسعة، وقد تنسب الحضارة إلى الجهة، وهذا معقول: حضارة أمريكا/حضارة البحر الأبيض المتوسط/الحضارة الإغريقية/الحضارة العربية الإسلامية... وأما العلوم والاختراعات فهي ملك للحضارة الإنسانيّة عامّة؛ بما لها من روافد مُتعدّدة إضافية أو تقويمية أو تعديلية لأنّها حصيلة تراكم البحث والإبداع الإنسانيّ بغض النظر عن الهوية المُرتبطة بالأصل أو بالعرق أو بالجنس أو باللغة أو بالدين. الحضارة إبداع بشريّ، فهل العرب لا يملكون الإبداع، بمعنى هل لا يملكون العقل المُدير؟ بلى، هناك غياب وعي مُخدر بالقيمة الماديّة التي يعيشها في الظّروف المُعاصرة بأنّ اللّحاق صعب، أو لا يمكن، وعليه، فاختصار الوقت هو الاستفادة من صناعة الغرب، وهي نعم علينا الانتفاع بها دون تضييع الوقت. مقولة وغيرها تقرب إلى التّخدير، تقرّ بالعجز والتّراخي دون التّفكير في مآلات المُستقبل والتّبعيّة الاحتلاليّة ومن ورائها تصبح برمّل استقبال تُفرض عليك السّلع دون القدرة على الرّفّض، وإلاّ سوف تُغلق دونك الأبواب، وتموت كمدّاً على ذلك اليوم الذي قبلت بالتّبعيّة الماديّة للغير.

إننا اليوم أمام مدينة جديدة، وتقاليده حديثة، وتلاقي الأديان والشعوب، في صورة الصراع والأخذ والعطاء معايير أخلاقية جديدة، فما هي وصفة الثبات لنا -نحن العرب المسلمين- في عالم العولمة التي نسعى من ورائها العودة إلى وصفة الأجداد التي جعلتهم يعلون ويرقون ويعطون، وهذا باعتراف صاحب كتاب (حضارة العرب) جوستاف لوبون/Gustave Le Bon الذي قال "... إن حضارة العرب والمسلمين قد أدخلت الأمم الأوروبية الوحشية في عالم الإنسانية، فلقد كان العرب أساتذتنا. وإن جامعات الغرب لم تعرف مورداً علمياً سوى مؤلفات العرب؛ فهم الذين مدّنوا أوروبا مادة وعقلاً وأخلاقاً. والتاريخ لا يعرف أمة أنتجت ما أنتجه". إنها وصفة النجاح، ومن ورائها وصفة استلهاهم النهوض من جديد، وصفة افتخار وفضل على الحضارة الإنسانية التي أذهلت الجميع في القدرة على الإبداع والتلقي والتفاعل والتطوير، وكان كل ذلك بلغة عربية مُحافضة على أصالتها وتطورها وقيمتها الجوهرية الدينية؛ لتصبح لغة حضارة إنسانية ذات مظهر لغويٍّ معجز مُتجدد.

6- هل عجز النهوض يكمن في اللغة العربية؟ هو سؤال النهوض؛ حيث اللغة هي الإنسان، وما يحدث للإنسان من تطور أو غنى أو ضعف يحدث للغة، واللغة لا تتطور مستقلة عن ناطقها؛ باعتبارها وسيلة تواصل وإبداع، وأداة أساسية لتحقيق التعاون مع الآخر، فلا وجود لقوم دون لغتهم الأم، واللغة الأم هي نعمة الترقى والسمو. إذن اللغة هي الإنسان لأنها تعبر عن فكره ودواخله وبيئته، وبقدر ما تعبر عن هذا الإنسان بقدر ما تبقى حية ودائمة التطور، فهو تطور فطري وطبيعي وعفوي ناتج عن تطور الحياة، واللغة العربية لغة حياتية دائمة يحملها مجتمع حضاري له خاصيات التطور مثلها مثل أية لغة فطرية طبيعية. وهنا يجدر بي الحديث عن أهمية اللغة العربية في ما تعرفه من مكانة علمية وتواصل حضاري، وتنوع ذاتي في الأساليب والمصطلحات، ولها وترتيب جيد في الفضاء الأزرق، وهي من بين أكثر اللغات استخداماً على صفحات الويب/Web في إحصائية نشرتها (Internet World Stats-2020) بعد الإنكليزية والصينية والإسبانية. وعبرها يمكن النهوض من جديد، والعجز يكمن في العاملين عليها وفي المؤسسات التي تقوم على رفدها، فهي تعيش الهرم العلمي، والعجز التواصل، وعدم النزول من الأبراج المنعزلة عن واقع اللغة اليومية بدعوى المحافظة على الصفاء اللغوي. إن العجز يكمن في تسيير الموارد البشرية، وتلك العقول التي تفر للغرب دون توفير أعشاش البقاء في بلاد العرب. إن العربية لغة علم وحضارة؛ وتستمد قوتها من أهلها عبر الترجمة والإبداع فيها وبها وباستعمالها والاعتزاز بها، وتزداد أهميتها بمكانتها بين اللغات الأخرى، وهي السبيل الذي لا مفر منه للبقاء وفرض الذات. اللغة العربية ليست عاجزة عن صنع الحضارة من جديد، وإنما العجز في تلك النصوص التي لا تجد مكاناً في التشريعات التي لا تنال التطبيق وفي عدم احترام المكونات الأساسية للهوية العربية والإسلامية، ذلك أن اللغة العربية جزء من تركيب المواطن العربي المُشكّل لوجدانه وتوجهه وتفكيره. إن العربية لا تعجز في الترجمة والمسرح والأفلام والأدب والعلوم عندما توضع في الحمام اللغوي المراد منه الحماية

والتطوير، وخلق مسارات جديدة في القطاع الثقافي من خلال أدوارها المرتبطة بازدهارها وتعميم استعمالها في العلوم وفي التكنولوجيا.

- الخاتمة: إنّ أفضل وسيلة لعودة الحضارة العربية الإسلامية إلى ساحة الوجود في الوقت الحاضر هي الاستثمار في صناعة المحتوى الرقمي الناطق باللغة العربية، وهي من مسؤوليّة الدول العربية في الدرجة الأولى وكذلك من مهام النخبة والهيئة الإسلامية والتواصل العلمي والترجمة، وكلّ ما يربط البحوث من إسقاط الحواجز عن فعل الإبداع. والسعي لممارسة اللغة العربية بالعفوية وفي نظام رموزها الذي يتم التعبير عن التنظيم الكامل لحياة الحضارات وأنماط أفكارها، وكلّ ما له علاقة بعناصر الذات ومكونات الشخصية. وعلينا أن ندرك بأنّ لكلّ أمة من الأمم لغة تميّز بها بين الأمم الأخرى، وتعدّ اللغة أهمّ الملامح التي تُكوّن هويّة الأمة وتُميّزها عن غيرها، فاللغة هي العنصر الأساس لأيّة ثقافة أو حضارة. ولهذا فالحضارة العربية الإسلامية أو النهوض الجديد تقع على سُدنة اللغة العربية في المقام الأول، كما أنّها أمانة مُشتركة بين جميع فئات الأمة؛ باعتبارها لغة التراث والهويّة، وهي الماضي والحاضر والمستقبل، وهي الامتياز والتصدر، وهي من ضرورة البقاء والاعتزاز، وهي المعرفة والثقافة والحضارة، وصناعة الغد الأفضل. وإنّ كلّ هذه الانشغالات والقلاقل هي مضايقات نعيشها يوميّاً، وعلينا أن نُعالجها بما يبعث على التفاؤل والاستبشار بمستقبل باهر، و"اعقلها وتوكل" وهو منطق العزم الذي نسعى أن يتجسّد في شباب الحاضر وهم شباب المستقبل.

التبادل اللغوي والثقافي بين العربية والفارسية

- الدِّباجة: من الأمور التاريخية التي لا بدّ منها في تحليل هذا الموضوع أن نشير إلى أرومة اللغات الشرقية حسب تصنيفات الباحثين، فهي تلك اللغات القديمة التي تعود لقدمى السّاميات، ومعظمها انقرضت منذ زمن طويل؛ مثل الأكديّة. وهناك لغات تطوّرت وأصبحت لغات ساكنة شعوب شرق وجنوب آسيا وتشمل: الصّينيّة واليابانيّة والكوريّة والتّايلنديّة والفيتناميّة والبورميّة والهنديّة والبنغاليّة والأورديّة والفارسيّة والعثمانيّة، وتمثّل هذه اللّغات أهمّ الحضارات المبكّرة التي ظهرت في شبه الجزيرة الهنديّة، وما بين النهرين هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك من يقول بأنّ العربيّة القديمة تنتمي إلى "أسرة اللّغات السّاميّة المتفرّعة من مجموعة اللّغات الأفريقيّة الآسيويّة، وتضمّ مجموعة اللّغات السّاميّة لغات حضارة الهلال الخصيب القديمة، مثل الأكاديّة والكنعانيّة والآراميّة واللّغة الصّيدية؛ جنوب الجزيرة العربيّة (واللّغات العربيّة الشماليّة القديمة، وتشارك في صلاتها مع اللّغة المصريّة القديمة، وبعض لغات القرن الأفريقي كالأمهرية وعلى وجه التّحديد، ويضع اللّغويّون اللّغة العربيّة في المجموعة السّاميّة الوسطى من اللّغات السّاميّة الغربيّة". وعلى العموم فإنّ آراء متضاربة في مسألة هذه الأرومات اللّغويّة بسبب بعض الافتراضات التي لا تؤيّدّها الأدلّة العلميّة والتّاريخيّة في عضويّة عائلة اللّغات السّاميّة، وتبقى عربيّة العصر الجاهلي متفرّدة ومنعزلة عن النظائر بما لها من خصوصيات الزّمن والانعزال الجغرافيّ والفصاحة، وما طرأ عليها من تطوّر، فيصعب أن تكون لها علاقة عرقيّة بلغة أبناء سام. وفي كلّ هذا نرى البعد العامّ الذي يجمع هذه اللّغات مُصطلح (الحضارة الشرقيّة) ممثّلة في "مجموعة من العقائد والمبادئ المنظّمة للمجتمع، وتمثّل ناتج النشاط البشريّ في مختلف المجالات كالعلوم والآداب، والفنون، وما ينجم عن هذا النشاط من ميول قادرة على صياغة أساليب الحياة المختلفة، والأنماط السلوكيّة، والمناهج المختلفة في التفكير، وقد تطوّر مُصطلح الحضارة مع تعاقب العصور، وتعدّدت تعريفاته والرؤى الخاصّة به". هو تفاعل ومخاض منطقة شرقيّة، قامت على تبادل/تفاعل التّقاليد والأنماط، وأدّت إلى تكوين ما يسمّى بالحضارة الشرقيّة، وفي بقعة كبيرة من قارة آسيا، وبعض من أجزاء أفريقيّة، وفي تلك البقعة الجغرافيّة التي احتوت بلاد العرب والفرس. ونرى من خلال هذا التّصنيف أنّ لغة العرب في صورتها الأولى لم يكن لها وجود مؤثّر لعديد لهجاتها بتعدّد قبائلها، ولكن كانوا يجاورون بلاد (فارس) وآثرت الجغرافيّة المتلاصقة بشبه الجزيرة العربيّة في حصول تداخلات وأنماط لغويّة وثقافيّة فرضه النّطاق الجغرافيّ. وبمجيء الإسلام حصل للعربيّة الانتشار، فتغيّرت دلالة (الحضارة الشرقيّة) بمزيد تمثّلين الحضارة الشرقيّة بحضارة ربانيّة، تقوم على الإسلام، ذات أبعاد إنسانيّة عالميّة، قائمة على الشورى والعدالة، وبعض العادات والتّقاليد التي زكّاها الإسلام وكانت في الحضارات القديمة.

1- العرب والفرس: قوميتان مختلفتان لكنّهما مُتجاورتان، وقد وقعت بينهما حروب ومنافرات وصراعات قبل الإسلام، باعتبار أنّ التّكافؤ بين القوميتين لم يكن على كفّة التّساوي؛ حيث فارس بما لها من قوّة ومناعة وحضارة تغلّبت، والعرب بدو رحّل لم تقم لهم قائمة، ولذلك لم تكن العلاقات العلميّة/الثقافيّة متكافئة كذلك

حتى مجيء الإسلام الذي شكّل المحفّز للتبادل، وبناء جسور المعاملة بالمثل، وكانت الرسالة النبوية مرحلة تسوية الخلافات مع قابلية قبول الآخر. بالفعل لما جاء الإسلام أنهى تلك الصراعات، وحصل تشكيل وعي جديد كان عامل بناء الهوية اللغوية لفارس في ظلّ مبادئ الدين الإسلامي الذي زاد في تمتين الوعي الإيجابي تجاه العرب، وبخاصّة في فترة الحكم العباسي، وقد تلاشت تلك الفتن التي ظهرت أيام حكم (الأميين) وعجمي (المأمون) قرب فقهاء فارس/إيران/العجم، وكانت فترة استيعاب الفقهاء والعلماء والشعراء الذين كانوا يمثّلون المدرسة العربية. هو نجاح أولي أدّى إلى تمدد الإسلام ولغة الإسلام، وكتابة الفارسية بحروف لغة الإسلام. وفي ذلك المخاض، وهو عبارة عن اختراق لغويّ عمل الإيرانيون على إظهار تفوّقهم في اللغة العربية والإدارة والترجمة والبحث والإبداع وعلم الفلسفة والمنطق، ويصبح الفرس لهم شأن قويّ مع الخليفة المتوكّل، وينالون المكانة العلمية بصفّتهم عرباً رغم عجمتهم، باحتوائهم ديناً ولغة، ويكونون من المقربين الفاعلين في القرار والفاعلين في بيت الحكمة في بغداد، وفي النجف وكرلاء بصفتهما مركزين علميين ودينيين هامين للشّيعة الاثني عشر. والمهمّ في الأمر تشكّلت مسيرة العلاقة بين إيران والعرب، وهي التي أسهمت في تشكيل وعي لغويّ متقارب في كثير من المقامات؛ حيث استفادت العربية من تلك العلاقات التي أثمرت على نتائج محقّقة في: النحو+ الشعر+ المعاجم+ الطبّ+ الفلسفة+ الفلك+ الطّبيّعات+ الكيمياء...

2- العربية وخدمات علماء الفرس: إنّ مهندس النحو لا يزال متنه عالياً ولا يمكن تجاوزه (الكتاب) هو الفارسي الفدّ (عمر بن قنبر) الذي يقوم له الخليل كلّما يراه؛ والخليل لا يقوم للخلفاء، ولكنّه لما يرى (سيبويه) يقوم ويهشّ ويبدشّ في وجهه، ويقول له "مرحباً بضيف لا يمل". وإنّه (سيبويه) الذي قال عنه (محمد بن سلام الجمحي) "... كان سيبويه النحويّ غايةً في الخلق، وكتابه في النحو هو الإمام فيه". وأشاد به كثيراً (الحسن بن عبد الله السّيرافي) "... وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده". لقد أجاد صناعة النحو التي أثمرت على كتب توضيحية استكمالية من مثل: التذكرة في علوم العربية+ جواهر النحو+ التعليقة على كتاب سيبويه+... ويظهر علماء آخرون من مثل: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي القزويني (صاحب معجم مقاييس اللغة+ المجمل+ الفصيح+ جامع التّأويل...) + أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزّنجشيري صاحب كتب لغوية مهمّة (أساس البلاغة+ صناعة الإعراب+ المفصل في النحو...) ويمسّ الموضوع تلك الثّلة الكبيرة من علماء الفرس من مثل: ابن سينا+ الفارابي+ سعد الدين التّفّازاني+ نصير الدين الطّوسي. علماء كبار أسسوا لقواعد العربية، فهذا الأخفش والكسائي والفراء عجم خدموا العربية وكتبوا بها ونالوا المقاصد منها، ولم ينالوها بلغتهم. فن تكلم العربية فهو عربيّ. والمهمّ في الأمر أنّ هؤلاء العلماء/الأعاجم بعضهم جاؤوا لحاضرة العرب؛ ولهم لغتهم الأولى وبعضهم جاؤوا ليتعلّموا العربية؛ وحقّقوا المطلوب، فأصبحوا يؤلّفون فيها وبها، بل إنّ بعضهم أتقنوا صناعة استعمال العربية وانتسبوا إليها، وهم أعاجم في لغتهم ومرباهم ونسبهم، مع أنّ العجّة إذا سبقت إلى اللسان قصرت بصاحبها.

والمهم كذلك أنهم خالطوا العرب، وتربّوا على لسان العرب؛ فاكْتَسَبُوهُ بالتَّربُّية، وصيروه قوَّانين وفنَّاء لمن بعدهم. وإن دورهم كان عظيمًا في علوم الحضارة الإسلامية، هم علماء فرس كانوا بالعلمية والكثرة وخدموا مسائل العربية، وسجلوا بصماتهم في تطوير العربية، بما حازوه من ألقاب أئمة النحو، وكذلك بذلك الانتماء والنسب للعرب، وهو فخر لهم، ورغم العجمة؛ فقد أبدعوا في لغة الإسلام ولغة الحضارة الشرقية، وهم جزء منها، كما كانت لهم أقدام في الفقه والتفسير والعلوم والترجمة، ويقول (ابن خلدون) "... من الغريب الواقع أنَّ حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم، وليس في العرب حملة علم لا في العلوم الشرعية، ولا في العلوم العقلية إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في نسبه؛ فهو أعجمي في لغته ومرباه ومشخته، مع أنَّ الملة عربية وصاحب شريعته عربي".

وإن كان هناك من يناقض هذا القول، فهذا (أبو يعرب المرزوقي) يعارض صحة قول (ابن خلدون) ويعد ذلك من الخرافة، ومن أدعياء العصر المنتسبين للمذهبية، وبعضهم يعود إلى سوء فهم مصطلح (العالم) و(شبه العالم)، وبعضهم من أتباع جهات معينة، ويرى أنَّ قول (ابن خلدون) فيه مبالغة في استعمال (الأكثرية) ويراهم الأقلية من الأعاجم التي خدمت العربية، ولا يتنكر لدور غير العرب في الإبداع، ولكنه يرى بأنَّ المبدعين والمؤسسين عربٌ شحمًا ودما ولغةً؛ وهم الأغلبية، وأنَّ المطورين أعاجم وهم الأقلية؛ فأول فيلسوف في العلوم الطبيعية والرياضية عربي (الكندي) وأول لسان عربي (الخليل) وأول أصولي فقهي (عربي الشافعي) وأول فيلسوف في العلوم الإنسانية والتاريخية عربي (ابن خلدون) وآخر فيلسوف عربي (ابن رشد) وأول رياضي كبير عربي (ابن قرة الجد والحفيد)... وهؤلاء كلهم لهم تلاميذ مباشرون/غير مباشرين من الأعاجم. وسيد الجميع ومؤسس حضارة الإسلام عربي؛ الرسول الخاتم ولا يدعي إبداع رسالته.

ويعود (ابن خلدون) مرّة أخرى ينصف هؤلاء الأعاجم، ويرى أنَّ بداوة العرب لم تجعل في أياديهم حرفة الصناعة، وأنَّ ملكة الصناعة كانت لدى الفرس "... فصارت هذه العلوم كلها علومًا ذات ملكات محتاجة إلى التعليم فاندرجت في جملة الصنائع وقد كما قدمنا أنَّ الصنائع من منتحل الحضرة وأن العرب أبعد الناس عنها فصارت العلوم لذلك حضرية وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم أو من هم في معانهم من الموالي وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس فكان صاحب صناعة النحو سيبويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما، وكلهم عجم في أنسابهم، وإنما ربوا في اللسان العربي... واستقر العلم كله صناعة، فاختصت بالعجم وتركها العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها إلاَّ المعربون من العجم شأن الصنائع كما قلناه أولاً فلم يزل ذلك في الأمصار ما دامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر، فلما خربت تلك الأمصار وذهبت منها الحضارة التي هي سر الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة..." مقدمة ابن خلدون، ص 544-545.

بالفعل فإنّ العلم في عصر الحضارة الإسلامية كانت للفرس القدم الراسخ في الممارسة العلمية في العصر الذهبي للإسلام" تحت الدولة الأموية في الأندلس، وتجاوز الأمر إلى ملوك بني عبّاد في إشبيلية، والدولة السامانية والزياريين والبويهيين في بلاد فارس، والدولة العباسية وما بعدها، والتي امتدت تقريباً بين الفترة 786 و1258. وشملت الإنجازات العلمية الإسلامية مجموعة واسعة من المجالات، وخاصة علم الفلك والرياضيات والطب، وشملت الموضوعات الأخرى للبحث العلمي الخيمياء/الكيمياء وعلم النبات والهندسة الزراعية والجغرافيا، ورسم الخرائط وطبّ العيون والصيدلة والفيزياء وعلم الحيوان".

3- علماء أثروا في الثقافة والحضارة الشرقية: برز علماء الإسلام بجهودهم في إعلاء الدين الإسلامي ولغته ومن كلّ الأجناس: فرّس وتُرك ومن آسيا الوسطى والقوقاز وأذربيجان وتركستان وأوزباكستان وأفريقيا... وكان ما يجمعهم الإسلام ولغة الإسلام، فبرزوا بهذين المَعْلَمَيْنِ؛ لأنّ الإسلام يدعو إلى فهمه ونشره، ويكون فهمه فهماً جيداً بواجب فهم لغة التنزيل "ما لا يُفهم به الواجب فهو واجب" فوجد علماء اللغة في الصّدارة ويلحق بهم أئمة الحديث: محمد بن إسماعيل البخاري من (بُخارى) + مسلم بن الحجاج النيسابوري من (نيسابور) + محمد بن عيسى الترمذي + أبا داود + محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، من قزوين + أحمد بن شعيب النسائي، وكذلك ظهور المفسرين، وفئات كثيرات من هؤلاء الأعاجم يمتثلون لفهم الإسلام بلغة الإسلام. ونجد سلسلة كبيرة من لَمَع الباحثين في مختلف العلوم. فهذا عكرمة البربري مولى ابن عباس، المفسر المشهور، المتوفى سنة 105 هـ + مقاتل بن سليمان البلخي، المتوفى سنة 150 هـ، مؤلف التفسير المشهور باسم تفسير مقاتل بن سليمان + أبو عبيدة القاسم بن سلام الخراساني، المتوفى سنة 224 هـ، مؤلف كتاب غريب الحديث، وهو أول كتاب في شرح الألفاظ الغريبة في الأحاديث + عبد السلام بن سعيد القيرواني المالكي الملقب سُخُون، المتوفى سنة 240 هـ، صاحب كتاب المدونة في فقه مالك + أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة 275 هـ، مؤلف الكتاب المشهور باسم سنن أبي داود، وله كتاب المراسيل + عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة 276 هـ، مؤلف كتاب عيون الأخبار، وأدب الكاتب، والشعر والشعراء، والمعاني الكبير في أبيات المعاني، وتأويل مشكل القرآن، وتأويل مختلف الحديث، وغريب القرآن وغريب الحديث + أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس، المحدث المشهور المتوفى سنة 277 هـ + محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، المتوفى سنة 319 هـ، مؤلف كتاب الإشراف على مذاهب العلماء، والأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، والتفسير، والإقناع، والإجماع + عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتوفى سنة 327 هـ، مؤلف كتاب الجرح والتعديل، وعلل الحديث + محمد بن حبان أبو حاتم البستي، المتوفى سنة 354 هـ صاحب كتاب صحيح ابن حبان، وله كتاب الثقات والسيرة النبوية وروضة العقلاء + الحسن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي، المتوفى سنة 360 هـ، مؤلف كتاب المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، وهو أول كتاب في علوم الحديث + أبو منصور الأزهري الهروي، أحد أئمة اللغة العربية، المتوفى سنة 370 هـ، مؤلف كتاب تهذيب اللغة، ومعاني القراءات + علي بن عمر الدارقطني، المتوفى سنة 385 هـ، صاحب كتاب سنن

الدارقطني + أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب المالكي، المتوفى سنة 403 هـ، صاحب كتابي إعجاز القرآن والانتصار للقرآن + محمد بن عبد الله، ابن البيع النيسابوري (الحاكم)، صاحب كتاب المستدرك على الصحيحين، المتوفى سنة 405 هـ + أبو حامد الإسفراييني، شيخ الشافعية ببغداد، المتوفى سنة 406 هـ + أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، شيخ مشايخ المقرئين، المتوفى سنة 444 هـ، مؤلف كتاب التيسير في القراءات السبع، والبيان في عد آي القرآن والمحكم في نقط المصاحف، والمقنع في رسم مصاحف الأمصار والمكتفي في الوقف والابتداء + علي بن حزم الأندلسي، العلامة الموسوعي، الفقيه الظاهري، المتوفى سنة 456 هـ، مؤلف كتاب المحلى، والإحكام في أصول الأحكام، والفصل في الملل والأهواء والنحل + يوسف بن عبد البر الأندلسي، المتوفى سنة 463 هـ، مؤلف كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد + علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى سنة 468 هـ، مؤلف التفاسير الثلاثة المشهورة: الوجيز والوسيط والبسيط والوسيط + عبد القاهر الجرجاني، صاحب دلائل الإعجاز في علم المعاني، وأسرار البلاغة، والرسالة الشافية + أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، صاحب الكنايين المشهورين في الفقه الشافعي: التنبيه والمهذب + شمس الأئمة السرخسي، من أئمة المذهب الحنفي، المتوفى سنة 483 هـ، مؤلف كتاب المبسوط، أوسع كتب الفقه الحنفي + محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي، المشهور بابن رشد الجد، المتوفى سنة 520 هـ، صاحب كتاب البيان والتحصيل والمقدمات الممهدات + أبو القاسم محمود جار الله الزمخشري، المتوفى سنة 538 هـ، صاحب كتاب الكشف في التفسير، وأساس البلاغة والمفصل في صنعة الإعراب + عبد الحق بن عطية الأندلسي، المتوفى سنة 542 هـ، صاحب التفسير المشهور بالحرر الوجيز + أبو بكر بن العربي الإشبيلي، من أئمة المذهب المالكي المتوفى سنة 543 هـ، مؤلف كتاب أحكام القرآن والعواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم + القاضي عياض اليعصب، المتوفى سنة 544 هـ، مؤلف كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وإكمال المعلم بفوائد شرح مسلم وترتيب المدارك + الفخر الرازي المتوفى سنة 606 هـ صاحب كتاب التفسير الكبير، والمحصول في الفقه + أبو عبد الله القرطبي، المتوفى سنة 671 هـ، صاحب كتاب الجامع لأحكام القرآن، وكتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة + يحيى بن شرف النووي، المتوفى سنة 676 هـ، صاحب شرح صحيح مسلم، والتبيان في آداب حملة القرآن، وروضة الطالبين وعمدة المفتين وتهذيب الأسماء واللغات، ورياض الصالحين، الأربعون النووية + إبراهيم الشاطبي الأندلسي، المتوفى سنة 790 هـ، مؤلف الكنايين: الاعتصام والموافقات + عبد الرحمن بن خلدون الإشبيلي التونسي الجزائري المصري، المتوفى سنة 808 هـ، مؤلف الكتاب المشهور تاريخ ابن خلدون، وأشهر ما في الكتاب مقدمته التي تعد أصل علم الاجتماع + محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، صاحب كتاب القاموس المحيط، المتوفى سنة 817 هـ. كما نقرأ عن علماء آخرين خدموا الثقافة العربية من مثل: ابن سيده + عباس بن فرناس الأندلسي + ابن بطوطة + ابن مالك + ابن البيطار + يحيى بن معط الزواوي البجاوي + ابن آجروم الصنهاجي + أبو إسحاق الأجدابي الطرابلسي + ابن منظور الأفريقي + يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شمال بن منغيا

المصمودي... وكل هؤلاء العلماء من الأفاضل وقد تركوا مؤلفات ومجلدات ضخمة، وجبالاً من الأفكار تحملها هذه المدونات، وهي من عظمة اجتهادهم في البحث العلمي، وفي العربية لغة علم عندهم، رغم منشوئهم غير العربي.

4- العلاقات الثقافية بين العرب والفرس: من الأهمية بمكان أن نشير إلى مقام العربية في الماضي والحاضر بما لها من علوم وحضارة وإبداع، وأن لغات الفلسفة والعلوم الأربع في الماضي هي: اليونانية والعربية واللاتينية والألمانية، والآن أضيفت الإنكليزية بسبب سلطانها العالمي، كما يسجل التاريخ بأن العربية لها التأثير المباشر/غير المباشر على: الفارسية+ التركية+ المازيغية+ الكردية+ الإندونيسية+ الألبانية+ الأوردية+ السواحلية+ الماليزية+ التجرية+ الأمهرية+ الصومالية، وبعض اللغات الأوروبية: الإسبانية+ البرتغالية+ المالطية+ الفرنسية+ الصقلية... إن العربية/لغة الإسلام أقامت علاقات قديمة على أطراف بلاد الأهواز وبغداد، وحصلت مبادلات تجارية بلغة مشتركة في البحرين وعمان واليمن، ثم توسعت العلاقات مع الإسلام أيام نشاط الترجمة التي كانت وليدة حكم دولة الساسانيين حيث انتشرت ثقافة الفرس وآدابهم، وبلغت علاقات الفرس والعرب ذروتها، فأفادت العربية أيما إفادة من منتجات الفرس ومآثرهم العلمية والأدبية. وكان ذلك عامل تأثير على إحداث نهضة حضارية أسهم في تنشيطها الخلفاء من عقد المجالس والتباري في الإغداق العلمي على التراجمة والمبدعين، ولا نتحدث عن تكريمات الخلفاء: عضد الدولة+ جعفر بن الخليفة المكتفي بالله... إنها علاقات تبادل علمية كانت من جنس الفتوحات والدعوة الإسلامية الداعية للتعايش والتكامل. ومن الضروري إبراز أواصر العلاقات الثقافية وعمقها وقوة التأثير والتأثر للغة العربية/الفارسية في اللغة والآداب وسائر العلوم. وعلى ضوءها نزيد من تمثين طريق العلم والعلماء بين الفرس والعرب؛ وهي من مقتضيات العرفونية التي تتطلب منا التكلل؛ حيث الثغرات المعاصرة كثيرة ومطلوب منا أن نكون بقوة حضارتنا المشتركة. وعلى الباحثين تفعيل التبادل العلمي في مزيد من ربط العلاقات العلمية والثقافية والأدبية لكشف مزيد من الصلات بين الثقافتين، وبناء آفاق المستقبل في تقوية الحضارة الشرقية بعماد الإسلام. ولا بد من تقوية الثقافة الناعمة؛ فهي سبيل من سبل التبادل المنفعي بصيغة = رابح رابح.

ونسعى من خلال هذا الحث والإصرار إلى العودة إلى ذلك العمق التاريخي الذي سجله الزمن الماضي أيام عمق التداخل الثقافي العربي الفارسي، أيام ترجمة كيلة ودمنة+ آيين نامة+ خدائي نامة+ الأدب الصغير والأدب الكبير، أيام (عمر الخيام+ جلال الدين الرومي...) وهم ينظمون الشعر العالي بتقدير العربية وبعجز الفارسية، رغم المفاضلة بين اللغتين كما يوضحها كتاب (التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم) لأبي أحمد العسكري. أيام الزمن الجميل الذي تجسد فيه ربط علاقات التكامل برباط: الدين والجغرافية والمشارك العلمي. أيام البحث عن مشروع الانتماء الحضاري الإنساني خارج التعصب والخصوصية الذاتية/السلبية التي لا تثمر إلا على سراب بقية. أيام المجد الذي نجد فيه (أبو الأسود الدؤلي) و(البيروني) و(الطبري) و(الجاحظ) و(أبو نواس) و(أبو الفتح البستي) و(يونس بن حبيب) و(الأصفهاني) و(أبو عثمان المازني) و(النيسابوري) و(أبو

الحسن السرخسي) و(الفرغاني) و(الأصمعي)... يتعاونون إيجابياً في البناء المعرفي والعلمي؛ لترسيخ ثقافة الاعتزاز بمكونات الهوية الجامعة. أيام التسامح اللغوي في تنازل الإيرانيين لصالح العربية ودعمها لغة أممية، وهل يعود الزمان إلى تلك الأيام. وإنّ الأبحاث تسجل لمقام العربية لغة رسمية في إيران، وللوقوف على هذا التداخل الثقافي العربي، من الضروري قراءة كتاب (التداخل الثقافي العربي الفارسي من القرن الأول إلى القرن العاشر الهجري) للباحث رشيد يلوح. إنها أيام دون حدود جغرافية للتفاعلات والثقافات وتبادل المنتجات والإبداعات؛ حيث كانت الفارسية لغة الحكمة والأدب والشعر، وكانت العربية لغة الدين والشعر، وتداخلت الثقافتان وأثرت كل منهما في الأخرى، واستمرّ التداخل والتأثير الذي أدّى إلى الأخذ والعطاء الإيجابي في كل أبعاده. إنّه الامتداد العربي في الآخر بحضارة عربية شرقية؛ وهي حضارة إنسانية عالمية، والدين لكافة البشر. بالتالي، تعتبر الحضارة العربية الإسلامية شريكة في كل ما تعرفه الحضارة البشرية اليوم من كسب معرفي حضاري متراكم، منصهرة في الوعاء الحضاري الإنساني العالمي. كما أدّى هذا التعايش القديم الذي أثمر نتائج إنسانية تعود للحضارة العربية الشرقية بأنّ هؤلاء الفرس هم عرب من إيران، أقاموا صرحاً للقطب المنتظر الذي يحفظ لنا تميزنا وخصوصياتنا في الاتجاه الإيجابي.

- الخاتمة: لا بدّ من كلمة واقعية وحقيقية تُقال في أنّ الفرس خدموا العربية بأفكارهم، ورعوها بعيونهم وسقوها بعرقهم كي تبقى العربية دائماً هي العالية، خدموها لدينها وبلاغتها التي لم يجدها في لغتهم، ولم يعتبروها لغة أجنبية؛ إذ إنّهم صبّوا مجالات اهتمامهم ابتغاء مرضاة الله، ويذهب بعض الباحثين ليقول "لم يكن الفرس يحسبون هذه اللغة العربية لغة أجنبية، إذ إنّهم لم يكونوا يعدّون العربية لغة العرب فحسب، بل لغة الاسلام والمسلمين عامّة، وحيث كانوا يرون الاسلام ديناً عالمياً امياً، كانوا يرون اللغة العربية أيضاً لغة إسلامية أممية عالمية تتعلق بجميع المسلمين في العالم أجمع...

وهكذا وجد علماء الفرس أقوى الدواعي الى خدمة بلاغة لغتهم العربية وصرفهم هذا عن خدمة أية لغة أخرى، حتى لو كانت لغتهم الأصلية، وظلّ الحال كذلك إلى أن وصلت علوم البلاغة العربية إلى مرحلة تكاملها، فوجد الفرس إذ ذاك المجال متاحاً أمامهم ليصرفوا جهودهم، أو بعضها، إلى لغتهم الفارسية". وفي هذا الختم ندعو البحوث إلى مزيد من البحث في عوامل التأثير والإبداع والمقارنة، وتمكين اللغتين من الانتشار في البحث ورصد العلاقات التكاملية بين العربية والفارسية، وهذا من ضرورات القطبية للشعوب الحديثة التي تريد أن يكون لها المقام أمام التغول الذي يستهدف استئصال ومحو كل لغة/ثقافة هشّة.

التّهجين اللّغويّ: المخاطر والحلول

المقدّمة: تعيش اللّغة العربيّة الفصحى في العالم العربي أوضاعاً انتكاسيّة بالنّظر إلى الواقع اللّغويّ العربيّ الحالي الذي يتمخض عنه هجين لغويّ متناسل ومطرّد، وهذا من خلال الاستعمال والممارسات اللّغويّة لخليط من الأنماط اللّغويّة من مختلف لغات الاستعمال اليوميّ: العربيّة الفصحى الدّوّارج، اللّغات الأجنبيّة. وما هذه الصورة -المسموعة والمكتوبة- القائمة اليوم إلّا وليدة الفترة المعاصرة؛ حيث السّلاح الرّابع يعرف قفزة خارقة، فنجده الفصائيّات تعرف انتشاراً لا حدود لها، وكلّ فصائيّة تعرش على قوم، وتفرض عليهم قيماً وسلوكاً وأسلوب عيش، لغة مزيج من الأنماط المتشابكة والتي لا حدود لغويّة تحكمها، وكان همّها في سلوكها هذا التّواصل وكسب الجمهور، وبيع أكثر عدد من عناوينها، وبأية لغة كانت، وعند ذلك يكون البقاء للغة الأقوى، وبخاصّة لغة الآلة المعاصرة لغة الصّحافة السّريعة، وقد جرّ ذلك بعض الوباء والوبال على البلاد العربيّة، ومسّ ركناً ركيناً في الهويّة والمواطنة اللّغويّة للبلاد العربيّة.

وما الجزائر إلّا صورة مصغّرة من هذا الوضع السيّئ، فقد داهمتها الفصائيّات بهجين لغويّ كبير، ولم تسلم ألسنة الجزائريين من التّعديّد اللّغويّ في توظيف الكلمات التي تجمع بينها أحياناً نغمة الأداء فقط، وهي تنتمي إلى ألسن الهويّات المتعدّدة، فهي خليط منبوذ، وكلام هجين لا نكاد نفهمه، وتحضرنى كلمة ((ما يكرّيز تيش)) (لا يوجد) وهي كلمة خاصّة لا يفهمها إلّا جزائريّ القرن الواحد والعشرين/XXI. وهكذا نجد أنفسنا نتحدّث بلغة هجيّة غريبة الأطوار: جزء منها عربيّ، ومفاصلها أجنبيّة؛ فهي لغة جديدة برّطانات أجنبيّة، وخليط من الدّوّارج، وبعضها كشكول لا يكاد يفهم خارج المحيط أو الدّائرة التي وضعته. وهكذا نشأ خطابٌ محكيّ هجين بسبب وسائل الإعلام في المقام الأوّل؛ والذي عمل على تهجين خطاب العامّة، وينزاح إلى تهجين المكتوب حيث بدأت معاملته تظهر في كتابات تلاميذنا وطلّابنا، وأخاف أن يستفحل هذا الأمر المشين في لغة تواصلنا وقد يؤدّي إلى التّنصل عن لغة أجدادنا/لغة الصّفاء العامّ، فالكارثة قد تكون كبيرة إن لم توضع لها الحدود. فما بالك بقوم تسمعهم يرطنون رطانات جامعة لألسن الهويّات المختلفة التي لا تجمعها أرومة لغويّة، وبكلّ تبحر وما رأيك في هذا الخليط غير المفهوم إلّا في إطار الاصطلاح الضيق، وفي سياق ومقتضى حال مخصوص. أليس الأمر عاراً علينا ونحن نبتعد عن لغتنا الجميلة، ألا نرى أنفسنا أنّنا تبع للغات أجنبيّة عولميّة باعتبار ما يحمل هذا الخليط أكثره مصطلحات وكلمات أجنبيّة، وكأنيّ به يعيد تجسيد مقولة: المغلوب مولّع بلغة الغالب فهل ما نزال لم نخرج من دائرة المغلوبين، بعدما حصلت كلّ الدّول العربيّة على استقلالها، وما بقي لنا المشجب الذي نعلّق عليه ضعفنا ونقائصنا وتقاعسنا إزاء الاهتمام بلغة تواصلنا الطّبيعيّة إلّا التّعلّق بالهجين المدرّ للرداءة اللّغويّة. ألا يجدر بنا الوعي بهذا التّواصل الذي يصبغ علينا أنماطاً ثقافيّة تعصف باللّغات المحليّة ومنها العربيّة، ألا يمكن أن يؤدّي ذلك إلى زيادة لغة القويّ قوّة، ولغة الضّعيف ضعفاً ووهناً، ألا يجوز لنا أن نجلو القذّي عن عيوننا، ونهيئ أسباب التّغيير في لغتنا، ونعمل من أجل أن تنال وضعاً طبعياً في حياتنا اليوميّة؛ باستعمالات وظيفيّة بسيطة سهلة، ألا يجوز للغتنا أن تنال موقعاً في هذا العالم تحت إمرة خصائصها...

وإنّ هذا الواقع اللّغوي (المهجين) ينذر بالخطر إذا لم نندرك الجهات المعنية والجمعيات المدنية، وربّات الأسر والمجتمع ككلّ، وقد تستفحل ذات يوم؛ لأنّها بدأت تدخل في الممارسات اللّغوية العفوية، دون ضابط يعمل على توقيفها، ودون تبيان أوجه الخطأ فيها، بل دون وازع ينذر بخطورها على الانسجام الجمعي أليس فينا رجل رشيد، ألا يؤدّي هذا إلى التعدّدية اللّغوية المتوحّشة أو الثلاثيّة المرطّنة، ألا يخلق عوائق اتّصال بين شعب واحد، ألا يمكن أن يخرق الوحدة اللّغويّة الذي لا يحصل إلّا بوجود لغة آحاد بين ساكنة جغرافيّة بلد واحد، والأحرى إن كانت هذه الجغرافية اللّغويّة تتجاوز حدود الوطن مثل اللّغة العربيّة التي لا حدود جغرافيّة تحدّها.

ومن خلال هذا أين يمكن الخلل هل في غياب تخطيط لغويّ؟ وهل الخلل تتحمّله المدرسة؟ وهل للإعلام دور في هذه الانتكاسة؟ وهل للشّابكة دور تسهيل ظهور هذا الخليط؟ وهل للمحيط أثر يمكن أن نعمل على توجيهه وعلاجه؟ وهل يمكن ردّم هذه الفجوة بالعودة إلى بناء لغة الطفل بناءً لغويّاً متيناً؟ وهل يمكن علاج الظّاهرة وحصرها وإيجاد آليات العلاج لممارسة وعينا اللّغويّ بصورة عفويّة واعية صحيحة، ونزع العقّد النفسيّة التي تنظر إلى أنّ مستعمل هذا المهجين مُترقّ، وهو ممّن مسّهم الرّقّي الحضاريّ، ومن لا يمارسه فهو غارق في التخلّف.

1- تحديد المصطلحات: وقبل التفصيل في المهجين اللّغويّ كان عليّ تبيان دلالة بعض المصطلحات ذات العلاقة بهذا المهجين، وتوضيح خصائص هذه المتعلّقات، لمعرفة أوجه التقاطع والتّباين في ما بينها:

1/1- الازدواجيّة: وهي استعمال نظامين لغويين في آن واحد، للتّعبير أو للشرح؛ وهو نوع من الانتقال من لغة لأخرى. وهذا موجود كظاهرة لغويّة اتّصاليّة في الشّعوب التي خرجت من الاستعمار وبقيت آثار لغة العدو باقية في التّواصل اليوميّ، والذي أصبح بشكل من الأشكال صورة عفويّة للممارسات الكلاميّة العاديّة.

2/1- الانتقال اللّغويّ: نوع من الازدواجيّة، تحصل عند مزدوجي اللّغة، حيث ينتقل من لغة إلى أخرى كأنّه انتقل من مستوى إلى آخر، وهذا بسبب الشّرح/المقام/الحال، ويلقّبه الغربيون بـ Code switching. ويكون الانتقال في بعض المقامات محبوباً؛ كونه يعمل على تأديّة المراد والمقصود، بل يعمل على الشّرح. وعلى العموم؛ فإنّ الانتقال تستعمله النّخبة في حالات ومقامات يستدعيها الموقف الكلاميّ، وهو شيء محبوب، بل هو مطلوب على مستوى الأداء العلميّ الأكاديميّ أو في تعليم/تعلّم اللّغة للكبار.

3/1- الاحتكاك اللّغويّ: ظاهرة لغويّة أخرى من باب التّقارب والاحتكاك بين اللّغات، وينجم عن ذلك استعمال مصطلحات أو أساليب لغة في قالب لغة أخرى، وأثناء الاحتكاك تأخذ اللّغات من بعضها البعض وهذه سنّة اللّغات التي يستعملها شعب من الشّعوب، بغرض التّواصل، أو بغرض التّمادّن، وما يلحق ذلك من الوسائط المعاصرة التي تفرض بعض الأنماط والمصطلحات. وعادة أنّ الاحتكاك يحصل في البداية عن طريق توظيف أصوات أجنبيّة، ثمّ ألفاظ مفردة، وأحياناً يجلب بعض المسكوكات اللّغويّة من لغة أجنبيّة فتدخل في جسم اللّغة الوطنيّة.

4/1- التداخل اللغوي: هو نوع من الاحتكاك اللغوي، إلا أن التداخل يحصل بين لغتين تأخذ الواحدة من الأخرى؛ فاللغة الأضعف تأخذ من اللغة الأقوى، والعكس يصح، بينما الدّخل اللغوي: حيث تأخذ اللغة الأضعف من اللغة الأقوى فقط. ويعرّف اللسانيون الغربيون التداخل اللغوي "بأنه تأثير اللغة الأم على اللغة التي يتعلّمها المرء (1: 2001 Skiba)، أو إبدال عنصر من عناصر اللغة الأم بعنصر من عناصر اللغة الثانية (109 : 1969 MacKay). ويعني العنصر هنا صوتاً أو كلمة أو تركيباً. ولكننا ننظر إلى التداخل اللغوي بوصفه انتقال عناصر من لغة (أو لهجة) إلى أخرى في مستوى أو أكثر من مستويات اللغة: الصوتية والصرفية النحوية والمفرداتية والدلالية والكتابية، سواء أكان الانتقال من اللغة الأم إلى اللغة الثانية أم بالعكس، وسواء أكان هذا الانتقال شعورياً أم لا شعورياً. فإذا تأثرت اللغة العربية الفصحى التي يتكلمها الطفل العربي بلهجته العامية أو باللغة الأجنبية التي يتعلّمها؛ فإننا نعدّ ذلك من باب التداخل اللغوي كذلك³.

5/1- الاقتراض: هو أن اللغة الأضعف في العادة هي التي تقترض من اللغة الأقوى، وهي سنة جرى العمل بها في كلّ اللغات، إلا أن الاقتراض يأخذ شكل إدماج المأخوذ في قالب اللغة الآخذة ويصبح منها وقد سمّاها العرب بالمُعرب.

6/1- التعددية: يعني استعمال مجموعة ألسن متباينة/مقاربة في مجتمع واحد، وهذا ما يوجد في الدول التي عرفت الاحتلال، وبالنحوص استعمال لغة المحتلّ إلى جانب اللغة الوطنية.

والخلاصة: إن هذه المصطلحات تتعلّق بقضايا التعدّد اللغوي، ونرى هذه الظواهر اللغوية لها مزاياها في إطار البحث العلمي، بل إن الواقع الذي عاشته الدول التي خضعت للاستعمار فرض أشكال هذا التواصل الهجين، فهي نعمة إن لم تتعدّد حدودها العلمية والتي يراد بها التواصل المرحلي في انتظار تعميم اللغة الوطنية والقضاء على الأمية، وأما إن كان يقصد به التنازل عن اللغة الوطنية فهي تبعية يجب شجبها.

2- الهجين اللغوي: هو في الحقيقة نوع من أنواع المصطلحات التي وقع شرحها، ولكن رأيت تخصيص شرحها لمقام الكلمة التي تتحدّث عن الهجنة اللغوية من خلال عنوان هذا الموضوع. فالهجين كلام خليط ينتج في العادة في مجتمعات خليط، أو في التجمعات التي تحصل في البلدان التي تفد إليها العمالة الأجنبية ويحصرون في تجمعات سكانية خاصّة، وعن طريق احتكاكهم تظهر لغة مزيج/هجين مستوحاة من ألسن الساكنة، ويجمع بين تلك الكلمات النعمة والترنيم؛ وهي مجرد قاموس محدود الألفاظ، لا يحتكم إلى قواعد واعية من منتج لغة واحدة. ومعناه كما يلي:

1/2- لغة: تنصّ المعاجم على أنّ كلمة (التهجين) جاءت من فعل هَجَن. فيقال: هجنت الصبية هَجْنًا وهُجُونًا وهِجَانًا: تزوّجت قبل بلوغها. هَجْنٌ هُجْنَةٌ وهِجَانَةٌ: كان هِجِينًا. وهَجْنُ الكلام وغيره: صار معيياً مرذولاً. أهْجَنَ:

1- علي القاسمي "التدخل اللغوي والتحول اللغوي" مجلّة الممارسات اللغوية. الجزائر: 2010، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة تيزي-وزو، العدد التجريبي.

كثرت هجان إبله. وأهجن الفتاة: زوجها صغيرة. هجن الشيء: جعله هجيناً. هجن الأمر: قبّحه وعابه. استهجن: استقبح. ويقال: هذا يستهجن قوله. المهجين: اللبن ليس بصريح ولا لباً. رجل هجين: لئيم. والمهجين من الخيل: ما تلده برذونة من حصان عربيّ. المهجين من الناس: الذي أبوه عربي وأمه غير عربية. والخللاسي: الولد من أبوين أبيض أسود، ويُقال لمختلط النسب في اللغة = الخِلْط. والخلْط غير الواضح يقال له تهجئة خاطئة Cacographie، والمهجنة في معجم اللسانيات الموحد يقابلها في الإنكليزية Cacology وفي الفرنسية Cacologie.

2/2- اصطلاحاً: هو استيلاد لغة لا هي بالعربية ولا بالأعجمية، بالمزج في الخطاب بين كلمات عديدة من اللغات، ويحصل هذا التهجين أحياناً بتعمد، وأحياناً عن غير عمد، وتتم عملية التهجين بشكل منهجي لتصبح نمطاً مميزاً لأسلوب الخطاب والكتابة. اللغة المهجنة هي تلك الألفاظ المستغربة والتي توحى بوضع لغوي لدى جيل بأكمله، وهو واقع مرّ يؤسس لدلالات خطيرة على المجتمع؛ حيث ينذر بضياغ الهوية والتميّز، والتنكّر للذات الحضارية.

وفي اللغة العربية؛ هو تشويه لغة الضاد على يد الأحمق، باعتباره نوعاً من الأسلبة والمحاكاة الساخرة باستعمال الفصحى العامية، واللغة الأجنبية، واللهجات المحلية دون وعي بما ينتجه هذا الخليط الذي ينخر المجتمع من داخله، ويقلعه عن موروثاته، وإن الإحصاءات تؤكد أنّ الأسرة العربية هي الأكثر عالمياً في الانبهار بلغات الغير⁴ وربما لا تدرك أسرنا خطورة (التشويه اللغوي) الناتج عن ثقافة العولمة، ولا تعرف أنّ هناك مشكلة في استعمال هذا المهجين حتى داخل الأسرة المقتنعة بهذا الخليط، على أنّ ذلك عاملاً من عوامل التّحضّر؛ وهي لا تدري أنّها تضع أبناءها في موضع الحائر، وتركهم ينظرون إلى اللغات الأجنبية من حيث التّشدّق بها فقط، وعلى أنّه حضاريّ من الطّراز العالي، لا بما تحمله تلك اللغة الأجنبية أو الخليط من عقدة كبرى تجاه لغتهم الوطنية، وما تحمله احتقاراً لكلّ ما هو أصليّ ووطنيّ ولتاريخ الوطن، ولغة هذا البلد.

3- مصادر التّهجين اللّغويّ: هناك العديد من القنوات التي يأتي منها المهجين اللّغويّ، وأهمّ مصدر له هو الإعلام بمختلف قنواته، وبخاصّة الفضائيات وما تحمله من إبداعات لغوية، فعن طريق وصلات الإشهار مثلاً تأتينا حولة ثقافية مرّنة بسيطة سهلة على الحفظ، لها ترانيم خفيفة، تعمل جاهدة على الاقتناع بما تحمله، كما تُرغب المستقبل/المستمع/المُشاهد أن يكون طرفاً مسانداً لها. وأثناء التّأدية اللّغوية تعمل لغة الإشهار/هذه القنوات على تجاوز المألوف والتّحرّر إلى حدّ ما من سلطة اللغة الثّابتة، فتعمل على إحداث الكسر اللّغويّ/الانحراف عن سلطة النّحو في كثير من وصلاتِها، بل تلتجئ إلى المهجين اللّغويّ، وفي نظرها أنّ ذلك هو الذي يؤدّي الرّسالة، وتلك إلى حدّ ما وسيلة تعتمد على خرق العادة، والسّير في غير المنوال. ومن هنا فإنّ هذا الخرق يؤدّي أحياناً إلى توظيف بعض الكلمات التي قد لا تليق بالقانون والحياء العامّ، ولذلك حدّر تقرير الممارسات الصحفية من استخدام مفردات لغوية غير لائقة، وهذا التّقرير يشير إلى تفادي استعمال تدني

المفردات كما يشير إلى أنّ كثرة استخدام عناوين والتي لا تعبّر عن مضمون الأخبار والموضوعات المنشورة بهدف الإساءة والإثارة والتجريح، أمر مرفوض، وتمثّل من الناحية الموضوعية تضليلاً للقارئ، وألح بقوة على عدم إدراج كلمات تخدش الحياء العام، والتي تتعارض مع التقاليد المهنية والأخلاقية⁵. فإذا حذر تقرير الممارسات الصحفية من خدش الحياء العام باستعمال ألفاظ لا تليق بالمشاهد، فماذا يقال عن كسر القواعد والمزج بين اللغات لخلق لغة ثالثة هجينة من لغتين أو أكثر، فإلى أين تنتمي تلك اللغة، وما هي خصائصها؟ وماهي أصولها؟ وإلى أيّ أرومة تنتمي؟...

ومن مصادر التّجهين كذلك الشّابكة؛ وهي وسيلة من وسائل الإعلام، حيث تتيح التّواصل بين أشخاص لهم لغات مختلفة، ويصطلحون على لغة تجمعهم، وتتميّز هذه اللغة بالاقتضاب الذي لا يراعي جوانب النّحو وخصائص لغات التّواصل. وهذا نجده في الرّسائل القصيرة Les sms التي يتبادلها العامّة والخاصّة في ما بينهم في المناسبات، والتي تحمل في طياتها اقتضابات لغوية وعرفاً خاصاً في كتابة الرّسائل الإلكترونيّة، ويضاف إليها ما يخترع من حروف تسهلاً للتّواصل بحروف محلية دارجة أو غريبة في أغلب الحالات. ومن منتج لغة sms هجين الأرايش: وهذا الهجين اقتضته ضرورة الاتّصال بين عرب وغير عرب، أو بين عرب وعرب من الجيل الثالث، وهو مصطلح يستخدم في مواقع الدردشة الإلكترونيّة، ولدى الذين لا يجيدون اللّغات الغريبة وتجمعهم الشّابكة وهو نوع من التّجهين/الهجين الكّابي؛ حيث تكتب العربيّة بأحرف لاتينية بـ Arabish الناتجة من كلمتين: English + Arabic، وهذه الطريقة في الكتابة تتيح للمستخدمين التّواصل بشكل كامل وبأحرفها التي تنفرد بها دون غيرها من اللّغات، وتعود هذه الظّاهرة إلى بداية عصر الشّابكة. وهذا النّاتج يعود لعجز وجدود أحرف مماثلة في اللّغات الأجنبية؛ من مثل تلك الأحرف التي تنفرد بها العربيّة مثل (العين + الحاء + الهاء + الذّال + الطّاء + الضّاد...).

إذن هو كتابة منطوق الأحرف العربيّة ودلالاتها الصّوتيّة بأحرف وأرقام إنكليزيّة، وجاء الحلّ الإلكتروني في إيجاد بدائل إنكليزيّة لكلّ الأحرف العربيّة والتي لا يوجد لها مقابل في الإنكليزيّة، واصطلحوا للحاء برقم 7 لتقارب رسمها، وللطاء برقم 6، وللعين برقم 3 وللصاد برقم 9، ثمّ إضافة نقاط في أعلى هذه الأرقام للتعبير عن الضّاد أو الظاء، ويمكن أن تخاطب من ليس في لغته حرف الحاء بهذا المكتوب mar7aba وكذلك كلمات الأغاني⁶، وتعدّ الملاذ الأخير الذي ظهر فيها الهجين اللّغوي؛ فتعمل كلمات الأغاني على الإثارة والمتعة الخفيفة، وتؤدّي بصورة جماعية؛ تحمل في متنها مزيجاً من صُور الأغاني التي لا يتحكّم فيها حسن الأداء ولا انتقاء الكلمات النّظيفة، ولا ترنيمات الموسيقى الهادئة. بل نجد في بعضها ذلك الإسفاف وسقط الكلام الذي يخلّ أحياناً بالحياء العام، بله السقوط الأخلاقيّ الذي أحدثته هذه الأغاني في كافة أغراضها.

5- جريدة (اليوم السّابع): بتاريخ 3 أفريل 2009.

6- مصطلح مأخوذ من: الأغاني + الشّارع. أي تلك الأغاني التي ينتجها الشّارع والغوءاء، وتأتي بصورة عفوية من خلال تجمّعات الملاعب لمناصرة فريق رياضي، وهي خليط لغويّ يأتي عفواً خاطر، وله طقوسه، وما يصاحبه من إثارة ومُتعة آنية.

4- مخاطر التّيجين: يشكّل التّيجين نوعاً من الاغتراب الثقافيّ، الذي يُؤثّر سلباً على توافق الفرد مع محيطه وثقافته ولغته، ويضع التّيجين الفرد في عالَمين متناقضين؛ حيث يستخدم لغة الأمّ ولغة المستعمر في وقت واحد، ولغات أخرى، ويؤدّي به هذا إلى هشاشة في التّواصل، وهو نوع من الاستعمار الثقافيّ الذّهنيّ الأعمى التّبعي الذي قال فيه البشير الإبراهيمي: "إنّ الشّيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنّه رضي أن يُطاع في ما دون ذلك، فهو قد خرج من أرضكم، ولكنّه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلّا في ما اضطررتم إليه، وما أبيع لضرورة ويقدر بقدرها⁷". وهكذا نرى هذا المهجين يتعلّق بالقوّة والفعل مع لغة الآخر، فيجب تدارك الوضع قبل استفحاله؛ لأنّه يقضي على المواطنة اللّغويّة. وأول خطوة يمكن الإشارة إليها هي تلك الآثار السّلبية على لغة أطفالنا، ومن هنا فالقضية تعيننا جميعاً، بل تعني مصير شبابنا الطموح، فكيف نعمل على الحدّ من مظاهر هذا التّيجين، وكيف نجعل الشّباب يتلاغى بلغته بشكل طبيعيّ وسليم، وكيف نحصّنه من هكذا التّغول اللّغويّ الجارف لخصوصيّات اللّغات، وما هي الحلول التي نستعملها لحماية أطفالنا من الوقوع أسرى ثقافات غير عربيّة، وكيف نربّخ في أذهان أطفالنا وشبابنا أنّ هذا المهجين لا يُحقّق لهم التّواصل العالَمي ولا الأمل في التّقدّم، ولا الانسجام الوطنيّ، بل يخس مواطنهم، ولا يذهب بهم إلّا مذاهب قديداً. وما دام الوضع بهذه الصّورة ستظلّ العربيّة في أجيالنا حييسة التّخلف على شتّى المستويات، ولن تعود إلى سابق عهدها إلّا بالعمل على ترقّيها، وعدم التّماهي مع المستحدثات بنوع من التّراخي في اللّغة الأمّ، وتشهد المصادر بأنّ عصور المدّ الإسلامي لم يرصد فيها أيّ مظهر في تراجع اللّغة العربيّة مهما تعدّدت اللّغات في البلدان المفتوحة، وصدق المؤرّخون حين تنبؤوا بسقوط الأندلس مع بداية انهيار اللّغة العربيّة فيها.

وإنّه قد يظنّ بعض من النّخبة أنّ هذا شيئاً طبيعيّاً في اللّغات، ويحصل فيها باستمرار، وهو نوع من ثقافت أو نوع من العولة اللّغويّة التي تفرّض هذا التّمتط، وفي نظر الآخرين هي طفرة لغويّة نوعيّة، ومن ثمرات التّواصل بين الثقافات، فلا يشكّل خطراً يمكن أن نقيم عليه مؤتمرات أو نرفع العلم الأحمر لخطورته، وفي الحقيقة هو تواصل استعماريّ بامتياز، أو استعمار فكريّ لغويّ جديد وإنّ هذا الكلام حقّ أريد به باطل ومن هنا يجب أن ندرك الحقيقة بأنّ التّيجين اللّغويّ يحصل في الشّعوب المستعمرة سابقاً أو حالياً، يأتي نتيجة لغزو ثقافيّ للدول الاستعماريّة؛ حيث تقوم بتعزيز الدّونية لدى المستعمرين، وتزيد من اغترابهم عن لغتهم الوطنيّة، ويعمل ذلك على تفكيك وحدّتهم الثقافيّة، وفي خبّ انتمائهم الوطنيّ، ولم تسجّل لنا المصادر أنّ الشّعوب المتقدّمة يحصل لديها هذا التّيجين، وإنّ حصل؛ فإنّ صاحبه سوف ينال العقاب، بينما نتمسك نحن بدمج لغتنا ببعض الكلمات الأجنبيّة كمعتقد بليد ندّعيه؛ وهو لغة الشّباب أو لغة العصر الحديث، وفيه تنازل ثقافيّ في الصّميم، وهدم لأهمّ أركان دعائم هذه الأمة وهويّتها واستقلالها، وهو اللّغة العربيّة إنّ التّيجين

7- حدباوي العلمي، السّلسلة النّادرة المواظ الباهرة. الجزائر: 2009، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التّعلّميّة، ص74.

اللغويّ يشكّل خطرَ الانتقاصِ من العربية والتّشكيك في قدراتها، وله مظاهر يتّخذها عبر مسارات ظاهرها محبوب وخفيها مسموم، وإليكم مظاهره لا المخفية:

- كثرة اللافات الأجنبية في البلدان العربيّة؛
- أغاني الفيديو كليب، خلطة غربية في الأغاني والأداء، إلى درجة تسطيح الفنّ؛
- هيمنة اللّغة الأجنبية على خطاب بعض النّخبة، بمعنى هيمنة لغة الاحتلال/المستعمر؛
- السّلوّك التّطوي في تهجين الخطاب العربيّ العاكس للدّونية، وتجسيد بعض الأسر لهذا الهجين في بيوتها والعمل على التّفاخر به؛

- هجران تامّ للغات الوطنيّة باعتبارها لغة التّراث لا الحداثة ولحاق العصر؛
- عدم اعتماد الموروث الثقافيّ الوطنيّ كمرجعيّة دالة في التّاريخ والعلوم والآداب؛
- افتقاد المرجعيّة اللّغوية الوطنيّة، والجري وراء المرجعيّات الغربيّة...

5- الحلّول: إنّ القوّة اللّغويّة جزء لا يتجزّأ من القوّة الحضاريّة والتّنمويّة الشّاملة؛ وإنّ التّنازل في القليل يغري ويدفع بالتّنازل عن الكثير لمن لا شأن له ولا شخصيّة. وهكذا يكون التّهجين اللّغويّ ضربةً في عيون لغتنا الجميلة، بل التّهجينُ ضربةٌ ثالثة، رغم الحاجة البخسة والظّرف السّريع الذي استدعى هذا التّواصل المحدود ولكن هذه الحاجة أحياناً تحصل بثمن غال، بل بتنازلات قد تكون في العمق، وقد تمسّ الثّوابت، وهذا ما فعله التّهجين اللّغويّ الذي مسّ أصول اللّغة العربيّة في بعض من المقامات، بل عمل على هجران اللّغة الأصل وهذه هي المشكلة الكبرى التي تحتاج منّا جميعاً إيجاد الحلّول لها. وإنّ الحلّول التي نراها تعمل على ردم هذا التّهجين اللّغويّ يكمن في وجوب محاربة التّهجين من قبل الجميع، وهذا الأمر مسؤوليّة مشتركة: لأنّه فوضى لغويّة بقيمة بخسة، وستؤدّي هذه الظّاهرة إلى عدم القدرة على التّواصل، بل هو هروب من الواقع إلى اللاّواقع، وهو اللامبالاة الفوضويّة. وعلى الإعلام أن يكون طرفاً فعّالاً في تقديم الحلّول عن طريق التّوعية بأهميّة اللّغة كوعاء شفاف أو لباس حميميّ لكلّ ذواتنا، وهذا ما عبّر عنه الشّاعر (زهير بن أبي سلمى):

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ فؤاده * فلم يبقَ إلّا صورةُ اللحمِ والدمِ

وعلى المدرسة أن تعمل على إيجاد توازن يتيح للطفّل أن يتعلّم اللّغة الأجنبية كلغة معارف حديثة، وفي الوقت نفسه يتمكّن من التّفاعّل مع مجتمعه ومحيطه؛ باستعمال لغته العربيّة الأصليّة التي تستطيع أن تستوعب الحداثة؛ وتقطع في سبيل ذلك خطوات طويلة. كما تتحمّل المدرسة الجزء الأكبر في محاربة الدّخيل بصورة من الصّور المسموعة والمكتوبة، فكان على الهيئة التّدرسيّة شنّ حملات تنظيف لغويّة في منطوق المتعلّمين ويعضد الكّتاب تلك الحملات بالحديث عن مخاطر التّهجين اللّغويّ بأنّه عقوق لغويّ بامتياز بل احتقار لغويّ للّغة القرآن، فظاهره موبوق، وباطنه مأفوق ووسطه مسروق، فكيف تعتلي اللّغة بالموبوق والمأفوق والمسروق والتّهجين صفة من صفات شرار الأفاق وأشدّ خطراً بالنّفس من العقوق. كما يجب أن تبرز جهود جمعيّات المجتمع المدني في محاربة هذا الوباء، وعليها تجنيد الأطفال والتّلاميذ والطلّاب في الحفاظ على لسان ثقافتهم

وهم الحاملون لرايتها، وإنّ هذه الأجيال مطلوب منها الرّقي بالعمل؛ حيث الصّعود إلى العلا عمل ذاتي لا يتطلّب استشارة أو انتظار قرار، وعلى كلّ الفئات الطّلائية أن تتجنّد وراء ردم الفجوة اللّغويّة التي يسبّبها التّهجين، وما يأتي به من هجين، يفقد الأصل الرّصين، ويؤدّي إلى كلام مهين، فلا هو قريب فينشد، ولا هو بعيد فيشذب، بل مزيج يحتاج أن يشجّب.

ولذا كان علينا جميعاً إدراك العلاقة الحميميّة بين الأمّة واللّغة، فبينهما علاقة عضويّة، وكلاهما يعكس الآخر، وإنّه لا يمكن أن تعكس وجهك الحضاريّ إلّا لغتك الصّافيّة الخالصة من العيوب والشوائب، ولذا وجب الاهتمام وبالقوّة العربيّة، فهي مستقبلنا، وكان لا بدّ من خدمتها بالخروج من الكلام العفويّ والمناخات إلى ميدان الفعل، والعمل للحدّ من الخطّ من قيمة العربيّة، ووضع حدّ للفوضى اللّغويّة، ومحاربة إكراهات العرنسة⁸ والعرديّة⁹، وما تدرّه علينا مصطلحات العولمة، والرّجوع إلى عربيّة التّصريف والإعراب فهي من كلام العرب العاربة، أنقى من اللّيليّ البيضاء، وأصفى من الحليّ النّحساء، فلا تتركوا سعف النّخيل يسقط من لغتنا العربيّة؛ لغة دقيقة بسيطة سهلة؛ كان همّها التّدقيق، وسبق اللّغات في التّحقيق، ومجاعة اللّغات في التّسويق، بغير تزييف ولا تلفيق.

وأقترح ما يلي:

- 1 - البحث عن كيفية الرّقي بالأداة الرّئيسة الأولى التي هي اللّغة العربيّة.
- 2 - قيام وسائل الإعلام بالتوعية المستمرة في حثّ الجماهير على النّطق بالعربيّة الفصحى.
- 3 - التّعويل على لغة الإعلام في الرّقي اللّغويّ، لما للإعلام من تأثير على الرّأي والمستمع.
- 4 - حثّ وكالات الإشهار على العناية بالجانب اللّغويّ في إنجاز الوصّلات الإشهارية.
- 5 - دعوة المدارس إلى التّفعيل اللّغويّ داخل الأنماط اللّغويّة السّليمة، وأن يكون المعلّم قدوة في الاستعمال اللّغويّ السّليم.

- 6 - تفعيل المكونات اللّغويّة في لغة الأطفال؛ عن طريق تنظيم نشاطات لغويّة.
- 7 - إنشاء علاقة صحيّة وإيجابية بين التّلاميذ وبين أعلام اللّغة وروادها، من أمثال شعر المتنبّي، ونزار قباني ولغة البشير الإبراهيمي، ونثر مصطفى صادق الرّافعي، وصحافيات أبو اليقظان، وحكم قال لي حماري لرضا حوحو.

- 8 - دعوة الإعلام للإسهام الجاد من الرّفيع من القيمة اللّغويّة المضافة لأدائه اللّغويّ السّليم بالحرص على احترام قواعد اللّغة، وعدم مجاعة السّلوّك اللّغويّ الغريب، بل العمل على تهذيب ما هو خارج لغة التّواصل السّليم؛

8- العرنسة: كلمة مركّبة من: العربيّة+ الفرنسيّة.

9- العردية: كلمة مركّبة من: العربيّة+ الدّارجة.

- 9 - تخصيص حلقات أسبوعية لإجراء مقابلات وحوارات حيّة مع أفراد مختصّين يدرسون المفردات والأساليب المستحدثة، ومدى قبولها أو رفضها.
- 10 - معالجة الأساليب المَهْجَنَة في لغة العامّة والخاصّة، وفي لافتات الشّوارع، وفي لغة الإعلام والعمل على تهذيبها، ومراقبة الألفاظ الجديدة بصرامة؛
- 11 - توزيع استبانات سنويّة، وإجراء سبر الآراء للنظر في التّحسين اللّغويّ، وفي الهنات التي يأتي بها المهجين اللّغوي.
- 12 - إجراء البحوث الميدانيّة على لغة المحيط والإعلام، وترشيد المعنيين إلى لغة وسطى.

العربية السّاحرة: البلاغة والإغواء

إنّها العربية السّاحرة بما لها من دروب البلاغة وفنونها، ولغة وجدانيات، وكلام أدبيّ مُنَاط به البيان وهي كما قال (ابن فارس) 392 هـ "... إنّ لغة العرب أفضل اللّغات وأوسعها" وكما قيل فيها كذلك "العربية بحر مُحيط، ذات أفانين في دروب البيان، وأساليب المعاني، وتصاريف النّظم، فهي لغة فِكْرٍ وعقلٍ وتدبّرٍ ومن لا يُحسّنها فما حازَ في الفقه نصيباً عن أن يكون في الأصول لبيباً... وكلّ ما هو جميل فيها فاعل وكلّ ما فيها عامل، ومن يتكلّم بها يتكلّم أقلّ، ومن يتكلّم أقلّ ينصت أكثر، ومن ينصت أكثر يفهم أكثر ومن يفهم أكثر تبدأ حكمتها فيها وبها". لغة الحكمة والعمل، وترى فيها المنطق والاجتهاد، وتدعوك إلى الابتعاد عن الوسادة لتقترب منك السيّادة، وفي حكمها دعوات "من طلب العلا، عليه بهجر القرى، ومن لزم الرقاد، حرم المراد ومن أكثر النوم، سبقه القوم، ومن ترك العمل، تركه الأمل، والقمة أساسها (قُم) والحياة ليست مجرد أحلام، الحياة التّزام، واللّغة استعمال، وإذا تعارض الوضع مع الاستعمال، فلاستعمال أولى... كما أنّ اللّغة العربية بلاغة وعلمك آية، فأية لغة لا تُسقى بماء العلوم لغة في طريقها إلى الموت".

إنّها العربية الماتعة المتحكّمة في دروب التّخيّر اللّغويّ، وفي بناء المقول دون حروف الإجمام، وخَطَبَ الفقيه اللّغويّ يقول "الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود، مصوّر كلّ مولود، مأل كلّ مطرود، ساطع المهاد وموطد الأوطاد، ومرسل الأمطار، ومُسَهِّل الأوطار، وعالم الأسرار ومُدركها، ومُدَمِّر الأملاك ومُهْلِكها ومُكَوِّر الدّهور ومُكَرِّرها، ومُورِد الأمور ومَصْدَرها، عمّ سماحها، وكلّ ركأمها، وهمل وطاوع السّؤال والأمل أوسع الرّمل، وأرمل أحمد حمدًا ممدودًا، وأوحده كما وحده الأواه، وهو الله لا إله إلّا لله للأمم سواه، ولا صانع لما عدله وسواه، أرسل محمّدًا علماً للإسلام، وإماماً للحكّام". هي روعة اللّغة العربية التي أجدني أُنحِيز لها، وهي مفاضلة داخلية للنّمودج الأرقى، وهو ما توفّر في العربية بما لها من منطق اللّغات: أصوات وجمال ورهافة وقبول وعلة وسبب وغط وشذوذ وضرورات ورفض واستثناء... لغة بكثرة المفردات والمُشترك اللفظي والترادف... لغة بعدد كلماتها 12302219 و16800 جذر، وهي لغة الفيضان الأدبيّ والعلميّ بفائدة قراءة ماضيها في حاضرها. لغة عظيمة عَظَمَ صمودها أحد وعشرين (21) قرناً وهي تُصارع البقاء؛ فبقيت رغم المضايقات، وتطوّرت رغم الإكراهات. لغة الخشونة والليونة، ولولا الخشونة ما مشّت قدم على أرض، ولولا النّعومة ما دار كوكب حول الشّمس، ومن لا نت كلماته، وجبت محبته، ومن تفردّ بالعلم لم توحّشه خلوة ومن تسلى بالكتب لم تفتّه سلوة، ومن آنته قراءة القرآن لم توحّشه مفارقة الإخوان.

إنّها العربية السّاحرة، لغة من نِعِم الله أن جعلنا نتواصل بها وفيها، وما أجمل من نعمة! ويروي الكاتب الدّاغستاني (رسول حمزاتوف) في كتابه (داغستان بلدي) أنّه طاف بلاده كلّها يبحث في الثّقافة الشعبيّة عن أشدّ الدّعوات على الأبناء وغيرهم بين السيّدات، حتى وصله صوت عجوز تدعو على جارتها "حرم الله أبناءك من يكلّمهم لغتهم". دعوة قاتلة، ونحن نشهد تراجعاً وانحساراً في لغتنا السّاحرة؛ حيث أنجزنا التّعليم ولم ننجز فعل الثّقافة، أخرجنا شباباً يعيشون فينا وليسوا منّا ثقافاً؛ لا يستشهدون إلّا بما هو غربيّ النّزعة، فرنسيّ الهوى

إفرنجي المنشأ، كما لم نضع للقيم ثقافتها ولا نسيجاً يجمعها، ولا نزال في البكاء على فقدان غرناطة، ولم نبث عن عودة صلاح الدين، وإتنا في انتظار الرجل الرشيد وقد يأتي أو لا يأتي. وأن ماضينا الممدق بأجدادنا العمالقة وقد أخذوا الدنيا عدلاً وغلاباً، فصار لهم المجد في شعرهم الجاهلي الذي بورتت تعليقاته على أستار الكعبة ولم تنزله الغزوات ولا الحروب، وأنزله القرآن بإعجازه. والآن الآن ضاع الفتى العربي، فأصبح غريب الوجه واليد واللسان، ضاع المجد، وبقيت الكلمات، غاب الصوت المذبوح في إشيلية، كما غاب الكبد الدامي في بغداد، أو يعود المتنبّي يوماً ليقول:

على قدرِ أهلِ العزم تأتي العزائم * وعلى قدر الكرام تأتي المكارم
وما الدهر إلا من رواة قصائدي * إذا قلت شعراً أصبح الدهر مُنشداً
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي * وأسمعت كلماتي من به صم
الخليل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وإن يصعب على لساني أو قلبي أن أصف هذه اللغة العالية، لغة لها الجلال والألق، لغة ذات هبة وميزة وكمال، ولكن في نفسي أشياء من عربيّة المتنبّي التي سلّمت له مقادها، ولانت له عريكها، فأبدع في شعرها. ورأيت الاتساق فيها من خلال اكتمال بنائها، واتساق تراكيبيها، وانتظام ألفاظها، فجاءت أساليبها مكتملة الصنعة، متسقة البناء، منضبطة في غير اقتصاد، ولها ثراء من غير اضطراب، وكلّ ما قاله المتنبّي شعراً ما زلنا نستخدمه منذ أكثر من ألف سنة، وستظلّ حكمه ومقولاته شاهدة على مرّ الأزمان وعلى إغواء العربيّة لأهلها، وإبداع حضارتها، ذلك ما أعطى لها مساحة وقدرة تنافسية للمستشرقين وللمستعربين على الإغواء القديم والحديث، وأصبحت حيّة في الاستعمال عند الفطريين وغير الفطريين.

ونجد مجموعة كبيرة من معلّمي العربيّة، يقومون بتأسيس مدرسة (فتيان اللغات عام 1669م من قبل الوزير الفرنسي (كولبير) كما صارت تُدرّس في معهد (كوليج دو فرانس/Collège de France) منذ تأسيسه 1530م. ويتعمّق الإغراء والإغواء في بلاد الجنّ والملائكة؛ بتأسيس المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقيّة/ENALCO سنة 1790م، ومعهد العالم العربيّ سنة 1980م، الذي يعمل على التعريف بالثقافة العربيّة للفرنسيين؛ ومعهد (مونتايل/Montaille) للعربيّة.

ونجد علماء لسانين أبدعوا في البحث في الثقافة العربيّة، وهي ثقافة شرقيّة جاذبة على غرار: جان پروفو/Jean Provost، صاحب كتاب Nos ancêtres les Arabes ; ce que notre langue leur doit والباحث Jack Lang في كتابه La Langue Arabe trésor de France كبار العلماء الفرنسيين العارفين بالعربيّة والمنتجين للأبحاث عن العربيّة سجّلوا بصماتهم تجيداً لإغواء العربيّة...

هو مجد القواميس والموسوعات سجّله أنطوان فورتير/Antoine Fourrière والعربيّة لغة ثانية، وتعلو وكأني أرى التاريخ يعيد نفسه في مدينة بواتيه/Poitiers وفيها جرت معركة (بلاط الشهداء) عام 114 هـ/732م بين جيش عبد الرحمن الغافقي، وجيش الفرنجة بقيادة شارل مارتل/Charles Martel جدّ الملك

شارلمان/Charlemagne، وما نالته في فرنسا كان بسبب غواتها المستشرقين: لويس ماسينيون/ Louis Massignon + أنطوان غالان/ Antoine Galland (مترجم ألف ليلة وليلة) + چاك سوفاج/ Jacques Sauvage + أنطوان إسحاق سلفستر دو ساسي/ Antoine-Isaac Silvestre de Sacy + ريجيس بلاشير/ Régis Blachère + أندري ميكل/ André Miquel + Samuel Bochart + Henri ... Jean Langles+ Josef Marcel +Etienne Quatèmère+Boulainvilliers+ Louis Mathieu وأُتخيل دخول العثمانيين قيينا عاصمة النمسا/ Autriche عام 1638م، وأرى قصر الحمراء يعود من جديد والأندلس من غير المفقود عندما أقرأ إبداعات (فيكتور هيغو/ Victor Hugo) حيث يقول "قصر الحمراء لم يُشيد به بشر، وإنما شيدته الملائكة..." وينشد "آيتها الحمراء، أيها القصر الذي زينتك الملائكة، آيتها القلعة ذات الشرف المزخرفة بنقوش كالزهور والأغصان المائلة إلى الانهدام، حينما تتعكس أشعة القمر الفضية على جداولك من خلال قناطرِكَ العربية يُسمع لك في الليل صوتٌ يُسحر الأبواب". هو مجد الأجداد، وكان العطاء من جنس العمل، فالتجديد ضروريٌ دون مسحٍ لتراثنا، ولا بنحسٍ لأهله، فلا وجودٌ للتراث ولا تقديس. ولكن أن نتوضّح الغايات، وتميّز المقاصد، وتُعرف الأولويات والموازنات، وتجرّد النفوس عن النوازع، وتتماز الحقائق عمّا لا يسها دهوراً.

العربية اللغة السّاحرة في الوقت الحاضر رغم ما تشهده من لدغات القريب قبل الغريب، ولا عليك فالحشرات دائماً تُهاجم المصاييح المضئية، ولكن ما هو نذير شؤم انهيار مُستوى المتعلمين والإعلاميين واحذروا أنصاف المتعلمين الذين لا يدورون في فلك العلماء الأفاضل، وهم يوصوننا: إنّ أركان المعرفة تقوم على كُتب الصحاح وأستاذٍ فتّاح، وعقلٍ رجّاح، وطلبٍ وإلحاح، ولقاء الفضلاء، وجِلّة العلماء. وينصحون ببيت معروف:

أول واجب على من كُلفا * أن يعرف الله ويعرف (قفا)

واحذروا من دعاة من لا ضمير لهم، ومن كل مُستهزئ وفي فكره خرب، فلا فائدة منهم، وهم أسفار على يسار الأرقام، ولا يزيد التصحّر العليّ؛ وبخاصّة التصحّر اللغويّ، ولا يزيد العيش مع الأغبياء، وخوف أن ينسحب العلماء، ويُصاب العباقر بالجنون، وتبقى الحياة مليئة بالمغفلين السّعداء. اللغة السّاحرة في ضميرنا وفي ثورة الأخلاق في لغتنا التي نريد العودة بها إلى مسار علم الأدب الذي قال عنه (ابن خلدون) في الفصل الخامس والأربعين عند حديثه عن علوم اللسان العربي "... هذا العلم لا موضوع له؛ ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها... وأصول هذا العلم أربعة دواوين؛ وهي: أدب الكاتب لابن قتيبة، وكُتاب الكامل للهبرّد، وكُتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكُتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها وأن من قرأها وتعلّم منها، اكتسب حرفة هذا العلم، وتمكّن منه". هي حرفة الأدب وحرفة التنافس في أدب الكاتب؛ ليعود ما يقرب حجة الإسلام؛ الإمام أبو حامد الغزالي، وملك العلماء؛ علاء الدين الكاساني الفقيه الحنفي صاحب (بدائع الصنائع) وحافظ المشرق، أحمد بن ثابت الشّهير بالخطيب البغدادي، وحافظ المغرب

ابن عبد البر القرطبي، وجار الله الزمخشري، صاحب الكشف... ولا نريد أن يذهب العلماء ويغيب العلم والوعي؛ بغياب القناعات، ومع ذلك لا نستسلم للغباء ولا بدّ من سدّ الثغور، والاهتمام بما هو أكبر وأولى. ونختم بالتفاؤل على أية حال Any Way كما قال الباحث الأمريكي (كينت كيث) علينا رفع سقف المعرفة، وكلّما ارتفعت نقص الغرور، ونفعل الواجب مهما حصلت الانتقادات، لأنّ الصّدق والصّراحة يجعلانك عرضة للانتقاد، وكلّما ارتقى أسلوبُ تعاملك مع الآخرين، ارتقت وعلت شخصيتك، وأنّ الأمواج الهادئة لا تصنع بحّارة جيّدين، والسّماء الصّافية لا تصنع طيّارين ماهرين، والحياة بدون صعوبات لا تصنع أشخاصاً أقوياء، وبعض المنعطفات القاسيات إجبارية لمواصلة الطّريق. وكما يقول شعرنا العربي:

ما دامت الشّمس تأتي بعد ظلمتنا	✽✽	فليعلم النّاس أنّ القادِم أفضلُ
فالغصن يُنبِت غصناً حين تقطعه	✽✽	والليل يُنجب صبحاً حين يكتملُ
ستمطر الأرض يوماً رغم شحّتها	✽✽	ومن بطون المآسي يولد الأملُ

اللغة العربية: الحضارة والمجد والأمل

- الديباجة: تنالني السعادة وأنا أنجز هذا الموضوع، وأتحدث عن زمن الانتشار والامتداد والمجد، زمن الحضارة العربية الذي كان قمة في الإبداع والإنتاج، زمن سادت فيه لغة كبيرة عظيمة شريفة تاريخية، لغة صمدت ولا تزال، وبقيت شامخة تردّ الكيد بالإبداع، وتزداد انتشاراً وهي مرفوعة الهامة تتمدد، ويتواصل فيها الماضي والحاضر، وتحكي قصة الحضارة القديمة دون تبرم، وتقول لهذا الجيل "أنا اللغة العربية؛ عليكم الافتخار بمجد أجدادكم وحضارة آبائكم العرب وآثارهم في تاريخ الحضارة الإنسانية، وبخاصة أثرهم في العلوم القديمة/التنظيرية، وأخرجوا من مُبْطَاط الكلام الذي لا قاعدة له، وتقولون: أنتم تعيشون في الماضي، أنتم تتعلقون بالأطلال، اعملوا للمستقبل بدلاً من تكرار قصص التاريخ، بل قد يتجاوز الأمر إلى التندر بماضي أجدادكم، وأحياناً يصل إلى حدّ الرّفْض لحقائق التاريخ، والتّكرّر لمنجزات العلماء العرب والمُسلمين، والانتقاص من أثر الحضارة الإسلامية، بل ورميها بأوصاف الجهل والتخلف". هو الكلام العلمي الزّيه الذي نكرّره لكم أيّها الطلبة، اشمخوا بلغتكم وحضارتها ومجدها، وأخرجوا من نكران الذات، وعليكم إحداث التّسابق إلى اقتناء مخطوطات أجدادكم؛ وسوف ترون جواهر وتُحفاً وكنوزاً في الإبداع والأصالة العربية الإسلامية، وحقّقوها جيّداً؛ وسوف تُفندون الأقوال المُثبّطة التي هي سراب بقية من القول الكذب الذي تدحضه الحقائق، وهذا في ظلّ غياب الاطلاع على صفحات تاريخكم التي تؤكّد أنّ حضارة الشرق الإسلاميّ كانت سيدة الدّنيا وعواصمها جواهر الأرض، واللغة العربية كانت لغة العلم في العالم، ولو لم يكن ذلك كذلك لما كان أجدادنا قادة الدّنيا، وصنّاع المجد، وسادة العلوم، ومُبدعي الحضارة.

1- الشّموخ العربيّ الإسلاميّ: لم يحصل إلّا في الحضارة الشّرقية، وعمادها لغة الضّاد، وكان ذلك قائماً في إمبراطورية عربيّة بحجم ثلاثة أضعاف الإمبراطورية الرّومانيّة، وامتدّ نفوذها من قارتي: آسيا وأفريقيا، وفي أجزاء من أوروبا لعدّة قرون، وشهدت أكبر نهضة علميّة في العلوم والفنون والآداب والعمارة والنظريات وكانت مرجعيّة في التّباهي بشموخها العلمي وقوميّتها الشّرقية، كما قال الشاعر الإسباني (فرنسيسكو فيلاسباسا) "إنّ قوميتنا الغربيّة هي العرض الظّاهر، أما القوميّة الشّرقية فهي حقيقتنا الخالدة وما كانت عامّة ثوراتنا الأدبيّة القديمة والحديثة في الغالب غير أثر الرّوح العربيّ الذي أخذ من سويداء قلوبنا". إنّ شموخ حضارتنا لجذوة الإبداع والابتكار من كبار العلماء غير العرب الذين أعلوا من حصانتها، وجعلوها تُبدع في الصّنائع والمخترعات؛ فهذا: الكندي + جابر بن حيان + ابن الهيثم + الخوارزمي + ابن الشّاطر + ابن سينا + الرّازي + البيروني + الفارابي + الإدريسي... وقد قال (ابن خلدون في هذا المجال "... فصارت هذه العلوم كلّها علومًا ذات ملكات محتاجة إلى التّعليم فاندرجت في جملة الصّنائع، وقد كُنّا قدّمنا أنّ الصّنائع من منتحل الحضرة، وأنّ العرب أبعد النّاس عنها، فصارت العلوم لذلك حضريّة وبعُدَ عنها العرب وعن سوقها. والحضر لذلك العهد هم العجم أو من هم في معانهم من الموالى وأهل الحواضر الذين هم يومئذ تبع للعجم في الحضارة وأحوالها من الصّنائع والحرف لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الرّاسخة؛ فيهم منذ دولة الفرس؛ فكان

صاحب صناعة النحوي سيبويه والفارسي من بعده، والزجاج من بعدهما، وكلهم عجم في أنسابهم، وإنما ربوا في اللسان العربي... واستقرّ العلم كلّ صناعة، فاختصّت بالعجم وتركها العرب، وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها إلاّ المعربون من العجم شأن الصنائع كما قلناه أولاً، فلم يزل ذلك في الأمصار ما دامت الحضارة في العجم وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر، فلما خربت تلك الأمصار وذهبت منها الحضارة التي هي سرّ الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من البداوة". إنهم بالعربية اللغة الثانية أبدعوا في صنائعهم وحرفهم، وهي العربية البدوية السليقية الأولى التي نالت مواقع في اهتماماتهم وتنافسوا فيها وبها، ومن خلالها نقلوا علومها في العصور الوسطى إلى اللغات الأجنبية. هي عربية المجد في اللغات السامية بأساسياتها الشرقية والجنوبية، وانتشرت جنوباً وشمالاً، وانطلقت مع الإسلام إلى شتى بقاع العالم لتتقل الحضارة والعلوم، مع ما عرفته من تطورات عبر الأجيال والأزمنة، ومن وراء ذلك سجلت أثراً في التطور الحضاري والمعرفي.

2- العربية الحضارة والمجد: إن اللغة هي الجسر الذي تعبره أية حضارة تريد التطور والبقاء، وكل الحضارات البائدة التي تركت الأثر كانت تستند إلى اللغة، وأعظم حضارة هي الحضارة الشرقية بعماد الإسلام؛ وبالعربية لغة العبقريّة والإبداع، وهي من أصول سامية نشأت في شبه الجزيرة العربية، ومن ثمّ نالت الانتشار بتوسّع الإسلام، وكانت مصاحبة له بصيغة الفقهاء "ما لا يفهم به الواجب فهمًا دقيقًا فهو واجب" وقد أصبحت وثيقة الصلة بالقرآن، وهي حامله ومتمنه، بل هي رمز الهوية العربية الإسلامية، ومركز العقيدة؛ لأنّ الله اختارها لسان/ لغة كلمه، فهي مركز العقيدة الإسلامية، فمن خلال فهم اللغة العربية تمّ فهم وتفسير كلام الله ورسوله "وأصبح علم تفسير القرآن علماً حقيقياً يسعى كلّ من العلماء المسلمين والمثقفين والمفسرين للقرآن تفسيراً صحيحاً يمكن فهم الدين الإسلامي بصورة صحيحة" إنها العربية لغة الحضارة والمجد، وهي في الماضي نالت المقام العلي، وهي في الحاضر واحدة من اللغات الأممية، ومنظمة التعاون الإسلامي، والاتحاد الأفريقي، ولغة FIFA. لغة تركت بصمتها بحروفها في أكثر من مئة (100) لغة تكتب بحروفها، لغة الكثير من الثقافات، لغة جزيرة إيبيريا لثمانية (8) قرون، لغة قيادة للغات الشرقية والتي ساعدتها للوصول إلى مستوى عالٍ من التطور في الماضي والحاضر. لغة المجلدات ودوائر المعارف والموسوعات الكبرى: مفاتيح العلوم + مباحج الفكر ومناهج العبر + نهاية الأرب في فنون الأدب + خزانة الأدب + مسالك الأبصار في ممالك الأمصار + صبح الأعشى في صناعة الإنشا + موسوعة الرازي + كتاب المنصوري + الموسوعة العربية + الموسوعة العربية الميسرة + موسوعة أعلام العرب والمسلمين + المعجم التاريخي للغة العربية... دون الحديث عن الموسوعات الحديثة الإلكترونية على غرار: موسوعة ويكيبيديا + موسوعة ويكيمايا + الموسوعة الإسلامية + المكتبة الرقمية للشرق الأوسط + موسوعة المعرفة + المكتبة الشاملة + المعاجم الرقمية التي لا يمكن عدّها، وما يتوفّر من بنوك المصطلحات والمعاجم في كلّ المكتبات. إنها لغة المجد بما لها من المؤهلات التي جعلتها تستحقّ رتبة خامسة في لغات

الأمم المتحدّدة، وفي وكالاتها العالميّة، ورتبتها الحضرة القويّة في عدد ناطقها الفعليّين يتناسلون، وناطقها عبادة في كلّ يوم يزدادون.

3- نَفَرُ الأَجْدَادِ اسْتِمْرَارِيَّةٌ مُتَجَدِّدَةٌ: نتذكّر هذا الماضي العريق ليكون لنا عبرة بأنّ الجيل المُؤسّس كانت بصماته قويّة نشمخ بها ونفتخر، وبخاصّة عندما تكون لنا فيه إضافة إبداع، ولا يعني الوقوف عند صنّاع المجد فلهم بعض الهزائم والنكبات، وما كان علينا التّباكي على الماضي الجميل، بقدر ما نقول إنّ الحاضر مرحلة العبرِ وعلينا الاستيقاظ والاستعداد لمرحلة مُتجدّدة، مرحلة الرّقيّ بلغتنا وحضارتنا، والاعتبار في كلّ مرّة من نَفَرِ الأَجْدَادِ الذين بنوا لنا القواعد لحضارة عربيّة إسلاميّة؛ ذات أبعاد معرفيّة، وتميّز في الأداء، والانفتاح على كلّ الحضارات والثقافات والبيئات... هي العبرة والاقتداء، ولم يكن ذلك ليحصل للأجداد لو لم يتحكّموا في هويّتهم الإسلاميّة، والعمل على خدمة تراثهم، وصيانتهم ونقله للأجيال بمناهج علميّة كانت قاعدة النهوض لغيرهم. هو نَفَرُ الأَجْدَادِ في الزّمن الجميل الذي كان زَمَنُ الكبار: صلاح الدّين الأيوبي+ سليمان القانوني+ يوسف بن تاشفين+ الأمير عبد القادر+ ابن باديس+ شكيب أرسلان+ محمّد عبده... وكان زمن البناء، وتقويّة الصّفوف، ومفتاح النهضة، وظهور النّوابغ والعلماء. ومع ما مرّت بهم من ويلات وأيام عصيبة كانت الهمة عاليّة والغيرة مانعة، وبقي التّفاؤل والأمل في تأسيس العصر الذهبي للإسلام. وكان ذلك كذلك بمُعطيات تاريخيّة وعلميّة أسهمت في حقول الفنّ والزّراعة والأدب والاقتصاد والملاحة والتّجارة والهندسة والكيمياء والفلك والطّب... وقام النظام السّياسي والإداريّ والخلافة والوزارة والإمارة والدّواوين والشرطة والحسبة والقضاء والجيش والأسطول... وكان لهم السّبق في التّرجمة والعمارة، وبناء المشافي وفي مجالات التّمدّن وصناعة السّفن، وترسيم طرق التّجارة، وانتقال العلماء بين الحواضر العلميّة، وبحرية الفكر في الدّين والدّنيا. وإنّه الزّمن الجميل؛ زمن ابن رشد ومجد بغداد ودمشق والفسطاط وتلّسان وبجاية، وكان العالم الإسلاميّ بلا حدود. بلاد امتدّ شرقاً وغرباً جنوباً وشمالاً عبر كلّ القارات، وكلّها تنطق بالعربيّة والإسلام. إنّه زمن تأليف الكتب والتّباهي في تأسيس المكتبات والجامعات، وبيوت الحكمة ومراصد الأفلاك، ورسم الخرائط. والبحث في الجيولوجيّة وعلم الزّلازل. إنّه زمن النهضة العلميّة التي كانت من إسبانيّة عبر أوروبا الغربيّة والشرقيّة بقيادة العرب من صقلية وإشبيلية وقرطبة وطليطلة ومجريط... وصولاً إلى النّمس وألبانيا وسراييفو والقوقاز... والكلام يطول في الزّمن الجميل بما له من إبداع في الأخلاق والصّناعة والهندسة والطّب والفلاحة والخدمات والملاحة وهندسة المباني والطّيران وصناعة السّاعات وأدوات الجراحة وخليط التّقطير وعلاج الأملاح... بالفعل كان ذلك من الماضي للاعتبار، كيف كان أجدادنا كباراً، فهل نعتبر ونستعيد الزّمن الجميل.

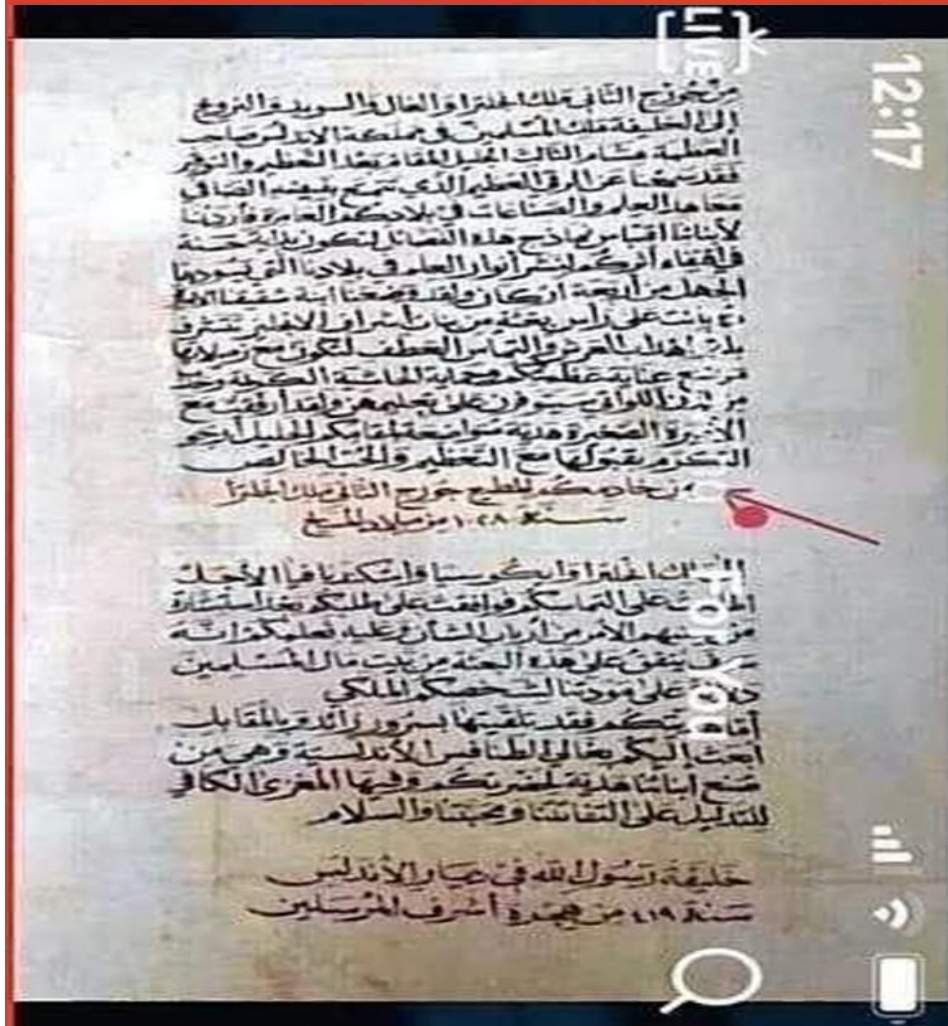
4- الماضي المُعدّق، يعكسه الحاضر المُقلق: ومع الأسف أنّ هذه الحضارة والمجد الذي حقّقته العربيّة في ظلّ السّلف الصّالح، لا يعكسه الحاضر المُقلق، ونرى الوضع مُزريّاً مُترديّاً في مقاماتها التّربويّة والاستعمال الهزيل؛ أضف إلى فقرها العلميّ في العلوم وفي صناعة النّشر، وغياها في صناعة المحتوى الرّقمي، وثقافتها شبه

منعدمة... عديمات وضعف وقلة وهزال... يجعلنا نندب حظنا في لغة هي مصيرنا، ولكن هي الماضي والحاضر والمستقبل الذي كان علينا أن نستفيد من أخطائنا، ونسد فراغات نقائصها ونشد على أفكارنا لتغيير الوضع المزري، ولا نياس أبداً، ولا يدفعنا هذا إلى الاستسلام أو الهجران، بل "اشتدي أزمة تنفرجي" وهو أمر يستحق الإشادة به، أزمة امتحان نفخر بالعمل على رفع التحدي مراعاة لمقامها، وهي كنز ومكنز علينا أن نعمل على التماس أسباب الرفع من سويتها إجلالاً للغتنا العربية! إن العربية لسان العالمين، وهي مستودع شعوري هائل يحمل خصائص الأمة وعقيدتها وتاريخها، هي عربية التجلي في معانيها، وفي أجراس ألفاظها ونبراتها وكلياتها وسحرها وبلاغتها، وما يعجز اللسان عن وصف محاسنها. هي عربية القرآن الماتعة ببيانها وخصب معانيها وطرائف موضوعاتها، بما قصه القرآن من قصص الأنبياء والحكمة والتدبر والاستبصار وإعمال النظر وحسن الدراية والاعتبار بلغة عربية متينة معجزة كان لها التأثير في اللغات الأخرى التي هجرت طواعية بقوة المعرفة والبلاغة العربية العالية. هي الحضانة اللغوية من تلك الحضارة التي عملت على تطوير المجتمع العربي ونقله من البداوة إلى التمدن، ومن الأمية إلى القراءة، ومن التفرق إلى الوحدة لبناء مجتمع عربي تسوده الأخلاق والطبائع الجديدة، وعماد كل ذلك علم العربية من التفسير إلى الفقه الديني، وفقه اللغة. وهل نستفيد -نحن الخلف- من فعل السلف في أنهم بنوا لنا المجد في المعرفة من خلال جزيرتهم التي انفتحوا عبرها إلى الميادين عبر فارس، وإلى مصر الأقباط، وشام الروم، وإلى آسيا الخليط، وأفريقيا الأمازيغ، والأندلس اللاتين... هي جسور التواصل والبحث في علوم الآخرين والاستفادة منهم، وإلى إعفاء المساجين من السجون إذا درس عشرة أطفال. والحالة هذه كوّنت دواوين، وأبدعت شعراء، وأوجدت كتاباً وديلو ماسيين ومسيّري ممالك ودول عربية بالعربية العلمية، دون هضم لحقوق اللغات المحلية التي كانت تُقضى بها المصالح المرسلة بكل عفوية، ولكنها ما كانت تعلو على العربية الرسمية. إنه الحاضر المقلق الذي تعمل بعض الكتب التحريضية الحديثة على التنصل من حضارتنا ومجدنا ولغتنا العلمية، وتلك الأقوال التي نسمعها من انقراض العربية، وقلة حيلتها التقنية بما ليس في جيناتها من تطور... إنه تنفير وتئيس من مثبتي العزائم يبتئون أفكاراً خطيرة في الشباب، ويزرعون مخاطر لهجران لغتهم نحو الضفة الغربية التي تحي آثارهم. أخطار يراها ويسمعها أهل الحل والعقد من المجمعين وهم في أبراجهم ينسجون لغة قديمة لا يستسيغها الشباب، وهم بعيدون عن الواقع، ويفرضون على المستعمل لغة بالية بحكم "هذا ليس من كلام العرب" وهنا الخطر كل الخطر من عربية الحاضر وهي تنحصر، وتعيش قلاقل الواقع، ونحن نشهد ذلك دون تدخل عاجل لوقف نزيف الانحدار الشاقولي في المنظومات العربية التربوية والتعليمية، ونشهد نشر السوء والزيّف في سوء التبليغ. بالفعل إنه حاضر مقلق ونسمع ممثلينا في الهيئات الأمية يتحدثون بغير العربية؛ متباهين كأنهم أعادوا لنا الأندلس المفقود، ونرى الأجانب يتحدثون في رحاب الأمم المتحدة باللغة العربية الفصيحة ويتباهون بها، ولا يتنكرون لها وهم يقرؤون تاريخ أجدادهم كيف كانوا يطلبون ودّ العرب أن يرسلوا أولادهم في بعثات ليتعلّموا العربية في بلاد العرب. وإن هذه الوثيقة شاهدة عيان على ذلك.

رسالة عمرها 991 سنة من ملك إنجلترا
إلى خليفة المسلمين في الأندلس هشام
الثالث، يطلب فيها السماح لبناته بإكمال
دراستهن بالجامعات الأندلسية .
لاحظ قوة وعظمة المسلمين:
الخطاب مكتوب بالعربية
الخاتمة: من خادمكم المطيع
ملك إنجلترا



1541



والآن إنه الحاضر المقلق الذي لا يعكس الماضي المُدقّق، عصر بحاضرٍ صعبٍ يحتاج تضافر جهودنا لصدّ كلّ الأخطار، ورفع القلاقل من أجل مُستقبل لغتنا العلميّة وهي تشمُخ في كلّ مكان، ويُحدّث بها بافتخار ويُترجم منها وإليها باقتدار، وأن تكون لغة التّعليم العالي والبحث العلميّ، ولغة المخابر والمدارس العليا بامتنان ذلك هو المطلوب منّا -نحن النّخبة- أن نكون في مُستوى خدمة تثبيت العربيّة في الدّاخل وفي الخارج ونُخرج من التّواكل إلى التّوكّل المقرون بالعمل، فالأشياء تُتغيّر وتُتأثّر بمتغيّرات حياتية عديدة. ويمكن لنا أن نُحلّ مشاكلنا الحياتيّة وفق القياس على ما قام به السّلف الصّالح لنكون الخلف الصّالح، ولا يعني هذا انتكاس وهروب من الواقع والالتجاء إلى الماضي، بل هو استلھام أفكار من صناعة نجاح الكبار وهي للاعتبار في أن

الماضي لا يتكرر، ولكنه يتجدد وفق مُعطيات الحاضر، وكل شيء مُمكن إذا شُدَّتِ العزيمة وُرفِعَ التَّهميشُ ومُكُنَّتِ العربية في الدَّوَالِب، وانتصر البحثُ لها، وحصل تقديم نقد الذات لبناء الحاضر من مَكَمْنِ أزمَةِ العقل العربي، الذي نريد أن يلامس الواقع، ويجنح إلى الملموس، ويتخلَّى عن الخيال؛ كي يحقق التَّغيير والمطلوب.

- الخاتمة: وتشمخُ العربية بدعوة هذا الجيل للخروج من (نواقض الضوء) الذي عشناه نحن؛ وكان ذلك مرحلة تأسيسية لا بدَّ منها، بما كان لذلك من أثر في المحيط العام، وسرنا على ذلك المنوال، والآن عليكم السير ضمن خريطة الأمل والتفاؤل في منهج جديد، وفي فلك (مدرسة الفكر) بالاهتمام بالعلوم الإنسانية إلى جانب الرقي بالحراك الاجتماعي والهندسة الفلاحية والوراثية والهندسة اللغوية والاستشعار عن بُعد وجعل المحيط يستثمر في كلِّ الناس بحسب الأرضية المعرفية لكلِّ عضو من المجتمع، ويغرس كلَّ واحد منّا الأمل في صناعة غد أفضل، ولا يكون ذلك مُحققاً إلا بتحمُّل أعباء تغيير الواقع المزري، وجعله يضيء بالنقاط الإيجابية لفهم كلِّ الحراك الثقافي والعلمي، ولا نريدكم ماضويين في أفكاركم وأعمالكم، كما لا نريدكم تبرير فشلكم بالعودة إلى الماضي إلا من باب الاعتبار، مع أننا نريدكم الالتجاء إلى تراث الأجداد المُعَدِّق؛ لفهمه وتحليله والاعتراف من علمه، ولا تبقوا سجينين له؛ بقدر ما تعملوا على تحيينه وفق آليات عصركم ومُتطلَّبات واقعكم الذي يستدعي منكم الإغماس في الذكاء الاصطناعي. إنه مصيرنا ومصيركم جميعاً وهو الذي يعمل على وجودنا في خريطة العالم، هو قسيمنا؛ وبخاصة نحن العرب، ذلك ما يُحصِّننا ويجعلنا نقف الدَّ في هذا التَّغَوُّل اللُّغوي الذي لا يُقرُّ إلا بقوة اللغة العربية الفصيحة استعمالاً وعلماً وإبداعاً. ومن هنا نحن أمام مُعضلة كسر الخوف من أن العربية ليست لغة العلم، ولا يمكن أن تكون، وعلينا البرهنة على صناعة إغماس العربية في البحث العلمي بمُتطلَّبات التَّقانة الحديثة في الفضاء المُفتوح على عالم التشبيك، وجعل الفكر العربي يُواجه الواقع المُقلق بإنتاج حلول في النهوض الجديد القائم على الأصالة والحداثة. وهذا فقط ما يُقيم لنا مُساهمة فاعلية في مواكبة التَّطورات الحالية. وتقتضي المُعطيات الحالية إغماس الشَّباب في تعلُّم جيد للغتهم، وجعلهم يشعرون بأهمية الحفاظ على لغتهم الأم من أجل جعلها أكثر علماً وثراءً وتنوعاً، وهذه حكمة الأمم الراقية "... لطالما كان مُستقبل الأمم مُرتبطاً بمدى الحفاظ على لغاتها، فلا يمكن لأمة أن تستمر في الوجود إذا تخلَّت عن لغتها لأنَّ ازدهار الأمم وتطورها الحضاري والفكري والثقافي مُرتبط ارتباطاً عضوياً بنو لغتها وصونها، وإسهامها في إثراء العلوم والمعرفة والثقافة العالمية".

تكمّل العلوم

- الدّيباجة: إنّ المعرفة في أصلها مَلُوسَة وأحادية التفكير في بدايتها مَهْمَا كانت أهدافها القريبة/البعيدة وتتنامي في ذاتها لتأخذ مجاري إضافية، ومن ثمّ تأخذ أبعاداً تخصّصية، ويحدث من وراء ذلك القطيعة بين مجالات المعرفة في ذاتها من خلال تضيق الواسع في مُخرجات التّقسيم للتّخصّصات حسب المنهجيات والمعايير التي تدعو لها المعرفة المعاصرة الدّقيقة، بدل الموسوعية في صيغتها القديمة التّكاملية؛ حيث ورثنا تكاملاً وتقارباً في المحتوى؛ لأنّ كلّ العلوم ينبنى بعضها على بعض، ويترتب بعضها على بعض ويحسن بالمعلم حين يشرح علماً فيستدعي بعض المباحث من العلوم الأخرى التي تتعلّق بها تعلقاً أصيلاً دون استطراد مُخل، فإنّ هذا من باب مُدرسة العلم من كلّ جوانبه، وفي ذات الوقت هو تكامل العلوم وأنها كالوحدة الواحدة.

إنه منطق العلم الجامع بين فرضيات التّصور التي تراها العلوم الإنسانية، وليست بالضرورة أن تكون مُتناقضة في ذاتها أو مع العلوم الطّبيعية المضبوطة، وحتى هذه الأخيرة ما هي إلّا علوم تقرّيبية، فالفيزياء تجريبيّة، والرياضيات كذلك، وفي ذاتها تنطبق على الطّبيعة، وتجب عن أسئلة الإنسان في نظام اقتضاه المنطق الذي يميّز بين الأشياء على نحو عقلي/ماديّ في سلسلة ترابيّة تقتضيها الفلسفة (أمّ العلوم) التي حظيت بالمكانة الاجتماعية عند اليونانيين، ونالت رُتبة (أشرف العلوم) عند المسلمين. ولهذا، فنطق العلم هو انبثاق العلوم من التّجربة وارتباطها بالفلسفة في موضوعات من اختصاص العلوم الإنسانية والاجتماعية؛ لأنّها تؤدّي أبرز وظيفة من وظائف العلم، وهي التّفسير.

1- أهمية المعرفة: إنّ الإنسان في أصله يسعى للاكتشاف من خلال مُميزاته الخلقية، وينشد المعرفة دون هوادة، ويعمل على إشباع حواسه في اتّجاهات معرفيّة بما يعكس طموحه اللانهائي، ويبحث في إحداث التّوازن والتّكامل المعرفي، وفي تعميق التّخصّص في العلوم الإنسانية/الروحية، وفي المستويات العلية/المادية وكلّ العلوم مطلوبة إما ابتداءً أو تبعاً كما قال (ابن رشد الحفيد) "إنّ العلوم صنفان: علوم مقصودة لذاتها وعلوم مُمهّدة للإنسان في تعلّم العلوم المقصودة لنفسها". وإنّ أهمية المعرفة التي أودّ تأكيدها هي التّكامل المعرفي في كلّ مجالات المعرفة، سواء أكانت علوماً طبيعيّة أم اجتماعيّة أم إنسانيّة أم شرعيّة وكذلك تفهم في اكتمالها برؤية صحيحة في مختلف مجالاتها. وهذا ما يجعلنا تأكيد المنهج الجيد الذي سار عليه السلف بتحقيق أهمية المعرفة في سياق تكامل العلوم، فقد "... كانوا علماء مُتبحّرين في جُلّ العلوم ينهلون من كلّ بساتين المعارف وحنائق الفنون، ومشاركاتهم وتآليفهم شاهدة على ذلك ومنبئة بما هنالك". ويكفي أن نعلم بأنّ (ابن رشد) طبيبٌ وفقهٌ وفيلسوفٌ ولغويٌ وقاضٍ. وأنّ (أبا حامد الغزالي) فقيهٌ وأصوليٌ ومعلمٌ وفيلسوفٌ وطبيبٌ... وكلّ العظماء العلماء العرب والمسلمين كانوا موسوعيين شاركوا في الكتابة والتّأليف في كلّ مجالات المعرفة. ومن وراء ذلك تولّدت أهمية التّكامل المعرفي التي أدّت إلى صناعة الحضارة والنّهضة الفكرية، ولم يكن ذلك ليحصل لو كان التّفوق على مجال ما، مع أنّ التّخصّص الدّقيق في بعض العلوم لا ينفي الإنتاج والإبداع والتميّز.

ولكن حقيقة التكامل المرجو تحصيله هو "الذي لا يعترف بالحدود الوهمية للمعارف، ولا يقف عند تصنيفها تصنيفاً حاداً يمنع من الزيادة في الطلب والتحصیل بين علوم كونيّة وأخرى عقلية أو دينية وإنسانية بل الهدف هو تحقيق وحدة معرفية تكاملية تقوم على انصهار الفوارق بين الحقول المعرفية، واعتبار العلوم جميعها كتلة واحدة مطلوبة إما ابتداءً أو تبعاً". كما لا يعني أنّ صاحب الموسوعة لا يمتلك الدراية؛ فيعسر عليه بلوغ التكامل بضخامة المادة، فلا يصل اجتهداه بلوغ المطلوب. وقد يكون ذلك، ولكن لا يعني التعميم، مع أنّ التكامل لا يعني البعد عن التخصص الدقيق. والمهم أن يكون الاجتهاد ضمن جمع الأقوال والأفكار وتُسَنَّبُ الأحكام دون إقصاء حقل من حقول المعرفة.

2- أصل العلوم الموسوعية: هناك تكامل بين فروع العلم الواحد ممّا لا شكّ، رغم وجود الفروع التي تعمل على تيسير وفهم مجال من المجالات: الأصل والفرع مثل اللسان والنحو واللغة والفقه والنظرية والوسيلة+ علوم الآلات وعلوم الغايات. وفي بعض الحضارات/العلوم/المعتقدات مثل الحضارة العربية الإسلامية هناك ضابط بين الدين والعلم؛ فالدين ضابط للعمل البشري، والعلم محرك للعقل، ونجد هذا في الشريعة الإسلامية التلازم بين الأخلاق والإيمان/العلم والعمل/الموسوعة والتخصصية... وكما نجد في الأبحاث ذات العلاقة بين الدراسات المعمّقة والدراسات التكاملية المعرفية... وهذه الموسوعة في أصلها تعمل على ملاحقة العلوم في سياقها في شتى مجالات الحياة، وتفهم من خلال ما يحيط بها من صور وأشياء وعوامل وتفكير ومنهج، وكلّها تعطي كليات العلوم. وهكذا كان السلف من العلماء يدرسون العلوم بمبادئها ومناهجها وتصنيفها وأعلامها وأشهر الكتب المعتمدة فيها دون تجزئة المباحث إلى تفاصيل جزئية. فكان التوسع محبوباً، وكلّها توسّع فيها العالم زادت ملكته فيها، وأوفى بالمقصود. هو نوع من المباحث المسماة بالكليات والمقاصد، وكان علماء السلف يعتمدونها مع مريدتهم لفهم متطلبات عصرهم؛ بالجمع ودون الإهمال لعنصر من عناصر المسألة المراد الإفتاء فيها أو تبليغها بطريقة موسوعية من السهل الممتنع، ومن المنهج العلمي الملموس.

وقد تكون بعض التوضيحات من خلال العلوم المساعدة؛ بغاية تأكيد الاجتهاد في مجال آخر ليس موضوع الدّرس؛ حيث يلبس من الموسوعة الاجتهاد في امتلاك أدوات التفكير الصحيح في علوم أخرى تُقَرَّبُ العلم من خلال جمع شتات ما تفرّق، وحذف كثرة ما تكرر. وإن ترائنا الضخم -مع كلّ ما حمل من الموسوعة- فقد شابهته كثرة الأشباه والنظائر، وتخرّج الفروع على الأصول، والمقاصد والقواعد، ومصطلح الحديث والجرح والتعديل، والعلل... هي نُحْمَةُ رَأْيَا الباحثون المعاصرون في ضرورة تفريع العلوم نحو التخصص الدقيق حسب الإضافات العلمية المعاصرة، والمناهج التعليمية المعاصرة، والتّوازل والمستجدّات وفقه الفنون والآداب وفتوحات التكنولوجيا والطب والبيئة... وذلك ما كسر قاعدة الموسوعة، وفتح المجال لاستقلال العلوم عن بعضها. ولا ننكر ذلك وهو من المستجدّ الذي تعمل به كلّ اللغات، بل هو عُرِفَ مُعَاَصِر، والمهمّ فيه أن يحصل التكامل في الاستمرارية المتجدّدة، والإبقاء على الأمثلة القديمة المناسبة، فيكون الدّرس/المنهج الجديد جامعاً للقديم النافع والجديد الصّالح، وينقي المسائل القديمة مع إبقاء الصّالحة، ويضيف إليها أمثلة معاصرة

تُعبّر عن روح العصر، بلغة العصر. ويمكن أن نستعرض مجموعة من كبار صنّاع الحضارات الذين كانوا موسوعيين، حيث أفادوا العلم والعلوم والبلدان، ولا يمكن حصر هذه القائمة، بقدر ما نقول إنّنا نجد سلسلة من هؤلاء المبدعين الذين تجاوزوا حدود الاختصاص الدقيق. وتمتلى الحضارة العربيّة هؤلاء، ونشير فقط إلى: عباس بن فرناس + ابن ربن الطبري + إسحاق الرّهوي + أحمد بن الجزار + أبو بكر الرّازي + الزّهراوي + ابن الهيثم + أبو الرّيحان البروني + ابن سينا + ابن زهر + ابن طفيل + ابن باجة + ابن رشد + ابن البيطار + لسان الدّين بن الخطيب... ومن الغربيين إسحاق نيوتن + ألبرت أينشتاين + ماري كوري + جرجيس هوبر + غاليلو غاليلي + غوستاف روبرت كيرشوف + غيورغ زيمون + الأخوان رايت + الأخوان مونغولفييه + بنجامين فرانكلين + جيمس واط + توماس أديسون + بطليموس + بيرتراند راسل + جاك إيف كوستو + فيلهلم رايش + فرانسيس بيكون... هي عائلات كبيرة من مُتعدّدي الاختصاصات، ولهم شعب دقيقة، وتجد الأطباء والشّعراء وأهل الحيل والحرف وذوي الحاجات الخاصّة، وتطول القائمة في صنّاع الحضارة الإنسانيّة الذين كانوا موسوعيين تركوا بصماتهم في البحث العلمي، بما أفادوا الحضارة من بناء مقاربات على بعضها في استكمال المسار الذي لا يتوقّف في زمن ما. واستمرت الحياة في عطاء دائم بأمثال هؤلاء الذين يتناسلون في إبداعهم بما تركوه للجيل الذي يحتاج إلى مواصلة تحيين عمل السلف، والبداية في كلّ مرة من حيث وقفوا.

3- أيّهما أهمّ، العلوم الإنسانيّة أم العلوم التجريبيّة؟! لا يمكن الفصل الدقيق بين العلوم، فهي تخدم بعضها بطرائق مختلفة، رغم وجود بعض الأفكار/النّزعات النّقدية التي تنفي التّكامل أو الاستفادة من بعضها، وترى العلوم مُستقلة عن بعضها؛ وذلك ما أعطى صورة الخصوصية والإبداع الذي وصلت إليه الحضارة الغربيّة المعاصرة، مُتأسّسين الصّراعات والحروب والدمار، نظراً للاهتمام بالعلوم التجريبيّة إلى جانب إهمال العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، وظهرت فئات إلحادية ماديّة، وفئات دينيّة متعصّبة، وأدّى ذلك إلى تشابك مذهبي وحربي، وتيارات سلفية وأنظمة فاشيّة... وكلّها بسبب عدم مواصلة التّجسير بين العلوم، ومُحاربة العلوم لبعضها. والحجّة هنا حصول أزمة غياب المُفكر والفيلسوف الحركي العضوي الذي تلجأ إليه التّيارات التي تفقد مختلف الأفكار بتكامل المعارف، وضرورة فهم فقه التّبادل المعرفي ومُحاربة التّوحش الذي يلعبه الفراغ بين العلوم إذا تعاطى القطيعة. إنّ التّكامل بين العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة والعلوم التّطبيقية والخدمية هما جناحا النهضة الحضاريّة الغربيّة، ويذكرنا التاريخ بأنّ ثورة البخار في الغرب لم تحصل إلّا بالاهتمام بالعلوم الإنسانيّة، وبفضل إنتاجات الفلاسفة والمُفكرين، وماذا نقول في تلك الأعمال العاليّة لكلّ من: هيغل + إميل زولا + ديكرت + فولتير + روسو + ميكافيلي + هوبز + أفكار الموسوعيين المؤسّسين للدّستور الأمريكي + ثورة لينين وتروتسكوي وبلخانوف في روسيا + النّانوتكنولوجي في الصّين وماليزيا وتركيا... ونجد كلّ هذا التّجّاح يعود إلى الجمع/الاستثمار في العلوم الإنسانيّة التي أدّت إلى ثورة تغيير المفاهيم وأجابت عن أسئلة: الدّولة والإنسان والمُجتمع والتّخطيط وتقديم النّظريات المحينة، وعمادها حسن التّدير من رجال الآداب والعلوم الإنسانيّة.

مُشكلتنا المعاصرة أننا همّشنا العلوم الإنسانية، وغيّبنا تدريس الفلسفة، وُضِعنا في عالم الغيب بأن الآلة هي المُنفذ، والآلة منتوج العلوم فقط في نظر مَنْ لا يعمل على تخرج المُتخصصين في العلوم التجريبية بدون خلفية فكرية ومعرفية وهي الطّامة التي نراها تعمل على تصدير طلابنا للخارج بدل إفادة بلدانهم التي كوّنهم. والحلّ لا بدّ من نظرة علميّة ومقاربات جديدة في العمل على التّكامل بين العلوم التجريبية والإنسانية، وخلق التّوازن بين المصادر العقلية والحسية، وضرورة فهم عمق التّقاطعات ومُستويات التّشارك القائمة بين الفلسفة والعلوم الإنسانية، وترميم الشّرخ بين تكامل العلوم، وهي لازمة مُعاصرة تحتاج إلى رهان المعرفة في رؤية تصالحية لرأب تصدّعات الفصل بين العلوم، وخلق النّخبوية من خلال الفصل بينها. وعلى النّخبة العضوة أن تكون في مُواجهة ردّ الاعتبار للعلوم الإنسانية، وفي ذات الوقت الرّقيّ بالمعارف الدّقيقة والثّابتة التي تمّدها بها مُختلف فروع المعرفة العلميّة. هي مقاربات نريد توصيلها لمن يُهمّه الأمر بضرورة البحث في اقتراح أفكار جدية في القضايا المرتبطة بالإنسان، وإقامة مشاريع مُشتركة بمرجعيات معرفيّة بغاية الاختلاف في الأطر المرجعية لا غير. إنّها من ضرورات البحث العلمي المعاصر، ومن متطلّبات البحث عن البوصلة الجديدة التي تجعل الشّباب المُعاصر لا يعيش الفراغ في العلوم الإنسانية، وينظر لها نظرة الدّعم والبحث؛ فهي نظير الفيزياء والكيمياء والمعلومات، بل هي الجانب الرّوحي الذي ينقذ الإنسان من التّيهان واحتقار المعرفة باحتقار التّخصّص. وفي ذات الوقت علينا البحث في منطقتي التّخلّف النسبي للعلوم الإنسانية ضمن تطوير الأشياء الدّائرة حوله عن طريق البحث العلميّ؛ باعتماد التّفسير العلميّ للظواهر الإنسانية، ووضع استراتيجيات مُناسبة للأوضاع المعاصرة لمُواجهة طغيان التّقانة التي تعمل على إلغاء اليقظة الفكرية وصحوة الخروج من (النّصف إنسان) والتّبعية التّقانية، والبناء على استعمال الموجود لا البحث عن المفقود.

4- ثمرات التّكامل المعرفي: ما لا خلاف فيه أنّ التّكامل المعرفي بين العلوم له عمقٌ تاريخي وأصالةٌ زمنية فهو قديم قَدَم تلك المعارف والعلوم نفسها، فالعلم لا ينشأ بمعزل عن غيره، بل تتضافر العلوم وتتكاثر ويكمل بعضها بعضاً، حتى تشكّل مجموعها نسيجاً ثقافياً وحضارياً لشعب من الشعوب، أو للبشرية جمعاء. وإنّ التّكامل المعرفي كفيلاً بصناعة التّمودج المعرفي العلميّ والتّمودج الحضاريّ، لأنّ التّطور الإنسانيّ يقتضي توسيع البحث، وإشراك كافة العلوم المُسعفة والمُساعدة. فالخطأ أن يجتهد الفقيه بعيداً عن المعرفة بالمجتمع؛ وهذا ما علّمنا التاريخ الإسلاميّ من خلال صانعيه الذين حرصوا على التّكامل بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية في تأسيس بيت الحكمة أيام (المأمون) والعمل على ترجمة التّراث اليوناني والعلوم العقلية، وإعادة التّجانس بين العلوم الكونية والعقلية، وكان ذلك من مُستلزمات "خدمة المعارف بعضها لبعض، وانصهارها في قالب واحد يروم خدمة الإنسان وبناء العمران، وهو ما يجعل الخروج من نفق التّخصّصات العلميّة إلى رحابة التّكامل المعرفي أمراً ضرورياً للنّهضة العلميّة والحضاريّة". وبالفعل هذا ما نحتاجه الآن لبناء وعي سليم في مجتمعا ومؤسّساتنا لردم الهوة بين الهوية والتّكوين، بين القانون والسياسة، بين اللّسانيات والطّب، بين علم النفس وعلوم التّربية... ولا يمكن لنا تحصيل المعارف والعلوم مُنفصلة عن غيرها من غير منهج تفكيريّ أو نقديّ مثل

تحصيل علم الحديث بلا علم الأصول والمقاصد، أو أصول الفقه بدون علوم اللغة، ولا تحصل الدراية بين الدين والعلم إلا بضابط الشرع الذي هو ضابط السلوك والتصرفات، ونعلم بأنه لا يمكن أن تفهم العلوم الشرعية عندنا إلا بتكامل العلوم من قبيل تحقيق العلم بالنصوص الشرعية ومواطن الإجماع واللغة ودلالاتها، والواقع ومُتغيراته؛ لأن غياب التكامل يؤدي إلى التوقع والتعصب والتحزب والصراع، وعدم التقدم.

5- الحضارة، الجغرافية، البوصلة، القطار، الطيران، GPS: هي سلسلة من المنجزات الحضارية التي تحققت لتكامل العلوم وبمعالجة مشكلات العصر بحسب الأرضية الفكرية التي تناسلت فيها العلوم من بعضها حتى وصلت إلى تحقيق التقدم والازدهار. وإن الحضارة حضارات؛ وهي النهضة المعرفية والفكرية التي أجمعت كل المعارف لخدمة بعضها البعض في ما يخدم رفاهية الإنسان. كما أدت دورها في تنشيط الحراك الثقافي في ظهور الاجتهاد والعمران والاختلاف والصراع الفكري، وكان عمادها العقل في التنظير والتطبيق وزيادة التطوير. كما يرى أكثر الباحثين أن الحضارات تعتمد على العلوم الكونية وعلوم الطبيعة والمادة، مع تفاوت نسبي في زيادة حجم الاستناد على علم دون الآخر. ولكن بتفاوت محسوب اقتضته عوامل التطور فقط، ولا يعني التفضيل الذي يكون سبباً في ترجيح كفة العلوم التطبيقية بامتياز. وإن الحضارات تركز على البحث العلمي والفني التشكيلي، ويمثل الجانب العلمي في الجمع بين الابتكارات التكنولوجية والفنون التشكيلية، ويخدمها علماء وفنانون كبار يقودون التطور التكاملي من حيث ما يميز أمة عن أمة من حيث العادات والتقاليد وأسلوب المعيشة والملابس والتمسك بالقيم الدينية والأخلاقية ومقدرة الإنسان في كل حضارة على الإبداع في الفنون والآداب والعلوم، وهذا ما أظهرته الحضارات الكبرى: الحضارة الغربية القديمة البروتستانية الحضارة الغربية الحديثة+ الحضارة الأمريكية اللاتينية+ الحضارة اليابانية+ الحضارة الصينية+ الحضارة الهندية+ الحضارة العربية لإسلامية+ الحضارة الأفريقية، وهناك حضارات صغيرة قامت واندثرت. والمهم في الأمر أن كل حضارة قامت على ذاتها، واستفادت من حضارات سابقة، والتي تركت الأثر وربطت بين المقاربات في منجزات العلم بمساعدة السمات الثقافية المتنوعة والتخطيط والتطور في الفنون والعلوم والتكنولوجيا. ومن خلالها جاءت العلوم الدقيقة التي نظرت إلى جوانب مُكملة تحتاج إلى الدقة مثل علم الجغرافية في رسم الخرائط/الخرائطية التي كان الإنسان الأول الباحث يعتمد عليها في رحلاته الميدانية وانتقاله من موقع لآخر على ما يخترنه في ذاكرته من الصور الذهنية عن معالم الطريق والاتجاهات والمسافات بين تلك المعالم وما يعتمد عليه على النجوم. فالخريطة من علامات بناء الحضارة منذ القدم، وفي كل الحضارات لما احتاجت إليه من تنشيط حركة التجارة البرية والبحرية. والفضل فيها يعود إلى الكثير من الجغرافيين الذي جابوا العالم براً/بحراً وهم يرسمون المواقع، فهذا (الشريف الإدريسي 493- 560 هـ/ 1100- 1166 م صاحب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) يرحل ويتنقل ويصف كل الأماكن التي مرّ بها، وينظر لكل طوبونيم من وجهات جغرافية وتاريخ وفقه وحساب وهندسة وفلك وسياسة... بنظرات علمية ملهوسة واصفة للمواقع بدقة متناهية وباستعمال خطوط العرض والأفق، ويدع في تطوير صناعة صورة العالم على الخريطة، وتلك الخطوط الملازمة للجهات

الأربع... هو علم أو إلهام من صنع الموسوعية الفكرية التي أمتاز بها هذا الباحث الرحالة في علم الخرائط. ولم يحصل نجاح الطيران إلا بأسبقية صناعة البوصلة/compass وهي الأداة الملاحية الموضوعة لتحديد الجهات الأربع الأصلية (الرئيسية)، والمهم في الأمر أنّ مخترع البوصلة المغنطيسية كان من علماء الصين، واستعملها العرب أيام كانوا أمراء البحر في القرن XI الميلادي، باسم الحقّة، مع ما حصل فيها من تطوّر عبر القرون وقد أدخلت مع مرور الزمن تحسينات كثيرة، واخترعت بديلاً منها أجهزة أدق لتحديد اتجاه الشمال الحقيقي، لا تعتمد على المجال المغنطيسي للأرض. والشاهد أنّ الاجتهاد في تطويرها جاء من البحارة/الملاحين العرب؛ وهم يكتشفون النجوم والبحار والمحيطات والأراضي والجزر ومن ثمّ استعملت في علم الطيران، وحلّ محلّها الآن نظام تحديد الموقع الشامل (GPS) Global Positioning System. ولا تزال لها صورة الاستعمال، وبخاصّة في المناطق النائية من العالم؛ لصغر حجمها وسهولة استعمالها وتقاناتها الموثوقة، ولأنّها غير مكلفة نسبياً ولا تتعطّل، ولا تحتاج إلى أي طاقة محرّكة.

إذاً، هناك اجتهاد، وهناك تكامل العلوم في هذه البوصلة المغنطيسية (الجغرافية) التي تستعملها الطائرة في مراحلها الأولى، مع استعمال أدوات علمية أخرى، فتخلّق وتهبط بتلك الأدوات الملاحية التي تدلّها على الاتجاه والمواقع والطريق السيار في الجو. وهناك اجتهاد حضاريّ كبير في صناعة القطار، وهو من معالم الحضارة في العالم، وقد كان اختراعه مثيراً في عالمنا المعاصر؛ باعتباره من أعظم الاختراعات في تاريخ البشرية؛ حيث يُمكن الناس من النقل السريع، وتوسيع نطاق التجارة والتعمير على نطاق واسع (الموسوعية). وله السبق على الدراجة (الاختصاص) مع ما عرف من تطوّرات في ثورة البخار، وتقنيات السكك الحديدية التي ازدادت تطوّراتها عبر تقنيات السرعة الفائقة، واختراقات ترامواي الأنفاق. والنقطة المهمة هنا في أنّ القطار أسهم في صناعته جيوش من العمالة ومن مختلف المستويات والحرف، وتكاملت فيه العلوم بشكل مباشر؛ حيث جمع بين أهل الحدادة والنار، ورجال الفنّ، وأهل البخار، ومخترعي الديزل، والكهرباء. وأما GPS فليس هو السقف، بل حلقة من حلقات البوصلة التي تطوّرت عبر الأقمار الصناعية التي توضع في مداراتها عبر علم الطيران. هو تكامل معرفي اقتضته المعرفة عبر فتوحاتها التي لا تنتهي، والزمن كفيل بمواصلة التحسين، ونحن مدينون لهذا التكامل وراء تقديم الرفاهية للبشر، فأنعم به من تكامل معرفي!